

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies



رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المختصر

في

تفسير القرآن الكريم

تصنيف

جماعة من علماء التفسير

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

المختصر

في
تفسير القرآن الكريم

ح) مركز تفسير للدراسات القرآنية ، ١٤٣٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

نخبة من العلماء

المختصر في تفسير القرآن الكريم / نخبة من العلماء. - ط ٤. -

الرياض، ١٤٣٩ هـ

٦٢٤ ص؛ ٢٠ × ١٤ سم

ردمك: ٢-٢٦-٨١٧٥-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - تفسير أ.العنوان

١٤٣٧ / ٦٤٩١

ديوي ٣، ٢٢٧

جميعُ حُقُوقِ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

لِمَرْكَزِ تَفْسِيرِ الدِّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

الطبعة الرابعة

١٤٣٩ هـ

مركز تفسير للدراسات القرآنية

Tafsir Center For Qur'anic Studies



المملكة العربية السعودية - الرياض - حي الياسمين - طريق أنس بن مالك رضي الله عنه

هاتف: ٢١٠٩٦٢٠ (٠١) - فاكس: ٢١٠٩٧١٣ (٠١) - ص.ب: ٢٤٢١٩٩ - الرمز البريدي: ١١٣٢٢

البوابة الالكترونية: www.tafsir.net البريد الإلكتروني: info@tafsir.net

جوال المختصر: 00966536365555 - البريد الإلكتروني للمختصر: Almokhtasar@tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية

Tafsir Center For Qur'anic Studies



المختصر

في

تفسير القرآن الكريم

تصنيف

جماعة من علماء التفسير

لجان مشروع (المختصر في تفسير القرآن الكريم)

اللجان	م	الاسم	المكان
الإشراف العام	١	أ. د. صالح بن عبدالله بن حميد	إمام المسجد الحرام وخطيبه وعضو هيئة كبار العلماء رئيس مجلس إدارة مركز تفسير للدراسات القرآنية
	٢	أ. د. عبدالرحمن بن معاضة الشهري	مدير عام مركز تفسير للدراسات القرآنية
أولاً، لجنة الإشراف العلمي	٣	أ. د. مساعد بن سليمان الطيار	جامعة الملك سعود - السعودية عضو مجلس إدارة مركز تفسير للدراسات القرآنية
	٤	أ. د. عبدالرحمن بن معاضة الشهري	جامعة الملك سعود - السعودية مدير عام مركز تفسير للدراسات القرآنية
	٥	أ. د. أحمد بن محمد البريدي	جامعة القصيم - السعودية عضو مجلس إدارة مركز تفسير للدراسات القرآنية
	٦	د. ناصر بن محمد الماجد	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - السعودية عضو مجلس إدارة مركز تفسير للدراسات القرآنية
	٧	الشيخ . سيد محمد بن محمد المختار الشنقيطي	باحث شرعي
لجنة التأليف	٨	أ. د. زيد بن عمر العيص	جامعة الملك سعود - السعودية
	٩	د. محمد بن عبدالله الربيعه	جامعة القصيم - السعودية
	١٠	أ. د. أحمد خالد شكري	الجامعة الأردنية - الأردن
ثانياً، لجنة المراجعة والتقويم والتحكيم	١١	أ. د. أحمد سعد الخطيب	جامعة الأزهر - مصر
	١٢	أ. د. أحمد بزوي الضاوي	جامعة شعيب الدكالي - المغرب
	١٣	د. حسين بن علي الحربي	جامعة جازان - السعودية
	١٤	د. خالد بن عثمان السبت	جامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل - السعودية
	١٥	أ. د. سعيد الفلاح	جامعة الزيتونة - تونس
	١٦	أ. د. صالح بن يحيى صواب	جامعة صنعاء - اليمن
	١٧	أ. د. غانم قدوري الحمد	جامعة تكريت - العراق
	١٨	د. محمد بن عبدالله القحطاني	جامعة الملك خالد - السعودية
	١٩	أ. د. عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - السعودية
	٢٠	أ. د. سهل بن رفاع العتيبي	جامعة الملك سعود - السعودية
الثالثاً، لجنة المراجعة العقدية	٢١	أ. د. عبدالله بن عبدالعزيز العنقري	جامعة الملك سعود - السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الرَّابِعَةِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على نبينا محمّد وعلى آله وصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعدُ، فلم تزل همم علماء التفسير تسمو في كل عصرٍ إلى تفسير كلام الله وبيان معانيه بما يفتح الله عليهم به ويفقّهم إليه، وكان من المقاصد التي حملت العلماء على التصنيف في التفسير منذ القرون الأولى: تقريب معاني آيات الكتاب لجمهور القراء؛ دون تطويل يمنعهم عن إكماله، أو صعوبة عبارة تُضِرُّهم عن فهمه، ولم تزل هذه الحاجة تتجدّد بتجدّد حياة الناس وتنوّع مستويات ثقافتهم، واجتهد كل مفسّر رام تحقيق هذه الغاية في صياغة تفسيره بما يلائم أهل عصره ويلبي حاجاتهم ويناسب لغتهم ومعارفهم، مستدرّكاً على من سبقه ما قد يكون وقع فيه من خطأ أو قصور في صياغة عبارة أو ترجيح معنى أو إيضاح مُبْهِم بقدر اجتهاده وعلمه، ثم هم في ذلك بين مختصر بالغ في الاختصار حتى صار متناً يحتاج إلى شروح وحواشٍ توضّحه، ومتوسّع بالغ في ذكر ما لا علاقة له بالتفسير فطال كتابه جدّاً، وفي كلّ خير، ولكلّ وجهةٍ هو مؤلّفها.

لذلك رأى مَرَكَزُ تَفْسِيرِ الدَّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ حاجة الناس في هذا العصر ما تزال قائمةً إلى تفسير مختصر يجمع بين الميزات التالية:

- وضوح العبارة وسهولتها.
- الاقتصار على تفسير الآيات وبيان معانيها دون دخولٍ في مسائل القراءات والإعراب والفقه ونحوها.
- شرح المفردات القرآنية الغريبة أثناء التفسير وتمييز الشرح بلونٍ مختلف بقدر الاستطاعة ليسهل الوقوف عليه لمن أراد.
- اتباع منهج سلف الأمة رضوان الله عليهم في التفسير - وفي بيان معاني آيات الصفات خصوصاً - باتباع ما دلّ عليه القرآن والسنة دون تأويل أو تحريف.
- تحرّي المعنى الأرجح عند الاختلاف، مع مراعاة ضوابط التفسير وقواعد الترجيح.
- ذكر بعض هدايات الآيات وفوائدها في أسفل كل صفحة؛ بما يُعين على تدبّرها وتمايز الانتفاع بها، تحت عنوان مستقل: من فوائد الآيات.

- التقديم بين يدي كلِّ سورة بيان زمان نزولها (مَكِّيَّة أو مَدَنِيَّة)، وبيان أهم مقاصدها باختصار .
 - جمع ما سبق كلُّه وكتابته على حاشية المصحف الشريف، وقد اعتمدنا في هذه الطبعة الثالثة :
 الطبعة الأخيرة لمصحف المدينة النبوية الذي أصدره مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة؛ ليكون عوناً لقارئ القرآن على فهم كلام الله تعالى بأيسر طريق .
 وقد كلّف المركزُ الشيخ سيد محمّد بن محمد المختار الشنقيطيّ بكتابة متن التفسير كتابةً أوليّةً، كما أسند إليه أيضاً وإلى الأستاذ الدكتور زيد بن عمر العيص - أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود سابقاً - بكتابة فوائد الآيات وهداياتها فتقاسمها مناصفةً، وإلى الشيخ الدكتور محمد بن عبد الله الربيع - الأستاذ المشارك في القرآن وعلومه بجامعة القصيم - بكتابة مقاصد السور .
 ثم كلّف المركزُ جماعةً من علماء التفسير المشهود لهم بالكفاءة والعلم بهذا الفن من مختلف دول العالم الإسلامي بمراجعة التفسير وتقويمه أثناء الكتابة مرحلةً مرحلة، وتحكيم منهجه، فقام كل واحدٍ منهم بتحكيم أجزاء متفرقة من هذا التفسير حتى اكتمل، وهم :

- ١ - أ.د. أحمد خالد شكري (الجامعة الأردنية - الأردن).
 - ٢ - أ.د. أحمد سعد الخطيب (جامعة الأزهر - مصر).
 - ٣ - أ.د. أحمد بزوي الضاوي (جامعة شعيب الدكالي - المغرب).
 - ٤ - د. حسين بن علي الحربي (جامعة جازان - السعودية).
 - ٥ - د. خالد بن عثمان السبت (جامعة الدمام - السعودية).
 - ٦ - أ.د. سعيد الفلاح (جامعة الزيتونة - تونس).
 - ٧ - أ.د. صالح بن يحيى صواب (جامعة صنعاء - اليمن).
 - ٨ - أ.د. غانم قدوري الحمد (جامعة تكريت - العراق).
 - ٩ - د. محمد بن عبد الله القحطاني (جامعة الملك خالد - السعودية).
- وتولّت مهمّة الإشراف العلمي على المشروع، ومتابعته في جميع مراحلهِ : لجنةٌ علميّةٌ مكوّنة من :

- ١ - أ.د. مساعد بن سليمان الطيّار الأستاذ بجامعة الملك سعود.
 - ٢ - أ.د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري الأستاذ بجامعة الملك سعود.
 - ٣ - د. أحمد بن محمد البريدي الأستاذ المشارك بجامعة القصيم.
 - ٤ - د. ناصر بن محمد الماجد الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- كما كلّف المركزُ ثلاثةً من أساتذة العقيدة المتخصّصين بمراجعته من الجانب العقديّ؛ رغبةً في سلامته مما قد يقع فيه من الخطأ في هذا الجانب، وهم الأستاذ الدكتور : سهل بن رفاع العتيبي أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الملك سعود، والأستاذ الدكتور : عبد العزيز ابن محمد آل عبد اللطيف أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والدكتور عبد الله بن عبد العزيز العنقري أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود، وقد قاموا بمراجعته كلٌّ على حدة، وأفادوا بملاحظاتٍ وتصويباتٍ قيّمة؛ فجزاهم الله خيراً .

ثم أوكل المركز إلى الأستاذ الدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار مراجعة المختصر كاملاً؛ للنظر في الملاحظات والمقترحات التي وصلت من القراء للتعليق في طبعته الأولى والثانية، فقام باختيار نخبة من طلبة العلم المتخصصين من طلابه يقرؤون المختصر معه صفحة صفحة، ويقفون على كل الملاحظات التي وصلت، وينظرون فيما يقفون عليه كذلك، وما احتاج إلى إعادة صياغة أعادوا صياغته؛ مستفيدين من صياغة الإمام ابن جرير الطبري في المقام الأول، كما قاموا بإعادة صياغة ما يحتاج إلى صياغة من مقاصد السور أو من الفوائد، وتم الاقتصاد على ثلاث فوائد غالباً في كل صفحة.

وفي حال الاختلاف في التفسير، رأت اللجنة الاعتماد على إمام المفسرين ابن جرير الطبري؛ لسلامة منهجه، وكثرة اعتماده على التفسير المنقول عن النبي ﷺ وعلى المنقول عن الصحابة والتابعين وأتباعهم رضي الله عنهم.

وقد روعي في تأليف هذا المختصر بميزاته المتقدمة صلاحيته ليكون أصلاً لترجمته إلى اللغات العالمية الأخرى، مجتنباً الأخطاء والعقبات التي تعثرت بسببها كثير من الترجمات المنشورة لمعاني القرآن الكريم، وهو مشروع تمت دراسته واتخاذ الخطوات الأولى فيه، ونرجو أن يرى النور قريباً بإذن الله.

وكان ثلثة كريمة من أهل الخير والبر فضل دعم المشروع وتحمل أعباء تكاليفه مادياً، فلهم من الله الأجر والثوبة على بذلهم وإحسانهم.

وختاماً، فهذه الطبعة الرابعة لهذا العمل، حرص فيه المركز على تيسير فهم كتاب الله عز وجل، مع تحري الصواب قدر الطاقة، والاجتهاد في بلوغ ما يستطاع من الكمال، فما كان من صواب فبفضل الله وتوفيقه، وما كان من خطأ فمن أنفسنا، ونسأل الله تعالى أن يغفر لنا الزلل، وأن ينفع بهذا المختصر، ويضع له القبول، إنه أكرم مسؤول وأعظم مرجو.

وقد استدرجنا عدداً من الملحوظات العلمية والفنية التي ظهرت لنا في الطباعات الأولى والثانية والثالثة، وأخذنا بأحسن ملحوظات ومقترحات القراء، واعتمدنا العنوان الجديد «المختصر في تفسير القرآن الكريم» بدل «المختصر في التفسير»؛ بناء على مقترحات عدد من الفضلاء؛ ليتضح لعامة القراء.

ونشكر كل من بذل جهداً في تقويم وتصحيح هذا المختصر، ونرجو موافاتنا بأي ملحوظات أو مقترحات لتطويره على بريد المختصر: almokhtasar@tafsir.net أو على الجوال الخاص بالمشروع: ٠٥٣٦٣٦٥٥٥٥.

د. صالح بن عبد الله بن حميد

رئيس مجلس إدارة مركز تفسير للدراسات الإسلامية
إمام همز الملك وتعليقه في تفسيره كتابه

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

— مَكِّيَّة —

﴿ مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوفِ ﴾

تحقيق التوجه لله تعالى بكمال العبودية له وحده.

﴿ التَّفْسِيرُ ﴾

سُمِّيتْ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ لِفَتْتَاحِ كِتَابِ اللَّهِ بِهَا، وَتَسْمَى أُمُّ الْقُرْآنِ لِأَسْثَمَالِهَا عَلَى مَوْضُوعَاتِهِ؛ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَعِبَادَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي.

﴿ ١ ﴾ بِاسْمِ اللَّهِ أَبَدًا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، مُسْتَعِينًا بِهِ تَعَالَى مَتَبَرِّكًا بِذِكْرِ اسْمِهِ. وَقَدْ تَضَمَّنَتْ الْبِسْمَلَةُ ثَلَاثَةَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَهِيَ: ١ - «اللَّهُ»؛

أَيُّ: الْمَعْبُودِ بِحَقٍّ، وَهُوَ أَحْصَى أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ. ٢ - «الرَّحْمَنُ»؛ أَيُّ: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ. فَهُوَ الرَّحْمَنُ بِذَاتِهِ. ٣ - «الرَّحِيمُ»؛ أَيُّ: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاصِلَةِ. فَهُوَ يَرْحَمُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ وَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عِبَادِهِ.

﴿ ٢ ﴾ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْمُحَامِدِ مِنْ صِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ هِيَ لَهُ وَحْدَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ؛ إِذْ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ وَمُدَبِّرُهُ. وَ«الْعَالَمُونَ» جَمْعُ «عَالَمٍ» وَهُمْ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى.

﴿ ٣ ﴾ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ حَمْدِهِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

﴿ ٤ ﴾ تَمْجِيدُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ الْمَالِكُ لِكُلِّ مَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا. «يَوْمَ الدِّينِ»: يَوْمَ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ.

﴿ ٥ ﴾ نَخْصُكُ وَحْدَكَ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، فَلَا نَشْرِكُ مَعَكَ غَيْرَكَ، وَمَنْكَ وَحْدَكَ نَطْلُبُ الْعَوْنَ فِي كُلِّ شَأْنِنَا، فَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَلَا مُعِينُ سِوَاكَ.

﴿ ٦ ﴾ دُلَّنَا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَاسْلُكْ بِنَا فِيهِ، وَثَبِّتْنَا عَلَيْهِ، وَزِدْنَا هُدًى. وَ«الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ» هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

﴿ ٧ ﴾ طَرِيقَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ عِبَادِكَ بِهَدَايَتِهِمْ؛ كَالنَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، غَيْرَ طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ كَالْيَهُودِ، وَغَيْرِ طَرِيقِ الضَّالِّينَ عَنِ الْحَقِّ الَّذِينَ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ لَتُفْرِطَهُمْ فِي طَلَبِ الْحَقِّ وَالْإِهْتِدَاءِ إِلَيْهِ كَالنَّصَارَى.

﴿ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ ﴾

- افْتَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابَهُ بِالْبِسْمَلَةِ؛ لِيُرْشِدَ عِبَادَهُ أَنْ يَدْعُوا أَعْمَالَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ بِهَا طَلِبًا لِعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ.
- مِنْ هَذِهِ عِبَادَةُ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فِي الدُّعَاءِ الْبَدءِ بِتَمْجِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ لِيُشْرَعَ فِي الطَّلَبِ.
- تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ كَالنَّصَارَى الضَّالِّينَ، أَوْ عَدَمِ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ الَّذِي عَرَفُوهُ كَالْيَهُودِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ.
- دَلَّتِ السُّورَةُ عَلَى أَنَّ كِمَالَ الْإِيمَانِ يَكُونُ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَطَلَبِ الْعَوْنِ مِنْهُ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ.

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ أَهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ ٧

وَالِاتِّفَاقِ

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

— مَدِينَةٌ —

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

إعداد الأمة لعمارة الأرض والقيام بدين الله، وبيان أقسام الناس، وفيها أصول الإيمان وكليات الشريعة.

● التَّفْسِيرُ:

سُمِّيَتْ سورة البقرة بهذا الاسم لورود قصة بقرة بني إسرائيل فيها، وفيها إشارة إلى وجوب المسارعة إلى تطبيق شرع الله، وعدم التلكؤ فيه كما حصل من يهود.

● الرَّاءُ: هذه من الحروف التي افتُتِحَتْ بها بعض سور القرآن، وهي حروف هجائية لا معنى لها في نفسها إذا جاءت مفردة هكذا (أ، ب، ت، إلخ)، ولها حكمة وَمَعْرَى؛ حيث لا يوجد في القرآن ما لا حكمة له، ومن أهم حِكْمِهَا الإشارة إلى التحدي بالقرآن الذي يتكوّن من الحروف نفسها التي يعرفونها ويتكلمون بها؛ لذا يأتي غالبًا بعدها ذِكْرُ للقرآن الكريم، كما في هذه السورة.

● ذلك القرآن العظيم لا شك فيه، لا من جهة تنزيله، ولا من حيث لفظه ومعناه، فهو كلام الله، يهدي المتقين إلى الطريق الموصل إليه.

● الذين يؤمنون بالغيب وهو كل ما لا يُدْرِك بالحواس وغاب عَنَّا، مما

أخبر الله عنه أو أخبر عنه رسوله، كالיום الآخر، وهم الذين يقيمون الصلاة بأدائها وفق ما شرع الله من شروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، وهم الذين ينفقون مما رزقهم الله، بإخراج الواجب كالزكاة، أو غير الواجب كصدقة التطوع؛ رجاء ثواب الله، وهم الذين يؤمنون بالوحي الذي أنزل الله عليك - أيها النبي - والذي أنزل على سائر الأنبياء ﷺ من قبلك دون تفريق، وهم الذين يؤمنون إيمانًا جازمًا بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب. ● هؤلاء الْمُتَصِفُونَ بهذه الصفات على تَمَكُّنٍ من طريق الهداية، وهم الفائزون في الدنيا والآخرة بَنِيْلَهُمْ ما يرجون ونجاتهم مما يخافون.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الثقة المطلقة في نفي الرِّيبِ دليل على أنه من عند الله؛ إذ لا يمكن لمخلوق أن يدعي ذلك في كلامه.
- لا يتنفع بما في القرآن الكريم من الهدايا العظيمة إلا المتقون لله تعالى المعظمون له.
- من أعظم مراتب الإيمان الإيمان بالغيب؛ لأنه يتضمن التسليم لله تعالى في كل ما تفرد بعلمه من الغيب، ولرسوله بما أخبر عنه سبحانه.
- كثيرًا ما يقرون الله تعالى بين الصلاة والزكاة؛ لأنَّ الصلاة إخلاص للمعبود، والزكاة إحسان للعبيد، وهما عنوان السعادة والنجاة.
- الإيمان بالله تعالى وعمل الصالحات يورثان الهداية والتوفيق في الدنيا، والفوز والفلاح في الآخرة.

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْ ١ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ

إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ

هُمْ الْمُقْلِحُونَ ٥

وَاللَّهُ يَتْلُو السُّرُورَ وَتِلْكَ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٧١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ الْسُّفَهَاءُ قَالُوا إِنَّمَا هُمْ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَقَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٧٦﴾

ولما بيّن الله صفات المؤمنين المتقين الذين صلح ظاهريهم وباطنيهم، ذكر صفات طائفة من الكافرين الذين فسد ظاهريهم وباطنيهم، فقال:

﴿٦٦﴾ إن الذين كفروا مستمرون على ضلالهم وعنادهم، فإنذارك لهم وعدمه سواء.

﴿٦٧﴾ لأن الله طبع على قلوبهم فأغلقها على ما فيها من باطل، وطبع على سمعهم فلا يسمعون الحق سماع قبول وانقياد، وجعل على أبصارهم غطاء فلا يبصرون الحق مع وضوحه، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

ولما بيّن الله صفات الكافرين الذين فسد ظاهريهم وباطنيهم؛ بيّن صفات المنافقين الذين فسد باطنهم وصلح ظاهريهم فيما يبدو للناس، فقال:

﴿٦٨﴾ ومن الناس طائفة يزعمون أنهم مؤمنون، يقولون ذلك بالستهم خوفاً على دمانهم وأموالهم، وهم في الباطن كافرون.

﴿٦٩﴾ يتوهمون بجهلهم أنهم يخادعون الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، وهم في الحقيقة يخدعون أنفسهم فقط، ولكنهم لا يشعرون بذلك؛ لأن الله تعالى يعلم السر وأخفى، وقد أطلع المؤمنين على صفاتهم وأحوالهم.

﴿٧٠﴾ والسبب أن في قلوبهم شكاً، فزادهم الله شكاً إلى شكهم، والجزاء من جنس العمل، ولهم عذاب أليم في

الدرك الأسفل من النار، بسبب كذبهم على الله وعلى الناس، وتكذيبهم بما جاء به محمد ﷺ.

﴿٧١﴾ وإذا نهوا عن الإفساد في الأرض بالكفر والذنوب وغيرها، أنكروا وزعموا أنهم هم أصحاب الصلاح والإصلاح.

﴿٧٢﴾ والحقيقة أنهم هم أصحاب الإفساد، ولكنهم لا يشعرون بذلك، ولا يشعرون أن فعلهم عين الفساد.

﴿٧٣﴾ وإذا أمروا بالإيمان كما آمن أصحاب محمد ﷺ؛ أجابوا على سبيل الاستنكار والاستهزاء بقولهم: أنؤمن كإيمان خفاف العقول؟! والحق أنهم هم السفهاء، ولكنهم يجهلون ذلك.

﴿٧٤﴾ وإذا التقوا المؤمنين قالوا: صدقنا بما تؤمنون به؛ يقولون ذلك خوفاً من المؤمنين، وإذا انصرفوا عن المؤمنين إلى رؤسائهم منفردين بهم، قالوا مؤكدين بثباتهم على متابعتهم لهم: إنا معكم على طريقكم، ولكننا نوافق المؤمنين ظاهراً سخريه بهم واستهزاء.

﴿٧٥﴾ الله يستهزئ بهم في مقابلة استهزائهم بالمؤمنين، جزاء لهم من جنس عملهم، ولهذا أجرى لهم أحكام المسلمين في الدنيا، وأما في الآخرة فيجازيهم على كفرهم ونفاقهم، وكذلك يملئ لهم ليطمادوا في ضلالهم وطغيانهم، فيبقوا حائرين مترددين.

﴿٧٦﴾ أولئك هم السفهاء لأنهم استبدلوا الكفر بالإيمان، فما ربحت تجارتهم؛ لخسارتهم الإيمان بالله، وما كانوا مهتدين إلى الحق.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

• أن من طبع الله على قلوبهم بسبب عنادهم وتكذيبهم لا تنفع معهم الآيات وإن عظمت.

• أن إمهال الله تعالى للظالمين المكذبين لم يكن عن غفلة أو عجز عنهم، بل ليزدادوا إثماً، فتكون عقوبتهم أعظم.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
 ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿٧﴾ صُمُّ
 بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ
 ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي أَفْئَادِهِمْ مِّنْ
 الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ
 يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشْوَافِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ
 قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
 بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا
 بِسُورَةٍ مِّمَّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ
 الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿٧﴾ ضرب الله لهؤلاء المنافقين مثلين: مثلاً نارياً، ومثلاً مائئياً، فأما مثلهم الناري: فهم كمثل من أوقد ناراً ليستضيء بها، فلما سطع نورها وظن أنه ينتفع بضوئها خمدت، فذهب ما فيها من إشراق، وبقي ما فيها من إحراق، فبقي أصحابها في ظلمات لا يرون شيئاً، ولا يهتدون سبيلاً.

﴿٨﴾ فهم صُمٌّ لا يسمعون الحق سماع قبول، بُكْمٌ لا ينطقون به، عُمى عن إيصاره، فلا يرجعون عن ضلالهم.

﴿٩﴾ وأما مثلهم المائي: فهم كمثل مطر كثير، من سحب فيه ظلمات متراكمة ورعد وبرق، نزل على قوم فأصابهم دعر شديد، فجعوا يسدُّون آذانهم بأطراف أصابعهم، من شدة صوت الصواعق خوفاً من الموت، والله محيط بالكافرين لا يعجزونه.

﴿١٠﴾ يكاد البرق من شدة لمعانه وسطوعه يأخذ أبصارهم، كلما ومض البرق لهم وأضاء تقدموا، وإذا لم يضيء بقوا في الظلام، فلم يستطيعوا التحرك، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم بقدرته الشاملة لكل شيء؛ فلا تعود إليهم؛ لإعراضهم عن الحق. فكان المطر مثلاً للقرآن، وصوت الصواعق مثلاً لما فيه من الزواجر، وضوء البرق مثلاً لظهور الحق لهم أحياناً، وجعل سد الآذان من شدة الصواعق، مثلاً لإعراضهم عن الحق

وعدم الاستجابة له، ووجه الشبه بين المنافقين وأصحاب المثلين؛ هو عدم الاستفادة، ففي المثل الناري: لم يستفد مستوقدها غير الظلام والإحراق، وفي المثل المائي: لم يستفد أصحاب المطر إلا ما يروغهم ويزعجهم من الرعد والبرق، وهكذا المنافقون لا يرون في الإسلام إلا الشدة والقسوة.

ولما ذكر الله أنواع الناس من مؤمنين وكافرين ومنافقين؛ ناداهم جميعاً داعياً إليهم إلى إفراده بالعبادة، فقال: ﴿١١﴾ يا أيها الناس اعبدوا ربكم وحده دون سواه؛ لأنه الذي خلقكم وخلق الأمم السابقة لكم، رجاء أن تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية؛ بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿١٢﴾ فهو الذي جعل لكم الأرض بساطاً ممهّداً، وجعل السماء من فوقها مُحْكَمَةً الْبِنَانِ، وهو المنعم بإنزال المطر، فأثبت به مختلف الشمار من الأرض. لتكون رزقاً، فلا تجعلوا لله شركاء وأمثالاً وأنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله ﷻ. ﴿١٣﴾ وإن كنتم - يا أيها الناس - في شك من القرآن المُنَزَّلَ على عبدنا محمد ﷺ، فنتحداكم أن تعارضوه بالإتيان بسورة واحدة مماثلة له، ولو كانت أقصر سورة منه، ونادوا من استطعت من أنصاركم إن كنتم صادقين فيما تدّعون. ﴿١٤﴾ فإن لم تفعلوا ذلك - ولن تقدروا عليه أبداً - فاتقوا النار التي توقد بالناس المستحقين للعذاب، وبأنواع الحجارة مما كانوا يعبدونه وغيرها، هذه النار قد أعدها الله وهيباً للكافرين.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن الله تعالى يخذل المنافقين في أشد أحوالهم حاجة وأكثرها شدة؛ جزاء نفاقهم وإعراضهم عن الهدى.
- من أعظم الأدلة على وجوب إفراذ الله بالعبادة أنه تعالى هو الذي خلق لنا ما في الكون وجعله مسخرًا لنا.
- عجز الخلق عن الإتيان بمثل سورة من القرآن الكريم يدل على أنه تنزيل من حكيم عليم.

﴿٥﴾ وإذا كان الوعيد السابق للكافرين؛ فيُشْر - أيها النبي - المؤمنين بالله الذين يعملون الصالحات؛ بما يسرهم من جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، كلما أطعموا من ثمارها الطيبة رزقاً؛ قالوا من شدة الشَّبَه بثمار الدنيا: هذا مثل الثمار التي رزقنا من قبل، وقُدِّمت لهم ثمار متشابهة في شكلها واسمها حتى يُقِلُّوا عليها بحكم المعرفة بها، ولكنها مختلفة في طعمها ومذاقها، ولهم في الجنة أزواج مبرَّاة من كل ما تنفر منه النفس، ويُستَقْدَر طبعاً مما يُتَصَوَّر في أهل الدنيا، وهم في نعيم دائم لا ينقطع، بخلاف نعيم الدنيا المنقطع.

﴿٦﴾ إن الله ﷻ لا يستحي من ضرب الأمثال بما شاء، فيضرب المثل بالبعوضة، فما فوقها في الكِبَر أو دونها في الصَّغَر، والناس أمام هذا نوعان: مؤمنون وكافرون، فأما المؤمنون فيصدقون ويعلمون أن من وراء ضرب المثل بها حكمة، وأما الكافرون فيتساءلون على سبيل الاستهزاء عن سبب ضرب الله الأمثال بهذه المخلوقات الحقيرة؛ كالبعوض، والذباب، والعنكبوت، وغيرها، فيأتي الجواب من الله: إن في هذه الأمثال هدايات وتوجيهات واختباراً للناس، فمنهم من يضلهم الله بهذه الأمثال لإعراضهم عن تدبرها، وهم كثير، ومنهم من يهديهم بسبب اتعاظهم بها، وهم كثير، ولا يضل إلا من كان مستحقاً للضلال، وهم الخارجون عن طاعته؛ كالمنافقين.

﴿٧﴾ الذين ينقضون عهد الله الذي أخذهم عليه بعبادته وحده واتباع رسوله الذي أخبرته به الرسل قبله. هؤلاء الذين يتنكرون لعهود الله يتصفون بأنهم يقطعون ما أمر الله بوصله كالأرحام، ويسعون لنشر الفساد في الأرض بالمعاصي، فهؤلاء هم الناقصة حظوظهم في الدنيا والآخرة.

﴿٨﴾ إن أكرمكم - أيها الكفار - لعجب! كيف تكفرون بالله، وأنتم تشهدون دلائل قدرته في أنفسكم، فقد كنتم عدماً لا شيء، فأنشأكم وأحياكم، ثم هو يميتكم الموت الثانية، ثم يحييكم الحياة الثانية، ثم يرجعكم إليه ليحاسبكم على ما قدمتم.

﴿٩﴾ والله وحده الذي خلق لكم جميع ما في الأرض من أنهار وأشجار وغير ذلك مما لا يُحصى عدده، وأنتم تنتفعون به وتستمتعون بما سَخَّرَ لكم، ثم ارتفع على السماء فخلقهن سبع سموات مستويات، وهو الذي أحاط علمه بكل شيء.

﴿١٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من كمال النعيم في الجنة أن ملذاتها لا يكدرها أي نوع من التنغيص، ولا يخالطها أي أذى.
- الأمثال التي يضر بها الله تعالى لا ينتفع بها إلا المؤمنون؛ لأنهم هم الذين يريدون الهداية بصدق، ويطلبونها بحق.
- من أبرز صفات الفاسقين نقض عهودهم مع الله ومع الخلق، وقطعهم لما أمر الله بوصله، وسعيهم بالفساد في الأرض.
- الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة؛ لأن الله تعالى امتنَّ على عباده بأن خلق لهم كل ما في الأرض.

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رَزَقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ تُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾

﴿١٥﴾ الذين ينقضون عهد الله الذي أخذهم عليه بعبادته وحده واتباع رسوله الذي أخبرته به الرسل قبله. هؤلاء الذين يتنكرون لعهود الله يتصفون بأنهم يقطعون ما أمر الله بوصله كالأرحام، ويسعون لنشر الفساد في الأرض بالمعاصي، فهؤلاء هم الناقصة حظوظهم في الدنيا والآخرة.

﴿١٦﴾ إن أكرمكم - أيها الكفار - لعجب! كيف تكفرون بالله، وأنتم تشهدون دلائل قدرته في أنفسكم، فقد كنتم عدماً لا شيء، فأنشأكم وأحياكم، ثم هو يميتكم الموت الثانية، ثم يحييكم الحياة الثانية، ثم يرجعكم إليه ليحاسبكم على ما قدمتم.

﴿١٧﴾ والله وحده الذي خلق لكم جميع ما في الأرض من أنهار وأشجار وغير ذلك مما لا يُحصى عدده، وأنتم تنتفعون به وتستمتعون بما سَخَّرَ لكم، ثم ارتفع على السماء فخلقهن سبع سموات مستويات، وهو الذي أحاط علمه بكل شيء.

﴿١٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من كمال النعيم في الجنة أن ملذاتها لا يكدرها أي نوع من التنغيص، ولا يخالطها أي أذى.
- الأمثال التي يضر بها الله تعالى لا ينتفع بها إلا المؤمنون؛ لأنهم هم الذين يريدون الهداية بصدق، ويطلبونها بحق.
- من أبرز صفات الفاسقين نقض عهودهم مع الله ومع الخلق، وقطعهم لما أمر الله بوصله، وسعيهم بالفساد في الأرض.
- الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة؛ لأن الله تعالى امتنَّ على عباده بأن خلق لهم كل ما في الأرض.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّخِذُ أُنثَىٰ لَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

﴿٣٠﴾ يخبر الله تعالى أنه سبحانه قال للملائكة: إنه سيجعل في الأرض بشراً يخلف بعضهم بعضاً، للقيام بعمارته على طاعة الله، فسأل الملائكة ربهم - سؤال استرشاد واستفهام - عن الحكمة من جعل بني آدم خلفاء في الأرض، وهم سيفسدون فيها، ويريقون الدماء ظلماً، قائلين: ونحن أهل طاعتك، نُتَزَّهِك حامدين لك، ومعظمين جلالك وكمالك، لا نفُتِّرُ عن ذلك، فأجابهم الله عن سؤالهم: إني أعلم ما لا تعلمون من الحكم الباهرة في خلقهم، والمقاصد العظيمة من استخلافهم.

﴿٣١﴾ وليبيان منزلة آدم ﷺ علمه الله تعالى أسماء الأشياء كلها من الحيوان والجماد؛ ألفاظها ومعانيها، ثم عرض تلك المسئيات على الملائكة قائلاً: أخبروني بأسمائها إن كنتم صادقين فيما تقولون؛ أنكم أكرم من هذا المخلوق وأفضل منه.

﴿٣٢﴾ قالوا - مغترفين بنقصهم مُرجعين الفضل إلى الله -: نُتَزَّهِك ونعظمك يا ربنا عن الاعتراض عليك في حُكْمِكَ وشرعك، فنحن لا نعلم شيئاً إلا ما رزقتنا علمه، إنك أنت العليم الذي لا يخفى عليك شيء، الحكيم الذي تضع الأمور في مواضعها من قدرك وشرعك.

﴿٣٣﴾ وعندئذ قال الله تعالى لآدم:

أخبرهم بأسماء تلك المسئيات، فلما أخبرهم كما علمه ربه، قال الله للملائكة: ألم أعلم ما خفي في السماوات وفي الأرض، وأعلم ما تُظْهِرون من أحوالكم وما تحدثون به أنفسكم.

﴿٣٤﴾ بين الله تعالى أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم سجدوا وتقدير واحترام، فسجدوا مسارعين لامثال أمر الله، إلا ما كان من إبليس الذي كان من الجن، فامتنع اعتراضاً على أمر الله له بالسجود وتكبراً على آدم، فصار بذلك من الكافرين بالله تعالى.

﴿٣٥﴾ قلنا: يا آدم اسكن أنت وزوجك - حواء - الجنة، وكُلَا منها أكلاً هنيئاً واسعاً لا مُنْعَص فيه، في أي مكان من الجنة، وإياكما أن تقربا هذه الشجرة التي نهيتكما عن الأكل منها، فتكونا من الظالمين بعصيان ما أمرتكم به.

﴿٣٦﴾ فلم يزل الشيطان يوسوس لهما ويزين؛ حتى أوقعهما في الزلل والخطيئة بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها، فكان جزاؤهما أن أخرجهما الله من الجنة التي كانا فيها، وقال الله لهما وللشيطان: انزلوا إلى الأرض، بعضكم أعداء بعض، ولكم في تلك الأرض استقرار وبقاء وتمدُّع بما فيها من خيرات إلى أن تنتهي أجالكم، وتقوم الساعة.

﴿٣٧﴾ فأخذ آدم ما ألقى الله إليه من كلمات، وألهمه الدعاء بهن، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَنَا تَتَفَرُّ لَنَا وَتَزَكِّي لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاشِعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٣]، فقبل الله توبته، وغفر له، فهو سبحانه كثير التوبة على عباده، رحيم بهم.

• مِنْ تَوَابِدِ الْآيَاتِ،

• الواجب على المؤمن إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض خلقه وأمره أن يسلم لله في خلقه وأمره.

• رَفَعَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَنْزِلَةَ الْعِلْمِ، وجعله سبباً للتفصيل بين الخلق.

• الْكِبَرُ هُوَ رَأْسُ الْمَعَاصِي، وأساس كل بلاء ينزل بالخلق، وهو أول معصية عُصِيَ الله بها.

فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْشُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَاوَرِيحِهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿٣٨﴾ قلنا لهم: انزلوا جميعًا من الجنة إلى الأرض، فإن جاءكم هداية على أيدي راسلي، فمن اتبعها وآمن برسلي فلا خوف عليهم في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. ﴿٣٩﴾ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا؛ فأولئك هم أصحاب النار المقيمون فيها.

﴿٤٠﴾ يا أبناء نبي الله يعقوب تذكروا نعم الله المتتالية عليكم واشكروها، والتزموا بالوفاء بعهدي إليكم؛ من الإيمان بي وبرسلي، والعمل بشرائعي، فإن وفيتهم به أوفيت بعهدي لكم فيما وعدتكم به؛ من الحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الحسن يوم القيامة، وإياي وحدي فخافوني ولا تقضوا عهدي.

﴿٤١﴾ وآمنوا بالقرآن الذي أنزلته على محمد ﷺ موافقًا لما جاء في التوراة قبل تحريفها في شأن توحيد الله، ونبوة محمد ﷺ، واحذروا من أن تكونوا أول فريق يكفر به، ولا تستبدلوا بآياتي التي أنزلتها ثمنًا قليلًا من جاه ورياسة، واقتوا غضيبي وعذابي.

﴿٤٢﴾ ولا تخلطوا الحق - الذي أنزلته على رسلي - بما تفترون من أكاذيب، ولا تكتموا الحق الذي جاء في كتبكم من صفة محمد ﷺ، مع علمكم به ويقينكم منه.

﴿٤٣﴾ وآدوا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها وسننها، وأخرجوا زكاة أموالكم التي جعلها الله في أيديكم، واخضعوا لله مع الخاضعين له من أمة محمد ﷺ.

﴿٤٤﴾ ما أفتح أن تأمروا غيركم بالإيمان وفعل الخير، وتعرضوا أنتم عنه ناسين أنفسكم، وأنتم تقرؤون التوراة، عالمين بما فيها من الأمر باتباع دين الله، وتصديق رسله، أفلا تنتفعون بقولكم؟! ﴿٤٥﴾ واطلبوا العون على كل أحوالكم الدينية والدنيوية؛ بالصبر والصلاة التي تقرّبكم إلى الله وتصلحكم به، فيعينكم ويحفظكم ويذهب ما بكم من ضرر، وإن الصلاة لشاقة وعظيمة إلا على الخاضعين لربهم.

﴿٤٦﴾ وذلك لأنهم هم الذين يوقنون أنهم واردون على ربهم وملاقوه يوم القيامة، وأنهم إليه راجعون ليجازيهم على أعمالهم.

﴿٤٧﴾ يا أبناء نبي الله يعقوب، اذكروا نعمي الدينية والدنيوية التي أنعمت بها عليكم، واذكروا أنني فضلتكم على أهل زمانكم المعاصرين لكم بالنبوة والملك.

﴿٤٨﴾ واجعلوا بينكم وبين عذاب يوم القيامة وقاية بفعل الأوامر وترك النواهي، ذلك اليوم الذي لا تغني فيه نفس عن نفس شيئًا، ولا تُقبَلُ فيه شفاعة أحد يدفع ضرر أو جلب نفع إلا بإذن من الله، ولا يؤخذ فداء ولو كان ملء الأرض ذهبًا، ولا ناصر لهم في ذلك اليوم، فإذا لم ينفع شافع ولا فداء ولا ناصر، فأين المفر؟! ﴿٤٩﴾

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من أعظم الخذلان أن يأمر الإنسان غيره بالبر، وينسى نفسه.
- الصبر والصلاة من أعظم ما يعين العبد في شؤونه كلها.
- في يوم القيامة لا يدفع العذاب عن المرء الشفعاء ولا الفداء، ولا ينفعه إلا عمله الصالح.

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
يُذَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ٥١ وَإِذْ قَرَّبْنَا بَبْكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ
وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٢ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعَجَلَ مِنَ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ
٥٣ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٤
وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ٥٥
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ
الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ٥٦ وَإِذْ قُلْتُمْ يَلْمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ
جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٧ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ
مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٨ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ
الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٥٩

٥١) واذكروا يا بني إسرائيل حين أنقذناكم من أتباع فرعون الذين كانوا يذيقونكم أصناف العذاب؛ حيث يقتلون أبناءكم ذبحاً، حتى لا يكون لكم بقاء، ويتركون بناتكم أحياء حتى يكن نساء لخدمتهم؛ إمعاناً في إذلالكم وإهانتهن، وفي إنجائكم من بطش فرعون وأتباعه اختبار عظيم من ربكم؛ لعلكم تشكرون.

٥٢) واذكروا من نعمنا عليكم أن شققنا لكم البحر فجعلناه طريقاً يابساً تسيرون فيه، فأنجيناكم، وأغرقنا عدوكم فرعون وأتباعه أمام أعينكم وأنتم تنظرون إليهم.

٥٣) واذكروا من هذه النعم مواعيدنا موسى أربعين ليلة ليتم فيها إنزال التوراة نوراً وهدي، ثم ما كان منكم إلا أن عبدتم العجل في تلك المدة، وأنتم ظالمون بفعلكم هذا.

٥٤) ثم تجاوزنا عنكم بعد توبتكم، فلم نؤاخذكم لعلكم تشكرون الله بحسن عبادته وطاقته.

٥٥) واذكروا من هذه النعم أن آتينا موسى ﷺ التوراة فرقاناً بين الحق والباطل وتمييزاً بين الهدى والضلال لعلكم تهتدون بها إلى الحق.

٥٦) واذكروا من هذه النعم أن وفقكم الله للتوبة من عبادة العجل، حيث قال موسى ﷺ لكم: إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل إلهاً

تعبدونه، فتوبوا وارجعوا إلى خالقكم وموجدكم، وذلك بأن يقتل بعضكم بعضاً؛ والتوبة على هذا النحو خير لكم من التماسي في الكفر المؤدي إلى الخلود في النار، فقمتم بذلك بتوفيق من الله وإعانة، فتاب عليكم؛ لأنه كثير التوبة رحيم بعباده.

٥٧) واذكروا حين قال آباؤكم مخاطبين موسى ﷺ: بجرأة: لن نؤمن لك حتى نرى الله عياناً لا يُحجب عنا، فأخذتكم النار المحرقة، فقتلتكم وبعضكم ينظر إلى بعض.

٥٨) ثم أحييناكم بعد موتكم لعلكم تشكرون الله على إنعامه عليكم بذلك.

٥٩) ومن نعمنا عليكم أن أرسلنا السحاب يظلكم من حر الشمس لما تُهْتَمُّ في الأرض، وأنزلنا عليكم من نعمنا شرباً حلواً مثل العسل، وطائراً صغيراً طيب اللحم يشبه السماني، وقلنا لكم: كلوا من طيبات ما رزقناكم. وما نقصونا شيئاً بجحدهم هذه النعم وكفرانها، ولكن ظلموا أنفسهم بنقص حظها من الثواب وتريضها للعقاب.

٦٠) من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عِظْمُ نعم الله وكثرتها على بني إسرائيل، ومع هذا لم تردهم إلا تكبراً وعناداً.
- سَعَةُ حلم الله تعالى ورحمته بعباده، وإن عظمت ذنوبهم.
- الوحي هو الْفَيْضُ بين الحق والباطل.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَقَالَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ *وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَكُومُ سَيِّئٌ لَّنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَيُّ طُوبَىٰ مَضْرَافَانِ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿٥٨﴾ واذكروا من نعم الله عليكم حين قلنا لكم: ادخلوا بيت المقدس، وكلوا مما فيه من الطيبات من أي مكان شئتم أكلاً هنيئاً واسعاً، وكونوا في دخولكم راكعين خاضعين لله، واسألوا الله قائلين: ربنا خطئنا ذنوبنا؛ نستجب لك، وسنزيد لك، أحسنوا في أعمالهم ثواباً على إحسانهم.

﴿٥٩﴾ فما كان من الذين ظلموا منهم إلا أن بدلوا العمل، وحرّفوا القول، فدخلوا يزحفون على أديارهم، وقالوا: حبة في شعرة، مستهزئين بأمر الله تعالى؛ فكان الجزء أن أنزل الله على الظالمين منهم عذاباً من السماء بسبب خروجهم عن حد الشرع ومخالفة الأمر.

﴿٦٠﴾ واذكروا من نعم الله عليكم لما كنتم في النّيه، ونالكم العطش الشديد، فتضرّع موسى ﷺ إلى ربه وسأله أن يسقيكم؛ فأمرناه أن يضرب بعصاه الحجر؛ فلما ضربه انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدد قبائلكم، وانبعث منها الماء، وبئنا لكل قبيلة مكان شربها الخاص بها، حتى لا يقع نزاع بينهم، وقلنا لكم: كلوا واشربوا من رزق الله الذي ساقه إليكم بغير جهد منكم ولا عمل، ولا تسموا في الأرض مفسدين فيها.

﴿٦١﴾ واذكروا حين كفرتم نعمة ربكم فمّلّتم من أكل ما أنزل الله عليكم من المّنّ والسّلوى، وقلتم: لن نصبر على طعام واحد لا يتغير، فطلبتم من موسى ﷺ أن يدعو الله أن يخرج لكم من نبات الأرض من بقولها ونخضرها وقثائها (يشبه الخيار لكنه أكبر وجوبها وعدسها وبصلها؛ طعاماً؛ فقال موسى ﷺ - مستنكراً طلبكم أن تستبدلوا الذي طلبتم وهو أقل وأدنى، بالمّنّ والسّلوى وهو خير وأكرم، وقد كان يأتيكم دون عناء وتعب -: انزلوا من هذه الأرض إلى أي قرية، فستجدون ما سألتهم في حقولها وأسواقها. وابتاعهم لأهوائهم وإعراضهم المتكرر عما اختاره الله لهم؛ لازمهم الهوان والفقر والبؤس، ورجعوا بغضب من الله؛ لإعراضهم عن دينه، وكفرهم بآياته، وقتلهم أنبياءه ظلماً وعدواناً؛ كل ذلك بسبب أنهم عصوا الله وكانوا يتجاوزون حدوده.

﴿٦٢﴾ مِنْ تَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- كل من يتلاعب بنصوص الشرع ويحرّفها فيه شبهة من اليهود، وهو متوعد بعقوبة الله تعالى.
- عظم فضل الله تعالى على بني إسرائيل، وفي مقابل ذلك شدة جحودهم وعنادهم وإعراضهم عن الله وشرعه.
- أن من شؤم المعاصي وتجاوز حدود الله تعالى ما ينزل بالمرء من الذل والهوان، وتسلط الأعداء عليه.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦٧﴾ ثُمَّ قَوْلَ لَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ قُلُوبًا فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ ءَاعْتَدُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٩﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَآخِظَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٧١﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿١٧٢﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿١٧٣﴾

١٠

﴿١٦٦﴾ إِنَّ مَنْ آمَنَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وكذلك من آمن من الأمم الماضية قبل بعثة محمد ﷺ من يهود ونصارى وصابئة - وهم طائفة من أتباع بعض الأنبياء من تحقق فيهم الإيمان بالله وباليوم الآخر - فلهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم مما يستقبلونه في الآخرة، ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا.

﴿١٦٧﴾ واذكروا ما أخذنا عليكم من العهد المؤكد، من الإيمان بالله ورسله، ورفعنا الجبل فوقكم تخويفاً لكم وتحذيراً من ترك العمل بالعهد، أمرين لكم بأخذ ما أنزلنا عليكم من التوراة ببجد واجتهاد، دون تهاون وكسل، واحفظوا ما فيه وتدبروه؛ لعلكم بفعل ذلك تتقون عذاب الله تعالى.

﴿١٦٨﴾ فما كان منكم إلا أن أعرضتم وعصيتم بعد أخذ العهد المؤكد عليكم، ولولا فضل الله عليكم بالتجاوز عنكم، ورحمته بقبول توبتكم؛ لكنتم من الخاسرين بسبب ذلك الإعراض والعصيان.

﴿١٦٩﴾ ولقد علمتم خبر أسلافكم علماً لا لبس فيه؛ حيث اعتدوا بالصيد يوم السبت الذي حُرِّمَ عليهم الصيد فيه، فاحتالوا على ذلك بنصب الشباك قبل يوم السبت، واستخرجوها يوم الأحد؛ فجعل الله هؤلاء المتحايلين قردة

منبوذين عقوبة لهم على تحايلهم.

﴿١٧٠﴾ فجعلنا هذه القرية المعتدية عبرة لما جاورها من القرى، وعبرة لمن يأتي بعدها؛ حتى لا يعمل بعملها فيستحق عقوبتها، وجعلناها تذكرة للمتقين الذين يخافون عقاب الله وانتقامه مِنَّ يتعدى حدوده.

﴿١٧١﴾ واذكروا من خبر أسلافكم ما جرى بينهم وبين موسى ﷺ، حيث أخبرهم بأمر الله لهم أن يذبحوا بقرة من البقر، فبدلاً من المسارعة قالوا مُتَعَتِّين: أنجعلنا موضعاً للاستهزاء! فقال موسى: أعوذ بالله أن أكون من الذين يَكْذِبُونَ على الله، ويستهنئون بالناس.

﴿١٧٢﴾ قالوا لموسى: ادعُ لنا ربك حتى يبين لنا صفة البقرة التي أَمَرْنَا بذبحها، فقال لهم: إن الله يقول: إنها بقرة ليست كبيرة السن ولا صغيرة، ولكن وسط بين ذلك، فبادروا بامتثال أمر ربكم.

﴿١٧٣﴾ فاستمروا في جدالهم وتمنَّتهم قائلين لموسى ﷺ: ادعُ ربك حتى يبين لنا ما لونها، فقال لهم موسى: إن الله يقول: إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة، تعجب كل من ينظر إليها.

﴿١٧٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الحكم المذكور في الآية الأولى لِمَا قَبْلَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وأما بعد بعثته فإن الدين المرصِّي عند الله هو الإسلام، لا يقبل غيره، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٨٥).
- قد يُعَجِّلُ الله العقوبة على بعض المعاصي في الدنيا قبل الآخرة؛ لتكون تذكرة يتعظ بها الناس فيحذروا مخالفة أمر الله تعالى.
- أن من ضَيَّقَ على نفسه وشَدَّدَ عليها فيما ورد موسَّعاً في الشريعة، قد يُعَاقَبُ بالتشديد عليه.

(٧١) ثم تمادوا في تعصبتهم قائلين: ادع لنا ربك حتى يبين لنا مزيداً من صفاتها؛ لأن البقر المتصف بالصفات المذكورة كثير لا نستطيع تعيينها من بينها. مؤكدين أنهم - إن شاء الله - مهتدون إلى البقرة المطلوب ذبحها.

(٧٢) فقال لهم موسى: إن الله يقول: إن صفة هذه البقرة أنها غير مدللة بالعمل في الحرث، ولا في سقاية الأرض، وهي سالمة من العيوب، ليس فيها علامة من لون آخر غير لونها الأصفر، وعندئذ قالوا: الآن جئت بالوصف الدقيق الذي يعين البقرة تماماً، وذبحوها بعد أن أوشكوا ألا يذبحوها بسبب الجدل والتعنت.

(٧٣) واذكروا حين قتلتم واحداً منكم فندافعتم، كل يدفع عن نفسه تهمة القتل، ويرمي بها غيره، حتى تنازعتم، والله مخرج ما كنتم تخفونه من قتل ذلك البريء.

(٧٤) فقلنا لكم: اضربوا القليل بجزء من البقرة التي أمرتم بذبحها؛ فإن الله سيخبره ليخبر من القاتل! ففعلوا ذلك فأخبر بقاتله. ومثل إحياء هذا الميت يحيي الله الموتى يوم القيامة، ويريكُم الدلائل البينة على قدرته، لعلكم تعقلونها فتؤمنون حقاً بالله تعالى.

(٧٥) ثم قست قلوبكم من بعد هذه المواعظ البليغة والمعجزات الباهرة، حتى صارت مثل الحجارة، بل أشد

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّدُولُ
تَشِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا
أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٣﴾
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَّا يَغْلُطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٥﴾
* أَقْطَمْعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْكَرَمِ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾

صلابة منها؛ فهي لا تحول عن حالها أبداً، وأما الحجارة فتتغير وتحول، فإن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يتشقق فيخرج منه الماء ينابيع جارية في الأرض، ينتفع بها الناس والدواب، ومنها ما يسقط من أعالي الجبال خشية من الله ورهبة، وليست كذلك قلوبكم، وما الله بغافل عما تعملون، بل هو عالم به، وسيجازيكم عليه.

(٧٥) أفترجون - أيها المؤمنون - بعد أن علمتم حقيقة حال اليهود وعنادهم أن يؤمنوا، ويستجيبوا لكم؟ وقد كان جماعة من علمائهم يسمعون كلام الله المنزل عليهم في التوراة؛ ثم يغيرون ألفاظها ومعانيها بعد فهمهم لها ومعرفتهم بها، وهم يعلمون عظم جريمتهم.

(٧٦) من تناقضات اليهود ومكرهم أنهم إذا لقي بعضهم المؤمنين اعترفوا لهم بصدق النبي محمد ﷺ وصحة رسالته وهو ما تشهد له التوراة، ولكن حين يخلو اليهود بعضهم ببعض يتلاومون فيما بينهم بسبب هذه الاعترافات؛ لأن المسلمين يقيمون عليهم بها الحجة فيما صدر عنهم من الاعتراف بصدق النبوة.

﴿مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ﴾

- أن بعض قلوب العباد أشد قسوة من الحجارة الصلبة؛ فلا تلبس لموعظة، ولا ترق لذكرى.
- أن الدلائل والبيّنات - وإن عظمت - لا تنفع إن لم يكن القلب مستسلماً خاشعاً لله.
- كشفت الآيات حقيقة ما انطوت عليه أنفس اليهود، حيث توارثوا الرعونة والخداع والتلاعب بالدين.

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَأَمْرٌ
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ذُقْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٧﴾ هؤلاء اليهود يسلكون هذا المسلك المشين وكأنهم يغفلون عن أن الله يعلم ما يخفون من أقوالهم وأفعالهم وما يعلنون منها، وسيظهرها لعباده ويفضحهم.

﴿٧٨﴾ ومن اليهود طائفة، لا يعلمون التوراة إلا تلاوة، ولا يفهمون ما دلت عليه، وليس معهم إلا أكاذيب أخذوها من كبرائهم، يظنون أنها التوراة التي أنزلها الله.

﴿٧٩﴾ فهلاك وعذاب شديد ينتظر هؤلاء الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون - كذبًا -: هذا من عند الله؛ ليستبدلوا بالحق واتباع الهدى ثمنًا زهيدًا في الدنيا، مثل المال والرتاسة، فهلاك وعذاب شديد لهم على ما كتبتهم أيديهم مما يكذبون به على الله، وهلاك وعذاب شديد لهم على ما يكسبونه من وراء ذلك من مال ورتاسة.

﴿٨٠﴾ وقالوا - كذبًا وغرورًا -: لن تمسنا النار ولن ندخلها إلا أيامًا قليلة، قل - أيها النبي - لهؤلاء: هل أخذتم على ذلك وعدًا مؤكدًا من الله؟ فإن كان لكم ذلك؛ فإن الله لا يخلف عهده، أم أنكم تقولون على الله - كذبًا وزورًا - ما لا تعلمون؟

﴿٨١﴾ ليس الأمر كما يتوهم هؤلاء؛ فإن الله يعذب كل من كسب سيئة الكفر، وأحاطت به ذنوبه من كل

جانب؛ ويجازيهم بدخول النار وملازمتها، ماكثين فيها أبدًا.

﴿٨٢﴾ والذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة، ثوابهم عند الله دخول الجنة وملازمتها، ماكثين فيها أبدًا.

﴿٨٣﴾ واذكروا - يا بني إسرائيل - العهد المؤكد الذي أخذناه عليكم، بأن توحّدوا الله ولا تعبدوا معه غيره، وبأن تحسنوا إلى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين المحتاجين، وبأن تقولوا للناس كلامًا حسنًا، أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر بلا غلظة ولا شدة، وبأن تؤدوا الصلاة تامة على نحو ما أمرتكم، وبأن تؤتوا الزكاة بصرفها لمستحقيها طيبة بها أنفسهم، فما كان منكم بعد هذا العهد إلا أن انصرفتم معرضين عن الوفاء بما أخذ عليكم.

﴿٨٤﴾ من قوايد الآيات،

- بعض أهل الكتاب يدّعي العلم بما أنزل الله، والحقيقة أن لا علم له بما أنزل الله، وإنما هو الوهم والجهل.
- من أعظم الناس إثماً من يكذب على الله تعالى ورسوله؛ فينسب إليهم ما لم يكن منهم.
- مع عظم المواثيق التي أخذها الله تعالى على اليهود وشدة التأكيد عليها، لم يزدحم ذلك إلا إعراضاً عنها ورفضاً لها.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَاسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ
 أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
 ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا
 مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
 وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسْرَى تَقْدُوهُمْ وَهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
 إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ
 فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ
 بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
 ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ
 بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
 الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
 اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا
 غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٤﴾ واذكروا العهد المؤكد الذي أخذناه عليكم في التوراة من تحريم إراقة بعضكم دماء بعض، وتحريم إخراج بعضكم بعضاً من ديارهم، ثم اعترفتم بما أخذناه عليكم من عهد بذلك، وأنتم تشهدون على صحته.

﴿٨٥﴾ ثم أنتم تخالفون هذا العهد؛ فيقتل بعضكم بعضاً، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم مستعينين عليهم بالأعداء ظلماً وعدواناً، وإذا جاؤكم أسرى في أيدي الأعداء سعيتم في دفع الفدية لتخليصهم من أسرهم، مع أن إخراجهم من ديارهم محرم عليكم، فكيف تؤمنون ببعض ما في التوراة من وجوب فداء الأسرى، وتكفرون ببعض ما فيها من صيانة الدماء ومنع إخراج بعضكم بعضاً من ديارهم؟! فليس للذي يفعل ذلك منكم جزاء إلا الذل والمهانة في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة فإنه يُردّ إلى أشد العذاب، وليس الله بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه، وسيجازيكم به.

﴿٨٦﴾ أولئك الذين استبدلوا الحياة الدنيا بالآخرة، إشاراً للنفاني على الباقي، فلا يخفف عنهم العذاب في الآخرة، وليس لهم ناصر ينصرهم يومئذ.

﴿٨٧﴾ ولقد آتينا موسى التوراة، وأتبعناه برسول من بعده على أثره، وآتينا عيسى بن مريم الآيات الواضحة المبيّنة

لصدقه؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكف والأبرص، وقوّيناه بالملك جبريل ﷺ، أفكلما جاءكم - يا بني إسرائيل - رسول من عند الله بما لا يوافق أهواءكم استكبرتم على الحق، وتعاليتم على رسل الله؛ ففريقاً منهم تكذبون، وفريقاً تقتلون؟! ﴿٨٨﴾

﴿٨٨﴾ لقد كانت حجة اليهود في عدم اتباع محمد ﷺ قولهم: إن قلوبنا مُغلّفة لا يصل إليها شيء مما تقول ولا تفهمه، وليس الحال كما زعموا، بل طردهم الله من رحمته بكفرهم فلا يؤمنون إلا بقليل مما أنزل الله.

﴿٨٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من أعظم الكفر: الإيمان ببعض ما أنزل الله والكفر ببعضه؛ لأن فاعل ذلك قد جعل إلهه هواه.
- عظم ما بلغه اليهود من العناد، واتباع الهوى، والتلاعب بما أنزل الله تعالى.
- فضل الله تعالى ورحمته بخلقه، حيث تابع عليهم إرسال الرسل وإنزال الكتب لهدايتهم للرشاد.
- أن الله يعاقب المعرضين عن الهدى المعاندين لأوامره بالطبع على قلوبهم وطردهم من رحمته؛ فلا يهتدون إلى الحق، ولا يعملون به.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ
وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا
جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ
(٨٨) يَسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ
بَغْيًا أَن يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
فَبَاءُوا وَبِعَصَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
(٨٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْتُونَنَا
عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقٌ لِّمَا
مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ (٩٠) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ
اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩١) وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
مَاءً آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأَشْرَيْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا
يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٢)

(٨٨) ولما جاءهم القرآن الكريم من عند الله وهو موافق لما في التوراة والإنجيل في الأصول العامة الصحيحة، وكانوا من قبل نزوله يقولون: سننتصر على المشركين ويُفتح لنا حين يُبعث نبي فنؤمن به وتبعه، فلما جاءهم القرآن ومحمد ﷺ على الصفة التي عرفوها والحق الذي علموه؛ كفروا به، فلعنة الله على الكافرين بالله ورسوله.

(٨٩) بسس الذي استبدلوا به حظ أنفسهم من الإيمان بالله ورسوله؛ فكفروا بما أنزل الله وكذبوا رسله، ظلمًا وحسدًا بسبب إنزال النبوة والقرآن على محمد ﷺ، فاستحقوا غضبًا مضاعفًا من الله تعالى بكفرهم بمحمد ﷺ، وبسبب تحريفهم التوراة من قبل. وللكافرين بنبوة محمد ﷺ عذاب مُدِلُّ يوم القيامة.

(٩٠) وإذا قيل لهؤلاء اليهود: آمنوا بما أنزل الله على رسوله من الحق والهدى، قالوا: نؤمن بما أنزل على أنبيائنا، ويكفرون بما مواءم أنزل على محمد ﷺ، مع أن هذا القرآن هو الحق الموافق لما معهم من الله، ولو كانوا يؤمنون بما أنزل عليهم حقًا لآمنوا بالقرآن. قل - أيها النبي - جوابًا لهم: لِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حقًا بما جاؤوكم به من الحق؟!!

(٩١) ولقد جاءكم رسولكم موسى ﷺ بالآيات الواضحات الدالة على صدقه؛ ثم بعد ذلك جعلتم العجل إلهاً تعبدونه بعد ذهاب موسى لميقات ربه، وأنتم ظالمون لإشراككم بالله، وهو المستحق للعبادة وحده دون سواه.

(٩٢) واذكروا حين أخذنا عليكم عهدًا مؤكدًا باتباع موسى ﷺ، وقبول ما جاء به من عند الله، ورفعنا فوقكم الجبل تخويًا لكم، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم من التوراة بجد واجتهاد، واسمعوا سماع قبول وانقياد، وإلا أسقطنا الجبل عليكم، فقلتم: سمعنا بأذاننا وعصينا بأفعالنا، وتمكنت عبادة العجل في قلوبهم بسبب كفرهم. قل - أيها النبي -: بسس الذي يأمركم به هذا الإيمان من الكفر بالله إن كنتم مؤمنين؛ لأن الإيمان الحق لا يكون معه كفر.

• من قَوَايِدِ الْآيَاتِ:

- اليهود أعظم الناس حسدًا؛ إذ حملهم حسدهم على الكفر بالله وردّ ما أنزل، بسبب أن الرسول ﷺ لم يكن منهم.
- أن الإيمان الحق بالله تعالى يوجب التصديق بكل ما أنزل من كتب، وبجميع ما أرسل من رسل.
- من أعظم الظلم الإعراض عن الحق والهدى بعد معرفته وقيام الأدلة عليه.
- من عادة اليهود نقض العهود والمواثيق، وهذا ديدنهم إلى اليوم.

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ
 دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٦﴾ وَلَنْ
 يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ
 ﴿٩٧﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
 يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ بِهِ مِنْ
 الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ مَنْ
 كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ
 اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٩٩﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ
 وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
 إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١٠١﴾
 أَوْ كَلَّمَآ عَاهِدُوا عَهْدًا ابْنَدَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
 لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

١٥

﴿٩٦﴾ قل - أيها النبي -: إن كانت لكم - يا يهود - الجنة في الدار الآخرة خالصة لا يدخلها غيركم من الناس؛ فتمنوا الموت واطلبوه؛ لتنالوا هذه المنزلة بسرعة، وتستريحوا من أعباء الحياة الدنيا وهمومها، إن كنتم صادقين في دعواكم هذه.

﴿٩٧﴾ ولن يتمنوا الموت أبدًا؛ بسبب ما قدموه في حياتهم من الكفر بالله، وتكذيب رسله، وتحريف كتبه، والله عليم بالظالمين منهم ومن غيرهم؛ وسيجازي كلًا بعمله.

﴿٩٨﴾ ولتجدن - أيها النبي - اليهود أشدَّ الناس حرصًا على الحياة مهما كانت حقيرة ذليلة، بل هم أحرص من المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب، ومع كونهم أهل كتاب، ويؤمنون بالبعث والحساب؛ فإن الواحد منهم يحب أن يبلغ عمره ألف سنة، وليس بمُبْعِدٍ عن عذاب الله طول عمره مهما بلغ، والله مطلع على أعمالهم بصير بها، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم بها.

﴿٩٩﴾ قل - أيها النبي - لمن قال من اليهود: «إن جبريل عدونا من الملائكة»: من كان معاديًا لجبريل فإنه هو الذي نزل بالقرآن على قلبك بإذن من الله، مصدقًا لما سبق من الكتب الإلهية؛ كالطور والإنجيل، ودالًّا على الخير، ومبشرًا للمؤمنين بما

أعده الله لهم من النعيم، فمن كان معاديًا لمن هذه صفته وعمله فهو من الضالين.

﴿١٠٠﴾ من كان معاديًا لله وملائكته ورسله، ومعاديًا للملكين المقرَّبين: جبريل وميكائيل؛ فإن الله عدو للكافرين منكم ومن غيركم، ومن كان الله عدوه فقد عاد بالخسران المبين.

﴿١٠١﴾ ولقد أنزلنا إليك - أيها النبي - علامات واضحات على صدقك فيما جئت به من النبوة والوحي، وما يكفر بها مع وضوحها وبيانها إلا الخارجون عن دين الله.

﴿١٠٢﴾ ومن سوء حال اليهود أنهم كلما أخذوا على أنفسهم عهدًا - ومن جملته الإيمان بما دلت عليه التوراة من نبوة محمد ﷺ - نقضه فريق منهم، بل أكثر هؤلاء اليهود لا يؤمنون بما أنزل الله تعالى حقيقة؛ لأن الإيمان يحمل على الوفاء بالعهد.

﴿١٠٣﴾ ولما جاءهم محمد ﷺ رسولًا من عند الله وهو موافق لما في التوراة من صفته، أعرض فريق منهم عما دلت عليه، وطرحوها وراء ظهورهم غير مباليين بها، مشابهين حال الجاهل الذي لا يتنفع بما فيها من الحق والهدى، فلا يبالي بها.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

- المؤمن الحق يرجو ما عند الله من النعيم المقيم، ولهذا يفرح بلقاء الله ولا يخشى الموت.
- حرص اليهود على الحياة الدنيا حتى لو كانت حياة حقيرة مهينة غير كريمة.
- أن من عادى أولياء الله المقربين منه فقد عادى الله تعالى.
- إعراض اليهود عن نبوة محمد ﷺ بعدما عرفوا تصديقه لما في أيديهم من الكتب.
- أن من لم يتنفع بعلمه صح أن يوصف بالجهل؛ لأنه شابه الجاهل في جهله.

وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ
 سُلَيْمَنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
 السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ
 وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا
 تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ
 وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ
 اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
 أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
 لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٣﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا
 وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ مَا يَوَدُّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
 أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
 بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٧٥﴾

١٦

﴿١٧٢﴾ ولما تركوا دين الله اتبعوا بدلاً عنه ما تنقله الشياطين كذباً على ملك نبي الله سليمان عليه السلام، حيث زعمت أنه ثبت ملكه بالسحر، وما كفر سليمان بتعاطي السحر - كما زعمت اليهود - ولكن الشياطين كفروا حيث كانوا يعلمون الناس السحر، ويعلمونهم السحر الذي أنزل على الملكين: هاروت وماروت، بمدينة بابل بالعراق، امتحاناً وابتلاء للناس، وما كان هذان الملكان يعلمان أي أحد السحر حتى يحذراه ويبيّن له بقولهما: إنما نحن ابتلاء وامتحان للناس فلا تكفر بتعلمك السحر، فمن لم يقبل نصيحتهما تعلم منهما السحر، ومنه نوع يفرق بين الرجل وزوجته، بزرع البغضاء بينهما، وما يضر أولئك السحرة أي أحد إلا بإذن الله ومشيئته، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولقد علم أولئك اليهود أن من استبدل السحر بكتاب الله ما له في الآخرة من حظ ولا نصيب، ولبس ما باعوا به أنفسهم حيث استبدلوا السحر بوحى الله وشرعه، ولو كانوا يعلمون ما ينفعهم ما أقدموا على هذا العمل الممّيش والضلال المبين.

﴿١٧٣﴾ ولو أن اليهود آمنوا بالله حقاً، واتقوه بفعل طاعته وترك معصيته؛ لكان ثواب الله خيراً لهم مما هم عليه، لو كانوا يعلمون ما ينفعهم.

﴿١٧٤﴾ يوجه الله تعالى المؤمنين إلى حسن اختيار الألفاظ قائلاً لهم: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا كلمة: ﴿رَاعِنَا﴾؛ أي: راع أحوالنا؛ لأن اليهود يحرفونها ويخاطبون بها النبي صلى الله عليه وسلم، يقصدون بها معنى فاسداً وهو الرعونة، فنهى الله عن هذه الكلمة سداً لهذا الباب، وأمر عباده أن يقولوا بدلاً عنها: ﴿انظُرْنَا﴾؛ أي: انتظرنا نفهم عنك ما تقول، وهي كلمة تؤدي المعنى بلا محذور. وللكافرين بالله عذاب مؤلم موجه.

﴿١٧٥﴾ ما يحب الكفار - أيّا كانوا: أهل كتاب أو مشركين - أن يُنزلَ عليكم أي خير من ربكم، قليلاً كان أو كثيراً، والله يختص برحمته من النبوة والوحي والإيمان من يشاء من عباده، والله صاحب الفضل العظيم، فلا خير ينال أحداً من الخلق إلا منه، ومن فضله بعث الرسول وإنزال الكتاب.

﴿١٧٦﴾ من قوالب الآيات،

- سوء أدب اليهود مع أنبياء الله حيث نسبوا إلى سليمان عليه السلام تعاطي السحر، فبرأه الله منه، وأكذبهم في زعمهم.
- أن السحر له حقيقة وتأثير في العقول والأبدان، والساحر كافر، وحكمه القتل.
- لا يقع في ملك الله تعالى شيء من الخير والشر إلا بإذنه وعلمه تعالى.
- سد الذرائع من مقاصد الشريعة، فكل قول أو فعل يوهم أموراً فاسدة يجب تجنبه والبعد عنه.
- أن الفضل بيد الله تعالى وهو الذي يختص به من يشاء برحمته وحكمته.

﴿١٦٦﴾ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٧﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٦٨﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٦٩﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ۖ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ۚ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا ۚ وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧٠﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَخَذُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٧١﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ۚ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧٢﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٣﴾

١٧

﴿١٦٦﴾ بين الله تعالى أنه حين يرفع حكم آية من القرآن أو يرفع لفظها فينساها الناس، فإنه سبحانه يأتي بما هو أنفع منها في العاجل والآجل، أو بما هو مماثل لها، وذلك بعلم الله وحكمته، وأنت تعلم - أيها النبي - أن الله على كل شيء قدير، فيفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿١٦٧﴾ قد علمت - أيها النبي - أن الله هو مالك السماوات والأرض، يحكم ما يريد، فيأمر عباده بما شاء، وينهاهم عما شاء، ويُقرر من الشرع ما شاء وينسخ ما شاء، وما لكم بعد الله من ولي يتولى أموركم، ولا نصير يدفع عنكم الضر، بل الله هو ولي ذلك كله والقادر عليه.

﴿١٦٨﴾ ليس من شأنكم - أيها المؤمنون - أن تسألوا رسولكم - سؤال اعتراض وتعت - كما سأل قوم موسى نبيهم من قبل؛ كقولهم: ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، ومن يستبدل الكفر بالإيمان فقد ضل عن الطريق الوسط الذي هو الصراط المستقيم.

﴿١٦٩﴾ تمنى كثير من اليهود والنصارى أن يردوكم من بعد إيمانكم كفارًا كما كنتم تعبدون الأوثان، بسبب الحسد الذي في أنفسهم، يتمنون ذلك بعدما تبين لهم أن الذي جاء به النبي حق من الله، فاعفوا - أيها المؤمنون - عن أفعالهم، وتجاوزوا عن جهلهم وسوء

ما في نفوسهم، حتى يأتي حكم الله فيهم - وقد أتى أمر الله هذا وحكمه، فكان الكافر يخير بين الإسلام أو دفع الجزية أو القتال - إن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزونه.

ثم بعد أمر الله تعالى المؤمنين بالصبر على الأذى أمرهم بالثبات على دينهم، وتقوية إيمانهم؛ فقال: ﴿١٧٠﴾ آدُوا الصَّلَاةَ تَامَةً بَارِكَانَهَا وَوَاجِبَاتَهَا وَسُنَنَهَا، وأخرجوا زكاة أموالكم إلى مستحقيها، ومهما تعملوا من عمل صالح في حياتكم، فتقدموه قبل مماتكم ذخراً لأنفسكم؛ تجدوا ثوابه عند ربكم يوم القيامة، فيجازيكم به، إن الله بما تعملون بصير فيجازي كلا بعمله.

﴿١٧١﴾ وقالت كل طائفة من اليهود والنصارى: إن الجنة خاصة بهم، فقال اليهود: لن يدخلها إلا من كان يهوديًا، وقال النصارى: لن يدخلها إلا من كان نصرانيًا، تلك أمنياتهم الباطلة وأوهامهم الفاسدة، قل - أيها النبي - رادًا عليهم: هاتوا حجتكم على ما تزعمون إن كنتم صادقين حقًا في دعواكم.

﴿١٧٢﴾ إنما يدخل الجنة كل من أخلص لله متوجهًا إليه، وهو - مع إخلاصه - محسنٌ في عبادته باتباع ما جاء به الرسول، فذاك الذي يدخل الجنة من أي طائفة كان، وله ثوابه عند ربه، ولا خوف عليهم فيما يستقبلون من الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. وهي أوصاف لا تتحقق بعد مجيء النبي محمد ﷺ إلا في المسلمين.

﴿١٧٣﴾ مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- أن الأمر كله لله، فيبدل ما يشاء من أحكامه وشرائعه، ويبقي ما يشاء منها، وكل ذلك بعلمه وحكمته.
- حسد كثير من أهل الكتاب هذه الأمة، لما خصَّها الله من الإيمان واتباع الرسول، حتى تمنوا رجوعها إلى الكفر كما كانت.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٣١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٣٢﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٣﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ رَقِيعَتُونَ ﴿١٣٤﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٣٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١٣٧﴾

﴿١٣١﴾ وقالت اليهود: ليست النصرى على دين صحيح، وقالت النصرى: ليست اليهود على دين صحيح، وهم جميعاً يقرؤون الكتب التي أنزلها الله عليهم وما فيها من الأمر بالإيمان بكل الأنبياء دون تفریق، مشابهيين في فعلهم هذا قول الذين لا يعلمون من المشركين؛ حين كذبوا بالرسول كلهم وبما أنزل عليهم من الكتب، فلهذا يحكم الله بين المختلفين جميعاً يوم القيامة، بحكمه العدل الذي أخبر به عباده: بأنه لا فوز إلا بالإيمان بكل ما أنزل الله تعالى.

﴿١٣٢﴾ لا أحد أشد ظلمًا من الذي منع أن يذكر اسم الله في مساجده، فمَنَعَ الصلاة والذكر وتلاوة القرآن فيها، وسعى جاهداً متسبباً في خرابها وإفسادها؛ بهدمها أو المنع من أداء العبادة فيها، أولئك الساعون في خرابها ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين ترجف أفئدتهم؛ لما هم عليه من الكفر والصد عن مساجد الله، لهم في الحياة الدنيا ذل وهوان على أيدي المؤمنين، ولهم في الآخرة عذاب عظيم على منعه الناس من مساجد الله.

﴿١٣٣﴾ ولله ملك المشرق والمغرب وما بينهما، يأمر عباده بما شاء، فحيثما تتوجهون فإنكم تستقبلون الله تعالى، فإن أمركم باستقبال بيت المقدس أو الكعبة، أو أخطأتم في القبلة، أو شق عليكم استقبالها؛ فلا حرج عليكم؛ لأن الجهات كلها لله تعالى، إن الله واسع يسع خلقه برحمته وتيسيره، عليم بنياتهم وأفعالهم.

﴿١٣٤﴾ وقال اليهود والنصارى والمشركون: اتخذ الله له ولداً! تنزه وتقدس عن ذلك، فهو الغني عن خلقه، وإنما يتخذ الولد من يحتاج إليه، بل له ﴿١٣٤﴾ ملك ما في السماوات والأرض، كل الخلائق عبيد له سبحانه، خاضعون له، يتصرف فيهم بما يشاء.

﴿١٣٥﴾ والله سبحانه مُمِشِن السماوات والأرض وما فيها على غير مثال سابق، وإذا قدر أمراً وأراده فإنما يقول لذلك الأمر: ﴿كن﴾؛ فيكون على ما أراد الله أن يكون، لا راداً لأمره وقضائه.

﴿١٣٦﴾ وقال الذين لا يعلمون من أهل الكتاب والمشركون عناداً للحق: لِمَ لا يكلمنا الله دون واسطة، أو تأتينا علامة حسية خاصة بنا؟ ومثل قولهم هذا قالت الأمم المكذبة من قَبْلُ لرسُلها، وإن اختلفت أزممتهم وأمكنتهم، قد أوضحنا الآيات لقوم يوقنون بالحق إذا ظهر لهم، لا يعترهم شك، ولا يمنعهم عناد.

﴿١٣٧﴾ إنا أرسلناك - أيها النبي - بالدين الحق الذي لا مرية فيه؛ لتبشر المؤمنين بالجنة، وتنذر الكافرين بالنار، وليس عليك إلا البلاغ المبين، ولن يسألك الله عن الذين لم يؤمنوا بك من أصحاب الجحيم.

﴿١٣٨﴾ من قَوْلِهَا: ﴿لَا يَأْتِيَنَّهَا السَّاعَةُ﴾

- الكفر ملة واحدة وإن اختلفت أجناس أهله وأماكنهم، فهم يتشابهون في كفرهم وقولهم على الله بغير علم.
- أعظم الناس جُرماً وأشدّهم إثماً من يصد عن سبيل الله، ويمنع من أراد فعل الخير.
- تنزه الله تعالى عن الصاحبة والولد، فهو سبحانه لا يحتاج لخلق.

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ
 إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِيتَهُمْ لَکِتَابٌ یَتْلُونَهُ وَحَقِّ تِلَاوَتِهِ ؕ أُولَئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ ؕ وَمَنْ
 یَکْفُرْ بِهِ ؕ فَأُولَئِکَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣٦﴾ یَبْنِیْ اِسْرَءِیْلَ اذْکُرُوْا نِعْمَتِیَ
 الَّتِیْ اَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ وَاِنِّیْ فَضَّلْتُکُمْ عَلَی الْعَالَمِیْنَ ﴿١٣٧﴾ وَاتَّقُوا یَوْمًا
 لَا تَجْزِیْ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئًا وَلَا یُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا
 شَفَاعَةٌ ؕ وَلَا هُمْ یُنصَرُونَ ﴿١٣٨﴾ ؕ وَادْعَ اِبْرَہِمَ رَبَّهُ بِکَلِمَاتِ
 فَاتَمَتْنُ قَالَ اِنِّیْ جَاعِلُکَ لِلنَّاسِ اِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّیَّتِیْ قَالَ
 لَا یَنَالُ عَهْدِی الظَّالِمِیْنَ ﴿١٣٩﴾ وَادْجَعَلْنَا الْبَیْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
 وَاَمْنًا وَاتَّخِذُوْا مِنْ مَّقَامِ اِبْرَہِمَ مُصَلِّیً وَعَہِدْنَا اِلَیْ اِبْرَہِمَ
 وَاسْمَاعِیْلَ اَنْ طَہِّرَا بَیْتِیَ لِلطَّائِفِیْنَ وَالْعَاكِفِیْنَ وَالرُّکَّعِ السُّجُودِ
 ﴿١٤٠﴾ وَادْعَا اِبْرَہِمَ رَبِّ اَجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ؕ اَمْنًا وَارْزُقْ اَهْلَهُ
 مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ؕ اَمِنْ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْیَوْمِ الْاٰخِرِ قَالَ وَمَنْ کَفَرَ
 فَاَمَّتَعَهُ وَقَلِیْلًا ثُمَّ اضْطَرُّهُ اِلَیْ عَذَابِ النَّارِ وَیَسَّ الْمَصِیْرُ ﴿١٤١﴾

﴿١٣٦﴾ يخاطب الله نبيه موجهًا محذرًا قائلاً له: لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تترك الإسلام، وتتبع ما هم عليه، ولئن حصل هذا منك أو من أحد من أتباعك بعد الذي جاءك من الحق الواضح فلن تجد من الله مناصرة أو معونة، وهذا من باب بيان خطورة ترك الحق ومجاراة أهل الباطل.

﴿١٣٧﴾ يتحدث القرآن الكريم عن طائفة من أهل الكتاب يعملون بما في أيديهم من كتب منزلة ويتبعونها حق اتباعها، هؤلاء يجدلون في هذه الكتب علامات دالة على صدق النبي محمد ﷺ، ولهذا سارعوا إلى الإيمان به، وطائفة أخرى أصرت على كفرها فكان لها الخسران.

﴿١٣٨﴾ يا بني إسرائيل، اذكروا نعمتي الدينية والدنيوية التي أنعمت بها عليكم، واذكروا أنني فضلتكم على أهل زمانكم بالنبوة والملك.

﴿١٣٩﴾ واجعلوا بينكم وبين عذاب يوم القيامة وقاية؛ باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، فإنه لا تغني - في ذلك اليوم - نفس عن نفس شيئاً، ولا يقبل منها فيه أي فداء مهما عظم، ولا تنفعها فيه شفاعة من أحد مهما علا مكانه، وليس لها نصير ينصرها من دون الله.

﴿١٤٠﴾ واذكر حين اختبر الله إبراهيم عليه السلام بما أمره به من أحكام وتكاليف، فقام بها وأتم أداءها على أكمل وجه، قال الله لنبيه إبراهيم: إني جاعلك للناس قدوة يقتدى بك في أفعالك وأخلاقك، قال إبراهيم: واجعل - يا رب - من ذريتي كذلك أئمة يقتدي بهم الناس، قال الله مجيباً إياه: لا ينال عهدي لك بالإمامة في الدين الظالمين من ذريتك.

﴿١٤١﴾ واذكر حين جعل الله البيت الحرام مرجعاً للناس تتعلق به قلوبهم، كلما رحلوا عنه رجعوا إليه، وجعله آمناً لهم، لا يعتدى عليهم فيه. وقال للناس: اتخذوا من الحجر - الذي كان يقف عليه إبراهيم وهو بيني الكعبة - مكاناً للصلاة. وأوصينا إبراهيم وابنه إسماعيل بتطهير البيت الحرام من الأقدار والأوثان وتبشيره لمن أراد التعبد فيه بالطواف والاعتكاف والصلاة وغيرها.

﴿١٤٢﴾ واذكر - أيها النبي - حين قال إبراهيم وهو يدعو ربه: رب اجعل مكة بلداً آمناً، لا يتعرض فيه لأحد بسوء، وارزق أهله من أنواع الثمرات، واجعله رزقاً خاصاً بالمؤمنين بك وباليوم الآخر، قال الله: ومن كفر منهم فإني أمتعه بما أرزقه في الدنيا متاعاً قليلاً، ثم في الآخرة ألجته مكرهاً إلى عذاب النار، وبئس المصير الذي يرجع إليه يوم القيامة.

﴿١٤٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

• أن المسلمين مهما فعلوا من خير لليهود والنصارى؛ فلن يرضوا حتى يخرجوهم من دينهم، ويتابعوهم على ضلالهم.

• الإمامة في الدين لا تُنال إلا بصحة اليقين والصبر على القيام بأمر الله تعالى.

• بركة دعوة إبراهيم عليه السلام للبلد الحرام، حيث جعله الله مكاناً آمناً للناس، وتفضل على أهله بأنواع الأرزاق.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَىٰ مَن سِوَةِ نَفْسِهِ وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ وَأَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَضَىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاتِنَا وَحَدًّا وَنَحْنُ لَهُ وَمُؤْمِنُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

٢٠

﴿١٢٧﴾ واذكر - أيها النبي - حين كان يرفع إبراهيم وإسماعيل أسس الكعبة، وهما يقولان - في خضوع وتذلل -: ربنا تقبل منا أعمالنا - ومنها بناء هذا البيت - إنك أنت المجيب لدعائنا، العليم بنياتنا وأعمالنا.

﴿١٢٨﴾ ربنا واجعلنا مُستسلمين لامرك، خاضعين لك، لا نشرك معك أحدًا، واجعل من ذريتنا أمة مستسلمة لك، وعرفنا عبادتك كيف تكون، وتجاوز عن سيئاتنا وتقصيرنا في طاعتك؛ إنك أنت التواب على من تاب من عبادك، الرحيم بهم.

﴿١٢٩﴾ ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم من ذرية إسماعيل، يتلو عليهم آياتك المنزلة، ويعلمهم القرآن والسنة، ويطهرهم من الشرك والردائل؛ إنك أنت القوي الغالب، الحكيم في أفعالك وأحكامك.

﴿١٣٠﴾ ولا أحد ينصرف عن دين إبراهيم ﷺ إلى غيره من الأديان إلا من ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، ورضي لها بالهوان. ولقد اخترناه في الدنيا رسولًا وخليفةً، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين أدوا ما أوجب الله عليهم، فنالوا أعلى الدرجات.

﴿١٣١﴾ اختاره الله لمسارعته إلى الإسلام حين قال له ربه: أخلص لي العبادة، واخضع لي بالطاعة، فقال مجيبًا ربه:

أسلمت لله خالق العباد ورازقهم ومدبر شؤونهم.

﴿١٣٢﴾ ووضي إبراهيم أبناءه بهذه الكلمة: «أَسْلَمْتُ لِرَبِّي الْعَالَمِينَ»، ووضي بها كذلك يعقوب أبناءه؛ قالا مناديين أبناءهما: إن الله اختار لكم دين الإسلام، فاستمسكوا به حتى يأتيكم الموت، وأنتم مسلمون لله ظاهرًا وباطنًا. ﴿١٣٣﴾ أم كنتم حاضرين خبر يعقوب حين حضرته الوفاة، حين قال لأبنائه سائلًا إياهم: ما تعبدون من بعد موتي؟ قالوا جوابًا لسؤاله: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، إلهًا واحدًا لا شريك له، ونحن له وحده مستسلمون ومنقادون.

﴿١٣٤﴾ تلك أمة قد مضت فيمن مضى قبلكم من الأمم، وأفضت إلى ما قدمت من عمل، فلها ما كسبت من حسن أو سيئ، ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عن أعمالهم، ولا يسألون عن أعمالكم، ولا يؤاخذ أحدٌ بذنب غيره، بل يُجازى كل واحد بما قدم، فلا يشغلكم عمل من مضى قبلكم عن النظر في عملكم، فإن أحدًا لن ينفعه بعد رحمة الله غير عمله الصالح.

﴿١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- المؤمن المتقي لا يغتر بأعماله الصالحة، بل يخاف أن ترد عليه، ولا تقبل منه، ولهذا يُكثِرُ سؤالَ الله قبولها.
- بركة دعوة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ، حيث أجاب الله دعاءه، وجعل خاتم أنبيائه وأفضل رسله من أهل مكة.
- دين إبراهيم ﷺ هو الملة الحنيفية الموافقة للفطرة، لا يرغب عنها ولا يزهد فيها إلا الجاهل المخالف لفطرته.
- مشروعية الوصية للذرية باتباع الهدى، وأخذ العهد عليهم بالتمسك بالحق والثبات عليه.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
 أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ
 رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُد مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
 فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا
 فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُد
 عَالِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
 وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُد مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾
 أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ
 اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
 بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
 وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

﴿١٣٥﴾ وقال اليهود لهذه الأمة: كونوا
 يهودًا تسلكوا سبيل الهداية، وقال
 النصارى: كونوا نصارى تسلكوا سبيل
 الهداية. قل - أيها النبي - مجيبًا
 إياهم: بل نتبع دين إبراهيم، المائل
 عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق،
 ولم يكن ممن أشركوا مع الله أحدًا.

﴿١٣٦﴾ قولوا - أيها المؤمنون - لأصحاب
 هذه الدعوى الباطلة من يهود نصارى:
 آمنا بالله وبالقرآن الذي أنزل إلينا، وآمنا
 بما أنزل على إبراهيم وأبنائه إسماعيل
 وإسحاق ويعقوب، وآمنا بما أنزل على
 الأنبياء من ولد يعقوب، وآمنا بالتوراة
 التي آتاه الله موسى، والإنجيل الذي
 آتاه الله عيسى، وآمنا بالكتب التي
 آتاه الله الأنبياء جميعًا، لا نفرق بين
 أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض،
 بل نؤمن بهم جميعًا، ونحن له سبحانه
 وحده متقادون خاضعون.

﴿١٣٧﴾ فإن آمن اليهود والنصارى وغيرهم
 من الكفار إيمانًا مثل إيمانكم؛ فقد
 اهتدوا إلى الطريق المستقيم الذي
 ارتضاه الله، وإن أعرضوا عن الإيمان
 بأن كذبوا بالأنبياء كلهم أو ببعضهم فإنما
 هم في اختلاف وعداء، فلا تحزن - أيها
 النبي - فإن الله سيكفيك أذاهم، ويمنعك
 من شرهم، وينصرك عليهم، فهو السميع
 لأقوالهم، والعليم بنياتهم وأفعالهم.

﴿١٣٨﴾ الزموا دين الله الذي فطركم عليه
 ظاهرًا وباطنًا، فلا أحسن دينًا من

دين الله، فهو موافق للضرورة، جالب للمصالح، مانع للمفاسد، وقولوا: نحن عابدون لله وحده لا نشرك معه غيره.
 ﴿١٣٩﴾ قل - أيها النبي -: أتجادلوننا - يا أهل الكتاب - في أنكم أولى بالله ودينه منّا؛ لأن دينكم أقدم وكتابكم أسبق،
 فإن ذلك لا ينفعكم، فالله هو ربنا جميعًا لا تختصون به، ولنا أعمالنا التي لا تسألون عنها، ولكم أعمالكم التي
 لا تسأل عنها، وكل سيّجزي بعمله، ونحن مخلصون لله في العبادة والطاعة لا نشرك به شيئًا.

﴿١٤٠﴾ أم تقولون - يا أهل الكتاب -: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من ولد يعقوب، كانوا على
 ملة اليهودية أو النصرانية؟ قل - أيها النبي - مجيبًا إياهم: أنتم أعلم أم الله؟! فإن زعموا أنهم كانوا على ملتهم فقد
 كذبوا؛ لأن مبعثهم وموتهم كان قبل نزول التوراة والإنجيل! وعلم بذلك أن ما يقولونه كذب على الله ورسله،
 وأنهم كتموا الحق الذي نزل عليهم، ولا أحد أشد ظلمًا من الذي كتم شهادة ثابتة عنده عليمها من الله، كفعل أهل
 الكتاب، وليس الله بغافل عن أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿١٤١﴾ تلك أمة قد مضت من قبلكم، وأفضت إلى ما قدمت من عمل، فلها ما كسبت من الأعمال، ولكم ما كسبتم،
 ولا تسألون عن أعمالهم، ولا يسألون عن أعمالكم، فلا يؤخذ أحد بذنب أحد، ولا ينتفع بعمل غيره، بل كل
 سيجازي على ما قدم.

﴿١٤٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- أن دعوى أهل الكتاب أنهم على الحق لا تنفعهم وهم يكفرون بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ.
- سُمِّي الدين صبغة لظهور أعماله وسمُّته على المسلم كما يظهر أثر الصبغ في الثوب.
- أن الله تعالى قد ركّز في فطرة خلقه جميعًا الإقرار بربوبيته وألوهيته، وإنما يضلهم عنها الشيطان وأعداؤه.

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَاتِيعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٥﴾

٢٢

﴿١٢٢﴾ سيقول الجاهل خِفَافُ العقول من اليهود، وَمَنْ عَلَى شاكلتهم من المنافقين: ما صرف المسلمين عن قبله بيت المقدس التي كانت قبلتهم من قبل؟! قل - أيها النبي - مجيباً إياهم: الله وحده ملك المشرق والمغرب وغيرهما من الجهات، يوجه من شاء من عباده إلى أي جهة شاء، وهو سبحانه يهدي من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف.

﴿١٢٣﴾ وكما جعلنا لكم قبله ارتضيها لكم؛ جعلناكم أمة خيَاراً عدولاً، وسطاً بين الأمم كلها، في العقائد والعبادات والمعاملات؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء لرسول الله أنهم بلغوا ما أمرهم الله بتبليغه لأمرهم، وليكون الرسول محمد ﷺ كذلك شهيداً عليكم أنه بلغكم ما أُرِيبِلَ به إليكم. وما جعلنا تحويل القبلة التي كنت تتجه إليها؛ وهي بيت المقدس، إلا لنعلم - علمٌ ظهور يترتب عليه الجزاء - من يرضى بما شرعه الله، ويُذعن له، فيتبع الرسول، ومن يرتد عن دينه، ويتبع هواه، فلا يُذعن لما شرعه الله. ولقد كان أمر تحويل القبلة الأولى عظيمًا إلا على الذين وفقهم الله للإيمان به، وبأن ما يشرعه لعباده إنما يشرعه ليحكم بالغة. وما كان الله ليضيع إيمانكم بالله، ومنه صلاتكم التي صليتموها قبل تحويل القبلة، إن الله بالناس لرؤوف رحيم، فلا يشق عليهم، ولا يضيع ثواب أعمالهم.

﴿١٢٤﴾ قد رأينا - أيها النبي - تحول وجهك ونظرك إلى جهة السماء، ترقبًا وتحريًا لنزول الوحي بشأن القبلة وتحويلها إلى حيث تُحب، فلنؤجِّهك إلى قبله ترتضيها وتحبها - وهي بيت الله الحرام - بدل بيت المقدس الآن، فاصرف وجهك إلى جهة بيت الله الحرام بمكة المكرمة، وأينما كنتم - أيها المؤمنون - فتوجهوا إلى جهته عند أداء الصلاة. وإن الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ليعلمون أن تحويل القبلة هو الحق المنزل من خالقهم ومدبر أمرهم؛ لثبوتهم في كتابهم، وليس الله بغافل عما يعمل هؤلاء المعرضون عن الحق، بل هو سبحانه عالم بذلك، وسيحازيهم عليه.

﴿١٢٥﴾ والله لئن جئت - أيها النبي - الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى مصحوبًا بكل آية وبرهان على أن تحويل القبلة حق؛ ما توجهوا إلى قبلتك عنادًا لما جئت به، وتكبرًا عن اتباع الحق، وما أنت بمتوجه إلى قبلتهم بعد أن صرفك الله عنها، وما بعضهم بمتوجه إلى قبله بعضهم؛ لأن كلاً منهم يكفر الفريق الآخر، ولئن اتبعت أهواء هؤلاء في شأن القبلة وغيرها من الشرائع والأحكام من بعد ما جاءك من العلم الصحيح الذي لا مرية فيه؛ إنك حينئذ لمن الظالمين بترك الهدى، واتباع الهوى. وهذا الخطاب للنبي ﷺ للدلالة على شناعة متابعتهم، وإلا فإن الله قد عصم نبيه من ذلك، فهو تحذير لأمته من بعده.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- أن الاعتراض على أحكام الله وشرعه والتغافل عن مقاصدها دليل على السَّفَهَةِ وَقِلَّةِ الْعَقْلِ.
- فضل هذه الأمة وشرفها، حيث أثنى عليها الله ووصفها بالوسطية بين سائر الأمم.
- التحذير من متابعة أهل الكتاب في أهوائهم؛ لأنهم أعرضوا عن الحق بعد معرفته.
- جواز تَسْخِخِ الأحكام الشرعية في الإسلام زمن نزول الوحي، حيث تُسَخِّخُ التوجه إلى بيت المقدس، وصار إلى المسجد الحرام.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ ۚ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾
 مِنَ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٦٢﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيْهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٣﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَلَكُلَّ لَآيَكُنَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ۚ وَلَا تَتَّبِعْتَنِي عَلَى كُفْرٍ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٦٥﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٦٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٨﴾

﴿١٦١﴾ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم؛ اليهود والنصارى؛ يعرفون أمر تحويل القبلة الذي هو من علامات نبوة محمد ﷺ عندهم، كما يعرفون أولادهم ويميزونهم من غيرهم، ومع ذلك فإن طائفة منهم ليكتُمون الحق الذي جاء به، حسداً من عند أنفسهم، يفعلون ذلك وهم يعلمون أنه الحق. ﴿١٦٢﴾ هذا هو الحق من ربك فلا تكونن - أيها الرسول - من الشاكِّين في صحته.

﴿١٦٣﴾ ولكل أمة من الأمم جهة يتجهون إليها حسية كانت أو معنوية، ومن ذلك اختلاف الأمم في قبلتهم وما شرع الله لهم، فلا يضر تنوع وجهاتهم إن كان بأمر الله وشرعه، فتسابقوا أنتم - أيها المؤمنون - إلى فعل الخيرات التي أمرتم بفعلها، وسيجمعكم الله من أي مكان كنتم فيه يوم القيامة؛ ليجازيكم على عملكم، إن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزه جمعكم ولا مجازاتكم.

﴿١٦٤﴾ ومن أي مكان خرجت وأينما كنت - أيها النبي - أنت وأتباعك، وأردت الصلاة، فاستقبل جهة المسجد الحرام، فإنه الحق الموحى به إليك من ربك، وما الله بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه وسيجازيكم به.

﴿١٦٥﴾ ومن أي مكان خرجت - أيها النبي - وأردت الصلاة، فاستقبل جهة

المسجد الحرام، وبأي مكان كنتم - أيها المؤمنون - فاستقبلوا بوجهكم جهته إذا أردتم الصلاة؛ لئلا يكون للناس حجة يحتجون بها عليكم، إلا الذين ظلموا منهم، فإنهم سيقون على عنادهم، ويحتجون عليكم بأوهى الحجج، فلا تخشَوْهم واخشوا ربكم وحده، بامثال أوامره واجتناب نواهيه، فإن الله قد شرع استقبال الكعبة من أجل أن يتم نعمته عليكم بتمييزكم عن سائر الأمم، ولأجل هدايتكم إلى أشرف قبلة للناس.

﴿١٦٦﴾ كما أنعمنا عليكم نعمة أخرى؛ حيث أرسلنا إليكم رسولاً من أنفسكم، يقرأ عليكم آياتنا، ويطهركم بما يأمركم به من الفضائل والمعروف، وما ينهاكم عنه من الرذائل والمنكر، ويعلمكم القرآن والسنة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من أمور دينكم ودنياكم.

﴿١٦٧﴾ فاذكروني بقلوبكم وجوارحكم؛ أذكركم بالثناء عليكم والحفظ لكم، فالجزاء من جنس العمل، واشكروا لي نعمي التي أنعمت بها عليكم، ولا تكفروني بجحودها، واستعمالها فيما حُرِّم عليكم.

﴿١٦٨﴾ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة على القيام بطاعتي والتسليم لأمري، إن الله مع الصابرين يوفقهم ويعينهم.

﴿١٦٩﴾ مِن تَوَاتُرِ الْآيَاتِ،

- إطالة الحديث في شأن تحويل القبلة؛ لما فيه من الدلالة على نبوة محمد ﷺ.
- ترك الجدل والاشتغال بالطاعات والمسارة إلى الله أنفع للمؤمن عند ربه يوم القيامة.
- أن الأعمال الصالحة الموصلة إلى الله متنوعة ومتعددة، ولا بأس أن يختار المؤمن ما يميل إليه منها، ويناسب حاله.
- عظم شأن ذكر الله جلّ وعلا حيث يكون ثوابه ذكر العبد في المأل الأعلى.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ * إِنَّ الصَّافَا وَالْمُرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا أُولَئِكَ آتُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

٢٤

﴿١٥٤﴾ ولا تقولوا - أيها المؤمنون - في شأن من يقتلون في الجهاد في سبيل الله: إنهم أموات ماتوا كما يموت غيرهم، بل هم أحياء عند ربهم، ولكن لا تدركون حياتهم؛ لأنها حياة خاصة لا سبيل لمعرفة إلا بوحي من الله تعالى.

﴿١٥٥﴾ ولَنَبْلُوَنَّكُمْ بأنواع من المصائب؛ بشيء من الخوف من أعدائكم، وبالجوع لقلة الطعام، وبنقص في الأموال لذهابها أو مشقة الحصول عليها، وبنقص في الأنفس بسبب الآفات التي تهلك الناس، أو بالشهادة في سبيل الله، وبنقص من الثمرات التي تنبت الأرض، وبشر - أيها النبي - الصابرين على تلك المصائب بما يسرهم في الدنيا والآخرة.

﴿١٥٦﴾ الذين إذا أصابتهم مصيبة من تلك المصائب قالوا برضا وتسليم: إنا ملك لله يتصرف فينا بما يشاء، وإنا إليه عائدون يوم القيامة، فهو الذي خلقنا وتفضل علينا بمختلف النعم، وإليه مرجعنا ونهاية أمرنا.

﴿١٥٧﴾ أولئك المتصفون بهذه الصفة لهم ثناء من الله عليهم في ملأ الملائكة الأعلى، ورحمة تنزل عليهم، وأولئك هم المهتدون إلى طريق الحق.

﴿١٥٨﴾ إن الجبلين المعروفين بالصفاء والمرورة قرب الكعبة من معالم الشريعة الظاهرة، فمن قصد البيت لأداء نسك

الحج أو نسك العمرة؛ فلا إثم عليه أن يسمى بينهما. وفي نفي الإثم هنا طمأنة لمن تخرج من المسلمين من السعي بينهما اعتقاداً أنه من أمر الجاهلية، وقد بين تعالى أن ذلك من مناسك الحج. ومن فعل المستحبات من الطاعات متطوعاً بها مخلصاً؛ فإن الله شاكر له، يقبلها منه، ويجازيه عليها، وهو العليم بمن يفعل الخير، ويستحق الثواب.

﴿١٥٩﴾ إن الذين يخفون ما أنزلنا من البينات الدالة على صدق النبي وما جاء به، من اليهود والنصارى وغيرهم، من بعد ما أظهرناه للناس في كتبهم؛ أولئك يطردهم الله من رحمته، ويدعو عليهم الملائكة والأنبياء والناس أجمعون بالطرد من رحمته.

﴿١٦٠﴾ إلا الذين رجعوا إلى الله نادمين على كتمان تلك الآيات الواضحات، وأصلحوا أعمالهم الظاهرة والباطنة، وبيَّنوا ما كتموه من الحق والهدى، فأولئك أقبل رجوعهم إلى طاعتي، وأنا التواب على من تاب من العباد، الرحيم بهم.

﴿١٦١﴾ إن الذين كفروا وماتوا على الكفر قبل أن يتوبوا منه أولئك عليهم لعنة الله بطردهم من رحمته، وعليهم دعاء الملائكة والناس كلهم بالطرد من رحمة الله والإبعاد منها.

﴿١٦٢﴾ ملازمين هذه اللعنة، لا يُخَفَّفُ عنهم العذاب، ولو يوماً واحداً، ولا يُمهلون يوم القيامة.

﴿١٦٣﴾ ومعبودكم الحق - أيها الناس - واحد متفرد في ذاته وصفاته، لا معبود بحق غيره، وهو الرحمن ذو الرحمة الواسعة، الرحيم بعباده، حيث أنعم عليهم النعم التي لا تحصى.

• من قواعد الآيات:

- الابتلاء سنة الله تعالى في عباده، وقد وعد الصابرين على ذلك بأعظم الجزاء وأكرم المنازل.
- مشروعية السعي بين الصفاء والمرورة لمن حج البيت أو اعتمر.
- من أعظم الآثام وأشدّها عقوبة كتمان الحق الذي أنزله الله، والتلبس على الناس، وإضلالهم عن الهدى الذي جاءت به الرسل.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَكُنْ لَكُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا وَإِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ
أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿١٦٥﴾ إن في خلق السماوات والأرض وما فيهما من عجائب الخلق، وفي تعاقب الليل والنهار، وفي السفن التي تجري في مياه البحار حاملة ما ينفع الناس من طعام ولباس وتجارة، وغيرها مما يحتاجون إليه، وفيما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بما ينبت فيها من الزرع والكلأ، وفيما نشره فيها من كائنات حية، وفي تحويل الرياح من جهة لجهة، وفي السحاب المذلل بين السماء والأرض، إن في كل ذلك لدلائل واضحة على وحدانيته سبحانه لمن يعقلون الحُجج، ويفهمون الأدلة والبراهين.

﴿١٦٦﴾ ومع تلك الآيات الواضحة فإن من الناس من يتخذ من دون الله آلهة يجعلونهم نظراء لله تعالى، يحبونهم كما يحبون الله، والذين آمنوا أشد حبا لله من هؤلاء لمعبوداتهم؛ لأنهم لا يشركون مع الله أحدا، ويحبونه في السراء والضراء، وأما أولئك فإنهم يحبون آلهتهم في حال السراء، أما في الضراء فلا يدعون إلا الله. ولو يرى الظالمون بشركهم وارتكاب السيئات حالهم في الآخرة حين يشاهدون العذاب؛ لعلموا أن المتفرد بالقوة جميعا هو الله، وأنه شديد العذاب لمن عصاه، لو يرون ذلك لما أشركوا معه أحدا.

﴿١٦٧﴾ وذلك حين يتبرأ الرؤساء المتبعون من الضعفاء الذين اتبعوهم؛ لما يشاهدونه من أهوال يوم القيامة وشدائده، وقد تقطعت بهم كل أسباب النجاة ووسائلها.

﴿١٦٨﴾ وقال الضعفاء والأتباع: ليت لنا رجعة إلى الدنيا فنتبرأ من رؤسائنا كما تبرؤوا منا، وكما أراهم الله العذاب الشديد في الآخرة يريهم عاقبة متابعتهم لرؤسائهم على الباطل ندامات وأحزانا، وليسوا بخارجين أبداً من النار.

﴿١٦٩﴾ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض من حيوان ونبات وأشجار، مما كان كسبه حلالا وكان طيبا في نفسه غير خبيث، ولا تتبعوا مسالك الشيطان التي يستدرجكم بها، إنه لكم عدو واضح العداوة، ولا يجوز لعاقل أن يتبع عدوه الذي يحرض على إيذائه وضلاله!

﴿١٧٠﴾ فهو إنما يأمركم بما يسوء من الآثام وما يعظم من الذنوب، وبأن تقولوا على الله ما لا تعلمون بغير علم جاءكم عن الله أو رسله.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• المؤمنون بالله حقاً هم أعظم الخلق محبة لله؛ لأنهم يطيعونه على كل حال في السراء والضراء، ولا يشركون معه أحداً.

• في يوم القيامة تنقطع كل الروابط، ويبرز كل خليل من خليله، ولا يبقى إلا ما كان خالصا لله تعالى.

• التحذير من كيد الشيطان لتنوع أساليبه وخفائها وقربها من مشتبهات النفس.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٣٦﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٣٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بِإِغْوَاءٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ أَتَى اللَّهَ بِغَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿١٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٤١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٤٢﴾

٢٦

﴿١٣٦﴾ وإذا قيل لهؤلاء الكفار: اتبعوا ما أنزل الله من الهدى والنور، قالوا معاندين: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من المعتقدات والتقاليد، أيتبعون آباءهم ولو كانوا لا يعقلون شيئاً من الهدى والنور، ولا يهتدون إلى الحق الذي يرضى الله عنه؟! ﴿١٣٧﴾ ومثل الذين كفروا في اتباعهم لأبائهم كالراعي الذي يصيح منادياً على بهائمهم، فتسمع صوته، ولا تفهم قوله، فهم صُمٌّ عن سماع الحق سماعاً ينتفعون به، بُكْمٌ قد خرسست ألسنتهم عن النطق بالحق، عُمًى عن إبطاره، ولهذا لا يعقلون الهدى الذي تدعوهم إليه.

﴿١٣٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، كلوا من الطيبات التي رزقكم الله وأباحها لكم، واشكروا لله ظاهراً وباطناً ما تفضل به عليكم من النعم، ومن شكره تعالى أن تعملوا بطاعته، وأن تجتنبوا معصيته، إن كنتم حقاً تعبودونه وحده، ولا تشركون به شيئاً.

﴿١٣٩﴾ إنما حرم الله عليكم من الأطعمة ما مات بغير ذكاة شرعية، والدّم المسفوح السائل، ولحم الخنزير، وما ذكر عليه غير اسم الله عند تذكيته، فإذا اضطّر الإنسان إلى أكل شيء وهو غير ظالم بالأكل منها دون حاجة، ولا متجاوز لحد الضرورة؛ فلا إثم عليه ولا عقوبة، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمت أنه تجاوز عن أكل هذه المحرمات عند الاضطرار.

﴿١٤٠﴾ إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتب وما فيها من دلالة على الحق ونبوة محمد ﷺ، كما يفعل اليهود والنصارى، ويشترُونَ بكتمانهم لها عوضاً قليلاً كرناسة أو جاه أو مال؛ أولئك ما يأكلون في بطونهم حقيقة إلا ما يكون سبباً لتعذيبهم بالنار، ولا يكلمهم الله يوم القيامة بما يحبون، بل بما يسوؤهم، ولا يطهرهم ولا يُثني عليهم، ولهم عذاب أليم.

﴿١٤١﴾ أولئك المتصنفون بكتمان العلم الذي يحتاج إليه الناس هم الذين استبدلوا الضلالة بالهدى لما كنتموا العلم الحق، واستبدلوا عذاب الله بمغفرته، فما أصبرهم على فعل ما يسبب لهم دخول النار، كأنهم لا يبالون بما فيها من عذاب لصبرهم عليها.

﴿١٤٢﴾ ذلك الجزاء على كتمان العلم والهدى بسبب أن الله نزل الكتب الإلهية بالحق، وهذا يقتضي أن تُبين ولا تُكتم. وإن الذين اختلَفوا في الكتب الإلهية فآمنوا ببعضها وكنتموا بعضها لفي مفارقة ومنازعة بعيدة للحق.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- أكثر ضلال الخلق بسبب تعطيل العقل، ومتابعة من سبقهم في ضلالهم، وتقليدهم بغير وعي.
- عدم انتفاع المرء بما وهبه الله من نعمة العقل والسمع والبصر، يجعله مثل من فقد هذه النعم.
- من أشد الناس عقوبة يوم القيامة من يكتم العلم الذي أنزله الله، والهدى الذي جاءت به رسله تعالى.
- من نعمة الله تعالى على عباده المؤمنين أن جعل المحرمات قليلة محدودة، وأما المباحات فكثيرة غير محدودة.

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ
بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَإِدَاءُ
إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوا
الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ
أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ
فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

٢٧

﴿١٧٧﴾ ليس الخير المَرَضِي عند الله مجرد الاتجاه إلى جهة المشرق أو المغرب والاختلاف في ذلك، ولكن الخير كل الخير فيمن آمن بالله إلهاً واحداً، وآمن بيوم القيامة، وبجميع الملائكة، وبجميع الكتب المنزلة، وبجميع الأنبياء دون تفریق، وأنفق المال مع حبه والحرص عليه على ذوي قرابته، ومن فقد أباه دون سن البلوغ، وذوي الحاجة، والغريب الذي انقطع في السفر عن أهله ووطنه، والذين تعرض لهم حاجة توجب سؤال الناس، وصرف المال في تحرير الرقاب من الرق والأسر، وأقام الصلاة بالإتيان بها تامة على ما أمر الله، ودفع الزكاة الواجبة، والذين يوفون بعهدهم إذا عاهدوا، والذين يصبرون على الفقر والشدة، وعلى المرض، وفي وقت شدة القتال فلا يفرون، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا الله في إيمانهم وأعمالهم، وأولئك هم المتقون الذين امثلوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم الله عنه.

﴿١٧٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، فُرض عليكم في شأن الذين يقتلون غيرهم عمداً وعدواناً، معاقبة القاتل بمثل جنائته، فالحر يُقتل بالحر، والعبد يُقتل بالعبد، والأنثى تُقتل بالأنثى، فإن عفا المقتول قبل

موته أو عفا ولي المقتول مقابل الدية - وهي مقدار من المال يدفعه القاتل مقابل العفو عنه - فعلى من عفا اتباع القاتل في طلب الدية بالمعروف لا بالظلم والأذى، وعلى القاتل أداء الدية بإحسان، من غير ماطلة وتسويف، وذلك العفو وأخذ الدية تخفيف من ربكم عليكم، ورحمة بهذه الأمة، فمن اعتدى على القاتل بعد العفو وقبول الدية؛ فله عذاب أليم من الله تعالى.

﴿١٧٩﴾ ولكم فيما شرعه الله من القصاص حياة لكم؛ بحقن دمائكم، ودفع الاعتداء بينكم، يدرك ذلك أهل العقول الذين يتقون الله تعالى بالانقياد لشرعه والعمل بأمره.

﴿١٨٠﴾ فُرض عليكم إذا حضر أحدكم علامات الموت وأسبابه، إن ترك مالا كثيراً أن يوصي للوالدين ولذوي القرابة بما حذّه الشرع وهو ألا يزيد عن ثلث المال، وفعل هذا حق مؤكد على المتقين لله تعالى. وقد كان هذا الحكم قبل نزول آيات الموارث، فلما نزلت آيات الموارث بينت من يرث الميراث ومقدار ما يرث.

﴿١٨١﴾ فمن غير في الوصية بزيادة أو نقص أو منع بعد علمه بالوصية؛ فإنما يكون إثم ذلك التبديل على المغيرين لا على الموصي، إن الله سميع لأقوال عبيده، عليم بأفعالهم، لا يفوته شيء من أحوالهم.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- البر الذي يحبه الله يكون بتحقيق الإيمان والعمل الصالح، وأما التمسك بالمظاهر فقط فلا يكفي عنده تعالى.
- من أعظم ما يحفظ الأنفس، ويمنع من التعدي والظلم؛ تطبيق مبدأ القصاص الذي شرعه الله في النفس وما دونها.
- عظم شأن الوصية، ولا سيما لمن كان عنده شيء يُوصي به، وإثم من غير في وصية الميت وبذل ما فيها.

﴿١٨٧﴾ فمن علم من صاحب الوصية ميلاً عن الحق، أو جَوَراً في الوصية؛ فأصلح ما أفسد الموصي بنصحه، وأصلح بين المختلفين على الوصية، فلا إثم عليه، بل هو مأجور على إصلاحه، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٨٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله فُرضَ عليكم الصيام من ركن كما فُرضَ على الأمم من قبلكم؛ لعلكم تتقون الله بأن تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بالأعمال الصالحة ومن أعظمها الصيام.

﴿١٨٩﴾ الصيام المفروض عليكم أن تصوموا أياماً قليلة من السنة، فمن كان منكم مريضاً مرضاً يشق معه الصوم، أو مسافراً؛ فله أن يفطر، ثم عليه أن يقضي بقدر ما أفطر من الأيام. وعلى الذين يستطيعون الصيام فدية إذا أفطروا، وهي إطعام مسكين عن كل يوم يفطرون فيه. وصومكم خير لكم من الإفطار وإعطاء الفدية، إن كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضل. وكان هذا الحكم أول ما شرع الله الصيام، فكان من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم، ثم أوجب الله الصيام بعد ذلك، وفرضه على كل بالغ قادر.

﴿١٩٠﴾ شهر رمضان الذي بدأ فيه نزول القرآن على النبي ﷺ في ليلة القدر،

أنزله الله هداية للناس، فيه الدلائل الواضحات من الهدى، والفرقان بين الحق والباطل، فمن حضر شهر رمضان وهو مقيم صحيح فليصمه وجوباً، ومن كان مريضاً يشق عليه الصوم أو مسافراً؛ فله أن يفطر، وإذا أفطر فالواجب عليه أن يقضي تلك الأيام التي أفطرها، يريد الله بما شرع لكم أن يسلك بكم سبيل اليسر لا العسر، ولتكمّلوا عدة صوم الشهر كله، ولتكبروا الله بعد ختام شهر رمضان ويوم العيد على أن وفقكم لصومه، وأعانكم على إكماله، ولعلكم تشكرون الله على هدايتكم لهذا الدين الذي ارتضاه لكم.

﴿١٩١﴾ وإذا سألك - أيها النبي - عبادي عن قربي وإجابتي لدعائهم؛ فإني قريب منهم، عالم بأحوالهم، سامع لدعائهم، فلا يحتاجون إلى وسطاء، ولا إلى رفع أصواتهم، أجب دعوة الداعي إذا دعاني مخلصاً في دعائه، فلينقادوا لي ولأوامري، وليثبتوا على إيمانهم؛ فإن ذلك أنفع وسيلة لإجابتي، لعلهم يسلكون بذلك سبيل الرشاد في شؤونهم الدينية والدنيوية.

﴿١٩٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- فَضَّلَ الله شهر رمضان بجعله شهر الصوم بإنزال القرآن فيه، فهو شهر القرآن؛ ولهذا كان النبي ﷺ يتدارس القرآن مع جبريل في رمضان، ويجتهد فيه ما لا يجتهد في غيره.
- شريعة الإسلام قامت في أصولها وفروعها على التيسير ورفع الحرج، فما جعل الله علينا في الدين من حرج.
- قُرَّبَ الله تعالى من عباده، وإحاطته بهم، وعلمه التام بأحوالهم؛ ولهذا فهو يسمع دعاءهم ويوجب سؤالهم.

﴿١٧٧﴾ قد كان في أول الأمر يحرم على الرجل إذا نام في ليلة الصيام ثم استيقظ قبل الفجر أن يأكل أو يقرب أهله، فنسخ الله ذلك، وأباح الله لكم - أيها المؤمنون - في ليالي الصيام جماع نساءكم، فهن ستر وإعفاف لكم، وأنتم ستر وإعفاف لهن، لا يستغني بعضكم عن بعض، علّم الله أنكم كنتم تخونون أنفسكم بفعل ما نهاكم عنه، فرحمكم وتاب عليكم، وخفف عنكم، فالآن جامعوهن، واطلبوا ما قدر الله لكم من الذرية، وكلوا واشربوا في الليل كله، حتى يتبين لكم طلوع الفجر الصادق ببياض الفجر وانفصاله عن سواد الليل، ثم أكملوا الصيام بالإسكاف عن المفطرات من طلوع الفجر حتى تغيب الشمس، ولا تجامعوا النساء وأنتم معتكفون في المساجد؛ لأن ذلك يبطله. تلك الأحكام المذكورة هي حدود الله بين الحلال والحرام فلا تقربوها أبداً؛ فإن من اقترب من حدود الله يوشك أن يقع في الحرام، وبمثل هذا البيان الواضح الجلي لتلك الأحكام يبين الله آياته للناس لعلهم يتقونه بفعل ما أمر وترك ما نهى.

﴿١٧٨﴾ ولا يأخذ بعضكم مال بعضكم بوجه غير مشروع، كالسرقة والغصب والغش، ولا تخاصموا بها إلى الأحكام لتأخذوا طائفة من أموال الناس

متلبسين بالمعصية، وأنتم تعلمون أن الله حرم ذلك، فالإقدام على الذنب مع العلم بتحريمه أشد قُبْحاً وأعظم عقوبة.

﴿١٧٩﴾ يسألونك - أيها الرسول - عن تكوين الأهلة وتغير أحوالها، قل مجيباً إياهم عن حكمة ذلك: إنها مواقيت للناس، يعرفون بها أوقات عباداتهم؛ كأشهر الحج، وشهر الصيام، وتَمَامَ الحَوْل في الزكاة، ويعرفون أوقاتهم في المعاملات؛ كتحديد آجال الديات والديون. وليس البر والخير أن تأتوا البيوت من ظهورها وعند إحرامكم بالحج أو العمرة - كما كنتم تزعمون في الجاهلية - ولكن البر حقيقة بُرٌّ من اتقى الله في الظاهر والباطن، ولكن مجيئكم للبيوت من أبوابها، فهو أسير لكم وأبعد عن المشقة؛ لأن الله لم يكلفكم بما فيه عسر ومشقة عليكم، واجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية من العمل الصالح، لعلكم تفلحون بنيل ما ترغبون فيه، والنجاة مما ترهبون منه.

﴿١٨٠﴾ وقاتلوا - ابتغاء رفع كلمة الله - الذين يقاتلونكم من الكفار ليصدوكم عن دين الله، ولا تتجاوزوا حدود الله بقتل الصبيان والنساء والشيوخ، أو بالتمثيل بالقتلى ونحو ذلك، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدوده فيما شرع وحكم.

﴿١٨١﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- مشروعية الاعتكاف، وهو لزوم المسجد للعبادة؛ ولهذا يُنْهَى عن كل ما يعارض مقصود الاعتكاف، ومنه مباشرة المرأة.
- النهي عن أكل أموال الناس بالباطل، وتحريم كل الوسائل والأساليب التي تقود لذلك، ومنها الرشوة.
- تحريم الاعتداء والنهي عنه؛ لأن هذا الدين قائم على العدل والإحسان.

أَحْلَلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْتَنَ بِشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧٨﴾ *يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٧٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٨٠﴾

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جِزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَتَقْتُلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَتْلُوا بَآيَاتِهِمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفَدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ صِيَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

٣٠

﴿١٩١﴾ وأقتلوه حيث لقيتموهم، وأخرجوهم من المكان الذي أخرجوكم منه، وهو مكة، والفتنة الحاصلة بضد المؤمن عن دينه ورجوعه إلى الكفر أعظم من القتل. ولا تبدؤوهم بقتال عند المسجد الحرام تعظيماً له حتى يبدؤوكم بالقتال فيه، فإن بدؤوا بالقتال في المسجد الحرام فاقتلوه، ومثل هذا الجزاء - وهو قتلهم إذا اعتدوا في المسجد الحرام - يكون جزاء الكافرين.

﴿١٩٢﴾ فإن انتهوا عن قتالكم وكفرهم فانتهوا عنهم، إن الله غفور لمن تاب فلا يؤاخذهم بذنوبهم السابقة، رحيم بهم لا يعاجلهم بالعقوبة.

﴿١٩٣﴾ وقاتلوا الكفار حتى لا يكون منهم شرك ولا ضد للناس عن سبيل الله ولا كفر، ويكون الدين الظاهر دين الله، فإن انتهوا عن كفرهم وصددهم عن سبيل الله فاتركوا قتالهم، فإنه لا عدوان إلا على الظالمين بالكفر والصد عن سبيل الله.

﴿١٩٤﴾ الشهر الحرام الذي مكنتكم الله فيه من دخول الحرم وأداء العمرة سنة سبع، هو عوض عن الشهر الحرام الذي صدكم فيه المشركون عن الحرم سنة سبت، والحرمات - كحرمة البلد الحرام والشهر الحرام والإحرام - يجري فيها القصاص من المعتدين، فمن اعتدى عليكم فيها فعاملوه بمثل فعله، ولا تتجاوزوا حد المماثلة، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدوده، وخافوا الله في تجاوز ما أذن لكم فيه، واعلموا أن الله مع المتقين له بالتوفيق والتأييد.

﴿١٩٥﴾ وأنفقوا المال في طاعة الله من الجهاد

وغيره، ولا تملقوا بأنفسكم إلى الهلاك، بأن تركوا الجهاد والبذل في سبيله، أو بأن تملقوا بأنفسكم فيما يكون سبباً لهلاككم، وأحسنوا في عباداتكم ومعاملاتكم وأخلاقكم، إن الله يحب المحسنين في كل شؤونهم، فيعظم لهم الثواب، ويوفقهم للرشاد.

﴿١٩٦﴾ وأدوا الحج والعمرة تأمناً، مبتغين وجه الله تعالى، فإذا شئتم من إتمامهما بمرض أو بعدو؛ فعليكم بذبح ما تيسر من الهدى - من الإبل أو البقر أو الغنم - لتتحللوا من إحرامكم. ولا تحلقوا رؤوسكم أو تقصروها حتى يبلغ الهدى الموضع الذي يحل فيه ذبحه، فإن كان ممنوعاً من الحرم فليذبح حيث منع، وإن كان غير ممنوع من الحرم فليذبح في الحرم يوم النحر وما بعده من أيام التشريق. فمن كان منكم مريضاً، أو به أذى من شعر رأسه؛ كقمل ونحوه، فحلق رأسه بسبب ذلك، فلا حرج عليه، وعليه أن يفدي عن ذلك؛ إما بصيام ثلاثة أيام، أو بإطعام ستة مساكين من مساكين الحرم، أو بذبح شاة توزع على فقراء الحرم، فإذا كنتم غير خائفين فمن استمتع منكم بأداء العمرة في أشهر الحج، وتمتع بما حرم عليه من محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج من عامه؛ فليذبح ما تيسر له من شاة أو يشترك سبعة في ذبح بعير أو بقرة، فإذا لم يقدر على الهدى فعليه صيام ثلاثة أيام من أيام المناسك بدلاً منه، وعليه صيام سبعة أيام بعد رجوعه إلى أهله، ليكون مجموع الأيام عشرة كاملة، ذلك التمتع مع وجوب الهدى أو الصيام للعاجز عن الهدى هو لغير أهل الحرم ومن يقيم قريباً من الحرم؛ لأنهم لا حاجة بهم إلى التمتع فهم لوجودهم بالحرم يكفهم مطلق الطواف عن التمتع بالعمرة إلى الحج، واتقوا الله باتباع ما شرع، وتعظيم حدوده، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

- مقصود الجهاد وغايته جعل الحكم لله تعالى وإزالة ما يمنع الناس من سماع الحق والدخول فيه.
- ترك الجهاد والعودة عنه من أسباب هلاك الأمة؛ لأنه يؤدي إلى ضعفها وطمع العدو فيها.
- وجوب إتمام الحج والعمرة لمن شرع فيهما، وجواز التحلل منهما بذبح هدي لمن منع عن الحرم.

﴿١٧٧﴾ وقت الحج أشهر معلومات، تبدأ بشهر شوال، وتنتهي بعشر ذي الحجة، فمن أوجب على نفسه الحج في هذه الأشهر وأحرم به؛ حُرِّمَ عليه الجماع ومقدماته، ويتأكد في حقه حُرْمَةُ الخروج عن طاعة الله بارتكاب المعاصي؛ لعظم الزمان والمكان، ويحرم عليه الجدل المؤذي إلى الغضب والخصومة، وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجازيكم به. واستعينوا على أداء الحج بأخذ ما تحتاجون إليه من طعام وشراب، واعلموا أن خير ما تستعينون به في كل شؤونكم هو تقوى الله تعالى، فخافوني بامتنال أوامري واجتناب نواهيي يا ذوي العقول السليمة.

﴿١٧٨﴾ ليس عليكم إثم أن تطلبوا الرزق الحلال بالتجارة وغيرها في أثناء الحج، فإذا دفعتم من عرفات بعد وقوفكم فيها يوم التاسع، متوجهين إلى مزدلفة ليلة العاشر من ذي الحجة؛ فاذكروا الله بالتسبيح والتهليل والدعاء عند المشعر الحرام بمزدلفة، واذكروا الله لهدايته لكم إلى معالم دينه، ومناسك حج بيته، فقد كنتم من قبل ذلك من الغافلين عن شريعته.

﴿١٧٩﴾ ثم ادفعوا من عرفات كما كان يصنع الناس المقتدون بإبراهيم عليه السلام، لا كما كان يصنع من لا يقف بها من أهل الجاهلية، واطلبوا المغفرة من الله

على تقصيركم في أداء ما شرع، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٨٠﴾ فإذا أنهيت أعمال الحج، وفرغتم منها فاذكروا الله، وأكثروا من الثناء عليه، كفخركم بآبائكم وثنائكم عليهم، أو أشد ذكراً لله من ذكر آبائكم؛ لأن كل نعمة تتنعمون بها هي منه ﷻ، والناس مختلفون، فمنهم الكافر المشرك الذي لا يؤمن إلا بهذه الحياة الدنيا، فلا يسأل ربه إلا نعيمها وزينتها من الصحة والمال والولد، وليس لهم نصيب مما أعد الله لعباده المؤمنين في الآخرة، لرغبتهم في الدنيا وإعراضهم عن الآخرة.

﴿١٨١﴾ وفريق من الناس مؤمن بالله يؤمن بالآخرة، فيسأل ربه نعيم الدنيا والعمل الصالح فيها، كما يسأل الفوز بالجنة والسلامة من عذاب النار.

﴿١٨٢﴾ أولئك الداعون بخيري الدنيا والآخرة لهم حظٌّ من ثواب عظيم بما اكتسبوا من الأعمال الصالحة في الدنيا، والله سريع الحساب للأعمال.

﴿١٨٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• يجب على المؤمن التزود في سفر الدنيا وسفر الآخرة، ولذلك ذكر الله أن خير الزاد هو التقوى.

• مشروعية الإكثار من ذكر الله تعالى عند إتمام نسك الحج.

• اختلاف مقاصد الناس؛ فمنهم من جعل همه الدنيا، فلا يسأل ربه غيرها، ومنهم من يسأل خيره الدنيا والآخرة، وهذا هو الموفق.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٧٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٧٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ نَسِكِكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿١٨٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٨١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٨٢﴾

﴿٢٠﴾ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ وَجَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢٨﴾

﴿٢٠﴾ واذكروا الله بالتكبير والتهليل في أيام قلائل؛ هي: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، فمن تعجل من منى بعد الرمي في اليوم الثاني عشر فله ذلك، ولا إثم عليه؛ لأن الله خفف عنه، ومن تأخر إلى الثالث عشر حتى يرمي فله ذلك، ولا حرج عليه، وقد جاء بالأكمل، واتبع فعل النبي ﷺ، كل ذلك لمن اتقى الله في حجه فجاه به كما أمر الله، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأيقنوا أنكم إليه وحده ترجعون وتصيرون، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٢١﴾ ومن الناس منافق يعجبك - أيها النبي - كلامه في هذه الدنيا، فتراه حسن المنطق، حتى لتظن صدقه ونصحه، وإنما قُصده حفظ نفسه وماله، ويُشهد الله - وهو كاذب - على ما في قلبه من إيمان وخير، وهو شديد الخصومة والعداوة للمسلمين.

﴿٢٢﴾ وإذا أدبر عنك وفارقك سعى مجتهداً في الأرض من أجل أن يُفسد بالمعاصي، ويُثْلِف الزرع، ويقتل المواشي، والله لا يحب الفساد في الأرض، ولا يحب أهله.

﴿٢٣﴾ وإذا قيل لذلك المفسد - على سبيل النصح -: اتق الله بتعظيم حدوده واجتناب نواهيه، منعت الأثمة والكبير عن الرجوع إلى الحق، وتمادى في

الإثم، فجزأه الذي يكفيه دخول جهنم، ولبس المستقر والمقام لأهلها.

﴿٢٤﴾ ومن الناس مؤمن يبيع نفسه، فيذلها طاعة لربه، وجهاداً في سبيله وطلباً لمرضاته، والله واسع الرحمة بعباده، رؤوف بهم.

﴿٢٥﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله ادخلوا في الإسلام جميعه، ولا تتركوا منه شيئاً، كما يفعل أهل الكتاب من الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه، ولا تتبعوا مسالك الشيطان؛ لأنه لكم عدو واضح العداوة مظهرها.

﴿٢٦﴾ فإن وقع منكم زلل وميل من بعد ما جاءكم الدلائل الواضحات التي لا لبس فيها؛ فاعلموا أن الله عزيز في قدرته وقهره، حكيم في تدبيره وتشريعه، فخافوه وعظموه.

﴿٢٧﴾ ما ينتظر هؤلاء المتبعون مسالك الشيطان المائلون عن طريق الحق إلا أن يأتيهم الله يوم القيامة إتياناً يليق بجلاله سبحانه، في ظلل من السحاب للقاء بينهم، وتأتيهم الملائكة محيطة بهم من كل جانب، وعندئذ يُقضى أمر الله فيهم، ويُفزع منه، وإلى الله سبحانه وحده ترجع أمور الخلائق وشؤونهم.

﴿٢٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- التقوى حقيقة لا تكون بكثرة الأعمال فقط، وإنما بمتابعة هدي الشريعة والالتزام بها.
- الحكم على الناس لا يكون بمجرد أشكالهم وأقوالهم، بل بحقيقة أفعالهم الدالة على ما أخفته صدورهم.
- الإفساد في الأرض بكل صوره من صفات المتكبرين التي تلازمهم، والله تعالى لا يحب الفساد وأهله.
- لا يكون المرء مسلماً حقيقة لله تعالى حتى يُسلم لهذا الدين كله، ويقبله ظاهراً وباطناً.

﴿٢١١﴾ اسأل - أيها النبي - بني إسرائيل سؤال توبيخ لهم: كم بين الله تعالى لكم من آية واضحة دالة على صدق الرسل! فكذبتموها وأعرضتم عنها، ومن يبدل نعمة الله كفرًا وتكذيبًا بعد معرفتها وظهورها؛ فإن الله شديد العقاب للكافرين المكذبين.

﴿٢١٢﴾ حُسن للذين كفروا بالله الحياة الدنيا وما فيها من متّع زائلة، وملذات منقطعة، ويستهنئون بالذين آمنوا بالله واليوم الآخر، والذين اتقوا الله بفعل أوامره وترك نواهيته فوق هؤلاء الكافرين في الآخرة، حيث ينزلهم الله في جنات عدن، والله يعطي من يشاء من خلقه بلا عد ولا حساب.

﴿٢١٣﴾ كان النامس أمة واحدة متفقين على الهدى، على دين أبيهم آدم، حتى أضلّتهم الشياطين، فاختلّفوا بين مؤمن وكافر، فلأجل ذلك بعث الله الرسل مبشرين أهل الإيمان والطاعة بما أعد الله لهم من رحمته، ومنذرين أهل الكفر بما أوعدهم الله به من شديد عقابه، وأنزل مع رسله الكتب مشتملة على الحق الذي لا شك فيه؛ ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه. وما اختلف في التوراة إلا الذين أعطوا علمها من اليهود بعدما جاءتهم حجج الله أنه حق من عنده لا يسعهم الاختلاف فيه، ظلماً منهم، فوفق الله المؤمنين لمعرفة الهدى من الضلال

بإذنه وإرادته، والله يهدي من يشاء إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإيمان.

﴿٢١٤﴾ أم ظننتم - أيها المؤمنون - أن تدخلوا الجنة ولم يصيبكم ابتلاء مثل ابتلاء الماضين من قبلكم، حيث أصابهم شدة الفقر والمرض، وزلزلتهم المخاوف، حتى بلغ بهم البلاء أن يستعجلوا نصر الله، فيقول الرسول والمؤمنون معه: متى يأتي نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب من المؤمنين به، المتوكلين عليه.

﴿٢١٥﴾ يسألك أصحابك - أيها النبي -: ماذا ينفقون من أموالهم المتنوعة، وأين يضعونها؟ قل مجيباً إياهم: ما أنفقتم من خير - وهو الحلال الطيب - فليصرفه للوالدين، وللأدنى منكم من قراباتكم بحسب الحاجة، وللمحتاج من اليتامى، وللمُعْدِمِينَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَالٌ، وللمسافر الذي انقطع به السفر عن أهله ووطنه، وما تفعلوا - أيها المؤمنون - من خير قليلاً كان أو كثيراً فإن الله به عليم، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيكم عليه.

﴿٢١٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

- ترك شكر الله تعالى على نعمه وترك استعمالها في طاعته يعرضها للزوال ويحيلها بلاءً على صاحبها.
- الأصل أن الله خلق عباده على فطرة التوحيد والإيمان به، وإبليس وأعوانه هم الذين صرفوهم عن هذه الفطرة إلى الشرك به.
- أعظم الخذلان الذي يؤدي للفشل أن تختلف الأمة في كتابها وشريعتها، فيكفر بعضها بعضاً، ويلعن بعضها بعضاً.
- الهداية للحق الذي يختلف فيه الناس، ومعرفة وجه الصواب بيد الله، ويطلب منه تعالى بالإيمان به والافتقار له.
- الابتلاء سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوْلِيَائِهِ، فيبتليهم بقدر ما في قلوبهم من الإيمان به والتوكل عليه.
- من أعظم ما يعين على الصبر عند نزول البلاء، الاقتداء بالصالحين وأخذ الأسوة منهم.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَعِمَّتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي اللَّهِ نِيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُكَ ذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٩﴾

٣٤

﴿٢٦٦﴾ فَرَضَ عَلَيْكُمْ - أيها المؤمنون - القتال في سبيل الله وهو مكروه للنفس بطبعها؛ لما فيه من بذل المال والنفس، ولعلكم تكرهون شيئاً وهو في الواقع خير ونفع لكم؛ كالقتال في سبيل الله، فمع عظم ثوابه فيه النصر على الأعداء ورفع كلمة الله، ولعلكم تحبون شيئاً وهو شر ووبال عليكم؛ كالجلوس عن الجهاد، فإن فيه الخذلان وتسلط الأعداء، والله يعلم علماً تاماً خير الأمور وشرها، وأنتم لا تعلمون ذلك، فاستجيبوا لأمره؛ ففيه الخير لكم.

﴿٢٦٧﴾ يسألك الناس - أيها النبي - عن حكم القتال في الأشهر الحرم: ذي القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، قل مجيباً إياهم: القتال في هذه الأشهر عظيم عند الله ومستنكر، كما أن ما يقوم به المشركون من صد عن سبيل الله مستقبح كذلك، ومنع المؤمنين عن المسجد الحرام، وإخراج أهل المسجد الحرام منه أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام، والشرك الذي هم فيه أعظم من القتل. ولا يزال المشركون على ظلمهم يقتلونكم - أيها المؤمنون - حتى يردوكم عن دينكم الحق إلى دينهم الباطل إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ومن يرجع منكم عن دينه، ويمت وهو على الكفر بالله؛ فقد بطل عمله الصالح، ومآله في الآخرة دخول النار وملازمتها أبداً.

﴿٢٦٨﴾ إن الذين آمنوا بالله ورسوله، والذين تركوا أوطانهم مهاجرين إلى الله ورسوله، وقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا؛ أولئك يطمعون في رحمة الله ومغفرته، والله غفور لعباده رحيم بهم.

﴿٢٦٩﴾ يسألك أصحابك - أيها النبي - عن الخمر (وهي: كل ما غطي العقل وأذهبه)؛ يسألونك عن حكم شربها وبيعها وشرائها؟ ويسألونك عن حكم القمار (وهو: ما يؤخذ من المال عن طريق المنافسات التي فيها عوض من الطرفين المشتركين في المنافسة)؟ قل مجيباً إياهم: فيهما مضار ومفاسد دينية ودنيوية كثيرة؛ من ذهاب العقل والمال، والوقوع في العداوة والبغضاء. وفيهما منافع قليلة كالمكاسب المالية، وضررهما والإثم الحاصل بهما أكبر من نفعهما، وما كان ضرره أكثر من نفعه؛ فإن العاقل يجتنبه، وهذا البيان من الله فيه تمهيد لتحريم الخمر. ويسألك أصحابك - أيها النبي - عن قدر ما ينفقونه من أموالهم على وجه التطوع والتبرع؟ قل مجيباً إياهم: أنفقوا من أموالكم الذي يزيد عن حاجتكم (وقد كان هذا أول الأمر، ثم شرع الله بعد ذلك الزكاة الواجبة في أموال مخصوصة وأنصبة معينة)، ويمثل هذا البيان الذي لا لبس فيه يبين الله لكم أحكام الشرع لعلكم تفكرون.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الجهل بعواقب الأمور قد يجعل المرء يكره ما ينفعه ويحب ما يضره، وعلى المرء أن يسأل الله الهداية للرشاد.
- جاء الإسلام بتعظيم الحرمات والنهي عن الاعتداء عليها، ومن أعظمها صد الناس عن سبيل الله تعالى.
- لا يزال الكفار أبداً حرباً على الإسلام وأهله حتى يخرجوهم من دينهم، والله موهن كيد الكافرين.
- الإيمان بالله تعالى، والهجرة إليه، والجهاد في سبيله؛ أعظم الوسائل التي ينال بها المرء رحمة الله ومغفرته.
- حرمت الشريعة كل ما فيه ضرر غالب وإن كان فيه بعض المنافع؛ مراعاة لمصلحة العباد.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمْلِكُ قُلُوبَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ
 الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
 ﴿٣٢﴾ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ
 خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ
 حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ
 أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ
 بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾
 وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي
 الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ
 مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ
 ﴿٣٤﴾ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْ يَشْتِمُوا وَقَدْ مَوَّأَ
 لَأَنْفُسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَائِكَةُ اللَّهِ وَبَشَرُوا
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا
 وَتَتَّقُوا وَتُصَدِّقُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

٣٥

﴿٣٢﴾ شرع ذلك لكي تفكروا فيما ينفعكم في الدنيا والآخرة. ويسألك أصحابك - أيها النبي - عن قيامهم بالولاية على اليتامى: كيف يتصرفون في التعامل معهم؟ وهل يخلطون أموالهم معهم في النفقة والمطاعمة والمساكنة؟ قل مجيباً إياهم: تفضلتكم عليهم بإصلاح أموالهم من غير عوض أو مخالطة في أموالهم؛ خير لكم عند الله وأعظم أجراً، وهو خير لهم في أموالهم؛ لما فيه من حفظ أموالهم عليهم، وإن تشاركوهم بضم مالههم إلى مالكم في المعاش والمساكن ونحو ذلك؛ فلا حرج في ذلك، فهم إخوانكم في الدين، والإخوة يعين بعضهم بعضاً، ويقوم بعضهم على شؤون بعض، والله يعلم من يريد الإنقاذ من الأولياء بمشاركة اليتامى أموالهم ممن يريد الإصلاح، ولو شاء أن يشق عليكم في شأن اليتامى لشق عليكم، ولكنه ﷻ يسر لكم سبيل التعامل معهم؛ لأن شريعته مبنية على اليسر، إن الله عزيز لا يغالبه شيء، حكيم في خلقه وتدبيره وتشريعه.

﴿٣٣﴾ ولا تتزوجوا - أيها المؤمنون - المشركات بالله حتى يؤمن بالله وحده، ويدخلن في دين الإسلام، وإن امرأة مملوكة مؤمنة بالله ورسوله خير من امرأة حرة تعبد الأوثان، ولو أعجبكم بجمالها ومالها، ولا تزوجوا المسلمات رجالاً مشركين، ولعبد مملوك مؤمن بالله ورسوله خير من حر مشرك، ولو أعجبكم، أولئك المتصفون بالشرك - رجالاً ونساءً - يدعون بأقوالهم وأفعالهم إلى ما يقود إلى دخول النار، والله يدعو إلى الأعمال الصالحة

التي تقود إلى دخول الجنة والمغفرة من الذنوب بإذنه وفضله، ويبين آياته للناس لعلهم يعملون بها.

﴿٣٤﴾ ويسألك أصحابك - أيها النبي - عن الحيض (وهو دم طبيعي يخرج من رحم المرأة في أوقات مخصوصة)؟ قل مجيباً إياهم: الحيض أذى للرجل والمرأة، فاجتنبوا جماع النساء في وقته، ولا تقربوهن بالوطء حتى يقطع الدم عنهن، ويتطهرن منه بالغسل، فإذا انقطع وتطهرن منه فجامعوهم على الوجه الذي أباح لكم: طاهرات في قُبُلهن، إن الله يحب المكشركين من التوبة من المعاصي، والمبالغين في الطهارة من الأخباث.

﴿٣٥﴾ زوجاتكم محل زرع لكم بلدن لكم الأولاد؛ كالأرض التي تخرج الثمار، فأتوا محل الزرع - وهو القُبُل - من أي جهة شئتم وكيفما شئتم إذا كان في القُبُل، وقدموا لأنفسكم بفعل الخيرات، ومنه أن يجامع الرجل امرأته بقصد التقرب إلى الله، ورجاء الذرية الصالحة، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، ومنها ما شرع لكم في شأن النساء، واعلموا أنكم ملاقوه يوم القيامة، واقفون بين يديه، ومجازيكم على أعمالكم، وبشر - أيها النبي - المؤمنين بما يسرهم عند لقاء ربهم من النعيم المقيم، والنظر إلى وجهه الكريم.

﴿٣٦﴾ ولا تجعلوا الحلف بالله حجة مائعة، من فعل البر والتقوى والإصلاح بين الناس، بل إذا حلفت على ترك البر؛ فافعلوا البر وكفروا عن إيمانكم، والله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٣٧﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ

- تحريم النكاح بين المسلمين والمشركين، وذلك لُبُّد ما بين الشرك والإيمان.
- دلت الآية على اشتراط الولي عند عقد النكاح؛ لأن الله تعالى خاطب الأولياء لما نهى عن تزويج المشركين.
- حث الشريعة على الطهارة الحسية من النجاسات والأقذار، والطهارة المعنوية من الشرك والمعاصي.
- ترغيب المؤمن في أن يكون نظره في أعماله - حتى ما يتعلق بالملاذات - إلى الدار الآخرة، فيقدم لنفسه ما ينفعه فيها.

﴿١٢٥﴾ لا يحاسبكم الله بسبب الإيمان التي تجري على ألسنتكم من غير قصد؛ كقول أحدكم: لا والله، وبلى والله، فلا كفارة عليكم ولا عقوبة في ذلك، ولكن يحاسبكم على ما قصدتموه من تلك الإيمان، والله غفور لذنوب عباده، حلیم لا يعاجلهم بالعقوبة.

﴿١٢٦﴾ للذين يحلفون على ترك جماع نسائهم انتظار مدة لا تزيد عن أربعة أشهر، ابتداء من حلفهم، وهو ما يعرف بالإيلاء، فإن رجعوا إلى جماع نسائهم بعد حلفهم على تركه في مدة أربعة أشهر فما دون، فإن الله غفور يغفر لهم ما حصل منهم، ورحيم بهم حيث شرع الكفارة مخرجاً من هذا الميكن.

﴿١٢٧﴾ وإن قصدوا الطلاق باستمرارهم على ترك جماع نسائهم وعدم الرجوع إليه فإن الله سمیع لأقوالهم التي منها الطلاق، عليهم بأحوالهم ومقاصدهم، وسيجازيهم عليها.

﴿١٢٨﴾ والمطلقات ينتظرن بأنفسهن ثلاث حيض لا يتزوجن خلالها، ولا يجوز لهن أن يخفن ما خلق الله في أرحامهن من الحمل، إن كن صادقات في الإيمان بالله واليوم الآخر، وأزواجهن المطلقون لهن أحق بمراجعتهن في مدة العدة، إن قصدوا بالمراجعة الألفة وإزالة ما وقع بسبب الطلاق، وللزوجات من الحقوق والواجبات مثل الذي لأزواجهن عليهن بما تعارف عليه الناس، وللرجال درجة أعلى عليهن، من القوامة وأمر الطلاق، والله عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في شرعه وتديبه.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٢٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَضُّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ وَإِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَضَّنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعَوِّثُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢٩﴾ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٠﴾

﴿١٢٥﴾ الطلاق الذي يمتلك فيه الزوج الرجعة طلقان، بأن يطلق، ثم يراجع، ثم يطلق، ثم يراجع، ثم بعد الطلقتين إما أن يمسكها في عصمتها مع المعاشرة بالمعروف، أو يطلقها الثالثة مع الإحسان إليها وأداء حقوقها، ولا يجزى لكم - أيها الأزواج - أن تأخذوا مما دفعتم إلى زوجاتكم من المهر شيئاً، إلا أن تكون المرأة كارهة لزوجها بسبب خلقه أو خلقه، ويظن الزوجان بسبب هذا الكره عدم وفائهما بما عليهما من الحقوق، فليعرضا أمرهما على من له بهما صلة قرابة أو غيرها، فإن خاف الأولياء عدم قيامهما بالحقوق الزوجية بينهما، فلا حرج عليهما أن تخلع المرأة نفسها بمال تدفعه لزوجها مقابل طلاقها. تلك الأحكام الشرعية هي الفاصلة بين الحلال والحرام، فلا تتجاوزوها، ومن يتجاوز حدود الله بين الحلال والحرام؛ فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك، وتعرضها لغضب الله وعقابه.

﴿١٢٦﴾ فإن طلقها زوجها طليقة ثالثة لم يحل له نكاحها من جديد حتى تتزوج رجلاً غيره زوجاً صحيحاً لرغبة لا لقصد التحليل، ويجامعها في هذا النكاح، فإن طلقها الزوج الثاني أو توفي عنها؛ فلا إثم على المرأة وزوجها الأول أن يتراجعا بعقد ومهر جديدين، إن غلب على ظنهما أنهما يقومان بما يلزمهما من الأحكام الشرعية، وتلك الأحكام الشرعية يبينها الله لأناس يعلمون أحكامه وحدوده؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها.

﴿١٢٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- يبين الله تعالى أحكام النكاح والطلاق بياناً شاملاً حتى يعرف الناس حدود الحلال والحرام فلا يتجاوزوها.
- عظم الله شأن النكاح وحرم التلاعب فيه بالألفاظ فجعلها ملزمة، وألغى التلاعب بكثرة الطلاق والرجعة فجعل لها حداً بطلقتين رجعتين ثم تحرم عليه إلا أن تنكح زوجاً غيره ثم يطلقها.
- المعاشرة الزوجية تكون بالمعروف، فإن تعدر ذلك فلا بأس من الطلاق، ولا حرج على أحد الزوجين أن يطلبه.

(١٣٦) وإذا طلقتم نساءكم فقاربن انتهاء عدتهن؛ فلكم أن تُراجعوهن أو تتركوهن بالمعروف دون رجعة حتى تنقضي عدتهن، ولا تُراجعوهن لأجل الاعتداء عليهن والإضرار بهن كما كان يُفعل في الجاهلية، ومن يفعل ذلك بقصد الإضرار بهن؛ فقد ظلم نفسه بتعريضها للإثم والعقوبة، ولا تجعلوا آيات الله محل استهزاء بالتلاعب بها والتجروء عليها، واذكروا نعم الله عليكم، ومن أعظمها ما أنزل عليكم من القرآن والسنة، يذكركم بهذا ترغيباً لكم وترهيباً، وخافوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم بأعمالكم.

﴿٣٣﴾ وإذا طلقتم نساءكم أقبل من ثلاث طلاقات، وانتهت عدتهن، فلا تمنعهن - أيها الأولياء - حينئذ من العودة إلى أزواجهن بعقد ونكاح جديد إذا رغبن في ذلك، وتراضين مع أزواجهن عليه، ذلك الحكم المتضمن النهي عن منعهن يُدْكر به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر، ذلكم أكثر نماء للخير فيكم، وأشدُّ طُهرًا لأعراضكم وأعمالكم من الأنداس، والله يعلم حقائق الأمور وعواقبها وأنتم لا تعلمون ذلك.

والوالدات يرضعن أولادهن
سنتين كاملتين، ذلك التحديد بسنتين

لمن قصد إكمال مدة الرضاعة، وعلى
تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع
يتخذ الولد وسيلة لإضرار للآخر، وعلى
من الحقوق. فإن أراد الأبوان فطام الولد
وتراضيهما على ما فيه مصلحة المولود،
سلمتم ما اتفقتم عليه مع المرضعة من أ
نواهي، واعلموا أن الله بما تعملون بصير

● مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ :

- نهى الرجال عن ظلم النساء سواء كان بِعَصْلِ مَوْلِيَّتِهِ عن الزواج، أو إجبارها على ما لا تريد.
- حَفِظَ الشرع للأم حق الرضاع، وإن كانت مطلقة من زوجها، وعليه أن ينفق عليها ما دامت ترضع ولده.
- نهى الله تعالى الزوجين عن اتخاذ الأولاد وسيلة يقصد بها أحدهما الإضرار بالآخر.
- الحث على أن تكون كل الشؤون المتعلقة بالحياة الزوجية مبنية على التشاور والتراضي بين الزوجين.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّلتَّعَدُّ وَأَمَّن
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا عَآيَتِ اللَّهِ هُزُولًا
وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالحِكْمَةِ
يُعْظَمُ بِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمَلُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَإِذَا
طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ
أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ * وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا نُضَارُّ
وَالِدَةً بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ
أَرَادَ فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
أَرَدْتُمْ أَنْ تُسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا
أَتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمَلُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾

﴿٣٢٦﴾ والذين يموتون ويتركون وراءهم زوجات غير حوامل؛ ينتظرن بأنفسهن وجوبًا مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، يمتنعن فيها عن الخروج من بيت الزوج، وعن الزينة والزواج، فإذا انقضت هذه المدة؛ فلا إثم عليكم - أيها الأولياء - فيما فعلن بأنفسهن مما كان ممنوعًا عليهن في تلك المدة، على الوجه المعروف شرعًا وعرفًا، والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه شيء من ظاهركم وباطنكم، وسيجازيكم عليه.

﴿٣٢٧﴾ ولا إثم عليكم في التلميح بالرغبة في خطبة المعتدة من وفاة أو طلاق بائن، دون التصريح بالرغبة؛ كأن يقول: إذا انقضت عدتك فأخبريني، ولا إثم عليكم فيما أخفيتم في أنفسكم من الرغبة في نكاح المعتدة بعد انقضاء عدتها، علم الله أنكم ستذكروهن لشدة رغبتكم فيهن، فأباح لكم التلميح دون التصريح، واحذروا أن تتواعدوا سرًا على النكاح وهن في مدة العدة، إلا وفق المعروف من القول وهو التعريض، ولا تُبرموا عقد النكاح في زمن العدة، واعلموا أن الله يعلم ما تضمرونه في أنفسكم مما أباح لكم وحرم عليكم فاحذروه، ولا تخالفوا أمره، واعلموا أن الله غفور لمن تاب من عباده، حلیم لا يعاجل بالعقوبة.

وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا تَرَصُّنَ أَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٢٦﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٢٧﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعَا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٢٨﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَوَضُّفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٢٩﴾

﴿٣٢٦﴾ لا إثم عليكم إن طلقتم زوجاتكم اللاتي عقدتم عليهن قبل أن تجامعوهن وقبل أن توجبوا مهرًا محددًا لهن، فإذا طلقتموهن على هذه الحال فلا يجب لهن عليكم مهر، وإنما يجب إعطاؤهن شيئًا يمتنعن به، ويجبر كسر نفوسهن، بحسب الاستطاعة سواء كان مؤسعًا عليه كثير المال أو مضيقًا عليه قليل المال، وهذا العطاء حق ثابت على المحسنين في أفعالهم ومعاملاتهم.

﴿٣٢٧﴾ وإن طلقتم زوجاتكم اللاتي عقدتم عليهن قبل جماعهن وقد أوجبتم لهن مهرًا محددًا، فيجب عليكم دفع نصف المهر المسمى إليهن، إلا أن يسمح لكم عنه - إن كثر رشيدات - أو يسمح الأزواج أنفسهم ببذل المهر كاملاً لهن، وأن تتسامحوا في الحقوق بينكم أقرب إلى خشية الله وطاعته، ولا تتركوا - أيها الناس - تفضل بعضكم على بعض، والمسامحة في الحقوق، فإن الله بما تعملون بصير، فاجتهدوا في بذل المعروف لتنالوا ثواب الله عليه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- مشروعية العدة على من توفي عنها زوجها بأن تمتنع عن الزينة والزواج مدة أربعة أشهر وعشرة أيام.
- معرفة المؤمن باطلاع الله عليه تحمُّله على الحذر منه تعالى والوقوف عند حدوده.
- الحث على المعاملة بالمعروف بين الأزواج والأقارب، وأن يكون العفو والمسامحة أساس تعاملهم فيما بينهم.

(٢٣٨) حافظوا على الصلوات بأدائها تامة كما أمر الله، وحافظوا على الصلاة الوسطى بين الصلوات وهي صلاة العصر، وقوموا لله في صلاتكم مطيعين خاشعين.

(٢٣٩) فإن خفتهم من عدو ونحوه، فلم تقدرُوا على أدائها تامة فصلوا مشاة على أرجلكم أو راكبين على الإبل والخيول ونحوها، أو على أي صفة تقدرُونَ عليها، فإذا زال الخوف عنكم فاذكروا الله كما علمكم، ومنه ذكره في الصلاة على كمالها وتمامها، واذكروه أيضًا لتعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمونه من النور والهدى.

(٢٤٠) والذين يموتون منكم ويتركون وراءهم أزواجًا عليهم أن يوصوا لهم بأن يمتنعن بالسكنى والنفقة عامًا كاملاً لا يُخرجهن ورثتهن؛ جبرًا لهم لما أصابهن، ووفاء للميت، فإن خرجن قبل إكمال العام من تلقاء أنفسهن فلا إثم عليكم ولا عليهن فيما فعلن في أنفسهن من التزين والتطيب، والله عزيز لا غالب له، حكيم في تدبيره وشرعه وقدره. هذا وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن حكم هذه الآية منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤَقِّتُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

(٢٤١) وللمطلقات متاع يمتنعن به من كسوة أو مال أو غير ذلك، جبرًا لخواطرهن المنكسرة بالطلاق، وفق المعروف من

مراعاة حال الزوج من قلة أو كثرة، وهذا الحكم حق ثابت على المتقين لله تعالى بامثال أمره واجتناب نهيهِ.

(٢٤٢) مثل ذلك البيان السابق يبين الله لكم - أيها المؤمنون - آياته المشتملة على حدوده وأحكامه؛ لعلكم تعقلونها وتعملون بها، فتتألون الخير في الدنيا والآخرة.

(٢٤٣) ألم يبلغ علمك - أيها النبي - خبر الذين خرجوا من بيوتهم وهم خلق كثير خوفًا من الموت بسبب الوباء أو غيره، وهم طائفة من بني إسرائيل، فقال لهم الله: موتوا فماتوا، ثم أعادهم أحياء، ليبين لهم أن الأمر كله بيده سبحانه، وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفقًا ولا ضرًا، إن الله لذو عطاء وفضل على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه.

(٢٤٤) وقاتلوا - أيها المؤمنون - أعداء الله، نصره لدينه ورفعة لكلمته، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

(٢٤٥) من ذا الذي يعمل عمل المقرض، فينفق ماله في سبيل الله بنية حسنة ونفس طيبة، ليعود عليه أضعافًا كثيرة، والله يضيِّق في الرزق والصحة وغيرها، ويوسع في ذلك كله بحكمته وعدله، وإليه وحده ترجعون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم.

● مِنْ قَوْلِهَا لَا يَأْتِي،

- الحث على المحافظة على الصلاة وأدائها تامة الأركان والشروط، فإن شق عليه صلى على ما تيسر له من الحال.
- رحمة الله تعالى بعباده ظاهرة، فقد بين لهم آياته أتم بيان للإفادة منها.
- أن الله تعالى قد يتبلي بعض عباده فيضيِّق عليهم الرزق، ويتبلي آخرين بسعة الرزق، وله في ذلك الحكمة البالغة.

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَقَّاتُ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأُضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ
 قَالُوا لِلنَّبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 قَالِ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا
 قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
 مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ
 نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
 قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ
 بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
 اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ
 وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٧﴾
 وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
 التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
 تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾

٤٠

﴿١٢٦﴾ ألم يبلغ علمك - أيها النبي - خبر
 الأشراف من بني إسرائيل بعد زمن
 موسى عليه السلام، حين قالوا لنبي لهم: أقم
 لنا ملكًا نقاتل معه في سبيل الله، فقال
 لهم نبيهم: لعلمك إن فرض الله عليكم
 القتال ألا تقاتلوا في سبيل الله! قالوا
 منكرين ظنه فيهم: أي مانع يمنعنا من
 القتال في سبيل الله مع وجود ما
 يقتضي ذلك منا؟ فقد أخرجنا أعداؤنا
 من أوطاننا، وأسروا أبناءنا، فنقاتل
 لاستعادة أوطاننا وتخليص أسرارنا،
 فلما فرض الله عليهم القتال أعرضوا إذ
 لم يوفقوا بما وعدوا به إلا قلة منهم،
 والله عليم بالظالمين المعرضين عن
 أمره، الناقضين لعهد، وسيجازيهم
 على ذلك.

﴿١٢٧﴾ وقال لهم نبيهم: إن الله قد أقام
 لكم طالوت ملكًا عليكم لثقاتلوا تحت
 رايته، قال أشرافهم مستنكرين هذا
 الاختيار ومعترضين عليه: كيف يكون
 له الملك علينا، ونحن أولى بالملك
 منه؛ إذ لم يكن من أبناء الملوك، ولم
 يُعْطَ مالًا واسعًا يستعين به على
 الملك؟! قال لهم نبيهم: إن الله اختاره
 عليكم، وزاده عليكم سعة في العلم
 وقوة في الجسم، والله يؤتي ملكه من
 يشاء بحكمته ورحمته، والله واسع
 الفضل يعطي من يشاء، عليم بمن
 يستحقه من خلقه.

﴿١٢٨﴾ وقال لهم نبيهم: إن علامة صدق

اختياره ملكًا عليكم؛ أن يُرَدَّ الله عليكم التابوت - وكان صندوقًا يعظمه بنو إسرائيل أخذ منهم - فيه طمأنينة
 تصاحبه، وفيه بقايا مما تركه آل موسى وآل هارون، مثل العصا، وبعض من الألواح، إن في ذلك لعلامة بينة لكم
 إن كنتم مؤمنين حقًا.

﴿١٢٩﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- التنبيه إلى أهم صفات القائد التي تؤهله لقيادة الناس؛ وهي العلم بما يكون قائدًا فيه، والقوة عليه.
- إرشاد من يتولى قيادة الناس إلى ألا يغتر بأقوالهم حتى يبلوهم، ويختبر أفعالهم بعد أقوالهم.
- أن الاعتبار التي قد تشتهر بين الناس في وزن الآخرين والحكم عليهم قد لا تكون هي الموازين الصحيحة عند الله تعالى، بل هو سبحانه يصطفي من يشاء من خلقه بحكمته وعلمه.

(٢٤٨) فلما خرج طالوت بالجنود عن البلد قال لهم: إن الله مخبركم بنهر، فمن شرب منه فليس على طريقي، ولا يصاحبني في قتال، ومن لم يشرب منه فإنه على طريقي، ويصاحبني في القتال، إلا من اضطر فشرب مقدار غرفة بكف يده فلا شيء عليه، فشرب الجنود إلا قليلاً منهم صبروا على عدم الشرب مع شدة العطش، فلما جاوز طالوت النهر هو والمؤمنون معه، قال بعض جنوده: لا قدرة لنا اليوم على قتال جالوت وجنوده، وعندئذ قال الذين يوقنون أنهم ملائكة الله يوم القيامة: كم من طائفة مؤمنة قليلة العدد غلبت طائفة كافرة كثيرة العدد بإذن الله وعونه، فالعبرة في النصر بالإيمان لا بالكمرة، والله مع الصابرين من عباده يؤيدهم وينصرهم.

﴿١٥﴾ ولما خرجوا ظاهرين لجالوت وجنوده توجهوا إلى الله بالدعاء قائلين: ربنا صَبِّ على قلوبنا الصبر صَبًّا، وثبت أقدامنا حتى لا نَفِرَ ولا ننْهزم أمام عدونا، وانصرنا بقوتك وتأييدك على القوم الكافرين.

(١٥١) فهزموهم بإذن الله، وقتل داودُ
فائِذَهُمْ جالوت، وآتاه الله الملكَ
والنِّبوةَ، وعلمه مما يشاء من أنواع
العلوم. فجمع له بين ما يصلح الدنيا
والآخرة. ولولا أن من سُنَّةِ الله أن يردَّ
بعض الناس فساد بعضهم؛ لفسدت

الأرض بتسلط المفسدين فيها، ولكن الله ﴿٢٥٢﴾ تلك آيات الله الواضحة البينة نتلوها وإنك لمن المرسلين من رب العالمين.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ :

- من حكمة القائد أن يُعرّض جيشه لأنواع الاختبارات التي يتميز بها جنوده ويعرف الثابت من غيره.
- العبرة في النصر ليست بمجرد كثرة العدد والعدة فقط، وإنما معونة الله وتوفيقه أعظم الأسباب للنصر والظفر.
- لا يثبت عند الفتن والشدائد إلا من عَمَرَ اليقينُ بالله قلوبهم، فمثل أولئك يصبرون عند كل محنة، ويثبتون عند كل بلاء.
- الضراعة إلى الله تعالى بقلب صادق متعلق به من أعظم أسباب إجابة الدعاء، ولا سيما في مواطن القتال.
- من سُنَّة الله تعالى وحكمته أن يدفع شر بعض الخلق وفسادهم في الأرض ببعضهم.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ أَغْرَفَ عُرْفَهُ بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ
إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا
عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

﴿٢٢٨﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلَّ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٢٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۚ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣٠﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٣١﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣٢﴾

﴿٢٢٨﴾ أولئك الرسل الذين ذكرناهم لك، فضَّلنا بعضهم على بعض في الوحي والاتباع والدرجات، منهم من كَلَّمه الله مثل موسى ﷺ، ومنهم من رفعه درجات عالية مثل محمد ﷺ؛ إذ أُرسل للناس كلهم، وَخُتِمَتْ به النبوة، وَفُضِّلَتْ أُمته على الأمم، وَآتَيْنَا عيسى بن مريم المعجزات الواضحات الدالة على نبوته؛ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وأيدناه بجبريل ﷺ ثَقْوِيَّةً له على القيام بأمر الله تعالى. ولو شاء الله ما أَفْتَقَلَّ الذين جاؤوا من بعد الرسل من بعد ما جاءهم الآيات الواضحة، ولكن اختلفوا فانقسموا؛ فمِنْهُمْ من آمَن بالله، ومنهم من كفر به، ولو شاء الله ألا يقتلوا ما أقتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد، فيهدي من يشاء إلى الإيمان برحمته وفضله، ويضل من يشاء بعدله وحكمته.

﴿٢٢٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أنفقوا مما رزقناكم من مُختلف الأموال الحلال، من قبل أن يأتي يوم القيامة، حينئذ لا يَبِيعُ فيه يكتسب منه الإنسان ما ينفعه، ولا صداقة تنفعه في وقت الشدة، ولا وساطة تدفع ضرراً أو تجلب نفعا إلا بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، والكافرون هم الظالمون حقاً لكفرهم بالله تعالى.

﴿٢٣٠﴾ الله الذي لا إِلَهَ يُعبد بحق إلا هو وحده دون سواه، الحي حياة كاملة لا موت فيها ولا نقص، القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قامت جميع المخلوقات فلا تستغني عنه في كل أحوالها، لا يأخذه نعاس ولا نوم؛ لكمال حياته وقيوميته، له وحده ملك ما في السموات وما في الأرض، لا يملك أحد أن يشفع عنده لأحد إلا بعد إذنه ورضاه، يعلم ما مضى من أمور خلقه مما وقع، وما يستقبلونه مما لم يقع، ولا يحيطون بشيء من علمه تعالى إلا بما شاء أن يطلعهم عليه، أحاط كرسيه - وهو: موضع قَدَمِي الرب - بالسموات والأرض على سَعَتَيْهِمَا وَعَظُمَتُهُمَا، وَلَا يُثْقَلُهُ أو يشق عليه حفظهما، وهو العليُّ بذاته وَقَدْرُهُ وَقَهْرُهُ، العظيم في ملكه وسلطانه.

﴿٢٣١﴾ لا إكراه لأحد على الدخول في دين الإسلام؛ لأنه الدين الحق البين فلا حاجة به إلى إكراه أحد عليه، قد تميز الرُّشد من الضلال، فمن يكفر بكل ما يعبد من دون الله ويتبرأ منها، ويؤمن بالله وحده؛ فقد استمسك من الدين بأقوى سبب لا ينقطع لنجاة يوم القيامة، والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٢٣٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• أن الله تعالى قد فاضل بين رسله وأنبياؤه، بعلمه وحكمته سبحانه.

• إثبات صفة الكلام لله تعالى على ما يليق بجلاله، وأنه قد كَلَّمَ بعض رسله كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

• الإيمان والهدى والكفر والضلال كلها بمشيئة الله وتقديره، فله الحكمة البالغة، ولو شاء لهدى الخلق جميعاً.

• آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، لما تضمنته من ربوبية الله وألوهيته وبيان أوصافه ﷻ.

• اتباع الإسلام والدخول فيه يجب أن يكون عن رضا وقبول، فلا إكراه في دين الله تعالى.

• الاستمسك بكتاب الله وسُنَّة رسوله أعظم وسيلة للسعادة في الدنيا، والفوز في الآخرة.

﴿٢٥٧﴾ الله يتولى الذين آمنوا به، يوفقهم وينصرهم، ويخرجهم من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، والذين كفروا أولياؤهم الأنداد والأوثان، الذين زينوا لهم الكفر، فأخرجوهم من نور الإيمان والعلم إلى ظلمات الكفر والجهل، أولئك أصحاب النار هم فيها ماكثون أبداً. ولما ذكر الله الفريقين ضرب مثالين على الفريقين فقال:

﴿٢٥٨﴾ هل رأيت - أيها النبي - أعجب من جراءة الطاغية الذي جادل إبراهيم عليه السلام في ربوبية الله وتوحيده، وقد وقع منه ذلك لأن الله أتاه الملك فطنى، فبين له إبراهيم صفات ربه قائلاً: ربي الذي يحيي الخلائق ويُميتُها، قال الطاغية عناداً: أنا أحيي وأميت بأن أقتل من أشاء وأعفو عمن أشاء، فأتاه إبراهيم عليه السلام بحجة أخرى أعظم، قال له: إن ربي الذي أعبد يأتي بالشمس من جهة المشرق، فأت بها أنت من جهة المغرب، فما كان من الطاغية إلا أن تحير وانقطع، وغلب من قوة الحجة، والله لا يوفق الظالمين لسلوك سبيله؛ لظلمهم وطمعهم.

﴿٢٥٩﴾ أو هل رأيت مثل الذي مَرَّ على قرية سقطت سقوفها، وتهدمت جدرانها، وهلك سكانها، فأصبحت موحشة مُقفرة، قال هذا الرجل

اللَّهُ وَلِىُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ءَٰوَلِيَآؤُهُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۚ ءَٰوَلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِيبِهِ أَنِ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىْ ٱلَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَاْ أَحْيِى ۖ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَٰوِيَةَ عَلَىٰ غُرُوشِهَآ قَالِىُّ يُحْيِى ۖ هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَآ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ۖ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَىٰ ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهُآ لِحِمَآءً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ۖ وَقَالَ ءَعْلَمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

متعجباً: كيف يحيي الله أهل هذه القرية بعد موتها؟! فأماته الله مدة مئة عام، ثم أحياه، وسأله فقال له: كم مكثت ميتاً؟ قال مجيباً: مكثت مدة يوم أو بعض يوم. قال له: بل مكثت مئة سنة تامة، فانظر إلى ما كان معك من الطعام والشراب، فما هو ذا باق على حاله لم يتغير، مع أن أسرع ما يصيبه التغير الطعام والشراب، وانظر إلى حمارك الميت، ولنجعلك علامة بينة للناس دالة على قدرة الله على بعثهم، فانظر إلى عظام حمارك التي تفرقت وتباعدت، كيف نرفعها ونضم بعضها إلى بعض، ثم نكسوها بعد ذلك اللحم، ونعيد فيها الحياة، فلما رأى ذلك تبين له حقيقة الأمر، وعلم قدرة الله، فقال معترفاً بذلك: أعلم أن الله على كل شيء قدير.

﴿٢٦٠﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- من أعظم ما يميز أهل الإيمان أنهم على هدى وبصيرة من الله تعالى في كل شؤونهم الدينية والدنيوية، بخلاف أهل الكفر.
- من أعظم أسباب الطغيان الغرور بالقوة والسلطان حتى يعمى المرء عن حقيقة حاله.
- مشروعية مناظرة أهل الباطل لبيان الحق، وكشف ضلالهم عن الهدى.
- عظم قدرة الله تعالى؛ فلا يُعْجزُه شيء، ومن ذلك إحياء الموتى.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُطْمِئِنَّ قُلُوبُكَ فَإِذْ أَخَذَ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلَ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعَاهُنَّ يَا بُنَيَّ سَعِيًّا وَاعْلَمْ أَنَّهُ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَذَكَّرُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٠﴾

٤٤

﴿٣٦﴾ واذكر - أيها النبي - حين قال إبراهيم عليه السلام: يا رب أرني ببصري كيف يكون إحياء الموتى؟ قال له الله: أولم تؤمن بهذا الأمر؟ قال إبراهيم: بلى قد أمنت، ولكن زيادة في طمأنينة قلبي، فأمره الله وقال له: خذ أربعة من الطير، فاضممهن إليك وقطعهن، ثم اجعل على كل جبل من الجبال التي حولك جزءاً منهن، ثم نادهن بأتيك سعياً فوجدت أن الله عز وجل في ملكه، حكيم في أمره وشرعه وخلقه.

﴿٣٧﴾ مثل ثواب المؤمنين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة يضعها الزارع في أرض طيبة فتنبت سبع سنابل، في كل سنبلة منها مئة حبة، والله يضاعف الثواب لمن يشاء من عباده، فيعطيه أجرهم دون حساب، والله واسع الفضل والعطاء، عليم بمن يستحق المضاعفة.

﴿٣٨﴾ الذين يبذلون أموالهم في طاعة الله ومرضاته، ثم لا يثبعلون بذلهم بما يبطل ثوابه من المن على الناس بالقول أو الفعل، لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما مضى لعظم نعيمهم.

﴿٣٩﴾ قول كريم تدخل به السرور على قلب مؤمن، وعفو عمن أساء إليك؛ أفضل من صدقة يتبعها إيذاء بالمن.

على المتصدق عليه، والله غني عن عباده، حليم لا يعاجلهم بالعقوبة.

﴿٤٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تفسدوا ثواب صدقاتكم بالمن على المتصدق عليه وإيذائه، فإن مثل من يفعل ذلك مثل الذي يبذل أمواله بقصد أن يراه الناس ويمدحوه، وهو كافر لا يؤمن بالله ولا بيوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب، فمثل هذا مثل حجر أملس فوقه تراب، فأصاب ذلك الحجر مطر غزير، فأزاح التراب عن الحجر وتركه أملس لا شيء عليه، فكذلك المراءون يذهب ثواب أعمالهم ونفقاتهم ولا يبقى منها عند الله شيء، والله لا يهدي الكافرين إلى ما يرضيه تعالى وينفعهم في أعمالهم ونفقاتهم.

﴿٤١﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- مراتب الإيمان بالله ومنازل اليقين به متفاوتة لا حد لها، وكلما ازداد العبد نظراً في آيات الله الشرعية والكونية زاد إيمانه و يقينه.
- بعث الله تعالى للخلق بعد موتهم دليل ظاهر على كمال قدرته وتعام عظمته سبحانه.
- فضل الإنفاق في سبيل الله وعظم ثوابه، إذا صاحبه النية الصالحة، ولم يلحقه أذى ولا مئة محبطة للعمل.
- من أحسن ما يقدمه المرء للناس حسن الخلق من قول وفعل حسن، وعفو عن سيء.

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ
وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَقَاتَتْ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٣٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ
جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ
فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ
ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣٦﴾ يَأَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِمَّا أَخْرَجْنَا
لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ
وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَمِيدٌ ﴿١٣٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ
وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
﴿١٣٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٣٩﴾

٤٥

﴿١٣٥﴾ ومثل المؤمنين الذين يبذلون أموالهم طلباً لرضوان الله، مطمئنة أنفسهم بصدق وعد الله غير مكرهه، كمثل بستان على مكان مرتفع طيب، أصابه مطر غزير، فأتج ثمرًا مضاعفًا، فإن لم يصبه مطر غزير أصابه مطر خفيف فاكفى به لطيب أرضه، وكذلك نفقات المخلصين يقبلها الله ويضاعف أجرها وإن كانت قليلة، والله بما تعملون بصير، فلا يخفى عليه حال المخلصين والمراتين، وسيجازي كلًا بما يستحق.

ثم ضرب تعالى مثالًا يصور به حال المنفق ماله رياء فقال:

﴿١٣٦﴾ أيرغب أحدكم في أن يكون له بستان فيه نخل وعنب تجري في خلاله المياه العذبة، له فيه من كل أنواع الثمرات الطيبة، وأصاب صاحبه الكبر فأصبح شيخًا لا يقدر على العمل والكسب، وله أبناء صغار ضعفاء لا يستطيعون العمل، فأصاب البستان ريحٌ شديدة فيها نارٌ شديدة، فاحترق البستان كله، وهو أحوج ما يكون إليه لكبره وضعف ذريته؟! فحال المنفق ماله رياء للناس مثل هذا الرجل؛ يرد على الله يوم القيامة بلا حسنة، في وقت هو أشد ما يكون حاجة لها. مثل هذا البيان يبين الله لكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون فيه.

﴿١٣٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا

رسوله، أنفقوا من المال الحلال الطيب الذي كسبتموه، وأنفقوا مما أخرجنا لكم من نبات الأرض، ولا تقصدوا إلى الرديء منه فتنفقوه، ولو أعطي لكم ما أخذتموه إلا إذا تفاضلتم عنه مكرهين على رداءته، فكيف ترضون لله ما لا ترضون لأنفسكم؟! واعلموا أن الله غني عن نفقاتكم، محمود في ذاته وأفعاله.

ولما أمرهم بإنفاق الطيب حذرهم من كيد الشيطان ووساوسه، فقال:

﴿١٣٨﴾ الشيطان يخوفكم من الفقر، ويحثكم على البخل، ويدعوكم إلى ارتكاب الآثام والمعاصي، والله يعدكم مغفرة عظيمة لذنوبكم، ورزقًا واسعًا، والله واسع الفضل، عليم بأحوال عباده.

﴿١٣٩﴾ يؤتي السداد في القول والإصابة في العمل من يشاء من عباده، ومن يعط ذلك فقد أعطي خيرًا كثيرًا، ولا يذكر ويتعظ بآيات الله إلا أصحاب العقول الكاملة التي تستضيء بنوره، وتهتدي بهديه.

﴿١﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- المؤمنون بالله تعالى حقًا واثقون من وعد الله وثوابه، فهم ينفقون أموالهم ويبذلون بلا خوف ولا حزن ولا التفات إلى وساوس الشيطان كالتخوف بالفقر والحاجة.
- الإخلاص من أعظم ما يبارك الأعمال وينميها.
- أعظم الناس خسارة من يراي بعمله الناس؛ لأنه ليس له من ثواب على عمله إلا مدحهم وثناؤهم.

﴿٢٧٥﴾ وما أنفقتم من نفقة قليلة كانت أو كثيرة ابتغاء مرضاة الله، أو التزمتم فعل طاعة الله من عند أنفسكم لم تكلفوا بها؛ فإن الله يعلم ذلك كله، فلا يضيع عنده شيء منه، وسيجازيكم عليه أعظم الجزاء، وليس للظالمين المانعين لما يجب عليهم، المتعدين لحدود الله، أنصاراً يدفعون عنهم عذاب يوم القيامة.

﴿٢٧٦﴾ إن تظاهروا ما تبذلون من الصدقة بالمال فتُنعَم الصدقة صدقتكم، وإن تخفوها وتعطوها الفقراء فهو خير لكم من إظهارها؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص. وفي صدقات المخلصين ستر لذنوبهم ومغفرة لها، والله بما تعملون خبير، فلا يخفى عليه شيء من أحوالكم.

﴿٢٧٧﴾ ليس عليك - أيها النبي - هدايتهم لقبول الحق والانقياد له وحملهم عليه، وإنما تجب عليك دلالتهم إلى الحق وتعريفهم به، فإن التوفيق للحق والهداية إليه بيد الله، وهو يهدي من يشاء. وما تنفقوا من خير فنفعه عائد إليكم؛ لأن الله غني عنه، ولتكن نفقتكم خالصة لله، فالمؤمنون حقاً لا ينفقون إلا طلباً لمرضاة الله، وما تنفقوا من خير قليلاً كان أو كثيراً فإنكم تُعطون ثوابه تاماً غير منقوص، فإن الله لا يظلم أحداً.

ولما ذكر الإنفاق في سبيله ودعا

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٥﴾ إِنْ تَبْذُؤْا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْوَاهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧٦﴾ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۖ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ ۖ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۖ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ ۗ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا ۚ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٨﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٩﴾

المؤمنين إليه بين لهم المصارف التي ينفقون فيها، فقال:

﴿٢٧٥﴾ اجعلوها للفقراء الذين منعهم الجهاد في سبيل الله من السفر طلباً للرزق، يظنهم الجاهل بحالهم أغنياء لتعففهم عن السؤال، ويعرفهم المطلع عليهم بعلاماتهم، من الحاجة الظاهرة على أجسامهم وثيابهم، ومن صفاتهم أنهم ليسوا كسائر الفقراء الذين يسألون الناس مُلْحِينَ في مسائلتهم، وما تنفقوا من مال وغيره فإن الله به عليم، وسيجازيكم عليه أعظم الجزاء.

﴿٢٧٦﴾ الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله في الليل والنهار، سرّاً وعلانية بلا رياء ولا سمعة، فلهم ثوابهم عند ربهم يوم القيامة، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمرهم، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا، فضلاً من الله ونعمة.

﴿٢٧٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- إذا أخلص المؤمن في نفقاته وصدقاته فلا حرج عليه في إظهارها وإخفائها بحسب المصلحة، وإن كان الإخفاء أعظم أجراً وثواباً لأنها أقرب للإخلاص.
- دعوة المؤمنين إلى الالتفات والعناية بالمحتاجين الذين تمنعهم العفة من إظهار حالهم وسؤال الناس.
- مشروعية الإنفاق في سبيل الله تعالى في كل وقت وحين، وعظم ثوابها، حيث وعد تعالى عليها بعظيم الأجر في الدنيا والآخرة.

ولمَّا رَغِبَ تَعَالَى فِي الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّعَاوُنِ وَالتَّكَافُلِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ حَذَّرَ مِمَّا يَنَاقِضُ ذَلِكَ وَهُوَ الرِّبَا، فَقَالَ:

﴿٢٧٥﴾ الَّذِينَ يَتَعَامَلُونَ بِالرِّبَا وَيَأْخُذُونَ لَا يَقْرُمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَّا مِثْلَ مَا يَقْرُمُونَ الَّذِي بِهِ مَسَّ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَيَقْرُمُ مِنْ قَبْرِهِ يَخْبِطُ كَمَا يَخْبِطُ مَنْ بِهِ صَرَعٌ فِي قِيَامِهِ وَسُقُوطُهُ؛ ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنْهُمْ اسْتَحْلَوْا أَكْلَ الرِّبَا، وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ الرِّبَا وَبَيْنَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ مَكَاسِبِ الْبَيْعِ، فَقَالُوا: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا فِي كَوْنِهِ حَلَالًا، فَكُلُّهُمَا يُوْدِي إِلَى زِيَادَةِ الْمَالِ وَنَمَائِهِ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَبْطَلَ قِيَاسَهُمْ وَأَكْذَبَهُمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ تَعَالَى أَحْلَى الْبَيْعِ لِمَا فِيهِ مِنْ نَفْعٍ عَامٍ وَخَاصٍّ، وَحَرَّمَ الرِّبَا لِمَا فِيهِ مِنْ ظُلْمٍ وَأَكْلٍ لَأَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بِلَا مِقَابِلٍ، فَمِنْ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فِيهَا نَهْيٌ وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الرِّبَا، فَانْتَهَى عَنْهُ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ؛ فَلَهُ مَا مَضَى مِنْ أَخْذِهِ لِلرِّبَا لَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِيهِ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَمِنْ عَادَ إِلَى أَخْذِ الرِّبَا بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ النَّهْيُ مِنَ اللَّهِ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ؛ فَقَدْ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ وَالْخُلُودَ فِيهَا.

وهذا الخلود في النار المقصود به من أكل الربا مستحلًّا له أو المقصود به البقاء الطويل فيها، فإن الخلود الدائم فيها لا يكون إلا للكفار، أما أهل التوحيد فلا يخلدون فيها.

ولما ذكر الله الإنفاق في سبيله وأخذ الربا، بَيَّنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا فِي الْجِزَاءِ، فَقَالَ:

﴿٢٧٦﴾ يَهْلِكُ اللَّهُ الْمَالَ الرَّبَوِي وَيُذْهِبُهُ، إِمَّا حَسًّا يَتْلَفُهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ، أَوْ مَعْنَى بِنَزْعِ الْبَرَكَةِ مِنْهُ، وَبِزَيْدِ الصَّدَقَاتِ وَبِنَمِّيهِا بِمُضَاعَفَةِ ثَوَابِهَا، فَالْحَسَنَةُ بَعَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِثْثٍ ضَعْفٌ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَبِبَارِكِ فِي أَمْوَالِ الْمُتَصَدِّقِينَ، وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ كُلَّ مَنْ كَانَ كَافِرًا عَنِيدًا، مُسْتَحْلًا لِلْحَرَامِ، مُتَمَادِيًا فِي الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ.

﴿٢٧٧﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَأَدَّوْا الصَّلَاةَ تَامَةً عَلَى مَا شَرَعَ اللَّهُ، وَأَتَوْا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا؛ لَهُمْ ثَوَابُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا.

﴿٢٧٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، خَافُوا اللَّهَ أَنْ تَمَثَّلُوا أَوْامِرَهُ وَتَجْتَنِبُوا نَوَاهِيَهُ، وَاتْرَكُوا الْمَطَالِبَةَ بِمَا بَقِيَ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالٍ رَبَوِيَّةٍ عِنْدَ النَّاسِ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا بِاللَّهِ وَبِمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنَ الرِّبَا.

﴿٢٧٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَاعْمَلُوا وَاسْتَبِقُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ تَبْتِمَ إِلَى اللَّهِ وَتَرَكْتُمُ الرِّبَا فَلَكُمْ قَدْرُ مَا أَقْرَضْتُمْ مِنْ رُؤُوسِ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُظْلَمُونَ أَحَدًا بِأَخْذِ زِيَادَةٍ عَلَى رَأْسِ مَا لَكُمْ، وَلَا تُظْلَمُونَ بِالنَّقْصِ مِنْهَا.

﴿٢٨٠﴾ وَإِنْ كَانَ مِنْ تَطَالُوْنِهِ بِالَّذِينَ مَعْسَرًا لَا يَجِدُ سُدَادَ دِينِهِ، فَأَخْرَجُوا مَطَالِبَتَهُ إِلَى أَنْ يَتيسَّرَ لَهُ الْمَالُ، وَيَجِدَ مَا يَقْضِي بِهِ الدَّيْنَ، وَأَنْ تَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِ بِتَرْكِ الْمَطَالِبَةِ بِالَّذِينَ أَوْ إِسْقَاطِ بَعْضِهِ عَنْهُ، خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَضْلَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿٢٨١﴾ وَخَافُوا عَذَابَ يَوْمٍ تَرْجَعُونَ فِيهِ جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ، وَتَقْرُمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ تُعْطَى كُلُّ نَفْسٍ جِزَاءَ مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، لَا يُظْلَمُونَ بِنَقْصِ ثَوَابِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَا بِزِيَادَةِ الْعُقُوبَةِ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ.

﴿٢٨٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• مِنْ أَكْظَمِ الْكَبَائِرِ أَكْلُ الرِّبَا، وَلِهَذَا تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى أَكْلَهُ بِالْحَرْبِ وَبِالْمَحَقِّ فِي الدُّنْيَا وَالتَّخْطِطِ فِي الْآخِرَةِ.

• الْإِلْتِزَامُ بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ فِي الْمَعَامَلَاتِ الْمَالِيَةِ يَنْزِلُ الْبَرَكَةُ وَالنَّمَاءُ فِيهَا.

• فَضْلُ الصَّبْرِ عَلَى الْمَعْسَرِ، وَالتَّخْفِيفُ عَنْهُ بِالتَّصَدُّقِ عَلَيْهِ بِبَعْضِ الدَّيْنِ أَوْ كُلِّهِ.

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقْرُمُونَ إِلَّا كَمَا يَقْرُمُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمَحِقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيدُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

﴿٢٧٦﴾ يَهْلِكُ اللَّهُ الْمَالَ الرَّبَوِي وَيُذْهِبُهُ، إِمَّا حَسًّا يَتْلَفُهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ، أَوْ مَعْنَى بِنَزْعِ الْبَرَكَةِ مِنْهُ، وَبِزَيْدِ الصَّدَقَاتِ وَبِنَمِّيهِا بِمُضَاعَفَةِ ثَوَابِهَا، فَالْحَسَنَةُ بَعَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِثْثٍ ضَعْفٌ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَبِبَارِكِ فِي أَمْوَالِ الْمُتَصَدِّقِينَ، وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ كُلَّ مَنْ كَانَ كَافِرًا عَنِيدًا، مُسْتَحْلًا لِلْحَرَامِ، مُتَمَادِيًا فِي الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ.

﴿٢٧٧﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَأَدَّوْا الصَّلَاةَ تَامَةً عَلَى مَا شَرَعَ اللَّهُ، وَأَتَوْا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا؛ لَهُمْ ثَوَابُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أُمُورِهِمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا.

﴿٢٧٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، خَافُوا اللَّهَ أَنْ تَمَثَّلُوا أَوْامِرَهُ وَتَجْتَنِبُوا نَوَاهِيَهُ، وَاتْرَكُوا الْمَطَالِبَةَ بِمَا بَقِيَ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالٍ رَبَوِيَّةٍ عِنْدَ النَّاسِ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا بِاللَّهِ وَبِمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنَ الرِّبَا.

﴿٢٧٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَاعْمَلُوا وَاسْتَبِقُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ تَبْتِمَ إِلَى اللَّهِ وَتَرَكْتُمُ الرِّبَا فَلَكُمْ قَدْرُ مَا أَقْرَضْتُمْ مِنْ رُؤُوسِ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُظْلَمُونَ أَحَدًا بِأَخْذِ زِيَادَةٍ عَلَى رَأْسِ مَا لَكُمْ، وَلَا تُظْلَمُونَ بِالنَّقْصِ مِنْهَا.

﴿٢٨٠﴾ وَإِنْ كَانَ مِنْ تَطَالُوْنِهِ بِالَّذِينَ مَعْسَرًا لَا يَجِدُ سُدَادَ دِينِهِ، فَأَخْرَجُوا مَطَالِبَتَهُ إِلَى أَنْ يَتيسَّرَ لَهُ الْمَالُ، وَيَجِدَ مَا يَقْضِي بِهِ الدَّيْنَ، وَأَنْ تَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِ بِتَرْكِ الْمَطَالِبَةِ بِالَّذِينَ أَوْ إِسْقَاطِ بَعْضِهِ عَنْهُ، خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَضْلَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿٢٨١﴾ وَخَافُوا عَذَابَ يَوْمٍ تَرْجَعُونَ فِيهِ جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ، وَتَقْرُمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ تُعْطَى كُلُّ نَفْسٍ جِزَاءَ مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، لَا يُظْلَمُونَ بِنَقْصِ ثَوَابِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَا بِزِيَادَةِ الْعُقُوبَةِ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَنْ يُمْلِعَ لَهُ فَلَْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ
مِنْ رِّجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا
أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَكَاتِبُ
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَيَعْلَمْكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿٢٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا
رَسُولَهُ، إِذَا تَعَامَلْتُمْ بِالَّذِينَ، بِأَنْ دَايَنْ
بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِلَى مَدَّةٍ مُّحَدَّدَةٍ فَارْتَبُوا
ذَلِكَ الدَّيْنَ، وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ
بِالْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ الْمُوَافِقَ لِلشَّرْعِ، وَلَا
يَمْتَنِعُ الْكَاتِبُ أَنْ يَكْتُبَ الدَّيْنَ بِمَا
يُؤَافِقُ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابَةِ بِالْعَدْلِ،
فَلْيَكْتُبْ مَا يُؤْمِلُهُ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ،
حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ إِقْرَارًا مِنْهُ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ
رَبَّهُ، وَلَا يَنْقُصَ مِنَ الدَّيْنِ شَيْئًا فِي
قُدْرَةِ أَوْ نَوْعِهِ أَوْ كَيْفِيَّتِهِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي
عَلَيْهِ الْحَقُّ لَا يَحْسَنُ النَّصْرَ، أَوْ كَانَ
ضَعِيفًا لِّصَغَرِهِ أَوْ جُنُونِهِ، أَوْ كَانَ لَا
يَسْتَطِيعُ الْإِمْلَاءَ لِحَرَبِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ،
فَلْيُقِمْ بِالْإِمْلَاءِ عَنْهُ وَلِيُّهُ الْمَسْئُولُ عَنْهُ
بِالْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ. وَاطْلُبُوا شَهَادَةَ
رَجُلَيْنِ عَاقِلَيْنِ عَدْلَيْنِ، فَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ
رَجُلَانِ فَاسْتَشْهِدُوا رَجُلًا وَامْرَأَتَيْنِ
تَرْضَوْنَ دِينَهُمْ وَأَمَانَتَهُمْ، حَتَّى إِذَا
نَسِيتَ إِحْدَى الْمَرَاتَيْنِ ذَكَرْتَهَا أَخْتَهَا،
وَلَا يَمْتَنِعُ الشُّهُودُ إِذَا طُلِبَ مِنْهُمْ
الشَّهَادَةُ عَلَى الدَّيْنِ، وَعَلَيْهِمْ أَدَاؤُهَا
إِذَا دُعُوا لِذَلِكَ، وَلَا يُصَيِّمُكَ الْمَلَلُ مِنْ
كِتَابَةِ الدَّيْنِ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا إِلَى مَدَّتِهِ
الْمُحَدَّدَةِ، فَكِتَابَةُ الدَّيْنِ أَعْدَلُ فِي
شَرْعِ اللَّهِ، وَأَبْلَغُ فِي إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ
وَأَدَائِهَا، وَأَقْرَبُ إِلَى نَفْيِ الشَّكِّ فِي
نَوْعِ الدَّيْنِ وَمُقْدَارِهِ وَمَدَّتِهِ، إِلَّا إِذَا كَانَ
التَّعَاقُدُ بَيْنَكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ فِي سِلْعَةٍ
حَاضِرَةٍ وَثَمَنٍ حَاضِرٍ؛ فَلَا حَرَجَ فِي تَرْكِ

الكتابة حينئذ لعدم الحاجة إليها، ويشرع لكم الإشهاد منعا لأسباب النزاع، ولا يجوز لهم الإضرار بمن طلب كتابتهم أو شهادتهم، وإن يقع منكم الإضرار فإنه خروج عن طاعة الله إلى معصيته. وخافوا الله - أيها المؤمنون - بأن تمثلوا ما أمركم به، وتجتنبوا ما نهاكم عنه، ويعلمكم الله ما فيه صلاح دنياكم وآخرتكم، والله بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- مشروعية توثيق الدَّيْنِ وسائر المعاملات المالية دفعًا للاختلاف والتنازع.
- وجوب تسمية الأجل في جميع المديانات وأنواع الإجازات.
- ثبوت الولاية على القاصرين إما بسبب عجزهم، أو ضعف عقولهم، أو صغر سنهم.
- مشروعية الإشهاد على الإقرار بالديون والحقوق.
- أن من تمام الكتابة والعدل فيها أن يحسن الكاتب الإنشاء والألفاظ المعتبرة في كل معاملة بحسبها.
- لا يجوز الإضرار بأحد بسبب توثيق الحقوق وكتابتها، لا من جهة أصحاب الحقوق، ولا من جهة من يكتبه ويشهد عليه.

(٢٨١) وإن كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتبًا يكتب لكم وثيقة الدين، فيكفي أن يُعطي الذي عليه الحق رهناً يقبضه صاحب الحق، يكون ضماناً لحقه، إلى أن يقضي المدين ما عليه من دين، فإن وثق بعضكم ببعض لم تلزم كتابة ولا إشهاد ولا رهن، ويكون الدين حينئذ أمانة في ذمة المدين يجب عليه أدائه لدائنه، وعليه أن يتقي الله في هذه الأمانة فلا ينكر منها شيئاً، فإن أنكر كان على من شهد المعاملة أن يؤدي الشهادة، ولا يجوز له أن يكتمها، ومن يكتمها فإن قلبه قلب فاجر، والله بما تعملون عليم، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم على أعمالكم.

(٢٨٢) لله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً، وإن تظهروا ما في قلوبكم أو تخفوه يعلمه الله، وسيحاسبكم عليه، فيغفر بعد ذلك لمن يشاء فضلاً ورحمة، ويعذب من يشاء عدلاً وحكمة، والله على كل شيء قدير.

(٢٨٣) آمن الرسول محمد ﷺ بكل ما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون آمنوا كذلك، كلهم جميعاً آمنوا بالله، وآمنوا بجميع ملائكته، وجميع كتبه التي أنزلها على الأنبياء، وجميع رسله الذين أرسلهم، آمنوا بهم قائلين: لا نفرق بين أحد من رسل الله، وقالوا:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْكُمْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِّنَ الدِّينِ وَرَهِنٌ قَبْلَهُ وَلَا تَتَمَنَّوْاُ الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فإِنَّهُ إِثْمٌ قَبْلَهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٢٨٢﴾ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوْاْ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَآءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٨٣﴾ ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ كِتَابِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ٢٨٤﴾ ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ٢٨٥﴾

سمعنا ما أمرتنا به ونهيتنا عنه، وأطعناك بفعل ما أمرت به وترك ما نهيت عنه، ونسألك أن تغفر لنا يا ربنا، فإن مرجعنا إليك وحدك في كل شؤوننا.

(٢٨٤) لا يكلف الله نفساً إلا ما تطيق من الأعمال؛ لأن دين الله مبني على اليسر فلا مشقة فيه، فمن كسب خيراً فله ثواب ما عمل لا يُنقص منه شيء، ومن كسب شراً فعليه جزاء ما اكتسب من ذنب لا يحمله عنه غيره. وقال الرسول والمؤمنون: ربنا لا تعاقبنا إن نسينا أو أخطأنا في فعل أو قول بلا قصد منا، ربنا ولا تكلفنا ما يشق علينا ولا نطقة، كما كلفت من قبلنا ممن عاقبتهم على ظلمهم كاليهود، ولا تحمّلنا ما يشق علينا ولا نطقة من الأوامر والنواهي، وتجاوز عن ذنوبنا، واغفر لنا، وارحمنا بفضلك، أنت ولينا وناصرنا فانصرنا على القوم الكافرين.

(٢٨٥) من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- جواز أخذ الرهن لضمان الحقوق في حال عدم القدرة على توثيق الحق، إلا إذا وثق المتعاملون بعضهم ببعض.
- حرمة كتمان الشهادة وإثم من يكتمها ولا يؤديها.
- كمال علم الله تعالى وإطلاعه على خلقه، وقدرته التامة على حسابهم على ما اكتسبوا من أعمال.
- في الآية تقرير لأركان الإيمان وبيان لأصوله.
- قام هذا الدين على اليسر ورفع الحرج والمشقة عن العباد، فلا يكلفهم الله إلا ما يطيقون، ولا يحاسبهم على ما لا يستطيعون.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

— مَدِينَةٌ —

● من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
الثبات على الإسلام بعد كماله وبيانه، ورد
شبهات أهل الكتاب وخاصة النصارى.

● التَّفْسِيرُ:

هي سورة مدنية، سُمِّيَتْ سورة آل عمران لذكر
آل عمران فيها في الآية (٣٣) من السورة.

● الآية: هذه الحروف المقطعة تقدّم
نظيرها في سورة البقرة، وفيها إشارة إلى
عجز العرب عن الإنيان بمثل هذا القرآن مع
أنه مؤلف من مثل هذه الحروف التي بُدِئت
بها السورة، والتي يُركَّبون منها كلامهم.

● الآية: الله الذي لا إلهَ يعبد بحق إلا هو وحده
دون سواه، الحي حياة كاملة لا موت فيها
ولا نقص، القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى
عن جميع خلقه، وبه قامت جميع
المخلوقات فلا تستغني عنه في كل أحوالها.

● الآية: نزل عليك - أيها النبي - القرآن
بالصدق في الأخبار والعدل في
الأحكام، موافقاً لما سبقه من الكتب
الإلهية، فلا تعارض بينها، وأنزل
التوراة على موسى، والإنجيل على
عيسى عليه السلام من قبل تنزيل القرآن عليك،
وهذه الكتب الإلهية كلها هداية وإرشاد
للناس إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم،
وأنزل الفرقان الذي يعرف به الحق من
الباطل والهدى من الضلال. والذين
كفروا بآيات الله التي أنزلها عليك لهم
عذاب شديد. والله عزيز لا يُغالبه شيء،
ذو انتقام ممن كذب رسله وخالف أمره.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ١ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٢ مِنْ
قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ٣ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ٤ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ٥ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى
عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٦ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ
فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٧ هُوَ
الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ
الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ
مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ
إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ
رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَقْلُ الْأَلْبَابِ ٨ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ
إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ٩ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ١٠

٥٠

- إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قد أحاط علمه بالأشياء كلها ظاهرها وباطنها.
- هو الذي يخلقكم صوراً شتى في بطون أمهاتكم كيف يشاء، من ذكر أو أنثى، وحسن أو قبيح، وأبيض أو أسود، لا
معبود بحق غيره، العزيز الذي لا يُغالب، الحكيم في خلقه وتدبيره وشرعه.
- هو الذي أنزل عليك - أيها النبي - القرآن، منه آيات واضحة الدلالة، لا لبس فيها، هي أصل الكتاب ومعظمه،
وهي المرجع عند الاختلاف، ومنه آيات آخر محتملة لأكثر من معنى، يلتبس معناها على أكثر الناس، فأما الذين في
قلوبهم ميل عن الحق فيتركون المُحْكَم، ويأخذون بالمتشابه المُحْتَمَل؛ يبتغون بذلك إثارة الشبهة وإضلال الناس،
ويبتغون بذلك تأويلها بأهوائهم على ما يوافق مذاهبهم الفاسدة، ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات وعاقبتها التي تؤول
إليها إلا الله. والراسخون في العلم المتمكنون منه يقولون: آمنا بالقرآن كله؛ لأنه كله من عند ربنا، ويفسرون المتشابه
بما أحكم منه. وما يتذكر ويتعظ إلا أصحاب العقول السليمة.
- وهؤلاء الراسخون يقولون: ربنا لا نُؤْمِلُ قلوبنا عن الحق بعد أن هديتنا إليه، وسلّمنا مما أصاب المتحرفين المائلين عن
الحق، وهب لنا رحمة واسعة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتعصمنا بها من الضلال، إنك - يا ربنا - الوهاب كثير العطاء.
- ربنا إنك ستجمع الناس جميعاً إليك لحسابهم في يوم لا شك فيه، فهو آت لا محالة، إنك - يا ربنا - لا تخلف الميعاد.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أقام الله الحجة وقطع العذر عن الخلق بإرسال الرسل وإنزال الكتب التي تهدي للحق وتحذر من الباطل.
- كمال علم الله تعالى وإحاطته بخلقه، فلا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، سواء كان ظاهراً أو خفياً.
- من أصول أهل الإيمان الراسخين في العلم أن يفسموا ما تشابه من الآيات بما أحكم منها.
- مشروعية دعاء الله تعالى وسؤاله الثبات على الحق، والرشد في الأمر، ولا سيما عند الفتن والأهواء.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
 مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٦﴾ كَذَابٌ عَالِ
 فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ
 بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 سَعْتٌ غَلُوبٌ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾
 قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى
 الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِن فِي ذَلِكَ
 لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٩﴾ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ
 مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
 وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ
 مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿٢٠﴾ * قُلْ
 أُوتِيتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ
 جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
 مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢١﴾

٥١

﴿١٦﴾ إن الذين كفروا بالله ويرسله لن تمنع عنهم أموالهم ولا أولادهم عذاب الله، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأولئك المتصفون بتلك الصفات هم حطب جهنم الذي توقد به يوم القيامة.

﴿١٧﴾ وشأن هؤلاء الكافرين كشأن آل فرعون ومن قبلهم من الذين كفروا بالله وكذبوا بآياته، فعذبهم الله بسبب ذنوبهم، ولم تنفعهم أموالهم ولا أولادهم، والله شديد العقاب لمن كفر به، وكذب بآياته.

﴿١٨﴾ قل - أيها الرسول - للذين كفروا على اختلاف دياناتهم: سيغلبكم المؤمنون، وتموتون على الكفر، ويجمعكم الله إلى نار جهنم، وبئس الفراش لكم.

﴿١٩﴾ قد كان لكم دلالة وعبرة في فرقتين التقتا للقتال يوم بدر، إحداهما فرقة مؤمنة وهي رسول الله ﷺ وأصحابه، تقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، والأخرى فرقة كافرة وهم كفار مكة الذين خرجوا فخرًا ورياءً وعصبية، يراهم المؤمنون ضعفيهم حقيقة رأي عين، فنصر الله أوليائه، والله يؤيد بنصره من يشاء، إن في ذلك لعة لعبرة وعظة لأصحاب البصائر، ليعلموا أن النصر لأهل الإيمان وإن قلَّ عددهم، وأن الهزيمة لأهل الباطل وإن كثر عددهم.

﴿٢٠﴾ يخبر الله تعالى أنه حسن للناس - ابتلاء لهم - حب الشهوات الدنيوية: مثل النساء، والبنين، والأموال الكثيرة المجتمعة من الذهب والفضة، والخيول المعلقة الحسان، والأنعام من الإبل والبقر والغنم، وزراعة الأرض، ذلك متاع الحياة الدنيا يُتمتع به فترة ثم يزول، فلا ينبغي للمؤمن أن يتعلق به، والله عنده وحده حسن المرجع، وهو الجنة التي عرضها السماوات والأرض.

ولما كانت شهوات الدنيا منقطعة بآية الله إلى ما هو خير من ذلك فقال:

﴿٢١﴾ قل - أيها الرسول -: أخبركم بخير من تلك الشهوات؟ للذين اتقوا الله بفعل طاعته وترك معصيته جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها لا يدرکہم موت ولا فناء، ولهم فيها أزواج مطهرات من كل سوء في خلقتهم وأخلاقهم، ولهم مع ذلك رضوان من الله يحل عليهم فلا يسخط عليهم أبدًا، والله بصير بأحوال عباده، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيهم عليها.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن غرور الكفار بأموالهم وأولادهم لن يغنيهم يوم القيامة من عذاب الله تعالى إذا نزل بهم.
- النصر حقيقة لا يتعلق بمجرد العدد والمعدة، وإنما بتأييد الله تعالى وعونه.
- زين الله تعالى للناس أنواعًا من شهوات الدنيا ليتبليهم، وليعلم تعالى من يقف عند حدوده ممن يتعدها.
- كل نعيم الدنيا ولذاتها قليل زائل، لا يقاس بما في الآخرة من النعيم العظيم الذي لا يزول.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ
وَالْمُسْتَعْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ اللَّهِ لَا إِسْلَامَ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِعَايَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ
فَقُلْ أَسَأَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِّي فَقُلْ لِلَّذِينَ أُوْتُوا
الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسَأَمْتُ فَإِنْ أَسَأَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرُ الْعِبَادِ ﴿٢٠﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ
يَغْيَرُونَ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ
النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

٥٢

﴿١٦﴾ أهل الجنة هؤلاء هم الذين يقولون في دعائهم لربهم: ربنا إنا آمنة بك، وبما أنزلت على رسلك، واتبعنا شريعتك؛ فاغفر لنا ما ارتكبنا من ذنوب، وجننا عذاب النار.

﴿١٧﴾ وهم الصابرون على فعل الطاعات وترك السيئات، وعلى ما يصيبهم من البلاء، وهم الصادقون في أقوالهم وأعمالهم، وهم المطيعون لله طاعة تامة، وهم المنفقون أموالهم في سبيل الله، وهم المستغفرون آخر الليل؛ لأن الدعاء فيه أقرب للإجابة، ويخلو فيه القلب من الشواغل.

﴿١٨﴾ شهد الله على أنه هو الإله المعبود بحق دون سواه. وذلك بما أقام من الآيات الشرعية والكونية الدالة على ألوهيته، وشهد على ذلك الملائكة، وشهد أهل العلم على ذلك ببيانهم للتوحيد ودعوتهم إليه، فشهدوا على أعظم مشهود به وهو توحيد الله وقيامه تعالى بالعدل في خلقه وشرعه، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتدبيره وتشريعه.

﴿١٩﴾ إن الدين المقبول عند الله هو الإسلام، وهو الانقياد لله وحده بالطاعة والاستسلام له بالعبودية؛ والإيمان بالرسول جميعاً إلى خاتمهم محمد ﷺ، الذي ختم الله به الرسالات، فلا يقبل غير شريعته. وما

اختلف اليهود والنصارى في دينهم وافترقوا شيعاً وأحزاباً إلا من بعد ما قامت عليهم الحجة بما جاءهم من العلم، حسداً وحرصاً على الدنيا. ومن يكفر بآيات الله المنزلة على رسوله فإن الله سريع الحساب لمن كفر به وكذب رسله.

﴿٢٠﴾ فإن جادلوك - أيها الرسول - في الحق الذي نزل عليك، فقل مجيباً إياهم: أسلمت أنا ومن تبعني من المؤمنين لله تعالى، وقل - أيها الرسول - لأهل الكتاب والمشركين: أسلمتم لله تعالى مخلصين له متبعين لما جئت به؟ فإن أسلموا لله واتبعوا شريعتك فقد سلكوا سبيل الهدى، وإن أعرضوا عن الإسلام فليس عليك إلا أن تبلغهم ما أرسلت به، وأمرهم إلى الله، فهو تعالى بصير بعباده، وسيجازي كل عامل بما عمل.

﴿٢١﴾ إن الذين يكفرون بحجج الله التي أنزلها عليهم، ويقتلون أنبياءه بغير حق، وإنما ظلماً وعدواناً، ويقتلون الذين يأمرهم بالعدل من الناس، وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، بشر هؤلاء الكفار القتل العذاب أليم.

﴿٢٢﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات قد بطلت أعمالهم فلا ينتفعون بها في الدنيا ولا في الآخرة، لعدم إيمانهم بالله، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب.

• من قوايد الآيات،

- من أعظم ما يكفر الذنوب وبقي عذاب النار الإيمان بالله تعالى واتباع ما جاء به الرسول ﷺ.
- أعظم شهادة وحقيقة هي ألوهية الله تعالى، ولهذا شهد الله بها لنفسه، وشهد بها ملائكته، وشهد بها أولو العلم ممن خلق.
- البغي والحسد من أعظم أسباب النزاع والصرف عن الحق.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ
 اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ
 وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْنَا لَهُمُ
 لَيُومٌ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن
 تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن
 تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ
 فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
 وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
 لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ
 تُقَّةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلِ
 إِن تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ
 مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

﴿٢٣﴾ ألم تنظر - أيها النبي - إلى حال اليهود الذين أتاهم الله حظاً من العلم بالتوراة وما دلت عليه من نبوتك، يُدْعَوْنَ إلى الرجوع إلى كتاب الله التوراة ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، ثم ينصرف فريق من علمائهم ورؤسائهم وهم مُعْرِضُونَ عن حكمه إذ لم يوافق أهواءهم، وكان الأولى بهم - وهم يزعمون اتباعهم له - أن يكونوا أسرع الناس إلى التحاكم إليه .

﴿٢٤﴾ ذلك الانصراف عن الحق والإعراض عنه لأنهم كانوا يدعون أن النار لن تمسهم يوم القيامة إلا أياماً قليلة، ثم يدخلون الجنة، فغرهم هذا الظن الذي اختلفوه من الأكاذيب والأباطيل فتجروا على الله ودينه .

﴿٢٥﴾ فكيف يكون حالهم وندمهم؟! سيكون غاية في السوء إذا جمعناهم للحساب في يوم لا شك فيه وهو يوم القيامة، وأعطيت كل نفس جزاء ما عملت على قدر ما تستحق، من غير ظلم بنقص حسناتها . أو زيادة سيئاتها .

﴿٢٦﴾ قل - أيها الرسول - مُثْنِيًا على ربك ومعظماً له: اللَّهُمَّ أَنْتَ مَالِكُ الْمُلْكِ كُلِّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ مِنْ خَلْقِكَ، وَتَنْزِعُهُ مِمَّن تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ مِنْهُمْ، وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِحُكْمِكَ وَعَدْلِكَ. وَبِيَدِكَ وَحْدَكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

﴿٢٧﴾ ومن مظاهر قدرتك أنك تدخل الليل في النهار فيطول وقت النهار، وتدخل النهار في الليل فيطول وقت الليل، وتخرج الحي من الميت؛ كإخراج المؤمن من الكافر، والزرع من الحب، وتخرج الميت من الحي؛ كالكافر من المؤمن، والبيض من الدجاجة. وترزق من تشاء رزقاً واسعاً من غير حساب وعد.

﴿٢٨﴾ لا تتخذوا - أيها المؤمنون - الكافرين أولياء تحبونهم وتنصرونهم من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتحافوهم على أنفسكم، فلا حرج أن تتقوا أذاهم بإظهار اللين في الكلام واللفظ في الفعل، مع إضمار العداوة لهم، ويحذركم الله نفسه فخافوه، ولا تتعرضوا لغضبه بارتكاب المعاصي، وإلى الله وحده رجوع العباد يوم القيامة لمجازاتهم على أعمالهم.

﴿٢٩﴾ قل - أيها النبي -: إن تخفوا ما في صدوركم مما نهاكم الله عنه كموالاة الكفار، أو تظهروا ذلك يعلمه الله، ولا يخفى عليه منه شيء، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- أن التوفيق والهداية من الله تعالى، والعلم - وإن كثر وبلغ صاحبه أعلى المراتب - إن لم يصاحبه توفيق الله لم ينتفع به المرء .
- أن الملك لله تعالى، فهو المعطي المانع. المعز المذل، بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، فلا يُسأل أحد سواه .
- خطوره تولي الكافرين، حيث توعد الله فاعله بالبراءة منه وبالحساب يوم القيامة .

﴿٣١﴾ يوم القيامة تلقى كل نفس عملها من الخير قد أني به لا نقص فيه، والذي عملت من السوء تتمنى أن بينها وبينه زمناً بعيداً، وأنى لها ما تمنى! ويحذرکم الله نفسه، فلا تعرضوا لغضبه بارتكاب الآثام، والله رؤوف بالعباد، ولهذا يحذرهم ويخوفهم.

﴿٣٢﴾ قل - أيها الرسول -: إن كنتم تحبون الله حقاً فاتبعوا ما جئت به ظاهراً وباطناً، تناولوا محبة الله، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لمن تاب من عباده رحيماً بهم.

﴿٣٣﴾ قل - أيها الرسول -: أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فإن أعرضوا عن ذلك فإن الله لا يحب الكافرين المخالفين لأمره وأمر رسوله.

﴿٣٤﴾ إن الله اختار آدم ﷺ فأسجد له ملائكته، واختار نوحاً فجعله أول رسول إلى أهل الأرض، واختار آل إبراهيم فجعل النبوة باقية في ذريته، واختار آل عمران؛ اختار كل هؤلاء وفضلهم على أهل زمانهم.

﴿٣٥﴾ هؤلاء المذكورون من الأنبياء وذرياتهم المُتَّبِعُونَ لطريقتهم هم ذرية بعضها متسلسل من بعض في توحيد الله وعمل الصالحات، يتوارثون من بعضهم المكارم والفضائل، والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم؛ ولهذا

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣١﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٢﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ * إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٤﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٧﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُكَ إِنِّي لَكَ هَذَا قَالَتُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

يختار من يشاء منهم، ويصطفى منهم من يشاء.

﴿٣١﴾ اذكر - أيها الرسول - إذ قالت امرأة عمران والدة مريم ﷺ: يا رب إني أوجبت على نفسي أن أجعل ما في بطني من حمل خالصاً لوجهك، محرراً من كل شيء ليخدمك ويخدم بينك، فتقبل مني ذلك، إنك أنت السميع لدعائي، العليم ببيتي.

﴿٣٢﴾ فلما تم حملها وضعت ما في بطنها، وقالت معتذرة - وقد كانت ترجو أن يكون الحمل ذكراً -: يا رب إني ولدتها أنثى، والله أعلم بما ولدت، وليس الذكر الذي كانت ترجوه كالأنثى التي وُهِبَتْ لها في القوة والخلقة. وإني سمَّيتها مريم، وإني خصَّنتها بك هي وذريتها من الشيطان المطرود من رحمتك.

﴿٣٣﴾ فتقبل الله نذرهما بقبول حسن، وأنشأها نشأة حسنة، وعطف عليها قلوب الصالحين من عباده، وجعل كفالتها إلى زكريا ﷺ. وكان زكريا كلما دخل عليها مكان العبادة وجد عندها رزقاً طيباً ميسراً، فقال مخاطباً إياها: يا مريم، من أين لك هذا الرزق؟ قالت مجيبة إياه: هذا الرزق من عند الله، إن الله يرزق من يشاء رزقاً واسعاً بغير حساب.

﴿٣٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- عظم مقام الله وشدة عقوبته تجعل العاقل على حذر من مخالفة أمره تعالى.
- برهان المحبة الحققة لله ولرسوله باتباع الشرع أمراً ونهياً، وأما دعوى المحبة بلا اتباع فلا تنفع صاحبها.
- أن الله تعالى يختار من يشاء من عباده ويصطفىهم للنبوة والعبادة بحكمته ورحمته، وقد يخصصهم بآيات خارقة للعادة.

عند ذلك الذي رآه زكريا من رزق الله تعالى لمريم بنت عمران على غير المعتاد من سنته تعالى في الرزق؛ رجا أن يرزقه الله ولذا مع الحال التي هو عليها من تقدم سنه وغفم امرأته، فقال: يا رب، هب لي ولدا طيبا، إنك سميعٌ لدعاء من دعاك، مجيب له.

فنادته الملائكة مخاطبة له وهو في حال قيامه للصلاة في مكان عبادته بقولها: إن الله يبشرك بولد لك اسمه يحيى، من صفته أن يكون مصدقا بكلمة من الله، وهو عيسى ابن مريم - لأنه خلق خلقا خاصا بكلمة من الله - ويكون هذا الولد سيذا على قومه في العلم والعبادة، مانعا نفسه وحابسها عن الشهوات ومنها قربان النساء، متفرغا لعبادة ربه، ويكون - أيضا - نبيا من الصالحين.

قال زكريا لما بشرته الملائكة بيحيى: يا رب، كيف يكون لي ولد بعد أن صرت شيخا، وامرأتي عقيم لا يولد لها! قال الله جوابا على قوله: مثلُ خلقٍ يحيى على كبر سنك وغفم زوجك؛ كخلق الله ما يشاء مما يخالف المألوف عادة؛ لأن الله على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء بحكمته وعلمه.

قال زكريا: يا رب، اجعل لي علامة على حمل امرأتي مني، قال الله:

علامتك التي طلبت هي: ألا تستطيع كلام الناس ثلاثة أيام لباليهن إلا بالإشارة ونحوها، من غير خلل يصيبك، فأكثر من ذكر الله وتسيحه في آخر النهار وأوله.

وآذرك - أيها الرسول - حين قالت الملائكة لمريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَكَ لِمَا تَتَصَفَّى بِهِ مِنْ صِفَاتٍ حَمِيدَةٍ، وَطَهَّرَكَ مِنَ النِّقَاصِ، وَاخْتَارَكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِكَ﴾.

يا مريم، أطيلي القيام في الصلاة، واسجدي لربك، واركعي له مع الراكعين من عباده الصالحين.

ذلك المذكور من خبر زكريا ومريم ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَا نوحًا بِأَنَّا خَلَقْنَاكَ مِنْ طِينٍ مَّاءٍ وَسَجَدَ لِلْإِنسَانِ كُلِّهِمْ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ وَنُوحًا وَآلَ هَارُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا ۚ وَلَقَدْ صَدَقَ الْوَعْدَ ۚ إِنَّا تَبَوَّأْنَا لَكَ فِي هَٰذَا الْقَرْيَةِ مَنَازِلًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَشُعَيْبًا وَآلَهُمْ أُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ من أخبار النوح نوحه إليك - أيها الرسول - وما كنت عند أولئك العلماء والصالحين حين اختصموا فيمن هو أحق بترية مريم، حتى لجؤوا للقرعة فآلقوا أقلامهم، ففاز قلم زكريا ﴿وَلَقَدْ جَاءَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَشُعَيْبًا وَآلَهُمْ أُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

أذكر - أيها الرسول - إذ قالت الملائكة: يا مريم، إن الله يبشرك بولد يكون خلقه من غير أب، وإنما بكلمة من الله بأن يقول له: «كن»، فيكون ولدا بإذن الله، واسم هذا الولد: المسيح عيسى بن مريم، له مكانة عظيمة في الدنيا وفي الآخرة، ومن المقربين إليه تعالى.

﴿مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ﴾

- عناية الله تعالى بأوليائه، فإنه سبحانه يحبهم السوء، ويستجيب دعاءهم.
- فضل مريم عليها السلام حيث اختارها الله على نساء العالمين، وطهرها من النقائص، وجعلها مباركة.
- كلما عظمت نعمة الله على العبد عظم ما يجب عليه من شكره عليها بالقنوت والركوع والسجود وسائر العبادات.
- مشروعية القرعة عند الاختلاف فيما لا بينة عليه ولا قرينة تشير إليه.

هَٰذَا لَكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحْصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَآذُكَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَيِّحٌ بِالْعِشَىٰ وَالْإِبْكَرِ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ لِمَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۚ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ۖ اسْمُهُ الْمَسِيحُ ۖ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٣٥﴾

﴿٤٦﴾ وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٧﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّ سِنِّي بِشَرٍّ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٨﴾ وَيَعْلَمُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٩﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عَمَلَكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

﴿٤٦﴾ ويكلّم الناس وهو طفل صغير قبل أوان الكلام، ويكلّمهم وهو كبير قد كملت قوّته ورجولته، يخاطبهم بما فيه صلاح أمر دينهم ودنياهم، وهو من الصالحين في أقوالهم وأعمالهم. ﴿٤٧﴾ قالت مريم مستغربة أن يكون لها ولد من غير زوج: كيف يكون لي ولد ولم يقربني بشر لا في حلال ولا في حرام؟! قال لها الملك: مثل ما خلق الله لك ولدًا من غير أب، يخلق ما يشاء مما يخالف المألوف والعادة، فإذا أراد أمرًا قال له: «كن» فيكون، فلا يعجزه شيء.

﴿٤٨﴾ ويُعلّمه الكتابة والإصابة والتوفيق في القول والعمل، ويعلمه التوراة التي أنزلها على موسى ﷺ، ويعلمه الإنجيل الذي سينزله عليه.

﴿٤٩﴾ ويجعله - كذلك - رسولًا إلى بني إسرائيل، حيث يقول لهم: إني رسول الله إليكم قد جئتكم بعلامة دالة على صدق نبوتي هي: أني أصور لكم من مادة الطين مثل شكل الطير، فأنفخ فيه فيصير طيرًا حيًّا بإذن الله، وأشفي من وُلد أعمى فيبصر، ومن أصيب ببرص فيعود جلده سليمًا، وأخبي من كان ميتًا، كل ذلك بإذن الله، وأخبركم بما تأكلون وبما تخبثون في بيوتكم من طعام وتخفونه، إن فيما ذكرته لكم من هذه الأمور العظيمة التي لا يقدر عليها البشر؛ لعلامة ظاهرة على أني رسول

من الله إليكم، إن كنتم تريدون الإيمان، وتصدقون بالبراهين.

﴿٥٠﴾ وجئتكم - كذلك - مُصَدِّقًا لما نزل قبلي من التوراة، وجئتكم لأحل لكم بعض ما حُرِّم عليكم من قبل، تيسيرًا وتخفيفًا عليكم، وجئتكم بحجة واضحة على صحة ما قلت لكم، فاتقوا الله بامثال أوامره واجتنبوا نواهيه، وأطيعوني فيما أَدْعُوكم إليه.

﴿٥١﴾ ذلك لأن الله ربي وربكم، فهو وحده المُسْتَحَقُّ أن يُطَاع ويُتَّقَى، فاعبدوه وحده، هذا الذي أمرتكم به من عبادة الله وتقواه هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

﴿٥٢﴾ فلما علم عيسى ﷺ منهم الإصرار على الكفر، قال مخاطبًا بني إسرائيل: من ينصروني في الدعوة إلى الله؟ قال الأصفياء من أتباعه: نحن أنصار دين الله، آمنا بالله واتبعناك، واشهد - يا عيسى - بأننا متقادون لله بتوحيده وطاعته.

﴿٥٣﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- شرف الكتابة والخط وعلو منزلتهما، حيث بدأ الله تعالى بذكرهما قبل غيرهما.
- من سنن الله تعالى أن يؤيد رسله بالآيات الدالة على صدقهم؛ مما لا يقدر عليه البشر.
- جاء عيسى ﷺ بالتخفيف على بني إسرائيل فيما شُدِّد عليهم في بعض شرائع التوراة، وفي هذا دلالة على وقوع النسخ بين الشرائع.

﴿٥٦﴾ وقال الحواريون كذلك: ربنا آمنا بما أنزلت من الإنجيل، واتبعنا عيسى ﷺ، فاجعلنا مع الشاهدين بالحق الذين آمنوا بك وبرسلك.

﴿٥٧﴾ ومكر الكافرون من بني إسرائيل حيث سعوا في قتل عيسى ﷺ، فمكر الله بهم فتركهم في ضلالهم، وألقى شبه عيسى ﷺ على رجل آخر، والله خير الماكرين؛ لأنه لا أشد من مكره تعالى بأعدائه.

﴿٥٨﴾ ومكر الله بهم - أيضًا - حين قال مخاطبًا عيسى ﷺ: يا عيسى، إني قابضك من غير موت، ورافعُ بدنك وروحك إلي، ومنزلهُك من رجس الذين كفروا بك ومبعذك عنهم، وجاعل الذين اتبعوك على الدين الحق - ومنه الإيمان بمحمد ﷺ - فوق الذين كفروا بك إلى يوم القيامة بالبرهان والعزة، ثم إليّ وحدي رجوعكم يوم القيامة، فأحكم بينكم بالحق فيما كنتم فيه تختلفون.

﴿٥٩﴾ فأما الذين كفروا بك وبالحق الذي جنتهم به فأعذبهم عذابًا شديدًا في الدنيا بالقتل والأسر والذل وغيرها، وفي الآخرة بعذاب النار، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب.

﴿٦٠﴾ وأما الذين آمنوا بك وبالحق الذي جنتهم به، وعملوا الصالحات من صلاة وزكاة وصيام وصلة وغيرها؛ فإن الله يعطيهم ثواب أعمالهم تامة لا يُنقص منها شيئًا، وهذا الحديث عن أتباع المسيح قبل بعثة النبي محمد ﷺ الذي بشر به المسيح نفسه، والله لا يحب الظالمين، ومن أعظم الظلم الشرك بالله تعالى وتكذيب رسله.

﴿٦١﴾ ذلك الذي نفروا عبيك من خبر عيسى ﷺ من العلامات الواضحات الدالة على صحة ما أنزل إليك، وهو دُكْرُ للمتقين، محكم لا يأتيه الباطل.

﴿٦٢﴾ إن مثل خلق عيسى ﷺ عند الله كمثل خلق آدم من تراب، من غير آب ولا أم، وإنما قال الله له: كن بشرًا فكان كما أراد تعالى، فكيف يزعمون أنه إله بحجة أنه خُلِقَ من غير آب، وهم يقولون بأن آدم بشر، مع أنه خُلِقَ من غير آب ولا أم؟! الحق الذي لا شك فيه في شأن عيسى ﷺ هو الذي نزل عليك من ربك، فلا تكن من الشاكين المترددين، بل عليك الثبات على ما أنت عليه من الحق.

﴿٦٣﴾ فمن جادلَكَ - أيها الرسول - من نصارى نجران في أمر عيسى زاعمًا أنه ليس عبدًا لله من بعد ما جاءك من العلم الصحيح في شأنه؛ فقل لهم: تعالوا نُنَادِ للحضور أبناءنا وأبنائكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ونجتمع كلنا، ثم نتضرع إلى الله بالدعاء أن ينزل لعنته على الكاذبين منا ومنكم.

﴿٦٤﴾ مِنْ قَوْلِهِدِ الْآيَاتِ.

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِرِينَ ﴿٥٧﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٦١﴾ إِنْ مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٢﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٣﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦٤﴾

يُنْقِصُ منها شيئًا، وهذا الحديث عن أتباع المسيح قبل بعثة النبي محمد ﷺ الذي بشر به المسيح نفسه، والله لا يحب الظالمين، ومن أعظم الظلم الشرك بالله تعالى وتكذيب رسله.

﴿٥٨﴾ ذلك الذي نفروا عبيك من خبر عيسى ﷺ من العلامات الواضحات الدالة على صحة ما أنزل إليك، وهو دُكْرُ للمتقين، محكم لا يأتيه الباطل.

﴿٥٩﴾ إن مثل خلق عيسى ﷺ عند الله كمثل خلق آدم من تراب، من غير آب ولا أم، وإنما قال الله له: كن بشرًا فكان كما أراد تعالى، فكيف يزعمون أنه إله بحجة أنه خُلِقَ من غير آب، وهم يقولون بأن آدم بشر، مع أنه خُلِقَ من غير آب ولا أم؟! الحق الذي لا شك فيه في شأن عيسى ﷺ هو الذي نزل عليك من ربك، فلا تكن من الشاكين المترددين، بل عليك الثبات على ما أنت عليه من الحق.

﴿٦٠﴾ فمن جادلَكَ - أيها الرسول - من نصارى نجران في أمر عيسى زاعمًا أنه ليس عبدًا لله من بعد ما جاءك من العلم الصحيح في شأنه؛ فقل لهم: تعالوا نُنَادِ للحضور أبناءنا وأبنائكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ونجتمع كلنا، ثم نتضرع إلى الله بالدعاء أن ينزل لعنته على الكاذبين منا ومنكم.

﴿٦١﴾ إن مثل خلق عيسى ﷺ عند الله كمثل خلق آدم من تراب، من غير آب ولا أم، وإنما قال الله له: كن بشرًا فكان كما أراد تعالى، فكيف يزعمون أنه إله بحجة أنه خُلِقَ من غير آب، وهم يقولون بأن آدم بشر، مع أنه خُلِقَ من غير آب ولا أم؟! الحق الذي لا شك فيه في شأن عيسى ﷺ هو الذي نزل عليك من ربك، فلا تكن من الشاكين المترددين، بل عليك الثبات على ما أنت عليه من الحق.

﴿٦٢﴾ إن مثل خلق عيسى ﷺ عند الله كمثل خلق آدم من تراب، من غير آب ولا أم، وإنما قال الله له: كن بشرًا فكان كما أراد تعالى، فكيف يزعمون أنه إله بحجة أنه خُلِقَ من غير آب، وهم يقولون بأن آدم بشر، مع أنه خُلِقَ من غير آب ولا أم؟! الحق الذي لا شك فيه في شأن عيسى ﷺ هو الذي نزل عليك من ربك، فلا تكن من الشاكين المترددين، بل عليك الثبات على ما أنت عليه من الحق.

﴿٦٣﴾ فمن جادلَكَ - أيها الرسول - من نصارى نجران في أمر عيسى زاعمًا أنه ليس عبدًا لله من بعد ما جاءك من العلم الصحيح في شأنه؛ فقل لهم: تعالوا نُنَادِ للحضور أبناءنا وأبنائكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ونجتمع كلنا، ثم نتضرع إلى الله بالدعاء أن ينزل لعنته على الكاذبين منا ومنكم.

﴿٦٤﴾ مِنْ قَوْلِهِدِ الْآيَاتِ.

• من كمال قدرته تعالى أنه يعاقب من يمكر بدينه وبأوليائه، فيمكر بهم كما يمكرون.

• بيان المعتقد الصحيح الواجب في شأن عيسى ﷺ، وبيان موافقته للعقل فهو ليس بدعًا في الخلق، فأدم المخلوق من غير آب ولا أم أشد غرابة والجميع يؤمن بشريته.

• مشروعية المُباهلة بين المتنازعين على الصفة التي وردت بها الآية الكريمة.

﴿٦٣﴾ إِنْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا لَكَ مِنْ شَأْنِ عِيسَى عليه السلام هُوَ الْخَبَرُ الْحَقُّ الَّذِي لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا شَكَّ، وَمَا مِنْ مَعْبُودٍ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ فِي مَلِكِهِ، الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِهِ وَأَمْرِهِ وَخَلْقِهِ.

﴿٦٤﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا عَمَّا جِئْتُ بِهِ، وَلَمْ يَتَّبِعُواكَ فَذَلِكَ مِنْ فُسَادِهِمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ.

﴿٦٥﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: تَعَالَوْا يَا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، نَجْتَمِعْ عَلَى كَلِمَةٍ عَدْلٍ نَسْتَوِي فِيهَا جَمِيعًا: أَنْ تُفْرِدَ اللَّهُ بِالْعِبَادَةِ فَلَا نَعْبُدُ مَعَهُ أَحَدًا سِوَاهُ مَهْمَا كَانَتْ مَنَزَلَتُهُ، وَعَلَتْ مَكَانَتُهُ، وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا يُعْبَدُونَ وَيُطَاعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ أَنْصَرَفُوا عَنْ هَذَا الَّذِي تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فَقُولُوا لَهُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -: أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْتَسْلِمُونَ لِلَّهِ مُنْقَادُونَ لَهُ تَعَالَى بِالطَّاعَةِ.

﴿٦٦﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَجَادَلُونَ فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام؟ فَالْيَهُودِي يَزْعُمُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا، وَالنَّصْرَانِي يَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ لَمْ تَظْهَرْ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِهِ بَوَاقِ طَوِيلٍ، أَفَلَا تَدْرِكُونَ بِعُقُولِكُمْ بَطْلَانَ قَوْلِكُمْ وَخَطَأَ زَعْمِكُمْ؟!

﴿٦٧﴾ هَا أَنْتُمْ - يَا أَهْلَ الْكِتَابِ - جَادَلْتُمْ

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٣﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٥﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾ هَذَا نَسَبُهُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٨﴾ إِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧١﴾

النبي عليه السلام فيما لكم به علم من أمر دينكم وما أنزل عليكم، فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم من أمر إبراهيم ودينه، مما ليس في كتبكم ولا جاءت به أنبياءكم؟ والله يعلم حقائق الأمور وبواطنها وأنتم لا تعلمون. ﴿٦٧﴾ ما كان إبراهيم عليه السلام على الملة اليهودية، ولا على النصرانية، ولكن كان مائلاً عن الأديان الباطلة، مسلماً لله موحداً له تعالى، وما كان من المشركين به كما يزعم مشركو العرب أنهم على ملته. ﴿٦٨﴾ إِنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِالِاتِّسَابِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، هُمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مَا جَاءَ بِهِ فِي زَمَانِهِ، وَأَحَقُّ النَّاسُ أَيْضًا بِذَلِكَ هَذَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ عليه السلام، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاللَّهُ نَاصِرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَحَافِظُهُمْ. ﴿٦٩﴾ يَتَمَنَّى أَحِبَّاءُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنْ يُضِلُّوكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَنِ الْحَقِّ الَّذِي هَذَا كَلِمَةُ اللَّهِ لَهُ، وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ؛ لِأَنَّ سَعِيَهُمْ فِي إِضْلَالِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ فِي ضَلَالِهِمْ هُمْ، وَمَا يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ أَفْعَالِهِمْ. ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الَّتِي أُنزِلَتْ عَلَيْكُمْ وَمَا فِيهَا مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ كُتُبُكُمْ؟!

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أَنَّ الرِّسَالَاتِ الْإِلَهِيَّةَ كُلَّهَا اتَّفَقَتْ عَلَى كَلِمَةِ عَدْلٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ: تَوْحِيدَ اللَّهِ تَعَالَى وَالنَّهْيَ عَنِ الشَّرِّ.
- أَهْمِيَّةُ الْعِلْمِ بِالتَّارِيخِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْحُجَجِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي تُرَدُّ بِهَا دَعْوَى الْمُبْطِلِينَ.
- أَحَقُّ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مَنْ كَانَ عَلَى مِلَّتِهِ وَعَقِيدَتِهِ، وَأَمَّا مُجَرَّدُ دَعْوَى الْإِاتِّسَابِ إِلَيْهِ مَعَ مَخَالَفَتِهِ فَلَا تَنْفَعُ.
- دَلَّتِ الْآيَاتُ عَلَى حُرْصِ كُفْرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى إِضْلَالِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ.

﴿٧١﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَخْلُطُونَ الْحَقَّ الَّذِي أُنْزِلَ فِي كِتَابِكُمْ بِالْبَاطِلِ مِنْ عِنْدِكُمْ، وَتَخْفُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ وَالْهَدَى، وَمِنْهُ صَحَّةُ نَبْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْهَدَى مِنَ الضَّلَالِ؟!

﴿٧٢﴾ وَقَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ: آمَنُوا فِي الظَّاهِرِ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَاكْفَرُوا بِهِ آخِرَهُ، لَعَلَّهُمْ يَشْكُونَ فِي دِينِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ بِهِ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَيَرْجِعُونَ عَنْهُ قَائِلِينَ: هُمْ أَعْلَمُ مِنَّا بِكِتَابِ اللَّهِ وَقَدْ رَجَعُوا عَنْهُ.

﴿٧٣﴾ وَقَالُوا أَيْضًا: وَلَا تَوَدُّونَا وَتَتَّبِعُوا إِلَّا لِمَنْ كَانَ تَابِعًا لَدِينِكُمْ، قُلْ - أَيُّهَا الرِّسُولُ -: إِنْ الْهَدَى إِلَى الْحَقِّ هُوَ هَدَى اللَّهِ تَعَالَى، لَا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبٍ وَعِنَادٍ، مَخَافَةَ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِنَ الْفَضْلِ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ، أَوْ مَخَافَةَ أَنْ يُحَاجَّوَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ إِنْ أَقْرَرْتُمْ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ، قُلْ - أَيُّهَا الرِّسُولُ -: إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، لَا يَقْتَصِرُ فَضْلُهُ عَلَى أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ.

﴿٧٤﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُفَضِّلُ عَلَيْهِ بِالْهَدَايَةِ وَالنَّبْوَةِ وَأَنْوَاعِ الْعَطَاءِ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا حُدَّ لَهُ.

﴿٧٥﴾ وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ

عَلَى مَالٍ كَثِيرٍ يُؤَدِّ إِلَيْكَ مَا ائْتَمَنَتْهُ عَلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَسْتَأْمِنَهُ عَلَى مَالٍ قَلِيلٍ لَا يُؤَدِّ إِلَيْكَ مَا ائْتَمَنَتْهُ عَلَيْهِ إِلَّا إِنْ ظَلَلَتْ تُلْحُ عَلَيْهِ بِالْمَطَالِبَةِ وَالتَّقَاضِي، ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِمْ وَظَنُّهُمْ الْفَاسِدُ: لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْعَرَبِ وَأَكْلِ أَمْوَالِهِمْ إِثْمٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَبَاحَهَا لَنَا، يَقُولُونَ هَذَا الْكُذْبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ اقْتِرَاءَهُمْ عَلَى اللَّهِ.

﴿٧٦﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا، بَلْ عَلَيْهِمْ حَرَجٌ، وَلَكِنْ مِنْ أَوْفَى بَعْدِهِ مَعَ اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَوَفَى بَعْدِهِ مَعَ النَّاسِ فَادَى الْأَمَانَةَ، وَاتَّقَى اللَّهَ بِأَمْثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَكْرَمَ الْجَزَاءِ.

﴿٧٧﴾ إِنْ الَّذِينَ يَسْتَبَدِّلُونَ بَوْصِيَةَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ بِاتِّبَاعِ مَا أُنْزِلَ فِي كِتَابِهِ وَأُرْسِلَ بِهِ رُسُلُهُ، وَبِإِيمَانِهِمُ الَّتِي قَطَعُوهَا بِالْوَفَاءِ بَعْدَ اللَّهِ، يَسْتَبَدِّلُونَ بِهَا عَوْضًا قَلِيلًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، لَا نَصِيبَ لَهُمْ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ بِمَا يَسْرَهُمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ نَظْرَ رَحْمَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

﴿٧٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَخْدَعُ أَتْبَاعَ مِلَّتِهِمْ، وَلَا يَبِينُ لَهُمُ الْحَقَّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ كِتَابُهُمْ، وَجَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُمْ.
- مِنْ وَسَائِلِ الْكُفْرِ الدُّخُولُ فِي الدِّينِ وَالتَّشْكِيكِ فِيهِ مِنَ الدَّخْلِ.
- اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْوَهَّابُ الْمُتَفَضِّلُ، يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ، وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ بَعْدَ لِهِ وَحُكْمَتِهِ، وَلَا يَنَالُ فَضْلُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ.
- كُلُّ عَوْضٍ فِي الدُّنْيَا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْوَفَاءِ بَعْدِهِ - وَإِنْ كَانَ عَظِيمًا - فَهُوَ قَلِيلٌ حَقِيرٌ أَمَامَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَمَنْزِلَتِهَا.

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرِيقًا يُؤْمِنُونَ أَلَيْسَتْ لَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ
 مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ
 عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
 وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيُنَا بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ
 الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ
 تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ
 إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَ آتَيْتُكُمْ
 مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا
 مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ
 عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ
 مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْمَرُ مِنْ فِي
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طُوعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٦٠

﴿٧٨﴾ وإن من اليهود لطائفة يَحْرِفُونَ
 أَلَيْسَتْ لَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ
 مِنْ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ
 عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
 وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيُنَا بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ
 الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ
 تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ
 إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَ آتَيْتُكُمْ
 مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا
 مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ
 عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ
 مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٢﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ ﴿٨٣﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْمَرُ مِنْ فِي
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طُوعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٨﴾ ما كان ينبغي لبشر أن يؤتيه الله
 كتابًا منزلًا من عنده، ويرزقه العلم
 والفهم، ويختاره نبيًا؛ ثم يقول
 للناس: كونوا عبادًا لي من دون الله،
 ولكن يقول لهم: كونوا علماء عاملين
 مربيين للناس مصلحين لأموالهم بسبب
 تعليمكم الكتاب المنزل للناس، وبما
 كنتم تدرسون منه حفظًا وفهمًا.

﴿٧٩﴾ ولا ينبغي له - كذلك - أن يأمرهم
 أن يتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا
 تعبدونهم من دون الله، أبجوز منه أن
 يأمرهم بالكفر بالله بعد انقيادكم إليه
 واستسلامكم له؟!

﴿٨٠﴾ واذكر - أيها الرسول - حين
 أخذ الله العهد المؤكد على النبيين
 قائلًا لهم: مهما أعطيتكم من كتاب
 أنزله عليكم، وحكمة أعلمكم إياها،
 وبلغ أحدكم ما بلغ من المكانة
 والمنزلة، ثم جاءكم رسول من عندي
 - وهو محمد ﷺ - مصدق لما معكم
 من الكتاب والحكمة؛ لتؤمنن بما جاء

به، ولتنصرنه متبعين له، فهل أقررت - أيها الأنبياء - بذلك، وأخذتم على ذلك عهدي الشديد؟ فأجابوا قائلين:
 أقررنا به، قال الله: اشهدوا على أنفسكم وعلى أممكم، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم.

﴿٨١﴾ فمن أعرض بعد هذا العهد المؤكد بالشهادة من الله ورسله؛ فأولئك هم الخارجون عن دين الله وطاعته.
 ﴿٨٢﴾ أغير دين الله الذي اختار لعباده - وهو الإسلام - يَطْلُبُ هؤلاء الخارجون عن دين الله وطاعته؟! وله - سبحانه -
 انقاد واستسلم كل من في السماوات والأرض من الخلائق، طوعًا له كحال المؤمنين، وكَرْهًا كحال الكافرين، ثم
 إليه تعالى يرجع الخلائق كلهم يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٨٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- ضلال علماء اليهود ومكرهم في تحريفهم كلام الله، وكذبهم على الناس بنسبة تحريفهم إليه تعالى.
- كل من يدعي أنه على دين نبي من أنبياء الله إذا لم يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام فهو ناقض لعهد مع الله تعالى.
- أعظم الناس منزلًا العلماء الربانيون الذين يجمعون بين العلم والعمل، ويربُّون الناس على ذلك.
- أعظم الضلال الإعراض عن دين الله تعالى الذي استسلم له سبحانه الخلائق كلهم برَّهم وفاجرهم.

قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَأِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
وَنُحْنُ لَهُ وَمُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ
يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ
الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُونَ
عَنَّهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ نُّقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِّلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ
أَفْتَدَىٰ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

٦١

﴿٨٥﴾ قل - أيها الرسول -: آمنا بالله إلهاً، وأطعناه فيما أمرنا به، وآمنا بالوحي الذي أنزله علينا، وبما أنزله على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وبما أنزله على الأنبياء من ولد يعقوب، وبما أوتي موسى وعيسى والنبيون جميعاً من الكتب والآيات من ربهم، لا نفرق بينهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، ونحن منقادون لله وحده مستسلمون له تعالى.

﴿٨٥﴾ ومن يطلب ديناً غير الدين الذي ارتضاه الله وهو دين الإسلام؛ فلن يقبل الله ذلك منه. وهو في الآخرة من الخاسرين لأنفسهم بدخولهم النار.

﴿٨٦﴾ كيف يوفق الله للإيمان به وبرسوله قوماً كفروا بعد إيمانهم بالله وشهادتهم أن ما جاء به الرسول محمد ﷺ حق، وجاءتهم البراهين الواضحة على صحة ذلك؟! والله لا يوفق للإيمان به القوم الظالمين الذين اختاروا الضلال بدلاً عن الهدى.

﴿٨٧﴾ إن جزاء أولئك الظالمين الذين اختاروا الباطل أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فهم مُبْعَدُونَ عن رحمة الله مطرودون.

﴿٨٨﴾ خالدين في النار لا يخرجون منها، ولا يُخَفَّف عنهم عذابها، ولا هم يُؤَخَّرُونَ ليتوبوا ويعتذروا.

﴿٨٩﴾ إلا الذين رجعوا إلى الله بعد كفرهم وظلمهم. وأصلحوا عملهم؛ فإن الله غفور لمن تاب من عباده رحيم بهم.

﴿٩٠﴾ إن الذين كفروا بعد إيمانهم، واستمروا على كفرهم حتى عاينوا الموت؛ لن تقبل منهم التوبة عند حضور الموت لذهاب وقتها، وأولئك هم الضالون عن الصراط المستقيم الموصول إلى الله تعالى.

﴿٩١﴾ إن الذين كفروا وماتوا على كفرهم؛ فلن يُقبل من أحدهم وزن الأرض ذهباً ولو قدمه مقابل انفكاكه من النار، أولئك الذين لهم عذاب أليم، وما لهم من ناصرين يوم القيامة يدفعون عنهم العذاب.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- يجب الإيمان بجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى، وجميع ما أنزل عليهم من الكتب، دون تفريق بينهم.
- لا يقبل الله تعالى من أحد ديناً أياً كان بعد بعثة النبي محمد ﷺ إلا الإسلام الذي جاء به.
- مَنْ أصر على الضلال، واستمر عليه، فقد يعاقبه الله بعدم توفيقه إلى التوبة والهداية.
- باب التوبة مفتوح للعبد ما لم يحضره الموت، أو تشرق الشمس من مغربها، فعندئذ لا تُقبل منه التوبة.
- لا ينجي المرء يوم القيامة من عذاب النار إلا عمله الصالح، وأما المال فلو كان ملء الأرض لم ينفعه شيئاً.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٣﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ الْتَّورَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٥﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٦﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عَوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠١﴾

﴿٩٣﴾ لَنْ تَدْرِكُوا - أيها المؤمنون - ثواب أهل البر ومنزلتهم حتى تنفقوا في سبيل الله من أموالكم التي تحبونها، وما تنفقوا من شيء قليلًا كان أو كثيرًا فإن الله عليم بنياتكم وأعمالكم، وسيجازي كلًا بعمله.

﴿٩٤﴾ جميع الأطعمة الطيبة كانت حلالًا لبني إسرائيل، ولم يُحرَّم عليهم منها إلا ما حرَّمه يعقوب على نفسه قبل نزول التوراة، لا كما تزعم اليهود أن ذلك التحريم كان في التوراة، قل لهم - أيها النبي -: فأحضروا التوراة واقرووها إن كنتم صادقين في هذا الذي تدَّعون، فبهتوا، ولم يأتوا بها. وهو مثال يدل على افتراء اليهود على التوراة وتحريف مضمونها.

﴿٩٥﴾ فمن افتري الكذب على الله بعد ظهور الحجة؛ بأن ما حرَّمه يعقوب ﷺ حرَّمه على نفسه من غير تحریم من الله؛ فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بترك الحق بعد ظهور حجته.

﴿٩٦﴾ قل - أيها النبي -: صدق الله فيما أخبر به عن يعقوب ﷺ، وفي كل ما أنزل وشرع، فاتبعوا دين إبراهيم ﷺ، فقد كان ماثلاً عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ولم يشرك مع الله غيره أبدًا.

﴿٩٧﴾ إن أول بيت بني في الأرض للناس جميعًا من أجل عبادة الله هو بيت الله الحرام الذي بمكة، وهو بيت

مبارك، كثير المنافع الدينية والدنيوية، وفيه هداية للعالمين جميعًا.

﴿٩٨﴾ في هذا البيت علامات ظاهرات على شرفه وفضله؛ كالمناسك والمشاعر، ومن هذه العلامات الحجر الذي قام عليه إبراهيم لما أراد رفع جدار الكعبة، ومنها أن من دخله يزول الخوف عنه ولا يناله أذى. ويجب لله على الناس قُصْدُ هذا البيت لأداء مناسك الحج، لمن كان منهم قادرًا على الوصول إليه، ومن كفر بفريضة الحج فإن الله غني عن هذا الكافر وعن العالمين أجمعين.

﴿٩٩﴾ قل - أيها النبي -: يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لِمَ تجحدون البراهين على صدق النبي ﷺ، ومنها براهين جاءت بها التوراة والإنجيل؟! والله مطلع على عملكم هذا شاهد عليه، وسيجازيكم به.

﴿١٠٠﴾ قل - أيها النبي -: يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لِمَ تمنعون عن دين الله مَنْ ءَامَنَ بِهِ من الناس تطلبون لدين الله ميلًا عن الحق إلى الباطل، ولأهله ضلالًا عن الهدى، وأنتم شهداء على أن هذا الدين هو الحق مصدق لما في كتبكم؟! وليس الله بغافل عما تعملون من الكفر به، والصد عن سبيله، وسيجازيكم به.

﴿١٠١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إن تطيعوا طائفة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما يقولونه، وتقبلوا رأيهم فيما يزعمونه؛ يُرْجِعُوكُمْ إلى الكفر بعد الإيمان بسبب ما فيهم من الحسد والضلال عن الهدى.

﴿١٠٢﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْأَيَّاتِ،

- كَذِبُ اليهود على الله تعالى وأنبياؤه، ومن كذبهم زعمهم أن تحريم يعقوب ﷺ لبعض الأطعمة نزلت به التوراة.
- أعظم أماكن العبادة وأشرفها البيت الحرام، فهو أول بيت وضع لعبادة الله، وفيه من الخصائص ما ليس في سواه.
- ذَكَرَ الله وجوب الحج بأوكد ألفاظ الوجوب تأكيدًا لوجوبه.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٣﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٩﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

٦٣

﴿٦٣﴾ وكيف تكفرون بالله بعد إيمانكم به، وأنتم معكم السبب الأعظم للثبات على الإيمان! فأيات الله تُقرأ عليكم، ورسوله محمد ﷺ يُبينها لكم، ومن يستميك بكتاب الله وسُنَّه رسوله؛ فقد وفقه الله إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

﴿٦٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، خافوا ربكم حق المخافة، وذلك باتباع أوامره واجتنب نواهيه، وشكروه على نعمه، واستمسكوا بدينكم حتى يأتكم الموت وأنتم على ذلك.

﴿٦٥﴾ وتمسكوا - أيها المؤمنون - بالكتاب والسنة، ولا ترتكبوا ما يوقعكم في التفرق، واذكروا إنعام الله عليكم حين كنتم أعداء قبل الإسلام تتقاتلون على أقل الأسباب، فجمع بين قلوبكم بالإسلام، فصرتم بفضلته إخواناً في الدين، متراحمين متناصحين، وكنتم قبل ذلك مشرفين على دخول النار بكفركم، فأنجاهم الله منها بالإسلام وهداكم للإيمان. وكما بيّن لكم الله هذا يبين لكم ما يصلح أحوالكم في الدنيا والآخرة، لتهتدوا إلى طريق الرشاد، وتسلخوا سبيل الاستقامة.

﴿٦٦﴾ ولتكن منكم - أيها المؤمنون - جماعة يدعون إلى كل خير يحبه الله، ويأمرون بالمعروف الذي دل عليه الشرع وحسنه العقل، وينهون عن

المنكر الذي نهى عنه الشرع وقبحه العقل، والمتصفون بهذه الصفة هم أهل الفوز التام في الدنيا والآخرة.

﴿٦٧﴾ ولا تكونوا - أيها المؤمنون - مثل أهل الكتاب الذين تفرقوا فصاروا أحراباً وشيعاً، واختلفوا في دينهم من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة من الله تعالى، وأولئك المذكورون لهم عذاب عظيم من الله.

﴿٦٨﴾ يقع عليهم هذا العذاب العظيم يوم القيامة، حين تبيّض وجوه أهل الإيمان من الفرح والسعادة، وتسود وجوه الكافرين من الحزن والكآبة، فأما الذين اسودّت وجوههم في ذلك اليوم العظيم فيقال توبيخاً لهم: أكفرتم بتوحيد الله وعهده الذي أخذ عليكم ألا تشركوا به شيئاً، بعد تصديقكم وإقراركم؟! فذوقوا عذاب الله الذي أعده لكم بسبب كفركم.

﴿٦٩﴾ وأما الذين أبيضت وجوههم فمقامهم في جنات النعيم، خالدين فيها أبداً، في نعيم لا يزول ولا يحول.

﴿٧٠﴾ تلك الآيات المتضمنة وعد الله ووعيده نقرؤها عليك - أيها النبي - بالصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام، وما الله يريد ظلماً لأي أحد من العالمين، بل لا يعذب أحداً إلا بما كسبت يده.

❁ من قواعد الآيات،

- متابعة أهل الكتاب في أهوائهم تقود إلى الضلال والبعد عن دين الله تعالى.
- الاعتصام بالكتاب والسنة والاستمسك بهديهما أعظم وسيلة للثبات على الحق، والعصمة من الضلال والافتراق.
- الافتراق والاختلاف الواقع في هذه الأمة في قضايا الاعتقاد فيه مشابهة لمن سبق من أهل الكتاب.
- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن به فلاح الأمة وسبب تميزها.

﴿١٩﴾ والله تعالى وحده مُلْكُ ما في السماوات وما في الأرض، خَلَقًا وأمرًا، وإليه تعالى مصير أمر كل خلقه فيجازي كلًا منهم على قدر استحقاقه.

﴿٢٠﴾ كنتم - يا أمة محمد ﷺ - خير الأمم التي أخرجها الله للناس في إيمانكم وعملكم، وأنفع الناس للناس، تأمرون بالمعروف الذي دل عليه الشرع وحسنه العقل، وتنهون عن المنكر الذي نهى عنه الشرع وقبحه العقل، وتؤمنون بالله إيمانًا جازمًا يصدق العمل. ولو آمن أهل الكتاب من اليهود والنصارى بمحمد ﷺ لكان ذلك خيرًا لهم في دنياهم وآخرتهم. من أهل الكتاب قليل يؤمنون بما جاء به محمد ﷺ، وأكثرهم هم الخارجون عن دين الله وشريعته.

﴿٢١﴾ ومهما كان منهم من عداوة فلن يضرؤكم - أيها المؤمنون - في دينكم ولا في أنفسكم إلا أذى بالسنتهم، من الطعن في الدين، والاستهزاء بكم ونحو ذلك، وإن قاتلوكم يفرؤا منهزمين أمامكم، ولا يُنصرون عليكم أبدًا.

﴿٢٢﴾ جُعِلَ الهوان والصغار محيطًا باليهود مشتملاً عليهم أينما وجدوا، فلا يَأْمَنُونَ إلا بعهد أو أمن من الله تعالى أو من الناس، ورجعوا بغضب من الله، وجُعِلَت عليهم الحاجة والفاقة محيطة بهم، ذلك الذي جُعِلَ

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْأَكْتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِمَّا الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ إِلَّا ذَبَارًا ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿٢١﴾ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ آتَيْنَا مَائِقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ مِنْ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ إِنَّهُمْ أَلِيلٌ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿٢٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَٰئِكَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾

عليهم بسبب كفرهم بآيات الله، وقَتْلِهِمْ لَأَنْبِيَاءَهُ ظُلْمًا، وذلك - أيضًا - بسبب عصيانهم وتجاوزهم لحدود الله.

ولمَّا بَيَّنَّ الله حال غالب أهل الكتاب، بَيَّنَّ حال طائفة منهم مستقيمة على الحق قائمة به فقال:

﴿٢٦﴾ ليس أهل الكتاب متساوين في حالهم، بل منهم طائفة مستقيمة على دين الله. قائمة بأمر الله ونهيه، يقرؤون آيات الله في ساعات الليل وهم يُصَلُّون الله، كانت هذه الفئة قبل بعثة النبي محمد ﷺ، ومن أدرك منهم هذه البعثة أسلم.

﴿٢٧﴾ يؤمنون بالله واليوم الآخر إيمانًا جازمًا، ويأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْخَيْرِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالشَّرِّ، ويبادرون إلى أفعال الخيرات، ويغتفون مواسم الطاعات، أولئك المتصفون بهذه الصفات من عباد الله الذين صلحت نياتهم وأعمالهم.

﴿٢٨﴾ وما يفعله هؤلاء من خير قليلًا كان أو كثيرًا فلن يضيع عليهم ثوابه، ولن ينقص أجره، والله عليم بالمتقين الذين يمثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجازيهم عليها.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- أعظم ما يميز هذه الأمة وبه كانت خيريتها - بعد الإيمان بالله - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- قضى الله تعالى بالذل على أهل الكتاب لفسقهم وإعراضهم عن دين الله، وعدم وفائهم بما أخذ عليهم من العهد.
- أهل الكتاب ليسوا على حال واحدة؛ فمنهم القائم بأمر الله، المتبع لدينه، الواقف عند حدوده، وهؤلاء لهم أعظم الأجر والثواب. وهذا قبل بعثة النبي محمد ﷺ.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾
 مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
 صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا
 ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
 وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
 صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾
 هَآأَنْتُمْ أَوْلَىٰ بِمُحِبِّيهِمْ وَلَا يَحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ
 كُلِّهِ وَإِذَا الْقَوْمُ قَالَوْا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ
 الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضُكُمْ لِلَّهِ عَلَيْهِ يَذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿٣٩﴾ إِن تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِن تَصَبَّحَكُمْ
 سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ
 شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
 تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ الْلِقَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤١﴾

﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَنْ تُدْفِعَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، لَنْ تَرُدَّ عَنْهُمْ عَذَابَهُ، وَلَنْ تَجْلِبَ لَهُمْ رَحْمَتُهُ، بَلْ سَتَزِيدُهُمْ عَذَابًا وَحَسْرَةً، وَأُولَئِكَ هُمُ أَصْحَابُ النَّارِ الْمَلَاظِمُونَ لَهَا.

﴿٣٧﴾ مَثَلُ مَا يَنْفِقُهُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ فِي وَجْهِ الْبَرِّ، وَمَا يَنْتَظِرُونَهُ مِنْ ثَوَابِهَا؛ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا بَرْدٌ شَدِيدٌ أَصَابَتْ زَرْعَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْمَعَاصِي وَغَيْرِهَا، فَأَتْلَفَتْ زَرْعَهُمْ، وَقَدْ رَجَوْا مِنْهُ خَيْرًا كَثِيرًا، فَكَمَا أَتْلَفَتْ هَذِهِ الرِّيحُ الزَّرْعَ فَلَمْ يُنْتَفِعْ بِهِ، كَذَلِكَ الْكَفَرُ يَبْطُلُ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَرْجُونَهَا، وَاللَّهُ لَمْ يَظْلِمَهُمْ - تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ - وَإِنَّمَا ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِهِ وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ.

﴿٣٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رُسُلَهُ، لَا تَتَّخِذُوا أَخْلَاءَ وَأَصْفِيَاءَ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، تُظَلِّعُونَهُمْ عَلَى أَسْرَارِكُمْ وَخَوَاصِرِ أَحْوَالِكُمْ، فَهُمْ لَا يُقْصِرُونَ فِي طَلَبِ مَضَرَّتِكُمْ وَفَسَادِ حَالِكُمْ، يَتَمَنُّونَ حَصُولَ مَا يَضُرُّكُمْ وَيَشُقُّ عَلَيْكُمْ، قَدْ ظَهَرَتِ الْكِرَاهِيَةُ وَالْعَدَاوَةُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، بِالطَّعْنِ فِي دِينِكُمْ، وَالْوَقِيعَةِ بَيْنَكُمْ، وَإِفْشَاءِ أَسْرَارِكُمْ، وَمَا تَكْتُمُهُ صُدُورُهُمْ مِنَ الْكِرَاهِيَةِ أَعْظَمُ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - الْبَرَاهِينَ الْوَاضِحَةَ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ مَصَالِحِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ عَنْ رِبِكُمْ مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ.

﴿٣٩﴾ هَآأَنْتُمْ - يَا هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ - تَحِبُّونَ أُولَئِكَ الْقَوْمَ، وَتَرْجُونَ لَهُمُ الْخَيْرَ، وَهُمْ لَا يَحِبُّونَكُمْ، وَلَا يَرْجُونَ لَكُمْ الْخَيْرَ، بَلْ يَبْغِضُونَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَوْثِقُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهَا، وَمِنْهَا كِتَابُهُمْ، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ، وَإِذَا التَّقَوُّمُ قَالُوا بِالْأَلْسِنَةِ: صَدَّقْنَا، وَإِذَا انْفَرَدَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ عَضُّوا أَطْرَافَ أَصَابِعِهِمْ غَمًّا وَغَيْظًا لِّمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَعِزَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الذَّلَّةِ. قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لِأُولَئِكَ الْقَوْمِ: ابْقُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى تَمُوتُوا غَمًّا وَغَيْظًا، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

﴿٤٠﴾ إِنْ تَصَبَّحَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - نِعْمَةٌ مِنْ نَصْرِ عَلَى عَدُوٍّ، أَوْ زِيَادَةٌ فِي مَالٍ وَوَلَدٍ؛ يَصْبِهِمُ الْهَمُّ وَالْحُزْنُ، وَإِنْ تَصَبَّحَكُمْ مُصِيبَةٌ مِنْ نَصْرِ عَدُوٍّ أَوْ نَقْصٍ فِي مَالٍ وَوَلَدٍ، يَفْرَحُوا بِذَلِكَ، وَيَسْتَمْتُوا بِكُمْ، وَإِنْ تَصَبَّرُوا عَلَى أَمْرِهِمْ وَأَقْدَارِهِ، وَتَتَّقُوا غَضَبَهُ عَلَيْكُمْ؛ لَا يَضُرُّكُمْ مَكْرُهُمْ وَأَذَاهُمْ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْكَيْدِ مُحِيطٌ، وَسِيرْدُهُمْ خَائِبِينَ.

﴿٤١﴾ وَاذْكُرْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - حِينَ خَرَجْتَ أَوَّلَ النَّهَارِ مِنَ الْمَدِينَةِ لِقَاتِ الْمَشْرِكِينَ فِي أَحَدٍ، حَيْثُ أَخَذَتْ تُتْرَلُ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاقِعَهُمْ مِنَ الْقِتَالِ، فَبَيَّنْتَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَنَزَلَهُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِّأَقْوَالِكُمْ، عَلِيمٌ بِأَفْعَالِكُمْ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- نَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مَوَالَاةِ الْكَافِرِينَ وَجَعَلَهُمْ أَخْلَاءَ وَأَصْفِيَاءَ يُفَضِّلُ إِلَيْهِمْ بِأَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْرَارِهِمْ.
- مِنْ صُورِ عَدَاوَةِ الْكَافِرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ فَرَحَهُمْ بِمَا يَصِيبُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَلَاءٍ وَنَقْصٍ، وَغَيْظَهُمْ إِنْ أَصَابَهُمْ خَيْرٌ.
- الْوَقَايَةُ مِنْ كَيْدِ الْكَفَّارِ وَمَكْرِهِمْ تَكُونُ بِالصَّبْرِ وَعَدَمِ إِظْهَارِ الْخَوْفِ، ثُمَّ تَقْوَى اللَّهِ وَالْأَخْذَ بِأَسْبَابِ الْقُوَّةِ وَالنَّصْرِ.

﴿١٣١﴾ اذكر - أيها النبي - ما وقع لفرقتين من المؤمنين من بني سلَمة، وبني حارثة، حين ضُعموا، وهُموا بالرجوع حين رجع المنافقون، والله ناصر هؤلاء بشيبتهم على القتال وصرهم عما هُموا به، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في كل أحوالهم.

﴿١٣٢﴾ ولقد نصركم الله على المشركين في معركة بدر وأنتم مستضعفون وذلك لقلّة عدلكم وعتادكم، فاتقوا الله لعلكم تشكرون نعمه عليكم.

﴿١٣٣﴾ اذكر - أيها النبي - حين قلت للمؤمنين مثبًا لهم في معركة بدر بعدما سمعوا بقدّر يأتي للمشركين: ألن يكفيكم أن يعينكم الله بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين منه سبحانه لتقويتكم في قتالكم؟!

﴿١٣٤﴾ بلى، إن ذلك يكفيكم. ولكم بشارة بعون آخر من الله: إن صبرتم على القتال، واتفقتم الله، وجاء المدد إلى أعدائكم من ساعتهم مسرعين إليكم، إن حصل ذلك فإن ربكم سيعينكم بخمسة آلاف من الملائكة معلمين أنفسهم وخيولهم بعلامة ظاهرة.

﴿١٣٥﴾ وما جعل الله هذا العون وهذا الإمداد بالملائكة إلا خبرًا سارًا لكم. تطمئن قلوبكم به، وإلا فإن النصر حقيقة لا يكون بمجرد هذه الأسباب الظاهرة، وإنما النصر حقًا من عند الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في تقديره وتشريعه.

﴿١٣٦﴾ هذا النصر الذي تحقق لكم في غزوة بدر أراد الله به أن يهلك طائفة من الذين كفروا بالقتل، ويخزي طائفة أخرى، ويغظهم بهزيمتهم، فيرجعوا بفشل وذل.

﴿١٣٧﴾ لما دعا الرسول على رؤساء المشركين بالهلاك بعد ما وقع منهم في أحد؛ قال الله له: ليس لك من أمرهم شيء، بل الأمر لله، فاصبر إلى أن يقضي الله بينكم، أو يوفقهم للتوبة فيسلموا، أو يستمروا على كفرهم فيعذبهم، فإنهم ظالمون مستحقون للعذاب.

﴿١٣٨﴾ والله ما في السماوات وما في الأرض خلْقًا وتدييرًا، يغفر الذنوب لمن يشاء من عباده برحمته، ويعذب من يشاء بعدله، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٣٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، تحبّوا أخذ الربا زيادة مضاعفة على رؤوس أموالكم التي أفرضتموها، كما يفعل أهل الجاهلية، واتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، لعلكم تنالون ما تطلبون من خير الدنيا والآخرة.

﴿١٤٠﴾ واجعلوا بينكم وبين النار التي أعدها الله للكافرين به وقاية؛ وذلك بعمل الصالحات وترك المحرمات.

﴿١٤١﴾ وأطيعوا الله ورسوله بامثال الأوامر واجتناب النواهي، لعلكم تنالون الرحمة في الدنيا والآخرة.

﴿١٤٢﴾ من قوايد الآيات،

- مشروعية التذكير بالنعم والنقم التي تنزل بالناس حتى يعتبر بها المرء.
- من أعظم أسباب تنزل نصر الله على عباده ورحمته ولطفه بهم: التزام التقوي، والصبر على شدائد القتال.
- الأمر كله لله تعالى، فيحكم بما يشاء، ويقضي بما أراد، والمؤمن الحق يُسلم لله تعالى أمره، وينقاد لحكمه.
- الذنوب - ومنها الربا - من أعظم أسباب خذلان العبد، ولا سيما في مواطن الشدائد والصعاب.
- مجيء النهي عن الربا بين آيات غزوة أحد ليشعر بشمول الإسلام في شرائعه وترباطها بحيث يشير إلى بعضها في وسط الحديث عن بعض.

﴿١٣٥﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ
عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَعْفِرْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا
فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٨﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن
رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ
أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ
﴿١٤٠﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٤١﴾
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ
﴿١٤٢﴾ إِن يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ
الْأَيَّامُ نُدَّوْلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿١٣٥﴾ وبادروا وسابقوا إلى فعل الخيرات، والتقرب إلى الله بأنواع الطاعات؛ لتنالوا مغفرة من الله عتيمة، وتدخلوا جنة عرضها السماوات والأرض، هيأها الله للمتقين من عباده.

﴿١٣٦﴾ المتقون هم الذين يبذلون أموالهم في سبيل الله، في حال اليسر والعسر، والمانعون غضبهم مع القدرة على الانتقام، والمتجاوزون عمن ظلمهم، والله يحب المحسنين المتصفين بمثل هذه الأخلاق.

﴿١٣٧﴾ وهم الذين إذا فعلوا كبيرة من الذنوب، أو نقصوا حظ أنفسهم بارتكاب ما دون الكبائر، ذكروا الله تعالى، وتذكروا وعيده للعاصين، ووعدته للمتقين، فطلبوا من ربهم نادمين ستر ذنوبهم وعدم مواخذتهم بها؛ لأنه لا يغفر الذنوب إلا الله وحده، ولم يصروا على ذنوبهم، وهم يعلمون أنهم مذنبون، وأن الله يغفر الذنوب جميعاً.

﴿١٣٨﴾ أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة، والخصال المجيدة، ثوابهم أن يستر الله ذنوبهم، ويتجاوز عنها، ولهم في الآخرة جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، مقيمين فيها أبداً، ونعم ذلك الجزاء للعاملين بطاعة الله.

﴿١٣٩﴾ ولما ابتلي المؤمنون بما نزل بهم يوم أحد قال الله معزياً لهم: قد مضت من قبلكم سنن إهلاك الكافرين، وجعل العاقبة للمؤمنين بعد ابتلائهم، فسيروا في الأرض فانظروا معتبرين كيف كان مصير المكذبين لله ورسله، خلت ديارهم، وزال ملكهم.

﴿١٤٠﴾ هذا القرآن الكريم بيان للحق وتحذير من الباطل للناس أجمعين، وهو دلالة إلى الهدى، وزاجر للمتقين؛ لأنهم هم المستفعدون بما فيه من الهدى والرشاد.

﴿١٤١﴾ ولا تضعفوا - أيها المؤمنون - ولا تحزنوا على ما أصابكم يوم أحد؛ ولا ينبغي ذلك لكم، فأنتم الأعلون بإيمانكم، والأعلون بعون الله ورجائكم نصره، إن كنتم مؤمنين بالله ووعدته لعباده المتقين.

﴿١٤٢﴾ إن أصابكم - أيها المؤمنون - جراح وقتل يوم أحد، فقد أصاب الكفار جراح وقتل مثل ما أصابكم، والأيام يصرفها الله بين الناس مؤمنهم وكافرهم بما شاء من نصر وهزيمة؛ لحكم بالغة؛ منها: ليظهر المؤمنين حقيقة من المنافقين، ومنها: ليكرم من يشاء بالشهادة في سبيله، والله لا يحب الظالمين لأنفسهم بترك الجهاد في سبيله.

• من قوايد الآيات،

• الترغيب في المسارعة إلى عمل الصالحات اغتناماً للأوقات، ومبادرة للطاعات قبل فواتها.

• من صفات المتقين التي يستحقون بها دخول الجنة: الإنفاق في كل حال، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان إلى الخلق.

• النظر في أحوال الأمم السابقة من أعظم ما يورث العبرة والعظة لمن كان له قلب يعقل به.

﴿١٤١﴾ ومن هذه الحكمة تطهير المؤمنين من ذنوبهم، وتخليص صفهم من المنافقين، وليسهل الكافرين ويمحوهم.

﴿١٤٢﴾ أظنتم - أيها المؤمنون - أنكم تدخلون الجنة دون ابتلاء وصبر يظهر به المجاهدون في سبيل الله حقيقة، والصابرون على البلاء الذي يصيبهم فيه؟!

﴿١٤٣﴾ ولقد كنتم - أيها المؤمنون - تتمنون لقاء الكفار لتناولوا الشهادة في سبيل الله، كما نالها إخوانكم في يوم بدر من قبل أن تلاقوا أسباب الموت وشدته، فما قد رأيتم في يوم أحد ما تمنيت، وأنتم تطرون له عياناً.

ولما شاع في الناس يوم أحد أن النبي ﷺ قُتل، أنزل الله معاتباً من قعد من المؤمنين عن القتال بسبب ذلك فقال:

﴿١٤٤﴾ وما محمد إلا رسول من جنس من سبقه من رسل الله الذين ماتوا أو قتلوا، أفان مات هو أو قتل ارتدتم عن دينكم، وتركتم الجهاد؟! ومن يرتد منكم عن دينه فلن يضرك شيئاً؛ إذ هو القوي العزيز، وإنما يضرك المرتد نفسه بتعريضها لخسارة الدنيا والآخرة، وسيجزى الله الشاكرين له أحسن الجزاء بثباتهم على دينه، وجهادهم في سبيله.

﴿١٤٥﴾ وما كانت نفس لتموت إلا

بقضاء الله، بعد أن تستوفي المدة التي كتبها الله وجعلها أجلاً لها، لا تزيد عنها ولا تنقص. ومن يرد ثواب الدنيا بعمله نعطه بقدر ما قدر له منها، ولا نصيب له في الآخرة، ومن يرد بعمله ثواب الله في الآخرة نعطه ثوابها، وسنجزى الشاكرين لربهم جزاءً عظيماً.

﴿١٤٦﴾ وكم من نبي من أنبياء الله قاتل معه جماعات من أتباعه كثيرة، فما جئوا عن الجهاد لما أصابهم من قتل وجراح في سبيل الله، وما ضعفوا عن قتال العدو، وما خضعوا له، بل صبروا وثبتوا، والله يحب الصابرين على الشدائد والمكاره في سبيله.

﴿١٤٧﴾ وما كان قول هؤلاء الصابرين لما نزل بهم هذا البلاء إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وتجاوزنا الحدود في أمرنا، وثبت أقدامنا عند ملاقات عدونا، وانصرونا على القوم الكافرين بك.

﴿١٤٨﴾ فاتاهم الله ثواب الدنيا بنصرهم والتمكين لهم، وآتاهم الثواب الحسن في الآخرة بالرضا عنهم، والنعيم المقيم في جنات النعيم، والله يحب المحسنين في عبادتهم ومعاملتهم.

● من قوايد الآيات،

- الابتلاء سنة إلهية يتميز بها المجاهدون الصادقون الصابرون من غيرهم.
- يجب ألا يرتبط الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه بأحد من البشر مهما علا قدره ومقامه.
- أعمار الناس وأجالهم ثابتة عند الله تعالى، لا يزيدها الحرص على الحياة، ولا ينقصها الإقدام والشجاعة.
- تختلف مقاصد الناس ونياتهم، فمنهم من يريد ثواب الله، ومنهم من يريد الدنيا، وكلٌ سيجازى على نيته وعمله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ
﴿١٥٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٦٠﴾ سَنُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٦١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ
وَعْدَهُ وَإِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ
مَّا تَحِبُّونَ مِّنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن
يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٦٢﴾ * إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُوتُ عَلَى أَحَدٍ
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَىٰكُمْ فَأَتْبَعَكُمْ
غَمًّا يَغْمِرُ لَكُمَا لَكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا
مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾

﴿١٥٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بالله واتبعوا
رسوله، إن تطيعوا الذين كفروا من
اليهود والنصارى والمشركين، فيما
يأمرونكم به من الضلال، يُرْجِعُوكُمْ
بعد إيمانكم إلى ما كنتم عليه كفارًا،
فترجعوا خاسرين في الدنيا والآخرة.
﴿١٦٠﴾ هؤلاء الكافرون لن ينصروكم إذا
أطعتموهم، بل الله هو ناصركم على
أعدائكم، فأطيعوه، وهو سبحانه خير
الناصرين، فلا تحتاجون لأحد بعده.
﴿١٦١﴾ سنلقي في قلوب الذين كفروا بالله
الخوف الشديد، حتى لا يستطيعوا
الثبات لقتالكم بسبب إشراكهم بالله
آلهة عبودها بأهوائهم، لم ينزل عليهم
بها حجة، ومُستقرُّهم الذي يرجعون
إليه في الآخرة هو النار، وبئس مستقر
الظالمين النار.

﴿١٦٢﴾ ولقد أنجزكم الله ما وعدكم به من
النصر على أعدائكم يوم أحد، حين
كنتم تقتلونهم قتلاً شديداً بإذنه تعالى،
حتى إذا جَبُنْتُمْ وضعفتم عن الثبات
على ما أمركم به الرسول، واختلفتم
بين البقاء في مواقعكم أو تركها وجمع
الغنائم، وعصيتم الرسول في أمره لكم
بالبقاء في مواقعكم على كل حال،
وقع ذلك منكم من بعد ما أراكم الله
ما تحبونه من النصر على أعدائكم،
منكم من يريد غنائم الدنيا، وهم الذين
تركوا مواقعهم، ومنكم من يريد ثواب
الآخرة، وهم الذين بقوا في مواقعهم

مطيعين أمر الرسول، ثم حَوَّلَكُمْ الله عنهم، وسلَّطَهُمْ عليكم؛ ليختبركم، فيظهر المؤمن الصابر على البلاء مَن
زلت قدمه، وضعفت نفسه، ولقد عفا الله عنكم ما ارتكبتموه من المخالفة لأمر رسوله، والله صاحب فضل عظيم
على المؤمنين حيث هداهم للإيمان، وعفا عنهم سيئاتهم، وأثابهم على مصائبهم.

﴿١٦٣﴾ اذكروا - أيها المؤمنون - حين كنتم تُبْعَدُونَ في الأرض هاربين يوم أحد، لما أصابكم الفشل بمخالفة أمر
الرسول، ولا ينظر أحد منكم لأحد، والرسول يدعوكم من خلفكم بينكم وبين المشركين قائلاً: إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ، إِلَيَّ
عِبَادَ اللَّهِ، فجازاكم الله على هذا أُلْماً وضيئاً بما فاتكم من النصر والغنيمة، يتبعه ألم وضيق، وبما شاع بينكم من
قَتْلِ النَّبِيِّ، وقد أنزل بكم هذا لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من النصر والغنيمة، ولا ما أصابكم من قتل وجراح،
بعدما علمتم أن النبي لم يُقْتَلْ، حيث هانت عليكم كل مصيبة وألم، والله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء
من أحوال قلوبكم، ولا أعمال جوارحكم.

﴿١٦٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- التحذير من طاعة الكفار والسير في أهوائهم، فعاقبة ذلك الخسران في الدنيا والآخرة.
- إلقاء الرعب في قلوب أعداء الله صورة من صور نصر الله لأوليائه المؤمنين.
- من أعظم أسباب الهزيمة في المعركة التعلق بالدنيا والطمع في مغانمها، ومخالفة أمر قائد الجيش.
- من دلائل فضل الصحابة أن الله يعقب بالمغفرة بعد ذكر خطيئهم.

﴿١٥٤﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قَتَلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٨﴾

﴿١٥٤﴾ إن الذين انهزموا منكم - يا أصحاب محمد ﷺ - يوم التقى جمع المشركين في أحد بجمع المسلمين، إنما حملهم الشيطان على الزلل بسبب بعض ما اكتسبوه من المعاصي، ولقد عفا الله عنهم فلم يؤاخذهم بها فضلاً منه ورحمة، إن الله غفور لمن تاب، حلیم لا يعاجل بالعقوبة.

﴿١٥٥﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تكونوا مثل الكفار من المنافقين، ويقولون لأقاربهم إذا سافروا يطلبون رزقاً، أو كانوا غزاة فماتوا أو قتلوا: لو كانوا عندنا ولم يخرجوا، ولم يغزوا لم يموتوا ولم يقتلوا، جعل الله هذا الاعتقاد في قلوبهم ليزدادوا ندامة وحزناً في قلوبهم، والله وحده هو الذي يحيي ويميت بمشيئته، لا يمنع قدره قعود ولا يعجله خروج، والله بما تعملون بصير، لا تخفى عليه أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿١٥٦﴾ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متُّم - أيها المؤمنون - ليُغْفَرَ الله لكم مغفرة عظيمة، ويرحمكم رحمة منه، هي خير من هذه الدنيا وما يجمع أهلها فيها من نعمها الزائل.

﴿١٥٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الجهل بالله تعالى وصفاته يُورث سوء الاعتقاد وفساد الأعمال.
- آجال العباد مضروبة محدودة، لا يُعجلها الإقدام والشجاعة، ولا يؤخرها الجبن والحرص.
- من سُنَّةِ الله تعالى الجارية ابتلاء عباده؛ ليميز الخبيث من الطيب.
- من أعظم المنازل وأكرمها عند الله تعالى منازل الشهداء في سبيله.

وَلَيْنَ مُتَمَّرًا وَقُتِلَتْ لِي إِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ
لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٥٩﴾ إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ
بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ
يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ
نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ
اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا أُولَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
﴿٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٣﴾ لَقَدْ
مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٤﴾ أَوَلَمَّْا
أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا
قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٥﴾

﴿٥٨﴾ ولئن مُتَمَّرًا على أي حال كان موتكم، أو قُتِلْتُمْ؛ فيألي الله وحده ترجعون جميعًا؛ ليجازيكم على أعمالكم.

﴿٥٩﴾ فبسبب رحمة من الله عظيمة كان خُلُقك - أيها النبي - سهلًا مع أصحابك، ولو كنت شديدًا في قولك وفعلك، قاسي القلب لفرقوا عنك، فتجاوز عنهم تقصيرهم في حقك، واطلب لهم المغفرة، واطلب رأيهم فيما يحتاج إلى مشورة، فإذا عقدت عزمك على أمر بعد المشاورة فامض فيه، وتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين عليه فيوفقههم ويؤيدهم.

﴿٦٠﴾ إن يؤيدكم الله بإعانتة ونصره فلا أحد يغلبكم، ولو اجتمع عليكم أهل الأرض، وإذا ترك نصركم ووكلكم إلى أنفسكم فلا أحد يستطيع أن ينصركم من بعده، فالنصر بيده وحده، وعلى الله فليعتمد المؤمنون لا على أحد سواه.

﴿٦١﴾ ما كان لنبي من الأنبياء أن يخون بأخذ شيء من الغنيمة غير ما اختصه به الله، ومن يَخُنْ منكم بأخذ شيء من الغنيمة، يُعاقب بأن يُفْضَح يوم القيامة، فيأتي حاملًا ما أخذه أمام الخلق، ثم تُعطى كل نفس جزاء ما اكتسبته تامة غير منقوص، وهم لا يُظلمون بزيادة سيئاتهم، ولا بنقص حسناتهم.

﴿٦٢﴾ لا يستوي عند الله من اتبع ما ينال به رضوان الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن كفر بالله وعمل السيئات، فرجع بغضب شديد من الله، ومستقره جهنم، وساءت مرجعًا ومستقرًا.

﴿٦٣﴾ هم متفاوتون في منازلهم في الدنيا والآخرة عند الله، والله بصير بما يعملون، لا يخفى عليه شيء، وسيجازي كلا بعمله.

﴿٦٤﴾ لقد أنعم الله على المؤمنين وأحسن إليهم حين بعث فيهم رسولًا من جنسهم، يقرأ عليهم القرآن، ويظهرهم من الشرك والأخلاق الرذيلة، ويعلمهم القرآن والسنة، وقد كانوا من قبل بعثة هذا الرسول في ضلال واضح عن الهدى والرشاد.

﴿٦٥﴾ أتعلمون أصابتكم - أيها المؤمنون - مصيبة حين هُزِمْتُمْ في أحد، وقُتِلَ منكم من قُتِلَ، قد أصبتم من عدوكم ضيقًا من القتلى والأسرى يوم بدر، قُتِلْتُمْ: من أين أصابنا هذا ونحن مؤمنون، ونبينا الله فينا؟! قل - أيها النبي -: ما أصابكم من ذلك جاءكم بسببكم حين تنازعتم، وعصيتم الرسول، إن الله على كل شيء قدير؛ فينصر من يشاء، ويخذل من يشاء.

﴿٦٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- النصر الحقيقي من الله تعالى، فهو القوي الذي لا يُحَارَب، والعزيز الذي لا يُغَالَب.
- لا تستوي في الدنيا حال من اتبع هدى الله وعمل به وحال من أعرض وكذب به، كما لا تستوي منازلهم في الآخرة.
- ما ينزل بالعبد من البلاء والمحن هو بسبب ذنوبه، وقد يكون ابتلاءً ورفَع درجات، والله يعفو ويتجاوز عن كثير منها.

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْقِي الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
 (٣٦١) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبَعُكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ تَوَمِيدٌ
 أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (٣٦٢) الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِ هُمْ وَقَعَدُوا
 لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرءُ وَأَعَنَ أَنْفُسَكُمْ أَلَمْ تَمُوتُوا إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦٣) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (٣٦٤) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ
 مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٦٥) * يَسْتَبْشِرُونَ
 بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُؤْمِنِينَ (٣٦٦) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
 الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (٣٦٧)
 الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
 فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (٣٦٨)

الجزء ٨

٧٢

(٣٦١) وما حدث لكم من القتل والجراح والهزيمة يوم أحد حين التقى جمعكم وجنح المشركين، فهو بإذن الله وقدره؛ لحكمة بالغة حتى يظهر المؤمنون الصادقون.

(٣٦٢) وليظهر المنافقون الذين لمَّا قيل لهم: قاتلوا في سبيل الله، أو ادفعوا بتكثيركم سواد المسلمين؛ قالوا: لو نعلم أنه يكون قتال لا تبعناكم لكنه لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال، هم في حالهم وقتل أقرب إلى ما يدل على كفرهم مما يدل على إيمانهم. يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم، والله أعلم بما يُبطنونه في صدورهم، وسيعاقبهم عليه.

(٣٦٣) هم الذين تخلفوا عن القتال، وقالوا لقرابتهم الذين أصيبوا يوم أحد: لو أنهم أطاعونا ولم يخرجوا للقتال لمَّا قتلوا، قل - أيها النبي - ردًّا عليهم: فادفعوا عن أنفسكم الموت إذا نزل بكم إن كنتم صادقين فيما ادعيتهم من أنهم لو أطاعوكم ما قتلوا، وأن سبب نجاتكم من الموت هو القعود عن الجهاد في سبيل الله.

(٣٦٤) ولا تظنن - أيها النبي - أن الذين قتلوا في الجهاد في سبيل الله أموات، بل هم أحياء حياة خاصة عند ربهم في دار كرامته، يرزقون من أنواع النعيم الذي لا يعلمه إلا الله.

(٣٦٥) قد غمرتهم السعادة، وشملتهم

الفرحة، بما منَّ الله عليهم من فضله، ويأملون وينتظرون أن يلحق بهم إخوانهم الذين بقوا في الدنيا، أنهم إن قتلوا في الجهاد فسينالون من الفضل مثلهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

(٣٦٦) ويفرحون مع هذا بثواب كبير ينتظرهم من الله، وزيادة على الثواب عظيمة، وأنه تعالى لا يُبطل أجر المؤمنين به، بل يوفيه أجورهم كاملة، ويزيدهم عليها.

(٣٦٧) الذين استجابوا لأمر الله ورسوله عندما دُعوا إلى الخروج للقتال في سبيل الله، وملاقاة المشركين في غزوة «حمراء الأسد» التي أعقبت أخذًا بعدما أصابتهم الجروح يوم أحد، فلم تمنعهم جروحهم من تلبية نداء الله ورسوله. للذين أحسنوا منهم في أعمالهم، واتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، أجر عظيم من الله، وهو الجنة.

(٣٦٨) الذين قال لهم بعض المشركين: إن قريشًا بقيادة أبي سفيان قد جمعوا لكم جموعًا كثيرة لقتالكم والقضاء عليكم، فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فزادهم هذا الكلام والتخويف تصديقًا بالله وثقة بوعده، فخرجوا إلى لقاءهم وهم يقولون: يكفينا الله تعالى، وهو نعم من نفوض إليه أمرنا.

• مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- من سنن الله تعالى أن يتلي عباده؛ ليميز المؤمن الحق من المنافق، وليعلم الصادق من الكاذب.
- عظم منزلة الجهاد والشهادة في سبيل الله وثواب أهله عند الله تعالى حيث ينزلهم الله تعالى بأعلى المنازل.
- فضل الصحابة وبيان علو منزلتهم في الدنيا والآخرة؛ لما بذلوه من أنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى.

(٧٦) فرجعوا بعد خروجهم إلى «حمراء الأسد» بثواب عظيم من الله، وزيادة في درجاتهم، وسلامة من عدوهم فلم يصبهم قتل ولا جراح، واتبعوا ما يرضي الله عنهم من التزام طاعته والكف عن معصيته، والله صاحب فضل عظيم على عباده المؤمنين.

(٧٧) إنما المخوف لكم الشيطان، يرهبكم بأنصاره وأعدائه، فلا تجنبوا عنهم، فإنهم لا حول لهم ولا قوة، وخافوا الله وحده بالالتزام طاعته، إن كنتم مؤمنين به حقًا.

(٧٨) ولا يوقعك في الحزن - أيها الرسول - الذين يسارعون في الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق، فإنهم لن ينالوا الله بأي ضرر، وإنما يضرون أنفسهم بعدهم عن الإيمان بالله وطاعته، يريد الله بخذلانهم وعدم توفيقهم ألا يكون لهم نصيب في نعيم الآخرة، ولهم فيها عذاب عظيم في النار.

(٧٩) إن الذين استبدلوا الكفر بالإيمان لن يضروا الله أي شيء، إنما يضرون أنفسهم، ولهم عذاب أليم في الآخرة.

(٨٠) ولا يظنن الذين كفروا بربهم، وعاندوا شرعه، أن إمهالهم وإطالة عمرهم على ما هم عليه من كفر خير لأنفسهم، ليس الأمر كما ظنوا، وإنما نمهلهم ليزدادوا إثمًا بكثرة المعاصي على إثمهم، ولهم عذاب مؤلٍ.

(٨١) ما كان من حكمة الله أن يدعكم - أيها المؤمنون - على ما أنتم عليه من اختلاط بالمنافقين وعدم تمييز المؤمنين حقًا، حتى يميزكم بأنواع التكاليف والابتلاءات، ليظهر المؤمن الطيب من المنافق الخيث. وما كان من حكمة الله أن يطلعكم على الغيب فتميزوا بين المؤمن والمنافق، ولكن الله يختار من رسله من يشاء، فيطلعه على بعض الغيب؛ كما أطلع نبيه محمدًا ﷺ على حال المنافقين. فحققوا إيمانكم بالله ورسوله، وإن تؤمنوا حقًا وتنفقوا بالله بامثال أوامره واجتناب نواهيه فلكم ثواب عظيم عند الله.

(٨٢) ولا يظنن الذين ييخلون بما آتاهم الله من النعم تفضلاً منه، فيمنعون حق الله فيها، لا يظنوا أن ذلك خير لهم، بل هو شر لهم؛ لأن ما بخلوا به سيكون طوقاً يطوقون به يوم القيامة في أعناقهم يعذبون به، والله وحده يؤول ما في السماوات والأرض، وهو الحي بعد فناء خلقه كلهم، والله عليم بدقائق ما تعملون، وسيجازيكم عليه.

• من قوايد الآيات.

- ينبغي للمؤمن ألا يلتفت إلى تخويف الشيطان له بأعدائه وأنصاره من الكافرين، فإن الأمر كله لله تعالى.
- لا ينبغي للعبد أن يغتر بإمهال الله له، بل عليه المبادرة إلى التوبة، ما دام في زمن المهلة قبل فواتها.
- البخليل الذي يمنع فضل الله عليه إنما يضر نفسه بحرمانها المتاجرة مع الله الكريم الوهاب، وتعريضها للعقوبة يوم القيامة.

فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ وَفَضِّلَ لَمْ يَمَسَّ سَوْءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (٧٦) إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٧٧) وَلَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطَاءً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧٨) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُضِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٨٠) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٨١) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨٢)

(٧٦) ما كان من حكمة الله أن يدعكم - أيها المؤمنون - على ما أنتم عليه من اختلاط بالمنافقين وعدم تمييز المؤمنين حقًا، حتى يميزكم بأنواع التكاليف والابتلاءات، ليظهر المؤمن الطيب من المنافق الخيث. وما كان من حكمة الله أن يطلعكم على الغيب فتميزوا بين المؤمن والمنافق، ولكن الله يختار من رسله من يشاء، فيطلعه على بعض الغيب؛ كما أطلع نبيه محمدًا ﷺ على حال المنافقين. فحققوا إيمانكم بالله ورسوله، وإن تؤمنوا حقًا وتنفقوا بالله بامثال أوامره واجتناب نواهيه فلكم ثواب عظيم عند الله.

(٨٢) ولا يظنن الذين ييخلون بما آتاهم الله من النعم تفضلاً منه، فيمنعون حق الله فيها، لا يظنوا أن ذلك خير لهم، بل هو شر لهم؛ لأن ما بخلوا به سيكون طوقاً يطوقون به يوم القيامة في أعناقهم يعذبون به، والله وحده يؤول ما في السماوات والأرض، وهو الحي بعد فناء خلقه كلهم، والله عليم بدقائق ما تعملون، وسيجازيكم عليه.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٦﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا بِلِلَّهِ عَهْدٍ إِنَّا لَا نُؤْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٨﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالرُّبْرُ وَالْكِتَابُ الْمُنِيرِ ﴿١٨٩﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٩٠﴾ * لَسْجُوتٌ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَسْمَعُنٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِّن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرٌ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عِزِّ الْأُمُورِ ﴿١٩١﴾

﴿١٨٦﴾ لقد سمع الله قول اليهود حين قالوا: «إن الله فقير حيث طلب منا القرض، ونحن أغنياء بما عندنا من أموال»، سنكتب ما قالوا من الإفك والفرية على ربهم وقتلهم أنبياءهم بغير حق، ونقول لهم: ذوقوا العذاب المحرق في النار.

﴿١٨٧﴾ ذلك العذاب بسبب ما قدمت أيديكم - أيها اليهود - من المعاصي والمخازي، وبأن الله ليس يظلم أحداً من عبده.

﴿١٨٨﴾ وهم الذين قالوا كذباً وافترأوا: إن الله أوصانا في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بما يصدق قوله، وذلك بأن يتقرب إلى الله بصدقة تُحرقها نار تنزل من السماء، فكذبوا على الله في نسبة الوصية إليه، وفي حصر دلائل صدق الرسل فيما ذكروا، ولهذا أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم: قد جاءكم رسل من قبلي بالبراهين الواضحة على صدقهم، وبالذي ذكرتم من القُرآن الذي تحرقه نار من السماء، فلم كذبتموهم وقتلتموهم إن كنتم صادقين فيما تقولون؟!

﴿١٨٩﴾ فإن كذبوك - أيها النبي - فلا تحزن، فهي عادة الكافرين، فقد كُذِّبَ رسل كثير من قبلك، جاؤوا بالأدلة الواضحة، وبالكتب المشتملة على المواعظ والرقائق، والكتاب الهادي

بما فيه من الأحكام والشرائع.

﴿١٩٠﴾ كل نفس مهما تكن لا بد أن تذوق الموت، فلا يغتر مخلوق بهذه الدنيا، وفي يوم القيامة تعطون أجور أعمالكم كاملة غير منقوصة، فمن أبعد الله عن النار، وأدخله الجنة؛ فقد نال ما يرجو من الخير، ونجا مما يخاف من الشر، وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل، ولا يتعلق بها إلا المخدوع.

﴿١٩١﴾ لتُخَبَّرَنَّ - أيها المؤمنون - في أموالكم، بأداء الحقوق الواجبة فيها، وبما ينزل بها من مصائب، ولتُخَبَّرَنَّ في أنفسكم بالقيام بتكاليف الشريعة، وما ينزل بكم من أنواع البلاء، ولتسمعن من الذين أعطوا الكتب من قبلكم ومن الذين أشركوا شيئاً كثيراً مما يؤذيكم من الطعن فيكم وفي دينكم، وإن تصبروا على ما يصيبكم من أنواع المصائب والابتلاءات، وتتقوا الله بفعل ما أمر وترك ما نهى، فإن ذلك من الأمور التي تحتاج إلى عزم، ويتنافس فيها المتنافسون.

﴿١﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من سوء فعال اليهود وقبيح أخلاقهم اعتداؤهم على أنبياء الله بالكذب والقتل.
- كل فوز في الدنيا فهو ناقص، وإنما الفوز التام في الآخرة، بالنجاة من النار ودخول الجنة.
- من أنواع الابتلاء الأذى الذي ينال المؤمنين في دينهم وأنفسهم من قبل أهل الكتاب والمشركين، والواجب حينئذ الصبر وتقوى الله تعالى.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْفُرُونَهُ وَفَبَدَّلُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا
آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَلِيمًا وَفُوعُوا
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٩١﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّاعَ الْآبَرَارِ ﴿٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩٤﴾

٧٥

﴿٨٧﴾ واذكر - أيها النبي - حين أخذ الله العهد المؤكد على علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى: لتوضحن للناس كتاب الله، ولا تكتمون ما فيه من الهدى، ولا ما دل عليه من نبوة محمد ﷺ، فما كان منهم إلا أن طرحوا العهد، ولم يلتفتوا إليه، فكتموا الحق وأظهروا الباطل، واستبدلوا بعهد الله ثمنًا زهيدًا، كالجاه والمال الذي قد ينالونه، فبئس هذا الثمن الذي يستبدلونه بعهد الله.

﴿٨٨﴾ لا تظنن - يا أيها النبي - أن الذين يفرحون بما فعلوا من القبائح، ويحبون أن يمدحهم الناس بما لم يفعلوه من الخير، لا تظننهم بمنجاة من العذاب وسلامة، بل محلهم جهنم، ولهم فيها عذاب موجع.

﴿٨٩﴾ والله وحده دون غيره ملك السماوات والأرض وما فيهما خلْقًا وتديرًا، والله على كل شيء قدير.

﴿٩٠﴾ إن في إيجاد السماوات والأرض من عدم على غير مثال سابق، وفي تعاقب الليل والنهار، وتفاوتهما طولًا وقصرًا؛ لدلائل واضحة لأصحاب العقول السليمة، تدلهم على خالق الكون المستحق للعبادة وحده.

﴿٩١﴾ وهم الذين يذكرون الله على كل أحوالهم، في حال قيامهم، وحال جلوسهم، وفي حال اضطجاعهم، ويعملون فكرهم في خلق السماوات والأرض؛ قائلين: يا ربنا، ما خلقت هذا الخلق العظيم عبثًا، تنزهت عن العبث، فجئنا عذاب النار بتوفيقنا للصالحات وجفطنا من السيئات.

﴿٩٢﴾ فإنك - يا ربنا - من تدخل النار من خلقت فقد أهنته وفضحته، وليس للظالمين يوم القيامة من أعوان يمنعون عنهم عذاب الله وعقابه.

﴿٩٣﴾ ربنا إننا سمعنا داعيًا للإيمان - وهو نبيك محمد ﷺ - يدعو قائلًا: آمنوا بالله ربكم إلهاً واحدًا، فآمنّا بما يدعو إليه، واتبعنا شريعته، فاستر ذنوبنا فلا تفضحننا، وتجاوز عن سيئاتنا فلا تؤاخذنا بها، وتوفنا مع الصالحين بتوفيقنا لفعل الخيرات وترك السيئات.

﴿٩٤﴾ ربنا وأعطنا ما وعدتنا على السنة رسلك، من الهداية والنصر في الدنيا، ولا تفضحننا يوم القيامة بدخول النار، إنك - يا ربنا - كريم لا تخلف وعذك.

﴿٩٥﴾ مِنْ قَوْلِهِ الْآيَاتِ.

• من صفات علماء السوء من أهل الكتاب: كُثم العلم، واتباع الهوى، والفرح بمدح الناس مع سوء سرائرهم وأفعالهم.

• التفكير في خلق الله تعالى في السماوات والأرض وتعاقب الأزمان يورث اليقين بعظمة الله وكمال الخضوع له ﷻ.

• دعاء الله وخضوع القلب له تعالى من أكمل مظاهر العبودية.

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ اَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ اَوْ اَنْتُمْ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۚ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَاُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَاُوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا اُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا اُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغْرَنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۚ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمِهَادِ ﴿١٩٦﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْآبَرَارِ ﴿١٩٧﴾ وَاِنَّ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَآثِلِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ اُولَٰئِكَ لَهُمْ اُجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ اِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٨﴾ يَٰٓاَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٩٩﴾

سُورَةُ الْاِٰنْشَارِ

اٰيَاتُهَا

تَرْتَبُهَا

٧٦

﴿١٩٥﴾ فَأَجَابَ رَبُّهُمْ دَعَاءَهُمْ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُضِيعُوا ثَوَابَ أَعْمَالِكُمْ قُلْتُ أَوْ كَثُرَتْ، سواء كان العامل ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، فَحُكِمَ بعضهم من بعض في الملة واحد، لَا يُزَادُ لِلذَّكَرِ، وَلَا يُنْقُصُ لِلْأُنْثَى، فَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَخْرَجَهُمُ الْكُفَّارُ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَأَصَابَهُمُ الْأَذَى بِسَبَبِ طَاعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقُتِلُوا لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا - لَا غُفْرَانَ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا تُجَاوِزْنَ عَنْهَا، وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنَ تَحْتِ قُصُورِهَا، ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ الْجَزَاءُ الْحَسَنَ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ.

﴿١٩٦﴾ لَا يَغْدَعُكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - تَقَلُّبُ الْكَافِرِينَ فِي الْبِلَادِ، وَتَمَكُّنُهُمْ مِنْهَا، وَسِعَةُ تِجَارَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ فَتَشْعُرُ بِأَلْهِمٍ وَالْغَمِّ مِنْ حَالِهِمْ.

﴿١٩٧﴾ فَهَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ لَا دَوَامَ لَهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ مَصِيرُهُمُ الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: جَهَنَّمُ وَبُشَى الْفَرَّاشِ لَهُمُ النَّارُ.

﴿١٩٨﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا، مَآكِثٌ فِيهَا أَبَدًا، جَزَاءً مُّعَدًّا لَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْمُصَالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِمَّا يَتَقَلَّبُ فِيهِ الْكُفَّارُ مِنْ مَلَذَاتِ الدُّنْيَا.

﴿١٩٩﴾ لَيْسَ أَهْلُ الْكِتَابِ سَوَاءً، فَإِنْ

مِنْهُمْ طَائِفَةٌ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَبِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَيُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ، لَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ رِسَالِ اللَّهِ، خَاضِعِينَ مُتَذَلِّلِينَ لِلَّهِ، رَغْبَةً فِيَمَا عِنْدَهُ، لَا يَسْتَبَدِّلُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، أُولَٰئِكَ الْمَوْصُوفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ لَهُمْ ثَوَابُهُمُ الْعَظِيمُ عِنْدَ رَبِّهِمْ، إِنْ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَسَرِيعُ الْجَزَاءِ عَلَيْهَا.

﴿٢٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، أَصْبِرُوا عَلَى تَكَالِيفِ الشَّرِيعَةِ، وَعَلَى مَا يُعْرَضُ لَكُمْ مِنْ مُصَآئِبِ الدُّنْيَا، وَغَالِبُوا الْكُفَّارَ فِي الصَّبْرِ فَلَا يَكُونُوا أَشَدَّ صَبْرًا مِنْكُمْ، وَأَقِيمُوا عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، لَعَلَّكُمْ تَنَالُونَ مَطْلُوبَكُمْ بِالسَّلَامَةِ مِنَ النَّارِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الْأَذَى الَّذِي يَنَالُ الْمُؤْمِنُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُضْطَرُّ إِلَى الْهَجْرَةِ وَالْخُرُوجِ وَالْجِهَادِ مِنْ أَكْثَرِ سَبَابِ تَكْفِيرِ الذُّنُوبِ وَمُضَاعَفَةِ الْأَجُورِ.
- لَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِمَا قَدْ يَنْتَعِمُ بِهِ الْكَافِرُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ وَالْمَتَاعِ وَإِنْ عَظُمَ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ، وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِحَقِيقَةِ مَصِيرِهِ فِي الْآخِرَةِ فِي دَارِ الْخُلُودِ.
- مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ الَّذِي فِي كِتَابِهِمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ.
- الصَّبْرُ عَلَى الْحَقِّ، وَمُغَالَبَةُ الْمَكْذِبِينَ بِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، هُوَ سَبِيلُ الْفَلَاحِ فِي الْآخِرَةِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَانْسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدَلُوا الْخَيْثَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَفُلْثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ۝ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَنَسَا فْكُلُوهُ هِنَكًا مَرِيئًا ۝ وَلَا تَوْنُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝

النساء غيرهن، إن شئتم تزوجن اثنين أو ثلاثاً أو أربعاً، فإن خفتم ألا تعدلوا بينهما فاقصروا على واحدة، أو استمتعوا بما ملكتم من الإماء؛ إذ لا يجب لهن مثل ما يجب للزوجات من الحقوق، ذلك الذي ورد في الآية في شأن اليتامى والاقصاء على نكاح واحدة أو الاستمتاع بالإماء أقرب إلى ألا تجوزوا وتميلوا.

﴿٤﴾ وأعطوا النساء مهورهن عطية واجبة، فإن طابت نفوسهن بشيء من المهر لكم بلا إكراه؛ فكلوه سائلاً لا تنغيص فيه.

﴿٥﴾ ولا تعطوا - أيها الأولياء - الأموال للذين لا يحسنون التصرف، فهذه الأموال جعلها الله سبباً تقوم به مصالح العباد وأمور معاشهم، وهؤلاء ليسوا أهلاً للقيام على الأموال وحفظها، وأنفقوا عليهم واكسوهم منها، وقولوا لهم قولاً طيباً، وعذوهم موعظة حسنة بأن تعطوهم مالههم إذا بلغوا الرشد وحسن التصرف.

﴿٦﴾ واختبروا - أيها الأولياء - اليتامى إذا وصلوا سن البلوغ، بإعطائهم جزءاً من مالههم يتصرفون فيه، فإن أحسنوا التصرف فيه، وتبين لكم رشدهم؛ فسلموا إليهم أموالهم كاملة غير منقوصة، ولا تأكلوا أموالهم متجاوزين الحد الذي أباحه الله لكم من أموالهم عند الحاجة، ولا تبادروا بأكلها خشية أن يأخذوها إذا بلغوا، ومن كان منكم له مال يُغنيهم فليمتنع عن الأخذ من مال اليتيم، ومن كان منكم فقيراً لا مال له فليأكل بقدر حاجته، وإذا سلمتم إليهم أموالهم بعد البلوغ وتبين الرشد منهم؛ فأشهدوا على ذلك التسليم حفظاً للحقوق، ومنعاً لأسباب الاختلاف، وكفى الله شاهداً على ذلك، ومحاسباً للعباد على أعمالهم.

﴿٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الأصل الذي يرجع إليه البشر واحد، فالواجب عليهم أن يتقوا ربهم الذي خلقهم، وأن يرحم بعضهم بعضاً.
- أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الضعفة من النساء واليتامى، بأن تكون المعاملة معهم بين العدل والفضل.
- جواز تعدد الزوجات إلى أربع نساء، بشرط العدل بينهما، والقدرة على القيام بما يجب لهن.
- مشروعية الحجر على السفیه الذي لا يحسن التصرف؛ لمصلحته، وحفظاً للمال الذي تقوم به مصالح الدنيا من الضياع.

﴿٨﴾ من مَقَاصِدِ الشُّوَرَةِ:

تنظيم المجتمع المسلم من داخله من خلال حفظ الحقوق الاجتماعية والمالية، إزالة لرواسب الجاهلية وتركيزاً على حقوق النساء والضعفاء.

﴿٩﴾ التَّفْصِيلُ:

شُمِيتَ بذلك لذكر النساء فيها وتفصيل كثير من أحكامهن.

﴿١٠﴾ يا أيها الناس، اتقوا ربكم، فهو الذي خلقكم من نفس واحدة هي أبوكم آدم، وخلق من آدم زوجه حواء أمكم، ونشر منهما في أقطار الأرض بشرًا كثيرًا ذكورًا وإناثًا، واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضاً به بأن يقول: أسألك بالله أن تفعل كذا، واتقوا قطع الأرحام التي تربط بينكم، إن الله كان عليكم رقيبًا، فلا يفوته شيء من أعمالكم، بل يحصيها ويجازيكم عليها.

﴿١١﴾ وأعطوا - أيها الأوصياء - اليتامى (وهم: من فقدوا آباءهم ولم يبلغوا الحلم) أموالهم كاملة إذا بلغوا وكانوا راشدين، ولا تبدلوا الحرام بالحلال؛ بأن تأخذوا الجيد النفيس من أموال اليتامى، وتدفعوا بدله الرديء الخسيس من أموالكم، ولا تأخذوا أموال اليتامى مضمومة إلى أموالكم، إن ذلك كان ذنباً عظيماً عند الله.

﴿١٢﴾ وإن خفتم ألا تعدلوا إذا تزوجتم اليتيمات اللاتي تحت ولايتكم، إما خوفاً من نقص مهرهن الواجب لهن، أو إساءة معاملتهن، فدعوهن وتزوجوا الطيبات من

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ٧ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٨ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٩ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ١٠ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١

٧) للرجال حظ مما تركه الوالدان والأقربون كالأخوة والأعمام بعد موتهم، قليلاً كان أو كثيراً، وللنساء حظ مما تركه هؤلاء؛ خلافاً لما كان عليه أمر الجاهلية من حرمان النساء والأطفال من الميراث، هذا النصيب حق مُبَيَّن المقدر مفروض من الله تعالى.

٨) وإذا حضر قسم التركة من لا يرث من الأقارب واليتامى والفقراء؛ فأعطوهم - على سبيل الاستحباب - من هذا المال قبل قسمته ما تطيب به نفوسكم، فهم مُتَشَوِّفُونَ إليه، وقد جاءكم بلا عناء، وقولوا لهم قولاً حسناً لا قبح فيه.

٩) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لو ماتوا وتركوا خلفهم أولاداً صغاراً ضعافاً، خافوا عليهم من الضياع، فليتقوا الله فيمن تحت ولايتهم من الأيتام بترك ظلمهم، حتى ييسر الله لهم بعد موتهم من يحسن لأولادهم كما أحسنوا هم، وليحسنوا في حق أولاد من يحضرون وصيته بأن يقولوا لهم قولاً مصيباً للحق بلا يظلم في وصيته حق ورثته من بعده، ولا يحرم نفسه من الخير بترك الوصية.

١٠) إن الذين يأخذون أموال اليتامى، ويتصرفون فيها ظلماً وعدواناً، إنما يأكلون في أجوافهم ناراً تلتهب عليهم، وستحرقهم النار يوم القيامة.

١١) يعهد الله إليكم ويأمركم في شأن ميراث أولادكم؛ أن الميراث يُقسم بينهم للابن مثل نصيب البنتين، فإن ترك الميت بنات دون ولد ذكر؛ ف للبنتين فأكثر الثلثان مما ترك، وإن كانت بنتاً واحدة فلها نصف ما ترك، ولكل واحد من أبوي الميت سدس ما ترك؛ إن كان له ولد ذكراً كان أو أنثى، وإن لم يكن له ولد ولا وارث له غير أبويه؛ فللأم الثلث، وباقي الميراث لأبيه، وإن كان للميت إخوة اثنان فأكثر ذكراً كانوا أو إناثاً أشقاء أو غير أشقاء؛ فلأمه السدس فرضاً، والباقي للأب تعصيباً، ولا شيء للإخوة، ويكون هذا القسم للميراث بعد تنفيذ الوصية التي أوصى بها الميت بشرط ألا تزيد وصيته عن ثلث ماله، وبشرط قضاء الدين الذي عليه، وقد جعل الله تعالى قسمة الميراث على هذا؛ لأنكم لا تدرُونَ مَنْ مِنَ الآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ أَقْرَبَ لَكُمْ نَفْعًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فقد يظن الميت بأحد ورثته خيراً؛ فيعطيه المال كله، أو يظن به شراً فيحرمه منه، وقد يكون الحال خلاف ذلك، والذي يعلم ذلك كله هو الله الذي لا يخفى عليه شيء، ولذلك قسم الميراث على ما بيّن، وجعله فريضة منه واجبة على عباده، إن الله كان عليماً لا يخفى عليه شيء من مصالح عباده، حكيماً في شرعه وتدييره.

• من قواعد الآيات،

- دلت أحكام الموارث على أن الشريعة أعطت الرجال والنساء حقوقهم مراعية العدل بينهم وتحقيق المصلحة بينهم.
- التغليب الشديد في حرمة أموال اليتامى، والنهي عن التعدي عليها، وعن تضييعها على أي وجه كان.
- لما كان المال من أكثر أسباب النزاع بين الناس تولى الله تعالى قسمته في أحكام الموارث.

﴿٧٢﴾ وَلَكُمْ - أيها الأزواج - نصف ما تركت زوجاتكم؛ إن لم يكن لهن ولد - ذكراً كان أو أنثى - منكم أو من غيركم، فإن كان لهن ولد - ذكراً كان أو أنثى - فلکم الربع مما تركن من المال، يقسم لكم ذلك بعد تنفيذ وصيتهن، وقضاء ما عليهن من دين. وللزوجات الربع مما تركتم - أيها الأزواج - إن لم يكن لكم ولد - ذكراً كان أو أنثى - منهن أو من غيرهن، فإن كان لكم ولد - ذكراً كان أو أنثى - فلهن الثمن مما تركتم، يُقسم لهن ذلك بعد تنفيذ وصيتكم، وقضاء ما عليكم من دين. وإن مات رجل ليس له والد ولا ولد، أو مات امرأة ليس لها والد ولا ولد، وكان للميت منهما أخ لأم أو أخت لأم؛ فلكل واحد من أخيه لأمه أو أخته لأمه السدس فرضاً، فإن كان الإخوة لأم أو الأخوات لأم أكثر من واحد؛ فلجميعهم الثلث فرضاً يشتركون فيه، يستوي في ذلك ذكراً وأنثاهم، وإنما يأخذون نصيبهم هذا بعد تنفيذ وصية الميت، وقضاء ما عليه من دين، بشرط أن تكون وصيته لا تُدخل الضرر على الورثة؛ كأن تكون وصية بأكثر من ثلث ماله، هذا الحكم الذي تضمنته الآية عهد من الله إليكم أوجبه عليكم، والله عليم بما يصلح عباده في الدنيا والآخرة، حلیم لا يعاجل العاصي بالعقوبة.

﴿٧٣﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دِينَارٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دِينَارٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دِينَارٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٧٤﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٥﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٧٦﴾

﴿٧٣﴾ تلك الأحكام المذكورة في شأن اليتامى وغيرهم، شرائع الله التي شرعها لعباده ليعملوا بها، ومن يطع الله ورسوله بامتنثال أوامره واجتناب نواهيه؛ يدخله الله جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، مأكثين فيها لا يلحقهم فناء، وذلك الجزاء الإلهي هو الفلاح العظيم الذي لا يضاويه فلاح. ﴿٧٤﴾ ومن يعص الله ورسوله بتعطيل أحكامه وترك العمل بها، أو الشك فيها، ويتجاوز حدود ما شرعه؛ يدخله ناراً مأكثاً فيها، وله فيها عذاب مُدِيل.

﴿٧٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- لا تُقسم الأموال بين الورثة حتى يُقضى ما على الميت من دين، ويخرج منها وصيته التي لا يجوز أن تتجاوز ثلث ماله.
- التحذير من التهاون في قسمة الموارث؛ لأنها عهد الله ووصيته لعباده المؤمنين؛ فلا يجوز تركها أو التهاون فيها.
- من علامات الإيمان امتثال أوامر الله، وتعظيم نواهيه، والوقوف عند حدوده.
- من عدل الله تعالى وحكمته أن من أطاعه وعده بأعظم الثواب، ومن عصاه وتعدى حدوده توعده بأعظم العقاب.

﴿١٥﴾ واللاتي يرتكبن فاحشة الزنى من نساكنكم محصنات وغير محصنات فاستشهدوا عليهن أربعة رجال مسلمين عدول، فإن شهدوا عليهن بارتكابها فاجبسوهن في البيوت عقوبة لهن، حتى تنقضي حياتهن بالموت، أو يجعل الله لهن طريقًا غير طريق الحبس. ثم بين الله السبيل لهن بعد ذلك، فشرع جلد البكر الزانية مئة جلدة وتغريب عام، ورجم المحصنة.

﴿١٦﴾ واللاتي يرتكبن فاحشة الزنى من الرجال - مُحْصَنِينَ أو غير مُحْصَنِينَ - فعاقبوهما باللسان واليد بما يحق الإهانة والزجر، فإن أقلعما عثمًا كانا عليه، وصلحت أعمالهما؛ فأعرضوا عن أذاهما؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، إن الله كان توابًا على من تاب من عباده رحيمًا بهم.

والاكْتِفَاء بهذا النوع من العقاب كان في أول الأمر، ثم نسخ بعد ذلك بجلد البكر وتغريبه، وبرجم المُحْصَن.

﴿١٧﴾ إنما يقبل الله توبة الذين أقدموا على ارتكاب الذنوب والمعاصي بجهل منهم لعاقبتها وشؤمها - وهذا شأن كل مرتكب ذنب متعمدًا كان أو غير متعمد - ثم يرجعون منيبين إلى ربهم قبل معاينة الموت، فأولئك يقبل الله توبتهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، وكان الله عليماً بأحوال خلقه، حكيمًا في تقديره وتشريعه.

وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذَوْهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

﴿١٨﴾ ولا يقبل الله توبة الذين يُصِرُّون على المعاصي، ولا يتوبون منها إلى أن يعانوا سكرات الموت، فعندئذ يقول الواحد منهم: إني تبنت الآن مما ارتكبته من المعاصي. ولا يقبل الله - كذلك - توبة الذين يَمُوتُونَ وهم مُصِرُّون على الكفر، أولئك العصاة المُصِرُّون على المعاصي، والذين يَمُوتُونَ وهم على كفرهم؛ أَعْدَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

﴿١٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا يجوز لكم أن تَرِثُوا نساء آبائكم كما يورث المال، وتتصرفوا فيهن بالزواج بهن، أو تزويجهن ممن تشاؤون، أو منعهن من الزواج. ولا يجوز لكم إمساك أزواجكم اللاتي تكرهوهن للإضرار بهن، حتى يتنازلن لكم عن بعض ما أعطيتموهن من مهر وغيره، إلا أن يرتكبن فاحشة واضحة كالزنى، فإذا فعلن ذلك جاز لكم إمساكنهن والتضييق عليهن حتى يفتدين منكم بما أعطيتموهن، وصاحبوا نساءكم صحة طيبة، بكف الأذى وبذل الإحسان، فإن كرهتموهن لأمر دنيوي فاصبروا عليهن؛ فلعل الله يجعل فيما تكرهون خيرًا كثيرًا في الحياة الدنيا والآخرة.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ارتكاب فاحشة الزنى من أكثر المعاصي خطرًا على الفرد والمجتمع؛ ولهذا جاءت العقوبات عليها شديدة.
- لُطْفَ الله ورحمته بعباده حيث فتح باب التوبة لكل مذنب، ويسر له أسبابها، وأعانته على سلوك سبيلها.
- كل من عصى الله تعالى بعمد أو بغير عمد فهو جاهل بقدر من عصاه جل وعلا، وجاهل بآثار المعاصي وشؤمها عليه.
- من أسباب استمرار الحياة الزوجية أن يكون نظر الزوج متوازنًا، فلا يحصر نظره فيما يكره، بل ينظر أيضًا إلى ما فيه من خير وقد يجعل الله فيه خيرًا كثيرًا.

وَأَنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَهُنَّ قَطْرًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ
بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥١﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى
بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا
﴿٥٢﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴿٥٣﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ
الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ
وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ
الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُكُمُ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا
أَصْلَابُكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٤﴾

٨١

﴿٥١﴾ وإن أردتم - أيها الأزواج - تطليق
امرأة، واستبدال غيرها بها؛ فلا حرج
عليكم في ذلك، وإن كنتم أعطيتهم التي
عزمتهم على فراقها مالا كثيرا مهرا لها؛
فلا يجوز لكم أخذ شيء منه، فإن
أخذ ما أعطيتموهن يعد افتراء مبينا
وإثما واضحا!

﴿٥٢﴾ وكيف تأخذون ما أعطيتموهن من
المهر بعد الذي حصل بينكم من علاقة
ومودة واستمتاع واطلاع على الأسرار،
فإن الطمع بما في أيديهن من مال بعد
هذا أمر منكّر ومستقبح، وقد أخذن
منكم عهدا موثقا شديدا، وهو
استحلالهن بكلمة الله تعالى وشرعه.

﴿٥٣﴾ ولا تنزوجوا ما تزوجه آبائكم من
النساء؛ فإن ذلك محرّم، إلا ما سبق
من ذلك قبل الإسلام فلا مؤاخذه
عليه، ذلك أن تزوج الأبناء من
زوجات آبائهم أمر يعظم قبته، وسبب
غضب الله على فاعله، وساء طريقا
لمن سلكها.

﴿٥٤﴾ حرّم الله عليكم نكاح أمهاتكم
وإن علون؛ أي أم الأم وجدتها من
جهة الأب أو الأم، وبناتكم وإن
نزلن؛ أي بنتها وبنت بنتها، وكذلك
بنات الابن وبنات البنت وإن نزلن،
وأخواتكم من أبيكم أو من أحدهما،
وعماتكم، وكذلك عمات آبائكم
وأمهاتكم وإن علون، وخالاتكم،
وكذلك خالات أمهاتكم وآبائكم وإن

علون، وبنات الأخ وبنات الأخت، وأولادهم وإن نزلوا، وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة،
وأمهات زوجاتكم سواء دخلتم بهن أو لم تدخلوا بهن، وبنات زوجاتكم من غيركم اللاتي ينشأن ويتربن في
بيوتكم غالبا، وكذلك إذا لم يتربن فيها، إن كنتم دخلتم بأمهاتهن، وأما إذا لم تدخلوا بهن فلا حرج عليكم في
نكاح بناتهن، وحرّم عليكم نكاح زوجات آبائكم الذين من أصلا بكم، ولو لم يدخلوا بهن، ويدخل في هذا
الحكم زوجات آبائكم من الرضاعة، وحرّم عليكم الجمع بين الأختين من النسب أو الرضاعة إلا ما مضى من
ذلك في الجاهلية فقد عفا الله عنه، إن الله كان غفورا لعباده الثائبين إليه، رحيمًا بهم. وثبت في السنة تحريم
الجمع كذلك بين المرأة وعمتها أو خالتها.

﴿٥٥﴾ مِنْ فَوَائِدِ آيَاتِ،

- إذا دخل الرجل بامرأته فقد ثبت مهرها، ولا يجوز له التعدي عليه أو الطمع فيه، حتى لو أراد فراقها وطلاقها.
- حرّم الله تعالى نكاح زوجات الآباء؛ لأنه فاحشة تمقتها العقول الصحيحة والفطر السليمة.
- بين الله تعالى بيانا مفصلا من يحل نكاحه من النساء ومن يحرم، سواء أكان بسبب النسب أو المصاهرة أو الرضاع، تعظيما لها، وصيانة لها من الاعتداء.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ ۖ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَ كُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْلِفَاتٍ وَلَا مُتَخَذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ بَفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝

﴿٧٤﴾ وحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء، إلا ما ملكتموهن بالسبي في الجهاد في سبيل الله، فيحل لكم وطوهن بعد استبراء أرحامهن بحيضة، فرض الله ذلك عليكم فرضاً، وأحل الله ما عدا ذلك من النساء، أن تطلبوا بأموالكم إحصان أنفسكم وإعفافها بالحلال غير قاصدين الزنى، فمن تمتعتم بهن بالنكاح فأعطوهن مهورهن التي جعلها الله فريضة واجبة عليكم، ولا إثم عليكم فيما وقع عليه تراضيكم من بعد تحديد المهر الواجب من زيادة عليه أو مسامحة في بعضه، إن الله كان عليماً بخلقه لا يخفى عليه منهم شيء، حكيماً في تدبيره وتشريعه.

﴿٧٥﴾ ومن لم يستطع منكم - أيها الرجال - لقلة ماله أن يتزوج الحرائر من النساء جاز له نكاح الإماء المملوكات لغيركم، إن كن مؤمنات فيما يظهر لكم، والله أعلم بحقيقة إيمانكم وبواطن أحوالكم، وأنتم وهن سواء في الدين والإنسانية، فلا تستكفوا عن الزواج منهن، فتزوجوهن بإذن مالكيهن، وآتوهن مهورهن دون نقص أو مطاطلة، هذا إن كن عفيفات غير زانيات علناً، ولا متخذات أخلاء للزنى بهن سراً، فإذا تزوجن، ثم ارتكبن فاحشة الزنى فحدهن نصف عقوبة الحرائر: خمسين جلدة، ولا رجم عليهن، بخلاف المحصنات من

الحرائر إذا زنين. ذلك المذكور من إباحة نكاح الإماء المؤمنات العفيفات رخصة لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنى، ولم يقدر على الزواج من الحرائر، على أن الصبر عن نكاح الإماء أولى؛ لتجنب الأولاد الاسترقاق، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمته أن شرع لهم نكاح الإماء حال العجز عن نكاح الحرائر عند خشية الزنى.

﴿٧٦﴾ يريد الله سبحانه بتشريع هذه الأحكام لكم أن يبين لكم معالم شرعه ودينه، وما فيه مصالحكم في الدنيا والآخرة، ويريد أن يرشدكم إلى طرق الأنبياء من قبلكم في التحليل والتحريم، وشماثلهم الكريمة، وسيرهم الحميدة لتبتعواهم، ويريد أن يرجع بكم عن معصيته إلى طاعته، والله عليم بما فيه مصلحة عباده فيشرعه لهم، حكيم في تشريع وتدبيره لشؤونهم.

• من فوائد الآيات،

- حرمة نكاح المتزوجات: حرائر أو إماء حتى تقضي عدتهن أيًا كان سبب العدة.
- أن مهر المرأة يتعين بعد الدخول بها، وجواز أن تحط بعض مهرها إذا كان بطيب نفس منها.
- جواز نكاح الإماء المؤمنات عند عدم القدرة على نكاح الحرائر؛ إذا خاف على نفسه الوقوع في الزنى.
- من مقاصد الشريعة بيان الهدى والضلال، وإرشاد الناس إلى سنن الهدى التي تردهم إلى الله تعالى.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ٢٧ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ
عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ٢٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا
وُظْلَمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا ٣٠ إِنْ تَحْتَسِبُوا كِبَاءَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا ٣١
وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ
نُصِيبُ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نُصِيبُ مِمَّا اكْتَسَبْنَ
وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ٣٢ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ
نُصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ٣٣

٨٣

٢٧) والله يريد أن يتوب عليكم، ويتجاوز عن سيئاتكم، ويريد الذين يسرون خلف ملذاتهم، أن تبعدوا عن طريق الاستقامة بُعدًا شديدًا.

٢٨) يريد الله أن يخفف عنكم فيما شرع، فلا يكلفكم ما لا تطيقون؛ لأنه عالم بضعف الإنسان في خلقه وخلقه.

٢٩) يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا يأخذ بعضكم مال بعض بالباطل، كالغصب والسرقة والرشوة وغيرها، إلا أن تكون الأموال أموال تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين، فيحل لكم أكلها والتصرف فيها، ولا يقتل بعضكم بعضًا، ولا يقتل أحدكم نفسه، ولا يلقي بها إلى التهلكة، إن الله كان بكم رحيمًا، ومن رحمته حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم.

٣٠) ومن يفعل ذلك الذي نهى عنه فيأكل مال غيره أو يتعدى عليه بقتل ونحوه عالمًا متعديًا، لا جاهلًا أو ناسيًا؛ فسيدخله الله نارًا عظيمة يوم القيامة، يعاني حرها، ويقاسي عذابها، وكان ذلك على الله هينًا؛ لأنه قادر لا يعجزه شيء.

٣١) إن تبتعدوا - أيها المؤمنون - عن فعل كبائر المعاصي مثل الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وأكل الربا؛ نتجاوز عما ترتكبونه من صغائرها بتكفيرها ومحوها، ندخلكم مكانًا كريمًا عند الله، وهو الجنة.

٣٢) ولا تتمنوا - أيها المؤمنون - ما فضل الله به بعضكم على بعض؛ لئلا يؤدي إلى السخط والحسد، فلا ينبغي للنساء أن يرتجبن ما خص الله به الرجال، فإن لكل فريق حظًا من الجزاء بحسبه، واطلبوا من الله أن يزيدهم من عطائه؛ إن الله عليم بكل شيء؛ فأعطى كل نوع ما يناسبه.

٣٣) ولكل واحد منكم جعلنا له عَصَبَة يرثون مما ترك الوالدان والأقربون من ميراث. والذين عقدتم معهم الأيمان المؤكدة على الجلف والنصرة فأعطوهم نصيبهم من الميراث، إن الله كان على كل شيء شهيدًا، ومن ذلك شهادته على أيمانكم وعهودكم هذه، والتوارث بالجلف كان في صدر الإسلام، ثم نسخ.

• من فوائد الآيات،

- سعة رحمة الله بعباده؛ فهو سبحانه يحب التوبة منهم، والتخفيف عنهم، وأما أهل الشهوات فإنما يريدون بهم ضلالًا عن الهدى.
- حفظت الشريعة حقوق الناس؛ فحرمت الاعتداء على الأنفس والأموال والأعراض، ورتبت أعظم العقوبة على ذلك.
- الابتعاد عن كبائر الذنوب سبب لدخول الجنة ومغفرة للصغائر.
- الرضا بما قسم الله، وترك التطلع لما في يد الناس؛ يُجَنَّب المرء الحسد والسخط على قدر الله تعالى.

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَإِلَّا فَتُحِلَّتْ لَكُم بَعْضُ مَا يَتَخَفَتُمْ حِفْظًا لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٢٥﴾ *وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٢٧﴾

﴿٢٤﴾ الرجال يَرْعَوْنَ النساء، ويقومون على شؤونهن، بسبب ما خَصَّهم الله به من الفضل عليهن، وبسبب ما يجب عليهن من النفقة والقيام عليهن، والصالحات من النساء مطيعات لربهن، مطيعات لأزواجهن، حافظات لهم في غيبتهم بسبب توفيق الله لهن، واللاتي تخافون ترفعهن عن طاعة أزواجهن في قول أو فعل، فابدؤوا - أيها الأزواج - بتذكيرهن وتخويفهن من الله، فإن لم يستجبن فاهجروهن في الفراش، بأن يوليها ظهره ولا يجامعها، فإن لم يستجبن فاضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن رجعن إلى الطاعة؛ فلا تعتدوا عليهن بظلم أو معاتبة، إن الله كان ذا علو على كل شيء، كبيراً في ذاته وصفاته فخافوه.

﴿٢٥﴾ وإن خفتم - يا أولياء الزوجين - أن يصل الخلاف بينهما إلى العداوة والتدابير، فابعثوا رجلاً عدلاً من أهل الزوج، ورجلاً عدلاً من أهل الزوجة؛ ليحكمما بما فيه المصلحة من التفريق أو التوفيق بينهما، والتوفيق أحب وأولى، فإن أَرَادَ الحكمان وسلكا الأسلوب الأمثل إليه يوفق الله بين الزوجين، ويرتفع الخلاف بينهما، إن الله لا يخفى عليه شيء من عباده، وهو عليم بدقائق ما يخفونه في قلوبهم.

﴿٢٦﴾ واعبدوا الله وحده بالانقياد له،

ولا تعبدوا معه سواه، وأحسنوا إلى الوالدين بإكرامهما وبرهما، وأحسنوا إلى الأقارب واليتامى والفقراء، وأحسنوا إلى الجار ذي القرابة، والجار الذي لا قرابة له، وأحسنوا إلى الصاحب المرافق لكم، وأحسنوا إلى المسافر الغريب الذي انقطع به السبل، وأحسنوا إلى ممالئكم، إن الله لا يحب من كان معجباً بنفسه، متكبراً على عباده، مادحاً لنفسه على وجه الفخر على الناس.

﴿٢٧﴾ ولا يحب الله الذين يمتنعون ما أوجب الله عليهم من الإنفاق مما أعطاهم من رزقه، ويأمرون بقولهم وفعلهم غيرهم بذلك، ويخفون ما آتاهم الله من فضله من الرزق والعلم وغيره، فلا يبينون للناس الحق، بل يكتُمونه، ويظهرون الباطل، وهذه الخصال من خصال الكفر، وقد هيأنا للكافرين عذاباً مخزيًا.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- ثبوت قِوَامَةِ الرجال على النساء بسبب تفضيل الله لهم باختصاصهم بالولايات، وبسبب ما يجب عليهم من الحقوق، وأبرزها النفقة على الزوجة.
- التحذير من البغي وظلم المرأة في التأديب بتذكير العبد بقدرة الله عليه وعلوه سبحانه.
- التحذير من ذميم الأخلاق، كالكبر والتفاخر والبخل وكنم العلم وعدم تبيينه للناس.

وَالَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ وَقَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَذُودُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ
سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي
سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً
فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ
الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

٨٥

﴿٣٨﴾ وهيانا العذاب كذلك للذين ينفقون أموالهم من أجل أن يراهم الناس ويمدحهم، وهم لا يؤمنون بالله، ولا بيوم القيامة؛ أعدنا لهم ذلك العذاب المخزي، وما أضلهم إلا متابعتهم للشيطان، ومن يكن الشيطان له صاحبًا ملازمًا فساء صاحبًا.

﴿٣٩﴾ وماذا يضر هؤلاء لو أنهم آمنوا بالله حقًا وبيوم القيامة، وأنفقوا أموالهم في سبيل الله مخلصين له؟! بل في ذلك الخير كله، وكان الله بهم عليماً، لا يخفى عليه حالهم، وسيجازي كلًا بعمله.

﴿٤٠﴾ إن الله تعالى عدل لا يظلم عباده شيئاً، فلا ينقص من حسناتهم مقدار نملة صغيرة، ولا يزيد في سيئاتهم شيئاً، وإن تكن زنة الذرة حسنة يضاعف ثوابها فضلاً منه، ويؤت من عنده مع المضاعفة ثواباً عظيماً.

﴿٤١﴾ فكيف يكون الأمر يوم القيامة حين نجى بني كل أمة يشهد عليها بما عملت، ونجى بك - أيها الرسول - على أمتك شاهداً؟!

﴿٤٢﴾ في ذلك اليوم العظيم يود الذين كفروا بالله وعصوا رسوله لو صاروا تراباً فكانوا سواءاً هم والأرض، ولا يخفون عن الله شيئاً مما عملوا؛ لأن الله يختم على ألسنتهم فلا تنطق، ويأذن لجوارحهم فتشهد عليهم بعملهم.

﴿٤٣﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تصلُّوا وأنتم في حال سكر حتى تصحوا من سركم، وتميزوا ما تقولون - وكان هذا قبل تحريم الخمر مطلقاً - ولا تصلُّوا وأنتم في حال جنابة، ولا تدخلوا المساجد في حالها إلا مُجْتَازِينَ دون بقاء فيها؛ حتى تغتسلوا، وإن أصابكم مرض لا يمكن استعمال الماء معه، أو كنتم مسافرين، أو أحدث أحدكم، أو جامعتم النساء؛ فلم تجدوا ماء - فاقصدوا تراباً طاهراً، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، إن الله كان عفواً غفوراً لكم.

﴿٤٤﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أمر اليهود الذين أعطاهم الله حظاً من العلم بالتوراة يستبدلون الضلال بالهدى، وهم حريصون على إضلالكم - أيها المؤمنون - عن الصراط المستقيم الذي جاء به الرسول؛ لتسلخوا طريقهم المعوج؟! من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من كمال عدله تعالى وتمام رحمته أنه لا يظلم عباده شيئاً مهما كان قليلاً، ويفضل عليهم بمضاعفة حسناتهم.
- من شدة هول يوم القيامة وعظم ما ينتظر الكافر يتمنى أن يكون تراباً.
- الجنابة تمنع من الصلاة والبقاء في المسجد، ولا بأس من المرور به دون مُكث فيه.
- تيسير الله على عباده بمشروعية التيمم عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله.

وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِاَعْدَائِكُمْ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَلِيًّا وَكَفٰى بِاللّٰهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
 مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوا بِحَرْفٍ مِّنَ الْكَلِمِ عَنْ مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُوْنَ
 سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرُ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنِّهِمْ
 وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَأَنْظُرْنَا
 لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلٰكِن لَّعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْنَ
 اِلَّا قَلِيْلًا ﴿٤٦﴾ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰتَوُا الْكِتٰبَ ءَامِنُوْا بِمَا نَزَّلْنَا
 مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّنْ قَبْلِ اَنْ نَّظْمِسَ وُجُوْهَا فِرَءَ رَءَا
 عَلٰى اَدْبَارِهَا اَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا اَصْحٰبَ السَّبِّ وَكَانَ اَمْرُ
 اللّٰهِ مَفْعُوْلًا ﴿٤٧﴾ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ اَنْ يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُوْنَ
 ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ افْتَرٰى اِثْمًا عَظِيْمًا
 ﴿٤٨﴾ اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ يُزَكُّوْنَ اَنْفُسَهُمْ بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّيْ مَنْ يَشَآءُ
 وَلَا يُظْلَمُوْنَ فِتْيًا ﴿٤٩﴾ اَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُوْنَ عَلٰى اللّٰهِ الْكُذِبَ
 وَكَفٰى بِهِۦ اِثْمًا مُّبِيْنًا ﴿٥٠﴾ اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ اٰتَوُا نَصِيْبًا
 مِّنَ الْكِتٰبِ يُؤْمِنُوْنَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوْتِ وَيَقُولُوْنَ
 لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا هٰٓؤُلَآءِ اَهْدٰى مِنَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا سَبِيْلًا ﴿٥١﴾

﴿٤٥﴾ والله أعلم بمنكم بأعدائكم - أيها المؤمنون - فأخبركم بهم وبين لكم عداوتهم، وكفى بالله وليًا يحفظكم من بأسهم، وكفى بالله نصيرًا يمنعكم من كيدهم وأذاهم وينصركم عليهم.

﴿٤٦﴾ من اليهود قوم سوء يغيرون الكلام الذي أنزله الله، فيؤولونه على غير ما أنزل الله، ويقولون للرسول ﷺ حين يأمرهم بأمر: سمعنا قولك، وعصينا أمرك، ويقولون مستهزئين: اسمع ما نقول لا سمعنا؟ ويوهمون بقولهم: «راعنا» أنهم يريدون: راعنا سمعك، وإنما يريدون الرعونة؛ يلوون بها ألسنتهم، يريدون الدعاء عليه ﷺ، ويقصدون القدح في الدين، ولو أنهم قالوا: سمعنا قولك، وأطعنا أمرك، بدلًا من قولهم: سمعنا قولك، وعصينا أمرك، وقالوا: اسمع، بدل قولهم: اسمع لا سمعنا، وقالوا: انتظرنا نفهم عنك ما تقول، بدل قولهم: راعنا؛ كان ذلك خيرًا لهم مما قالوه أولًا، وأعدل منه؛ لما فيه من حسن الأدب اللائق بجناب النبي ﷺ، ولكن لعنهم الله، فطردهم من رحمته بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إيمانًا ينفعهم.

﴿٤٧﴾ يا أيها الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى، آمنوا بما أنزلنا على محمد ﷺ، الذي جاء مصدقًا لما

معكم من التوراة والإنجيل، من قبل أن نمحو ما في الوجوه من الحواس، ونجعلها ناحية أدبارهم، أو نطردهم من رحمة الله كما طردنا منها أصحاب السبت الذين اعتدوا بالصيد فيه بعد نهْيهم عنه، فمسخهم الله قرده، وكان أمره تعالى وقدره واقعًا لا محالة.

﴿٤٨﴾ إن الله لا يغفر أن يُشرك به شيء من مخلوقاته، ويتجاوز عما دون الشرك والكفر من المعاصي لمن يشاء بفضلله، أو يعذب بها من شاء منهم بقدر ذنوبهم بعدله، ومن يُشرك مع الله غيره فقد اختلق إثمًا عظيمًا لا يُغفر لمن مات عليه.

﴿٤٩﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أمر أولئك الذين يشنون ثناء تركية على أنفسهم وأعمالهم؟ بل الله وحده هو الذي ينهي على من شاء من عباده وبيكهم؛ لأنه عالم بخفايا القلوب، ولن ينقصوا شيئًا من ثواب أعمالهم ولو كان قدر الخيط الذي في نواة النمر.

﴿٥٠﴾ انظر أيها الرسول كيف يخلقون على الله الكذب بشنائهم على أنفسهم! وكفى بذلك ذنبًا مبينًا عن ضلالهم.

﴿٥١﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - وتتعجب من حال اليهود الذين آتاهم الله حطًا من العلم، يؤمنون بما اتخذوه من معبودات من دون الله، ويقولون - مصانعةً للمشركين -: إنهم أهدى طريقًا من أصحاب محمد ﷺ؟!

﴿٥٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• كفاية الله للمؤمنين ونصره لهم تغنيهم عما سواه.

• بيان جرائم اليهود، كتحريفهم كلام الله، وموؤ أدبهم مع رسوله ﷺ، وتحاكمهم إلى غير شرعه سبحانه.

• بيان خطر الشرك والكفر، وأنه لا يُغفر لصاحبه إذا مات عليه، وأما ما دون ذلك فهو تحت مشيئة الله تعالى.

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
 أَمَلَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ إِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾
 يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا
 آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
 فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّعْتَهُ وَكَفَىٰ بَجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُفًا نَضِجَتْ
 جُلُودُهُمْ بِدَلِّهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
 عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا
 أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ
 أَنْ تُوَدُّوا إِلَى الْأَمْنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ
 تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
 بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
 الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ
 تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

الأنهار، ماكثين فيها أبداً، لهم في هذه الجنات زوجات مطهرات من كل قدر، وسندخلهم ظلًا ممتدًا كثيفًا لا حر فيه ولا برد.

﴿٥٨﴾ إن الله يأمركم أن تصلوا كل ما ائتمتم عليه إلى أصحابه، ويأمركم إذا قضيت بين الناس أن تقسطوا ولا تميلوا وتجوروا في الحكم، إن الله نعم ما يذكركم به ويرشدكم إليه في كل أحوالكم، إن الله كان سميعًا لافعالكم، بصيرًا بأفعالكم.

﴿٥٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أطيعوا الله وأطيعوا رسوله، بامثال ما أمر واجتناب ما نهى، وأطيعوا ولاة أموركم ما لم يأمروا بمعصية، فإن اختلفتم في شيء فارجعوا فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك الرجوع إلى الكتاب والسنة خير من التمادي في الخلاف والقول بالرأي، وأحسن عاقبة لكم.

﴿٦٠﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- من أعظم أسباب كفر أهل الكتاب حسدهم المؤمنين على ما أنعم الله به عليهم من النبوة والتمكين في الأرض.
- الأمر بمكارم الأخلاق من المحافظة على الأمانات، والحكم بالعدل.
- وجوب طاعة ولاة الأمر ما لم يأمروا بمعصية، والرجوع عند التنازع إلى حكم الله ورسوله تحقيقاً لمعنى الإيمان.

﴿٥٢﴾ أولئك الذين يعتقدون هذا الاعتقاد الفاسد هم الذين طردهم الله من رحمته، ومن يطرده الله فلن تجد له نصيراً يتولاه.

﴿٥٣﴾ ليس لهم نصيب من الملك، ولو كان لهم هذا لما أعطوا أحداً منه شيئاً، ولو كان قدر النقطة التي في ظهر نواة التمر.

﴿٥٤﴾ بل يحسدون محمداً ﷺ وأصحابه على ما آتاهم الله من النبوة والإيمان والتمكين في الأرض. فلم يحسدوهم وقد سبق أن آتينا ذرية إبراهيم الكتاب المنزل، وما أوحيناه إليهم سوى الكتاب، وآتيناهم ملكاً واسعاً على الناس!؟

﴿٥٥﴾ من أهل الكتاب من آمن بما أنزل الله على إبراهيم ﷺ وعلى أنبيائه من ذريته، ومنهم من أعرض عن الإيمان به، وهذا موقفهم مما أنزل على النبي محمد ﷺ، والنار هي العذاب المكافئ لمن كفر منهم.

﴿٥٦﴾ إن الذين كفروا بآياتنا سوف ندخلهم يوم القيامة ناراً تحيط بهم، كلما أحرقت جلودهم بدلناهم جلوداً أخرى غيرها؛ ليستمر عليهم العذاب، إن الله كان عزيزاً لا يغالبه شيء، حكيمًا فيما يديره ويقضي به.

﴿٥٧﴾ والذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، وعملوا الطاعات سندخلهم يوم القيامة جنات تجري من تحت قصورها

﴿٦١﴾ أَلَمْ تَرَ - أيها الرسول - تناقض المنافقين من اليهود الذين يَدْعُونَ كَذِبًا أَنَّهُمْ آمَنُوا بما أنزل عليك وما أنزل على الرسل من قبلك. يريدون أن يتحاكموا في نزاعاتهم إلى غير شرع الله مما وضعه البشر، وقد أمروا أن يكفروا بذلك. ويريد الشيطان أن يبعدهم عن الحق إبعادًا شديدًا لا يهتدون معه.

﴿٦٢﴾ وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى ما أنزل الله في كتابه من الحكم، وإلى الرسول ليحكم بينكم في خصامكم، رأيتهم - أيها الرسول - يعرضون عنك إلى التحاكم إلى غيرك إعراضًا تامًا.

﴿٦٣﴾ فكيف يكون حال المنافقين إذا حدث لهم مصائب بسبب ما ارتكبوه من الذنوب، ثم جاؤوك - أيها الرسول - معتردين إليك يحلفون بالله: ما قصدنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الإحسان والتوفيق بين المتنازعين؟! وهم كاذبون في ذلك؛ فإن الإحسان هو في تحكيم شرع الله على عباده.

﴿٦٤﴾ أولئك الذين يعلم الله ما يضمرون في قلوبهم من النفاق والقصد الرديء، فاتركهم - أيها الرسول - وأعرض عنهم، وبين لهم حكم الله مرعبًا ومرهبًا وقل لهم قولًا بالغًا بلوغًا شديدًا متغلغلًا في نفوسهم.

﴿٦٥﴾ وما أرسلنا من رسول إلا لأجل أن يطاع فيما يأمر به بمشيئة الله وتقديره، ولو أنهم حين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي جاؤوك - أيها الرسول - في حياتك مقرين بما ارتكبوه نادمين تائبين، وطلبوا المغفرة من الله، وطلبت المغفرة لهم؛ لوجدوا الله توابًا عليهم رحيمًا بهم.

﴿٦٦﴾ فليس الأمر كما زعم هؤلاء المنافقون. ثم أقسم الله بذاته ﷻ أنهم لا يكونون مصدقين حقًا حتى يتحاكموا إلى الرسول في حياته وإلى شرعه بعد وفاته في كل ما يحصل بينهم من خلاف، ثم يرضون بحكم الرسول، ولا يكون في صدورهم ضيق منه ولا شك فيه، ويسلموا تسليمًا تامًا بانقياد ظواهرهم وبواطنهم.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الاحتكام إلى غير شرع الله والرضا به مناقض للإيمان بالله تعالى، ولا يكون الإيمان التام إلا بالاحتكام إلى الشرع، مع رضا القلب والتسليم الظاهر والباطن بما يحكم به الشرع.
- من أبرز صفات المنافقين عدم الرضا بشرع الله، وتقديم حكم الطواغيت على حكم الله تعالى.
- التدب إلى الإعراض عن أهل الجهل والضلالات، مع المبالغة في نصحتهم وتخويفهم من الله تعالى.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٥﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٦﴾

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْتُلُوا مَنْ دِيَارِهِمْ؛ مَا امْتَثَلُوا مِنْهُمْ إِلَّا عِدَّةً قَلِيلًا، فليُحْمَدُوا اللهُ أَنَّهُ لَمْ يَكْلَفْهُمْ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُذَكِّرُونَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ لَكَانَ خَيْرًا مِنْ الْمَخَالَفَةِ، وَأَشَدَّ رِسْوًا لِإِيمَانِهِمْ، وَلَا تِيْنَاهُمْ مِنْ عِنْدِنَا ثَوَابًا عَظِيمًا، وَلَوْ فَنَقْنَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَى اللهِ وَجَنَّتْهُ.

وَمَنْ يُطِيعِ اللهُ وَالرَّسُولَ فَهُوَ مَعَ مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ الَّذِينَ كَمَلَ تَصَدِيقُهُمْ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالُ، وَعَمِلُوا بِهِ، وَالشَّهَدَاءَ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالصَّالِحِينَ الَّذِينَ صَلَحَتْ ظَوَاهِرُهُمْ وَبَوَاطِنُهُمْ فَصَلَحَتْ أَعْمَالُهُمْ، مَا أَحْسَنَ أَوْلَئِكَ مِنْ رَفَقَةٍ فِي الْجَنَّةِ.

ذَلِكَ الثَّوَابُ الْمَذْكُورُ تَفَضَّلَ مِنْ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِيمًا بِأَحْوَالِهِمْ، وَسَيَجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، خُذُوا الْحَذَرَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ بِاتِّخَاذِ الْأَسْبَابِ الْمَعِينَةِ عَلَى قِتَالِهِمْ، فَاخْرَجُوا إِلَيْهِمْ جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ، أَوْ اخْرَجُوا إِلَيْهِمْ جَمِيعًا، كُلٌّ ذَلِكَ حَسَبَ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُكُمْ، وَمَا فِيهِ النِّكَايَةُ بِأَعْدَائِكُمْ.

وَإِنْ مِنْكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْتُلُوا مَنْ دِيَارِهِمْ؛ مَا امْتَثَلُوا مِنْهُمْ إِلَّا عِدَّةً قَلِيلًا، فليُحْمَدُوا اللهُ أَنَّهُ لَمْ يَكْلَفْهُمْ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُذَكِّرُونَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ لَكَانَ خَيْرًا مِنْ الْمَخَالَفَةِ، وَأَشَدَّ رِسْوًا لِإِيمَانِهِمْ، وَلَا تِيْنَاهُمْ مِنْ عِنْدِنَا ثَوَابًا عَظِيمًا، وَلَوْ فَنَقْنَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَى اللهِ وَجَنَّتْهُ.

وَمَنْ يُطِيعِ اللهُ وَالرَّسُولَ فَهُوَ مَعَ مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ الَّذِينَ كَمَلَ تَصَدِيقُهُمْ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالُ، وَعَمِلُوا بِهِ، وَالشَّهَدَاءَ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالصَّالِحِينَ الَّذِينَ صَلَحَتْ ظَوَاهِرُهُمْ وَبَوَاطِنُهُمْ فَصَلَحَتْ أَعْمَالُهُمْ، مَا أَحْسَنَ أَوْلَئِكَ مِنْ رَفَقَةٍ فِي الْجَنَّةِ.

ذَلِكَ الثَّوَابُ الْمَذْكُورُ تَفَضَّلَ مِنْ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِيمًا بِأَحْوَالِهِمْ، وَسَيَجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، خُذُوا الْحَذَرَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ بِاتِّخَاذِ الْأَسْبَابِ الْمَعِينَةِ عَلَى قِتَالِهِمْ، فَاخْرَجُوا إِلَيْهِمْ جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ، أَوْ اخْرَجُوا إِلَيْهِمْ جَمِيعًا، كُلٌّ ذَلِكَ حَسَبَ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُكُمْ، وَمَا فِيهِ النِّكَايَةُ بِأَعْدَائِكُمْ.

وَإِنْ مِنْكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -

أَفْوَامًا يَتَّبِطُّونَ عَنْ الْخُرُوجِ لِقِتَالِ أَعْدَائِكُمْ لَجِنَّتْهُمْ، وَيَبْطِئُونَ غَيْرَهُمْ، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ وَضَعِيفُو الْإِيمَانِ، فَإِنْ نَالَكُمْ قِتْلٌ أَوْ هَزِيمَةٌ قَالَ أَحَدُهُمْ فَرَحًا بِسَلَامَتِهِ: قَدْ تَفَضَّلَ اللهُ عَلَيَّ فَلَمْ أَحْضِرِ الْقِتَالَ مَعَهُمْ فَيُصِيبُنِي مَا أَصَابَهُمْ.

وَلَوْ نَالَكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - فَضْلٌ مِنَ اللهِ بِنَصْرِ أَوْ غَنِيمَةٍ لَيَقُولَنَّ هَذَا الْمُتَخَلِّفُ عَنِ الْجِهَادِ كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ وَلَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَجْدَةٌ وَصَحْبَةٌ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فِي قِتَالِهِمْ هَذَا فَأُظْفِرُ بِعَظِيمٍ مَا ظَفَرُوا بِهِ.

فَلَيُقَاتِلَنَّ فِي سَبِيلِ اللهِ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعَلِيَا، الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ الَّذِينَ يَبِيعُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا رَغْبَةً عَنْهَا، بِالْآخِرَةِ رَغْبَةً فِيهَا، وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَتَكُونَ كَلِمَتُهُ هِيَ الْعَلِيَا فَيُقْتَلْ شَهِيدًا، أَوْ يَظْهَرُ عَلَى عَدُوِّهِ، وَيُظْفِرُ بِهِ، فَسَيُعْطِيهِ اللهُ ثَوَابًا عَظِيمًا، وَهُوَ الْجَنَّةُ وَرِضْوَانُ اللهِ.

مِنْ قَوَائِدِ الْأَحْيَاتِ،

- فعل الطاعات من أهم أسباب الثبات على الدين.
- أخذ الحيطة والحذر باتخاذ جميع الأسباب المعينة على قتال العدو، لا بالعودة والتخاذل.
- الحذر من التباطؤ عن الجهاد وتشبیط الناس عنه؛ لأن الجهاد أعظم أسباب عزة المسلمين ومنع تسلط العدو عليهم.

﴿٧٥﴾ وما المانع لكم - أيها المؤمنون - من الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، ولاستنفاد المستضعفين من الرجال والنساء والأطفال الذين يدعون الله قائلين: يا ربنا، أخرجنا من مكة لظلم أهلها بالشرك بالله والاعتداء على عباده، واجعل لنا من عندك من يتولى أمرنا بالرعاية والحفظ، ونصيرًا يدفع عنا الضرر.

﴿٧٦﴾ المؤمنون الصادقون يقاتلون في سبيل الله لإعلاء كلمته، والكافرون يقاتلون في سبيل آلهتهم، فقاتلوا أعوان الشيطان، فإنكم إن قاتلتموهم غلبتموهم؛ لأن تدبير الشيطان كان ضعيفًا لا يضر المتوكلين على الله تعالى.

﴿٧٧﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - شأن بعض أصحابك الذين سألوا أن يُفرض عليهم الجهاد، فقبل لهم: امنعوا أيديكم عن القتال، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة - وكان ذلك قبل فرض الجهاد - فلما هاجروا إلى المدينة، وصار للإسلام منعة، وفُرض القتال؛ شق ذلك على بعضهم، فصاروا يخافون الناس كخوفهم من الله أو أشد، وقالوا: يا ربنا، لم فرضت علينا القتال؟ هلأ أخرته مدة قريبة حتى نتمتع بالدنيا، قل لهم - أيها الرسول -: متاع الدنيا مهما بلغ قليل زائل، والآخرة خير لمن اتقى الله تعالى

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ فَفَقِّتُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فِرْقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

لدوام ما فيها من النعيم. ولا تُنقصون من أعمالكم الصالحة أي شيء، ولو كان قُدر الخيط الذي في نواة التمرة. ﴿٧٨﴾ حيثما تكونوا يلحقكم الموت إذا حضر أجلكم، ولو كنتم في قصور منيعة بعيدة عن ساحة القتال، وإن يَنَلْ هؤلاء المنافقين ما يسرهم من ولد ورزق كثير قالوا: هذه من عند الله، وإن يَنَلْهم شدة في ولد أو رزق تشاءموا من النبي ﷺ وقالوا: هذه السيئة بسببك، قل - أيها الرسول - ردًا على هؤلاء: كل من السراء والضراء بقضاء الله وقدره، فما لهؤلاء الذين يصدر عنهم هذا القول لا يكادون يفهمون كلامك لهم؟! ﴿٧٩﴾ ما نالك - يا ابن آدم - مما يسرك من رزق وولد فهو من الله، تفضل به عليك، وما نالك مما يسوؤك في رزقك وولدك فهو من نفسك بسبب ما ارتكبه من المعاصي. وقد بعثناك - أيها النبي - لجميع الناس رسولاً من الله تبلغهم رسالة ربك، وكفى بالله شاهدًا على صدقك فيما تبلي عنه، بما أتاك من أدلة وبراهين.

• من فوائد الآيات،

- وجوب القتال لإعلاء كلمة الله ونصرة المستضعفين، ودم الخوف والجبن والاعتراض على أحكام الله.
- الدار الآخرة خير من الدنيا وما فيها من متاع وشهوات لمن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته.
- الخير والشر كله بقدر الله، وقد يبلي الله عباده ببعض السوء في الدنيا لأسباب، منها: ذنوبهم ومعاصيهم.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٨١ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيعَ ۚ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ ۚ لَوْجَدُوهَا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۝٨٢ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ وَمِنْهُمْ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَكُنْتُمْ فِي الْخِلَافِ ۚ وَلَا تَتَّبِعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣ فَكَيْفَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ۝٨٤ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كُفْلٌ مِنْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ۝٨٥ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦

٨١) من يطع الرسول بامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه؛ فقد استجاب لأمر الله، ومن أعرض عن طاعتك - أيها الرسول - فلا تحزن عليه، فما أرسلناك مراقباً عليه تحفظ أعماله، وإنما نحن من يحصي عمله ويحاسبه.

٨٢) ويقول المنافقون لك بالاستتھام: نطيع أمرك ونمتثل، فإذا خرجوا من عندك ذُبر جماعة منهم على وجه الخفاء خلاف ما أظهروا لك، والله يعلم ما يدبّرون، وسيجازيهم على كيدهم هذا، فلا تلتفت لهم؛ فلن يصروك شيئاً، وفوض أمرك إلى الله، واعتمد عليه، وكفى بالله وكيلاً تعتمد عليه.

٨٣) لم لا يتأمل هؤلاء القرآن ويدرسونه حتى يثبت لهم أنه لا يوجد فيه اختلاف ولا اضطراب؟! وحتى يعلموا صدق ما جئت به، ولو كان من عند غير الله تعالى لوجدوا فيه اضطراباً في أحكامه واختلافاً كثيراً في معانيه.

٨٤) وإذا جاء هؤلاء المنافقين أمر مما فيه أمن المسلمين وسرورهم، أو خوفهم وحزنهم؛ أفشوه ونشروه، ولو تأثروا وأرجعوا الأمر إلى رسول الله ﷺ وإلى أهل الرأي والعلم والنصح؛ لأدرك أهل الرأي والاستنباط ما ينبغي أن يعمل بشأنه من نشر أو كتمان، ولولا فضل الله عليكم بالإسلام ورحمته بكم بالقرآن - أيها المؤمنون - فعاكم مما ابتلى به هؤلاء المنافقين؛ لاتبعتهم وساوس الشيطان إلا قليلاً منكم.

٨٥) فقاتل - أيها الرسول - في سبيل الله لإعلاء كلمته، ولا تُسأل عن غيرك ولا تُلزم به؛ لأنك لا تكلف إلا حمل نفسك على القتال، ورغب المؤمنين في القتال وحثهم عليه، عسى الله أن يدفع بقتالكم قوة الكافرين، والله أشد قوة، وأشد عقوبة.

٨٥) من يسعى لجلب الخير للغير؛ يكن له حظ من الثواب، ومن يسعى لجلب الشر للغير؛ يكن له حظ من الإثم، وكان الله على كل ما يعمل الإنسان شهيداً وسيجزيه عليه. فمن كان منكم سبباً في حصول خير فله منه حظ ونصيب، ومن كان سبباً في حصول شر فإنه يناله منه شيء.

٨٦) وإذا سلم عليكم أحد فردوا السلام عليه بأفضل مما سلم عليكم، أو ردوا عليه بمثل ما قال، والرد بالأحسن أفضل، إن الله كان على ما تعملون حفيظاً، وسيجازي كلاً بعمله.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تدبر القرآن الكريم يورث اليقين بأنه تنزيل من الله؛ لسلامته من الاضطراب، ويظهر عظيم ما تضمنه من الأحكام.
- لا يجوز نشر الأخبار التي تنشأ عنها زعزعة أمن المؤمنين، أو دُبُّ الرعب بين صفوفهم.
- التحدث بقضايا المسلمين والشؤون العامة المتصلة بهم يجب أن يصدر من أهل العلم وأولي الأمر منهم.
- مشروعية الشفاعة الحسنة التي لا إثم فيها ولا اعتداء على حقوق الناس، وتحريم كل شفاعة فيها إثم أو اعتداء.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ * فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ
فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ
أَضَلَّ اللَّهُ؟ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا أَنْ تُكْفَرُوا
كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى
يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ
يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ
صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
لَسَاطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلقَتُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُواكُمْ
وَالْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ عَآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا
مَارَدُكُمْ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا
إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

﴿٨٧﴾ الله لا معبود بحق غيره، ليجمعن أولكم وآخركم يوم القيامة الذي لا شك فيه؛ لمجازاتكم على أعمالكم، ولا أحد أصدق حديثاً من الله.

﴿٨٨﴾ ما شأنكم - أيها المؤمنون - صرتم فريقين مختلفين في شأن التعامل مع المنافقين: فريق يقول بقتالهم لكفرهم، وفريق يقول بترك قتالهم لإيمانهم؟! فما كان لكم أن تختلفوا بشأنهم. والله ردهم إلى الكفر والضلال بسبب أعمالهم، أتريدون أن تهدوا من لم يوفقه الله إلى الحق؟! ومن يضل الله فلن تجد له طريقاً إلى الهداية.

﴿٨٩﴾ تمتى المنافقون لو تكفرون بما أنزل عليكم كما كفروا فتكونون مستوين معهم في الكفر، فلا تتخذوا منهم أولياء لعداوتهم حتى يهاجروا في سبيل الله من دار الشرك إلى بلاد الإسلام دلالة على إيمانهم، فإن أعرضوا واستمروا على حالهم فخذوهم واقتلوه أينما وجدتموهم، ولا تتخذوا منهم ولياً يواليكم على أموركم، ولا نصيراً يعينكم على أعدائكم.

﴿٩٠﴾ إلا من وصل منهم إلى قوم بينكم وبينهم عقد مؤكد على ترك القتال، أو من جاؤوكم وقد ضاقت صدورهم فلا يريدون قتالكم ولا قتال قومهم، ولو شاء الله لمكنهم منكم فقاتلوكم،

فأقبلوا من الله عافيته، ولا تتعرضوا لهم بقتل ولا أسر. فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم، وانقادوا إليكم مصالحين تاركين قتالكم. فما جعل الله لكم عليهم طريقاً بقتلهم أو أسرهم.

﴿٩١﴾ ستجدون - أيها المؤمنون - فريقاً آخر من المنافقين يظهرون لكم الإيمان ليأمنوا على أنفسهم، ويظهرون لقومهم من الكفار الكفر إذا رجعوا إليهم ليأمنوهم، كلما دُعوا إلى الكفر بالله والشرك به وقعوا فيه أشد الوقوع، فهؤلاء إذا لم يتركوا قتالكم، وينقادوا إليكم مصالحين، ويكفوا أيديهم عنكم؛ فخذوهم واقتلوه أينما وجدتموهم، وأولئك الذين هذه صفتهم جعلنا لكم على أخذهم وقتلهم حجة واضحة؛ لغدرهم ومكرهم.

﴿٩٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- خفاء حال بعض المنافقين أوقع الخلاف بين المؤمنين في حكم التعامل معهم.
- بيان كيفية التعامل مع المنافقين بحسب أحوالهم ومقتضى المصلحة معهم.
- عدل الإسلام في الكف عن من لم تقع منه أذية متعديّة من المنافقين.
- يكشف الجهاد في سبيل الله أهل النفاق بسبب تخلفهم عنه وتكلف أعدائهم.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ
 مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
 إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ
 لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ
 مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى
 أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
 شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ
 عَلِيمًا حَكِيمًا ٩٢ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا
 فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ٩٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا
 لِمَنْ آَلَقَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
 عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
 كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
 فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ٩٤

٩٢ وما ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا أن يقع ذلك منه على وجه الخطأ، ومن قتل مؤمناً على وجه الخطأ فعليه عتق نفس مملوكة مؤمنة كفارة عن فعله، وعلى قرابة القاتل الذين يرثونه دية مُسَلَّمَةٌ إلى ورثة القتيل، إلا أن يعفوا عن الدية فتسقط، فإن كان القتيل من قوم محاربين لكم وهو مؤمن؛ فيجب على القاتل عتق نفس مملوكة مؤمنة، ولا دية عليه، وإن كان القتيل غير مؤمن لكنه من قوم بينكم وبينهم عهد مثل أهل الذمة، فعلى قرابة القاتل الذين يرثونه دية مُسَلَّمَةٌ إلى ورثة القتيل، وعلى القاتل عتق نفس مملوكة مؤمنة كفارة عن فعله، فإن لم يجد من يعتقه أو لا يستطيع أن يدفع ثمنه، فعليه صيام شهرين متصليين بلا انقطاع لا يفطر فيهما، ليتوب الله عليه مما فعل، وكان الله عليهما بأعمال عباده ونياتهم، حكيمًا في تشريعه وتدييره.

٩٣ ومن يقتل مؤمناً على وجه القصد بغير حق؛ فجزاؤه دخول جهنم خالداً فيها، إن استحل ذلك أو لم يتب، وغضب الله عليه، وطرده من رحمته، وأعد له عذاباً عظيماً لا اقترافه هذا الذنب الكبير.

٩٤ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا خرجتم للجهاد في سبيل الله فتبينوا في أمر من تقاتلون، ولا تقولوا

لمن أظهر لكم ما يدل على إسلامه: لست مؤمناً، وإنما حملك على إظهار الإسلام الخوف على دمك ومالك، فقتلوه تطلبون بقتله متاع الدنيا الزهيد كالغنيمة منه، فعند الله مغانم كثيرة، وهي خير وأعظم من هذا، كذلك كنتم من قبل مثل هذا الذي يخفي إيمانه من قومه، فمُرَّ الله عليكم بالإسلام فعصم دماءكم فتبينوا، إن الله لا يخفي عليه شيء من عملكم وإن دق، وسيجازيكم به.

• من قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

- جاء القرآن الكريم معظماً حرمة نفس المؤمن، وناهياً عن انتهاكها، ومرتباً على ذلك أشد العقوبات.
- من عقيدة أهل السنة والجماعة أن المؤمن القاتل لا يُخلد أبداً في النار، وإنما يُعَذَّب فيها مدة طويلة ثم يخرج منها برحمة الله تعالى.
- وجوب التثبت والتبيين في الجهاد، وعدم الاستعجال في الحكم على الناس حتى لا يُعتدى على البريء.

﴿٩٥﴾ لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ الْقَاعِدُونَ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَيْرِ أَصْحَابِ الْأَعْدَارِ كَالْمَرْضَى وَالْمَكْفُوفِينَ، وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِذِلِّ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَضَّلَ اللَّهُ عَلَى الْقَاعِدِينَ عَنِ الْجِهَادِ دَرَجَةً، وَلِكُلِّ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ وَالْقَاعِدِينَ عَنِ الْجِهَادِ لِعُذْرٍ أَجْرَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ بِإِعْطَائِهِمْ ثَوَابًا عَظِيمًا مِنْ عِنْدِهِ.

﴿٩٦﴾ هَذَا الثَّوَابُ مَنَازِلُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، مَعَ مَغْفَرَةِ ذُنُوبِهِمْ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا بِهِمْ.

﴿٩٧﴾ إِنْ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ ظَالِمُونَ لَأَنْفُسَهُمْ يَتْرَكُ الْهَجْرَةَ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ، تَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَالُ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ تَوْبِيخًا لَهُمْ: عَلَى أَيِّ حَالٍ كُنْتُمْ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَمِيزْتُمْ عَنِ الْمَشْرُكِينَ؟ فَيُجِيبُونَ مُعْتَذِرِينَ: كُنَّا ضَعْفَاءَ لَا حَوْلَ لَنَا وَلَا قُوَّةَ نَرُدُّ بِهَا عَنْ أَنْفُسِنَا، فَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ تَوْبِيخًا لَهُمْ: أَلَمْ تَكُنْ بِلَادِ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَخْرُجُوا إِلَيْهَا لِتَأْمَنُوا عَلَى دِينِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ مِنَ الْإِذْلَالِ وَالْقَهْرِ؟! فَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَوَاهِمَ الَّذِي يَسْتَقِرُّونَ فِيهِ هُوَ النَّارُ، وَسَاءَتْ مَرْجَعًا وَمَأْنًا لَهُمْ.

﴿٩٨﴾ وَيُسْتَشْنَى مِنْ هَذَا الْوَعِيدِ الضَّعْفَاءُ أَصْحَابُ الْأَعْدَارِ رَجَالًا كَانُوا

أَوْ نِسَاءً أَوْ أَطْفَالًا، مِمَّنْ لَا قُوَّةَ لَهُمْ يَدْفَعُونَ بِهَا عَنْهُمْ الظُّلْمَ وَالْقَهْرَ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقَةٍ لِلتَّخْلُصِ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْقَهْرِ، فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لِمَنْ تَابَ مِنْهُمْ.

﴿٩٩﴾ وَلَمَّا ذَكَرَ الْوَعِيدَ عَلَى تَرْكِ الْهَجْرَةِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا رَغَبَ فِيهَا، فَقَالَ: وَمَنْ يَهَاجِرُ مِنْ بِلَدِ الْكُفْرِ إِلَى بِلَدِ الْإِسْلَامِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ يَجِدُ فِي الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا مُتَحَوِّلًا وَأَرْضًا غَيْرَ أَرْضِهِ الَّتِي تَرَكَ، يَنَالُ فِيهَا الْعِزَّةَ وَالرِّزْقَ الْوَاسِعَ، وَمَنْ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يَنْزِلُ بِهِ الْمَوْتُ قَبْلَ وَصُولِهِ إِلَى مُهَاجَرِهِ، فَقَدْ ثَبَتَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا يَضُرُّهُ أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَى مُهَاجَرِهِ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمًا بِهِمْ.

﴿١٠٠﴾ وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ إِثْمٌ فِي قَصْرِ الصَّلَاةِ الرَّبَاعِيَّةِ مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ إِلَى رَكَعَتَيْنِ، إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُلْحِقَكُمْ مَكْرَهُهُ مِنَ الْكَافِرِينَ، (وَكَذَا لَكُمْ الْقَصْرُ حَالِ الْأَمْنِ كَمَا ثَبَتَ فِي السَّنَةِ) إِنْ عَادَاةَ الْكَافِرِينَ لَكُمْ عَدَاوَةً ظَاهِرَةً بَيِّنَةً.

﴿١٠١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْأَكْيَادِ:

- فَضْلُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَظْمُ أَجْرِ الْمُجَاهِدِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ وَعَدَهُمْ مَنَازِلَ عَالِيَةٍ فِي الْجَنَّةِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ.
- أَصْحَابُ الْأَعْدَارِ يَسْقُطُ عَنْهُمْ فَرَضُ الْجِهَادِ مَعَ مَا لَهُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ حَسُنَتْ نِيَّتُهُمْ.
- فَضْلُ الْهَجْرَةِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَوُجُوبُهَا عَلَى الْقَادِرِ إِنْ كَانَ يَخْشَى عَلَى دِينِهِ فِي بِلَدِهِ.
- مَشْرُوعِيَّةُ قَصْرِ الصَّلَاةِ فِي حَالِ السَّفَرِ.

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٣﴾

فَإِذَا أَقَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿٥٤﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥٥﴾

يَبْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تُكِن لِلْخَآبِينَ خَصِيمًا ﴿٥٦﴾

﴿١٧﴾ وإذا كنت - أيها الرسول - في الجيش وقت قتال العدو، فأرادت أن تصلي بهم، فقسّم الجيش جماعتين: تقوم جماعة منهم تصلي معك، ولْيأخذوا أسلحتهم معهم في صلاتهم، ولتكن الجماعة الأخرى في حراستكم، فإذا صلت الجماعة الأولى ركعة مع الإمام أمنت لنفسها الصلاة، فإذا صلوا فليكونوا من ورائكم تجاه العدو، ولتأت الجماعة التي كانت في الحراسة ولم يصلوا، فليصلوا ركعة مع الإمام، فإذا سلّم الإمام أمّوا ما بقي من صلاتهم، ولْيأخذوا حذرهم من عدوهم، وليحملوا أسلحتهم، فإن الذين كفروا يتمنون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم إذا صليتم فيحملون عليكم حملة واحدة، ويأخذونكم في غفلتكم. ولا إثم عليكم إن أصابكم أذى يسبب المطر أو كنتم مرضى ونحوه، أن تضعوا أسلحتكم فلا تحملوها، واحترزوا من عدوكم بما تستطيعون، إن الله هيأ للكافرين عذاباً مذلّاً لهم.

(١٣٦) فإذا فرغتم - أيها المؤمنون - من الصلاة فاذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل في كل أحوالكم قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم، فإذا زال عنكم الخوف وأنتمم فادعوا الصلاة تامة بآركانها وواجباتها ومستحباتها على ما أمرتم، إن الصلاة كانت على المؤمنين فريضة

محددة بوقت، لا يجوز تأخيرها عنه إلا لعذر، هذا في حالة الإقامة، أما في حالة السفر فلكم الجمع والقصر.

﴿٢٤﴾ ولا تضعفوا - أيها المؤمنون - ولا تسلكوا في طلب عدوكم من الكافرين، فإن كنتم تتوجهون لما يصيبكم من القتل والجراح فإنهم كذلك يتوجهون كما تتوجهون، ويصيبهم مثل ما يصيبكم، فلا يكن صبرهم أعظم من صبركم، فإنكم ترجون من الله من الثواب والنصر والتأييد ما لا يرجونه، وكان الله عليماً بأحوال عباده، حكيمًا في تدبيره وتشريعه.

﴿١٥٥﴾ إنا أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن مشتملاً على الحق؛ لتفصل بين الناس في كل شؤونهم بما علمك الله وألهمك لا بهواك ورأيك، ولا تكن للخاصين لأنفسهم وأماتهم مدافعاً ترد عنهم من طالبهم بالحق.

● من فوائد الآيات :

- مشروعية صلاة الخوف وبيان أحكامها وصفتها.
- الأمر بالأخذ بالأسباب في كل الأحوال، وأن المؤمن لا يعذر في تركها حتى لو كان في عبادة.
- مشروعية دوام ذكر الله تعالى على كل حال، فهو حياة القلوب وسبب طمأنينتها.
- النهي عن الضعف والكسل في حال قتال العدو، والأمر بالصبر على قتاله.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥﴾ وَلَا تَجِدُ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَانًا أَثِيمًا ﴿١٦﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٧﴾ هَآ أَتَتْهُ هَؤُلَاءِ
جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً
أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا
﴿٢١﴾ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ
أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿٢٢﴾

﴿١٥﴾ واطلب المغفرة والعفو من الله،
إن الله كان غفوراً لمن تاب إليه من
عباده، رحيمًا به.

﴿١٦﴾ ولا تخاصم عن أي شخص يخون
ويبالغ في إخفاء خيائته، والله لا يحب
هؤلاء الخونة الكاذبين.

﴿١٧﴾ يستترون من الناس عند ارتكابهم
معصية خوفاً وحياءاً، ولا يستترون
من الله، وهو معهم بإحاطته بهم، لا
يخفى عليه منهم شيء حين يدبرون
خفية ما لا يرضى من القول، كالدفاع
عن المذنب واتهام البريء، وكان الله
بما يعملون في السر والعلن محيطاً،
لا يخفى عليه شيء، وسيجازيهم على
أعمالهم.

﴿١٨﴾ ها أنتم - يا من يهتكم أمر هؤلاء
الذين يرتكبون جرماً - خاضتم عنهم
في الحياة الدنيا لتثبتوا براءتكم،
وتدفعوا عنهم العقوبة، فمن الذي
يجادل الله عنهم يوم القيامة وقد علم
حقيقة حالهم؟! ومن الذي يكون وكيلاً
عليهم في ذلك اليوم؟! ولا شك أن
أحدًا لا يستطيع ذلك.

﴿١٩﴾ ومن يعمل عملاً سيئاً، أو يظلم
نفسه باقتراف المعاصي، ثم يطلب
المغفرة من الله مقرأً بذنبه نادماً عليه
مقلعاً عنه، يجد الله أبداً غفوراً لذنوبه
رحيمًا به.

﴿٢٠﴾ ومن يرتكب إثماً صغيراً أو كبيراً
فإنما عقوبته عليه وحده، لا تتجاوز

إلى غيره، وكان الله عليماً بأعمال العباد، حكيماً في تدبيره وتشريعه.

﴿٢١﴾ ومن يرتكب خطيئة على غير عمد، أو إثماً بعمد، ثم يتهم به إنساناً بريئاً من ذلك الذنب، فقد تحمّل بفعله
ذلك كذباً شديداً وإثماً بيناً.

﴿٢٢﴾ ولولا فضل الله عليك - أيها الرسول - بعصمتك لعزمت جماعة من هؤلاء الذين يخونون أنفسهم أن يضلوك
عن الحق فتحكم بغير القسط، وما يضلون حقيقة إلا أنفسهم؛ لأن عاقبة ما اقترفوه من محاولة الإضرار راجع
عليهم، وأنزل الله عليك القرآن والسنة، وعلمك من الهدى والنور ما لم تكن تعلم قبل ذلك، وكان فضل الله
عليك بالنبوة والعصمة عظيماً.

• من قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

- النهي عن المدافعة والمخاصمة عن المبطلين؛ لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان.
- ينبغي للمؤمن الحق أن يكون خوفه من الله وتعظيمه والحياء منه فوق كل أحد من الناس.
- سعة رحمة الله ومغفرته لمن ظلم نفسه، مهما كان ظلمه إذا صدق في توبته، ورجع عن ذنبه.
- التحذير من اتهام البريء وقذفه بما لم يكن منه؛ وأدّ فاعل ذلك قد وقع في أشد الكذب والإثم.

﴿١٤﴾ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا الشَّيْطَانَ مَرِيدًا ﴿١٨﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَتَّخِذَ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١٩﴾ وَلَا تُلْزِمْنَهُمْ وَلَا مِثْقَلُهُمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿٢٢﴾

﴿١٤﴾ لا خير في كثير من نجوَاهُ من الكلام الذي يُسرّه الناس، ولا نفع منه، إلا إن كان كلامهم أمرًا بصدقة، أو معروف جاء به الشرع ودل عليه العقل، أو دعوة إلى الإصلاح بين المتنازعين، ومن يفعل ذلك طلبًا لرضا الله فسوف نؤتيه ثوابًا عظيمًا.

﴿١٥﴾ ومن يعاند الرسول ويخالفه فيما جاء به من بعد ما اتضح له الحق، ويتبع طريقًا غير طريق المؤمنين، نتركه وما اختار لنفسه، ولا نوقفه للحق لإعراضه عن عمد، وندخله نار جهنم يُعاني حرّها، وساءت مرجعًا لأهلها.

﴿١٦﴾ إن الله لا يغفر أن يُشرك به، بل يُخذل المشرك في النار، ويغفر ما دون الشرك من المعاصي لمن يشاء برحمته وفضله، ومن يشرك مع الله أحدًا فقد تاه عن الحق وبعد عنه بعدًا كثيرًا؛ لأنه سوى بين الخالق والمخلوق.

﴿١٧﴾ ما يعبد هؤلاء المشركون ويدعون مع الله إلا أوثانًا مسماة بأسماء الإناث كالكالات والعُزَّى، لا نفع لها ولا ضرر، وما يعبدون في الحقيقة إلا شيطانًا خارجًا عن طاعة الله لا خير فيه؛ لأنه هو الذي أمرهم بعبادة الأوثان.

﴿١٨﴾ ولذلك طرده الله من رحمته. وقال هذا الشيطان لربه حالفًا: لأجعلن لي من عبادك قسمًا معلومًا أغويهم عن الحق.

﴿١٩﴾ ولأصدنهم عن صراطك المستقيم، ولأُمْنِيَنَّهُم بالوعود الكاذبة التي تزين لهم ضلالهم، ولأمرتهم بتقطيع آذان الأنعام لتحريم ما أحل الله منها، ولأمرتهم بتغيير خلق الله وفطرته، ومن يتخذ الشيطان وليًا يتولاه ويطيعه فقد خسر خسرانًا بينًا بموالة الشيطان الرجيم.

﴿٢٠﴾ يعدهم الشيطان الوعود الكاذبة، ويُمْنِيهم الأمانى الباطلة، وما يعدهم في الواقع إلا باطلاً لا حقيقة له.

﴿٢١﴾ أولئك المتبعون لخطوات الشيطان وما يمليه عليهم مستقرهم نار جهنم لا يجدون عنها مهربًا يلجؤون إليه.

﴿٢٢﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- أكثر تناجي الناس لا خير فيه، بل ربما كان فيه وزر، وقليل من كلامهم فيما بينهم يتضمن خيرًا ومعروفًا.
- معاندة الرسول ﷺ ومخالفة سبيل المؤمنين نهايتها البعد عن الله، ودخول النار.
- كل الذنوب تحت مشيئة الله، فقد يُغفر لصاحبها، إلا من مات على الشرك، فلا يغفره الله أبدًا.
- غاية الشيطان صرف الناس عن عبادة الله تعالى، ومن أعظم وسائله تزيين الباطل بالأمانى الغرارة والوعود الكاذبة.

ولما ذكر الله جزء أتباع الشيطان ذكر
جزء أتباع الرسل؛ فقال:
(١٢٦) والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال
الصالحة المقربة إليه سندخلهم جنات
تجري الأنهار من تحت قصورها،
ماكثين فيها أبداً، وعداً من الله،
ووعده تعالى حق، فهو لا يخلف
الميعاد، ولا أحد أصدق من الله
قولاً.

(١٢٧) ليس أمر النجاة والفوز تابعا لما
تتمنون - أيها المسلمون - أو لما يمتناه
أهل الكتاب، بل الأمر تابع للعمل،
فمن يعمل منكم عملاً سيئاً يجاز به
يوم القيامة، ولا يجد له من دون الله
ولياً يجلب له النفع، ولا نصيراً يدفع
عنه الضر.

(١٢٨) ومن يعمل من الأعمال
الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
بالله تعالى حقاً فأولئك الذين جمعوا
بين الإيمان والعمل يدخلون الجنة،
ولا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً،
ولو كان شيئاً قليلاً قدر النقرة التي
تكون في ظهر نواة التمر.

(١٢٩) ولا أحد أحسن ديناً ممن استسلم لله
ظاهراً وباطناً وأخلص نيته له، وأحسن
في عمله باتباع ما شرع، واتبع دين
إبراهيم الذي هو أصل دين محمد ﷺ
ماتلاً عن الشرك والكفر إلى التوحيد
والإيمان. واصطفى الله نبيه إبراهيم ﷺ
بالمحبة النائمة من بين سائر خلقه.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ
حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٦) لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٧) وَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٨) وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٩) وَلِلَّهِ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُحِيطًا (١٣٠) وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَى النِّسَاءِ
الَّتِي لَا تَوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضَعِّفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٣١)

(١٣٠) والله وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض، وكان الله محيطاً بكل شيء من خلقه علماً وقدرة وتديباً.
(١٣١) ويسألونك - أيها الرسول - في أمر النساء وما يجب لهن وعليهن، قل: الله يبين لكم ما سألتكم عنه، ويبين لكم
ما يتلى عليكم في القرآن، في شأن النكاح من النساء اللاتي تحت ولايتكم، ولا تؤتونهن ما فرض الله لهن من
المهر أو الميراث، ولا ترغبون في نكاحهن، وتمنعونهن من النكاح طمعاً في أموالهن، ويبين لكم ما يجب في
المستضعفين من الصغار، من إعطائهم حقهم من الميراث، وألا تظلموهم بالاستيلاء على أموالهم، ويبين لكم
وجوب القيام على النكاح بالعدل بما يصلح شأنهم في الدنيا والآخرة، وما تفعلوا من خير لليتامي وغيرهم فإن الله
عليم به، وسيجازيكم به.

● من قَوَائِدِ الْإِجَابِ،

- ما عند الله من الثواب لا يُنال بمجرد الأمانى والدعاوى، بل لا بد من الإيمان والعمل الصالح.
- الجزء من جنس العمل، فمن يعمل موءاً يُجْزَ به، ومن يعمل خيراً يُجْزَ بأحسن منه.
- الإخلاص والاتباع هما مقياس قبول العمل عند الله تعالى.
- عَظَمَ الإسلام حقوق الفئات الضعيفة من النساء والصغار، فحرم الاعتداء عليهم، وأوجب رعاية مصالحهم في
ضوء ما شرع.

وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا مَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعْيِهِمَا وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٣٤﴾

﴿٢٨﴾ وَإِنْ خَافَتْ امْرَأَةٌ مِنْ زَوْجِهَا تَرْفَعًا عَنْهَا وَعَدَمَ رَغْبَةٍ فِيهَا فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَصَالَحَا بِأَنْ تَتَنَازَلَ عَنْ بَعْضِ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ لَهَا كَحَقِّ النِّفْقَةِ وَالْمَبِيتِ، وَالصُّلْحُ هُنَا خَيْرٌ لِهَما مِنَ الطَّلَاقِ، وَقَدْ جُيِّلَتِ النُّفُوسُ عَلَى الْحِرْصِ وَالْبَخْلِ، فَلَا تَرْغَبُ فِي التَّنَازُلِ عَمَّا لَهَا مِنْ حَقٍّ، فَيَنْبَغِي لِلزَّوْجَيْنِ عِلَاجَ هَذَا الْخَلْقِ بَرِيَّةِ النَّفْسِ عَلَى التَّسَامُحِ وَالْإِحْسَانِ. وَإِنْ تَحْسِنُوا فِي كُلِّ شُؤْنِكُمْ، وَتَتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيكُمْ بِهِ.

﴿٢٩﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا - أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ - أَنْ تَعْدِلُوا الْعَدْلَ الثَّامَّ مَعَ الزَّوْجَاتِ فِي الْمِيلِ الْقَلْبِيِّ، وَلَوْ حَرَصْتُمْ عَلَى ذَلِكَ؛ بِسَبَبِ أُمُورٍ رُبَّمَا تَكُونُ خَارِجَةً عَنْ إِرَادَتِكُمْ، فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ عَنِ الَّتِي لَا تَجِبُوهَا فَتَرْكُوهَا مِثْلَ الْمُعَلَّقَةِ لَا هِيَ ذَاتُ زَوْجٍ يَقُومُ بِحَقِّهَا، وَلَا غَيْرُ ذَاتِ زَوْجٍ فَتَسْتَطِيعَ لِلزَّوْجِ، وَإِنْ تَصْلَحُوا مَا بَيْنَكُمْ بِأَنْ تَحْمِلُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا لَا تَهْوَاهُ مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّ الزَّوْجَةِ، وَتَتَّقُوا اللَّهَ فِيهَا، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا بِكُمْ.

﴿٣٠﴾ وَإِنْ تَفَرَّقَ الزَّوْجَانِ بِطَلَاقٍ أَوْ خُلْعٍ أَغْنَى اللَّهُ كُلًّا مِنْهُمَا مِنْ فَضْلِهِ الْوَاسِعِ، فَيُغْنِي الرَّجُلَ بِزَوْجَةٍ خَيْرَ لَهُ مِنْهَا، وَيُغْنِي الْمَرْأَةَ بِزَوْجٍ خَيْرَ لَهَا مِنْهُ،

وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، حَكِيمًا فِي تَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ.

﴿٣١﴾ وَلِلَّهِ وَحْدَهُ مَلِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَلِكٌ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَعَهَدْنَا إِلَيْكُمْ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَإِنْ تَكْفُرُوا بِهَذَا الْعَهْدِ فَلَنْ تُضْرَبُوا إِلَّا أَنْفُسُكُمْ، فَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ طَاعَتِكُمْ، فَلَهُ مَلِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، الْمَحْمُودُ عَلَى جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

﴿٣٢﴾ وَلِلَّهِ وَحْدَهُ مَلِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، الْمُسْتَحَقُّ أَنْ يُطَاعَ، وَكَفَى بِاللَّهِ مُتَوَلِّيًا تَدْبِيرَ كُلِّ شُؤْنٍ خَلَقَهُ.

﴿٣٣﴾ إِنْ يَشَأْ يُهْلِكْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَيَأْتِ بِآخَرِينَ غَيْرِكُمْ يَطِيعُونَ اللَّهَ وَلَا يَعِصُونَهُ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا.

﴿٣٤﴾ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَرِيدُ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَقَطْ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَيُطْلَبُ ثَوَابُهُمَا مِنْهُ، وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا لِأَقْوَالِكُمْ، بَصِيرًا بِأَفْعَالِكُمْ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• اسْتِحْبَابُ الْمَصَالِحَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ عِنْدَ الْمُنَازَعَةِ، وَتَغْلِيْبُ الْمَصْلُحَةِ بِالتَّنَازُلِ عَنْ بَعْضِ الْحَقُوقِ إِدَامَةَ لِعَقْدِ الزَّوْجَةِ.

• أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَدْلَ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ خَاصَّةً فِي الْأُمُورِ الْمَادِيَةِ الَّتِي هِيَ فِي مَقْدُورِ الْأَزْوَاجِ، وَتَسَامُحَ الشَّرْعِ حِينَ يَتَعَذَّرُ الْعَدْلُ فِي الْأُمُورِ الْمَعْنَوِيَّةِ، كَالْحُبِّ وَالْمِيلِ الْقَلْبِيِّ.

• لَا حَرَجَ عَلَى الزَّوْجَيْنِ فِي الْفِرَاقِ إِذَا تَعَذَّرَتِ الْعِشْرَةُ بَيْنَهُمَا.

• الْوَصِيَّةُ الْجَامِعَةُ لِلْخَلْقِ جَمِيعًا أَوْلَهُمْ وَأَخْرَجَهُمُ الْإِمْرُ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى بِامْتِثَالِ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَوَاهِي.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٢٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٢٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٣٠﴾

١٠٠

﴿١٢٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بالله واتبعوا رسوله، كونوا قائمين بالعدل في كل أحوالكم، مؤدِّين الشهادة بالحق مع كل أحد، ولو اقتضى ذلك أن تُقِرُّوا على أنفسكم بالحق، أو على والديكم أو الأقربين منكم، ولا يحملنكم فقر أحد أو غناه على الشهادة أو تركها، فالله أولى بالفقير والغني منكم وأعلم بمصالحهما، فلا تتبعوا الأهواء في شهادتكم لئلا تميلوا عن الحق فيها، وإن حرفتم الشهادة بأدائها على غير وجهها، أو أعرضتم عن أدائها؛ فإن الله كان بما تعملون خبيرًا.

﴿١٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اثبتوا على إيمانكم بالله وبرسوله، وبالقرآن الذي أنزله على رسوله، وبالكتب التي أنزلها على الرسل من قبله، ومن يكفر بالله وبملائكته وبكتبه وبرسوله وبيوم القيامة؛ فقد بُعد عن الطريق المستقيم بُعْدًا عَظِيمًا.

﴿١٢٧﴾ إن الذين تكرروا منهم الكفر بعد الإيمان، بأن دخلوا في الإيمان ثم ارتدوا عنه، ثم دخلوا فيه، ثم ارتدوا عنه، وأصروا على الكفر وماتوا عليه؛ لم يكن الله ليغفر لهم ذنوبهم، ولا ليوفقهم إلى الطريق المستقيم الموصل إليه تعالى.

﴿١٢٨﴾ بَشِّرِ - أيها الرسول - المنافقين الذين يُظهرون الإيمان، ويُبطنون الكفر، بأن لهم عند الله يوم القيامة عذابًا موجعًا.

﴿١٢٩﴾ هذا العذاب لأنهم اتخذوا الكفار أنصارًا وأعوانًا من دون المؤمنين، وإنه لعجب ذلك الذي جعلهم يوالونهم، يطلبون عندهم القوة والمنعة ليرتفعوا بها؟! فإن القوة والمنعة كلها لله.

﴿١٣٠﴾ وقد نَزَّلَ الله عليكم - أيها المؤمنون - في القرآن الكريم أنكم إذا جلستم في مجلس وسمعتهم فيه من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها؛ فيجب عليكم ترك القعود معهم والانصراف عن مجالستهم، حتى يتحدثوا في حديث غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها، إنكم إذا جالستمهم حال الكفر بآيات الله والاستهزاء بها بعد سماعكم ذلك مثلهم في مخالفة أمر الله؛ لأنكم عصيتم الله بجلوسكم كما عصوا الله بكفرهم، إن الله سيجمع المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويضمرون الكفر مع الكافرين في نار جهنم يوم القيامة.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- وجوب العدل في القضاء بين الناس وعند أداء الشهادة، حتى لو كان الحق على النفس أو على أحد من القرباة.
- على المؤمن أن يجتهد في فعل ما يزيد إيمانه من أعمال القلوب والجوارح، وبشبهه في قلبه.
- عظم خطر المنافقين على الإسلام وأهله؛ ولهذا فقد توعدهم الله بأشد العقوبة في الآخرة.
- إذا لم يستطع المؤمن الإنكار على من يتناول على آيات الله وشرعه، فلا يجوز له الجلوس معه على هذه الحال.

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُفْرٍ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا
 أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا
 أَلَمْ نَسْتَحْذِمْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ
 بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
 سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا
 قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ
 اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى
 هَؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا يَتَّخِذْ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 أُرِيدُوا أَن يَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ
 الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن يَجِدَ لَهُم نَصِيرًا
 ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
 دِينَهُمُ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ
 الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
 إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

١٠١٢

﴿١٤١﴾ الذين ينتظرون ما يحصل لكم من خير أو شر، فإن كان لكم نصر من الله وغنمتم قالوا لكم: ألم نكن معكم، شهدنا ما شهدتم؟! لينالوا من الغنمة، وإن كان للكافرين حظ قالوا لهم: ألم نتول شؤونكم ونحيطكم إحاطة العناية والنصرة ونحمكم من المؤمنين بإعانتكم وتخذيْلهم؟! فالله يحكم بينكم جميعاً يوم القيامة، فيجازي المؤمنين بدخول الجنة، ويجازي المنافقين بدخول الدرك الأسفل من النار، ولن يجعل الله بفضلته للكافرين حجة على المؤمنين يوم القيامة، بل سيجعل العاقبة للمؤمنين.

﴿١٤٢﴾ إن المنافقين يخادعون الله بإظهار الإسلام وإضمار الكفر، وهو خادعهم؛ لأنه عصم دماءهم مع علمه بكفرهم، وأعد لهم أشد العقوبة في الآخرة، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى كارهين لها، ولا يذكرون الله إلا قليلاً إذا رأوا المؤمنين.

﴿١٤٣﴾ هؤلاء المنافقون مترددون في خيرة، فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ولا مع الكافرين، بل ظاهريهم مع المؤمنين وباطنيهم مع الكافرين، ومن يضلل الله فلن تجد له - أيها الرسول - طريقاً لهدايته من الضلال.

﴿١٤٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تتخذوا الكافرين بالله أصدقاء توالونهم من دون المؤمنين،

أتريدون بفعلكم هذا أن تجعلوا الله عليكم حجة بينة دالة على استحقاقكم العقاب؟! ﴿١٤٥﴾

﴿١٤٥﴾ إن المنافقين سيجعلهم الله في المكان الأسفل من النار يوم القيامة، ولن تجد لهم نصيراً يدفع عنهم العذاب.

﴿١٤٦﴾ إلا الذين رجعوا إلى الله بالتوبة من نفاقهم، وأصلحوا باطنهم، وتمسكوا بعهد الله، وأخلصوا عملهم لله بلا رياء، فأولئك المتصفون بهذه الصفات مع المؤمنين في الدنيا والآخرة، وسوف يعطي الله المؤمنين ثواباً جزيلاً.

﴿١٤٧﴾ لا حاجة لله في تعذيبكم إن شكرتم له وأمنتم به، فهو تعالى البر الرحيم، وإنما يعذبكم بذنوبكم، فإن أصلحتهم العمل، وشكرتموه على نعمه، وأمنتم به ظاهراً وباطناً فلن يعذبكم، وكان الله شاكراً لمن اعترف بنعمه فيجزل لهم الثواب عليها، عليماً بإيمان خلقه، وسيجازي كلًّا بعمله.

﴿١٤٨﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- بيان صفات المنافقين، ومنها: حرصهم على حظ أنفسهم سواء كان مع المؤمنين أو مع الكافرين.
- أعظم صفات المنافقين تَذْبُذُّهُمْ وحيرتهم واضطرابهم، فلا هم مع المؤمنين حقاً ولا مع الكافرين.
- النهي الشديد عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.
- أعظم ما يتقي به المرء عذاب الله تعالى في الآخرة هو الإيمان والعمل الصالح.

﴿١٤٨﴾ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٩﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ نَخَفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴿١٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٣﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْبَيْنَتْهُمْ فَفَعَلُوا عَنْ ذَلِكَ وَعَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٤﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٥﴾

١٠٢

﴿١٤٨﴾ لا يحب الله الجهر بقول السوء، بل يبغضه ويتوعد عليه، لكن من ظلم جاز له أن يجهر بقول السوء؛ للشكاية من ظالمه والدعاء عليه ومجازاته بمثل قوله، لكن صبر المظلوم أولى من جهره بالسوء، وكان الله سميعاً لا قوالكم، عليكم بنياتكم، فاحذروا قول السوء أو قصده.

﴿١٤٩﴾ إن تظهروا أي خير قولي أو فعلي، أو تستروه، أو تتجاوزوا عمن أساء إليكم؛ فإن الله كان عفواً قديراً، فليكن العفو من أخلاقكم، لعل الله أن يعفو عنكم.

﴿١٥٠﴾ إن الذين يكفرون بالله ويكفرون برسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله وبين رسله؛ بأن يؤمنوا به، ويكذبوا بهم، ويقولون: نؤمن ببعض الرسل، ونكفر ببعضهم، ويريدون أن يتخذوا طريقاً بين الكفر والإيمان يتوهمون أنها تنجيهم.

﴿١٥١﴾ أولئك الذين يسلكون هذا المسلك هم الكافرون حقاً؛ ذلك أن من كفر بالرسول أو ببعضهم فقد كفر بالله وبرسله، وأعدنا للكافرين عذاباً مذللاً لهم يوم القيامة، عقاباً لهم على تكبرهم عن الإيمان بالله وبرسله.

ولما ذكر الله جزاء الكافرين ذكر بعده جزاء المؤمنين فقال:

﴿١٥٢﴾ والذين آمنوا بالله وورثوه، ولم يشركوا به أحداً، وصدّقوا برسله

جميعاً، ولم يفرقوا بين أحد منهم كما يفعله الكافرون، بل آمنوا بهم جميعاً؛ أولئك سوف يعطيهم الله أجراً عظيماً جزاء إيمانهم وأعمالهم الصالحة النابعة منه، وكان الله غفوراً لمن تاب من عباده، رحيماً بهم.

﴿١٥٣﴾ يسألك - أيها الرسول - اليهود أن تنزل عليهم كتاباً من السماء جملة واحدة كما وقع لموسى، يكون علامة لصدقتك، فلا تستعظم منهم ذلك، فقد سأل أسلافهم موسى أعظم مما سألك هؤلاء، حيث سألوه أن يريهم الله عياناً، فصعقوا عقاباً لهم على ما ارتكبوه، ثم أحياهم الله، فعبدوا العجل من دون الله من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة الدالة على وحدانية الله وتفرد بالربوبية والألوهية، ثم تجاوزنا عنهم، وأعطينا موسى حجة واضحة على قومه.

﴿١٥٤﴾ ورفعنا فوقهم العجل بسبب أخذ العهد المؤكد عليهم تخريباً ليعملوا بما فيه، وقلنا لهم بعد رفعه: ادخلوا باب بيت المقدس ساجدين بانحناء الرؤوس، فدخلوا يزحفون على أديابهم، وقلنا لهم: لا تعتدوا بالإقدام على الصيد يوم السبت، فما كان منهم إلا أن اعتدوا فاصطادوا، وأخذنا عليهم عهداً موثقاً شديداً بذلك، فنقضوا العهد المأخوذ عليهم.

﴿١٥٥﴾ من قوايد الآيات.

- يجوز للمظلوم أن يتحدث عن ظلمه وظالمه لمن يُرجى منه أن يأخذ له حقه، وإن قال ما لا يسر الظالم.
- حض المظلوم على العفو - حتى وإن قدر - كما يعفو الرب - سبحانه - مع قدرته على عقاب عباده.
- لا يجوز التفريق بين الرسل بالإيمان ببعضهم دون بعض، بل يجب الإيمان بهم جميعاً.

فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَكَفَرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنَّا
عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظْلَمُونَ الَّذِينَ هَادُوا
حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
كَبِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَكِنَّ
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

١٠٣

﴿١٥٥﴾ فطردناهم من رحمتنا بسبب نقضهم العهد المؤكد عليهم، وسبب كفرهم بآيات الله، وجراءتهم على قتل الأنبياء، وبقولهم لمحمد ﷺ: قلوبنا في غطاء، فلا تعي ما تقول، والأمر ليس كما قالوا، بل ختم الله على قلوبهم فلا يصل إليها خير، فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلًا لا ينفعهم.

﴿١٥٦﴾ وطردناهم من الرحمة بسبب كفرهم، وبسبب رميهم مريم ﷺ بالزنى زورًا وبهتانًا.

﴿١٥٧﴾ ولعنناهم بقولهم مفتخرين كذبًا: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله. وما قتلوه كما ادعوا وما صلبوه، ولكن قتلوا رجلًا ألقى الله شبه عيسى عليه وصلبوه، فظنوا أن المقتول هو عيسى ﷺ. والذين ادعوا قتله من اليهود والذين أسلموه إليهم من النصارى، كلاهما في حيرة من أمره وشك، فليس لهم به علم، وإنما يتبعون الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا، وما قتلوا عيسى، وما صلبوه قطعًا.

﴿١٥٨﴾ بل نجاه الله من مكرمهم، ورفع الله بجسمه وروحه إليه، وكان الله عزيزًا في ملكه، لا يغالبه أحد، حكميًا في تدبيره وقضائه وشرعه.

﴿١٥٩﴾ وما من أحد من أهل الكتاب إلا سيؤمن بعيسى ﷺ بعد نزوله آخر الزمان وقبل موته، ويوم القيامة يكون

عيسى ﷺ شاهدًا على أعمالهم؛ ما يوافق الشرع منها وما يخالف.

﴿١٦٠﴾ فسبب ظلم اليهود حرمانًا عليهم بعض المأكلات الطيبة التي كانت حلالًا لهم، فحرمانًا عليهم كل ذي ظفر، ومن البقر والغنم حرمانًا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما، وبسبب صدهم أنفسهم وصددهم غيرهم عن سبيل الله، حتى صار الصد عن الخير سجية لهم.

﴿١٦١﴾ وبسبب تعاملهم بالربا بعد أن نهاهم الله عن تناوله، وبسبب أخذ أموال الناس بغير حق شرعي، وأعدنا للكافرين منهم عذابًا مؤثرًا.

ولما ذكر مطالب أهل الكتاب ذكر المؤمنين منهم فقال:

﴿١٦٢﴾ لكن الثابتون المتمكنون في العلم من اليهود، والمؤمنون يُصدِّقون بما أنزله الله عليك - أيها الرسول - من القرآن، ويصدِّقون بما أنزل من الكتب على من قبلك من الرسل كالنوراة والإنجيل، وقيمون الصلاة، ويعطون زكاة أموالهم، ويصدقون بالله إلهاً واحدًا لا شريك له، ويصدقون بيوم القيامة؛ أولئك المتصفون بهذه الصفات سنعطاهم ثوابًا عظيمًا.

• مِنْ تَوَاطُّدِ الْآيَاتِ،

• الختم على القلوب سبب لحرمانها من الفهم.

• بيان عداوة اليهود للنبي عيسى ﷺ، حتى إنهم وصلوا لمحاولة قتله.

• بيان جهل النصارى وحيرتهم في مسألة الصلب، وتعاملهم فيها بالظنون الفاسدة.

• بيان فضل العلم، فإن من أهل الكتاب من هو متمكن في العلم حتى أدى به تمكنه هذا للإيمان بالنبي محمد ﷺ.

﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٠٥﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ
مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا ﴿١٠٦﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٠٧﴾
لَئِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٠٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٠٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
طَرِيقًا ﴿١١٠﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١١١﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ
مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ
مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٢﴾

١٠٤

﴿١٠٤﴾ إنا أوحينا إليك - أيها الرسول - كما
أوحينا إلى الأنبياء من قبلك، فلست
بُدْعًا من الرسل، فقد أوحينا إلى نوح،
وأوحينا إلى الأنبياء الذين جاؤوا من
بعده، وأوحينا إلى إبراهيم، وإلى ابنه:
إسماعيل وإسحاق، وإلى يعقوب بن
إسحاق، وإلى الأسباط، (وهم الأنبياء
الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل
الاثنتي عشرة من أبناء يعقوب عليه السلام)،
وأعطينا داود كتابًا هو الزبور.

﴿١٠٥﴾ وأرسلنا رسلًا قصصناهم عليك
في القرآن، وأرسلنا رسلًا لم نقصصهم
عليك فيه، وتركنا ذكرهم فيه لحكمة،
وكلم الله موسى بالنبوة - دون وساطة -
تكليمًا حقيقيًا يليق به عليه السلام تكريمًا
لموسى.

﴿١٠٦﴾ أرسلناهم مبشرين بالثواب الكريم
من آمن بالله، ومُخَوِّفِينَ من كفر به من
العذاب الأليم، حتى لا تكون للناس
حجة على الله بعد إرسال الرسل
يعتدرون بها، وكان الله عزيزًا في ملكه
حكيمًا في قضائه.

﴿١٠٧﴾ إن كان اليهود يكفرون بك فإن الله
يصدقك بصحة ما أنزل إليك - أيها
الرسول - من القرآن، أنزل فيه علمه
الذي أراد أن يُظْلِعَ العباد عليه مما
يحبوه ويرضاه أو يكرهه ويأباه،
والملائكة يشهدون بصدق ما جئت به
مع شهادة الله، وكفى بالله شهيدًا،
فشهادته كافية عن شهادة غيره.

﴿١٠٨﴾ إن الذين كفروا بنبوتك، وصدوا الناس عن الإسلام قد بُعِدُوا عن الحق بُعْدًا شديدًا.
﴿١٠٩﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسوله، وظلموا أنفسهم ببقائهم على الكفر، لم يكن الله ليغفر لهم ما هم مصرُّون عليه
من الكفر، ولا ليرشدهم إلى طريق تنجيهم من عذاب الله.

﴿١١٠﴾ إلا الطريق المؤدية إلى دخول جهنم ما كُتِبَ فيها دائمًا، وكان ذلك على الله هيئًا، فهو لا يعجزه شيء.
﴿١١١﴾ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول محمد ﷺ بالهدى ودين الحق من الله تعالى، فآمنوا بما جاءكم به يكن خيرًا
لكم في الدنيا والآخرة، وإن تكفروا بالله فإن الله غني عن إيمانكم، ولا يضره كفركم، فله ملك ما في السماوات،
وله ملك ما في الأرض وما بينهما، وكان الله عليماً بمن يستحق الهداية فييسرها له، وبمن لا يستحقها فيُعْجِبه
عنها، حكيمًا في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

﴿١١٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• إثبات النبوة والرسالة في شأن نوح وإبراهيم وغيرهما من ذرياتهما ممن ذكرهم الله وممن لم يذكر أخبارهم
لحكمة يعلمها سبحانه.

• إثبات صفة الكلام لله تعالى على وجه يليق بذاته وجلاله، فقد كلم الله تعالى نبيه موسى ﷺ.

• تسلية النبي محمد عليه الصلاة والسلام ببيان أن الله تعالى يشهد على صدق دعواه في كونه نبيًا، وكذلك تشهد
الملائكة.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَعَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

١٠٥

﴿١٧١﴾ قل - أيها الرسول - للنصارى أهل الإنجيل: لا تتجاوزوا الحد في دينكم، ولا تقولوا على الله في شأن عيسى عليه السلام إلا الحق، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله أرسله بالحق، خلقه بكلمته التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، وهي قوله: كن، فكان، وهي نفخة من الله نفخها جبريل بأمر من الله، فآمنوا بالله ورسله جميعًا دون تفريق بينهم، ولا تقولوا: **الالهة ثلاثة**، انتهوا عن هذه المقولة الكاذبة الفاسدة يكن انتهاؤكم عنها خيرًا لكم في الدنيا والآخرة، إنما الله إله واحد تنزه عن الشريك وعن الولد، فهو غني، له ملك السموات وملك الأرض وملك ما فيهما، وحسب ما في السموات والأرض بالله قيمًا ومديرًا لهم.

﴿١٧٢﴾ لن يأنف عيسى بن مريم ويمتنع أن يكون عبدًا لله، ولا الملائكة الذين قربهم الله له، ورفع منزلتهم أن يكونوا عبادًا لله، فكيف تتخذون عيسى إلهًا؟! وكيف يتخذ المشركون الملائكة آلهة؟! ومن يأنف عن عبادة الله، ويرتفع عنها فإن الله سيحشر الجميع إليه يوم القيامة، ويجازي كلًا بما يستحق.

ولما بين أن الجميع سيحشره الله إليه فصل جزاءهم في قوله:

﴿١٧٣﴾ فأما الذين آمنوا بالله وصدقوا

برسله، وعملوا الأعمال الصالحات مخلصين لله عاملين وفق ما شرع، فسيعطيه ثواب أعمالهم غير منقوص، وسيزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه، وأما الذين أنفوا عن عبادة الله وطاعته وترفعوا تكبرًا، فيعذبهم عذابًا موجعًا. ولا يجدون من دون الله من يتولاهم فيجلب لهم النفع، ولا من ينصرهم فيدفع عنهم الضرر.

﴿١٧٤﴾ يا أيها الناس قد جاءكم من ربكم حجة جليلة تقطع العذر وتزيل الشبهة - وهو محمد عليه السلام - وأنزلنا إليكم ضياءً واضحًا، وهو هذا القرآن.

﴿١٧٥﴾ فأما الذين آمنوا بالله وتمسكوا بالقرآن الذي أنزل على نبيهم فسيرحمهم الله بدخول الجنة، ويزيدهم ثوابًا ورفع درجات، ويوفقهم لسلوك الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الطريق الموصل إلى جنات عدن.

• من نوادر الآيات،

- بيان أن المسيح بشر، وأن أمه كذلك، وأن الضالين من النصارى غلوا فيها حتى أخرجوها من حد البشرية.
- بيان بطلان شرك النصارى القائلين بالتثليث، وتنزيه الله تعالى عن أن يكون له شريك أو شبيه أو مقارب، وبيان انفراده - سبحانه - بالوحدانية في الذات والأسماء والصفات.
- إثبات أن عيسى عليه السلام والملائكة جميعهم عباد مخلوقون لا يستكبرون عن الاعتراف بعبوديتهم لله تعالى والانقياد لأوامره، فكيف يسوغ اتخاذهم آلهة مع كونهم عبيدًا لله تعالى؟!.
- في الدين حجج وبراهين عقلية تدفع الشبهات، ونور وهداية تدفع الحيرة والشهوات.

﴿١٧٦﴾ يسألونك - أيها الرسول - أن تفتيهم بشأن ميراث الكلالة، وهو من يموت ولم يترك أباً ولا ولداً، قل: الله يبين الحكم بشأنها: إن مات شخص ليس له والد ولا ولد، وله أخت شقيقة أو أخت لأبيه فلها نصف ما ترك من المال فرضاً، وأخوه الشقيق أو لأب يرث ما ترك من مال تعصيباً إن لم يكن معه صاحب فرض، فإن كان معه صاحب فرض ورث الباقي بعده، فإن تعددت الأخوات الشقيقات أو لأب - بأن كانتا اثنتين فأكثر - ورثنا أو ورثن الثلثين فرضاً، وإن كان الإخوة الأشقاء أو لأب فيهم الذكور والإناث ورثوا بالتعصيب تبعاً لقاعدة: (للمذكر مثل حظ الأنثيين) بأن يُصَوَّفَ نصيب الذكر منهم على نصيب الأنثى. يبين الله لكم حكم الكلالة وغيره من أحكام الميراث حتى لا تضلوا في أمرها، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

— مَدِينَة —

﴿١٧٧﴾ مِنْ قَوَاصِدِ السُّورَةِ:

الوفاء بالعقود والتزام الشرائع والحدود وإكمال الدين.

﴿١٧٨﴾ التَّفْسِيرُ:

﴿١﴾ يا أيها الذين آمنوا آمنوا كل العهود الموثقة بينكم وبين خالقكم وبينكم وبين خلقه، وقد أحل الله لكم - رحمة بكم -

بهيمة الأنعام: (الإبل، والبقر، والغنم) إلا ما يُقْرَأُ عليكم تحريمه، وإلا ما حَرَّمَ عليكم من الصيد البري في حال الإحرام بحج أو عمرة، إن الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم وفق حكمته، فلا مُكْرَهَ له، ولا معترض على حكمه.

﴿٢﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تستحلوا حرمات الله التي أمركم بتعظيمها، وكُفُّوا عن محظورات الإحرام: كلبس المخيط، وعن محرمات الحَرَم كالصيد، ولا تستحلوا القتال في الأشهر الحرم، وهي (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب)، ولا تستحلوا ما يهدي إلى الحرم من الأنعام ليذبح لله هناك بغضب ونحوه، أو مُنْعَ من وصوله إلى محله، ولا تستحلوا البهيمة عليها قلادة من صوف وغيره للإشعار بأنه هدي، ولا تستحلوا قاصدي بيت الله الحرام يطلبون ربح التجارة ورضا الله، وإذا حللتم من الإحرام بحج أو عمرة، وخرجتم من الحرم فاصطادوا إن شئتم، ولا يحملنكم بغض قوم لصددهم لكم عن المسجد الحرام على الجور وترك العدل فيهم، وتعاونوا - أيها المؤمنون - على فعل ما أمركم به، وترك ما نهيتكم عنه، وخافوا الله بالتزام طاعته والبعد عن معصيته، إن الله شديد العقاب لمن عصاه، فاحذروا من عقابه.

﴿٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عناية الله بجميع أحوال الورثة في تقسيم الميراث عليهم.
- الأصل هو جل الأكل من كل بهيمة الأنعام، سوى ما خصه الدليل بالتحريم، أو ما كان صيداً يعرض للمحرم في حجه أو عمرته.
- النهي عن استحلال المحرمات، ومنها: محظورات الإحرام، والصيد في الحرم، والقتال في الأشهر الحرم، واستحلال الهدي بغضب ونحوه، أو مُنْعَ وصوله إلى محله.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ تَرَكُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلْثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدَّكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَوْا عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَوْا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُونِ وَأَتَوْا اللَّهَ ابْتِغَاءَ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

١٠٦

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْوَاجِ لَكُمْ فَسُقِ الْيَوْمَ بِسِ الدِّينِ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعَمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ
غَيْرِ مَتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا
أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ
مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ
وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٦
الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مَتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٧

١٠٧

﴿١﴾ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَا مَاتَ مِنْ
حيوان دون ذكاة، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ الدَّم
المسفوح، ولحم الخنزير، وما ذُكِرَ
عليه اسْمُ غير اسم الله عند الذبح،
والميتة بالخنق، والميتة بالضرب،
والساقطة من مكان عالٍ، والميتة بنطح
غيرها لها، وما افترسه سُبُع مثل الأسد
والنمر والذئب، إلا ما أدركتموه حيًّا
من المذكورات وذكيتموه، فهو حلال
لكم، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ مَا كَانَ ذَبْحَهُ
للأصنام، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا مَا
قسم لكم من الغيب بالأقداح وهي
حجارة أو سهام مكتوب فيها (افعل)
(لا تفعل) فيعمل بما يخرج له منها.
فعل تلك المحرمات المذكورة خروج
عن طاعة الله. اليوم يس الدِّين كَفَرُوا
من ارتدادكم عن دين الإسلام لما رأوا
من قوته، فلا تخافوهم وخافوني
وحدي، اليوم أكملت لكم دينكم الذي
هو الإسلام، وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي
الظاهرة والباطنة، واخترت لكم
الإسلام دينًا، فلا أقبل دينًا غيره، فمن
الْحَيِّ بسبب مجاعة إلى الأكل من
الميتة غير مائل للإثم فلا إثم عليه في
ذلك، إن الله غفور رحيم.
ولما ذكر الله ما حرم أكله ذكر ما أباح
أكله، فقال:

﴿٢﴾ يسألك - أيها الرسول - صحابتك
ماذا أحل الله لهم أكله؟ قل - أيها
الرسول -: أحل الله لكم ما طاب من

المأكَل، وأكل ما صادته المديريات من ذوات الأنياب كالكلاب والفهود، وذوات المخالب كالصفور، تعلّمونها
الصيد مما مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ بِأَدَابِهِ، حَتَّى صَارَتْ إِذَا أُمِرَتْ اتَّمَرَتْ، وَإِذَا رُجِرَتْ ازْدَجَرَتْ، فَكُلُوا مِمَّا
أَمْسَكْتُمْ مِنَ الصَّيْدِ وَلَوْ قَتَلْتُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ إِسْرَالِهَا، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَالْكَفَّ عَنْ نَوَاهِيهِ، إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ لِلْأَعْمَالِ.

﴿٣﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ أكل المستلذات، وأكل ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأحل ذبائحكم لهم،
وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من المؤمنات، والحرائر العفائف من الذين أُعْطُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى إِذَا أُعْطِيَتْهُنَّ مَهْرَهُنَّ، وَكُنْتُمْ مُتَعَفِّفِينَ عَنْ ارْتِكَابِ الْفَاحِشَةِ غَيْرِ مُتَخَذِينَ عَشِيقَاتٍ تَرْتَكِبُونَ الزَّنى
مَعَهُنَّ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ فَقَدْ بَطَلَ عَمَلُهُ لِفَقْدِ شَرْطِهِ الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ لِدُخُولِهِ النَّارَ خَالِدًا فِيهَا مُخَلَّدًا.

﴿٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تحريم ما مات دون ذكاة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما ذُكِرَ عليه اسْمُ غير اسم الله عند الذبح، وكل
ميت خنقًا، أو ضربًا، أو بسقوط من علو، أو نطحًا، أو افتراسًا من وحش، وَيُسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ مَا أُدْرِكَ حَيًّا
وَذَكِّي بِذَبْحٍ شرعي.
- حُلُّ مَا صَادَهُ كُلُّ مَدْرَبٍ ذِي نَابٍ أَوْ ذِي مَخْلَبٍ.
- إِبَاحَةُ ذَبَائِحِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِبَاحَةُ نِكَاحِ حَرَائِرِهِمْ مِنَ الْعَفِيفَاتِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ
الْمَنَاطِقِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا
طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُنِمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ
بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ الْقَوْمِ عَلَى
أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

١٠٨

﴿١﴾ يا أيها الذين آمنوا، إذا أردتم القيام لأداء الصلاة، وكنتم محدثين حدثاً أصغر فتَوَضَّؤُوا بأن تغسلوا وجوهكم، وتغسلوا أيديكم مع مرافقها، وتمسحوا برؤوسكم، وتغسلوا أرجلكم مع الكعبين الناتئين بمفصل الساق، وإن كنتم محدثين حدثاً أكبر فاغتسلوا، وإن كنتم مرضى تخافون من زيادة المرض أو تأخر برؤسهم، أو كنتم مسافرين في حال صحة، أو كنتم محدثين حدثاً أصغر بقضاء الحاجة مثلاً، أو محدثين حدثاً أكبر بمجامعة النساء، ولم تجدوا ماء بعد البحث عنه لتطهروا به - فاقصدوا وجه الأرض، واضربوه بأيديكم، وامسحوا وجوهكم وامسحوا أيديكم منه، ما يريد الله أن يجعل عليكم ضيقاً في أحكامه بأن يلزمكم استعمال الماء المؤدي إلى ضرركم، فشرع لكم بديلاً عنه عند تعذره لمرض أو لفقد الماء إتماماً لنعمته عليكم لعلكم تشكرون نعمة الله عليكم، ولا تكفرونها.

﴿٧﴾ واذكروا نعمة الله عليكم بالهداية للإسلام، واذكروا عهده الذي عاهدكم عليه حين قلتم لما بايعتم النبي ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكروه: سمعنا قولك وأطعنا أمره، واتقوا الله بامثال أوامره - ومنها عهوده - واجتناب نواهيه، إن الله عليم بما في القلوب، فلا يخفى عليه منه شيء.

﴿٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله، كونوا قائمين بحقوق الله عليكم متبعين بذلك وجهه، وكونوا شهداء بالعدل لا بالجور، ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل، فالعدل مطلوب مع الصديق والعدو، فاعدلوا معهما، فالعدل أقرب إلى الخوف من الله، والجور أقرب إلى الجسارة عليه، واتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله خير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٩﴾ وَعَدَ اللَّهُ - الذي لا يخلف الميعاد - الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات بالمغفرة لذنوبهم، وبالثواب العظيم وهو دخول الجنة.

﴿١٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الأصل في الطهارة هو استعمال الماء بالوضوء من الحدث الأصغر، والغسل من الحدث الأكبر.
- في حال تعذر الحصول على الماء، أو تعذر استعماله لمرض مانع أو برد قارس، يشرع التيمم (بالتراب) لرفع حكم الحدث (الأصغر أو الأكبر).
- الأمر بتوخي العدل واجتناب الجور حتى في معاملة المخالفين.

﴿١٠﴾ والذين كفروا بالله، وكذبوا بآياته، أولئك هم أصحاب النار الذين يدخلونها عقوبة على كفرهم وتكذيبهم، ملازمين لها كما يلزم صاحب صاحبه.

﴿١١﴾ يا أيها الذين آمنوا، اذكروا بقلوبكم وألسنتكم ما أنعم الله به عليكم من الأمن والبقاء الخوف في قلوب أعدائكم حين قصدوا أن يمدوا أيديهم إليكم ليطشوا بكم ويفتكوا، فصرههم الله عنكم وعصمكم منهم، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في تحصيل مصالحهم الدينية والدنيوية.

﴿١٢﴾ ولقد أخذ الله العهد المؤكد على بني إسرائيل بما سيأتي ذكره قريباً، وأقام عليهم اثني عشر رئيساً، كل رئيس يكون ناظرًا على من تحته، وقال الله لبني إسرائيل: إني معكم بالنصر والتأييد إذا أديتم الصلاة على الوجه الأكمل، وأعطيتكم زكاة أموالكم، وصدقتكم برسلي جميعاً دون تفريق بينهم، وعظمتهمهم، ونصرتهمهم، وأنفقتهم في وجوه الخير، فإذا قمتم بذلك كله لأكفرن عنكم السيئات التي ارتكبتموها، ولأدخلنكم يوم القيامة جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، فمن كفر بعد أخذ هذا العهد الموثق عليه فقد تنكب طريق الحق عالمًا عامداً.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي
مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقَضِهِمْ
مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلَسِيَةً يُخَرِّفُونَ
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا
بِهِ ؕ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

﴿١٣﴾ فسبب نقضهم العهد المأخوذ عليهم طردناهم من رحمتنا، وصيرنا قلوبهم غليظة صلبة لا يصل إليها خير، ولا تنفعها موعظة، يُخَرِّفُونَ الكلم عن مواضعه بالتبديل لألفاظه، وبالتأويل لمعانيه بما يوافق أهواءهم، وتركوا العمل ببعض ما ذُكِّرُوا به، ولا تزال - أيها الرسول - تكتشف منهم خيانة الله ولعباده المؤمنين، إلا قليلاً منهم وقَّوْا بما أخذ عليهم من عهد، فاعف عنهم ولا تؤاخذهم، واصفح عنهم؛ فإن ذلك من الإحسان، والله يحب المحسنين.

﴿١٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من عظيم إنعام الله ﷻ على النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه أن حماهم وكف عنهم أيدي أهل الكفر وضرهم.
- أن الإيمان بالرسول ونصرتهم وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على الوجه المطلوب، سبب عظيم لحصول معية الله تعالى، وحدث أسباب النصر والتمكين والمغفرة ودخول الجنة.
- نقض المواثيق الملزمة بطاعة الرسل سبب لغلبة القلوب وقساوتها.
- ذم مسالك اليهود في تحريف ما أنزل الله إليهم من كتب سماوية.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ وَسَلْبُ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

١١٠

﴿١٤﴾ وكما أخذنا على اليهود عهدًا مؤكَّدًا موثقًا أخذنا على الذين زكَّوا أنفسهم بأنهم أتباع عيسى عليه السلام، فتركوا العمل بجزء مما ذُكِّرُوا به، كما فعل أسلافهم من اليهود، وألقينا بينهم الخصومة والكرهية الشديدة إلى يوم القيامة، فأصبحوا متقاتلين متناحرين يُكْفِرُ بعضهم بعضًا، وسوف يخبرهم الله بما كانوا يصنعون، ويجازيهم عليه.

ولما ذكر الله أهل الكتاب وما أخذ عليهم من العهود، ونقضهم لها، أمرهم بالإيمان بمحمد ﷺ، فقال:

﴿١٥﴾ يا أهل الكتاب من اليهود أصحاب التوراة، والنصارى أصحاب الإنجيل، قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يبين لكم الكثير مما كنتم تكتمونه من الكتاب المنزل عليكم، ويتجاوز عن كثير من ذلك مما لا مصلحة فيه إلا افتضاحكم، قد جاءكم القرآن كتابًا من عند الله، وهو نور يُستضاء به، وكتاب مبين لكل ما يحتاج إليه الناس في شؤونهم الدنيوية والأخروية.

﴿١٦﴾ يهدي الله بهذا الكتاب من اتبع ما يرضيه من الإيمان والعمل الصالح إلى طرق السلامة من عذاب الله، وهي الطرق الموصلة إلى الجنة، ويخرجهم من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة بإذنه، ويوفقهم إلى الطريق القويم المستقيم طريق الإسلام.

﴿١٧﴾ لقد كفر القائلون من النصارى بأن الله هو المسيح عيسى بن مريم، قل لهم - أيها الرسول -: من يقدر أن يمنع الله من إهلاك المسيح عيسى بن مريم ويهلك أمه، ويهلك من في الأرض كلهم إذا أراد إهلاكهم؟! وإذا لم يقدر أحد أن يمنعه من ذلك دل ذلك على أنه لا إله إلا الله، وأن الجميع: عيسى بن مريم وأمهم وسائر الخلق هم خلق الله، والله ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، يخلق ما يشاء، وممن شاء خلقه: عيسى عليه السلام؛ فهو عبده ورسوله، والله على كل شيء قدير.

• من قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

- تَرَكِ العمل بمواثيق الله وعهوده قد يوجب وقوع العداوة وإشاعة البغضاء والتنافر والتقاتل بين المخالفين لأمر الله تعالى.
- الرد على النصارى القائلين بأن الله تعالى تجسد في المسيح عليه السلام، وبيان كفرهم وضلال قولهم.
- من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى إن أراد أن يهلك المسيح وأمّه ﷺ وجميع أهل الأرض فلن يستطيع أحد رده، وهذا يثبت تفرد سبحانه بالأمر وأنه لا إله غيره.
- من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى يُذَكِّرُ بكونه تعالى ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [المائدة: ١٧]، فهو يخلق من الأبوين، ويخلق من أم بلا أب كعيسى عليه السلام، ويخلق من الجماد كحبة موسى عليه السلام، ويخلق من رجل بلا أنثى كحواء من آدم عليه السلام.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ فَقُلْ أَلَمْ يَعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُم مَّلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَتَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا لِمَوْسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

﴿١٨﴾ وأدعى كل من اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، قل - أيها الرسول - ردًا عليهم: لماذا يعذبكم الله بالذنوب التي ترتكبونها؟ فلو كنتم أحباؤه كما زعمتم لما عذبكم بالقتل والمسح في الدنيا، وبالنار في الآخرة؛ لأنه لا يعذب من أحب، بل أنتم بشر كسائر البشر، من أحسن منهم جازاه بالجنة، ومن أساء عقابه بالنار، فالله يغفر لمن يشاء بفضل، ويعذب من يشاء بعدله، والله وحده ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، وإليه وحده المرجع.

﴿١٩﴾ يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ بعد انقطاع من الرسل وشدة الحاجة إلى إرساله؛ لئلا تقولوا معتذرين: ما جاءنا رسول يبشرنا بثواب الله، وينذرنا عقابه، فقد جاءكم محمد ﷺ مبشراً بثوابه ومنذراً بعقابه، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ومن قدرته إرسال الرسل، وختمهم بمحمد ﷺ.

﴿٢٠﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال موسى لقومه بني إسرائيل: يا قوم، اذكروا بقلوبكم وألسنتكم نعمة الله عليكم حين جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، وجعلكم ملوكاً تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين مُستعبدين، وأعطاكم من نعمه ما لم يعط أحداً من العالمين في زمانكم.

﴿٢١﴾ قال موسى: يا قوم، ادخلوا الأرض المطهرة: (بيت المقدس وما حوله) التي وعدكم الله بدخولها وقتال من فيها من الكافرين، ولا تنهزموا أمام الجبارين، فيكون مآلكم الخسران في الدنيا والآخرة.

﴿٢٢﴾ قال له قومه: يا موسى، إن في الأرض المقدسة قوماً أولي قوة وأولي بأس شديد، وهذا يمنعنا من دخولها، فلن ندخلها ما دام هؤلاء فيها؛ لأنه لا حول لنا ولا قوة بقتالهم، فإن يخرجوا منها فإننا داخلون فيها.

﴿٢٣﴾ قال رجلان من أصحاب موسى ممن يخشون الله ويخافون عقابه، أنعم الله عليهما بالتوفيق لطاعته، يحضنان قومه على امتثال أمر موسى ﷺ -: ادخلوا على الجبابرة باب المدينة، فإذا اقتحمتم الباب، ودخلتموه فإنكم - بإذن الله - ستغلبونهم وثوقاً بسنة الله بترتيب النصر على اتخاذ الأسباب من الإيمان بالله وإعداد الوسائل المادية، وعلى الله وحده اعتمادوا وتوكلوا إن كنتم مؤمنين حقاً، فالإيمان يستلزم التوكل عليه سبحانه.

﴿٢٤﴾ من قوايد الآيات،

- تعذيب الله تعالى لكفرة بني إسرائيل بالمسح وغيره يوجب إبطال دعواهم في كونهم أبناء الله وأحباؤه.
- التوكل على الله تعالى والثقة به سبب لاستئصال النصر.
- جاءت الآيات لتحذر من الأخلاق الرديئة التي كانت عند بني إسرائيل.
- الخوف من الله سبب لنزول النعم على العبد، ومن أعظمها نعمة طاعته سبحانه.

قَالُوا يَكُونُ مِنَّا لَوْ نَدَخُلُهَا أَيْدًا مَادَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ
 أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
 لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
 يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
 ﴿١٦﴾ *وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ
 مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
 قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ
 لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
 رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بَايَعِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ
 مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَطَوَّعَتْ
 لَهُ نَفْسُهُ وَقَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ وَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٠﴾
 فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي
 سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُورِيَنَّكَ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
 الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٢١﴾

١١٢

﴿١٤﴾ قال قوم موسى من بني إسرائيل مُصْرِبِينَ على مخالفة أمر نبيهم موسى ﷺ: إنا لن ندخل المدينة ما دام الجبارون فيها، فاذهب أنت - يا موسى - وربك فقاتلا الجبارين، أما نحن فنسقي مقيمين في مكاننا متخلفين عن القتال معكم.

﴿١٥﴾ قال موسى لربه: يا رب لا سلطان لي على أحد إلا على نفسي وأخي هارون، فافصل بيننا وبين القوم الخارجين عن طاعتك وطاعة رسولك.

﴿١٦﴾ قال الله لنبيه موسى ﷺ: إن الله حرّم دخول الأرض المقدسة على بني إسرائيل مدة أربعين سنة، يضلون هذه المدة في الصحراء حيارى لا يهتدون، فلا تأسف - يا موسى - على القوم الخارجين عن طاعة الله، فإن ما يصيبهم من عقاب هو بسبب معاصيهم وذنوبهم.

﴿١٧﴾ واقصص - أيها الرسول - على هؤلاء الحسدة الظالمين من اليهود خبر ابني آدم، وهما قابيل وهابيل، بالصدق الذي لا مزية فيه، حين قَدَّمَا قُرْبَانًا يتقرب به كل منهما إلى الله سبحانه، فَقَبِلَ اللهُ الْقُرْبَانَ الذي قدمه هابيل؛ لأنه من أهل التقوى، ولم يقبل قربان قابيل؛ لأنه ليس من أهل التقوى، فاستنكر قابيل قبول قُرْبَانِ هابيل حسدًا، وقال: لأقتلنك يا هابيل، فقال هابيل: إنما يقبل الله

قُرْبَانَ من اتقاه بامثال أوامره واجتتاب نواهيه.

﴿١٨﴾ لئن مَدَدْتُ يَدَكَ إِلَيَّ تقصد قتلي فلست مجازيك بمثل صنيعك، ذلك ليس جبنًا مني، ولكني أخاف الله رب المخلوقات.

﴿١٩﴾ فقال له مرهبًا: إني أريد أن ترجع بإثم قتلي ظلمًا وعدوانًا إلى آثامك السابقة، فتكون من أصحاب النار الذين يدخلونها يوم القيامة، ذلك الجزاء جزاء المعتدين، وأنا لا أريد أن أرجع بإثم قتلك فأكون منهم.

﴿٢٠﴾ فَرَبَّيْتُ لِقَابِيلَ نفسه الأمارة بالسوء قتل أخيه هابيل ظلمًا فقتله، فأصبح بسبب ذلك من الناقصين أنفسهم حظوظهم في دنياهم وأخراهم.

﴿٢١﴾ فَأَرْسَلَ اللهُ غُرَابًا ينير الأرض أمامه ليدفن فيها غرابًا ميتًا؛ ليعلمه كيف يستر بدن أخيه، فأصبح من المتحسرين.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- مخالفة الرسل توجب العقاب، كما وقع لبني إسرائيل؛ إذ عاقبهم الله تعالى بآلتيه.
- قصة ابني آدم ظاهرها أن أول ذنب وقع في الأرض - في ظاهر القرآن - هو الحسد والبغي، والذي أدى به للظلم وسفك الدم الحرام الموجب للخسران.
- الندامة عاقبة مرتكبي المعاصي.
- أن من سَرَّ سَنَةً قبيحة أو أشاع قبيحًا وشجّع عليه، فإن له مثل سيئات من اتبعه على ذلك.

(٢٢) من أجل قتل قابيل أخاه أعلمنا بني إسرائيل أن من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو إفساد في الأرض بالكفر أو الجحابة، فكأنما قتل الناس جميعاً؛ لأنه لا فرق عنده بين البريء والجاني. ومن امتنع عن قتل نفس حرّمها الله تعالى معتقداً حرمة قتلها ولم يقتل؛ فكأنما أحيأ الناس جميعاً؛ لأن صنيعة فيه سلامتهم جميعاً، ولقد جاءت رسلنا إلى بني إسرائيل بالحق الواضحة والبراهين الجلية، ومع هذا فإن كثيراً منهم متجاوزون لحدود الله بارتكاب المعاصي، ومخالفة رسلهم.

(٢٣) ما عاقبة الذين يحاربون الله ورسوله، ويبارزون بالعداوة والإفساد في الأرض بالقتل وأخذ الأموال وقطع الطريق؛ إلا أن يقتلوا من غير صلب، أو يقتلوا مع الصلب على خشبة ونحوها، أو تقطع يد أحدهم اليمنى مع الرجل اليسرى، ثم إن عاد قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى، أو يغربوا في البلاد؛ ذلك العقاب لهم فضيحة في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

(٢٤) إلا الذين تابوا من هؤلاء المحاربين من قبل قدرتهم - يا أولي الأمر - عليهم، فاعلموا أن الله غفور لهم بعد التوبة، رحيم بهم، ومن رحمته بهم إسقاط العقاب عنهم.

(٢٥) يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ وَمَنْ قَتَلَ
نَفْسًا يَغْيِرْ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا
جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي
الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقَدِّرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ
مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٧﴾

بامتنال أو أمره واجتناب نواهي، واطلبوا القرب منه بأداء ما أمركم به، والبعد عما نهاكم عنه، وجاهدوا الكفار ابتغاء مرضاته؛ لعلكم تنالون ما تطلبونه، وتجتنبون ما ترهبونه إذا قمتم بذلك.

(٢٨) إن الذين كفروا بالله وبرسوله، لو قدر أن لكل منهم ملك ما في الأرض جميعاً ومثله معه فقدموه ليفكوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة، ما قبل منه ذلك الفداء، ولهم عذاب موع.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- حرمة النفس البشرية، وأن من صانها وأحيأها فكأنما فعل ذلك بجميع البشر، وأن من أتلّف نفساً بشرية أو آذاها من غير حق فكأنما فعل ذلك بالناس جميعاً.
- عقوبة الذين يحاربون الله ورسوله ممن يفسدون بالقتل وانتهاب الأموال وقطع الطرق هي: القتل بلا صلب، أو مع الصلب، أو قطع الأطراف من خلاف، أو بتغريهم من البلاد؛ وهذا على حسب ما صدر منهم.
- توبة المفسدين من المحاربين وقاطعي الطريق قبل قدرة السلطان عليهم توجب العفو.

﴿٢٧﴾ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴿٢٨﴾ والساير والسايرة فاقطعوا أيديهم ما جزاء بما كسبوا نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴿٢٩﴾ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ﴿٣٠﴾ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير ﴿٣١﴾

﴿٣٢﴾ فمن تاب إلى الله من السرقة، وأصلح عمله، فإن الله يتوب عليه تفضلاً منه؛ ذلك أن الله غفور لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم، لكن لا يسقط عنهم الحد بالتوبة إذا وصل الأمر إلى الحكام.

﴿٣٣﴾ لقد علمت - أيها الرسول - أن الله له ملك السماوات والأرض يتصرف فيهما بما يشاء، وأنه يعذب من يشاء بعدله، ويغفر لمن يشاء بفضله، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٣٤﴾ يا أيها الرسول، لا يحزنك الذين يسارعون في إظهار أعمال الكفر لينظوك من المنافقين الذين يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر. ولا يحزنك اليهود الذين يصنعون لكذب كبارهم ويقبلونه، مقلدين لزعمائهم الذين لم

بأتوك إعرافاً منهم عنك، يُبدلون كلام الله في التوراة بما يوافق أهواءهم، يقولون لأتباعهم: إن وافق حكم محمد أهواءكم فاتبعوه، وإن خالفها فاحذروا منه، ومن يرد الله إضلاله من الناس فلن تجد - أيها الرسول - من يدفع عنه الضلال ويهديه إلى سبيل الحق، أولئك المتصفون بهذه الصفات من اليهود والمنافقين هم الذين لم يرد الله تطهير قلوبهم من الكفر، لهم في الدنيا خزي وعار، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وهو عذاب النار.

﴿٣٥﴾ من قولها لايات،

- حكمة مشروعية حد السرقة: لردع السارق عن التعدي على أموال الناس، وتخويف من عداه من الوقوع في مثل ما وقع فيه.
- قبول توبة السارق ما لم يبلغ السلطان وعليه إعادة ما سرق، فإذا بلغ السلطان وجب الحكم، ولا يسقط بالتوبة.
- يحسن بالداعية إلى الله ألا يحمل همًا وغمًا بسبب ما يحصل من بعض الناس من كُفر ومكر وتآمر؛ لأن الله تعالى يبطل كيد هؤلاء.
- حرص المنافقين على إغاطة المؤمنين بإظهار أعمال الكفر مع ادعائهم الإسلام.

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٠﴾ يَأَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَاسْمَعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣١﴾

﴿١١﴾ هؤلاء اليهود كثيرو الاستماع للكذب، كثيرو الأكل للمال الحرام كالربا، فإن تحاكموا إليك - أيها الرسول - فافصل بينهم إن شئت، أو اترك الفصل بينهم إن شئت، فأنت مُخَيَّر بين الأمرين، وإن تركت الفصل بينهم فلن يستطيعوا أن يضروك بشيء، وإن فصلت بينهم فافصل بينهم بالعدل، وإن كانوا ظلمة وأعداء، إن الله يحب العادلين في حكمهم، ولو كان المتحاكمون أعداء للحاكم.

﴿١٢﴾ وَإِنْ أَمَرَ هَؤُلَاءَ لِعَجَب، فهم يكفرون بك، ويتحاكمون إليك طمعاً في حكمك بما يوافق أهواءهم، وهم عندهم التوراة التي يزعمون الإيمان بها، فيها حكم الله، ثم يعرضون عن حكمك إذا لم يوافق أهواءهم، فجمعوا بين الكفر بما في كتابهم، والإعراض عن حكمك، وما صنيع هؤلاء بصنيع المؤمنين، فليسوا إذن من المؤمنين بك وبما جئت به.

﴿١٣﴾ إنا أنزلنا التوراة على موسى ﷺ، فيها إرشاد ودلالة على الخير، ونور يُستضاء به، يحكم بها أنبياء بني إسرائيل الذين انقادوا لله بالطاعة، ويحكم بها العلماء والفقهاء الذين يُرَبُّونَ الناس لما استحفظهم الله على كتابه، وجعلهم أمانة عليه يحفظونه من التحريف والتبديل، وهم شهداء عليه بأنه حق، وإليهم يرجع الناس في أمره، فلا تخافوا - أيها اليهود - الناس وخافوني وحدي، ولا تأخذوا بدلاً من الحكم بما أنزل الله ثمناً قليلاً من رئاسة أو جاه أو مال، ومن لم يحكم بما أنزل الله من الوحي مستحلاً ذلك، أو مفضلاً عليه غيره، أو مساوياً له معه فأولئك هم الكافرون حقاً.

﴿١٤﴾ وفرضنا على اليهود في التوراة أن من قتل نفساً متعمداً بغير حق قُتِلَ بها، ومن قلع عيناً متعمداً قُلِعَتْ عينه، ومن جدد أنفاً متعمداً جُدِغَ أنفه، ومن قطع أذنًا متعمداً قُطِعَتْ أذنه، ومن قلع سناً متعمداً قُلِعَتْ سنُّه، وكتبنا عليهم أن في الجروح يُعاقب الجاني بمثل جنايته، ومن تطوع بالعفو عن الجاني كان عفوهُ كفارةً لذنبه؛ لعفوهُ عمن ظلمه، ومن لم يحكم بما أنزل الله في شأن القصاص وفي شأن غيره، فهو متجاوز لحدود الله.

﴿١٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تعداد بعض صفات اليهود، مثل الكذب وأكل الربا ومحبة التحاكم لغير الشرع؛ لبيان ضلالهم وللتحذير منها.
- بيان شرعة القصاص العادل في الأنفس والجراحات، وهي أمر فرضه الله تعالى على من قبلنا.
- البحث على فضيلة العفو عن القصاص، وبيان أجرها العظيم المتمثل في تكفير الذنوب.
- الترهيب من الحكم بغير ما أنزل الله في شأن القصاص وغيره.

سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُوا لِّلسُّحْرِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١١﴾ وَكَيفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَتَشَرُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٣﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
 مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا
 لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾
 وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ
 بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
 وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
 عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ
 فِي مَاءِ التَّنْظِيرِ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
 فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَن أَحْكُمَ بَيْنَهُم
 بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ
 بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
 بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
 الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

١١٦

﴿٤٦﴾ وأتبعنا آثار أنبياء بني إسرائيل
 بعيسى بن مريم مؤمناً بما في التوراة،
 وحاكماً بها، وأعطيناه الإنجيل مشتملاً
 على الهداية للحق، وعلى ما يزيل
 الشبهات من الحجج، وبحل
 المشكلات من الأحكام، وموافقاً لما
 نزل من قبله من التوراة إلا في القليل
 مما نسخه من أحكامها، وجعلنا
 الإنجيل هدىً يُهتدى به، وزاجراً عن
 ارتكاب ما حرمه عليهم.

﴿٤٧﴾ ولَيُؤْمِنُ النَّصَارَى بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِي
 الإنجيل، وليحكموا به - فيما جاء به
 من صدق قبل بعثة محمد ﷺ إليهم -،
 ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
 الخارجون عن طاعة الله، التاركون
 للحق، المائلون إلى الباطل.

ولمَّا ذكر الله التوراة والإنجيل
 ومدحهما، ذكر القرآن ومدحه فقال:

﴿٤٨﴾ وأنزلنا إليك - أيها الرسول -
 القرآن بالصدق الذي لا شك ولا ريب
 أنه من عند الله، مصدقاً لما سبقه من
 الكتب المنزلة، ومؤتمناً عليها، فما
 وافقه منها فهو حق، وما خالفه فهو
 باطل، فاحكم بين الناس بما أنزل الله
 عليك فيه، ولا تتبع أهواءهم التي
 أخذوا بها، تاركاً ما أنزل عليك من
 الحق الذي لا شك فيه، وقد جعلنا
 لكل أمة شريعة من الأحكام العملية
 وطريقة واضحة يهتدون بها، ولو
 شاء الله توحيد الشرائع لوحدتها،

ولكنه جعل لكل أمة شريعة؛ ليختبر الجميع فيظهر المطيع من العاصي، فسارعوا إلى فعل الخيرات وترك
 المنكرات، فإلى الله وحده رجوعكم يوم القيامة، وسينبئكم بما كنتم تختلفون فيه، وسيجازيكم على ما قدمتم من
 أعمال.

﴿٤٩﴾ وأن احكم بينهم - أيها الرسول - بما أنزل الله إليك. ولا تتبع آراءهم النابعة من اتباع الهوى، واحذرهم أن
 يضلوك عن بعض ما أنزل الله عليك، فلن يألوا جهداً في سبيل ذلك، فإن أعرضوا عن قبول الحكم بما أنزل الله
 إليك فاعلم أنما يريد الله أن يعاقبهم ببعض ذنوبهم عقوبة دنيوية، ويعاقبهم على جميعها في الآخرة، وإن كثيراً من
 الناس لخارجون عن طاعة الله.

﴿٥٠﴾ أبغضون عن حكمك طالبين حكم أهل الجاهلية من عبدة الأوثان الذين يحكمون تبعاً لأهوائهم؟! فلا أحد
 أحسن حكماً من الله عند أهل اليقين الذين يعقلون عن الله ما أنزل على رسوله، لا أهل الجهل والأهواء الذين لا
 يقبلون إلا ما يوافق أهواءهم وإن كان باطلاً.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الأنبياء متفقون في أصول الدين مع وجود بعض الفروق بين شرائعهم في الفروع.
- وجوب تحكيم شرع الله والإعراض عما عداه من الأهواء.
- ذم التحاكم إلى أحكام أهل الجاهلية وأعرافهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبَهُمْ أَوْ يَأسُرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا أَوْلِيَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَدِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُمَ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

﴿٥١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله، لا تجعلوا من اليهود والنصارى حلفاء وأصفياء توالونهم، فاليهود إنما يوالون أهل ملتهم، والنصارى إنما يوالون أهل ملتهم، وكلا الفريقين تجمعهم معاداةكم، ومن يتولهم منكم فإنه في عدادهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين بسبب موالاتهم للكفار.

﴿٥٢﴾ فتري - أيها الرسول - المنافقين - ضعفاء الإيمان يبادرون إلى موالاته اليهود والنصارى قائلين: نخاف أن يظفر هؤلاء، وتكون لهم الدولة فينالنا منهم مكروه، فلعل الله يجعل الظفر لرسوله وللمؤمنين، أو يأتي بأمر من عنده تندفع به ضلوة اليهود ومن يوالهم، فيصبح المسارعون إلى موالاتهم نادمين على ما أخفوه من النفاق في قلوبهم؛ لبطان ما تعلقوا به من أسباب واهية.

﴿٥٣﴾ ويقول المؤمنون متعجبين من حال هؤلاء المنافقين: أهؤلاء الذين حلفوا مؤكدين إيمانهم: إنهم لمعكم - أيها المؤمنون - في الإيمان والنصرة والموالاتة؟! بطلت أعمالهم، فأصبحوا خاسرين بفوات مقصودهم، وما أعد لهم من عذاب.

﴿٥٤﴾ يا أيها الذين آمنوا، من يرجع منكم عن دينه إلى الكفر فسوف يأتي الله بقوم بدلاً منهم يحبهم ويحبونه لاستقامتهم، رحماء بالمؤمنين

أشداء على الكافرين، يجاهدون بأموالهم وأنفسهم لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يخشون تعنيف من يعنفهم؛ لتقدمهم رضا الله على رضا المخلوقين، ذلك من عطاء الله الذي يعطيه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل والإحسان، عليم بمن يستحق فضله فيمنحه إياه، ومن لا يستحقه فيحرمه.

ولما نهى الله عن موالاته اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، أخبر بمن يتعين على المؤمنين موالاتهم، فقال: ﴿٥٥﴾ ليس اليهود ولا النصارى ولا غيرهم من الكفار، أولياءكم، بل إن وليكم وناصركم الله ورسوله، والمؤمنون الذين يؤدون الصلاة كاملة، ويعطون زكاة أموالهم وهم خاضعون لله أذلاء.

﴿٥٦﴾ ومن يتول الله ورسوله والمؤمنين بالنصرة فهو من حزب الله، وحزب الله هم الغالبون؛ لأن الله ناصرهم. ﴿٥٧﴾ يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا الذين يسخرون من دينكم، ويتلاعبون به من الذين أعطوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى والمشركين حلفاء وأصفياء، واتقوا الله باجتناب ما نهاكم عنه من موالاتهم إن كنتم مؤمنين به، وبما أنزله عليكم.

﴿٥٨﴾ مِنْ قَوَالِدِ آيَاتِ،

- التنبيه على عقيدة الولاء والبراء التي تلخص في الموالاتة والمحبة لله ورسوله والمؤمنين، وبغض أهل الكفر وتجنب محبتهم.
- من صفات أهل النفاق: موالاته أعداء الله تعالى.
- التخاذل والتقصير في نصرته الدين قد ينتج عنه استبدال المقصّر والإتيان بغيره، ونزع شرف نصرته الدين عنه.
- التحذير من الساخرين بدين الله تعالى من الكفار وأهل النفاق، وموالاتهم.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هَازُؤًا وَلِعِبَاءَ ذَلِكَ يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا هَلْ أَكْتَبَ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمَّنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَوْلًا لَمْ يَأْمَنُوا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثَرِ وَالْعُدُونِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرِّبَّيْنِیُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْأَثَرُ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِخُنَاؤِهِمْ مَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَلَئِذَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

١١٨

﴿٥٨﴾ وكذلك يسخرون ويلعبون إذا أدَّيْتُمْ للصلاة التي هي أعظم قربة، ذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون عن الله معاني عبادته وشرائعه التي شرعها للناس.

﴿٥٩﴾ قل - أيها الرسول - للمستهزئين من أهل الكتاب: هل تعيبون علينا إلا إيماننا بالله وبما أنزل إلينا، وبما أنزل على من قبلنا، وإيماننا أن أكثركم خارجون عن طاعة الله بتركهم للإيمان وامتنال الأوامر؟! فما تعيبونه علينا مَحْمَدٌ لَنَا، وليس مَذْمُومٌ.

﴿٦٠﴾ قل - أيها الرسول -: هل أخبركم بمن هم أولى بالعب، وأشدَّ عقابًا من هؤلاء، إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته، وصيرهم بعد المسخ قردة وخنازير، وجعل منهم غُيَّابًا للطاغوت، والطاغوت هو كل من يُعْبَد من دون الله راضيًا، أولئك المذكورون شر منزلة يوم القيامة، وأضل سعيًا عن الطريق المستقيم.

﴿٦١﴾ وإذا جاءكم - أيها المؤمنون - المنافقون منهم أظهروا لكم الإيمان نفاقًا منهم، والواقع أنهم عند دخولهم وخروجهم مُتَلَبِّسُونَ بالكفر لا ينفكون عنه، والله أعلم بما يُضْمِرُونَ من الكفر إن أظهروا الإيمان لكم، وسيجزيهم على ذلك.

﴿٦٢﴾ وتري - أيها الرسول - كثيرًا من اليهود والمنافقين يُيَادِرُونَ إلى ارتكاب

المعاصي مثل الكذب والاعتداء على الآخرين بظلمهم وأكل أموال الناس بالحرام، ساء ما يعملون.

﴿٦٣﴾ هَلَّا يَزْجِرُهُمْ أَثْمَتُهُمْ وَعِلْمَانُهُمْ عَمَّا يَسَارِعُونَ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلِ الْكُذْبِ وَشَهَادَةِ الزُّورِ وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، لَقَدْ سَاءَ صَنِيعُ أَثْمَتِهِمْ وَعِلْمَانُهُمْ الَّذِينَ لَا يَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ.

﴿٦٤﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَمَّا أَصَابَهُمْ جَهْدٌ وَجَذَبٌ: يد الله مقبوضة عن بذل الخير والعطاء، أمسك عنا ما عنده، أَلَا حَبَسَتْ أَيْدِيَهُمْ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْعَطَاءِ، وَطَرَدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِقَوْلِهِمْ هَذَا، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ بِالْخَيْرِ وَالْعَطَاءِ، يَنْفَقُ كَيْفَ يَشَاءُ، لَا حَاجَرَ عَلَيْهِ وَلَا مَكْرَهَ لَهُ، وَلَا يَزِيدُ الْيَهُودَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ - أيها الرسول - إِلَّا تَجَاوَزًا لِلْحُدُودِ وَجَحْدًا؛ ذَلِكَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَسَدِ، وَأَلْقَيْنَا بَيْنَ طَوَائِفِ الْيَهُودِ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، كُلَّمَا جَمَعُوا لِلْحَرْبِ، وَأَعَدُّوا لَهَا عُدَّةً، أَوْ تَأَمَّرُوا لِإِسْعَالِهَا شَتَّتَ اللهُ جَمْعَهُمْ، وَأَذْهَبَ قُوَّتَهُمْ، وَلَا يَزَالُونَ يَجْتَهِدُونَ فِي ارْتِكَابِ مَا فِيهِ فَسَادٌ فِي الْأَرْضِ مِنَ السَّعْيِ لِإِبْطَالِ الْإِسْلَامِ وَالْكِيدِ لَهُ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ أَهْلَ الْفُسَادِ.

﴿٦٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- ذمُّ العالم على سكوته عن معاصي قومه وعدم بيانه لمُنْكَرَاتِهِمْ وتحذيرهم منها.
- سوء أدب اليهود مع الله تعالى، وذلك لأنهم وصفوه سبحانه بأنه مغلول اليد، حابس للخير.
- إثبات صفة اليمين، على وجه يليق بذاته وجلاله وعظيم سلطانه.
- الإشارة لما وقع فيه بعض طوائف اليهود من الشقاق والاختلاف والعداوة بينهم نتيجة لكفرهم وميلهم عن الحق.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكُنَّا عَنْهُمْ سَيِّئَاتٍ ۖ وَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمُ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۖ ﴿٦٦﴾ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۖ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ وَلِيُزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۖ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالصَّعْدِيُّونَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَ هُمْ رَسُولٌ مِّنَّا بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۖ ﴿٧٠﴾

﴿٦٥﴾ ولو أن اليهود والنصارى آمنوا بما جاء به محمد ﷺ، واتَّقوا الله باجتناب المعاصي، لكُفِّرْنَا عنهم المعاصي التي ارتكبوها ولو كانت كثيرة، ولأدخلناهم يوم القيامة جنات النعيم، يتمتعون بما فيها من نعيم لا ينقطع. ﴿٦٦﴾ ولو أن اليهود عملوا بما في التوراة، وأن النصارى عملوا بما في الإنجيل، وعملوا جميعًا بما أنزل عليهم من القرآن - ليشرك لهم أسباب الرزق من إنزال المطر وإنبات الأرض، ومن أهل الكتاب المعتدل الثابت على الحق، والكثير منهم ساء عمله لعدم إيمانهم.

﴿٦٧﴾ يا أيها الرسول أخبر بما أنزل إليك من ربك كاملاً، ولا تكتم منه شيئاً، فإن كتمت منه شيئاً فما أنت بمبلغ رسالة ربك (وقد بلغ رسول الله ﷺ كل ما أُمِرَ بتبليغه، فمن زعم خلاف ذلك فقد أعظم الفُرْيَة على الله)، والله يحميك من الناس بعد اليوم، فلا يستطيعون الوصول إليك بسوء، فما عليك إلا البلاغ، والله لا يوفق للرشد الكافرين الذين لا يريدون الهداية.

﴿٦٨﴾ قل - أيها الرسول -: لستم - أيها اليهود والنصارى - على شيء من الدين المعتد به حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل، وتعملوا بما أنزل عليكم من القرآن الذي لا يصح إيمانكم إلا بالإيمان به، والعمل بما

فيه، وليزيدن كثيراً من أهل الكتاب الذي أنزل إليك من ربك طغياناً إلى طغيان، وكفراً إلى كفر؛ لما هم عليه من الحسد، فلا تأسف على هؤلاء الكافرين، وفيمن اتبعك من المؤمنين غنية وكفاية.

﴿٦٩﴾ إن المؤمنين واليهود والصابئين وهم طائفة من أتباع بعض الأنبياء والنصارى، من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل الأعمال الصالحة، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

﴿٧٠﴾ لقد أخذنا العهود المؤكدة على بني إسرائيل بالسمع والطاعة، فنقضوا ما أخذ عليهم منها، واتبعوا ما تمليه أهواؤهم من الإعراض عما جاءتهم به رسالتهم، ومن تكذيبهم بعضاً وقتلهم بعضاً.

﴿٧١﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- العمل بما أنزل الله تعالى سبب لتكفير السيئات ودخول الجنة وسعة الأرزاق.
- توجيه الدعاة إلى أن التبليغ المُعتد به والمُبرئ للذمة هو ما كان كاملاً غير منقوص، وفي ضوء ما ورد به الوحي.
- لا يُعتد بأي معتقد ما لم يُقيم صاحبه دليلاً على أنه من عند الله تعالى.

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ يَلْعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٨﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٩﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفُ بُيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْنِي يُوقِفُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا مِنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٨٢﴾

١٢٠

﴿٧٦﴾ وظنوا أن نقضهم للعهود والمواثيق، وتكذيبهم، وقتلهم الأنبياء لا يترتب عليه ضرر بهم، فترتب عليه ما لم يظنوه، فعموا عن الحق، فلا يهتدون إليه، وصموا عن سماعه سماع قبول، ثم تاب الله عليهم تفضلاً منه، ثم عموا بعد ذلك عن الحق، وصموا عن سماعه، حدث ذلك لكثير منهم، والله بصير بما يعملونه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم عليه.

﴿٧٧﴾ لقد كفر النصارى القائلون بأن الله هو المسيح عيسى بن مريم؛ لنسبتهم الألوهية لغير الله، مع أن المسيح ابن مريم نفسه قال لهم: يا بني إسرائيل اعبدا الله وحده، فهو ربي وربكم، فنحن في عبوديته سواء، ذلك أن من يشرك بالله غيره فإن الله قد منع عليه دخول الجنة أبداً، ومستقره نار جهنم، وما له ناصر عند الله ولا معين، ولا منقذ ينقذه مما ينتظره من العذاب.

﴿٧٨﴾ لقد كفر النصارى القائلون: إن الله مؤلف من ثلاثة، هم: الأب والابن وروح القدس، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، فليس الله بمتعدد، إنما هو إله واحد لا شريك له، وإن لم يكفوا عن هذه المقالة الشنيعة لبئس العذاب موجه.

﴿٧٩﴾ أفلا يرجع هؤلاء عن مقاتلتهم هذه تائبين إلى الله منها، ويطلبون منه المغفرة على ما ارتكبوه من الشرك به؟! والله غفور لمن تاب من أي ذنب كان، ولو كان الذنب الكفر به، رحيم بالمؤمنين.

﴿٨٠﴾ ليس المسيح عيسى بن مريم إلا رسولاً من بين الرسل، يجري عليه ما جرى عليهم من الموت، وأمه مريم كثيرة الصديق والتصديق، وهما يأكلان الطعام لحاجتهما إليه، فكيف يكونان إلهين مع حاجتهما للطعام؟! فانظر - أيها الرسول - نظر تأمل: كيف نوضح لهم الآيات الدالة على الوحدانية، وعلى بطلان ما هم عليه من المغالاة في نسبة الألوهية لغيره سبحانه، وهم مع ذلك يتكبرون لهذه الآيات، ثم انظر نظر تأمل: كيف يصرّفون عن الحق صرفاً مع هذه الآيات الواضحة الدالة على وحدانية الله.

﴿٨١﴾ قل - أيها الرسول - مُحْتَجّاً عليهم في عبادتهم لغير الله: أتعبدون ما لا يجلب لكم نفعاً، ولا يدفع عنكم ضرراً؟! فهو عاجز، والله منزّه عن العجز، والله هو وحده السميع لأقوالكم، فلا يفوته منها شيء، العليم بأفعالكم، فلا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٨٢﴾ قل - أيها الرسول - للنصارى: لا تتجاوزوا الحد فيما أمرتكم به من اتباع الحق، ولا تبالغوا في تعظيم من أمرتكم بتعظيمه - مثل الأنبياء - فتعتقدوا فيهم الألوهية كما فعلتم بعيسى بن مريم، بسبب اقتداءكم بأسلافكم من أهل الضلال الذين أضلوا كثيراً من الناس، وضلوا عن طريق الحق.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- بيان كفر النصارى في زعمهم ألوهية المسيح ﷺ، وبيان بطلانها، والدعوة للتوبة منها.
- من أدلة بشرية المسيح وأمه: أكلهما للطعام، وفعل ما يترتب عليه.
- عدم القدرة على كف الضر وإيصال النفع من الأدلة الظاهرة على عدم استحقاق بعض المعبودين للألوهية؛ لكونهم عاجزين.
- النهي عن الغلو وتجاوز الحد في معاملة الصالحين من خلق الله تعالى.

لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ
 دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
 يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ
 لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ
 يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ
 أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ
 خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا
 أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا
 مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ *لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ
 أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي
 ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصٌ وَرُهْبَانُ وَإِنَّا وَانَّهُمْ
 لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى
 الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا
 مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٨﴾ يخبر الله سبحانه أنه طَرَدَ الكافرين من بني إسرائيل من رحمته في الكتاب الذي أنزله على داود وهو الزبور، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى بن مريم وهو الإنجيل، ذلك الطرد من الرحمة بسبب ما ارتكبه من المعاصي والاعتداء على حُرُمات الله.

﴿٧٩﴾ كانوا لا ينهي بعضهم بعضًا عن ارتكابه المعصية، بل يجاهر العصاة منهم بما يفترونه من المعاصي والمنكرات؛ لأنه لا مُنْكَر يُنْكَر عليهم، لَسَاءَ ما كانوا يفعلون من ترك النهي عن المنكر.

﴿٨٠﴾ تشهد - أيها الرسول - كثيرًا من الكفرة من هؤلاء اليهود الكافرين ويميلون إليهم، ويعادونك ويعادون المؤمنين، ساء ما يُفْعَلُونَ عليه من موالاتهم الكافرين، فإنها سبب غضب الله عليهم، وإدخاله إياهم النار خالدين فيها، لا يخرجون منها أبدًا.

﴿٨١﴾ ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله حقًا، ويؤمنون بنبيّه، ما جعلوا من المشركين أولياء يحبونهم ويميلون إليهم دون المؤمنين؛ لأنهم نُهَو عن اتخاذ الكافرين أولياء، ولكن كثيرًا من هؤلاء اليهود خارجون عن طاعة الله وولايته، وولاية المؤمنين.

﴿٨٢﴾ لتجد - أيها الرسول - أعظم الناس عداوة للمؤمنين بك، وبما

جئت به اليهود؛ لِمَا هم عليه من الحقد والحسد والكبر، وعبدّة الأصنام، وغيرهم من المشركين بالله. ولتجد أقربهم محبة للمؤمنين بك، وبما جئت به الذين يقولون عن أنفسهم: إنهم نصارى، وقرب مودة هؤلاء للمؤمنين لأن منهم علماء وعبّادًا، وأنهم متواضعون، غير متكبرين؛ لأن المتكبر لا يصل الخير إلى قلبه. ﴿٨٣﴾ وهؤلاء - كالنجاشي وأصحابه - قلوبهم لينة، حيث إنهم يكون خشوعًا عند سماع ما أنزل من القرآن لِمَا عرفوا أنه من الحق؛ لمعرفةهم بما جاء به عيسى ﷺ، يقولون: يا ربنا آمنا بما أنزلت على رسولك محمد ﷺ، فاكتبنا - يا ربنا - مع أمة محمد ﷺ التي تكون حجة على الناس يوم القيامة.

﴿٨٤﴾ من قَوْلِهَا لَأَيَّاتٍ،

- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب لِلْعَن والطرد من رحمة الله تعالى.
- من علامات الإيمان: الحب في الله والبغض في الله.
- موالات أعداء الله توجب غضب الله ﷻ على فاعلها.
- شدة عداوة اليهود والمشركين لأهل الإسلام، وفي المقابل وجود طوائف من النصارى يدينون بالمودة للإسلام؛ لعلمهم أنه دين الحق.

(٨٤) وأي سبب يحول بيننا وبين الإيمان بالله وما أنزله من الحق الذي جاء به محمد ﷺ؟ ونحن نرجو دخول الجنة مع الأنبياء وأتباعهم المطيعين لله الخائفين من عذابه.

(٨٥) فجازاهم الله على إيمانهم واعترفهم بالحق جنات تجري لأنهار من تحت قصورها وأشجارها ماكثين فيها أبدًا، وذلك جزاء المحسنين في اتباعهم للحق وانقيادهم له دون قيد أو شرط.

(٨٦) والذين كفروا بالله وبرسوله، وكذبوا بآيات الله التي أنزلها على رسوله، أولئك الملازمون للنار المتأججة، لا يخرجون منها أبدًا.

(٨٧) يا أيها الذين آمنوا، لا تحرّموا المستلذات المباحة من المأكول والمشرب والمناكح، لا تحرّموها ترهًا أو تعبدًا، ولا تتجاوزوا حدود ما حرم الله عليكم. إن الله لا يحب المتجاوزين لحدوده، بل يغيظهم.

(٨٨) وكلوا مما يسوقه الله إليكم من رزقه حال كونه حلالًا طيبًا، لا إن كان حرامًا كالماخوذ غصبًا أو مُستخبثًا، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، فهو الذي تؤمنون به، وإيمانكم به يوجب عليكم أن تتقوه.

(٨٩) لا يحاسبكم الله - أيها المؤمنون - بما يجري على ألسنتكم من الحليف

من غير قصد، وإنما يحاسبكم بما عزمتم عليه، وعقدتم القلوب عليه وحشتم، فيمحو عنكم إثم ما عزمتم عليه من إيمان ونطقتموه إذا حشتم أحد ثلاثة أشياء على التخيير هي: إطعام عشرة مساكين من أوسط طعام أهل بلدكم، لكل مسكين نصف صاع، أو كسوتهم بما يُغَيِّرُ عُرْفًا كسوة، أو إعتاق رقبة مؤمنة، فإذا لم يجد المكفر عن يمينه أحد هذه الأشياء الثلاثة كَفَّرَ عنها بصيام ثلاثة أيام، ذلك المذكور هو كفارة إيمانكم - أيها المؤمنون - إذا أقسمتم بالله وحشتم، وصونوا إيمانكم عن الحلف بالله كذبًا، وعن كثرة القسم بالله، وعن عدم الوفاء بالقسم ما لم يكن عدم الوفاء خيرًا، فافعلوا الخير، وكفروا عن إيمانكم، كما بيّن الله لكم كفارة اليمين يُبَيِّنُ الله لكم أحكامه المينة للحلال والحرام، لعلمكم تشكرون الله على أن علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

(٩٠) يا أيها الذين آمنوا، إنما المُشْكِرُ الذي يذُهبُ العقل، والقمار المشتمل على عوض من الجانبين، والحجارة التي يذبح عندها المشركون تعظيمًا لها أو ينصبونها لعبادتها، والقداح التي كانوا يطلبون بها ما قسم لهم من الغيب، كل ذلك إثم من تزئين الشيطان، فابتعدوا عنه لعلمكم تفوزون بحياة كريمة في الدنيا وبنعيم الجنة في الآخرة.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- الأمر بتوخي الطيب من الأرزاق وترك الخيث.
- عدم المؤاخذه على الحلف عن غير عزم للقلب، والمؤاخذه على ما كان عن عزم القلب ليفعلن أو لا يفعل.
- بيان أن كفارة اليمين: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو عتق رقبة مؤمنة، فإذا لم يستطع المكفر عن يمينه الإتيان بواحد من الأمور السابقة، فليكفر عن يمينه بصيام ثلاثة أيام.
- قوله تعالى: ﴿...إِنَّمَا الْكُفْرُ...﴾ هي آخر آية نزلت في الخمر، وهي نص في تحريمه.

أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَّعَالَكُمْ وَلَلسَّيَّارَةُ
وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٦﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَةَ ذَلِكَ لِعَلَّامُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٧﴾ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ اللَّهُ بِالْأَلْبَابِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ
أَشْيَاءٍ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ
الْفَرْءُ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَمَّا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٧١﴾
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿٧٢﴾ مَا جَعَلَ
اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

١٢٤

﴿٦٦﴾ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ صَيْدَ الْحَيَوَانَاتِ
المائية، وما يقذفه البحر لكم حياً أو
ميتاً منفعة لمن كان منكم مقيماً أو
مسافراً يتزود به، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ
البر ما دمتم محرمين بحج أو عمرة،
واتقوا الله بامتنثال أوامره واجتنب
نواهيه، فهو الذي إليه وحده ترجعون
يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.
﴿٦٧﴾ جعل الله الكعبة البيت المحرم
قيماً للناس، به تقوم مصالحهم الدينية
من الصلاة والحج والعمرة،
ومصالحهم الدنيوية بالأمن في الحرم
وجباية ثمرات كل شيء إليه، وجعل
الأشهر الحرم وهي: (ذو القعدة وذو
الحجة والمحرّم ورجب) قياماً لهم
بأمنهم فيها من قتال غيرهم لهم،
والهدي والقلائد المشعّرة بأنها مسوقة
إلى الحرم قياماً لهم بأمن أصحابها من
التعرض لهم بأذى، ذلك الذي من الله
به عليكم لتعلموا أن الله يعلم ما في
السموات وما في الأرض، وأن الله
بكل شيء عليم، فإن تشريعه لذلك -
لجلب المصالح لكم ودفع المضار
عنكم قبل حصولها - دليل على علمه
بما يصلح للعباد.

﴿٦٨﴾ اَعْلَمُوا - أيها الناس - أن الله
شديد العقاب لمن عصاه، وغفور لمن
تاب، رحيم به.

﴿٦٩﴾ ليس على الرسول إلا تبليغ ما
أمره الله بتبليغه، فليس عليه توفيق
الناس إلى الهداية، فذلك بيد الله
وحده، والله يعلم ما تظهورونه، وما

تخفونه من الهداية أو الضلال، وسيجازيكم على ذلك.

﴿٧٠﴾ قل - أيها الرسول -: لا يستوي الخبيث من كل شيء مع الطيب من كل شيء، ولو أعجبك كثرة الخبيث، فإن
كثرت لا تدل على فضله، فاتقوا الله - يا أصحاب العقول - بترك الخبيث وفعل الطيب لعلكم تفوزون بالجنة.
﴿٧١﴾ يا أيها الذين آمنوا، لا تسألوا رسولكم عن أشياء لا حاجة لكم بها، وليست مما يعينكم على أمر دينكم، إن
تظهر لكم تسؤكم لما فيها من المشقة، وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي نهيتكم عن السؤال عنها حين ينزل الوحي
على الرسول تبين لكم، وذلك على الله يسير، فقد تجاوز الله عن أشياء سكت عنها القرآن، فلا تسألوا عنها، فإنكم
إن سألتهم عنها نزل عليكم التكليف بحكمها.

﴿٧٢﴾ قد سأل عن مثلها قوم ممن سبقوكم، فلما كُفِّوا بها لم يعملوا بها، فأصبحوا كافرين بسببها.

﴿٧٣﴾ أحل الله الأنعام، فلم يحرم منها ما حرمه المشركون على أنفسهم لأصنامهم من البجيرة وهي الناقة التي تُقَطَّعُ
أذنهما إذا أنجبت عدداً معيناً، والسائبة وهي الناقة التي إذا بلغت سناً معينة تترك لأصنامهم، والوصيلة وهي الناقة
التي تصل إنجاب أنثى بأنثى، والحامي وهو فحل الإبل إذا نتج عدد من الإبل من صلبه، لكن الكفار زعموا كذباً
وبهتاناً أن الله حرم المذكورات، وأكثر الكافرين لا يميزون بين الحق والباطل والحلال والحرام.

﴿٧٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الأصل في شعائر الله تعالى أنها جاءت لتحقيق مصالح العباد الدنيوية والأخروية، ودفع المضار عنهم.
- عدم الإعجاب بالكثرة، فإن كثرة الشيء ليست دليلاً على جله أو طيبه، وإنما الدليل يكمن في الحكم الشرعي.
- من أدب المُسْتَفْتِي: تقييد السؤال بحدود معينة، فلا يسوغ السؤال عما لا حاجة للمرء ولا غرض له فيه.
- ذم مسالك المشركين فيما اخترعوه وزعموه من محرمات الأنعام ك: البجيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي.

﴿١٤٤﴾ وإذا قيل لهؤلاء المقتربين على الله الكذب بتحريم بعض الأنعام: تعالوا إلى ما أنزل الله من القرآن، وإلى سنة الرسول ﷺ لتعرفوا الحلال من الحرام، قالوا: يكفينا ما أخذناه وورثناه عن أسلافنا من الاعتقادات والأقوال والأفعال، كيف يكفيهم ذلك وقد كان أسلافهم لا يعلمون شيئاً، ولا يهتدون إلى الحق؟! فلا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً، فهم جهلة ضالون.

﴿١٤٥﴾ يا أيها الذين آمنوا، عليكم أنفسكم فالزموها بالقيام بما يضلحها، لا يضركم من ضل من الناس ولم يستجب لكم، إذا اهتديتم أنتم، ومن اهتداكم أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر، إلى الله وحده رجوعكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم عليه.

﴿١٤٦﴾ يا أيها الذين آمنوا، إذا اقترب موت أحدكم بظهور علامة من علامات الموت فليشهد على وصيته عدلين من المسلمين أو رجلين من الكفار عند الاحتياج لفقد غيرهما من المسلمين، إن سافرتم فنزل بكم الموت، وإن حدث ارتياب في شهادتهما فليقوهما بعد إحدى الصلوات، فيحلفان بالله: لا يبيمان حظههما من الله بعوض، ولا يخابيان به قريباً، ولا يكتمان شهادة الله عندهما،

وأنهما إن فعلا ذلك كانا من المذنبين العاصين لله.

وَأَذِيقِلْ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٤٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِنُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٤٧﴾ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمَا الْأُولَىٰ وَلَئِنْ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتُمَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتَيْهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ذَلِكَ أَذَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٩﴾

﴿١٤٧﴾ فَإِنْ تَبَيَّنَ بعد التحليف كذبهما في الشهادة أو اليمين، أو ظهرت خيانتهما؛ فليشهد أو يحلف اثنان يقومان مقامهما من أقرب الناس إلى الميت على ما هو حق، فيحلفان بالله لشهادتهما على كذبهما وخيانتهما أحق من شهادتهما على صدقهما وأمانتهما، وما حلفنا زوراً، إنا إن شهدنا زوراً لمن الظالمين المتجاوزين لحدود الله.

﴿١٤٨﴾ ذلك المذكور من تحليف الشاهدين بعد الصلاة عند الشك في شهادتهما، ومن ردّ شهادتهما، أقرب إلى إتيانهما بالشهادة على الوجه الشرعي للإتيان بها، فلا يحرفان الشهادة أو يبدلونها أو يخونان، وأقرب إلى أن يخافا أن ترد أيمان الوريثة بعد أيمانهما، فيحلفون على خلاف ما شهدا به فَيَقْتَضِيَانِ، واتقوا الله بترك الكذب والخيانة في الشهادة واليمين، واسمعوا ما أُمِرْتُمْ به سماعاً يصحبه قبول، والله لا يوفق الخارجين عن طاعته.

﴿١٤٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْإِبْرَائِيَّةِ،

- إذا أُلْزِمَ العبد نفسه بطاعة الله، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر بحسب طاقته، فلا يضره بعد ذلك ضلال أحد، ولن يُسأل عن غيره من الناس، وخاصة أهل الضلال منهم.
- الترغيب في كتابة الوصية، مع صيانتها بإشهاد العدول عليها.
- بيان الصورة الشرعية لسؤال الشهود عن الوصية.

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْعُيُوبِ ﴿١٤٦﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ
الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَّمْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ
جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا
إِلَّا إِسْحَرُكُمْ مِينٌ ﴿١٤٧﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا
بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا أَأَمِنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤٨﴾
إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُونَ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ
أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٩﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٥٠﴾

١٢٦

﴿١٤٦﴾ اذكروا - أيها الناس - يوم القيامة
حيث يجمع الله جميع الرسل، فيقول
لهم: ماذا أجابتمكم به أممكم التي
أرسلتكم إليها؟ قالوا مُؤَوِّضِينَ الجواب
إلى الله: لا علم لنا، وإنما العلم لك -
ربنا - إنك أنت وحدك من تعلم الأمور
الغائبة.

﴿١٤٧﴾ واذكر حين قال الله مخاطبًا
عيسى عليه السلام: يا عيسى بن مريم، اذكر
نعمتي عليك حين خلقتك من غير
أب، واذكر نعمتي على أمك مريم عليها السلام
حين اصطفتها على نساء زمانها،
واذكر مما أنعمت به عليك حين قُوِّيتك
بجبريل عليه السلام، تُكَلِّمُ النَّاسَ - وأنت
رضيع - بدعوتهم إلى الله، وتكلمهم
في كهولتك بما أرسلتك به إليهم،
ومما أنعمت به عليك أن علمتك
الخط، وعلمتك التوراة التي أنزلت
على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل
عليك، وعلمتك أسرار الشرع وفوائده
وحكمه، ومما أنعمت به عليك أنك
تصوّر من الطين مثل صورة طير، ثم
تنفخ فيه فيكون طيرًا، وأنت تشفي من
وُلِدَ أَعْمَى من عماء، وتشفي الأبرص،
فيصير سليم الجلد، وتحيي الموتى
بدعائك الله أن يحييهم، كل ذلك
بإذني، ومما أنعمت به عليك أن دفعت
عنك بني إسرائيل لَمَّا هَمُّوا بقتلك حين
جئتهم بالمعجزات الواضحة، فما كان
منهم إلا أن كفروا بها، وقالوا: ما

هذا الذي جاء به عيسى إلا سحر واضح.

﴿١٤٨﴾ واذكر مما أنعمت به عليك أن يَسَّرْتُ لك أعوانًا حين ألهمت الحواريين أن يؤمنوا بي وبك، فانقادوا لذلك
واستجابوا، وقالوا: آمنا، واشهد - يا ربنا - بأننا مسلمون لك متقادون.

﴿١٤٩﴾ واذكر حين قال الحواريون: هل يستطيع ربك إذا دعوتَه أَنْ يُنْزِلَ مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؟ فأجابهم عيسى عليه السلام بأن
أمرهم بتقوى الله وترك طلب ما سألوا، إذ لعل فيه فتنة لهم، وقال لهم: توكّلوا على ربكم في طلب الرزق إن كنتم
مؤمنين.

﴿١٥٠﴾ قال الحواريون لعيسى: نريد أن نأكل من هذه المائدة، وتطمئن قلوبنا بكمال قدرة الله، وبأنك رسوله، ونعلم
علم اليقين أنك صَدَّقْتَنَا فيما جئت به من عند الله، ونكون عليها من الشاهدين لمن لم يحضرها من الناس.

﴿١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- إثبات جمع الله للخلق يوم القيامة جليلهم وحقيرهم.
- إثبات بشرية المسيح عليه السلام وإثبات آياته الحسية من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص التي أجراها الله على يديه.
- بيان أن آيات الأنبياء تهدف لتثبيت الأتباع وإفحام المخالفين، وأنها ليست من تلقاء أنفسهم، بل تأتي بإذن الله تعالى.

﴿١٧٠﴾ فَأَجَابَ عِيسَى طَلِبُهُمْ، وَدَعَا اللَّهَ قَانِلًا: رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً طَعَامَ نَتَّخِذُ مِنْ يَوْمٍ نَزُولِهَا عِيدًا نَعْظُمُهُ شُكْرًا لَكَ، وَتَكُونُ عَلَامَةً وَبُرْهَانًا عَلَيَّ وَحَدَانِيَّتِكَ، وَعَلَى صَدُقٍ مَا بُعِثْتُ بِهِ، وَارْزُقْنَا رِزْقًا يَعْينُنَا عَلَى عِبَادَتِكَ، وَأَنْتَ - يَا رَبَّنَا - خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

﴿١٧١﴾ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَ عِيسَى ﷺ، وَقَالَ: إِنِّي مُنْزِلُ هَذِهِ الْمَائِدَةِ الَّتِي طَلَبْتُمْ إِنْزَالَهَا عَلَيْكُمْ، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ إِنْزَالِهَا فَلَا يُلُومُنِي إِلَّا نَفْسُهُ، فَسَاءَ عَذِبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا، لِأَنَّهُ شَاهِدُ الْآيَةِ الْبَاهِرَةِ، فَكَانَ كُفْرُهُ كُفْرَ عِنَادٍ، وَحَقَّقَ اللَّهُ لَهُمْ وَعَدَهُ فَأَنْزَلَهَا عَلَيْهِمْ.

﴿١٧٢﴾ وَادَّكَرَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُخَاطَبًا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ﷺ: يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، هَلْ قُلْتَ لِلنَّاسِ: صَيِّرُونِي وَأُمِّي مَعْبُودَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَأَجَابَ عِيسَى مُنْزَعًا ربه: لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ لَهُمْ إِلَّا الْحَقَّ، وَإِنْ قُدِّرَ أَنْيَ قُلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ عَلِمْتُهُ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ، تَعْلَمُ مَا أَضْمَرَهُ فِي نَفْسِي، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، إِنَّكَ وَحْدَكَ مِنْ تَعْلَمُ كُلَّ غَائِبٍ وَكُلَّ خَفِيٍّ وَكُلَّ ظَاهِرٍ.

﴿١٧٣﴾ قَالَ عِيسَى لربه: مَا قُلْتُ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِقَوْلِهِ مِنْ أَمْرِهِمْ بِإِفْرَادِكَ بِالْعِبَادَةِ، وَكُنْتُ رَقِيبًا عَلَى مَا يَقُولُونَ طِيلَةَ وَجُودِي بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، فَلَمَّا

أَنْهَيْتُ مِلَّةَ بَقَائِي بَيْنَهُمْ بِرَفْعِي إِلَى السَّمَاءِ حَيًّا كُنْتُ - يَا رَبِّ - أَنْتَ الْحَفِظُ لِأَعْمَالِهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، لَا يَغِيبُ عَنْكَ شَيْءٌ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَا قُلْتُ لَهُمْ، وَمَا قَالُوا بَعْدِي.

﴿١٧٤﴾ إِنْ تَعَذَّبُهُمْ - يَا رَبِّ - فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَشَاءُ، وَإِنْ تَمُنَّنْ عَلَى مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ فَلَا مَانِعَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْتَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يُغَالَبُ، الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِكَ.

﴿١٧٥﴾ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ﷺ: هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ صَادِقِي النَّبَاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ صَدُقُهُمْ، لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَأَشْجَارُهَا مَآكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَعتَرِيهِمْ مَوْتُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَرَضُوا عَنْهُ لِمَا نَالُوهُ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ، ذَلِكَ الْجِزَاءُ وَالرِّضَا عَنْهُمْ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، فَلَا فَوْزَ يَدَانِيهِ.

﴿١٧٦﴾ اللَّهُ وَحْدَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهُوَ خَالِقُهُمَا وَمُدَبِّرُ أَمْرِهِمَا، وَلَهُ مَلِكٌ مَا فِيهِنَّ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

﴿١٧٧﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْكَلِمَاتِ:

- تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ مَنْ أَصْرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَعِنَادِهِ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ عَلَيْهِ.
- ثَبَّرَ الْمَسِيحَ ﷺ مِنْ ادِّعَاءِ النَّصَارَى بِأَنَّهُ أَبْلَغُهُمْ أَنَّهُ اللَّهُ أَوْ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ أَوْ أَنَّهُ ادَّعَى الرِّبُوبِيَّةَ أَوْ الْأُلُوهِيَّةَ.
- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِظَمَاءَ النَّاسِ وَأَشْرَافَهُمْ مِنَ الرِّسْلِ، فَكَيْفَ يَمُنُّ دُونَهُمْ بِدَرَجَةٍ؟!
- عَلُوُّ مَنْزِلَةِ الصَّدُقِ، وَثَنَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَهْلِهِ، وَبَيَانُ نَفْعِ الصَّدُقِ لِأَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٧٠﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ وَعَذَابِيَ لَا أُعَذِّبُهُ وَ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَقَدْ عَلِمْتُهُ وَتَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧٢﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧٣﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧٤﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٧٥﴾ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾
أَمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِذَا هَلَكَ نَكَمٌ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْتَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِسْحَرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾

١٢٨

☀ من مقاصد السورة:
تقرير عقيدة التوحيد بالبراهين العقلية
ونقض الاعتقادات الشركية.

☀ التفسير:

① الوصف بالكمال المطلق، والثناء
بالمحاسن العليا مع المحبة، ثابت لله
الذي خلق السماوات وخلق الأرض
من غير مثال سابق، وخلق الليل
والنهار يتعاقبان، الليل خلقه للظلام،
والنهار خلقه للنور، ومع هذا فالذين
كفروا يُسوون به غيره، ويجعلونه
شريكا له.

② هو سبحانه الذي خلقكم - أيها
الناس - من طين حين خلق أباكم
آدم ﷺ منه، ثم ضرب سبحانه مدة
لاقامتكم في الحياة الدنيا، وضرب
أجلا آخر لا يعلمه إلا هو لبغثكم يوم
القيامة، ثم أنتم تشكون في قدرته
سبحانه على البعث.

③ وهو سبحانه المعبود بحق في
السماوات والأرض، لا يخفى عليه
شيء، فهو يعلم ما تخفون من النبات
والأقوال والأعمال، ويعلم ما تملنون
من ذلك، وسيجازيكم عليها.

④ وما تأتني المشركين من حجة من
عند ربهم إلا تركوها غير مباليين بها،
فقد جاءتهم الحجج الواضحة

والبراهين الجلية الدالة على توحيد الله، وجاءتهم الآيات الدالة على صدق رسله، ومع ذلك أعرضوا عنها غير
عابئين بها.

⑤ وهم إن أعرضوا عن تلك الحجج الواضحة والبراهين الجلية فقد أعرضوا عما هو أوضح، فقد كذبوا بما جاء
به محمد ﷺ من القرآن، وسيعرفون أن ما كانوا يستهزئون به مما جاءهم به هو الحق حين يرون العذاب يوم
القيامة.

⑥ ألم يعلم هؤلاء الكافرون سنة الله في إهلاك الأمم الظالمة؟! فقد أهلك الله من قبلهم أمما كثيرة أعطاهاهم من
أسباب القوة والبقاء في الأرض ما لم يعط هؤلاء الكافرين، وأنزل عليهم الأمطار المتتابعة، وأجرى لهم الأنهار
تجري من تحت مساكنهم، فعصوا الله، فأهلكهم بما ارتكبه من المعاصي، وخلق من بعدهم أمما أخرى.

⑦ ولو نزلنا عليك - أيها الرسول - كتابا مكتوبا في أوراق، وشاهدوه بأعينهم، وتأكدوا منه بتحسُّسهم الكتاب
بأيديهم؛ لما آمنوا به جحودا منهم وتعتنا، ولقالوا: لا يعدو ما جئت به أن يكون سحرا واضحا، فلن نؤمن به.

⑧ وقال هؤلاء الكافرون: لو أنزل الله مع محمد ملكا يكلمنا ويشهد أنه رسول لآمنا. ولو أنزلنا ملكا على
الوصف الذي أرادوا لأهلكناهم إذا لم يؤمنوا، ولا يمهلون للتوبة إذا نزل.

☀ من فوائد الآيات:

- شدة عناد الكافرين، وبيان إصرارهم على الكفر على الرغم من قيام الحجة عليهم بالأدلة الحسية.
- التأمل في سنن الله تعالى في السابقين لمعرفة أسباب هلاكهم والحذر منها.
- من رحمة الله بعباده أن لم ينزل لهم رسولا من الملائكة لأنهم لا يمهلون للتوبة إذا نزل.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلٌ لِّلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُفْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٢﴾ مَن يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٣﴾ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤﴾ وَهُوَ أَتَقَاهُ رُفُوقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٥﴾

١٢٩

أوليه وأستنصره؟! وهو الذي خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، فلم يُسبَقْ إلى خلقهما، وهو الذي يرزق من يشاء من عباده، ولا أحد من عباده يرزقه، فهو الغني عن عباده، وعباده مفتقرون إليه، قل - أيها الرسول -: إني أمرني ربي سبحانه أن أكون أول من انتقاد لله وخضع له من هذه الأمة، ونهاني أن أكون من الذين يشركون معه غيره.

﴿١١﴾ قل - أيها الرسول -: إني أخاف إن عصيت الله بارتكاب ما حَرَّمَ علي من الشرك وغيره، أو تَرَكْتُ ما أمرني به من الإيمان وغيره من الطاعات، أن يعذبني عذاباً عظيماً يوم القيامة.

﴿١٢﴾ مَن يُبْعِدَ الله عنه ذلك العذاب يوم القيامة، فقد فاز برحمة الله له، وتلك النجاة عن العذاب هي الفوز الواضح الذي لا يُدَانِيهِ فوز.

﴿١٣﴾ وَإِن يَتْلُكْ - يا ابن آدم - من الله بلاء فلا دافع للبلاء عنك إلا الله، وَإِن يَتْلُكْ منه خير فلا مانع له من ذلك، ولا رَادٌّ لفضله، فهو القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء.

﴿١٤﴾ وهو الغالب على عباده المذلل لهم، العالي عليهم من كل وجه الذي لا يعجزه شيء، ولا يغلبه أحد، الجميع له خاضعون، فوق عباده كما يليق به سبحانه، وهو الحكيم في خلقه وتدبيره وشرعه، الخبير فلا يخفى عليه شيء.

﴿١٥﴾ مِن قَوَائِدِ آيَاتِ،

- بيان حكمة الله تعالى في إرسال كل رسول من جنس من يرسل إليهم؛ ليكون أبلغ في السماع والوعي والقبول عنه.
- الدعوة للتأمل في أن تكرار سنن الأولين في العصيان قد يقابله تكرار سنن الله تعالى في العقاب.
- وجوب الخوف من المعصية ونتائجها.
- أن ما يصيب البشر من بلاء ليس له صارف إلا الله، وأن ما يصيبهم من خير فلا مانع له إلا الله، فلا رَادَّ لفضله، ولا مانع لنعمته.

﴿٦٨﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين المكذبين بك: أي شيء أجل وأعظم شهادة على صدقي؟ قل: الله أجل شيء وأعظم شهادة على صدقي، هو شهيد بيني وبينكم، يعلم ما جئتم به، وما ستردون به، وقد أوحى الله إلي هذا القرآن لأخوفكم به، وأخوف به من بلغه من الإنس والجن، إنكم - أيها المشركون - تؤمنون أن مع الله معبودات أخرى، قل - أيها الرسول -: لا أشهد على ما أقرتم به لبطلانه، إنما الله إله واحد لا شريك له، وإني بريء من كل ما تشركونه معه.

﴿٦٩﴾ اليهود الذين أعطيناهم التوراة والنصارى الذين أعطيناهم الإنجيل يعرفون النبي محمدًا ﷺ معرفة تامة، كما يعرفون أبناءهم من أبناء غيرهم، فأولئك الذين خسروا أنفسهم بإدخالها النار، فهم لا يؤمنون.

﴿٧٠﴾ لا أحد أعظم ظلماً ممن نسب الله شريكاً، فعبيده معه، أو كذب بآياته التي أنزلها على رسوله، إن الظالمين بنسبة الشريك إلى الله وتكذيب آياته لا يفوزون أبداً إن لم يتوبوا.

﴿٧١﴾ واذكر يوم القيامة حين نجعهم جميعاً، لا تغادر منهم أحداً، ثم نقول للذين عبدوا مع الله غيره توبيخاً لهم: أين شركاؤكم الذين كنتم تدعون كاذبين أنهم شركاء لله؟!

﴿٧٢﴾ ثم لم يكن اعتذارهم بعد هذا

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لَأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧١﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْصُرُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٧٢﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٣﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَإِنْ يَرَوْا كَلَاءً آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ يَجِدُوا لَوْكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٤﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلَكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٦﴾

١٣٠

الاختبار إلا أن تبرؤوا من معبوداتهم، وقالوا كذباً: والله ربنا ما كنا في الدنيا مشركين بك، بل كنا مؤمنين بك، موحدين لك.

﴿٧٦﴾ انظر - يا محمد - كيف كذب هؤلاء على أنفسهم بنفيهم الشرك عن أنفسهم، وغاب عنهم وخذلهم ما كانوا يخلقونه من الشركاء مع الله في حياتهم الدنيا؟!

﴿٧٧﴾ ومن المشركين من يستمع إليك - أيها الرسول - إذا قرأت القرآن، لكنهم لا ينتفعون بما يستمعون إليه؛ لأننا جعلنا على قلوبهم أغطية حتى لا يفقهوا القرآن، بسبب عنادهم وإعراضهم، وجعلنا في آذانهم صمماً عن السماع النافع، ومهما يروا من الدلالات الواضحة والحجج الجلية لا يؤمنوا بها، حتى إذا جاؤوك يخاصمونك في الحق بالباطل يقولون: ليس الذي جئت به إلا مأخوذاً عن كتب الأوائل.

﴿٧٨﴾ وهم ينهون الناس عن الإيمان بالرسول، ويبعدون عنه، فلا يتركون من ينتفع به، ولا ينتفعون هم به، وما يهلكون بصنيعهم هذا إلا أنفسهم، وما علموا أن ما يقومون به إهلاك لها.

﴿٧٩﴾ ولو ترى - أيها الرسول - حين يُعرضون يوم القيامة على النار، فيقولون تحسراً: يا ليتنا نُرَدُّ إلى الحياة الدنيا، ولا نُكَذَّبُ بآيات الله، ونُكُونَ من المؤمنين بالله - لرأيت عجباً من سوء حالهم.

﴿٨٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• بيان الحكمة في إرسال النبي عليه الصلاة والسلام بالقرآن، من أجل البلاغ والبيان، وأعظم ذلك الدعوة لتوحيد الله.

• نفي الشريك عن الله تعالى، ودحض افتراءات المشركين في هذا الخصوص.

• بيان معرفة اليهود والنصارى للنبي عليه الصلاة والسلام، برغم جحودهم وكفرهم.

بَلْ بَدَأَ الْهُمَّ مَا كَانُوا يَحْفُوقُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَ تَهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا لَوْ أَنَّا حَسَرْنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْرَادَهُمْ
عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلْسَاءَ مَا يَرُورُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ
رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ
نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّائِ الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْطِطِعْتَ أَنْ تَتَّبِعَى
نَفَقَا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

١٣١

﴿٢٨﴾ ليس الأمر كما قالوا من أنهم لو
رُدُّوا لآمنوا، بل ظهر لهم ما كانوا
يسترون من قولهم: (والله ما كنا
مشركين)، حين شهدت عليهم
جوارحهم، ولو قُدِّرَ أنهم رجعوا إلى
الدنيا لرجعوا إلى ما نهوا عنه من
الكفر والشرك، وإنهم لكاذبون في
وعدهم بالإيمان إذا رجعوا.

﴿٢٩﴾ وقال هؤلاء المشركون: لا حياة
إلا الحياة التي نحن فيها، ولسنا
مبعوثين للحساب.

﴿٣٠﴾ ولو ترى - أيها الرسول - حين
أوقِفَ منكرو البعث بين يدي ربهم
لرأيت العجب من سوء حالهم حين
يقول لهم الله: أليس هذا البعث الذي
كنتم تكذبون به حقاً ثابتاً لا مرية فيه
ولا شك؟! قالوا: أقسمنا بربنا الذي
خلقنا إنه لحق ثابت لا شك فيه،
فيقول لهم الله عند ذلك: فذوقوا
العذاب بسبب كفركم بهذا اليوم؛
فكنتم به تكذبون في الحياة الدنيا.

﴿٣١﴾ قد خسر الذين كَذَّبُوا بالبعث يوم
القيامة واستبعدوا الوقوف بين
يدي الله، حتى إذا جاءتهم الساعة
فجأة من غير سابق علم قالوا من شدة
الندم: يا لحسرتنا وخيبة أملنا لما
قَصَرْنَا في جنب الله من الكفر به وعدم
الاستعداد ليوم القيامة، وهم يحملون
سيئاتهم فوق ظهورهم، أَلَا قُبْحٌ مَا
يحملون من تلك السيئات.

﴿٣٢﴾ وليست الحياة الدنيا التي تركنون
إليها إلا لعباً وغروراً لمن لا يعمل فيها

بما يرضي الله، وأما الدار الآخرة فهي خير للذين يتقون الله بفعل ما أمر به من الإيمان والطاعة، وترك ما نهى عنه
من الشرك والمعصية، أفلا تعقلون - أيها المشركون - ذلك؟! فتؤمنوا وتعملوا الصالحات.

﴿٣٣﴾ نحن نعلم أنك - أيها الرسول - يحزنك تكذيبهم لك في الظاهر، فاعلم أنهم لا يكذبونك في أنفسهم؛ لعلمهم
بصدقك وأمانتك، ولكنهم قوم ظالمون ينكرون أمرك ظاهراً وهم يوقنون به في أنفسهم.

﴿٣٤﴾ ولا تحسب أن هذا التكذيب خاص بما جئت به، فقد كَذَّبَتْ رسل من قبلك، وأذاهم أقوامهم، فواجهوا ذلك بالصبر
على الدعوة والجهاد في سبيل الله حتى جاءهم النصر من الله، ولا مبدل لما كتبه الله من النصر، ووعد به رسله، ولقد جاءك
- أيها الرسول - من أخبار من قبلك من الرسل وما لاقوه من أقوامهم وما جابههم الله من النصر على أعدائهم بإهلاكهم.

﴿٣٥﴾ وإن كان شق عليك - أيها الرسول - ما تلاقيه من تكذيبهم وإعراضهم عما جئتهم به من الحق، فإن استطعت
أن تطلب نفقاً في الأرض أو مضجعا إلى السماء فتأتيهم بحجة وبرهان غير الذي أيدناك به فافعل، ولو شاء الله
جمعتهم على الهدى الذي جئت به لجمعهم، لكنه لم يشأ ذلك لحكمة بالغة، فلا تكونن من الجاهلين بذلك،
فتذهب نفسك حسرات على أنهم لم يؤمنوا.

﴿٣٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من عدل الله تعالى أنه يجمع العابد والمعبود والتابع والمتبوع في غَرَصات القيامة ليشهد بعضهم على بعض.
- ليس كل من يسمع القرآن ينتفع به، فربما يوجد حائل مثل ختم القلب أو الضمَم عن الانتفاع أو غير ذلك.
- بيان أن المشركين وإن كانوا يكذبون في الظاهر فهم يستقنون في دواخلهم بصدق النبي عليه الصلاة والسلام.
- تسلية النبي عليه الصلاة والسلام ومواساته بإعلامه أن هذا التكذيب لم يقع له وحده، بل هي طريقة المشركين في معاملة الرسل السابقين.

﴿٦٦﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يَرْجَعُونَ ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا
مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ
مَا فَرَضْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٦٩﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوهُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ يَشَاءِ
اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٠﴾ قُلْ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ
تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ بَلْ إِلَٰهَهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ
مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ
يَضُرَّعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ فَلَمَّا
نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ
إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾

١٣٢

﴿٦٦﴾ إنما يجيبك قابلاً ما جئت به من
يسمعون الكلام ويفهمونه، والكفار
موتى لا شأن لهم، فقد ماتت قلوبهم،
والموتى يعثهم الله يوم القيامة، ثم إليه
وحده يرجعون ليجازيهم على ما قدموا.
﴿٦٧﴾ وقال المشركون مُتَعَتِّينَ وَمُطَاطِلِينَ
بالإيمان: هلاً أنزل على محمد آية
خارقة تكون برهاناً من ربه على صدقه
فيما جاء به؟ قل - أيها الرسول -: إن الله
قادر على تنزيل آية حسبما يريدون،
ولكن أكثر هؤلاء المشركين المطالبين
بالنزال آية لا يعلمون أن إنزال الآيات
يكون وفق حكمته تعالى، وليس وفق ما
يطالبون به، فلو أنزلها ثم لم يؤمنوا
لأهلكهم.

﴿٦٨﴾ وما من حيوان يتحرك فوق الأرض،
ولا طائر يطير في السماء إلا أجناس
مثلكم - يا بني آدم - في الخلق والرزق،
ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئاً إلا
أثبتناه، والجميع علمهم عند الله، ثم إلى
ربهم وحده يوم القيامة يجمعون لفصل
القضاء، فيجازي كل بما يستحقه.

﴿٦٩﴾ والذين كذبوا بآياتنا مثل الصم
الذين لا يسمعون، والبكم الذين لا
يتكلمون، وهم مع ذلك في الظلمات لا
يبصرون، فأنى لمن هذه حاله أن
يهتدي؟! من يشأ الله إضلاله من الناس
يضلله، ومن يشأ هدايته يهديه بأن يجعله
على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

﴿٧٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء

المشركين: أخبروني إن جاءكم عذاب من الله أو جاءكم الساعة التي وعدتكم أنها آتية، أطلبون إذ ذاك غير الله ليكشف
ما ينزل بكم من البلاء والشدة، إن كنتم صادقين في ادعاء أن معبوداتكم تجلب نفعاً أو تدفع ضرراً؟!.

﴿٧١﴾ الحق أنكم لا تدعون إذ ذاك غير الله الذي خلقكم، فيصرف عنكم البلاء، ويرفع عنكم الضر، فهو ولي ذلك والقادر
عليه، وأما معبوداتكم التي أشركتموها مع الله فتتكونها؛ لعلمكم أنها لا تنفع ولا تضر.

﴿٧٢﴾ ولقد بعثنا إلى أمم من قبلك - أيها الرسول - رسلاً فكذبوهم، وأعرضوا عما جاؤوهم به، فعاقبناهم بالشدائد كالفقير
وبما يضّر أبدانهم كالمرض من أجل أن يخضعوا لربهم، ويتذلّلوا له.

﴿٧٣﴾ لو أنهم حين جاءهم بلاؤنا تذللوا لله، وخضعوا له ليكشف عنهم البلاء، لرحمناهم لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل قست
قلوبهم، فلم يعتبروا، ولم يتعظوا، وحسن لهم الشيطان ما كانوا يرتكبون من الكفر والمعاصي، فاستمروا على ما كانوا
عليه.

﴿٧٤﴾ فلما تركوا ما وعظوا به من شدة الفقر والمرض، ولم يعملوا بأوامر الله، استدرجناهم بفتح أبواب الرزق عليهم،
وإغناهم بعد الفقر، وصحّحنا أجسامهم بعد المرض، حتى إذا أصابهم البطر، واستولى عليهم الإعجاب بما مُتّعوا به
جاءهم عذابنا فجأة، فإذا هم متحيرون يائسون مما يأملون.

﴿٧٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ .

- تشبيه الكفار بالموتى؛ لأن الحياة الحقيقية هي حياة القلب بقوله الحق واتباعه طريق الهداية.
- من حكمة الله تعالى في الابتلاء: إنزال البلاء على المخالفين من أجل تليين قلوبهم وردّهم إلى ربهم.
- وجود النعم والأموال بأيدي أهل الضلال لا يدل على محبة الله لهم، وإنما هو استدراج وابتلاء لهم ولغيرهم.

﴿٤٥﴾ فَفُطِعَ أَعْرَ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاسْتِصَالِهِمْ جَمِيعًا بِالْإِهْلَاكِ، وَنُصِرَ رَسُلُ اللَّهِ، وَالشُّكْرُ وَالنَّشَاءُ لِلَّهِ وَحْدَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى إِهْلَاكِهِمْ أَعدَاءَهُ وَنَصْرَهُ أَوْلِيَاءَهُ.

﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أصمكم الله بسلب أسماعكم، وأعماكم بأخذ أبصاركم، وطبع على قلوبكم، فلم تفقهوا شيئاً؛ من معبود بحق يأتيكم بما فقدتموه من ذلك؟ تأمل - أيها الرسول - كيف نبين لهم الحجج، ونوع البراهين، ثم هم يعرضون عنها! ﴿٤٧﴾ قل لهم - أيها الرسول -: أخبروني إن جاءكم عذاب الله فجأة من غير شعور منكم به، أو جاءكم ظاهراً عياناً، فإنه لا يؤخذ بذلك العذاب إلا الظالمون بكفرهم بالله وتكذيب رسله.

﴿٤٨﴾ وما نرسل من نرسله من رسلنا إلا لإخبار أهل الإيمان والطاعة بما يسرهم من النعيم المقيم الذي لا ينفد ولا ينقطع، وتخويف أهل الكفر والعصيان من عذابنا الشديد، فمن آمن بالرسول، وأصلح عمله، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه في آخرتهم، ولا هم يحزنون ويتحسرون على ما فاتهم من الحظوظ الدنيوية.

﴿٤٩﴾ والذين كذبوا بآياتنا يصيبهم العذاب بسبب خروجهم عن طاعة الله.

﴿٥٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لا أقول لكم: إن عندي

فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرَكُمْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا يَسْمُوهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَنْتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوفَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَمَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

١٣٣

خزائن الله من الرزق فأصرف فيها بما شئت، ولا أقول لكم: إنني أعلم من الغيب إلا ما أطلعني الله عليه من الوحي، ولا أقول لكم: إنني ملك من الملائكة، فأنا رسول من الله، لا أتبع إلا ما يوحى إلي، ولا أدعي ما ليس لي، قل - أيها الرسول - لهم: هل يستوي الكافر الذي غيبت بصيرته عن الحق، والمؤمن الذي أبصر الحق وآمن به؟ أفلا تتأملون بقولكم - أيها المشركون - فيما حولكم من الآيات.

﴿٥٣﴾ وخوف - أيها الرسول - بهذا القرآن الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم يوم القيامة، ليس لهم ولي غير الله يجلب لهم النفع، ولا شفيع يكشف عنهم الضر، لعلهم يتقون الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، فهؤلاء هم الذين يتتقون بالقرآن.

﴿٥٤﴾ ولا تبعث - أيها الرسول - عن مجلسك فقراء المسلمين الذين هم في عبادة دائمة لله في أول النهار وآخره مخلصين له العبادة، لا تبعدهم لتستميل أكابر المشركين، ليس عليك من حساب هؤلاء الفقراء شيء، إنما حسابهم عند ربهم، وما عليهم من حسابك شيء، إنك إن أبعدتهم عن مجلسك فإنك تكون من المتجاوزين لحدود الله.

﴿٥٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الأنبياء بشر، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء البتة، ومهمتهم التبليغ، فهم لا يملكون تصرفاً في الكون، فلا يعلمون الغيب، ولا يملكون خزائن رزق ونحو ذلك.
- اهتمام الداعية بأتباعه وخاصة أولئك الضعفاء الذين لا يبتغون سوى الحق، فعليه أن يقربهم، ولا يقبل أن يبعدهم إرضاء للكفار.
- إشارة الآية إلى أهمية العبادات التي تقع أول النهار وآخره.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٧﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِتُسَيِّئِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيْعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَّكُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٩﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٦٠﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّي الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٢﴾

الحق

﴿٥٦﴾ وكذلك ابتلينا بعضهم ببعض، فجعلناهم متفاوتين في حظوظهم الدنيوية، ابتليناهم بذلك ليقول الكافرون الأغنياء لفقراء المؤمنين: أهؤلاء الفقراء تفضل الله عليهم بالهداية من بيننا؟! لو كان الإيمان خيرًا ما سبقونا إليه، فنحن أهل الشُّبُوح. أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه، فَيُوقِّعُهُمُ للإيمان، وأعلم بالكافرين لها فَيُخَذِّلُهُمْ فلا يؤمنون؟! بلى إن الله أعلم بهم.

﴿٥٧﴾ وإذا جاءك - أيها الرسول - الذين يؤمنون بآياتنا الشاهدة على صدق ما جئت به، فَرُدَّ عليهم السلام إكرامًا لهم، وبشّرههم بسعة رحمة الله، فقد أوجب الله على نفسه الرحمة إيجاب تفضّل، فمن ارتكب منكم معصية في حال جهل وسفوّ، ثم تاب من بعد ارتكابه لها، وأصلح عمله، فإن الله يغفر له ما ارتكبه، فالله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٥٨﴾ وكما بيئنا لك ما ذُكِرَ بُيِّنُ أدلتنا وحجتنا على أهل الباطل، ولإيضاح طريق المجرمين ومنهجهم؛ لاجتنابه والحذر منه.

﴿٥٩﴾ قل - أيها الرسول -: إني نهاني الله عن عبادة الذين تعبدونهم من دون الله، قل - أيها الرسول -: لا آتبع أهواءكم في عبادة غير الله، فأنا إن آتبع أهواءكم في ذلك أكون ضالًّا عن

طريق الحق، لا أهندي إليه، وهذا شأن كل من اتبع الهوى دون برهان من الله.

﴿٦٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إني على برهان واضح من ربي، لا على هوى، وأنتم كذبتهم بهذا البرهان، ليس عندي ما تستعجلون به من العذاب والآيات الخارقة التي طلبتموها، إنما ذلك بيد الله، فليس الحكم - ومن جملة ما طلبتم - إلا لله وحده، يقول الحق ويحكم به، وهو سبحانه خير من يبين ويميز المُحِقَّ من المُبْطِل.

﴿٦١﴾ قل - أيها الرسول - لهم: لو كان عندي وفي قبضتي ما تستعجلون به من العذاب لأنزلته بكم، وعند ذلك يُقْضَى الأمر الذي بيني وبينكم، والله أعلم بالظالمين كم يُمهِّلهم ومتى يعاقبهم.

﴿٦٢﴾ وعند الله وحده خزائن الغيب، لا يعلمها غيره، ويعلم كل ما في البر من مخلوقات من حيوان ونبات وجماد، ويعلم ما في البحر من حيوان ونبات، وما تسقط من ورقة في أي مكان، ولا توجد حبة مخبوءة في الأرض، ولا يوجد رطب، ولا يوجد يابس، إلا كان مثبتًا في كتاب واضح هو اللوح المحفوظ.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الله تعالى يجعل العباد بعضهم فتنه لبعض، فتفاوت درجاتهم في الرزق وفي الكفر والإيمان، والكفر والإيمان ليس منوطًا بسعة الرزق وضيقه.
- من أخلاق الداعية طلاقة الوجه وإلقاء التحية والتبسط والسرور بأصحابه.
- على الداعية اجتناب الأهواء في عقيدته ومنهجه وسلوكه.
- إثبات تفرد الله ﷻ بعلم الغيب وحده لا شريك له، وسعة علمه في ذلك، وأنه لا يفوته شيء ولا يعزب عنه من مخلوقاته شيء إلا وهو مثبت مدوّن عنده سبحانه بأدق تفاصيله.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ أَقْسَمُ بِمَا عَادَتْهُ وَرُسُلٌ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ ﴿٦٧﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ وَنَضْرَعُ أَخْفِيَةً لِّئِنْ أَبْجَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٨﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بِأَسِّ بَعْضٍ أَنْظَرْكُمْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٧٠﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٧١﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٣﴾

١٣٥

﴿٦٥﴾ والله هو الذي يقبض أرواحكم عند النوم قبضاً مؤقتاً، وهو الذي يعلم ما كسبتم من الأعمال في النهار وقت نشاطكم، ثم يبعثكم في النهار بعد قبض أرواحكم بالنوم لتقوموا بأعمالكم، حتى تنتهي آجال حياتكم المقدرة عند الله، ثم إليه وحده رجوعكم بالبعث يوم القيامة، ثم يخبركم بما كنتم تعملونه في حياتكم الدنيا، ويجازيكم عليه.

﴿٦٦﴾ والله هو الغالب على عباده؛ المذلل لهم، العالي عليهم من كل وجه، الذي خضع له كل شيء، فوق عباده فوقية تليق بجلاله ﷻ، ويرسل عليكم - أيها الناس - ملائكة كراماً تحصى أعمالكم حتى ينتهي أجل أحدكم بقبض ملك الموت وأعوانه روحه، وهم لا يقصرون فيما أؤمروا به.

﴿٦٧﴾ ثم رُدُّ جميع من قبضت أرواحهم إلى الله مالكمهم الحق ليجازيهم على أعمالهم، الذي له القضاء النافذ والحكم العدل فيهم، وهو أسرع من عدكم وأحصى أعمالكم.

﴿٦٨﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: من ينقذكم ويُسَلِّمُكُمْ من المهالك التي تَلْفُونَهَا في ظلمات البر والبحر؟ تدعونه وحده مثذللين مُستكينين في السر والعلن: لئن سلمنا ربنا من هذه المهالك لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ لنعمه علينا بألا نعبد غيره.

﴿٦٩﴾ قل لهم - أيها الرسول -: الله هو الذي ينقذكم منها، ويُسَلِّمُكُمْ من كل كَرْبٍ، ثم أنتم بعد ذلك تشركون معه غيره في حالة السراء، فأَي ظلم فوق ما تقومون به؟!

﴿٧٠﴾ قل لهم - أيها الرسول -: الله هو القادر

على أن يرسل عليكم عذاباً يأتىكم من فوقكم مثل الحجارة والصواعق والظوفان، أو يأتىكم من تحتكم مثل الزلازل والخسف، أو يخالف بين قلوبكم، فيتبع كل منكم هواء، فيقاتل بعضكم بعضاً، تأمل - أيها الرسول - كيف نُؤنِّع لهم الأدلة والبراهين ونبيِّئها لعلهم يفهمون أن ما حُتَّ به حق، وأن ما عندهم باطل.

﴿٧١﴾ وكذب بهذا القرآن قومك، وهو الحق الذي لا مَرِيَّةَ في أنه من عند الله، قل لهم - أيها الرسول -: لست موكلاً بالرقابة عليكم، فما أنا إلا سَنَدٌ لكم بين يدي عذاب شديد.

﴿٧٢﴾ لكل خبر وقت يستقر فيه، ونهاية ينتهي إليها، ومن ذلك خبر مالكم وعاقبتكم، فسوف تعلمون ذلك عندما تبعثون يوم القيامة.

﴿٧٣﴾ وإذا رأيْت - أيها الرسول - المشركين يتكلمون في آياتنا بالسخرية والاستهزاء، فابتعد عنهم حتى يدخلوا في حديث خال من السخرية والاستهزاء بآياتنا، وإذا أنساك الشيطان وجلست معهم، ثم تذكرت فغادر مجلسهم ولا تجلس مع هؤلاء المعتدين.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- إثبات أن النوم موتٌ، وأن الأرواح تُقبض فيه. ثم تُرد عند الاستيقاظ.
- الاستدلال على استحقاق الله تعالى للألوهية بدليل الفطرة. فإن أهل الكفر يؤمنون بالله تعالى ويرجعون لفطرتهم عند الاضطرار والوقوع في المهالك، فيسألون الله تعالى وحده.
- إلزام المشركين بمقتضى سلوكهم، وإقامة الدليل على انقلاب فطرتهم، بكونهم يستغيثون بالله وحده في البحر عند الشدة، ويشركون به حين يسلمهم وينجهم إلى البر.
- عدم جواز الجلوس في مجالس أهل الباطل واللغو، ومفارقتهم، وعدم العودة لهم إلا في حال إقلاهم عن ذلك.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَن تَبْسُلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰ اللَّهُ كَاذِبِينَ أَلَّذِي أُسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ وَاصْحَبٌ يَدْعُوهُ إِلَى الْهُدَىٰ اثْنَتَا قُلٌّ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ وَأَن أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةً وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٠﴾

١٣٦

﴿٦٦﴾ وليس على الذين يتقون الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه من حساب هؤلاء الظالمين من شيء، وإنما عليهم أن يَنْهَوْهُمْ عما يرتكبونه من منكر، لعلهم يتقون الله، فيمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه.

﴿٦٧﴾ ودع - أيها الرسول - هؤلاء المشركين الذين صَيَّرُوا دينهم لعباً وَلَهْوًا يسخرون منه ويستهزئون به، وخذتهم الحياة الدنيا بما فيها من متع زائلة، وَعِظْ - أيها النبي - الناس بالقرآن حتى لا تُسَلِّمَ نفس إلى الهلاك بسبب ما كسبته من سيئات، ليس لها من دون الله حليف تستنصر به، ولا وسيط يمنع عنها عذاب الله يوم القيامة، وإذا افتدت من عذاب الله بأي فداء لا يقبل منها، أولئك الذين أسلِمُوا إلى هلاك أنفسهم بسبب ما ارتكبوه من المعاصي لهم يوم القيامة شراب منتهي الحرارة، وعذاب موجع بسبب كفرهم.

﴿٦٨﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أنعبد من دون الله أو نأنا لا تملك نفعا فتفنعنا ولا ضرا فتضرنا، ونرتد عن الإيمان بعد أن وفقنا الله له، فنكون مثل الذي أضلته الشياطين، فتركته حيران لا يهتدي سبيلا، وله أصحاب على الطريق المستقيم يدعونه إلى الحق، وهو يمتنع عن إجابتهم إلى ما يدعونه إليه؟ قل لهم - أيها

الرسول -: إنَّ هدى الله هو الهدى الحق، وقد أمرنا الله أن نقاد له ﷺ بالتزام توحيده وعبادته وحده، فهو رب العالمين.

﴿٦٩﴾ وقد أمرنا بإقامة الصلاة على الوجه الأكمل، وأمرنا بتقوى الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، فهو وحده الذي يُجْمَعُ العباد إليه يوم القيامة ليجازيهم على أعمالهم.

﴿٧٠﴾ وهو ﷻ الذي خلق السماوات والأرض بالحق، يوم يقول الله للشيء: كن فيكون، حين يقول يوم القيامة: قوموا فيقومون، قوله الصدق الذي سيقع لا محالة، وله ﷻ وحده الملك يوم القيامة حين يَنْفَخُ إسرافيل في القرن الفخخة الثانية، عالم ما غاب وعالم ما شوهد، وهو الحكيم في خلقه وتدييره، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء، فبواطن الأمور عنده كظواهرها.

﴿٧١﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الداعية إلى الله تعالى ليس مسؤولاً عن محاسبة أحد، بل هو مسؤول عن التبليغ والتذكير.
- الوعظ من أعظم وسائل إيقاظ الغافلين والمستكبرين.
- من دلائل التوحيد: أن من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا تصرفا، هو بالضرورة لا يستحق أن يكون إلها معبودا.

(٧٤) واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم عليه السلام لأبيه المشرِك أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلَ الْأَصْنَامَ آلِهَةً يَعْبُدُونَ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ إِلَهُي وَإِنَّ إِلَهَكُمْ وَاحِدٌ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ لَمَبْنِي عَصَا إِبْرَاهِيمَ فَأَوْفَقْنَاهُ وَلَهُ الْحُكْمُ إِنَّكُمْ عَلَيْنَا لَشَاكِرُونَ

﴿٧٥﴾ وكما أريناه ضلال أبيه وقومه نرية
ملك السماوات والأرض الواسع؛
ليستدل بذلك الملك الواسع على
وحدانية الله واستحقاقه العبادة وحده؛
ليكون من الموقنين بأن الله واحد لا
شريك له، وأنه قادر على كل شيء.

(٧٦) فحين أظلم عليه الليل، رأى كوكبًا، فقال: هذا ربي، فلما غاب الكوكب قال: لا أحب من يغيب؛ لأن الإله الحق حاضر لا يغيب.

(٧٧) وحين رأى القمر طالعا قال: هذا ربي، فلما غاب قال: لئن لم يوفقني الله لتوحيدة وعبادته وحده لأكونن من القوم البعيدين عن دينه الحق.

(٧٨) وحين رأى الشمس طالعة قال:
هذا الطالع ربي، هذا الطالع أكبر من
الكوكب ومن القمر، فلما غابت قال:
يا قوم، إني بريء مما تشركون مع الله.
ولما تبرأ مما يعبدون من دون الله
كانهم سألوه: ما تعبد إذن؟ فقال:

﴿٧٩﴾ إني أخلصت ديني للذي خلق

﴿٧٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَأَيْتَ أَتَتَّخِذُ آبَاكَ مَاةَ الهِمَّةِ إِنِّي
أَرَأَيْتَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٦﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ
مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ
قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا
رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ
الضَّالِّينَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا
أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٨٠﴾
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨١﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ
أُتِيَ جُؤَيْفٌ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٢﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ
أَنْ كُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا
فَأَتَى الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٣﴾

السماوات والأرض على غير مثال سابق، مائلاً عن الشرك إلى التوحيد الخالص، ولست من المشركين الذين يعبدون معه غيره.

﴿٨٠﴾ وَاَصْحَابُ قَوْمِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَخَوَّكُوهُ مِنْ أَصْنَامِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: أَتُخَاصِمُونِي فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَقَدْ وَفَّقَنِي رَبِّي إِلَيْهِ، وَلَسْتُ أَخَافُ مِنْ أَصْنَامِكُمْ، فَإِنَّهَا لَا تَمْلِكُ ضَرًّا قَطْرَ رَبِّي وَلَا نَفْعًا قَطْرَ عَيْنِي إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، فَمَا شَاءَ اللَّهُ كَاشٍ، وَمَعَ عِلْمِ اللَّهِ كُلِّ شَيْءٍ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ - يَا قَوْمَ - مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالشِّرْكِ بِهِ فَتَوَمَّنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟!﴾

(٨١) وكيف يقع مني خوف لما تعبدون من دون الله من أوثان، ولا يقع منكم أنتم خوف لشرركم بالله حين أشركتم معه ما خلقه دون برهان لكم على ذلك؟! فأي الجَمْعَيْنِ: جَمْعُ الْمُوحِدِينَ وَجَمْعُ الْمُشْرِكِينَ أولى بالأمن والسلامة؟ إن كنتم تعلمون أولاًهما فاتبعوه، وأولاهما - دون ريب - هو جمع المؤمنين الموحدين.

● مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ ،

● الاستدلال على الربوبية بالنظر في المخلوقات منهج قرآني.

● الدلائل العقلية الصريحة توصل إلى ربوبية الله .

﴿٨٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَاتَّبَعُوا مَا شَرَعَ، وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ بِشُرَكَاءٍ لَهُمْ الْأَمْنُ وَالسَّلَامَةُ وَحَدَهُم دُونَ غَيْرِهِمْ، وَهُمْ مُوَفَّقُونَ، وَفَقَهُم رَبُّهُمْ لَطَرِيقَ الْهُدَايَةِ.

﴿٨٧﴾ وتلك الحجة وهي قوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ...﴾ التي غلب إبراهيم بها قومه حتى انقطعت حجتهم، هي حجتنا وبقائه لمُحَاجَّة قومه بها، وأعطيناها إياها، نرفع من نشاء من عبادنا مراتب في الدنيا والآخرة، إن ربك - أيها الرسول - حكيم في خلقه وتدبيره، عليم بعباده.

﴿٨٨﴾ ورزقنا إبراهيم ابنه إسحاق وحفيده يعقوب، ووفقنا كلاً منهما للصراط المستقيم، ووفقنا نوحاً من قبلهم، ووفقنا لطريق الحق من ذرية نوح كلاً من داود وابنه سليمان وأيوب ويوسف وموسى وأخيه هارون عليهم السلام، ومثل هذا الجزاء الذي جازينا به الأنبياء على إحسانهم نجازي به المحسنين من غيرهم على إحسانهم.

﴿٨٩﴾ ووفقنا كذلك كلاً من زكريا ويحيى وعيسى بن مريم وإلياس عليهم السلام، وكل هؤلاء الأنبياء من الصالحين اختارهم الله رسلاً.

﴿٩٠﴾ ووفقنا كذلك إسماعيل واليسع ويونس ولوطاً عليهم السلام، وكل هؤلاء الأنبياء وعلى رأسهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم فضلناهم على العالمين.

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٧﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٩﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩٠﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٩٢﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٩٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمُهَدَاهُمْ أَقْبَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٥﴾

١٣٨

﴿٩٧﴾ ووفقنا بعض آبائهم وبعض أبنائهم وبعض إخوانهم ممن شئنا توفيقه، واختارناهم، ووفقناهم لسلوك الطريق المستقيم الذي هو طريق توحيد الله وطاعته.

﴿٩٨﴾ ذلك الذي حصل لهم من التوفيق هو توفيق الله يوفق له من شاء من عباده، ولو أشركوا مع الله غيره لبطل عملهم؛ لأن الشرك مبطل للعمل الصالح.

﴿٩٩﴾ أولئك الأنبياء المذكورون هم الذين أعطيناهم الكتب، وأعطيناهم الحكمة، وأعطيناهم النبوة، فإن يكفر قومك بما أعطيناهم من هذه الثلاثة فقد هبنا لها وأرصدنا قوماً ليسوا بكافرين بها، بل هم مؤمنون مستمسكون بها، وهم المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿١٠٠﴾ أولئك الأنبياء، ومن ذُكر معهم من آبائهم وأبنائهم وإخوانهم، هم أهل الهداية حقاً، فَأَتَّبِعُهُمْ وَتَأَسَّ بِهِمْ، وقل - أيها الرسول - لقومك: لا أطلب منكم على إبلاغ هذا القرآن جزءاً، فالقرآن ليس إلا موعظة للعالمين من الإنس والجن ليسترشدوا به إلى الصراط المستقيم، والطريق الصحيح.

﴿١٠١﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من فضائل التوحيد أنه يضمن الأمن للعبد، خاصة في الآخرة حين يفزع الناس.
- تُقَرَّرُ الآيَاتُ أن جميع من سبق من الأنبياء إنما بَلَّغُوا دَعْوَتَهُمْ بتوفيق الله تعالى لا بقدرتهم.
- الأنبياء يشتركون جميعاً في الدعوة إلى توحيد الله تعالى، مع اختلاف تشريعاتهم في العبادة.
- الاقتداء بالأنبياء سنة محمودة، وخاصة في أصول التوحيد.

(٩١) وما عَظَّمَ المشركون الله حق تعظيمه حين قالوا لنبيه محمد ﷺ: ما أنزل الله على بشر شيئاً من الوحي، قل لهم - أيها الرسول -: من الذي أنزل التوراة على موسى نوراً وهداية وإرشاداً لقومه؟ يجعلها اليهود في دفاتر يظهرون منها ما يوافق أهواءهم، ويكتمون ما يخالفها كصفة محمد ﷺ، وعلمتُم أنتم - أيها العرب - من القرآن ما لم تعلموا أنتم ولا أسلافكم من قبل، قل لهم - أيها الرسول -: أنزلها الله، ثم اتركهم في جهلهم وضلالهم حتى يأتيهم اليقين.

(٩٢) وهذا القرآن كتاب أنزلناه عليك - أيها النبي - وهو كتاب مبارك مصدق لما سبقه من الكتب السماوية، لتندرب به أهل مكة وسائر الناس في مشارق الأرض ومغاربها حتى يهتدوا، والذين يؤمنون بالحياة الآخرة يؤمنون بهذا القرآن، ويعملون بما فيه، ويحافظون على صلاتهم بإقامة أركانها وفروضها ومستحباتها في أوقاتها المحددة لها شرعاً.

(٩٣) لا أحد أعظم ظلماً ممن اختلق على الله كذباً بأن قال: ما أنزل الله على بشر من شيء، أو قال كذباً: إن الله أوحى إلي، والله لم يوح إليه شيئاً، أو قال: سأنزل مثل ما أنزل الله من القرآن، ولو ترى - أيها الرسول - حين تصيب هؤلاء الظالمين سكرات

وَمَا فَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجَعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادًى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْتُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

الموت، والملائكة باسطو أيديهم إليهم بالتعذيب والضرب، يقولون لهم على سبيل التعنيف: أخرجوا أنفسكم، فنحن نقبضها، في هذا اليوم تجزون عذاباً يهينكم ويدلكم بسبب ما كنتم تقولون على الله من الكذب بادعاء النبوة والوحي وإنزال مثل ما أنزل الله، وبسبب تكبركم عن الإيمان بآياته، لو ترى ذلك لرأيت أمراً فظيماً.

(٩٤) ويقال لهم يوم البعث: ولقد أتيتمونا في هذا اليوم أفراداً، لا مال معكم ولا رئاسة، كما أنشأناكم أول مرة خُفَاءَ عِزَاءٍ غُرُلًا، وتركتم ما أعطيناكم من ذلك خلفكم في الدنيا رغباً عنكم، وما نرى اليوم معكم آلِهتكم الذين زعمتُم أنهم وسطاء لكم، وزعمتُم أنهم شركاء الله في استحقاق العبادة، لقد تقطع الوصال بينكم، وذهب عنكم ما كنتم تزعمون من شفاعتهم، وأنهم شركاء الله.

﴿مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ﴾

- إنزال الكتب على الأنبياء هو سُنَّةُ الله في المرسلين، والنبي عليه الصلاة والسلام واحد منهم.
- أعظم الناس كذباً وفساداً هو الذي يكذب على الله تعالى، فينسب أو ينفي ويثبت في حق الله تعالى أمراً ليس عليه دليل صحيح.
- كل أحد يبعث يوم القيامة فرداً متجرداً عن المناصب والألقاب، فقيراً، ويحاسب وحده.

* إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبَتِ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ وِبْنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

١٤٠

﴿٩٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وحده هو الذي يشق الحب فيخرج منه الزروع، ويشق النوى فيخرج منه النخل، يخرج الحي من الميت؛ إذ يخرج الإنسان وسائر الحيوان من النطفة، ويخرج الميت من الحي؛ إذ يخرج النطفة من الإنسان والبيضة من الدجاج، ذلكم الذي يصنع هذا هو الله الذي خلقكم، فكيف تُصرفون - أيها المشركون - عن الحق مع ما تشاهدونه من بدیع صنعہ؟!

﴿٩٦﴾ وهو ﷻ الذي يشق ضوء الصباح من ظلمة الليل، وهو الذي جعل الليل سكناً للناس يسكنون فيه عن الحركة لطلب المعاش؛ ليستريحوا من تعبهم في طلبه في النهار، وهو الذي جعل الشمس والقمر يجريان بحساب مُقدَّر، ذلك المذكور من بدیع الصُّنع هو تقدير العزيز الذي لا يغالبه أحد، العليم بخلقه وما يصلح لهم.

﴿٩٧﴾ وهو ﷻ الذي خلق لكم - يا بني آدم - النجوم في السماء لتهتدوا بها في أسفاركم إذا اشتبهت عليكم الطرق في البر والبحر، قد بيَّنا الأدلة والبراهين الدالة على قدرتنا، لقوم يتدبرون تلك الأدلة والبراهين فيستفيدون منها.

﴿٩٨﴾ وهو ﷻ الذي خلقكم من نفس واحدة هي نفس أبيكم آدم، فقد بدأ خلقكم بخلق أبيكم من طين، ثم خلقكم منه، وخلق لكم ما تستقرون

فيه، كأرحام أمهاتكم، ومُستودعاً تُستودعون فيه، كأصلاب آبائكم، قد بيَّنا الآيات لقوم يفهمون كلام الله.

﴿٩٩﴾ وهو ﷻ الذي أنزل من السماء ماء هو ماء المطر، فأنبثنا به كل صنف من أصناف النبات، فأخرجنا من النبات زرعاً وشجراً أخضر، نخرج منه حباً يركب بعضه بعضاً كما يقع في السنابل، ومن طلع النخل تخرج عذوقه قريبة ينالها القائم والقاعد، وأخرجنا بساتين من العنب، وأخرجنا الزيتون والرمان متماثلاً ورقهما، مختلفاً ثمرهما، انظروا - أيها الناس - إلى ثمره أول ما يبدو، وإليه حين ينضج، إن في ذلكم - أيها الناس - لأدلة واضحة على قدرة الله لقوم يؤمنون بالله، فهم الذين يستفيدون من هذه الأدلة والبراهين.

﴿١٠٠﴾ وصيّر المشركون الجن شركاء لله في العبادة حين اعتقدوا أنها تنفع وتضر، وقد أوجدهم الله، ولم يخلقهم غيره، فهو أولى بأن يُعبَدَ، واختلفوا بين كما فعلت اليهود بمُزِير، والنصارى بَعِيسَى، وبنات كما فعل المشركون بالملائكة، تنزّه وتقدّس عما يصفه به أهل الباطل.

﴿١٠١﴾ وهو ﷻ خالق السماوات وخالق الأرض على غير مثال سابق، كيف يكون له ولد ولم تكن له زوجة؟! وهو قد خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

• الاستدلال ببرهان الخلق والرزق (تخليق النبات ونموه وتحول شكله وحجمه ونزول المطر)، وبرهان الحركة (حركة الأفلاك وانتظام سيرها وانضباطها)؛ وكلاهما ظاهر مشاهد - على انفراد الله ﷻ بالربوبية واستحقاق الألوهية.

• بيان ضلال وسخف عقول المشركين في عبادتهم للجن.

ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٣﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ
يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ قَدْ جَاءَكُمْ
بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ
﴿١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۖ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ كَذَٰلِكَ زَيَّلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ
عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
﴿١٩﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَهْمٌ أَيْةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ
بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَنَقَلَبْ أَوْدَانَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢١﴾

١٤١

﴿١٣﴾ ذلکم - أيها الناس - المتصف بتلك الصفات هو ربکم، فلا رب لکم غیره، ولا معبود بحق غیره، وهو موجد کل شیء، فاعبدوه وحده، فهو المستحق للعبادة، وهو على کل شیء حفيظ.

﴿١٤﴾ لا تحيط به الأبصار، وهو سبحانه يدرك الأبصار، ويحيط بها، وهو اللطيف بعباده الصالحين، الخبير بهم.

﴿١٥﴾ قد جاءکم - أيها الناس - حجج واضحة وبراهين جلية من ربکم، فمن تعقلها وأذعن فتتغ ذلك يعود إليه، ومن عمي عنها، ولم يتعقلها، ولم يذعن لها، فضرر ذلك مقصور عليه، ولست عليكم رقيبًا، أحصي أعمالکم، إنما أنا رسول من ربي، وهو الرقيب عليكم.

﴿١٦﴾ وكما نؤمننا الأدلة والبراهين على قدرة الله تنوع الآيات في الوعد والوعيد والوعظ، وسيقول المشركون: ليس هذا وحيدًا، وإنما درسته عن أهل الكتاب من قبلك. ولئيب الحق للناس بتنوعنا لهذه الآيات للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، فهم الذين يقبلون الحق، ويتبعونه.

﴿١٧﴾ اتبع - أيها الرسول - ما يوحيه إليك ربك من الحق، فهو سبحانه لا معبود بحق غیره، ولا تشغل قلبك بالكافرين وعنادهم، فأمرهم إلى الله.

﴿١٨﴾ ولو شاء الله ألا يشركوا به أحدًا ما أشركوا به أحدًا، وما جعلناك - أيها الرسول - رقيبًا تحصي عليهم

أعمالهم، ولست عليهم بقيم، إنما أنت رسول، وما عليك إلا البلاغ.

﴿١٩﴾ ولا تسبوا - أيها المؤمنون - الأصنام التي يعبدونها المشركون مع الله، وإن كانت أحقر شيء وأولاه بالسب؛ حتى لا يسب المشركون الله تطاولًا عليه، وجهلًا بما يليق به سبحانه، وكما زين لهؤلاء ما هم عليه من الضلال زينًا لكل أمة عملهم، خيرًا كان أو شرًا، فأتوا ما زيننا لهم منه، ثم إلى ربهم مرجعهم يوم القيامة، فيخبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا، ويجازيهم عليه.

﴿٢٠﴾ وأقسم المشركون بالله أشد أيمانهم التي يقدرون عليها: لئن جاءهم محمد بأية من الآيات التي اقترحوها ليؤمنن بها، قل لهم - أيها الرسول -: الآيات ليست عندي فأنزلها، إنما هي عند الله ينزلها متى شاء، وما يدريك - أيها المؤمنون - أن هذه الآيات إذا جاءت وفق ما اقترحوه لا يؤمنون؟ بل يبقون على عنادهم وجحودهم؛ لأنهم لا يريدون الهداية.

﴿٢١﴾ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم بالحيلولة بينها وبين الاهتداء للحق، كما حللنا بينهم وبين الإيمان بالقرآن أول مرة بسبب عنادهم، وتركهم في ضلالهم وتمردهم على ربهم حيارى يتخبطون.

﴿٢٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- تنزيه الله تعالى عن الظلم الذي ترسخه عقيدة (الجبر)، وبيان أن كفر العباد وشركهم أمر يحدث باختيارهم.
- ليس بمقدور نبي من الأنبياء أن يأتي بآية من عند نفسه، أو متى شاء، بل ذلك أمر مردود لله تعالى، فهو القادر وحده على ذلك، وهو الحكيم الذي يُقدر نوع الآية ووقت إظهارها.
- النهي عن سب آلهة المشركين حدراً من مفسدة أكبر وهي التعدي بالسب على جناب رب العالمين.
- قد يحول الله ﷻ بين العبد والهداية، ويصرف بصره وقلبه على غير الطاعة؛ عقوبة له على اختياره الكفر.

﴿١٦٠﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَأَمَّهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١٦١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى الْبَعْضِ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١٦٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٦٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٦٥﴾ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرٌ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٦٦﴾ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٦٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٨﴾

١٤٢

﴿١٦٠﴾ ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة وشاهدوهم، وكلمهم الموتى، وأخبروهم بصدقك فيما جئت به، وجمعنا لهم كل شيء مما اقترحوه يواجهونه معاناة؛ ما كانوا ليؤمنوا بما جئت به، إلا من شاء الله له الهداية منهم، ولكن أكثرهم يجهلون ذلك، فلا يلجؤون إلى الله ليقفهم للهداية.

﴿١٦١﴾ وكما ابتليناك بمعاداة هؤلاء المشركين لك ابتلينا كل نبي من قبلك، فجعلنا لكل واحد منهم أعداء من مَرَدَّةِ الإنس، وأعداء من مَرَدَّةِ الجن، يوسوس بعضهم لبعض فيزينون لهم الباطل ليخدعوه، ولو شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه شاء لهم ذلك ابتلاء، فتركهم وما يفترون من الكفر والباطل، ولا تعبأ بهم.

﴿١٦٢﴾ ولتصلي إلى ما يوسوس به بعضهم لبعض، قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وليقبلوه لأنفسهم، ويرتضوه لها، وليكتسبوا ما هم مكتسبون من المعاصي والآثام.

﴿١٦٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يعبدون مع الله غيره: هل يعقل أن أقبل غير الله حكماً بيني وبينكم؟ فالله هو الذي أنزل عليكم القرآن مبيّناً مستوفياً لكل شيء، واليهود الذين أعطيناهم التوراة، والنصارى الذين أعطيناهم الإنجيل،

يعلمون أن القرآن مُنْزَلٌ عليك مشتملاً على الحق، لما وجدوه في كتابيهما من الدليل على ذلك، فلا تكونن من الشاكين فيما أوحينا إليك.

﴿١٦٤﴾ وبلغ القرآن غاية الصدق في الأقوال والأخبار، لا مُعَيَّرَ لكلماته، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بها، فلا يخفى عليه شيء منها، وسيجزي من يسعى لتبديل كلماته.

﴿١٦٥﴾ ولو قدر أنك أطعت - أيها الرسول - أكثر من في الأرض من الناس يضلونك عن دين الله، فقد جرت سُنَّةُ الله أن يكون الحق مع القلة، فأكثر الناس لا يتبعون إلا الظن الذي لا مستند له، حيث ظنوا أن معبوداتهم تقربهم إلى الله رُفْقَى، وهم يكذبون في ذلك.

﴿١٦٦﴾ إن ربك - أيها الرسول - أعلم بمن يضل عن سبيله من الناس، وهو أعلم بالمهتدين إليها، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿١٦٧﴾ فكلوا - أيها الناس - مما ذكر اسم الله عليه عند الذبح، إن كنتم مؤمنين حقاً ببراهينه الواضحة.

﴿١٦٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● الهدف الأعظم للعبد اتباع الحق، ويطلبه بالطرق التي بيّنها الله، ويعمل بذلك، ويرجو عون ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه وحوله وقوته.

● من إصناف القرآن للقلة المؤمنة العالمية إسنادة الجهل والضلال إلى أكثر الخلق.

● من سنّة تعالى في الخلق ظهور أعداء من الإنس والجنّ للأنبياء وأتباعهم؛ لأنّ الحق يعرف بضده من الباطل.

● القرآن صادق في أخباره، عادل في أحكامه، لا يُعْتَرَفُ في أخباره على ما يخالف الواقع، ولا في أحكامه على ما يخالف الحق.

﴿١٦٦﴾ ما الذي يمنعكم - أيها المؤمنون - من أن تأكلوا مما ذُكر اسمُ الله عليه، وقد بينَ لكم الله ما حرمه عليكم، فيجب عليكم تركه، إلا إذا ألجأتكم إليه الضرورة، فالضرورة تبيح المحظور، وإن كثيراً من المشركين ليلعبون أتباعهم عن الحق بسبب آرائهم الفاسدة جهلاً منهم، حيث يُجلِّون ما حرم الله عليهم من الميتة وغيرها، ويحرمون ما أحل الله لهم من البجيرة والوصيلة والحامي وغيرها، إن ربك - أيها الرسول - هو أعلم بالمتجاوزين لحدود الله، وسيجازيهم على تجاوزهم لحدوده.

﴿١٦٧﴾ واتركوا - أيها الناس - ارتكاب المعاصي في العلانية والسر، إن الذين يرتكبون المعاصي في السر أو العلانية، سيجزئهم الله على ما اكتسبوه منها.

﴿١٦٨﴾ ولا تأكلوا - أيها المسلمون - مما لم يُذكر اسمُ الله عليه، سواء ذُكر عليه اسم غيره أو لا، وإن الأكل منه لخروج عن طاعة الله إلى معصيته، وإن الشياطين ليؤسوسون إلى أوليائهم بالقاء الشبهة ليجادلوكم في أكل الميتة، وإن أطعتموهم - أيها المسلمون - فيما يلقونه من الشبهة - لإباحة الميتة - كنتم أنتم وهم سواء في الشرك.

﴿١٦٩﴾ وهل يستوي الذي كان قبل هداية الله له ميتاً - لما هو فيه من الكفر

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٦٦﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٦٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَى أُولِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٦٨﴾ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمَّا كُرِهُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ وَسَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرُمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٧١﴾

١٤٣٨

والجهل والمعاصي - فأحييناه بهدايته للإيمان والعلم والطاعة -: مع من هو في ظلمات الكفر والجهل والمعاصي لا يستطيع الخروج منها، قد التبست عليه الطرق، وأظلمت عليه المسالك؟ كما حُسن لهؤلاء المشركين ما هم عليه من الشرك وأكل الميتة والجدال بالباطل حُسن للكافرين ما كانوا يعملون من المعاصي ليجازوا عليها يوم القيامة بالعذاب الأليم.

﴿١٧٠﴾ ومثل ما حصل من أكابر المشركين في مكة من صدّ عن سبيل الله، جعلنا في كل قرية رؤساء وعظماء يعملون حيلهم وكيدهم في الدعوة إلى سبيل الشيطان ومحاربة الرسل وأتباعهم، والواقع أن مكروهم وكيدهم إنما يعود عليهم، ولكنهم لا يحسون بذلك لجهلهم وأتباع أهوائهم.

﴿١٧١﴾ وإذا جاءت كُبراء الكفار آية من الآيات التي ينزلها الله على نبيه، قالوا: لن نؤمن حتى يعطينا الله مثل ما أعطى الأنبياء من النبوة والرسالة، فردّ الله عليهم بأنه أعلم بمن هو صالح للرسالة والقيام بأعبائها، فيختصه بالنبوة والرسالة. سينال هؤلاء الطغاة ذل وإهانة لتكبرهم عن الحق، وعذاب شديد بسبب مكروهم.

﴿١٧٢﴾ مِنْ قَوْلِهِدِ الْآيَاتِ،

- الأصل في الأشياء والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها فإنه باق على الإباحة.
- كل من تكلم في الدين بما لا يعلمه، أو دعا الناس إلى شيء لا يعلم أنه حق أو باطل، فهو معتد ظالم لنفسه وللناس، وكذلك كل من أفتى وليس هو بكفء للإفتاء.
- منفعة المؤمن ليست مقتصرة على نفسه، بل مُتعدية لغيره من الناس.

﴿١٢٥﴾ فمن يرد الله أن يوفقه إلى طريق الهداية يفسح صدره ويهيئه لقبول الإسلام، ومن يرد أن يخذله ولا يوفقه للهداية يجعل صدره شديد الضيق عن قبول الحق، بحيث يمتنع دخول الحق إلى قلبه كامتناع ارتقائه إلى السماء وعجزه عن ذلك بذاته، وكما جعل الله حال الضال بهذه الحال من الضيق الشديد يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به.

﴿١٢٦﴾ وهذا الدين الذي شرعناه لك - أيها الرسول - هو صراط الله المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، قد بينا الآيات لمن له وعي وفهم يعي به عن الله.

﴿١٢٧﴾ لهم دار يسلمون فيها من كل مكروه وهي الجنة، والله ناصرهم ومؤيدهم جزاء على ما كانوا يعملون من الصالحات.

﴿١٢٨﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يحشر الله الثقلين من الإنس والجن، ثم يقول الله: يا معشر الجن، قد أكثرتم من إضلال الإنس وصددهم عن سبيل الله، وقال أتباعهم من الإنس مجيبين ربه: يا ربنا، تمتع كل منا بصاحبه، فالجني تمتع بطاعة الإنسي له، والإنسي تمتع بنيل شهواته، وبلغنا الأجل الذي أجلت لنا، فهذا يوم القيامة، قال الله: النار مستقركم خالدين فيها إلا ما شاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشُرُ الْجِنِّ قَدْ أَتَتْكَ نَفْسٌ مِنْ الْأَنْسِ وَقَالَ أُولِيَاؤُهُمْ مِنَ الْأَنْسِ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ فَخَلَدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُفِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمْعَشُرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

١٤٤

قبورهم إلى مصيرهم إلى جهنم، فتلك المدة التي استثناها الله من خلودهم في النار، إن ربك - أيها الرسول - حكيم في تقديره وتديره، عليم بعباده، وبمن يستحق منهم العذاب.

﴿١٣١﴾ وكما ولينا المردة من الجن، وسلطانهم على بعض الناس ليضلّوهم، نولي كل ظالم ظالمًا يحته على الشر ويحضه عليه، وينفّره عن الخير، ويزهده فيه؛ جزاء لهم على ما كانوا يكسبون من المعاصي.

﴿١٣٢﴾ ونقول لهم يوم القيامة: يا معشر الإنس والجن، ألم يأتكم رسل من جنسكم - فهم من الإنس - يتلون عليكم ما أنزل الله عليهم، ويخوفونكم لقاء يومكم هذا الذي هو يوم القيامة؟ قالوا: بلى، أقررنا اليوم على أنفسنا بأن رسلك قد بلغنا، وأقررنا بلقاء هذا اليوم، لكن كذبنا رسلك، وكذبنا بلقاء هذا اليوم. وخدعتهم الحياة الدنيا بما فيها من زينة وزخرف ونعيم زائل، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا في الدنيا كافرين بالله وبرسله، ولن ينفعهم هذا الإقرار ولا الإيمان؛ لفوات وقته.

﴿١٣٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- سُنَّةُ اللَّهِ فِي الضَّلَالِ وَالْهُدَايَةِ أَنَّهُمَا مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى، أَيْ بِخَلْقِهِ وَإِيجَادِهِ، وَهُمَا مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ بِاخْتِيَارِهِ بَعْدَ مَشِيئَةِ اللَّهِ.
- وَلَايَةُ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، فَكَلَّمَا زَادَتْ أَعْمَالُهُمُ الصَّالِحَةُ زَادَتْ وَلَايَتُهُ لَهُمْ وَالْعَكْسُ.
- مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ أَنْ يُولِيَ كُلَّ ظَالِمٍ ظَالِمًا مِثْلَهُ، يَدْفَعُهُ إِلَى الشَّرِّ وَيَحْتَضِرُهُ عَلَيْهِ، وَيَزْهَدُهُ فِي الْخَيْرِ وَيَنْفَرُهُ عَنْهُ.

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَىٰ يُظْلِمُ وَأَهْلُهَا
 غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ
 بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ
 إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا
 يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾
 إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُ
 أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
 مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا
 فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَٰذَا لِلشُّرَكَائِ إِنَّمَا كَانَ
 لِلشُّرَكَائِ بِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانِ اللَّهُ فَهُوَ
 يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
 رَزَيْنَا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ
 شُرَكَاءَهُمْ لِيُزْدُوهُمْ وَلَيْسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

١٤٥

﴿١٣١﴾ ذلك الإعذار بإرسال الرسل إلى الإنس والجن لئلا يُعاقب أحد على ما جنّاه وهو لم يُرسل إليه رسول، ولم تبلغه دعوة، فلم نعذب أمة من الأمم إلا بعد إرسال الرسل إليهم.

﴿١٣٢﴾ ولكل منهم درجات بحسب أعمالهم، فلا يستوي كثير الشر وقليله، ولا التابع والمتبوع، كما لا يستوي ثواب الذين يعملون الصالحات، وليس ربك بغافل عما كانوا يعملونه، بل هو مطلع عليه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

﴿١٣٣﴾ وربك - أيها الرسول - هو الغني عن عباده، فلا يحتاج إليهم، ولا إلى عبادتهم، ولا يضره كفرهم، ومع غناه عنهم فهو ذو رحمة بهم، إن يشأ إهلاككم - أيها العباد الغصاة - يستأصلكم بعذاب من عنده، ويوجد بعد إهلاككم من يشاء ممن يؤمنون به ويطيعونه، كما خلقكم أنتم من نسل قوم آخرين كانوا قبلكم.

﴿١٣٤﴾ إن ما توعدون به - أيها الكفار - من البعث والنشور والحساب والعقاب لآتٍ لا محالة، ولن تفوتوا ربكم بالهرب، فهو آخذ بنواصيكم، ومعذبكم بعذابه.

﴿١٣٥﴾ قل - أيها الرسول -: يا قوم اثبتوا على طريقتكم وما أنتم عليه من الكفر والضلال، فقد أعذرت وأقمت الحجة

عليكم بالبلاغ المبين، فلست مبالياً بكفركم وضلالكم، بل سأثبت على ما أنا عليه من الحق، فستعلمون من يكون له النصر في الدنيا، ومن يرث الأرض، ومن له الدار الآخرة، إنه لا يفوز المشركون لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل عاقبتهم الخسران، وإن تمتعوا بما تمتعوا به في الدنيا.

﴿١٣٦﴾ وابتدع المشركون بالله أن جعلوا الله مما خلق من الزروع والأنعام قسماً، فزعموا أنه الله، وقسماً آخر لأوثانهم وأنصابهم، فما خصّصوه لشركائهم لا يصل إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها كالفقراء والمساكين، وما خصّصوه لله فهو يصل إلى شركائهم من الأوثان يصرف في مصالحها، ألا ساء حكمهم وقسمتهم.

﴿١٣٧﴾ وكما حسن الشيطان للمشركين هذا الحكم الجائر حسن لكثير من المشركين شركائهم من الشياطين أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر؛ ليهلكوهم بالوقوع في قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بحق، وليخلطوا عليهم دينهم فلا يعرفون ما هو مشروع وما هو غير مشروع، ولو شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه شاء ذلك لحكمة بالغة، فاترك - أيها الرسول - هؤلاء المشركين واقتراءهم الكذب على الله، فإن ذلك لا يضرّك، وسلّم أمرهم لله.

﴿١٣٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ آيَاتِهِ

- تفاوت مراتب الخلق في أعمال المعاصي والطاعات يوجب تفاوت مراتبهم في درجات العقاب والثواب.
- اتباع الشيطان موجب لانحراف الفطرة حتى تصل لاستحسان القبيح مثل قتل الأولاد ومساواة أصنامهم بالله ﷻ.

وقال المشركون: هذه أنعام وزرع ممنوعة لا يأكل منها إلا من يشاؤون بزعمهم وافترائهم من خدام الأوثان وغيرهم، وهذه أنعام حُرِّمت ظهورها؛ فلا تُرْكَب، ولا يُحْمَل عليها، وهي البجيرة والسائبة والحامي، وهذه أنعام لا يذكر اسم الله عليها عند الذبح، وإنما يذبحونها باسم أصنامهم؛ ارتكبوا ذلك كله كذباً على الله أن ذلك من عنده، سيجزيهم الله بعذابه بسبب ما كانوا يفترون عليه.

وقالوا: ما في بطون هذه السوايب والبخائر من الأجنة إن وُلِدَ حياً حلال على ذكورنا، مُحَرَّم على نساينا، وإن وُلِدَ ما في بطونها من الأجنة ميتاً فالذكور والإناث فيه شركاء. سيجزيهم الله تعالى بقولهم هذا ما يستحقون، إنه حكيم في تشريعه وتدبيره شؤون خلقه، عليهم بهم.

قد هلك الذين قتلوا أولادهم لِعَقْبَةِ عقولهم ولجهلهم، وحرموا ما رزقهم الله من الأنعام ناسبين ذلك إلى الله كذباً، قد بُعدوا عن الصراط المستقيم، وما كانوا مهتدين إليه.

والله سبحانه هو الذي خلق بساتين مبسوطه على وجه الأرض دون ساق، ومرفوعة عليها ذات ساق، وهو الذي خلق النخل، وخلق الزرع

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِّتْ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزْعَمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلذَّكُورِ نَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى الْأُنثَى وَإِنْ يَكُن مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٣٠﴾ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآذُوا حَقَّهُ وَيَوْمَ حَصَادِهِ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَلَا تَسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٣١﴾ وَمَنْ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ وَلَكُمْ عَذُوبٌ مُمِيزٌ ﴿١٣٢﴾

١٤٦

مختلفاً ثمره في الشكل والطعم، وهو الذي خلق الزيتون والرمان ورقهما متشابه، وطعمهما غير متشابه، كلوا - أيها الناس - من ثمره إذا أثمر، وأدوا زكاته يوم حصاده، ولا تتجاوزوا الحدود الشرعية في الأكل والإنفاق، فالله لا يحب المتجاوزين لحدوده فيهما ولا في غيرهما، بل يغيضه، إن الذي خلق ذلك كله هو الذي أباحه لعباده، فليس للمشركين تحريمه.

وهو الذي أنشأ لكم من الأنعام ما هو صالح لأن يُحْمَلَ عليه ككبار الإبل، وما ليس صالحاً لذلك كصغاره وكالغنم، كلوا - أيها الناس - مما رزقكم الله من هذه الأشياء التي أباحها لكم، ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحله كما يفعله المشركون، إن الشيطان لكم - أيها الناس - عدو واضح العداوة حيث يريد منكم أن تعصوا الله بذلك.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- دَمَّ الله المشركين بسبع صفات هي: الخسران والسفاهة وعدم العلم وتحريم ما رزقهم الله والافتراء على الله والضلال وعدم الاهتداء؛ فهذه أمور سبعة، وكل واحد منها سبب تام في حصول الدم.
- الأهواء سبب تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله.
- وجوب الزكاة في الزروع والثمار عند حصادها، مع جواز الأكل منها قبل إخراج زكاتها، ولا يُحَسَّب من الزكاة.
- التمتع بالطيبات مع عدم الإسراف ومجاوزة الحد في الأكل والإنفاق.

ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِ أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ أَثْنَيْنِ ۖ
 قُلْ ءَالِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمَّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
 أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٦﴾
 وَمِنَ الْإِبِلِ أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَثْنَيْنِ ۖ قُلْ ءَالِ الذَّكَرَيْنِ
 حَرَّمَ أَمَّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ
 أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ
 عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٧﴾ قُلْ لَا أَجِدُ
 فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
 فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ؕ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
 فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا
 كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
 شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ
 بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَعْضِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٩﴾

١٤٧

﴿١٤٦﴾ خَلَقَ لَكُمْ ثَمَانِيَةَ أَصْنَافٍ؛ مِنَ الصَّانِ زَوْجَيْنِ: ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ، قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِلْمُشْرِكِينَ -: هَلْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الذَّكَرَيْنِ مِنْهُمَا لَعَلَّ الذِّكْرَ؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ فَقُلْ لَهُمْ: لِمَ تَحْرِمُونَ الْإِنَاثَ؟ أَمْ أَنَّهُ حَرَّمَ الْأُنثَيَيْنِ لِعَلَّةِ الْإِنَاثَةِ؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُمْ: لِمَ تُحَرِّمُونَ الذَّكَرَيْنِ؟ أَمْ أَنَّهُ حَرَّمَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ لِعَلَّةِ اشْتِمَالِ الرَّحْمِ عَلَيْهِ؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُمْ: لِمَ تُفَرِّقُونَ بَيْنَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَرْحَامُ بِتَحْرِيمِ ذِكْرِهِ تَارَةً وَتَحْرِيمِ إِنَاثِهِ تَارَةً، أَخْبِرُونِي - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - بِمَا تَسْتَدُونَ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ صَحِيحٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْ تَحْرِيمَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ.

﴿١٤٧﴾ وَبَقِيَّةُ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ هِيَ: زَوْجَانِ مِنَ الْإِبِلِ، وَزَوْجَانِ مِنَ الْبَقَرِ، قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِلْمُشْرِكِينَ: اللَّهُ حَرَّمَ مَا حَرَّمَ مِنْهَا لَذِكْرَتِهِ، أَمْ لِأُنُوثَتِهِ، أَمْ لِاشْتِمَالِ الرَّحْمِ عَلَيْهِ؟ أَمْ كُنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - حَاضِرِينَ - بِزِعْمِكُمْ - حِينَ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِتَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ مِنْ هَذِهِ الْأَنْعَامِ؟! فَلَا أَحَدٌ أَعْظَمُ ظُلْمًا، وَلَا أَكْبَرَ جُرْمًا مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، فَسَبَّ إِلَيْهِ تَحْرِيمَ مَا لَمْ يَحْرَمْ؛ لِيُضِلَّ النَّاسَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِغَيْرِ عِلْمٍ يَسْتَدِلُّ بِهِ، إِنْ اللَّهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْهُدَايَةِ الظَّالِمِينَ بِافْتِرَائِهِمُ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ.

﴿١٤٨﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لَا أَجِدُ فِيهَا أَوْحَاءَ اللَّهِ إِلَيَّ شَيْئًا مُحَرَّمًا إِلَّا مَا مَاتَ دُونَ ذِكَاةٍ، أَوْ كَانَ دَمًا سَائِلًا، أَوْ كَانَ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ نَجِسٌ حَرَامٌ، أَوْ كَانَ مِمَّا دُبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ كَالْمَذْبُوحِ لِأَصْنَامِهِمْ، فَمَنْ أَلْجَأَهُ الضَّرُورَةُ إِلَى الْأَكْلِ مِنْ هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ لَشِدَّةِ الْجُوعِ غَيْرِ طَالِبٍ تَلَدُّدًا بِأَكْلِهَا، وَغَيْرِ مُتَجَاوِزٍ حَدَّ الضَّرُورَةِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، إِنْ رَبَّكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - غَفُورٌ لِمُضْطَرِّ إِنْ أَكَلَ مِنْهَا، رَحِيمٌ بِهِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ مَا حَرَّمَ عَلَى الْأُمَّةِ ذَكَرَ مَا حَرَّمَهُ عَلَى الْيَهُودِ؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّ مَا حَرَّمَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَنْعَامِ لَا يَسْتَدُونَ فِيهِ عَلَى مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُونَ فِيهِ إِمْلَاءَ الشَّيْطَانِ فَقَالَ:

﴿١٤٩﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَى الْيَهُودِ مَا لَمْ تَتَفَرَّقْ أَصَابِعُهُ كَالْإِبِلِ وَالنَّعَامِ، وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ إِلَّا مَا عَلِقَ بِظُهُورِهِمَا، أَوْ مَا حَمَلَتْهُ الْأَمْعَاءُ، أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ كَالْأَلْيَةِ وَالْجَنْبِ، وَقَدْ جَازَيْنَاهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فِي كُلِّ مَا نَخْبِرُ بِهِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى إِثْبَاتِ الْمَنَازِلَةِ فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ، وَإِثْبَاتِ الْقَوْلِ بِالنَّظَرِ وَالْقِيَاسِ.
- الْوَحْيُ وَمَا يَسْتَنْبِطُ مِنْهُ هُوَ الطَّرِيقُ لِمَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.
- إِنْ مِنَ الظُّلْمِ أَنْ يُقَدِّمَ أَحَدٌ عَلَى الْإِفْتَاءِ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَكُنْ قَدْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ يَفْتِي بِالصَّوَابِ الَّذِي يَرْضَى اللَّهُ.
- مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ الْإِذْنَ لَهُمْ فِي تَنَاوُلِ الْمَحْرَمَاتِ عِنْدَ الْاضْطِرَارِ.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٥٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٥٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٩﴾ قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٦٠﴾ * قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ مَحْنٍ نَرِزُقُكُمْ مِنْهُنَّ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٦١﴾

١٤٨

فلو شاء الله توفيقكم جميعاً للحق - أيها المشركون - لو فقمكم له .

﴿١٥٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما أحل الله، ويدعون أن الله هو الذي حرمه: أحضروا شهودكم الذين يشهدون أن الله حرم هذه الأشياء التي حرمتوها، فإن شهدوا بغير علم على أن الله حرمها فلا تصدقهم - أيها الرسول - في شهادتهم؛ لأنها شهادة زور، ولا تتبع أهواء الذين يحكمون أهواءهم، فقد كذبوا بآياتنا حين حرموا ما أحل الله لهم، ولا تتبع الذين لا يؤمنون بالآخرة، وهم بربهم يشركون فيساوون به غيره، وكيف يتبع من هذا مسلكه مع ربه؟!

﴿١٥٨﴾ قل - أيها الرسول - للناس: تعالوا أقرأ عليكم ما حرمه الله، حرم عليكم أن تشركوا به شيئاً من مخلوقاته، وأن تعفوا آباءكم، بل يجب عليكم الإحسان إليهم، وأن تقتلوا أولادكم بسبب الفقر، كما كان يفعل أهل الجاهلية، نحن نرزقكم ونرزقهم، وحرم أن تقرّبوا الفواحش ما أعلن منها وما أسرّ به، وأن تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، كالزنى بعد الإحصان، والردة بعد الإسلام، ذللك المذكور وصّاكم به لعلكم تعقلون عن الله وأمره ونواهيه .

﴿١٥٩﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الحذر من الجرائم الموصلة لبأس الله؛ لأنه لا يُردُّ بأسه عن القوم المجرمين إذا أَرَادَهُ .
- الاحتجاج بالقضاء والقدر بعد أن أعطى الله تعالى كل مخلوق قُدْرَةً وإرادة يتمكّن بهما من فعل ما كُفِّلَ به؛ ظَنَّمُ مَحْضَ وعناد صرف .
- دَلَّتِ الْآيَاتُ عَلَى أَنَّهُ بِحَسَبِ عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به .
- النهي عن قربان الفواحش أبْلَغُ من النهي عن مجرد فعلها، فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها .

﴿١٥٧﴾ فإن كذبوك - أيها الرسول - ولم يصدقوا بما جئت به من ربك فقل ترغيباً لهم: ربكم ذو رحمة واسعة، ومن رحمته بكم إمهاله لكم، وعدم معاجلته لكم بالعذاب، وقل لهم تحذيراً لهم: إن عذابه لا يُردُّ عن القوم الذين يرتكبون المعاصي والآثام .

﴿١٥٨﴾ سيقول المشركون محتجين بمشينة الله وقدره على صحة إشراكهم بالله: لو شاء الله ألا نشرك نحن ولا آباؤنا بالله لما أشركنا به، ولو شاء الله ألا نحرم ما حرّمناه على أنفسنا لما حرّمناه . وبمثل حجتهم الداحضة كذب الذين من قبلهم برسلمهم قائلين: لو شاء الله ألا نكذب بهم لما كذبنا بهم، واستمروا على هذا التكذيب حتى ذاقوا عذابنا الذي أنزلناه عليهم، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هل عندكم من دليل يدل على أن الله رضي منكم أن تشركوا به وأن تحللوا ما حرمه وتحرموا ما أحله؟ فمجرد وقوع ذلك منكم ليس دليلاً على رضا عنكم، إنكم لا تتبعون في ذلك إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، وما أنتم إلا تكذبون .

﴿١٥٩﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين: إن لم تكن لكم حجج إلا هذه الحجج الواهية فإن الله الحجة القاطعة التي تنقطع عندها معاذيركم التي تقدمونها، وتبطل بها شبهكم التي تتعلقون بها،

(١٥٦) وَحَرَّمَ أَنْ تَتَعَرَّضُوا لِمَالِ الْيَتِيمِ - وهو الذي فقد أباه قبل البلوغ - إلا بما فيه صلاح ونفع له وزيادة لماله حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد، وحرم عليكم التظفیف في الكيل والميزان، بل يجب عليكم العدل في الأخذ والإعطاء في البيع والشراء، لا تكلف نفساً إلا طاقتها، فما لا يمكن الاحتراز منه من الزيادة أو النقصان في المكايل وغيرها لا مؤاخذه فيه، وحرم عليكم أن تقولوا غير الصواب في خبر أو شهادة دون محاباة قريب أو صديق، وحرم عليكم نقض عهد الله إن عاهدتم الله أو عاهدتم بالله، بل يجب عليكم الوفاء بذلك، ذلك المتقدم أمركم الله به أمراً مؤكداً؛ رجاء أن تذكروا عاقبة أمركم.

(١٥٧) وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوا سُبُلَ الضَّلَالِ وطرقه، بل يجب عليكم اتباع طريق الله المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وطرق الضلال تؤدي بكم إلى التفرق والبعد عن طريق الحق، ذلك الانباع لطريق الله المستقيم هو الذي وصاكم الله به؛ رجاء أن تتقوه بامثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

(١٥٨) ثم بعد الإخبار بما ذكر نخبر أنما أعطينا موسى التوراة تماماً للنعمة جزاء على إحسانه العمل، وتبييناً لكل شيء يحتاج إليه في الدين، ودلالة على الحق ورحمة رجاء أن يؤمنوا ببقاء

ربهم يوم القيامة فيستعدوا له بالعمل الصالح.

(١٥٩) وهذا القرآن كتاب أنزلناه كثير البركة؛ لما يشتمل عليه من المنافع الدينية والدينية، فاتبعوا ما أنزل فيه، واحذروا مخالفته رجاء أن ترحموا.

(١٦٠) لئلا تقولوا - يا مشركي العرب -: إنما أنزل الله التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى لئلا يتزل علينا كتاباً، وإنا لا ندري تلاوة كتبهم لأنها بلغتهم، وليست بلغتنا.

(١٦١) ولئلا تقولوا: لو أنزل الله علينا كتاباً كما أنزله على اليهود والنصارى لئلا أكثر استقامة منهم، فقد جاءكم كتاب أنزله الله على نبيكم محمد ﷺ بلسانكم، وذلك حجة واضحة وإرشاد إلى الحق ورحمة للأمة، فلا تعتذروا بالأعذار الواهية، وتعللوا بالعلل الباطلة، ولا أحد أعظم ظلماً ممن كذب بآيات الله وانصرف عنها، سناقب الذين ينصرفون عن آياتنا عقاباً شديداً بإدخالهم في نار جهنم جزاء على انصرافهم وإعراضهم عنها.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- لا يجوز التصرف في مال اليتيم إلا في حدود مصلحته، ولا يُسلم ماله إلا بعد بلوغه الرشد.
- سبل الضلال كثيرة، وسبيل الله وحده هو المؤدي إلى النجاة من العذاب.
- اتباع هذا الكتاب علماً وعملاً من أعظم أسباب نيل رحمة الله.

وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ ۚ لَنْ كَلِفَ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۚ وَلَوْ كُنَّا ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٦﴾ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٧﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ بِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٨﴾ وَهَذَا كِتَابٌ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٩﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٦٠﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً ۖ مَنَظَرٌ لِمَنْ أَظْلَمَ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٦١﴾

﴿١٥٨﴾ ما ينتظر المكذبون إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم في الدنيا، أو يأتي ربك يوم الفصل في الآخرة - أيها الرسول - لفصل القضاء بينهم، أو يأتي بعض آيات ربك الدالة على الساعة، يوم يأتي بعض آيات ربك - كطلوع الشمس من مغربها - لا ينعف كافراً إيمانه، ولا ينعف مؤمناً لم يعمل خيراً من قبله عمله، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: انتظروا أحد هذه الأشياء، إنا منتظرون.

﴿١٥٩﴾ إن الذين جعلوا دينهم متفرقاً من اليهود والنصارى، حيث أخذوا بعضه وتركوا بعضه، وكانوا فرقتين مختلفين، لست - أيها الرسول - منهم في شيء، فأنت بريء مما هم عليه من الضلال، وليس عليك إلا إنذارهم - فأمرهم موكل إلى الله، ثم هو يوم القيامة يخبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا فيجازيهم عليه.

﴿١٦٠﴾ من أتى يوم القيامة من المؤمنين بحسنة ضاعفها الله له عشر حسنات، ومن أتى بسيئة فلن يُعاقب إلا بمثلها في الخفة والعظم، لا أكثر منها، وهم يوم القيامة لا يظلمون بنقص ثواب الحسنات، ولا بزيادة عقاب السيئات. ﴿١٦١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: إنني أرشدني ربي إلى طريق مستقيم هو طريق الدين

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ تُرِيبُتُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أُبْعِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

١٥٠

القائم بمصالح الدنيا والآخرة، وهو ملة إبراهيم المائل إلى الحق، والذي لم يكن من المشركين قط. ﴿١٦٢﴾ قل - أيها الرسول -: إن صلاتي وذبحي لله وعلى اسم الله، لا على غيره، وحياتي وموتي، كل ذلك لله رب المخلوقات وحده، وليس لغيره نصيب في ذلك. ﴿١٦٣﴾ وهو سبحانه لا شريك له، ولا معبود بحق غيره، وبهذا التوحيد الخالص من الشرك أمرني الله، وأنا أول المستسلمين له من هذه الأمة. ﴿١٦٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أغير الله أطلب رباً وهو ^{يَعْلَمُ} وهو ^{يَعْلَمُ} رب كل شيء؟! فهو رب المعبودات التي تعبدونها من دونه، ولا يحمل بريء ذنب غيره، ثم إلى ربكم وحده رجوعكم يوم القيامة فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه في الدنيا من أمر الدين. ﴿١٦٥﴾ والله هو الذي جعلكم تختلفون من سبقكم في الأرض؛ للقيام بعمارتها، ورفع بعضكم في الخلق والرزق وغيرهما فوق بعض درجات؛ ليختبركم فيما آتاكم من ذلك، إن ربك - أيها الرسول - سريع العقاب، فكل ما هو آت فهو قريب، وإنه لغفور لمن تاب عن عبادته رحيماً به.

• من قَوَائِدِ آيَاتِهِ،

- أن الدين يأمر بالاجتماع والاتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف.
- من تمام عدله تعالى وإحسانه أنه يجازي بالسيئة مثلاً، وبالחסنة عشرة أمثالها، وهذا أقل ما يكون من التضعيف.
- الدين الحق القيم يتطلب تسخير كل أعمال العبد واهتماماته لله ^{تعالى}، فله وحده يتوجه العبد بصلاته وعبادته ومناسكه وذباحه وجميع قرباته وأعماله في حياته وما أوصى به بعد وفاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصِّ ١ كَتَبْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ٢ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمُ
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ
٣ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ
قَائِلُونَ ٤ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ٥ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ ٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ٧
وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ وَفَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ٨ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ وَفَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ٩ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُم فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
١٠ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرَكُمْ ثُمَّ قُنَّاهُمُ اللَّمْلَمَةَ
كَهَ ١١ أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّن السَّاجِدِينَ ١٢

١٥١

١٥١ من مقاصد الشُّرُوعِ:

بيان سُنة الصِّراع بين الإيمان والكفر وعاقبته من خلال عرض سِيرِ الأنبياء مع أقوامهم.

١ التفسير:

١ (الْمَصِّ) تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ القرآن الكريم كتاب أنزله الله عليك - أيها الرسول - فلا يكن في صدرك منه ضيق ولا شك، أنزله إليك لتخوف به الناس، وتقيم به الحجة، ولتذكر به المؤمنين، فهم الذين يتفعون بالذكرى.

٣ اتبعوا - أيها الناس - الكتاب الذي أنزله ربكم عليكم، وسُنَّة نبيكم، ولا تتبعوا أهواء من ترونهم أولياء من شياطين أو أحبار سوء، تتولونهم تاركين ما أنزل عليكم لأجل ما تُملِّيه أهواؤهم، إنكم قليلًا ما تذكرون؛ إذ لو تذكركم لما أترتم على الحق غيره، ولا تتبعتم ما جاء به رسولكم، وعملتم به، وتركتم ما سواه.

٤ ما أكثر القرى التي أهلكناها بعدابنا لما أضرت على كفرها وضلالها، فنزل عليها عذابنا الشديد في حال غفلتها ليلاً أو نهاراً، فلم يستطيعوا دفع العذاب عن أنفسهم، ولم تدفعه عنهم آلهتهم المزعومة.

٥ فما كان منهم بعد نزول العذاب إلا أن أقروا على أنفسهم بظلمهم بالكفر بالله.

٦ فلنسأل يوم القيامة الأمم التي أرسلنا إليها رسلنا عما أجابوا به الرسل، ولنسأل الرسل عن تبليغ ما أمروا بتبليغه، وعما أجابتهم به أممهم.

٧ فلنقص على جميع الخلق أعمالهم التي عملوها في الدنيا لعلم منا، فقد كنا عالمين بأعمالهم كلها، لا يغيب عنا منها شيء، وما كنا غائبين عنهم في أي وقت من الأوقات.

٨ ووزن الأعمال يوم القيامة يكون بالعدل الذي لا جور معه ولا ظلم، فمن رجحت عند الوزن كفة حسنة على كفة سيئة فأولئك هم الذين فازوا بالمطلوب، ونجوا من المرهوب.

٩ ومن رجحت عند الوزن كفة سيئة على كفة حسنة فأولئك الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك يوم القيامة، بسبب جحدهم بآيات الله.

١٠ ولقد مكناكم - يا بني آدم - في الأرض، وجعلنا لكم فيها أسباباً للعيش، فكان عليكم أن تشكروا الله على ذلك، لكن شكركم كان قليلاً.

١١ ولقد أنشأنا - أيها الناس - أباكم آدم، ثم صورناه في أحسن صورة، وأحسن تقويم، ثم أمرنا الملائكة بالسجود إكراماً له، فامثلوا وسجدوا، إلا إبليس أبى أن يسجد تكبراً وعناداً.

١٢ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• من مقاصد إنزال القرآن الإنذار للكافرين والمعاندين، والتذكير للمؤمنين.

• أنزل الله القرآن إلى المؤمنين ليتبعوه ويعملوا به، فإن فعلوا ذلك كملت تربيتهم، وتمت عليهم النعمة، وهُدُوا لأحسن الأعمال والأخلاق.

• الوزن يوم القيامة لأعمال العباد يكون بالعدل والقسط الذي لا جور فيه ولا ظلم بوجه.

• هيَّا الله الأرض لانتفاع البشر بها، بحيث يتمكنون من البناء عليها وحرثها، واستخراج ما في باطنها للانتفاع به.

﴿١٦﴾ قال الله تعالى توبخا لإبليس: أي شيء منعك من امتثال أمري لك بالسجود لآدم؟ قال إبليس مجيباً ربه: معني أنني أفضل منه، فقد خلقتني من نار، وخلقته هو من طين، والنار أشرف من الطين.

﴿١٧﴾ قال الله له: اهبط من الجنة، فليس لك أن تتكبر فيها؛ لأنها دار الطيبين الطاهرين، فما يجوز لك أن تكون فيها، إنك - يا إبليس - من الحقيرين الدليلين، وإن كنت ترى نفسك أنك أشرف من آدم.

﴿١٨﴾ قال إبليس: يا رب، أمهلني إلى يوم البعث حتى أغوي من أستطيع إغواءه من الناس.

﴿١٩﴾ قال له الله: إنك - يا إبليس - من الممهّلين الذين كتبت عليهم الموت يوم النفخة الأولى في الصور حين يموت الخلق كلهم، ويبقى خالقهم وحده.

﴿٢٠﴾ قال إبليس: بسبب إضلالك إياي حتى تركت امتثال أمرك بالسجود لآدم لأقعدن لبني آدم على صراطك المستقيم؛ لأصرفهم وأضلهم عنه كما ضللت أنا عن السجود لأبيهم آدم.

﴿٢١﴾ ثم لايتبنهم من جميع الجهات بالتزهيد في الآخرة، والترغيب في الدنيا، وإلقاء الشبهات، وتحسين الشهوات، ولا تجد - يا رب - أكثرهم شاكرين لك؛ لما أملية عليهم من الكفر.

﴿٢٢﴾ قال الله له: اخرج - يا إبليس - من الجنة مذموماً مطروداً من رحمة الله، ولأملأن جهنم يوم القيامة منك ومن كل من اتبعك وأطاعك وعصى أمر ربه.

﴿٢٣﴾ وقال الله لآدم: يا آدم، اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، فكلما مما فيها من الطيبات ما شئتما، ولا تأكلما من هذه الشجرة (شجرة عينها الله لهما) فإنكما إن أكلتما منها بعد نهبي لكما كتتما من المتجاوزين لحدود الله.

﴿٢٤﴾ فألقى لهما كلاماً خفياً إبليس؛ ليظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما، وقال لهما: ما نهاكما الله عن الأكل من هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملئكين، وإلا كراهة أن تكونا من الخالدين في الجنة.

﴿٢٥﴾ وحلف لهما بالله: إني لكما - يا آدم وحواء - لمن الناصحين فيما أشرت عليكما به.

﴿٢٦﴾ فخطهما من المنزلة التي كانا فيها بخداع منه وغرور، فلما أكلما من الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها ظهرت لهما عوراتهما مكشوفة، فأخذوا يلترقان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما قائلاً: ألم أنهماكما عن الأكل من هذه الشجرة، وأقل لكما محذراً لكما: إن الشيطان عدو لكما بين العداوة؟!

﴿٢٧﴾ من فوائد الآيات،

• دلت الآيات على أن من عصى مولاه فهو ذليل.

• أعلن الشيطان عداوته لبني آدم، وتوعد أن يصددهم عن الصراط المستقيم بكل أنواع الوسائل والأساليب.

• خطورة المعصية وأنها سبب لعقوبات الله الدنيوية والأخروية.

﴿٣٦﴾ قال آدم وحواء: يا ربنا، ظلمنا أنفسنا بارتكاب ما نهيتنا عنه من الأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا ذنوبنا وترحمنا برحمتك، لنكونن من الخاسرين بإضاعتنا حظنا في الدنيا والآخرة.

﴿٣٧﴾ قال الله لأدم وحواء وإبليس: اهبطوا من الجنة إلى الأرض، وسيكون بعضكم عدوا لبعض، ولكم في الأرض مكان استقروا إلى وقت معلوم، وتمتع بما فيها إلى أجل مسمى.

﴿٣٨﴾ قال الله مخاطباً آدم وحواء وذريتهما: في هذه الأرض تحيئون مدة ما قدر الله لكم من آجال، وفيها تموتون وتدفنون، ومن قبوركم تخرجون للبعث.

﴿٣٩﴾ يا بني آدم، قد جعلنا لكم لباساً ضرورياً لستر عوراتكم، وجعلنا لكم لباساً كاملاً تتجملون به في الناس، ولباس التقوى - التي هي امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه - خير من هذا اللباس الحسي، ذلك المذكور من اللباس من آيات الله الدالة على قدرته، لعلكم تتذكرون نعمه عليكم فتشكرونها.

﴿٤٠﴾ يا بني آدم، لا يغرنكم الشيطان بتزيين المعصية بترك اللباس الحسي لستر العورة أو ترك لباس التقوى، فقد خدع أبويكم بتزيين الأكل من الشجرة حتى كان مآل ذلك أن أخرجهما من الجنة، وبدت لهما عوراتهما، إن الشيطان وذريته يرونكم ويشاهدونكم وأنتم لا ترونهم ولا تشاهدونهم، فيلزمكم الحذر منه وسن ذريته، إنا جعلنا الشياطين أولياء للمؤمنين لا يؤمنون بالله، وأما المؤمنون

الذين يعملون الصالحات فلا سبيل لهم عليهم.

﴿٤١﴾ وإذا ارتكب المشركون أمراً بالغ النكر كالشرك والطواف بالبيت عراة وغيرهما، اعتذروا بأنهم وجدوا آباءهم يرتكبونها، وأن الله أمرهم بذلك، قل - يا محمد - ردّاً عليهم: إن الله لا يأمر بالمعاصي، بل ينهى عنها، فكيف تدعون ذلك عليه؟ أتقولون - أيها المشركون - على الله ما لا تعلمون كذباً وافتراءً؟!

﴿٤٢﴾ قل - يا محمد - لهؤلاء المشركين: إن الله أمر بالعدل، ولم يأمر بالفحشاء والمنكر، وأمر أن تخلصوا له العبادة عموماً، وعلى وجه الخصوص في المساجد، وأن تدعوه وحده مخلصين له الطاعة، كما خلقكم من عدم أول مرة يعيدكم أحياء مرة أخرى، فالقادر على بدء خلقكم قادر على إعادتكم وبعثكم.

﴿٤٣﴾ وقد جعل الله الناس فريقين: فريقاً منكم هداة، وبشر له أسباب الهداية، وصرف عنه موانعها، وفريقاً آخر وجبت عليهم الضلالة عن طريق الحق، ذلك أنهم صيروا الشياطين أولياء من دون الله، فانقادوا لهم جهلاً، وهم يظنون أنهم مهتدون إلى الصراط المستقيم.

• من قوايد الأكرام،

• من أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع - إذا صدرت منه الذنوب - اجتنبه ربه وهداه. ومن أشبه إبليس - إذا صدر منه الذنب بالإصرار والعناد - فإنه لا يزداد من الله إلا بُعداً.

• اللباس نوعان: ظاهري يستر العورة، وباطني وهو التقوى الذي يستمر مع العبد، وهو جمال القلب والروح.

• كثير من أعوان الشيطان يدعون إلى نزع اللباس الظاهري؛ لتكشف العورات، فيهون على الناس فعل المنكرات وارتكاب الفواحش.

• أن الهداية بفضل الله ومَنه، وأن الضلالة بخذلانه للعبد إذا تولى - بجهله وظلمه - الشيطان، وتسبب لنفسه بالضلال.

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٧﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٣٨﴾ يَبْنِيَّ أَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكْمُ وَرِيثًا وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٣٩﴾ يَبْنِيَّ أَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَ تَهُمَا إِنَّهُ يُرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٤٢﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٤٣﴾

﴿٣١﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٢﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٥﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكَ مَا أَلْقَى مِنَ الْكِتَابِ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٧﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِبَيِّنَاتِنَا أُولَئِكَ يَنْالُهُمُ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ ثُمَّ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٨﴾

١٥٤

﴿٣١﴾ يَا بَنِي آدَمَ، البسوا ما يستر عوراتكم، وما تتجملون به من اللباس النظيف الطاهر عند الصلاة والطواف، وكلوا واشربوا ما شئتم من الطيبات التي أحلها الله، ولا تتجاوزوا حد الاعتدال في ذلك، ولا تتجاوزوا الحلال إلى الحرام، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدود الاعتدال.

﴿٣٢﴾ قل - أيها الرسول - ردًا على المشركين الذين يُحَرِّمُونَ ما أحل الله من اللباس والطيبات من المأكولات وغيرها: من الذي حَرَّمَ عليكم اللباس الذي هو زينة لكم؟ ومن الذي حَرَّمَ عليكم الطيبات من المأكولات والمشروبات وغيرها مما رزقكم الله؟ قل - أيها الرسول -: إن تلك الطيبات للمؤمنين في الحياة الدنيا، وإن شاركهم غيرهم فيها في الدنيا فهي خاصة بهم يوم القيامة، لا يشاركهم فيها كافر؛ لأن الجنة محرمة على الكافرين، مثل هذا التفصيل نُفَصِّلُ الآيات لقوم يدركون؛ لأنهم الذين يتنفعون بها.

﴿٣٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما أحل الله: إن الله إنما حرم على عباده الفواحش، وهي قبائح الذنوب، ظاهرة كانت أو باطنة، وحرَمَ المعاصي كلها، والاعتداء ظلمًا على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وحرَمَ عليكم أن تشركوا مع الله غيره مما ليس لكم حجة فيه، وحرَمَ عليكم القول عليه بغير علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه.

﴿٣٤﴾ ولكل جيل وقرن مدة وميقات محدد لآجالهم، فإذا جاء ميقاتهم المُقَدَّر لا يتأخرون عنه زمانًا وإن قل، ولا يتقدمون عليه.

﴿٣٥﴾ يا بني آدم إذا جاءكم رسل مني من أقوامكم يتلون عليكم ما أنزلت عليهم من كُتُبِي فاطيعوهم، واتبعوا ما جاؤوا به، فالذين يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ويصلحون أعمالهم، لا خوف عليهم يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

﴿٣٦﴾ وأما الكافرون الذين كذبوا بآياتنا، ولم يؤمنوا بها، وترَفَّعُوا تَكَبُّرًا عن العمل بما جاءتهم به رسلهم، فإنهم أصحاب النار الملازمون لها الماكثون فيها أبدًا.

﴿٣٧﴾ لا أحد أظلم من الذي يفترى على الله الكذب بنسبة الشريك إليه أو النقص أو القول عليه بما لم يقله، أو كَذَّبَ بآياته الجلية الهادية إلى صراطه المستقيم، أولئك المتصفون بذلك ينالهم حظهم المكتوب لهم في اللوح المحفوظ من ملذات الدنيا، حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه من الملائكة ليقض أرواحهم قالوا لهم توبيخًا لهم: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟! ادعوها لتنفعكم، قال المشركون للملائكة: لقد ذهب عنا الآلهة التي كنا نعبد وعبادة، فلا ندري أين هي، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، لكن إقرارهم في ذلك الحين حجة عليهم، ولن ينفعهم.

﴿٣٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- المؤمن مأمور بتعظيم شعائر الله من خلال ستر العورة والتجمل في أثناء صلاته وخاصة عند التوجه للمسجد.
- من فسر القرآن بغير علم أو أفتى بغير علم أو حكم بغير علم فقد قال على الله بغير علم وهذا من أعظم المحرمات.
- في الآيات دليل على أن المؤمنين يوم القيامة لا يخافون ولا يحزنون، ولا يلحقهم رعب ولا فزع، وإذا لحقهم فمألهم الأمن.
- أظلم الناس من عطل مراد الله تعالى من جهتين: جهة إبطال ما يدل على مراده، وجهة إيهام الناس بأن الله أراد منهم ما لا يريد.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَقَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحِظَ فِي سَمِّ الْحَيَاطِ وَكَذَلِكَ يُجْزَى الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ يُجْزَى الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

١٥٥

﴿٣٨﴾ قالت لهم الملائكة: ادخلوا - أيها المشركون - في جملة أمة قد مضت من قبلكم على الكفر والضلال من الجن والإنس في النار، كلما دخلت أمة من الأمم لعنت أختها التي سبقتها إلى النار، حتى إذا تلاحقوا فيها، واجتمعوا كلهم قالت أكرههم دخولاً وهم السُّفلة والأتباع، لأولاهم وهم الكبراء والسادة: يا ربنا، هؤلاء الكبراء هم الذين أضلونا عن طريق الهداية، فعاقبهم عقاباً مضاعفاً لتزيينهم الضلال لنا، قال الله ردّاً عليهم: لكل طائفة منكم نصيب من العذاب مضاعف، ولكنكم تجهلون ذلك ولا تدركونه.

﴿٣٩﴾ وقال السادة المتبعون لأتباعهم: ليس لكم - أيها الأتباع - علينا من فضل تستحقون به تخفيف العذاب عنكم، فالعبرة بما كسبتم من الأعمال، ولا عذر لكم في اتباع الباطل، فذوقوا - أيها الأتباع - العذاب مثلما ذقناه بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي.

﴿٤٠﴾ إن الذين كذبوا بآياتنا الواضحة، وتكبروا عن الانقياد والإذعان لها آيسون من كل خير، فلا تفتح أبواب السماء لأعمالهم بسبب كفرهم، ولا لأرواحهم إذا ماتوا، ولا يدخلون الجنة أبداً حتى يدخل الجمل - وهو من أعظم الحيوانات - في ثقب الإبرة الذي هو من أضيق الأشياء، وهذا من المستحيل، فالمعلّق عليه وهو دخولهم

الجنة مستحيل، ومثل هذا الجزاء يجزي الله من عظمت ذنوبه.

﴿٤١﴾ لهؤلاء المكذبين المتكبرين من جهنم فراش يفرشونه، ولهم من فوقهم أعطية من نار، ومثل هذا الجزاء تجزي المتجاوزين لحدود الله بكفرهم به وإعراضهم عنه.

﴿٤٢﴾ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ما يستطيعون - ولا يكلف الله نفساً فوق ما تستطيعه - أولئك أصحاب الجنة يدخلونها ماكثين فيها أبداً.

﴿٤٣﴾ ومن تمام نعيمهم في الجنة أن نزع الله ما في قلوبهم من البغضاء والحقد، وأجرى الأنهار من تحتهم، وقالوا معترفين لله بإنعامه عليهم: الحمد لله الذي وفقنا لهذا العمل الصالح الذي أنالنا هذه المنزلة، وما كنا لنوفق إليه من تلقاء أنفسنا لولا أن الله وفقنا إليه، لقد جاءت رسل ربنا بالحق الذي لا مربة فيه والصدق في الوعد والوعد، ونادى فيهم مناد: أن هذه هي الجنة التي أخبرتكم بها رسلي في الدنيا، أعقبكم الله إياها بما كنتم تعملون من الأعمال الصالحة، التي تريدون بها وجه الله.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- المودة التي كانت بين المكذبين في الدنيا تنقلب يوم القيامة عداوة وملاعة.
- أرواح المؤمنين تفتح لها أبواب السماء حتى تُفْرَجَ إلى الله، وتبتهج بالقرب من ربها والحظوة برضوانه.
- أرواح المكذبين المعرضين لا تفتح لها أبواب السماء، وإذا ماتوا وصعدت فهي تستأذن فلا يؤذن لها، فهي كما لم تصعد في الدنيا بالإيمان بالله ومعرفته ومحبته، فكَذَلِكَ لا تصعد بعد الموت، فإن الجزاء من جنس العمل.
- أهل الجنة نجوا من النار بعفو الله، وأدخلوا الجنة برحمة الله، واقتسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة وهي من رحمته، بل من أعلى أنواع رحمته.

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ مُؤَيَّدِينَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٨﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٠﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٥١﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْوِمُوا نَسْلَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّهُونَ بِحَدُوثِ ﴿٥٣﴾

١٥٦

﴿٤٦﴾ ونادى أهل الجنة الملائمون لها أهل النار الملائمين لها بعد دخول كل منهما منزله الموعود له: إنا قد لقينا ما وعدنا ربنا من الجنة واقعًا متحققًا، فقد أدخلنا إياها، فهل لقيتم - أيها الكفار - ما توعدكم الله به من النار واقعًا متحققًا؟ قال الكفار: لقد وجدنا ما توعدنا به من النار حقًا، فننادى مُنادٍ داعيًا الله أن يطرد الظالمين من رحته، فقد فتح لهم أبواب رحمته فأعرضوا عنها في الحياة الدنيا.

﴿٤٧﴾ هؤلاء الظالمون هم الذين كانوا يعرضون عن سبيل الله بأنفسهم، ويحملون غيرهم على الإعراض عنها، ويرجون أن تكون سبيل الحق معوجة حتى لا يسلكها الناس، وهم بالآخرة كافرون غير مستعدين لها.

﴿٤٨﴾ وبين هذين الفريقين: أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز مرتفع يسمى الأعراف، وعلى هذا الحاجز المرتفع رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم يعرفون أصحاب الجنة بعلاماتهم كلباس الوجوه، وأصحاب النار بعلاماتهم كسوادها، ونادى هؤلاء الرجال أصحاب الجنة تكريماً لهم قائلين: سلام عليكم. وأصحاب الجنة لم يدخلوا بعد، وهم يأملون دخولها برحمة من الله.

﴿٤٩﴾ وإذا حُولَّتْ أَبْصَارُ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ إِلَى أَصْحَابِ النَّارِ، وشاهدوا ما هم فيه من العذاب الشديد، قالوا داعين الله: يا ربنا، لا تصيرنا مع القوم

الظالمين بالكفر والشرك بك.

﴿٥٠﴾ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً من أهل النار من الكفار يعرفونهم بعلاماتهم كسواد وجوههم وزرقة عيونهم قائلين لهم: لم نفعكم تكثركم بالمال والرجال، وما نفعكم إعراضكم عن الحق تكبراً واستعلاءً.

﴿٥١﴾ وقال الله موبخاً الكفار: أهؤلاء هم الذين حلفتم أن لا ينالهم الله برحمة من عنده؟ وقال الله للمؤمنين: ادخلوا - أيها المؤمنون - الجنة لا خوف عليكم فيما تستقبلونه، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا لما لقيتم من النعيم المقيم.

﴿٥٢﴾ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ملتصين منهم قائلين: أوسعوا صب الماء علينا - يا أصحاب الجنة -، أو مما رزقكم الله من الطعام، قال أصحاب الجنة: إن الله حرمهما على الكافرين بسبب كفرهم، وإننا لنُسْعِفُكُمْ بما حرمه الله عليكم.

﴿٥٣﴾ هؤلاء الكافرون هم الذين جعلوا دينهم سخرية وعبثاً، وخدعتهم الحياة الدنيا بِرُخْفِهَا وزينتها، فيوم القيامة ينسأهم الله، ويتركهم يقاسون العذاب كما نسوا لقاء يوم القيامة فلم يعملوا له، ولم يستعدوا، ولجودهم بحجج الله وبراهينه وإنكارهم لها مع علمهم بأنها حق.

• من قَوَائِدِ الْكِتَابِ،

- عدم الإيمان بالبعث سبب مباشر للإقبال على الشهوات.
- يتيقن الناس يوم القيامة تحقق وعد الله لأهل طاعته، وتحقق وعيده للكافرين.
- الناس يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة وفريق في النار، وبينهما فريق في مكان وسط لتساوي حسناتهم وسيئاتهم، ومصيرهم إلى الجنة.
- على الذين يملكون المال والجاه وكثرة الأتباع أن يعلموا أن هذا كله لن يغني عنهم من الله شيئاً، ولن ينجيهم من عذاب الله.

(٥٦) ولقد جنّاهم بهذا القرآن الذي هو كتاب منزل على محمد ﷺ، وقد بيّناه على علم منا بما نبينه، وهو هاد للمؤمنين إلى طريق الرشd والحق، ورحمة بهم لما فيه من الدلالة على خيري الدنيا والآخرة.

(٥٧) ما ينتظر الكفار إلا وقوع ما أخبروا بوقوعه من العذاب الأليم الذي يؤول إليه أمرهم في الآخرة، يوم يأتي ما أخبروا به من ذلك، وما أخبر به المؤمنون من الثواب، يقول الذين نسوا القرآن في الدنيا، ولم يعملوا بما جاء فيه: لقد جاءت رسل ربنا بالحق الذي لا مربة فيه، ولا شك أنه من عند الله، فليت لنا وسطاء يشفعون لنا عند الله ليعفينا من العذاب، أو ليتنا نرجع إلى الحياة الدنيا لنعمل عملاً صالحاً ننجو به بدل ما كنا نعمل من السيئات، قد خسر هؤلاء الكافرون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم، وغاب عنهم من كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم يفقههم.

(٥٨) إن ربكم - أيها الناس - هو الله الذي خلق السماوات وخلق الأرض على غير مثال سابق في ستة أيام، ثم علا وارتفع سبحانه على العرش علواً يليق بجلاله لا ندرك كيفيته، يذهب ظلام الليل بضياء النهار، وضياء النهار بظلام الليل، وكل منهما يطلب الآخر طلباً سريعاً بحيث لا يتأخر عنه، فإذا ذهب هذا دخل هذا،

وَلَقَدْ جَنّاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٦﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ
يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ
فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي
كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ
يَطْلُبُهُ حَشِيشًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ
بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٨﴾
أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٩﴾
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيحَ بُشْرًا لِّبَنَاتٍ يَدْعُوهُنَّ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَحَ سَحَابًا نُّقَالَ لَا
سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَاهُ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
الشَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٦١﴾

١٥٧

وخلق سبحانه الشمس، وخلق القمر، وخلق النجوم مُدَلَّلَاتٌ مُّهِيَّاتٌ، ألا الله وحده الخلق كله، فمن خالق غيره؟! وله الأمر وحده، وعظم خيره وكثر إحسانه، فهو المتصف بصفات الجلال والكمال، رب العالمين.

(٥٩) ادعوا - أيها المؤمنون - ربكم بتدليل تام وتواضع خفية وسراً، مخلصين في الدعاء غير مرائين ولا مشركين به سبحانه غيره في الدعاء، إنه لا يحب المتجاوزين لحدوده في الدعاء، ومن أعظم التجاوز لحدوده في الدعاء دعاء غيره معه كما يفعل المشركون.

(٦٠) ولا تفسدوا في الأرض بارتكاب المعاصي بعد أن أصلحها الله بإرسال الرسل ﷺ وإعمارها بطاعته وحده، وادعوا الله وحده مستشعرين الخوف من عقابه، ومنتظرين حصول ثوابه، إن رحمة الله قريب من المحسنين، فكونوا منهم.

(٦١) والله سبحانه هو الذي يرسل الرياح مُبَشِّرَاتٍ بالمطر، حتى إذا حملت الرياح السحاب المُثْقَلُ بالماء سُقْنَا السحاب إلى بلد مُجْدِبٍ فأنزلنا بالبلد الماء، فأخرجنا بالماء من جميع أنواع الثمار، مثل إخراج الثمر على تلك الصورة نخرج الموتى من قبورهم أحياء، فعلنا ذلك رجاء أنكم - أيها الناس - تتذكرون قدرة الله وبديع صنعه، وأنه قادر على إحياء الموتى.

(٦٢) مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- القرآن الكريم كتاب هداية فيه تفصيل ما تحتاج إليه البشرية، رحمة من الله وهداية لمن أقبل عليه بقلب صادق.
- خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام لحكمة أرادها سبحانه، ولو شاء لقال لها: كن فكانت.
- يتعين على المؤمنين دعاء الله تعالى بكل خشوع وتضرع حتى يستجيب لهم بفضله.
- الفساد في الأرض بكل صورته وأشكاله منهى عنه.

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيَادُّنَ رَبَّهُ وَالَّذِي خُبْتُ لَا يَخْرِجُ
إِلَّا نَكَدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمُ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ
مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوْمُ
لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ
عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَافِرُونَ ﴿٦٤﴾ * وَالْإِلَى
عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوْمُ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ
غَيْرِهِ وَأَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾
قَالَ يَتَقَوْمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

١٥٨

﴿٥٨﴾ والأرض الطيبة تُخرج نباتها بإذن الله إخراجًا حسنًا تامًا، وهكذا المؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها، فتنتج عملاً صالحًا، والأرض السبخة المالحة لا تُخرج نباتها إلا عسراً لا خير فيه، وهكذا الكافر لا ينتفع بالمواعظ، فلا تنتج عنده عملاً صالحاً ينتفع به، مثل هذا التنوع البديع تنوع البراهين والحجج لإثبات الحق لقوم يشكرون نعم الله، فلا يكفرونها، ويطيعون ربهم.

﴿٥٩﴾ لقد بعثنا نوحاً رسولاً إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله، وترك عبادة غيره، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود بحق غيره، إني أخاف عليكم - يا قوم - عذاب يوم عظيم في حال إصراركم على الكفر.

﴿٦٠﴾ قال له سادة قومه وكبرائهم: إنا لنراك - يا نوح - في بعد عن الصواب واضح.

﴿٦١﴾ قال نوح لكبراء قومه: لست ضالاً كما زعمتم، وإنما أنا على هدى من ربي، فأنا رسول إليكم من الله ربي وربكم ورب العالمين كلهم.

﴿٦٢﴾ أبلغكم ما أرسلني الله به إليكم مما أوحى إلي، وأريد لكم الخير بترغيبكم في امتثال أمر الله وما يترتب عليه من ثواب، وترهيبكم من ارتكاب نواهي وما يترتب عليه من العقاب، وأعلم من الله سبحانه ما لا تعلمون مما علمني عن طريق الوحي.

﴿٦٣﴾ أثار عجبكم واستغرابكم أن جاءكم وحي وموعظة من ربكم على لسان رجل منكم تعرفونه! فقد نشأ فيكم، ولم يكن كذاباً ولا ضالاً، وليس من جنس آخر، جاءكم ليخوفكم من عقاب الله إن كذبتم وعصيتم، ولتتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهي، ورجاء أن ترحموا إن أمتتم به.

﴿٦٤﴾ فكذبته قومه، ولم يؤمنوا به، بل استمروا على كفرهم، فدعا عليهم أن يهلكهم الله، فسلمناهم وسلمنا الذين معه في السفينة من المؤمنين من الغرق، وأهلكنا الذين كذبوا بآياتنا واستمروا على تكذيبهم بالغرق بالطوفان المنزل عقاباً لهم، إن قلوبهم كانت عمياً عن الحق.

﴿٦٥﴾ وأرسلنا إلى قبيلة عاد رسولاً منهم، هو هود عليه السلام، قال: يا قوم اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود بحق غيره، أفلا تتقونه بامثال أوامره واجتناب نواهي لتسلموا من عذابه؟!

﴿٦٦﴾ قال الكبراء والسادة من قومه الذين كفروا بالله وكذبوا رسوله: إنا لنعلم أنك - يا هود - في خفة عقل وطيش حين تدعونا إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام، وإنا لنعتقد جازمين أنك من الكاذبين فيما تدعيه من أنك مرسل.

﴿٦٧﴾ قال هود ردّاً على قومه: يا قوم ليس بي خفة عقل وطيش، بل إني رسول من رب العالمين.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ :

- الأرض الطيبة مثال للقلوب الطيبة حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، وكما أن الغيث مادة الحياة، فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، تقبله وتعلمه وتنبت بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها، والعكس.
- الأنبياء والمرسلون يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم.
- من سنة الله إرسال كل رسول من قومه ولسانهم؛ تأليفاً لقلوب الذين لم تفسد فطرتهم، وتيسيراً على البشر.
- من أعظم السفهاء من قابل الحق بالرد والإنكار، وتكبر عن الانقياد للعلماء والنصحاء، وانفاد قلبه وقالبه لكل شيطان مريد.

﴿٦٨﴾ أبلغكم ما أمرني الله بتبليغه إليكم من توحيده وشرعه، وأنا لكم ناصح فيما أمرت بتبليغه أمين، لا أزيد فيه ولا أنقص.

﴿٦٩﴾ أو أثار عجبكم واستغرابكم أن جاءكم تذكير من ربكم على لسان رجل من جنسكم، ليس من جنس الملائكة أو الجن لينذركم؟! واحمدوا ربكم واشكروه على أن مكن لكم في الأرض، وجعلكم تخلصون قوم نوح الذين أهلكهم الله بكفرهم، واشكروا الله أن خضعكم بعظم الأجسام والقوة وشدة البطش، واذكروا نعم الله الواسعة عليكم رجاء أن تفوزوا بالمطلوب، وتنجوا من المرهوب.

﴿٧٠﴾ قال قومه له: أجتئنا - يا هود - لتأمرنا بعبادة الله وحده، ولنترك ما كان يعبد آباؤنا؟! فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت صادقاً فيما تدعيه.

﴿٧١﴾ فرد عليهم هود قائلاً: لقد استوجبتم عذاب الله وغضبه فهو واقع بكم لا محالة، أتجادلونني في أصنام سئمتوها أنتم وآباؤكم آلهة، وليس لها حقيقة؟! فما نزل الله حجة تحثجون بها على ما تدعون لها من الألوهية، فانتظروا ما طلبتم تعجيله لكم من العذاب، وأنا معكم من المنتظرين، فهو واقع.

﴿٧٢﴾ فسلمنا هوداً عليه السلام ومن كان معه

أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِّيَ بَأْسٌ بَلَّغْتُ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَأَذْكُرُوا لَآلِهَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذْرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ ۖ أْتَجِدَ لُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ۖ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا ذِابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَكُومُوا عَبْدُوا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ وَقَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾

من المؤمنين برحمة منا، واستأصلنا بالهلاك الذين كذبوا بآياتنا، وما كانوا مؤمنين، بل كانوا مكذبين، فاستحقوا العذاب.

﴿٧٣﴾ ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، قال لهم صالح: يا قوم، اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود غيره يستحق العبادة، قد جاءكم آية واضحة من الله على صدق ما جئتكم به، يتمثل في ناقة تخرج من صخرة، لها وقت تشرب فيه، ولكم شرب يوم معلوم، فاتركوها تأكل في أرض الله، فليس عليكم من مؤونها شيء، ولا تصيوها بأذى، فيصيبكم بسبب إيذائها عذاب موجه.

﴿٧٤﴾ مِنْ قَوْلِ الْأَنْبِيَاءِ

- ينبغي التحلي بالصبر في الدعوة إلى الله تأسيًا بالأنبياء عليهم السلام.
- من أولويات الدعوة إلى الله الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ورفض الإشراك به ونبذ.
- الاغترار بالقوة المادية والجسدية يصرف صاحبها عن الاستجابة لأوامر الله ونواهيه.
- النبي يكون من جنس قومه، لكنه من أشرفهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم معشراً، وأرفعهم خلقاً.
- الأنبياء وورثتهم يقابلون السفهاء بالحلم، ويغضون عن قول السوء بالصفح والعفو والمغفرة.

(٧١) تذكروا نعمة الله عليكم حين تخلفون قوم عاد، وأنزلكم في أرضكم تتمتعون بها، وتدركون مطالبكم، وذلك بعد إهلاك عاد بعد تماديهم في الكفر والتكذيب، تبنون في سهول الأرض القصور، وتقطعون الجبال لتصنعوا بيوتاً لكم، فاذكروا نعم الله عليكم لتشكروا الله عليها، واتركوا السعي في الأرض بالفساد، وذلك بترك الكفر بالله وترك المعاصي.

(٧٢) قال السادة والرؤساء ممن استكبروا من قومه للمؤمنين من قومه الذين يستضعفونهم: أتعلمون - أيها المؤمنون - أن صالحاً رسول من الله حقاً؟ فأجابهم المؤمنون المستضعفون: إنا بالذي أرسل به صالح إلينا مصدقون ومقررون ومقادون، وبشرعه عاملون.

(٧٣) قال المستعجلون من قومه: إنا بالذي صدقتم به - أيها المؤمنون - كافرون، فلن نؤمن به، ولن نعمل بشرعه.

(٧٤) فنحروا الناقة التي نهاهم أن يمسوها بإيذاء، مستكبرين عن امتثال أمر الله، وقالوا مستهزئين مُستبعدةٍ لما توعدهم به صالح: يا صالح، جئنا بما توعدتنا به من العذاب الأليم إن كنت من رسل الله حقاً.

(٧٥) فجاء الكافرين ما استعجلوه من العذاب، حيث أخذتهم الزلزلة

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَتَوَّكَّلْكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٢﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٣﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحْ أُنْتَابِإِمْ تَعْدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٤﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٧٥﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمَ لَقَدْ أَتَلَقْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٦﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٧٨﴾

١٦٠

الشديدة، فأصبحوا صرعى ملتصقة وجوههم وركبتهم بالأرض، لم ينج منهم أحد من الهلاك. (٧١) فأعرض صالح ﷺ عن قومه بعد اليأس من استجابتهم، وقال لهم: يا قوم، لقد أوصلت لكم ما أمرني الله بتبليغه إليكم، ونصحتكم مرغباً لكم ومرهباً، ولكنكم قوم لا تحبون الناصحين الحريصين على دلائلكم على الخير وإبعادكم عن الشر.

(٧٢) واذكر لو طاً حين قال مستنكراً على قومه: أتأتون الفعلة المنكرة المُستقبحة وهي إتيان الذكور؟! هذه الفعلة التي ابتدتموها، فلم يسبقكم إلى ارتكابها أحد!

(٧٣) إنكم لتأتون الرجال لقضاء الشهوة دون النساء اللائي خُلِقن لقضائهن، فلم تتبعوا في فعلتكم هذه عقلاً ولا نقلاً ولا فطرة، بل أنتم متجاوزون لحدود الله بخروجكم عن حد الاعتدال البشري، وانحرافكم عما تقتضيه العقول السليمة، والفطر الكريمة.

• مِنْ قَوَائِمِ الْآيَاتِ.

- الاستكبار يتولد غالباً من كثرة المال والجاه، وقلة المال والجاه تحمل على الإيمان والتصديق والالتقياد غالباً.
- جواز البناء الرفيع كالقصور ونحوها؛ لأن من آثار النعمة: البناء الحسن مع شكر النعم.
- الغالب في دعوة الأنبياء أن يبادر الضعفاء والفقراء إلى الإصغاء للكلمة الحق التي جاؤوا بها، وأما السادة والزعماء فيتمردون ويستعلون عليها.
- قد يعم عذاب الله المجتمع كله إذا كثر فيه الحَبْثُ، وعُدِم فيه الإنكار.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مِّطْرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْرِمًا مِنِّي مِن رَّبِّكُمْ فَافْزُقُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَآذِكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

١٦١

﴿٨٢﴾ وما كان ردُّ قومه المرتكبين لهذه الفاحشة عما أنكره عليهم إلا أن قالوا معرضين عن الحق: أخرجوا لوطاً وأهله من قريتهم؛ إنهم أناس يتنزهون عن عملنا هذا، فلا يليق بنا أن يبقوا بين ظهرائنا.

﴿٨٣﴾ فسلمناه وأهله حيث أمرناهم بالخروج ليلاً من القرية التي سيقع عليها العذاب، إلا امرأته صارت مع الباقين مع قومها، فأصابها ما أصابهم من العذاب.

﴿٨٤﴾ وأمطرنا عليهم مطراً عظيماً، حيث رميناهم بحجارة من طين، وقلنا القرية، فجعلنا عاليها سافلها، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان عاقبة قوم لوط المجرمين؟ فقد كانت عاقبتهم الهلاك والخزي الدائم.

﴿٨٥﴾ ولقد أرسلنا إلى قبيلة مَدْيَنَ أخاهم شُعَيْبًا ﷺ، فقال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود يستحق العبادة غيره، قد جاءكم برهان من الله واضح، وحجة جليّة على صدق ما جئتكم به من ربي، أدوا إلى الناس حقوقهم بإكمال الكيل وإكمال الوزن، ولا تنقصوا الناس بغيب سلعمهم، والتزهيد فيها، أو المخادعة لأصحابها، ولا تفسدوا في الأرض بالكفر وارتكاب المعاصي بعد إصلاحها ببعثة الأنبياء من قبل، ذلك المذكور خير لكم وأنفع إن كنتم

مؤمنين؛ لما فيه من ترك المعاصي اجتناباً لنهي الله عنها، ولما فيه من التقرب إلى الله بفعل ما أمر به.

﴿٨٦﴾ ولا تقعدوا بكل طريق تهددون من سلكه من الناس لتسلبوا أموالهم، وتصدوا عن دين الله من أراد الاهتداء به، طالبين أن تكون سبيل الله معوجة حتى لا يسلكها الناس، واذكروا نعمة الله عليكم لشكروها له، فقد كان عددكم قليلاً فكثركم، وتأملوا كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض من قبلكم، فإن عاقبتهم كانت الهلاك والدمار.

﴿٨٧﴾ وإن كان جماعة منكم آمنوا بما جئت به من ربي، وجماعة أخرى لم يؤمنوا بذلك فانظروا - أيها المكذبون - ما يفصل الله بينكم وهو خير من يفصل وأعدل من يقضي.

• مِنَ فَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- اللواط فاحشة تدلُّ على انتكاس الفطرة، وناسب أن يكون عقابهم من جنس عملهم فنكس الله عليهم قراهم.
- تقوم دعوة الأنبياء - ومنهم شُعَيْبٌ ﷺ - على أصليين: تعظيم أمر الله: ويشمل الإقرار بالتوحيد وتصديق النبوة. والشفقة على خلق الله: ويشمل ترك البُخس وترك الإفساد وكل أنواع الإيذاء.
- الإفساد في الأرض بعد الإصلاح جُرم اجتماعي في حق الإنسانية؛ لأن صلاح الأرض بالعقيدة والأخلاق فيه خير للجميع، وإفساد الأرض عدوان على الناس.
- من أعظم الذنوب وأكبرها وأشدّها وأفحشها أخذُ ما لا يحقُّ أخذه شرعاً من الوظائف المالية بالفقر والجبر؛ فإنه غصب وظلم وعسف على الناس وإذاعة للمنكر وعمل به ودوام عليه وإقرار له.

﴿١٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَارِهِينَ ﴿١٨﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّا عِدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ
إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿١٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَعْتَمَرُ شُعَيْبًا إِنْ كُنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ
﴿٢٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ
كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا
هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَتِ رَبِّي وَفَضَحْتُ لَكُمْ فِكْرِي فَأَسِئْ عَلَى قَوْمِ
كَافِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا
بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَالَهُمْ ضَرَعُونَ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا
مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا
الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾

١٦٢

﴿١٧﴾ قال الكبراء والرؤساء الذين استكبروا من قوم شعيب لشعيب ﴿١٧﴾: لنخرجنك - يا شعيب - من قريتنا هذه أنت ومن معك من الذين صدقوا بك، أو لنرجعن إلى ديننا، قال لهم شعيب مفكرًا ومتعجبًا: أتناهبكم على دينكم ومثلتكم حتى لو كنا كارهين لها لعلنا بيطلان ما أنتم عليه؟

﴿١٨﴾ قد اختلفنا على الله كذبًا إن نحن اعتقدنا ما أنتم عليه من شرك وكفر بعد أن سلمنا الله بفضله منه، وما يصح ولا يستقيم لنا أن نرجع إلى مثلكم الباطلة إلا أن يشاء الله ربنا، لخسوع الجميع لمشيئته سبحانه، أحاط ربنا بعلم كل شيء، لا يخفى عليه منه شيء، على الله وحده اعتمدنا لبيئتنا على الصراط المستقيم، ويعصمنا من طرق الجحيم، يا ربنا، احكم بيننا وبين قومنا الكافرين بالحق، فانصر صاحب الحق المظلوم على الظالم المعاند، فأنت - يا ربنا - خير الحاكمين.

﴿١٩﴾ وقال الكبراء والرؤساء الكافرون من قومه الرافضون لدعوة التوحيد مُحذرين من شعيب ودينه: لئن دخلتم - يا قومنا - في دين شعيب، وتركتم دينكم ودين آبائكم إنكم بذلك لهلكون.

﴿٢٠﴾ فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فأصبحوا هلكى في ديارهم، منكبين على ركبهم ووجوههم، ميتين هامدين في دارهم.

﴿٢١﴾ الذين كذبوا شعيبًا هلكوا جميعًا، وصاروا كأنهم لم يقيموا بدارهم ولم يتمتعوا فيها، الذين كذبوا شعيبًا كانوا هم الخاسرين؛ لأنهم خسروا أنفسهم وما ملكوا، ولم يكن المؤمنون من قومه هم الخاسرين كما ادعى هؤلاء الكافرون المكذبون.

﴿٢٢﴾ وأعرض عنهم نبههم شعيب ﴿٢٢﴾ لَمَّا هَلَكُوا، وقال مخاطبًا إياهم: يا قوم، لقد أبْلَغْتُكُمْ ما أمُرني ربي بإبلاغه إليكم، ونصحت لكم فلم تقبلوا نصحي، ولم تنقادوا لإرشادي، فكيف أحزن على قوم كافرين بالله مصرين على كفرهم؟

﴿٢٣﴾ وما أرسلنا في قرية نبيا من أنبياء الله، فكذب أهلها وكفروا، إلا أخذناهم بالبؤس والفقر والمرض رجاء أن يتدلوا لله فيتركوا ما هم عليه من الكفر والاستكبار. وهذا تحذير لقريش ولكل من كفر وكذب بذكر سُنَّة الله في الأمم المكذبة.

﴿٢٤﴾ ثم بدلناهم بعد الأخذ بالبؤس والمرض خيرا وسعة وأمنًا حتى كثرت أعدادهم، ونمت أموالهم، وقالوا: ما أصابنا من الشر والخير هو عادة مُطَرَّدَة أصابت أسلافنا من قبل، ولم يدركوا أن ما أصابهم من نَقَم يُراد به الاعتبار، وما أصابهم من نعم يُراد به الاستدراج، فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم لا يشعرون بالعذاب ولا يتقربونه.

﴿٢٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من مظاهر إكرام الله لعباده الصالحين أنه فتح لهم أبواب العلم ببيان الحق من الباطل، وبنجاة المؤمنين، وعقاب الكافرين.
- من سُنَّة الله في عباده الإمهال؛ لكي يتعظوا بالأحداث، ويُقلعوا عما هم عليه من معاص وموبقات.
- الابتلاء بالشدة قد يصبر عليه الكثيرون، ويحتمل مشقاته الكثيرون، فأما الابتلاء بالرخاء فالذين يصبرون عليه قليلون.

(٩٦) ولو أن أهل هذه القرى التي أرسلنا إليها رسلنا صَدَّقُوا ما جاءتهم به رسلهم، واتقوا ربهم بترك الكفر والمعاصي وامتنال أوامره لفتحننا عليهم أبواب الخير من كل جهة، ولكنهم لم يصدقوا ولم يتقوا، بل كذبوا بما جاءت به رسلهم، فأخذناهم بالعذاب فجأة بسبب ما كانوا يكسبونه من الآثام والذنوب.

(٩٧) أفأمن أهل هذه القرى المَكْذِبَةُ أن يأتيهم عذابنا ليلاً وهم نائمون مستغرقون في راحتهم وهملتهم؟

(٩٨) أوأمنوا أن يأتيهم عذابنا أول النهار، وهم لاهون غافلون لانشغالهم بديناهم؟

(٩٩) انظروا إلى ما منحهم الله من الإمهال، وأنعم عليهم به من القوة وسعة الرزق استدراجاً لهم؛ أفأمن هؤلاء المكذبون من أهل تلك القرى مكر الله وتدبيره الخفي؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الهالكون، وأما الموفقون فإنهم يخافون مكره، فلا يغترون بما أنعم به عليهم، وإنما يرون منته عليهم، فيشكرونه.

(١٠٠) أولم يتبين للذين يستخلفون في الأرض بعد إهلاك أسلافهم من الأمم بسبب ذنوبهم، ثم لم يعتبروا بما حل بهم، بل عملوا أعمالهم، ألم يتبين لهؤلاء أن الله لو شاء إصابتهم بذنوبهم لأصابهم بها كما هي سُنَّتُهُ؟ ويختم على قلوبهم فلا تتعظ بموعظة، ولا تنفها ذكرى.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ وَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْنَشَاءُ أَصَبَتْ لَهُمُ يَدُنَا بِهِمْ وَتَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

١٦٣

(١٠١) تلك القرى السابقة - وهي قرى أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب - تتلو عليك ونخبرك - أيها الرسول - من أخبارها وما كانت عليه من تكذيب وعناد وما حل بها من هلاك؛ ليكون ذلك عبرة لمن يعتبر، وموعظة لمن يتعظ، ولقد جاءت أهل هذه القرى رسلهم بالبراهين الواضحة على صدقهم، فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به. ومثل ختم الله على قلوب أهل هذه القرى المكذبين برسلهم يختم الله على قلوب الكافرين بمحمد ﷺ، فلا يهتدون للإيمان.

(١٠٢) وما وجدنا لأكثر الأمم التي أُرْسِلَ إليها الرسل من وفاء والتزام بما أوصاهم الله، ولم نجد لهم انقياداً لأوامره، وإنما وجدنا أكثرهم خارجين عن طاعة الله.

(١٠٣) ثم أرسلنا بعد أولئك الرسل موسى ﷺ بحججنا وأدلتنا البينة الدالة على صدقه إلى فرعون وقومه، فما كان منهم إلا أن جحدوا تلك الآيات وكفروا بها، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان عاقبة فرعون وقومه، فقد أهلكهم الله بالغرق، وأتبعهم اللعنة في الدنيا والآخرة.

(١٠٤) وقال موسى لَمَّا بعثه الله إلى فرعون وجاءه: يا فرعون، إني مرسل من خالق الخلق أجمعين ومالكهم ومدير أمورهم.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- الإيمان والعمل الصالح سبب لإفازة الخيرات والبركات من السماء والأرض على الأمة.
- الصلة وثيقة بين سعة الرزق والتقوى، وإن أنعم الله على الكافرين فإن هذا استدراج لهم ومكر بهم.
- على العبد ألا يأمن من عذاب الله المفاجئ الذي قد يأتي في أية ساعة من ليل أو نهار.
- يقص القرآن أخبار الأمم السابقة من أجل تثبيت المؤمنين وتحذير الكافرين.

حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ
جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾ فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِّلنَّازِطِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ
عَلَيْهِمْ ﴿١٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ
﴿٢٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٢١﴾ يَا تَوَكُّ
بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلَيْهِمْ ﴿٢٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَلَمَّا أَنْ
تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿٢٦﴾
* وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٢٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فغلبوا
هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاحِرِينَ ﴿٢٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَاجِدِينَ ﴿٣٠﴾

١٦٤

﴿١٥﴾ قال موسى : ولما كنْتُ مرسلًا منه
فأنا جدير بألا أقول عليه إلا الحق ،
قد جئتكم بحجة واضحة تدل على
صديقي وأني مرسل من ربي إليكم ،
فأطلق معي بني إسرائيل مما كانوا فيه
من الأسر والقهر .

﴿١٦﴾ قال فرعون لموسى : إن كنت
أتيت بآية كما تزعم فأْت بها إن كنت
صادقًا في دعواك .

﴿١٧﴾ فرمى موسى عصاه فتحولت حية
عظيمة ظاهرة لمن يشاهدها .

﴿١٨﴾ وأخرج يده وأظهرها من فتحة
قميصه من عند صدره أو من تحت
إبطه فخرجت بيضاء من غير برص ،
تتلا لأل للناظرين لشدة بياضها .

﴿١٩﴾ وقال الكبراء والرؤساء لما
شاهدوا انقلاب عصا موسى حية
وصيرورة يده بيضاء من غير برص :
ليس موسى إلا ساحرًا قوي العلم
بالسحر .

﴿٢٠﴾ يقصد بما يقوم به أن يخرجكم من
أرضكم هذه ، وهي مصر . ثم
استشارهم فرعون بشأن موسى ﴿٢١﴾
قائلًا لهم : ماذا تشيرون به عليّ من
الرأي ؟

﴿٢٢﴾ قالوا لفرعون : أخّر موسى وأخاه
هارون ، وابْتَئِثْ في مدائن مصر من
يجمع السحرة فيها .

﴿٢٣﴾ يَأْتِكَ هؤلاء الذين أرسلتهم لجمع
السحرة من المدائن بكل ساحر ماهر
بالسحر قوي في صناعته .

﴿٢٤﴾ فبعث فرعون من يجمع السحرة ، فلما جاء السحرة فرعون سألوه : هل لهم مكافأة إن غلبوا موسى بسحرهم
وانتصروا عليه ؟

﴿٢٥﴾ فأجابهم فرعون بقوله : نعم ، إن لكم مكافأة وأجرًا ، وستكونون من القريبين بالمناصب .

﴿٢٦﴾ قال السحرة واثقين بنصرهم على موسى باستعلاء وتكبر : اختر - يا موسى - ما شئت من ابتدائك بإلقاء ما تريد
إلقاءه أو ابتدائنا بذلك .

﴿٢٧﴾ فأجابهم موسى واثقًا بنصر ربه له غير مبال بهم : ارموا حبالكم وعصيكم ، فلما ألقوها سحروا أعين الناس
بصرفها عن صحة إدراكها ، وأرعبوهم ، وجاؤوا بسحر قوي في أعين الناظرين .

﴿٢٨﴾ وأوحى الله إلى نبيه وكلّمه موسى ﴿٢٩﴾ : أن ارم - يا موسى - عصاك ، فرماها ، فانقلبت العصا حية تبتلع
حبالهم وعصيهم التي كانوا يستعملونها في قلب الحقائق ، وإيهام الناس أنها حيات تسعى .

﴿٣٠﴾ فظهر الحق وتبين صدق ما جاء به موسى ﴿٣١﴾ ، وتبين بطلان ما صنعه السحرة من السحر .

﴿٣٢﴾ فغلبوا وهزموا ، وانتصر موسى عليهم في ذلك المشهد ، ورجعوا أذلاء مقهورين .

﴿٣٣﴾ فما كان من السحرة حين شاهدوا عظيم قدرة الله ، ورأوا الآيات البينات ، إلا أن خروا سُجَّدًا له ﴿٣٤﴾ .

﴿٣٥﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ ،

- من حكمة الله ورحمته أن جعل آية كل نبي مما يدركه قومه ، وقد تكون من جنس ما برعوا به .
- أن فرعون كان عبدًا ذليلًا مهينًا عاجزًا ، وإلا لما احتاج إلى الاستعانة بالسحرة في دفع موسى ﴿٣٥﴾ .
- يدل على ضعف السحرة - مع اتصالهم بالشياطين التي تلبّي مطالبهم - طلبهم الأجر والجاه عند فرعون .

(١٣١) قال السحرة: آمنا برب الخلق أجمعين .

(١٣٢) رب موسى وهارون ؑ، فهو المستحق للعبادة دون غيره من الآلهة المزعومة .

(١٣٣) قال لهم فرعون متوعدا إياهم بعد إيمانهم بالله وحده: صدقتُم بموسى قبل أن أذن لكم؟ إن إيمانكم به وتصديقكم ليما جاء به موسى للخدعة ومكيدة دبّرتموها أنتم وموسى لإخراج أهل المدينة منها، فسوف تعلمون - أيها السحرة - ما يحل بكم من عقاب وما يصيبكم من نكال .

(١٣٤) لأقطعن من كل واحد منكم يده اليمنى ورجله اليسرى أو يده اليسرى ورجله اليمنى، ثم لأعلقنكم جميعاً على جذوع النخل تنكيلاً بكم وترهيباً لكل من يشاهدكم على هذه الحالة .

(١٣٥) قال السحرة رداً على وعيد فرعون: إنا إلى ربنا وحده راجعون، فلا نبالي بما تتوعد به .

(١٣٦) ولست تنكر منا ونجد علينا - يا فرعون - إلا تصديقنا بآيات ربنا لَمَّا جاءتنا على يد موسى، فإن كان هذا ذنباً يُعَابُ به فهو ذنبنا، ثم توجهوا إلى الله بالدعاء قائلين في تضرع: يا ربنا، صُب علينا الصبر حتى يغمرنا لنثبت على الحق، أمثنا مسلمين لك، منقادين لأمرك، متبعين لرسولك .

(١٣٧) وقال السادة والكبراء من قوم فرعون لفرعون، محرضين إياه على موسى ومن معه من المؤمنين: أترك - يا

فرعون - موسى وقومه لينشروا الفساد في الأرض، وليتركك أنت وآلهتك، ويدعو إلى عبادة الله وحده؟ قال فرعون: سَقُتْ أبناء بني إسرائيل الذكور، ونسبتي نساءهم للخدمة، وإنا مستعلون عليهم بالقهر والغلبة والسلطان .

(١٣٨) قال موسى موصياً قومه: يا قوم، اطلبوا العون من الله وحده في دفع الضر عنكم وجلب النفع إليكم، واصبروا على ما أنتم فيه من الابتلاء، فإن الأرض لله وحده، وليست لفرعون ولا غيره حتى يتحكم فيها، والله يداولها بين الناس حسب مشيئته، ولكن العاقبة الحسنة في الأرض للمؤمنين الذين يمثلون أوامر ربهم ويجتنبون نواهيه، فهي لهم وإن أصابهم ما أصابهم من محن وابتلاءات .

(١٣٩) قال قوم موسى من بني إسرائيل لموسى ؑ: يا موسى اثبتنا على يد فرعون بقتل أبنائنا واستيقاء نساتنا من قبل مجيئك إلينا ومن بعده، قال لهم موسى ؑ: ناصحاً لهم، ومُبَشِّراً بالفرج: لعل ربكم يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويُثَبِّت لكم في الأرض من بعدهم، فينظر ما تعملون بعد ذلك من شكر أو كفر .

(١٤٠) ولقد عاقبنا آل فرعون بالجدب والقحط، واختبرناهم بنقص ثمار الأرض وغلاتها؛ رجاء أن يتذكروا ويتعظوا بأن ما جاءهم من ذلك إنما هو عقاب لهم على كفرهم . فیتوبوا إلى الله .

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ :

- موقف السحرة وإعلان إيمانهم بجرأة وصراحة يدلّ على أَنَّ الإنسان إذا تجرّد عن هواه، وأذعن للعقل والفكر السليم يادر إلى الإيمان عند ظهور الأدلة عليه .
- أهل الإيمان بالله وایوم الآخر هم أشدّ الناس حزمًا، وأكثرهم شجاعة وصبرًا في أوقات الأزمات والمحن والحروب .
- المنتفعون من السّلطة يُحرّضون ويُهَيِّجون السّلطان لمواجهة أهل الإيمان؛ لأنّ في بقاء السّلطان بقاء لمصالحهم .
- من أسباب حبس الأمطار وغلاء الأسعار: الظلم والفساد .

قَالُوا أَمَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٣٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ ؕ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ؕ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَّرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ؕ فَسَوْفَ نَعْمُونَ ﴿١٣٣﴾ لَا قُطْعَنَ أَيِّدِكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ؕ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٣٥﴾ وَمَا نَقِمْ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ ؕ تَرَىٰ آفَرِغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوْفَنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٣٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ ۚ ؕ ءَوَيْتَ الْهَيْكَ قَالَ سَنَقْتُلُنَ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ؕ وَإِنَّا لَفَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٣٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۚ ؕ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ قَالُوا أَوْذَيْنَا مِّنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِنَا وَهِيَ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٤٠﴾

فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾ وَقَالُوا آمَهَمَاتَانِ تَأْتِيَاهُ مِنْ آيَةٍ لِّلشَّحَرَانِيَّاهُ فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٧﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَءَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجُّ قَالُوا لِمُوسَى اذْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيْنَ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجَّ لِنُؤْمِنَ لَكَ وَلِتُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٦٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَّ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٧٠﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٧١﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٧٢﴾

١٦٦

﴿١٦٦﴾ فإذا جاء آل فرعون الخصبُ وصلاح الثمار ورخص الأسعار قالوا: أعطينا هذه لاستحقاقنا لها واختصاصنا بها، وإن ينزلهم أو تُصيبهم مصيبة من جَدْب وقُحْط وكثرة أمراض وغيرها من الرزايا يتشاءموا بموسى ومن معه من بني إسرائيل، والحق أن ما يصيبهم من ذلك كله إنما هو بتقدير من الله سبحانه، وليس لهم ولا لموسى ﴿١٦٧﴾ شأن فيه إلا ما كان من دعاء موسى عليهم، ولكن أكثرهم لا يعلمون، فينسبونه إلى غير الله.

﴿١٦٧﴾ وقال قوم فرعون لموسى ﴿١٦٨﴾ عنادًا للحق: أي آية ودلالة جئتنا بها، وأي حجة أقمتها على بطلان ما عندنا لتصرفنا عنه، وعلى صدق ما جئت به؛ فلن نُصَدِّقْ بك.

﴿١٦٩﴾ فأرسلنا عليهم الماء الكثير عقابًا لهم على تكذيبهم وعنادهم، فأغرق زروعهم وثمارهم، وأرسلنا عليهم الجراد فأكل محاصيلهم، وأرسلنا عليهم دويبة تسمى القمل تصيب الزرع أو تؤذي الإنسان في شعره، وأرسلنا عليهم الضفادع فملأت أوعيتهم، وأفسدت أطعمتهم، وأزقت مضاجعهم، وأرسلنا عليهم الدم فتحولت مياه آبارهم وأنهارهم دماء، أرسلنا كل ذلك آيات مبينات مفصلات يتبع بعضها بعضًا، ومع كل ما أصابهم من العقوبات استعملوا عن الإيمان بالله والتصديق بما جاء به موسى ﷺ، وكانوا قومًا يرتكبون المعاصي، ولا ينزعون عن باطل، ولا يهتدون إلى حق.

﴿١٧٠﴾ ولما أصابهم العذاب بهذه الأمور

اتجهوا إلى موسى ﷺ، فقالوا له: يا موسى، ادع لنا ربك بما اختصك به من النبوة، وبما عهد إليك من رفع العذاب بالنبوة أن يرفع عنا ما أصابنا من العذاب، فإن رفعت عنا ذلك لنؤمنن بك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، ونطلقهم.

﴿١٧١﴾ فلما رفعنا عنهم العذاب إلى مدة معلومة قبل إهلاكهم بالغرق إذا هم ينقضون ما أخذوه على أنفسهم من التصديق وإرسال بني إسرائيل، فاستمروا على كفرهم، وامتنعوا من إرسال بني إسرائيل مع موسى ﷺ.

﴿١٧٢﴾ فلما حل الأجل المحدد لإهلاكهم أنزلنا عليهم نقمتنا بإغراقهم في البحر بسبب تكذيبهم بآيات الله وإعراضهم عما دلت عليه من الحق الذي لا مرية فيه.

﴿١٧٣﴾ وأورثنا بني إسرائيل الذين كان يستذلهم فرعون وقومه مشارق الأرض ومغاربها، والمقصود بذلك بلاد الشام، هذه البلاد التي بارك الله فيها بإخراج زروعها وثمارها على أكمل ما يكون، وتمت كلمة ربك - أيها الرسول - الحسنى وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَغْنَوْا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلَهُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الفصل: ٥]، فمَنَّ الله لهم في الأرض بسبب صبرهم على ما أصابهم من أذى فرعون وقومه، ودمرنا ما كان يصنع فرعون من المزارع والمسكن، وما كانوا يبنون من القصور.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

- الخير والشر والحسنات والسيئات كلها بقضاء الله وقدره، لا يخرج منها شيء عن ذلك.
- شأن الناس في وقت المحنة والمصائب اللجوء إلى الله بدافع نداء الإيمان القطري.
- يحسن بالمؤمن تأمل آيات الله وسننه في الخلق، والتدبر في أسبابها ونتائجها.
- تتلشى قوة الأفراد والدول أمام قوة الله العظمى، والإيمان بالله هو مصدر كل قوة.
- يكافئ الله تعالى عباده المؤمنين الصابرين بأن يمتكّنهم في الأرض بعد استضعافهم.

وَجَوْرًا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ
عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا
لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٧٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرُ
مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٩﴾ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ
أَبْغِيكُمْ إِلَهًا هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ وَإِذْ أَبْحَنَّاكُمْ
مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٨١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِّمَّقَتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ
مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٨٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ
رَبُّهُ وَقَالَ رَبِّ ارْفُتْ أَنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِن
أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ وَفَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا
تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا
أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٣﴾

١٦٧

﴿١٧٨﴾ وَعَبَّرْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ لَمَّا
ضربه موسى بعصاه فانقلبوا، فمروا
على قوم يقيمون على عبادة أصنام لهم
يعبدونها من دون الله، فقال بنو
إسرائيل لموسى ﴿١٧٩﴾: يا موسى،
اجعل لنا صنمًا نعبد كما لهؤلاء
أصنام يعبدونها من دون الله، قال لهم
موسى: يا قوم، إنكم قوم تجهلون ما
يجب لله من تعظيم وتوحيد، وما لا
يليق به من شرك وعبادة لغيره.

﴿١٨٠﴾ إن هؤلاء المقيمين على عبادة
أصنامهم مُهْلِكٌ ما هم فيه من عبادة
غيره، وباطل جميع ما كانوا يعملون
من طاعة لإشراكهم في العبادة مع الله
غيره.

﴿١٨١﴾ قال موسى لقومه: يا قوم، كيف
أطلب لكم إلها غير الله تعبدونه، وقد
شاهدتم من آياته العظام ما شاهدتم،
وهو ﴿١٨٢﴾: فضلكم على العالمين في
زمانكم بما أنعم به عليكم من إهلاك
عدوكم، واستخلافكم في الأرض،
والتمكين لكم فيها؟!!

﴿١٨٣﴾ واذكروا - يا بني إسرائيل - حين
أنجيناكم بإنقاذكم من استدلال فرعون
وقومه لكم، إذ كانوا يذيقونكم أنواع
الهوان من تقتيل أبنائكم الذكور،
واستبقاء نساءكم للخدمة، وفي إنقاذكم
من فرعون وقومه اختبار عظيم من
ربكم يقتضي منكم الشكر.

﴿١٨٤﴾ ووعد الله رسوله موسى لمناجاة
ثلاثين ليلة، ثم أكملها الله بزيادة عشر، فصارت أربعين ليلة، وقال موسى لأخيه هارون لما أراد الذهاب لمناجاة
ربه: يا هارون، كن خليفة لي في قومي، وأصلح أمرهم بحسن السياسة والرفق بهم، ولا تسلك طريق المفسدين
بارتكاب المعاصي، ولا تكن معينًا للعصاة.

﴿١٨٥﴾ وحين جاء موسى لمناجاة ربه في الموعد المضروب له، وهو تمام أربعين ليلة، وكَلَّمَهُ ربه بما كَلَّمَهُ به من
الأوامر والنواهي وغيرها، تأقت نفسه إلى رؤية ربه، فسأله أن ينظر إليه، فأجابه الله ﴿١٨٦﴾: لن تراني في الحياة
الدنيا؛ لعدم قدرتك على ذلك، لكن انظر إلى الجبل إذا تجلّيت له فإن بقي مكانه لم يتأثر فسوف تراني، وإن صار
مستويًا بالأرض فلن تراني في الدنيا، فلما تجلّى الله للجبل جعله مستويًا بالأرض، وسقط موسى مُغْشًيًا عليه، فلما
أفاق من الغشية التي أصابته قال: أنزهك - يا رب - تزيتها عن كل ما لا يليق بك، ها أنا تبت إليك مما سألتك من
رؤيتك في الدنيا، وأنا أول المؤمنين من قومي.

﴿١٨٧﴾ مِن قَوْلِهِ الْآيَاتِ.

- تؤكد الأحداث أن بني إسرائيل كانوا ينتقلون من ضلالة إلى أخرى على الرغم من وجود نبي الله موسى بينهم.
- من مظاهر خذلان الأمة أن تُحَسَّنَ القبيح، وتُقَبَّحَ الحسن بمجرد الرأي والأهواء.
- إصلاح الأمة وإغلاق أبواب الفساد هدف سام للأنبياء والدعاة.
- قضى الله تعالى ألا يراه أحد من خلقه في الدنيا، وسوف يكرم من يحب من عباده برؤيته في الآخرة.

﴿١٤٦﴾ قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى: يَا مُوسَى، إِنِّي اخترتك وفضلتك على الناس برسالاتي حين أرسلتك إليهم، وفضلتك بكلامي لك دون واسطة، فخذ ما أعطيتك من هذا الشرف الكريم، وكن من الشاكرين لله على هذا العطاء العظيم.

﴿١٤٧﴾ وكتبنا لموسى في ألواح من خشب أو غيره من كل ما يحتاجه بنو إسرائيل من أمور دينهم ودنياهم موعظة لمن يتعظ منهم، وتفصيلاً للأحكام التي يحتاج إلى تفصيلها، فخذ هذه التوراة - يا موسى - بجهد واجتهاد، وأمر قومك بني إسرائيل أن يأخذوا بأحسن ما فيها مما أجره أعظم كفعل المأمور به على أكمل وجه، وكالصبر والعفو، سأريكم عاقبة من خالف أمري، وخرج عن طاعتي، وما يصير إليه من الهلاك والدمار.

﴿١٤٨﴾ سأصرف عن الاعتبار بآياتي في الآفاق والأنفس، وعن فهم آيات كتابي؛ الذين يستعملون على عباد الله وعلى الحق بغير حق، وإن يروا كل آية لا يصدقوا بها؛ لا اعتراضهم عليها وإعراضهم عنها، ولمخادبتهم الله ورسوله، وإن يروا طريق الحق الموصّل إلى مرضاة الله لا يسلكوه، ولا يرغبوا فيه، وإن يروا طريق الغواية والضلال الموصّل إلى سخط الله يسلكوه، ذلك الذي أصابهم إنما أصابهم لتكذيبهم بآيات الله

قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٧﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلاًَّ آيَةٍ لَا يَأْمِنُوهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ وَلَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرَحْمَنُ رَبَّنَا لَنَفْخِرَنَّ لَكَ كُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥١﴾

١٦٨

العظيمة الدالة على صدق ما جاء به الرسل، ولغفلتهم عن النظر فيها.

﴿١٥٢﴾ والذين كذبوا بآياتنا الدالة على صدق رسلنا، وكذبوا بقاء الله يوم القيامة، بطلت أعمالهم التي هي من جنس الطاعات، فلا يُثابون عليها لفقد شرطها الذي هو الإيمان، ولا يجزون يوم القيامة إلا ما كانوا يعملونه من الكفر بالله والشرك به، وجزاء ذلك الخلود في النار.

﴿١٥٣﴾ ووضع قوم موسى من بعد ذهابه لمناجاة ربه من حُلِيِّهم تمثالَ عِجَلٍ لا روح فيه وله صوت، ألم يعلموا أن هذا العجل لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى طريق خير حسي أو معنوي، ولا يجلب لهم نفعاً أو يكشف عنهم ضرراً؟ اتخذوه معبوداً وكانوا ظالمين لأنفسهم بذلك.

﴿١٥٤﴾ ولما تدموا وتحيروا وعلموا أنهم قد ضلوا عن الصراط المستقيم باتخاذهم العجل معبوداً مع الله تضرعوا إلى الله فقالوا: لئن لم يرحمنا ربنا بالتوفيق لطاعته، ويغفر لنا ما أقدمنا عليه من عبادة العجل، لنكونن من الذين خسروا دنياهم وآخرتهم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- على العبد أن يكون من المُطَهِّرِينَ لإحسان الله وفضله عليه، فإن الشكر مقرون بالمزيد.
- على العبد الأخذ بالأحسن في الأقوال والأفعال.
- يجب تلقي الشريعة بحزم وجد وعزم على الطاعة وتنفيذ ما ورد فيها من الصلاح والإصلاح ومنع الفساد والإفساد.
- على العبد إذا أخطأ أو قصّر في حق ربه أن يعترف بعظيم الجُرم الذي أقدم عليه، وأنه لا ملجأ من الله في إقالته عثرته إلا إليه.

﴿١٥٦﴾ ولما عاد موسى من مناجاة ربه إلى قومه ممثلاً عليهم غضباً وحزناً لما وجدهم عليه من عبادة العجل قال: بشت الحالة التي خلقتُموني - يا قوم - بها بعد ذهابي عنكم؛ لما تؤديه من الهلاك والشقاء، أمليتُم من انتظاري، فأقدمتم على عبادة العجل؟ ورمى الألواح من شدة ما أصابه من الغضب والحزن، وأمسك برأس أخيه هارون ولحيته يسحبه إليه لبقائه معهم وعدم تغييره لما رآهم عليه من عبادة العجل، قال هارون معتذراً إلى موسى مستعطفاً إياه: يا ابن أمي، إن القوم حسبوني ضعيفاً فاستذلوني، وأوشكوا أن يقتلوني، فلا تعاقبني بعقوبة تسرُّ أعدائي، ولا تصيرني بسبب غضبك عليّ في عداد الظالمين من القوم بسبب عبادتهم غير الله.

﴿١٥٧﴾ فدعا موسى ربه: يا رب اغفر لي، ولأخي هارون، وأدخلنا في رحمتك واجعلها تحيط بنا من كل جانب، وأنت - يا ربنا - أرحم بنا من كل راحم.

﴿١٥٨﴾ إن الذين صيروا العجل إلهاً يعبدونه سيصيبهم غضب شديد من ربهم، وهوان في هذه الحياة لإغصابهم ربهم واستهانتهم به، وبمثل هذا الجزاء نجزي المختلفين الكذب على الله.

﴿١٥٩﴾ والذين عملوا السيئات من الشرك بالله، وفعل المعاصي، ثم تابوا إلى الله بأن آمنوا به، وانتهوا عما كانوا

يعملونه من المعاصي، إن ربك - أيها الرسول - من بعد هذه التوبة والرجوع من الشرك إلى الإيمان، ومن المعاصي إلى الطاعة، لغفور لهم بالتستر والتجاوز، رحيم بهم.

﴿١٦٠﴾ ولما سكن عن موسى ﷺ الغضب وهذا أخذ الألواح التي رماها بسبب الغضب، وهذه الألواح مشتملة على الهداية من الضلال وبيان الحق، ومشتملة على الرحمة للذين يخشون ربهم، ويخافون عقابه.

﴿١٦١﴾ واصطفى موسى سبعين رجلاً من خيار قومه ليعتدروا إلى ربهم مما فعله سفهاؤهم من عبادة العجل، ووعدهم الله ميقاتاً يحضرون فيه، فلما حضروا تجرؤوا على الله، وطلبوا من موسى أن يريهم الله عياناً، فأخذتهم الزلزلة فصعقوا من هولها وهلكوا، فتضرع موسى إلى ربه، فقال: يا رب، لو شئت إهلاكهم وإهلاكهم معي من قبل مجيئهم لأهلكتهم، أتهلكنا بسبب ما فعله خفاف العقول منا؟ فما قام به قومي من عبادة العجل ما هو إلا ابتلاء واختبار تضل به من تشاء، وتهدي من تشاء، أنت متولي أمرنا فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك الواسعة، وأنت خير من غفر ذنباً، وعفا عن إثم.

﴿١٦٢﴾ من قوالب الآيات،

• في الآيات دليل على أن الخطأ في الاجتهاد مع وضوح الأدلة لا يعذر فيه صاحبه عند إجراء الأحكام عليه، وهو ما يسميه الفقهاء بالتأويل البعيد.

• من آداب الدعاء البدء بالنفس، حيث بدأ موسى ﷺ دعاءه فطلب المغفرة لنفسه تأدباً مع الله فيما ظهر عليه من الغضب، ثم طلب المغفرة لأخيه فيما عسى أن يكون قد ظهر منه من تفریط أو تساهل في ردع عبدة العجل عن ذلك.

• التحذير من الغضب وسلطته على عقل الشخص، ولذلك نسب الله له فعل السكوت كأنه هو الأمر والنهي.

• ضرورة التوقي من غضب الله، وخوف بطشه، فانظر إلى مقام موسى ﷺ عند ربه، وانظر خشيته من غضب ربه.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِسْمَا خَلَقْتُمُونِي
مِنْ بَعْدِي أَفَعْلِمْتُمْ أَمْرِي بِكُمْ وَاللَّيْ أَلْأَوْحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ بِحُزْنٍ إِلَى إِلَهِهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا
يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْهِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿١٥٦﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ
وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ الْعَجَلِ سَيِّئَاتِهِمْ
غَضِبَ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٨﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٩﴾
وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَوْحَ وَفِي نُسخَتِهَا
هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ بَرَّهْبُونَ ﴿١٦٠﴾ وَاخْتَارَ مُوسَى
قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ
رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَهْلَكَنَا بِمَا فَعَلَ
السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي
مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٦١﴾

يعملونه من المعاصي، إن ربك - أيها الرسول - من بعد هذه التوبة والرجوع من الشرك إلى الإيمان، ومن المعاصي إلى الطاعة، لغفور لهم بالتستر والتجاوز، رحيم بهم.

﴿١٦٠﴾ ولما سكن عن موسى ﷺ الغضب وهذا أخذ الألواح التي رماها بسبب الغضب، وهذه الألواح مشتملة على الهداية من الضلال وبيان الحق، ومشتملة على الرحمة للذين يخشون ربهم، ويخافون عقابه.

﴿١٦١﴾ واصطفى موسى سبعين رجلاً من خيار قومه ليعتدروا إلى ربهم مما فعله سفهاؤهم من عبادة العجل، ووعدهم الله ميقاتاً يحضرون فيه، فلما حضروا تجرؤوا على الله، وطلبوا من موسى أن يريهم الله عياناً، فأخذتهم الزلزلة فصعقوا من هولها وهلكوا، فتضرع موسى إلى ربه، فقال: يا رب، لو شئت إهلاكهم وإهلاكهم معي من قبل مجيئهم لأهلكتهم، أتهلكنا بسبب ما فعله خفاف العقول منا؟ فما قام به قومي من عبادة العجل ما هو إلا ابتلاء واختبار تضل به من تشاء، وتهدي من تشاء، أنت متولي أمرنا فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك الواسعة، وأنت خير من غفر ذنباً، وعفا عن إثم.

﴿١٦٢﴾ من قوالب الآيات،

• في الآيات دليل على أن الخطأ في الاجتهاد مع وضوح الأدلة لا يعذر فيه صاحبه عند إجراء الأحكام عليه، وهو ما يسميه الفقهاء بالتأويل البعيد.

• من آداب الدعاء البدء بالنفس، حيث بدأ موسى ﷺ دعاءه فطلب المغفرة لنفسه تأدباً مع الله فيما ظهر عليه من الغضب، ثم طلب المغفرة لأخيه فيما عسى أن يكون قد ظهر منه من تفریط أو تساهل في ردع عبدة العجل عن ذلك.

• التحذير من الغضب وسلطته على عقل الشخص، ولذلك نسب الله له فعل السكوت كأنه هو الأمر والنهي.

• ضرورة التوقي من غضب الله، وخوف بطشه، فانظر إلى مقام موسى ﷺ عند ربه، وانظر خشيته من غضب ربه.

* وَكَتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْنَا قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي
وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِنَا يُوْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
الْثُورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ
قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

١٧٠

﴿١٥٦﴾ واجعلنا من الذين أكرمهم في هذه الحياة بالنعم والعافية ووفقتهم للعمل الصالح، ومن أعددت لهم الجنة من عبادك الصالحين في الآخرة، إنا تبنا إليك، ورجعنا مُقرِّين بتقصيرنا، قال الله تعالى: عذابي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ممن يعمل بأسباب الشقاء، ورحمتي شملت كل شيء في الدنيا؛ فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وعَمَّرَهُ فضله وإحسانه، فسأكتب رحمتي في الآخرة للذين يتقون الله بامتنثال أوامره واجتناب نواهيه، والذين يعطون زكاة أموالهم مستحقها، والذين هم بآياتنا يؤمنون.

﴿١٥٧﴾ الذين يتبعون محمداً ﷺ، وهو النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وإنما يوحى إليه ربه، وهو الذي يجدون اسمه وصفاته وما أنزل إليه مكنوياً في التوراة المُنزَّلة على موسى ﷺ، والإنجيل المُنزَّل على عيسى ﷺ، يأمرهم بما عَرِفَ حسنه وصلحه، وينهاهم عما عَرِفَ قبحه في العقول الصحيحة والفطر السليمة، ويبيح لهم المُسْتَلَذَّات مما لا ضرر فيه من المطاعم والمشارب والمناكح، ويحرم عليهم المُسْتَحْبَثَات منها، ويزيل عنهم التكاليف الشاقة التي كانوا يُكَلِّفُونَهَا، كوجوب قتل القاتل سواء كان القتل عمداً أم خطأ، فالذين آمنوا به من بني إسرائيل ومن غيرهم، هم عظموه ووَقَّروْهُ، ونبطون ما يطلبونه، ويُجَنَّبُونَ ما يرهبونه.

﴿١٥٨﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعاً، عربكم وعجمكم، الذي له وحده ملك السموات، وله ملك الأرض، لا معبود بحق غيره سبحانه، يُحْيِي الموتي، ويميت الأحياء، فآمنوا - أيها الناس - بالله، وآمنوا بمحمد ﷺ رسوله النبي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وإنما جاء بوحى يوحى إليه ربه، الذي يؤمن بالله، ويؤمن بما أنزل إليه وما أنزل على النبيين من قبله دون تفریق، وَاتَّبِعُوهُ فيما جاء به من ربه؛ رجاء أن تهتدوا إلى ما فيه مصلحتكم في الدنيا والآخرة. وَلَمَّا ذكر الله ما ذكر عن بني إسرائيل من عبادة العجل ذكر سبحانه أن منهم أمة مخالفة لما عليه الذين عبدوا العجل، فقال:

﴿١٥٩﴾ ومن قوم موسى من بني إسرائيل جماعة مستقيمة على الدين الصحيح، يدلون الناس عليه، ويحكمون بالعدل فلا يجورون.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تَضَمَّنَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ أدلة ظاهرة على بعثة النبي محمد ﷺ وعلى صدقه.
- رحمة الله وسعت كل شيء، ولكن رحمة الله عباده ذات مراتب متفاوتة، تتفاوت بحسب الإيمان والعمل الصالح.
- الدعاء قد يكون مُجْمَلاً وقد يكون مُفَصَّلاً حسب الأحوال، وموسى في هذا المقام أجمل في دعائه.
- من صور عدل الله ﷻ إنصافه للقلَّة المؤمنة، فذكر صفات بني إسرائيل المنافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توفهم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية.

وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا أَمْمَاءً وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ
 مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ
 فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
 مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ
 الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا
 ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٦﴾
 وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُفُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا
 حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا
 نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٧﴾
 فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ
 لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
 يَظْلِمُونَ ﴿١٦٨﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ
 حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
 حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ
 كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٩﴾

١٧١

﴿١٦٦﴾ وقسمنا بني إسرائيل اثنتي عشرة
 قبيلة، وأوحينا إلى موسى حين طلب
 منه قومه أن يدعو الله أن يسقيهم: أن
 اضرب - يا موسى - بعصاك الحجر،
 فضربه موسى، فانفجرت منه اثنتا
 عشرة عينًا بعدد قبائلهم الاثني عشرة،
 قد علمت كل قبيلة منهم مشربها
 الخاص بها، فلا تشترك معها فيه قبيلة
 أخرى، وظللنا عليهم السحاب يسير
 بسيرهم، ويتوقف يتوقفهم، وأنزلنا
 عليهم من نعمنا شرابًا حلوا مثل
 العسل وطائرًا صغيرًا طيب اللحم يشبه
 السَّمَانِي، وقلنا لهم: كلوا من طيبات
 ما رزقناكم، وما نقصونا شيئًا بما وقع
 منهم من الظلم وكفران النعم، وعدم
 تقديرها حق قدرها، ولكن كانوا
 أنفسهم يظلمون بنقص حظوظها حين
 أوردوها موارد الهلاك بما ارتكبوه من
 مخالفة أمر الله والشكر لنعمه.

﴿١٦٧﴾ واذكر - أيها الرسول - حين
 قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا بيت
 المقدس، وكلوا من ثمار قريته من أي
 مكان منه وفي أي وقت شئتم،
 وقولوا: يا ربنا، حط عنا خطايانا،
 وادخلوا الباب راكعين خاضعين
 لربكم؛ فإن فعلتم ذلك تتجاوزنا عن
 ذنوبكم، وسنزيد المحسنين من خيري
 الدنيا والآخرة.

﴿١٦٨﴾ فغيّر الظالمون منهم القول الذي
 أمروا به فقالوا: حبة في شعيرة،

عوضًا عما أمروا به من طلب المغفرة، وغيروا الفعل الذي أمروا به، فدخلوا يزحفون على أديبارهم بدلًا من
 الدخول خاضعين لله مُقْنِعِي رؤوسهم، فأرسلنا عليهم عذابًا من السماء بسبب ظلمهم.

﴿١٦٩﴾ واسأل - أيها الرسول - اليهود تذكيرًا لهم بما عاقب الله به أسلافهم عن قصة القرية التي كانت بقرب البحر
 حين كانوا يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت بعد نهيمهم عنه حين ابتلاهم الله بأن صارت الأسماك تأتيهم
 ظاهرة على وجه البحر يوم السبت، وفي سائر الأيام لا تأتيهم، ابتلاهم الله بذلك بسبب خروجهم عن الطاعة
 وارتكابهم المعاصي، فاحتالوا لصيده بأن نصبوا شباكهم، وحفروا حفرهم، فكانت الحيتان تقع فيها يوم السبت،
 فإذا كان يوم الأحد أخذوها وأكلوها.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الجحود والكفران سبب في الحرمان من النعم.

• من أسباب حلول العقاب ونزول العذاب التحايل على الشرع؛ لأنه ظلم وتجاوز لحدود الله.

• كتب الله على بني إسرائيل الذلة والمسكنة، وتأذن بأن يبعث عليهم كل مدة من يذيقهم العذاب بسبب ظلمهم
 وانحرافهم.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾
فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّانِهِمْ أَعْنَاهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَسْجَعَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْيَقِينَةِ مَن يسُوءُهُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾
وَقَطَّعَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ
دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ
يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ
يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيثَاقُ الْكِتَابِ
أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَىٰ
خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

١٧٢

﴿١٦٤﴾ واذكر - أيها الرسول - حين كانت جماعة منهم تنهاهم عن هذا المنكر، وتحذروهم منه، فقالت لها جماعة أخرى: لِمَ تنصحون جماعةً الله مُهلكها في الدنيا بما ارتكبت من المعاصي، أو معذبها يوم القيامة عذاباً شديداً؟ قال الناصحون: نصيحتنا لهم معذرة إلى الله بفعل ما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يؤاخذنا بترك ذلك، ولعلهم ينتفعون بالموعظة، فيقبلون عما هم فيه من المعصية.

﴿١٦٥﴾ فلما أعرض العصاة عما ذكَّروهم به الواعظون، ولم يكفوا، أنجينا الذين نهوا عن المنكر من العذاب، وأخذنا الذين ظلموا باعتدائهم بالصيد يوم السبت بعذاب شديد بسبب خروجهم عن طاعة الله وإصرارهم على المعصية.

﴿١٦٦﴾ فلما تجاوزوا الحد في عصيان الله تكبراً وعناداً، ولم يتعظوا، قلنا لهم: أيها العصاة، كونوا قردة أذلاء؛ فكانوا كما أردنا، إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له: كن، فيكون.

﴿١٦٧﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ أعلم الله إعلاماً صريحاً لا لبس فيه ليسطن على اليهود من يذلهم ويهينهم في حياتهم الدنيا إلى يوم القيامة، إن ربك - أيها الرسول - لسريع العقاب لمن عصاه، حتى إنه قد يُعجل له العقوبة في الدنيا، وإنه لغفورٌ لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٦٨﴾ وفرقناهم في الأرض، ومزقناهم فيها طوائف، بعد أن كانوا مجتمعين، منهم الصالحون القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، ومنهم المفسدون، ومنهم المسرفون على أنفسهم بالمعاصي، واختبرناهم باليسر والعسر رجاء أن يرجعوا عما هم فيه.

﴿١٦٩﴾ فجاء من بعد هؤلاء أهل سُوءٍ يخلفونهم، أخذوا التوراة من أسلافهم، يقرؤونها ولا يعملون بما فيها، يأخذون متاع الدنيا الرديء رشوةً لتحريفهم كتاب الله، والحكم بغير ما أنزل فيه، ويؤمنون أنفسهم بأن الله سيغفر لهم ذنوبهم، وإن يأتهم متاع دنيوي زهيد يأخذوه مرة بعد مرة، ألم يأخذ الله العهود والمواثيق على هؤلاء ألا يقولوا على الله إلا الحق دون تحريف أو تبديل؟! ولم يكن تركهم للعمل بالكتاب عن جهل، بل كان على علم، فقد قرأوا ما فيه وعلموه، فذنبهم أشد، والدار الآخرة وما في الدار الآخرة من نعيم دائم خيرٌ من ذلك المتاع الزائل للذين يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون هذا المتاع الزهيد أن ما أعدّه الله للمتقين في الآخرة خير وأبقى؟!

﴿١٧٠﴾ والذين يتمسكون بالكتاب، ويعملون بما فيه، وقيمون الصلاة بالمحافظة على أوقاتها وشروطها وواجباتها وسننها، سيجازيهم الله على أعمالهم، فالله لا يضيع أجر من عمل صالح.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- إذا نزل عذاب الله على قوم بسبب ذنوبهم ينجو منه من كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيهم.
- يجب الحذر من عذاب الله؛ فإنه قد يكون رهيباً في الدنيا، كما فعل سبحانه بطائفة من بني إسرائيل حين مَسَّحَهُمْ قِرْدَةً بسبب تمردهم.
- نعيم الدنيا مهما بدا أنه عظيم فإنه قليل تافه بجانب نعيم الآخرة الدائم.
- أفضل أعمال العبد بعد الإيمان إقامة الصلاة؛ لأنها عمود الأمر.

(١٧١) واذكر - يا محمد - إذ اقتلعتنا الجبل فرفعنا فوق بني إسرائيل لما امتنعوا من قبول ما في التوراة، فصار الجبل كأنه سحابة تظل رؤوسهم، وأيقنوا أنه ساقط عليهم، وقيل لهم: خذوا ما أعطيناكم بجد واجتهاد وعزيمة، وتذكروا ما فيه من الأحكام التي شرعها الله لكم ولا تنسوه؛ رجاء أن تتقوا الله إذا قمتم بذلك.

(١٧٢) واذكر - يا محمد - إذ أخرج ربك من أصلاب بني آدم ذرياتهم، وقرهم بإثبات ربوبيته بما أودعه في فطرهم من الإقرار بأنه خالقهم وربهم قائلًا لهم: ألسنت بربكم؟ قالوا جميعًا: بلى أنت ربنا، قال: إنما امتحناكم وأخذنا عليكم الميثاق حتى لا تنكروا يوم القيامة حجة الله عليكم، وتقولوا: إنه لا علم لكم بذلك.

(١٧٣) أو تحتجوا بأن آباءكم هم الذين نقضوا العهد فأشركوا بالله، وأنكم كنتم مقلدين لأبائكم فيما وجدتموهم عليه من الشرك، فتقولوا: أفتؤاخذنا - يا ربنا - بما فعله آبائنا الذين أبطلوا أعمالهم بالشرك بالله فعذبنا؟ فلا ذنب لنا؛ لجهلنا وتقليدنا لأبائنا.

(١٧٤) وكما بينا الآيات في مصير الأمم المكذبة كذلك نبئها لهؤلاء؛ رجاء أن يرجعوا عما هم عليه من الشرك إلى توحيد الله وعبادته وحده؛ كما جاء في العهد الذي قطعوه الله على أنفسهم.

(١٧٥) واقرأ - أيها الرسول - على بني إسرائيل خبر رجل منهم أعطيناه آياتنا

فَعَلِمَهَا وفهم الحق الذي دلت عليه، ولكنه لم يعمل بها، ولكنه وانخلع منها، فلحقه الشيطان، وصار قرينًا له، فأصبح من الضالين الهالكين بعد أن كان من المهتدين الناجين.

(١٧٦) ولو شئنا نفعه بهذه الآيات لرفعنا بها بأن نوفقه للعمل بها فيرتفع في الدنيا والآخرة، ولكنه اختار ما يؤدي إلى خذلانه حين مال إلى شهوات الدنيا مؤثرًا دنياه على آخرته، واتبع ما نهواه نفسه من الباطل، فمثله في شدة الحرص على الدنيا كمثل الكلب لا يزال لاهثًا في كل حال، إن كان رابضًا لهث، وإن طرد لهث، ذلك المثل المذكور مثل القوم الضالين بتكذيبهم بآياتنا، فاقصص - أيها الرسول - القصص عليهم؛ رجاء أن يتفكروا فينزعروا عما هم فيه من التكذيب والضلال.

(١٧٧) ليس أسوأ من لقوم الذين كذبوا بحُبْحُبنا وبراهيننا، ولم يصدقوا بها، وهم بذلك يظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك.

(١٧٨) من يوفقه الله للهداية إلى صراطه المستقيم فهو المهتدي حقًا؛ ومن يبعده عن الصراط المستقيم، فأولئك هم الناقصون أنفسهم حظوظها حقًا، الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

• مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

- المقصود من إزال الكتب السماوية العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وترتيلها فقط، فإن ذلك نَبَذَ لها.
- أن الله خلق في الإنسان من وقت تكوينه إدراك أدلة الوحدانية، فإذا كانت فطرته سليمة، ولم يدخل عليها ما يفسدها أدرك هذه الأدلة، وعمل بمقتضاها.
- في الآيات عبرة للمؤقنين للعمل بآيات القرآن؛ ليعلموا فضل الله عليهم في توفيقهم للعمل بها؛ لتزكو نفوسهم.
- في الآيات تلقين للمسلمين للتوجه إلى الله تعالى بطلب الهداية منه والعصمة من مزالق الضلال.

وَإِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴿١٧١﴾
خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٣﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ
آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا
بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿١٧٥﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ
مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ
يَلْهَثَ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ
الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٧﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٨﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ
فَهُوَ الْمُهْتَدِىٰ وَمَن يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٩﴾

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا
أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ
سَيَجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم
مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٨٠﴾ أُولَٰئِكَ
يَتَفَكَّرُونَ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِقَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٨١﴾
أُولَٰئِكَ يَنْظُرُونَ فِي مَلَكَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ
مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ
بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٢﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٨٣﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسَاهَا
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ الْبَغْةُ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّاكُثْرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾

١٧٤

﴿٧٦﴾ ولقد أنشأنا لجهنم كثيرًا من الجن، وكثيرًا من الإنس؛ لعلنا بأنهم سيعملون بعمل أهلها، لهم قلوب لا يدركون بها ما ينفعهم ولا ما يضرهم، ولهم أعين لا يبصرون بها آيات الله في الأنفس والآفاق فيعتبرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها آيات الله فيتدبرون ما فيها، أولئك المتصفون بهذه الصفات مثل البهائم في فقد العقل، بل هم أكثر بعدًا في الضلال من البهائم، أولئك هم الغافلون عن الإيمان بالله واليوم الآخر.

﴿٧٧﴾ والله - سبحانه - الأسماء الحسنى التي تدل على جلاله وكماله، فتوسلوا بها إلى الله في طلب ما تريدون وأنتموا عليه بها، واتركوا الذين يميلون عن الحق في هذه الأسماء بجعلها لغير الله، أو نفيها عنه، أو تحريف معناها أو تشبيه غيره بها، سنجزى هؤلاء الذين يميلون بها عن الحق: العذاب المؤلم بما كانوا يعملون. ﴿٧٨﴾ ومن خلقنا جماعة يهتدون في أنفسهم بالحق، ويدعون إليه غيرهم فيهتدون، ويحكمون به بالعدل فلا يجورون.

﴿٧٩﴾ والذين كذبوا بآياتنا، ولم يؤمنوا بها، بل جحدوها، سنفتح لهم أبواب الرزق لا إكرامًا لهم، بل لاستدراجهم حتى يتمادوا فيما هم عليه من الضلال، ثم يصيبهم عذابنا على حين غرة.

﴿٨٠﴾ وأوخر عنهم العقوبة حتى يظنوا أنهم غير معاقبين، فيستمروا على تكذيبهم وكفرهم حتى يضاعف عليهم العذاب، إن كيدي قوي، فأظهر لهم الإحسان، وأريد بهم الخذلان.

﴿٨١﴾ أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بآيات الله وبرسوله، فَيُعْمِلُوا عقولهم ليتضح لهم أن محمدًا ﷺ ليس بمجنون، إنما هو رسول من الله بعثه محذرًا من عذاب الله تحذيرًا بيّنًا.

﴿٨٢﴾ أولم ينظر هؤلاء نظر اعتبار إلى ملك الله في السماوات والأرض، وينظروا إلى ما خلق الله فيهما من حيوان ونبات وغيرهما، وينظروا في آجالهم التي عسى أن تكون نهايتها قُرْبَتْ فيتوبوا قبل فوات الأوان. فإذا لم يؤمنوا بالقرآن وما فيه من وعد ووعيد فبأي كتاب غيره يؤمنون؟!

﴿٨٣﴾ من يخذله الله عن الهداية إلى الحق، ويضله الله عن الصراط المستقيم، فلا هادي له يهديه إليه، ويتركهم الله في ضلالهم وكفرهم يتحiron لا يهتدون إلى شيء.

﴿٨٤﴾ يسألك هؤلاء المكذبون المُتَعَتِّون عن القيامة: أي وقت تقع ويستقر العلم بها؟ قل - يا محمد -: ليس علمها عندي ولا عند غيري، وإنما علمها عند الله وحده. لا يظهرها لوقتها المقدر لها إلا الله، خفي أمر ظهورها على أهل السماوات وأهل الأرض، لا تأتیکم إلا فجأة، يسألونك عن الساعة كأنك حريص على العلم بها، وما علموا أنك لا تسأل عنها لكمال علمك بربك، قل لهم - يا محمد -: إنما علم الساعة عند الله وحده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- خلق الله للبشر آلات الإدراك والعلم - القلوب والأعين والآذان - لتحصيل المنافع ودفع المضار.
- الدعاء بأسماء الله الحسنى سبب في إجابة الدعاء، فيُدْعَى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، مثل: اللهم تب عليّ يا تواب.
- التفكر في عظمة السماوات والأرض، والتوصل بهذا التفكر إلى أن الله تعالى هو المستحق للألوهية دون غيره؛ لأنه المنفرد بالصنع.

﴿١٧٧﴾ قل - يا محمد -: لا أستطيع جلب خير لنفسي، ولا كشف سوء عنها، إلا ما شاء الله، وإنما ذلك إلى الله، ولا أعلم إلا ما علمني الله، فلا أعلم الغيب، ولو كنت أعلم الغيب لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تجلب لي المصالح، وتدفع عني المفاسد؛ ليجلي بالأشياء قبل كونها وعلمي بما تؤول إليه، لست إلا رسولاً من عند الله، أخوف من عقابه الأليم، وأبشّر بشوابه الكريم قوماً يؤمنون بأني رسول منه ﷺ، ويصدقون بما جئت به.

﴿١٧٨﴾ هو الذي أوجدكم - أيها الرجال والنساء - من نفس واحدة هي آدم ﷺ، وخلق من آدم ﷺ زوجته حواء، خلقها من ضلعه لئلا ينفك عنها، ويطمئن بها، فلما جامع زوج زوجته حملت حملاً خفيفاً لا تشعر به؛ لأنه كان في بدايته، واستمرت على حملها هذا تعضي في حوائجها لا تجد نقلاً، فلما أثقلت به حين كبر في بطنها دعا الزوجان ربهما قائلين: لئن أعطيتنا - ياربنا - ولداً صالح الخلقه تأتينا لنكونن من الشاكرين لنعمك.

﴿١٧٩﴾ فلما استجاب الله دعاهما، وأعطاهما ولداً صالحاً كما دُعوا صَبَرَا لله شركاء فيما وهبهما فَعَبَدَا ولدهما للخير، وسَمَّيَاهُ عبد الحارث، فتعالى الله وتنزه عن كل شريك، فهو المنفرد بالربوبية والالوهية. ﴿١٨٠﴾ أيعبدون هذه الأصنام وغيرها شركاء لله في العبادة، وهم يعلمون أنها لا تخلق شيئاً فتستحق العبادة، بل هي مخلوقة، فكيف يجعلونها شركاء لله؟

﴿١٨١﴾ ولا تقدر هذه المعبودات نصر عابديها، ولا تقدر نصر أنفسها، فكيف يعبدونها؟

﴿١٨٢﴾ وإن تدعوا - أيها المشركون - هذه الأصنام التي تتخذونها آلهة من دون الله إلى الهدى لا يجيبوكم إلى ما دعوتهم إليه ولا يتبعوكم، فسواء عندها دعاؤكم لها وسكوتكم عنها؛ لأنها مجرد جمادات؛ لا تعقل، ولا تسمع، ولا تنطق.

﴿١٨٣﴾ إن الذين تعبدونهم - أيها المشركون - من دون الله هم مخلوقون لله، مملوكون له، فهم أمثالكم في ذلك مع أنكم أفضل حالاً؛ لأنكم أحياء تنطقون وتمشون وتسمعون وتبصرون، وأصنامكم ليست كذلك، فادعوهم وليردوا عليكم الجواب إن كنتم صادقين فيما تدعونهم لهم.

﴿١٨٤﴾ ألهؤلاء الأصنام الذين اتخذتموهم آلهة: أرجل يمشون بها فيسعون في حوائجكم؟ أم لهم أيد يدفعون بها عنكم بقوة؟ أم لهم أعين يبصرون بها ما غاب عنكم فيخبرونكم؟ أم لهم أذان يسمعون بها ما خفي عنكم فيوصلون علمه لكم؟ فإن كانت معطلة من ذلك كله فكيف تعبدونها رجاء جلب نفع أو دفع ضرر؟ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ادعوا من ساوتهم بالله، ثم احتالوا لضري، ولا تمهلوني.

﴿١٨٥﴾ من قوايد الآيات،

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٧﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيَا حَمَلًا خَفِيضًا فَامْرَأَتٌ بِهِ فَلَمَّا أَنْقَلَتِ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَبْلًا لَّنكونن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٧٨﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَبْلًا وَجَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٧٩﴾ أَيْشِرُكُمْ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٨٠﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرٌ وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٨١﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِحُونَ ﴿١٨٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْسُطُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٨٤﴾

- ﴿١٨٥﴾ في الآيات بيان جهل من يقصد النبي ﷺ ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضرر؛ لأن النفع إنما يحصل من قبل ما أرسل به من البشارة والندارة.
- ﴿١٨٦﴾ جعل الله بمنته من نوع الرجل وزوجه: لئلا يففو قربها ويأنس بها؛ لتتحقق الحكمة الإلهية في التناسل.
- ﴿١٨٧﴾ لا يليق بالأفضل الأكمل الأشرف من المخلوقات وهو الإنسان أن يشتغل بعبادة الأخس والأرذل من الحجارة والخشب وغيرها من الآلهة الباطلة.
- ﴿١٨٨﴾ الواجب على العاقل عبادة الله تعالى؛ لأنه هو الذي يحقق له منافع الدين بإتزال الكتاب المشتمل على العلوم العظيمة في الدين، ومنافع الدنيا بتولي الصالحين من عباده وحفظه لهم ونصرتهم إياهم، فلا تضرهم عداوة من عاداهم.

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ
 وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ
 وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٧٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا
 وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ
 وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٧٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ
 مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٠﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
 فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿١٨١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي النَّعْيِ ثُمَّ
 لَا يَقْصِرُونَ ﴿١٨٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا
 قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ
 وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
 فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٨٤﴾ وَادْكُرْ رَبَّكَ
 فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
 وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿١٨٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
 لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يُسْجُدُونَ ﴿١٨٦﴾

﴿١٧٧﴾ إِنَّ نصيري ومُعيني الله الذي يحفظني، فلا أرجو غيره، ولا أخاف شيئاً من أصنامكم، فهو الذي نزل عليّ القرآن هدى للناس، وهو الذي يتولى الصالحين من عباده، فيحفظهم وينصرهم.

﴿١٧٨﴾ والذين تدعونهم - أيها المشركون - من هذه الأصنام لا يقدرُونَ على نصركم، ولا يقدرُونَ على نصر أنفسهم، فهم عاجزون، فكيف تدعونهم من دون الله؟! ﴿١٧٩﴾ وإن تدعوا - أيها المشركون - أصنامكم التي تعبدونها من دون الله إلى الاستقامة لا يسمعون دعاءكم، وهي جماد لا تبصر، فقد كانوا يصنعون تماثيل على هيئة بني آدم أو الحيوانات، ولها أيد وأرجل وأعين، لكنها جامدة، لا حياة فيها ولا حركة.

﴿١٨٠﴾ أقبل - أيها الرسول - من الناس ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، ولا تكلفهم ما لا تسمح به بطائعهم، فإن ذلك ينفرهم، وأمر بكل قول جميل وفعل حسن، وأعرض عن الجاهلين، فلا تقابلهم بجهلهم، فمن آذاك فلا تؤذه، ومن حرّمك فلا تحرّمه. ﴿١٨١﴾ وإذا أحسست - أيها الرسول - أن الشيطان أصابك بوسوسة أو تنقيط عن فعل الخير فالتجئ إلى الله، واعتمص به، فإنه سميع لما تقوله، عليم بالتجائك، فسبحميك من الشيطان.

﴿١٨٢﴾ إن الذين اتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه إذا أصابهم وسوسة من الشيطان فاذنبوا؛ تذكروا عظمة الله وعقابه

للعصاة وثوابه للمطيعين، فتابوا من ذنوبهم، وأنابوا إلى ربهم، فإذا هم قد استقاموا على الحق، وضحوّ مما كانوا عليه، وانتهوا.

﴿١٨٣﴾ وإخوان الشياطين من الفجار والكفار لا يزال الشياطين يزيدونهم في الضلال بذنب بعد ذنب، ولا يُمسِكُ، لا الشياطين عن الإغواء والإضلال، ولا الفجار من الإنس عن الانقياد وفعل الشر. ﴿١٨٤﴾ وإذا جئت - أيها الرسول - بآية كذوبك وأعرضوا عنها، وإن لم تأتهم بآية قالوا: هلاً اخترعت آية من عندك واختلقتها، قل لهم - أيها الرسول -: ليس لي أن آتي بآية من تلقاء نفسي، ولا أتبع إلا ما يوحى الله إلي، هذا القرآن الذي أقرؤه عليكم حجج وبراهين من الله خالقكم ومدير شؤونكم، وإرشاد ورحمة للمؤمنين من عباده، وأما غير المؤمنين فهم ضلال أشقياء.

﴿١٨٥﴾ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا لقراءته، ولا تكلموا، ولا تشغلوا بغيره؛ رجاء أن يرحمكم الله. واذكر - أيها الرسول - الله ربك متذللًا متواضعًا خائفاً، واجعل دعاءك وسطاً بين رفع الصوت وخفضه في أول النهار وآخره لفضل هذين الوقتين، ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى.

﴿١٨٦﴾ إن الذين عند ربك - أيها الرسول - من الملائكة لا يترفعون عن عبادته سبحانه، بل ينقادون لها مذعنين لا يفترون، وهم يُزْهَوْنَ الله بالليل والنهار عما لا يليق به، وله وحده يسجدون.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- في الآيات بشارة للمسلمين المستقيمين على صراط نبيهم ﷺ بأن ينصرهم الله كما نصر نبيه وأوليائه.
- في الآيات جماع الأخلاق، فعلى العبد أن يعفو عن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه.
- على العبد إذا مسه سوء من الشيطان - فاذنب بفعل محرم، أو ترك واجب - أن يستغفر الله تعالى، ويستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الماحية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْعَاؤُنَا عَنْ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَإِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝
يَجِدُ لَوْنَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكُمُوهٍ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝
لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝

١٧٧

• مِنْ قَفَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان أحكام الجهاد وعوامل النصر
والهزيمة من خلال غزوة بدر.

• التفسير:

١ يسأل أصحابك - أيها الرسول -
عن الغنائم، كيف قسمتها؟ وعلى من
تكون القسمة؟ قل - أيها الرسول - مجيباً
سؤالهم: الغنائم لله ورسوله،
وحكمها لله ولرسوله في التصرف
والتوزيع، فما عليكم إلا الانقياد
والاستسلام، فاتقوا الله - أيها المؤمنون
- بامتنال أوامره واجتناب نواهيه،
وأصلحوا ما بينكم من التقاطع والتدابير
بالتواد والتواصل وحسن الخلق والعفو،
وألزموا طاعة الله وطاعة رسوله إن كنتم
مؤمنين حقاً؛ لأن الإيمان يبعث على
الطاعة والبعد عن المعصية. وكان هذا
السؤال بعد وقعة بدر.

٢ إنما المؤمنون حقاً الذين إذا
ذكر الله ﷻ خافت قلوبهم؛ فانسأقت
قلوبهم وأبدانهم للطاعة، وإذا قرئت
عليهم آيات الله تدبروها فازدادوا
إيماناً إلى إيمانهم، وعلى ربهم وحده
يعتمدون في جلب مصالحهم ودفع
مفاسدهم.

٣ الذين يداومون على أداء الصلاة
بصفتها التامة في أوقاتها، ومما رزقناهم
يخرجون النفقات الواجبة والمستحبة.

٤ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم
المؤمنون حقاً؛ لجمعهم بين خصال الإيمان والإسلام الظاهرة، وجزاؤهم منازل عالية عند ربهم، ومغفرة لذنوبهم
ورزق كريم، وهو ما أعده الله لهم من النعيم.

٥ كما أن الله ﷻ انتزع منكم قسمة الغنائم بعد اختلافكم في قسمتها وتنازعكم فيها، وجعلها إليه وإلى رسوله ﷺ، كذلك
أمرَك ربك - أيها الرسول - بالخروج من المدينة للقاء المشركين بوحى أنزله عليك، مع كراهة طائفة من المؤمنين لذلك.

٦ تُجَادِلُك - أيها الرسول - هذه الطائفة من المؤمنين في قتال المشركين بعدما اتضح لهم أنه واقع، كأنما يساقون إلى
الموت وهم ينظرون إليه عياناً، وذلك لشدة كراهتهم للخروج للقتال؛ لأنهم لم يأخذوا له أهبة، ولم يعدوا له عدته.

٧ واذكروا - أيها المؤمنون المجادلون - إذ يعدكم الله أنه سيكون لكم الظفر بإحدى طائفتي المشركين، وهي إما العير
وما تحمله من أموال فتأخذونه غنيمة، وإما النفير فتقاتلونهم وتُضْرَبُونَ عليهم، وتحبون أنتم أن تظفروا بالغير بسهولة
الاستيلاء عليها ويُسرّه دون قتال، ويريد الله أن يحق الحق بأمركم بالقتال؛ لتقتلوا صناديد المشركين، وتأسروا كثيراً
منهم حتى تظهر قوة الإسلام.

٨ ليحق الله الحق بإظهار الإسلام وأهله، وذلك بما يظهره من الشواهد على صدقه، وليبطل سبحانه الباطل بما يظهر
من البراهين على بطلانه، ولو كره المشركون ذلك، فإله مظهره.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه ويُتَمِّيه؛ لأن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها.
- الجدل محله وفائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر، فأما إذا وضح وبان فليس إلا الانقياد والإذعان.
- أمر قسمة الغنائم متروك للرسول ﷺ، والأحكام مرجعها إلى الله تعالى ورسوله لا إلى غيرهما.
- إرادة تحقيق النصر الإلهي للمؤمنين؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُّمِدُّكُمْ بِالْفِ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى
وَلِنُظْمِينَ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ
رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ
﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ
ءَامَنُوا سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا
فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ كَفَرُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابُ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيسُمْ الَّذِينَ
كَفَرُوا رَحَقًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ
دُبْرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مَتَحَرِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

١٧٨

﴿٩﴾ واذكروا يوم بدر حين طلبتم
الغوث من الله بالنصر على عدوكم،
فاستجاب الله لكم بأنه ممدكم - أيها
المؤمنون - ومعينكم بألف من
الملائكة، متابعين يتبع بعضهم بعضاً.
﴿١٠﴾ وما جعل الله الإمداد بالملائكة
إلا بشارة لكم - أيها المؤمنون - بأنه
ناصركم على عدوكم، ولتسكن قلوبكم
موقنة بالنصر، وليس النصر بكثرة
العُدِّ، وتوافر العُدِّ، وإنما النصر من
عند الله سبحانه، إن الله عزيز في
ملكه، لا يغالبه أحد، حكيم في شرعه
وقدِّره.

﴿١١﴾ اذكروا - أيها المؤمنون - إذ
يُلقي الله النعاس عليكم أمناً مما حصل
لكم من الخوف من عدوكم، وينزل
عليكم مطراً من السماء؛ ليطهركم من
الأحداث، وليزيل عنكم وساوس
الشيطان، وليثبت به قلوبكم لتثبت
أبدانكم عند اللقاء، وليثبت به الأقدام
بتلييد الأرض الرملية حتى لا تسبخ
فيها الأقدام.

﴿١٢﴾ إذ يوحى ربك - أيها النبي - إلى
الملائكة الذين أمد الله بهم المؤمنين
في بدر: أني معكم - أيها الملائكة -
بالنصر والتأييد، فقفوا عزائم المؤمنين
على قتال عدوهم، سألقي في قلوب
الذين كفروا الخوف الشديد؛ فاضربوا
- أيها المؤمنون - أعناق الكافرين
ليموتوا، واضربوا مفاصلهم وأطرافهم
ليتعطلوا عن قتالكم.

﴿١٣﴾ ذلك الواقع بالكفار من القتل

وضرب الأطراف سببه أنهم خالفوا الله ورسوله، فلم يأتهم بما أمروا به، ولم ينتهوا عما نهوا عنه، ومن
يخالف الله ورسوله في ذلك فإن الله شديد العقاب له في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالنار.

﴿١٤﴾ ذلكم العذاب المذكور لكم - أيها المخالفون لله ورسوله - فذوقوه مُعْجَلًا لكم في الحياة الدنيا، وفي الآخرة
لكم عذاب النار إن متم على كفركم وعنادكم.

﴿١٥﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا قابلتم المشركين في القتال متقاربين فلا تنهزموا عنهم، وتولوهم
ظهوركم هاربين، ولكن اثبتوا في وجوههم، واصبروا على لقاءهم، فانه معكم بنصره وتأييده.

﴿١٦﴾ ومن يولهم ظهره فاراً منهم غير منعطف لقتالهم بأن يريهم الفرّ مكيدة منه، وهو يريد الكرّ عليهم، أو غير
مُنضم إلى جماعة من المسلمين حاضرة يستنجد بها؛ فقد رجع بغضب من الله، واستحققه، ومقامه في الآخرة
جهنم، وبئس المصير مصيره، وبئس المُقْلَب مُقْلَبه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- في الآيات اعتناء الله العظيم بحال عباده المؤمنين، وتيسير الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، وثبت أقدامهم،
وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية.
- أن النصر بيد الله، ومن عنده سبحانه، وهو ليس بكثرة عُدِّ ولا عُدِّ مع أهمية هذا الإعداد.
- الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر.
- في الآيات تعليم المؤمنين قواعد القتال الحربية، ومنها: طاعة الله والرسول، والثبات أمام الأعداء، والصبر
عند اللقاء، وذكر الله كثيراً.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كِيدُ
الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِ حُوفًا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِن
تَنْتَهُوا فهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ
فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ
وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فَتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

سورة
الأنفال

١٧٩

﴿١٧﴾ فلم تقتلوا - أيها المؤمنون - يوم بدر
المشركين بحولكم وقوتكم، ولكن الله
أعانكم على ذلك، وما رميت - أيها النبي -
المشركين حين رميتهم، ولكن الله هو
الذي رماهم حين أوصل رميتك إليهم،
وليختبر المؤمنين بما أنعم عليهم من
إظهارهم على عدوهم مع ما هم فيه من قلة
العُدِّ والعُدِّ ليشكروه، إن الله سميع
لدعائكم وأقول لكم، عليم بأعمالكم، وبما
فيه صلاحكم.

﴿١٨﴾ ذلك المذكور من قتل المشركين،
ورميهم حتى انهزموا وولوا هاربين،
والإنعام على المؤمنين بإظهارهم على
عدوهم؛ هو من الله، والله مُضْعِفُ كَيْدِ
الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَكِيدُونَ لِلْإِسْلَامِ.

﴿١٩﴾ إن تطلبوا - أيها المشركون - أن
يوقع الله عذابه وبأسه على الظالمين
المعتدين فقد أوقع الله عليكم ما طلبتم،
فأنزل بكم ما كان نكالا لكم وعبرة
للمتقين، وإن تكفوا عن طلب ذلك فهو
خير لكم، فربما أمهلهم ولم يجعل انتقامه
منكم، وإن تعودوا إلى طلبه وإلى قتال
المؤمنين نعد بإيقاع العذاب عليكم وبنصر
المؤمنين، ولن تغني عنكم جماعتكم ولا
أنصاركم ولو كانت كثيرة العُدِّ والعُدِّ مع
قلة المؤمنين، وإن الله مع المؤمنين بالنصر
والتأييد، ومن كان الله معه فلا غالب له.

﴿٢٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا
رسوله، أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامثال
أمره واجتناب نهيه، ولا تعرضوا عنه
بمخالفة أمره وإتيان نهيه، وأنتم تسمعون
آيات الله تقرأ عليكم.

﴿٢١﴾ ولا تكونوا - أيها المؤمنون - مثل المنافقين والمشركين الذين إذا بُليت عليهم آيات الله قالوا: سمعنا بأذاننا ما يتلى علينا
من القرآن، وهم لا يسمعون سماع تدبر واتعاط؛ فيتنفخوا بما سمعوه.

﴿٢٢﴾ إن شر من يَدِبُ على وجه الأرض من الخلق عند الله هم الصُّمُّ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ سَمَاعَ قَبُولِ الْبُكْمِ الَّذِينَ لَا
يَنْطِقُونَ، فهم الذين لا يدركون عن الله أوامره ولا نواهيه.

﴿٢٣﴾ ولو علم الله أن في هؤلاء المشركين المكذبين خيرا لَأَسْمَعَهُمْ سَمَاعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَيَتَعَقَّلُونَ عِنْدَهُ الْحُجُجَ وَالْبَرَاهِينَ،
ولكنه علم أنه لا خير فيهم، ولو أنه سبحانه أسمعهم - على سبيل الفرض والتقدير - لتولوا عن الإيمان عنادا، وهم معرضون.

﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ بِالْإِقْدَادِ لِمَا أَمَرَ بِهِ وَالْاجْتِنَابَ لِمَا نَهَى عَنْهُ، إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
فِيهِ حَيَاتُكُمْ مِنَ الْحَقِّ، وَأَقْبِلُوا أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ قَادِرٌ أَنْ يَحُولَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْإِقْدَادِ لِلْحَقِّ إِذَا أَرَدْتُمُوهُ بَعْدَ رَفْضِكُمْ
لَهُ، فَابْدُرُوا إِلَيْهِ، وَأَقْبِلُوا أَنْكُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ تَحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجْازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمُ الَّتِي عَمَلْتُمُوهَا فِي الدُّنْيَا.

﴿٢٥﴾ واحذروا - أيها المؤمنون - عذابا لا ينال العاصي منكم وحده، بل يناله وينال غيره، وذلك حين يظهر الظلم فلا يُغَيَّرُ،
وَأَقْبِلُوا أَنَّ اللَّهَ قَوِي الْعِقَابِ لِمَنْ عَصَاهُ؛ فَاحْذَرُوا مِنْ مَعْصِيَتِهِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • من كان الله معه فهو المنصور وإن كان ضعيفا قليلا عدده، وهذه المعية تكون بحسب ما قام به
المؤمنون من أعمال الإيمان. • المؤمن مطالب بالأخذ بالأسباب المادية، والقيام بالتكليف الذي كلفه الله، ثم يتوكل
على الله، ويفوض الأمر إليه، أما تحقيق النتائج والأهداف فهو متروك لله ﷻ. • في الآيات دليل على أن الله تعالى لا
يمنع الإيمان والخير إلا عَمَّنْ لا خير فيه، وهو الذي لا يزكو لديه هذا الإيمان ولا يثمر عنده. • على العبد أن يكثر من
الدعاء: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قَلْبِي إِلَى طَاعَتِكَ. • أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا
يَقْرَؤُوا الْمُنْكَرَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ فَيُعْثِمَهُمُ الْعَذَابُ.

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ
 أَنْ يَخَضَعَكُمْ النَّاسُ فَأَوْرَثَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ نَصْرُوهُ وَزَرَقَكُمْ
 مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 ﴿٦٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ
 عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا
 اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
 وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ
 وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِذْ أَنْتَ عَلَىٰ آلِهِمْ
 عَايِنَتْنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا
 إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا
 هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ
 أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ
 فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٧٣﴾

١٨٠

﴿٦٦﴾ واذكروا - أيها المؤمنون - حين كنتم في مكة قليلي العدد، يستضعفكم أهلها، ويقهرونكم، تخافون أن يأخذكم أعداؤكم بسرعة، فضعكم الله إلى ماوى تأوون إليه وهو المدينة، وقواكم بالنصر على أعدائكم في موطن الحرب التي منها بدر، ورزقكم من الطيبات، ومن جملة الغنائم التي أخذتموها من أعدائكم، لعلكم تشكرون لله نعمه، فيزيدكم منها، ولا تكفرونها فيسلبها منكم، ويعذبكم.

﴿٦٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تخونوا الله والرسول بترك الامتثال للأوامر وعدم اجتناب النواهي، ولا تخونوا ما أئتمنتم عليه من الدين وغيره، وأنتم تعلمون أن ما قمتم به خيانة؛ فتكونوا من الخائنين.

ولما كانت محبة الأموال والأولاد تدفع العبد إلى الخيانة أخبر الله أنهما فتنة، فقال:

﴿٦٨﴾ واعلموا - أيها المؤمنون - أن أموالكم وأولادكم إنما هي ابتلاء من الله لكم واختبار، فقد تصدكم عن العمل للأخرة، وتحملكم على الخيانة، واعلموا أن الله عنده ثواب عظيم، فلا تُفوتوا عليكم هذا الثواب بمراعاة أموالكم وأولادكم والخيانة من أجلهم.

﴿٦٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، اعلموا أنكم إن تتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم ما تفرقون به بين الحق والباطل، فلا تلتبسوا عليكم، ويمنح عنكم ما اجترحتموه من السيئات، ويغفر لكم ذنوبكم، والله ذو

الفضل العظيم، ومن فضله العظيم جنته التي أعدها للمتقين من عباده.

﴿٧٠﴾ واذكر - أيها الرسول - حين تمألا عليك المشركون ليكيدوا لك بجسك أو بقتلك أو نفيك من بلدك إلى بلد غيره، ويكيدونك ويرد الله كيدهم عليهم، ويمكر الله، والله خير الماكرين.

﴿٧١﴾ وإذا قرئت عليهم آياتنا قالوا عنادا للحق وترفعاً عليه: قد سمعنا مثل هذا من قبل، لو نشاء قول مثل هذا القرآن لقلنا، ما هذا القرآن الذي سمعناه إلا أكاذيب الأولين؛ فليؤمن به.

﴿٧٢﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قال المشركون: اللهم إن كان ما جاء به محمد حقاً فأسقط علينا حجارة من السماء تهلكنا، أو آتينا بعذاب شديد. قالوا ذلك مبالغة في الجحود والإنكار.

﴿٧٣﴾ وما كان الله ليعذب أمتك - سواء من كان منهم من أمة الاستجابة أو من أمة الدعوة - بعذاب يستأصلهم وأنت - يا محمد - حي موجود بين ظهرانيهم، فوجودك بينهم أمان لهم من العذاب، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الله من ذنوبهم.

• مِنْ قَوَايِدِ الْآيَاتِ،

• الشكر نعمة عظيمة يزيد بها فضل الله تعالى، وينقص عند إغفالها.

• للأمانة شأن عظيم في استقامة أحوال المسلمين، ما ثبتوا عليها وتخلقوا بها، وهي دليل نزاهة النفس واعتدال أعمالها.

• ما عند الله من الأجر على كَفِّ النفس عن المنهيات، خير من المنافع الحاصلة عن اقتحام المناهي لأجل الأموال والأولاد.

• في الآيات بيان سفة عقول المعرضين؛ لأنهم لم يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

• في الآيات فضيلة الاستغفار وبركته، وأنه مانع من موانع وقوع العذاب.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاءُؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٢٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوْا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ أَوَّلَ الْيَوْمِ فَاتٍ لِلَّهِ بِمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ ﴿٢٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نَعِمَ الْمَوْلَىٰ وَنَعِمَ النَّصِيرُ ﴿٣٠﴾

١٨١

﴿٢٤﴾ وأي شيء يمنع من عذابهم وقد ارتكبوا ما يوجب عذابهم من منعهم الناس عن المسجد الحرام أن يطوفوا به أو يصلوا فيه؟ وما كان المشركون أولياء الله، فليس أولياء الله إلا المتقون الذين يتقونه بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون حين ادعوا أنهم أولياءه، وهم ليسوا بأوليائه.

﴿٢٥﴾ وما كان صلاة المشركين عند المسجد الحرام إلا صفيراً وتصفيقاً، فذوقوا - أيها المشركون - العذاب بالقتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم بالله، وتكذيبكم لرسوله.

﴿٢٦﴾ إن الذين كفروا بالله ينفقون أموالهم لمنع الناس عن دين الله، فينفقونها ولن يتحقق لهم ما أرادوا، ثم تكون عاقبة إنفاقهم لأموالهم ندامة؛ لفواتها وفوات المقصود من إنفاقها، ثم يُغْلَبُونَ بانتصار المؤمنين عليهم، والذين كفروا بالله يُسَاقُونَ إلى جهنم يوم القيامة، فيدخلونها خالدين فيها مخلدين.

﴿٢٧﴾ يُسَاق هؤلاء الكفار الذين ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله إلى نار جهنم ليفصل الله فريق الكفار الخبيث عن فريق المؤمنين الطيب، وليجعل الخبيث من الأشخاص والأعمال والأموال بعضه فوق بعض متراكباً متراكماً، فيجعله في نار جهنم، أولئك

هم الخاسرون؛ لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة.

﴿٢٨﴾ قل - أيها الرسول - للذين كفروا بالله وبرسوله من قومك: إن يكفوا عن كفرهم بالله وبرسوله، وعن صدهم عن سبيل الله من آمن به؛ يغفر الله لهم ما قد سبق من ذنوبهم، فالإسلام يهدم ما قبله، وإن يعودوا إلى كفرهم فقد سبقت سنة الله في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على كفرهم عاجلهم بالعقوبة.

﴿٢٩﴾ وقاتلوا - أيها المؤمنون - أعداءكم من الكفار حتى لا يكون شرك ولا صد للمسلمين عن دين الله، ويكون الدين والطاعة لله وحده لا شريك له فيها، فإن انتهى الكفار عما كانوا عليه من الشرك والصد عن سبيل الله فدعوهم، فإن الله مطلع على أعمالهم، لا تخفى عليه خافية.

﴿٣٠﴾ وإن انصرفوا عما أُمروا به من الانتهاء عن الكفر والصد عن سبيل الله، فَأَيَّقِنُوا - أيها المؤمنون - أن الله ناصركم عليهم، نعم المولى لمن والاه، ونعم الناصر لمن نصره، فمن والاه فاز، ومن نصره انتصر.

● بين فوائد الآيات،

- الصد عن المسجد الحرام جريمة عظيمة يستحق فاعله عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة.
- عمارة المسجد الحرام وولايته شرف لا يستحقه إلا أولياء الله المتقون.
- في الآيات إنذار للكافرين بأنهم لا يحصلون من إنفاقهم أموالهم في الباطل على طائل، وسرف تصيبيهم الحسرة وشدة الندامة.
- دعوة الله تعالى للكافرين للتوبة والإيمان دعوة مفتوحة لهم على الرغم من استمرار عنادهم.
- من كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عدواً له فلا عز له.

﴿١﴾ * وَعَلِّمُوا أَنْمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَقَّىٰ الْجَمْعَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقَصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَنَّكَ كُنتُمْ كَثِيرًا فَفَسَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦﴾

١٨٢

﴿١﴾ واعلموا - أيها المؤمنون - أن ما أخذتم من شيء من الكفار قهراً في الجهاد في سبيل الله فإنه يقسم خمسة أخماس، أربعة أخماس منها تقسم على المجاهدين، والخمس الباقي يقسم خمسة أقسام: قسم لله ورسوله يصرف في المصارف العامة للمسلمين، وقسم لقراءة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب، وقسم لثيامي، وقسم للفقراء والمساكين، وقسم للمسافرين الذين انقطعت بهم السبل، إن كنتم آمنتم بالله، وبما أنزلنا على عبدنا محمد ﷺ يوم بدر الذي فرق الله به بين الحق والباطل حين نصركم على أعدائكم، والله الذي نصركم قدير على كل شيء.

﴿٢﴾ واذكروا حين كنتم بالجانب الأدنى من الوادي مما يلي المدينة، والمشركون بالجانب الأقصى منه مما يلي مكة، والغير في مكان أسفل منكم مما يلي ساحل البحر الأحمر، ولو تواعدتم أنتم والمشركون على أن تلتقوا في بدر لخالف بعضكم بعضاً، ولكنه سبحانه جمع بينكم في بدر على غير تواعد؛ ليتم أمراً كان مفعولاً وهو نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين، وإعزاز دينه وإذلال الشرك؛ ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه بنصر المؤمنين عليهم مع قلة عددهم وعدتهم، ويعيش من عاش عن بيعة

وحجة أظهرها الله له، فلا يبقى لأحد على الله حجة يحتج بها، والله سميع لأقوال الجميع، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٣﴾ اذكر - أيها الرسول - من نعم الله عليك وعلى المؤمنين إذ أراك الله المشركين في منامك قليلي العدد، فأطلعت المؤمنين على ذلك فاستبشروا به خيراً، وقويت عزائمهم على لقاء عدوهم وقتاله، ولو أنه سبحانه أراك المشركين في منامك كثيراً لضعفت عزائم أصحابك، وخافوا القتال، ولكنه سلم من ذلك، فعصمهم من الفشل، فقللهم في عين رسوله ﷺ، إنه عليم بما تنطوي عليه القلوب، وبما تخفيه النفوس.

﴿٤﴾ واذكروا - أيها المؤمنون - إذ يريكم الله المشركين حين التقيتم بهم قليلاً، فجراكم على الإقدام على قتالهم، ويقللهم في أعينهم فيقتدمون لقتالكم، ولا يفكرون في الرجوع ليقضي الله أمراً كان مفعولاً بالانتقام من المشركين بالقتل والأسر، والإنعام على المؤمنين بالنصر والظفر بالأعداء، وإلى الله وحده ترجع الأمور، فيجازي المسيء على إساءته، والمحسن على إحسانه.

﴿٥﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا واجهتم جماعة من الكفار فاثبتوا عند لقاءهم ولا تجبنوا، واذكروا الله كثيراً وادعوه، فهو القادر على نصركم عليهم؛ رجاء أن يُبليكم ما تطلبون، ويجنّبكم ما تحذرون.

﴿٦﴾ من قوائد الآيات.

- الغنائم لله يجعلها حيث شاء بالكيفية التي يريد، فليس لأحد شأن في ذلك.
- من أسباب النصر تدبير الله للمؤمنين بما يعينهم على النصر، والصبر والثبات والإكثار من ذكر الله.
- قضاء الله نافذ وحكمته بالغة وهي الخير لعباد الله وللأمة كلها.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّاتُ فَتَشَلُّوا وَتَذْهَبَ
 رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا
 كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ
 لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ
 النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
 عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا
 تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
 الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ
 وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ
 تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ
 وُجُوهَهُمْ وَأَذْهَبَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ
 بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾
 كَذَّابٌ ءَالٍ فَرَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
 فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

١٨٣

﴿٤٦﴾ والزموا طاعة الله وطاعة رسوله في أقوالكم وأفعالكم وجميع أحوالكم، ولا تختلفوا في الرأي؛ فإن الاختلاف سبب لضعفكم وجبنكم، وذهاب قوتكم، واصبروا عند لقاء عدوكم، إن الله مع الصابرين بالنصر والتأييد والعون، ومن كان الله معه فهو الغالب والمتنصر لا محالة.

﴿٤٧﴾ ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من مكة كِبْرًا ومراءاة للناس، ويصدون الناس عن دين الله، ويمنعونهم من الدخول فيه، والله بما يعملون محيط، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٤٨﴾ واذكروا - أيها المؤمنون - من نعم الله عليكم أن حسن الشيطان للمشركين أعمالهم، فشحجهم على ملاقة المسلمين وقتالهم، وقال لهم: لا غالب لكم اليوم، وإني ناصركم، ومُجِيركم من عدوكم، فلما التقى الفريقان: فريق المؤمنين معهم الملائكة ينصرونهم، وفريق المشركين معهم الشيطان الذي سيخذلهم؛ ولّى الشيطان هاربًا، وقال للمشركين: إني بريء منكم، إني أرى الملائكة الذين جاؤوا لنصرة المؤمنين، إني أخاف أن يهلكني الله، والله شديد العقاب، فلا يقدر على تحمل عقابه أحد.

﴿٤٩﴾ واذكروا إذ يقول المنافقون وضعفة الإيمان: خلع هؤلاء المسلمين دينهم

الذي يعدهم بالنصر على أعدائهم مع قلة العدد وضعف العدة، وكثرة عدد أعدائهم وقوة عتادهم، ولم يُدرك هؤلاء أن من يعتمد على الله وحده ويثق بما وعد به من النصر فإن الله ناصر، ولن يخذله مهما كان ضعفه، والله عزيز لا يغالبه أحد، حكيم في قدره وشرعه.

﴿٥٠﴾ ولو تشاهد - أيها الرسول - الذين كفروا بالله وبرسوله حين تقبض الملائكة أرواحهم، وتنزعها وهم يضربون وجوههم إذا أقبلوا، ويضربون أديبارهم إذا ولوا هاربين، ويقولون لهم: ذوقوا - أيها الكافرون - العذاب المحرق، لو تشاهد ذلك لشاهدت أمرًا عظيمًا.

﴿٥١﴾ ذلك العذاب المؤلم عند قبض أرواحكم - أيها الكفار -، والعذاب المحرق في قبوركم وفي الآخرة. سببه ما كسبت أيديكم في الدنيا، فالله لا يظلم الناس، وإنما يحكم بينهم بالعدل فهو الحكم العدل.

﴿٥٢﴾ وليس هذا العذاب النازل بهؤلاء الكافرين خاصًا بهم، بل هو سُنَّةُ الله التي أمضاها على الكافرين في كل زمان ومكان. فقد أصاب آل فرعون والأمم من قبلهم حين كفروا بآيات الله سبحانه، فأخذهم الله بسبب ذنوبهم أخذ عزيز مقتدر، فأنزل بهم عقابه، إن الله قوي لا يقهر ولا يغلب، شديد العقاب لمن عصاه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• البَطَرُ مرض خطير يَنْحَرُ في تكوين شخصية الإنسان، وَيُعَجِّلُ في تدمير كيان صاحبه. • الصبر يعين على تحمل الشدائد والمصاعب. وللصبر منفعة إلهية، وهي إعانة الله لمن صبر امتثالًا لأمره، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة. • التنازع والاختلاف من أسباب انقسام الأمة، وإنذار بالهزيمة والتراجع، وذهاب القوة والنصر والدولة. • الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يُقَدِّم عليها الجيوش العظام.

﴿٥٢﴾ ذلك العقاب الشديد بسبب أن الله إذا أنعم على قوم نعمة من عنده لم ينزعها منهم حتى يغيروا أنفسهم من حالها الطيب من الإيمان والاستقامة وشكر النعم إلى حال سيئة من الكفر بالله ومعصيته وكفران نعمه، وأن الله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿٥٣﴾ شأن هؤلاء الكافرين كشأن غيرهم ممن كفر بالله مثل آل فرعون والأمم المكذبة من قبلهم، كذبوا بآيات ربه، فأهلكهم الله بسبب ما ارتكبوه من المعاصي، وأهلك الله آل فرعون بالغرق في البحر، وكل من آل فرعون والأمم من قبلهم كانوا ظالمين بسبب كفرهم بالله وشركهم به، فاستوجبوا بذلك عقابه سبحانه، فأوقعه عليهم.

﴿٥٤﴾ إن شر من يدب على الأرض هم الذين كفروا بالله وبرسله، فهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية؛ لإصرارهم على الكفر، فقد تعطلت فيهم وسائل الهداية من عقل وسمع وبصر.

﴿٥٥﴾ الذين عقدت معهم العهود والمواثيق - كني قريظة -، ثم ينقضون ما عاهدتهم عليه في كل مرة، وهم لا يخافون الله، فلا يوفون بعهودهم، ولا يلتزمون بالمواثيق المأخوذة عليهم.

﴿٥٦﴾ فإن قابلت - أيها الرسول - هؤلاء النافضين لعهودهم في الحرب فنكل بهم أشد تنكيل حتى يسمع بذلك غيرهم، لعلمهم يعتبرون بحالهم، فيهابون قتالك ومظاهرة أعدائك عليك.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَم يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾ كَذَّابٌ أَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْفَءٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا تَتْفَفُنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّبْهُمْ مِمَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلُمُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

﴿٥٩﴾ وإن خفت - أيها الرسول - من قوم عاهدتهم غشاً ونقضاً للعهد بأمانة تظهر لك فأعلمهم بطرح عهدهم حتى يستوا معك في العلم بذلك، ولا تباغتهم قبل إعلامهم، فإن مباغتهم قبل إعلامهم من الخيانة، والله لا يحب الخائنين، بل يمقتهم، فاحذر أنت من الخيانة.

﴿٦٠﴾ ولا يظن الذين كفروا أنهم فاتوا عقاب الله وأفلتوا منه، إنهم لا يفوتونه ولا يفلتون من عقابه، بل هو مدرِكهم ولا حق بهم.

﴿٦١﴾ وأعدوا - أيها المؤمنون - ما قدرتم على إعداده من العدد والعدة؛ كالرمي، وأعدوا لهم ما حبستم من الخيل في سبيل الله، تُخَوِّفُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَأَعْدَاءَكُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَتَرَبِّصُونَ بِكُمْ الدَّوَارَ، وَتُخَوِّفُونَ بِهِ قَوْمًا آخِرِينَ، لَا تَعْلَمُونَهُمْ، وَلَا تَعْلَمُونَ مَا يَضْمُرُونَ لَكُمْ مِنْ عَدَاوَةٍ، بَلِ اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُهُمْ، وَيَعْلَمُ مَا يَضْمُرُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ مَالٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ يَخْلُفُهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيُعْطِيكُمْ ثَوَابَهُ كَامِلًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ فِي الْآخِرَةِ، فَبَادِرُوا إِلَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ.

﴿٦٢﴾ وَإِنْ مَالُوا إِلَى الصَّلَاحِ وَتَرَكُوا قِتَالَكَ، فَمِلْ - أيها الرسول - إليه، وعاهدهم، واعتمد على الله، وثق به، فلن يخذلك، إنه هو السميع لأقوالهم، العليم بنياتهم وأفعالهم.

• مِنْ قَوَابِلِ الْآيَاتِ •

• من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، كما أنها زجر لمن عملها ألا يعاودها. • من أخلاق المؤمنين الوفاء بالعهد مع المعاهدين، إلا إن وجدت منهم الخيانة المحققة. • يجب على المسلمين الاستعداد بكل ما يحقق الإرهاب للعدو من أصناف الأسلحة والرأي والسياسة. • جواز السلم مع العدو إذا كان فيه مصلحة للمسلمين.

وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ
بِنَصْرِهِ مَوَالٍ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
أَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ وَعَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ
اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ
يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
عَنَّا وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا
أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٧٠﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ
أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَيَّرَ فِي الْأَرْضِ يُرِيدُونَ عَرَصَ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ لَوْلَا كِتَابٌ
مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٢﴾ فَكُلُوا
مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٣﴾

١٨٥

﴿٦٦﴾ وإن قصدوا بميلهم للمصلح وترك القتال أن يخدعوك - أيها الرسول - بذلك ليستعدوا لقتالك، فإن الله كافيك مكرهم وخداعهم، هو الذي قوّاك بنصره، وقوّاك بنصر المؤمنين لك من المهاجرين والأنصار.

﴿٦٧﴾ وجمع بين قلوب المؤمنين الذين نصرك بهم بعد أن كانت متفرقة، لو أنفقت ما في الأرض من مال لتجمع بين قلوبهم المتفرقة ما جمعت بينها، لكن الله وحده جمع بينها، إنه عزيز في ملكه لا يغالبه أحد، حكيم في قدره وتديبه وشرعه.

﴿٦٨﴾ يا أيها النبي إن الله كافيك شر أعدائك، وكافي المؤمنين معك، فتق بالله واعتمد عليه.

﴿٦٩﴾ يا أيها النبي حثّ المؤمنين على القتال، وحضهم عليه بما يقوي عزائمهم وينشط هممهم، إن يكن منكم - أيها المؤمنون - عشرون صابرون على مقاتلة الكفار يغلبوا مئتين من الكفار، وإن تكن منكم مئة صابرة يغلبوا ألفاً من الكافرين؛ ذلك بأن الكافرين قوم لا يفهمون سنة الله بنصر أوليائه، ودحر أعدائه، ولا يدركون المقصود من القتال، فهم يقاتلون من أجل العلو في الدنيا.

﴿٧٠﴾ الآن خفف الله عنكم - أيها المؤمنون - لما علمه من ضعفكم، فخفف عنكم لطفاً منه بكم، فأوجب

على الواحد منكم أن يثبت أمام اثنين من الكفار بدل عشرة منهم، فإن يكن منكم مئة صابرة على قتال الكفار يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم ألف صابرون يغلبوا ألفين من الكفار بإذن الله، والله مع الصابرين من المؤمنين بالتأييد والنصر.

﴿٧١﴾ ما ينبغي لنبي أن يكون له أسرى من الكفار الذين يقاتلونه حتى يكثر القتل فيهم؛ ليدخل الرعب في قلوبهم حتى لا يعودوا إلى قتاله، تريدون - أيها المؤمنون - باتخاذ أسرى بدر أخذ الفداء، والله يريد الآخرة التي تُنال بنصر الدين وإعزازه، والله عزيز في ذاته وصفاته وقهره، لا يغالبه أحد، حكيم في قدره وشرعه.

﴿٧٢﴾ لولا كتاب من الله سبق به قضاؤه وقدره أنه أحل لكم الغنائم، وأباح لكم فداء الأسرى لأصابكم عذاب شديد من الله بسبب ما أخذتم من الغنيمة والفداء من الأسرى قبل نزول وحي من الله بإباحة ذلك.

﴿٧٣﴾ فكلوا - أيها المؤمنون - مما أخذتم من الكفار من غنيمة فهو حلال لكم، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله غفور لعباده المؤمنين، رحيم بهم.

• مِنْ قَوَائِمِ الْآيَاتِ

- في الآيات وعدٌ من الله لعباده المؤمنين بالكفاية والنصرة على الأعداء.
- الثبات أمام العدو فرض على المسلمين لا اختيار لهم فيه، ما لم يحدث ما يُرخص لهم بخلافه.
- الله يحب لعباده معالي الأمور، ويكره منهم سُفْسَافَهَا، ولذلك حثهم على طلب ثواب الآخرة الباقي والدائم.
- مفاداة الأسرى أو المنّ عليهم بإطلاق سراحهم لا يكون إلا بعد توافر الغلبة والسلطان على الأعداء، وإظهار هيبة الدولة في وجه الآخرين.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأَ وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِشْقُوقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأَ وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

١٨٦

﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، قل لمن في أيديكم من الأسرى المشركين الذين أسرتموهم يوم بدر: إن يعلم الله في قلوبكم قصد الخير، وصلاح النية، يعطكم خيراً مما أخذ منكم من الفداء، فلا تحزنوا على ما أخذ منكم منه، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم به، وقد تحقق وعد الله للعباس عم النبي ﷺ وغيره ممن أسلم.

﴿٧١﴾ وإن يقصدوا - يا محمد - خيانتك بما يُظهرون لك من القول فقد خانوا الله من قبل، وقد نصرك الله عليهم، فقتل منهم من قُتل وأسر من أسر، فليتنظروا مثل ذلك إن عادوا، والله عليم بخلقه وبما يصلحهم، حكيم في تدبيره.

﴿٧٢﴾ إن الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وعملوا بشرعه، وهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، أو إلى مكان يعبدون الله فيه آمين، وجاهدوا ببذل أموالهم وبذل أنفسهم لإعلاء كلمة الله، والذين أنزلوهم في منازلهم، ونصروهم - أولئك المهاجرون والذين نصروهم من أهل الدار بعضهم أولياء بعض في النصرة والمعونة، والذين آمنوا بالله ولم يهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ليس عليكم - أيها المؤمنون - أن تنصروهم وتحملوهم حتى يهاجروا في سبيل الله، وإن ظلمهم الكفار فطلبوا منكم النصر فانصروهم على عدوهم، إلا إذا كان بينكم وبين عدوهم عهد لم

يتقضوه، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها. ﴿٧٣﴾ والذين كفروا بالله يجمعهم الكفر، فيناصر بعضهم بعضاً، فلا يوالىهم مؤمن، إن لم توالوا المؤمنين وتعادوا الكافرين تكن فتنة للمؤمنين حيث لم يجدوا من ينصرهم من إخوانهم في الدين، ويكن فساد في الأرض عظيم بالصد عن سبيل الله.

﴿٧٤﴾ والذين آمنوا بالله وهاجروا في سبيله، والذين آووا المهاجرين في سبيل الله ونصروهم، أولئك هم المتصفون بصفة الإيمان حقاً، وجزاؤهم من الله مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم منه، وهو الجنة.

﴿٧٥﴾ والذين آمنوا من بعد إيمان السابقين إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار، وهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وجاهدوا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، أولئك منكم - أيها المؤمنون -، لهم ما لكم من الحقوق، وعليهم ما عليكم من الواجبات، وأصحاب القرابة في حكم الله بعضهم أولى ببعض في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة الذي كان موجوداً سابقاً، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، فهو يعلم ما يصلح لعباده، فيشرعه لهم.

• مِنْ هَوَايِدِ الْآيَاتِ

• يجب على المؤمنين ترغيب الأسرى في الإيمان.

• تضمنت الآيات بشارة للمؤمنين باستمرار النصر على المشركين ما داموا آخذين بأسباب النصر المادية والمعنوية.

• إن المسلمين إذا لم يكونوا يداً واحدة على أهل الكفر لم تظهر شوكتهم، وحدث بذلك فساد كبير.

• فضيلة الوفاء بالعهد والمواثيق في شرعة الإسلام، وإن عارض ذلك مصلحة بعض المسلمين.

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ
فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي
اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۚ ۝ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتِمْ فَهَؤُلَاءِ كُفْرًا وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ
۝ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا
وَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحْدَاثًا تَمَوَّأُوا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۖ ۝ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ
فَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۖ ۝ وَإِنْ أَحَدٌ
مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ
اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۖ ۝

• مِن مَّقَاصِدِ السُّورَةِ:

كشف أحوال الطوائف، بالمفاصلة مع الكافرين، وفضح المنافقين، وتمييز المؤمنين.

• التَّفْصِيلُ:

١) هذه براءة من الله، ومن رسوله، وإعلان بنهاية العهد التي عاهدتم - أيها المسلمون - عليها المشركين في جزيرة العرب.

٢) فسجروا - أيها المشركون - في الأرض مدة أربعة أشهر آمنين، ولا عهد لكم بعدها ولا أمان، وأيقنوا أنكم لن تفلتوا من عذاب الله وعقابه إن استمررتم على كفركم به، وأيقنوا أن الله مذل الكافرين بالقتل والأسر في الدنيا، وبدخول النار يوم القيامة. ويشمل هذا من نقضوا عهدهم، ومن كان عهدهم مطلقاً غير مؤقت، وأما من له عهد مؤقت ولو كان أكثر من أربعة أشهر فإنه يتم له عهده إلى مدته.

٣) وإعلام من الله، وإعلام من رسوله إلى جميع الناس يوم النحر أن الله سبحانه بريء من المشركين، وأن رسوله بريء كذلك منهم، فإن تبتم - أيها المشركون - من شرككم فتوبتكم خير لكم، وإن أعرضتم عن التوبة فأيقنوا أنكم لن تفوتوا الله، ولن تفلتوا من عقابه، وأخبر - أيها الرسول - الذين كفروا بالله بما يسوؤهم، وهو عذاب موجه ينتظرهم.

٤) إلا الذين عاهدتم من المشركين، ووفوا بعهدكم، ولم ينقصوا منه شيئاً، فهم مُسْتَنْزَوْنَ من الحكم السابق، فأكملوا لهم الوفاء بعهدهم حتى تنقضي مدته، إن الله يحب المتقين بامثال أوامره ومنها الوفاء بالعهد، وباجتناب نواهيها ومنها الخيانة.

٥) فإذا انتهت الأشهر الحرم التي أُمِنْتُمْ فيها أعداءكم فاقتلوا المشركين حيث لقيتموهم، وحاصروهم في معاليلهم، وترصدوا لهم طرقهم، فإن تابوا إلى الله من الشرك، وأقاموا الصلاة، وأعطوا زكاة أموالهم؛ فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام؛ فاتركوا قتالهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم به.

٦) وإن دخل أحد من المشركين مباح الدم والمال وطلب جوارك - أيها الرسول - فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن، ثم أوصله إلى مكان يأمن فيه، ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون حقائق هذا الدين، فإذا علموها من سماع قراءة القرآن ربما اهتدوا.

• مِن فَوَائِدِ آيَاتِهِ:

• في الآيات دليل واضح على حرص الإسلام على تسوية العلاقات الخارجية مع الأعداء على أساس من السلم والأمن والتفاهم. • الإسلام يُقَدِّرُ العهود، ويوجب الوفاء بها، ويجعل حفظها نابعاً من الإيمان، وملازماً لتقوى الله تعالى. • أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة دليل على الإسلام، وأنهما يعصمان الدَّم والمال، ويوجبان لمن يؤديهما حقوق المسلمين من حفظ دمه وماله إلا بحق الإسلام؛ كارتكاب ما يوجب القتل من قتل النفس البريئة، وزنى الزَّانِي المُحْصَن، والردة إلى الكفر بعد الإيمان. • مشروعية الأمان؛ أي: جواز تأمين الحربي إذا طلبه من المسلمين؛ ليعلم ما يدل على صحة الإسلام، وفي هذا سماحة وتكريم في معاملة الكفار، ودليل على إيثار السلم.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِمُوا
لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾
كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا تَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا
ذِمَّةً يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَلْسِقُونَ ﴿٨﴾ أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن
سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ
تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي
الدِّينِ وَنَفَصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ
نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ
فَقَاتِلُوا أَمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ
يَنْتَهُوْنَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ
وَهُمْ يُ أَخْرَجَ الرَّسُولَ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
أَتُخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّفَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

﴿٧﴾ لا يصح أن يكون للمشركين بالله عهد وأمان عند الله وعند رسوله إلا عهد أولئك المشركين الذين عاهدتموهم - أيها المسلمون - عند المسجد الحرام في صلح الحديبية، فما أقاموا لكم على العهد الذي بينكم وبينهم ولم ينقضوه فأقيموا أنتم عليه ولا تنقضوه، إن الله يحب المتقين من عباده الذين يمثّلون أوامره، ويجتنبون نواهيه.

﴿٨﴾ كيف يكون لهم عهد وأمان وهم أعداؤكم، وإن يظفروا بكم لا يراعوا فيكم الله ولا قرابة، ولا عهداً، بل يسومونكم سوء العذاب؟! يرضونكم بالكلام الحسن الذي تنطق به ألسنتهم، لكن قلوبهم لا تطاوع ألسنتهم، فلا يُفُونَ بما يقولون، وأكثرهم خارجون عن طاعة الله لنقضهم العهد.

﴿٩﴾ اعتاضوا، واستبدلوا عن اتباع آيات الله التي منها الوفاء بالعهد ثمناً حقيراً من حطام الدنيا الذي يتوصلون به إلى شهواتهم وأهوائهم، فصدوا أنفسهم عن اتباع الحق، وأعرضوا عنه، وصدوا غيرهم عن الحق، إنهم ساء عملهم الذي كانوا يعملون.

﴿١٠﴾ لا يراعون الله ولا قرابة ولا عهداً في مؤمن، لما هم عليه من العداوة، فهم متجاوزون لحدود الله؛ لما يتصفون به من الظلم والعدوان.

﴿١١﴾ فإن تابوا إلى الله من كفرهم، ونطقوا بالشهادتين، وأقاموا الصلاة، وأعطوا زكاة أموالهم - فقد صاروا مسلمين، وهم إخوانكم في الدين، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ولا يحل لكم قتالهم، فإسلامهم يعصم دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وبنين الآيات ونوضحها لقوم يعلمون، فهم الذين ينتفعون بها، وينفعون بها غيرهم. وإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على ترك القتال مدة معلومة عهودهم ومواثيقهم، وعابوا دينكم وانتقصوا منه فقاتلوهم، فهم أمة الكفر وقادته، ولا عهود لهم، ولا مواثيق تحقن دماءهم، قاتلوهم رجاء أن ينتهوا عن كفرهم ونقضهم للعهود وانتقاصهم للدين.

﴿١٢﴾ لم لا تقاتلون - أيها المؤمنون - قوماً نقضوا عهودهم ومواثيقهم، وسعوا في اجتماعهم في دار الندوة إلى إخراج الرسول ﷺ من مكة، وهم بدؤوكم بالقتال أول مرة عندما أعانوا بكراً حلفاء قريش على خزاعة حلفاء الرسول ﷺ، أتخافونهم، فلا تقدمون على قتالهم؟! فالله سبحانه أحق أن تخافوه إن كنتم مؤمنين حقاً.

﴿١٣﴾ من قوايد الآيات،

- دلت الآيات على أن قتال المشركين الناكثين العهد كان لأسباب كثيرة، أهمها: نقضهم العهد.
- في الآيات دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة فإنه يُقاتل حتى يؤديهما، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه.
- استدلل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿وَلَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ على وجوب قتل كل من طعن في الدين عامداً مستهزئاً به بعد استتابته.
- في الآيات دلالة على أن المؤمن الذي يخشى الله وحده يجب أن يكون أشجع الناس وأجرأهم على القتال.

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبَ غَيْظَ
قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً
وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ
اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ
اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

١٨٩

﴿١٤﴾ قَاتِلُوا - أيها المؤمنون - هؤلاء
المشركين ، فإنكم إن قاتلوهم يعذبهم الله
بأيديكم ، وذلك بقتلكم إياهم ، ويذلهم
بالهزيمة والأسر ، وينصركم عليهم بجعل
الغلبة لكم ، ويرى داء صدور قوم مؤمنين
لم يشهدوا القتال بما حصل لعدوهم من
القتل والأسر والهزيمة ونصر المؤمنين
عليهم .

﴿١٥﴾ وَيُذْهِبَ الغيظ عن قلوب عباده المؤمنين
بما نالوه من النصر عليهم . ويتوب الله
على من يشاء من هؤلاء المعاندين إن تابوا
كما وقع من بعض أهل مكة يوم الفتح ،
والله عليهم بصدق التائب منهم ، حكيم في
خلقه وتدبيره وتشريعه .

﴿١٦﴾ أَظَنَنْتُمْ - أيها المؤمنون - أن يترككم الله
دون ابتلاء ؟! فالابتلاء سُنة من سنته ،
ستبتلون حتى يعلم الله علماً ظاهراً للعباد
المجاهدين منكم بإخلاص الله ، الذين لم
يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا
المؤمنين بطانة من الكفار يوالونهم ،
وأصفياء منهم يوادونهم ، والله خبير بما
تعملون ، لا يخفى عليه منه شيء ،
وسيجازيكم على أعمالكم .

﴿١٧﴾ ما ينبغي للمشركين أن يعمرُوا
مساجد الله بالعبادة وأنواع الطاعة ، وهم
مُقرُّون على أنفسهم بالكفر بما يظهرونه
منه ، أولئك بطلت أعمالهم لفقد شرط
قبولها الذي هو الإيمان ، وهم يوم القيامة
سيدخلون النار ماكثين فيها أبداً إلا إن
تابوا من الشرك قبل موتهم .

﴿١٨﴾ إنما يستحق عمارة المساجد ويقوم

بحقها من آمن بالله وحده ، ولم يشرك به أحداً ، وآمن بيوم القيامة ، وأقام الصلاة وأعطى زكاة ماله ، ولم يخف أحداً إلا الله سبحانه ، فهؤلاء هم الذين يُرجى أن يكونوا مهتدين إلى الصراط المستقيم ، وأما المشركون فهم أبعد ما يكونون عن ذلك .

﴿١٩﴾ أجعلتم - أيها المشركون - القائمين على سقاية الحاج وعلى عمارة المسجد الحرام مثل من آمن بالله ، ولم يشرك به أحداً ، وآمن بيوم القيامة ، وجاهد بنفسه وماله لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، أجعلتمهم سواء في الفضل عند الله ؟! لا يستون أبداً عند الله ، والله لا يوفق الظالمين بالشرك ، ولو كانوا يعملون أعمال خير كسقاية الحاج .

﴿٢٠﴾ الذين جمعوا بين الإيمان بالله والهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ، والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس أعظم رتبة عند الله من غيرهم ، وأولئك المتصفون بتلك الصفات هم الظافرون بالجنة .

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ ،

- في الآيات دلالة على محبة الله لعباده المؤمنين واعتناؤه بأحوالهم ، حتى إنه جعل من جملة المقاصد الشرعية شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم .
- شرع الله الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم ، وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان .
- عُمَارُ المساجد الحقيقيون هم من وُصفوا بالإيمان الصادق ، وبإلقيام بالأعمال الصالحة التي أمَّها الصلاة والزكاة ، وبخشية الله التي هي أصل كل خير .
- الجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة ؛ لأن الإيمان أصل الدين ، وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين .

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّتِ لَهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿١١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ
وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ
وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكُمْ هُمْ أَظْلُمُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَابْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ
كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرِصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ
اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ
كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا
لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾

١٩٠

والنكال، والله لا يوفق الخارجين عن طاعته للعمل بما يرضيه.

﴿١٥﴾ لقد نصركم الله - أيها المؤمنون - على عدوكم من المشركين في غزوات كثيرة على قلة عددكم وضعف عدتكم حين توكلتهم على الله وأخذتم بالأسباب، ولم تُعْجِبُوا بكثرتكم، فلم تكن الكثرة سبب نصركم عليهم، وأما يوم حنين حين أعجبتكم كثرتكم، فقلتم: لن نُغْلِبَ اليوم من قِلة، فلم تنفعكم كثرتكم التي أعجبتكم شيئاً، فتغلب عليكم عدوكم، وضاعت عليكم الأرض على سعتها، ثم وليتم عن أعدائكم فارين منهزمين.

﴿١٦﴾ ثم بعد فراركم من عدوكم أنزل الله الطمأنينة على رسوله، وأنزلها على المؤمنين، فثبتوا للقتال، وأنزل ملائكة لم تروهم، وعذب الذين كفروا بما حصل لهم من القتل والأسر وأخذ الأموال وسبي الذراري، وذلك الجزاء الذي جوزي به هؤلاء هو جزاء الكافرين المكذبين لرسولهم المعرضين عما جاء به.

❁ من فوائد الآيات،

- مراتب فضل المجاهدين كثيرة، فهم أعظم درجة عند الله من كل ذي درجة، فلهم المزية والمرتبة العلية، وهم الفائزون الظافرون الناجون، وهم الذين يشهرهم ربهم بالنعيم.
- في الآيات أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وتقديم هذه المحبة على محبة كل شيء.
- تخصيص يوم حنين بالذكر من بين أيام الحروب؛ لما فيه من العبرة بحصول النصر عند امتثال أمر الله ورسوله ﷺ وحصول الهزيمة عند إيتار الحظوظ العاجلة على الامتثال.
- فضل نزول السكينة، فسكينة الرسول ﷺ سكينة اطمئنان على المسلمين الذين معه وثقة بالنصر، وسكينة المؤمنين سكينة ثبات وشجاعة بعد الجزع والخوف.

﴿١١﴾ يخبرهم الله ربهم بما يسره من رحمته، ومن إحلال رضوانه عليهم، فلا يسخط عليهم أبداً، ويدخول جنات لهم فيها نعيم دائم لا ينقطع أبداً.

﴿١٢﴾ ماكنين في تلك الجنان مُكْنًا لا نهاية له، ثواباً لهم على أعمالهم الصالحة التي كانوا يعملونها في الدنيا، إن الله عنده ثواب عظيم لمن امثل أوامره، واجتنب نواهيه مخلصاً له الدين.

﴿١٣﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاء به رسوله، لا تصيروا آباءكم وإخوانكم في النسب وغيرهم من قرابتكم أصفياء توالونهم بإفشاء أسرار المؤمنين إليهم، والتشاور معهم؛ إن آثروا الكفر على الإيمان بالله وحده، ومن يصيّرهم أولياء مع بقائهم على الكفر ويظهر لهم المودة فقد عصى الله، وظلم نفسه بإيرادها موارد الهلاك بسبب المعصية.

﴿١٤﴾ قل - أيها الرسول -: إن كان آباؤكم - أيها المؤمنون - وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وأقرباؤكم، وأموالكم التي اكتسبتموها، وتجارعتكم التي تحبون رواجها، وتخافون كسادها، وبيوتكم التي ترضون المقام فيها - إن كان كل أولئك أحب إليكم من الله ورسوله، ومن الجهاد في سبيله فانظروا ما ينزله الله بكم من العقاب

﴿٧٧﴾ ثم إن من تاب من كفره وضلاله من بعد ذلك التعذيب فإن الله يتوب عليه، ويقبل توبته، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، حيث يقبل منهم التوبة بعد الكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٧٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله واتبعوا ما شرعه لهم، إنما المشركون نجس؛ لما فيهم من الكفر والظلم والأخلاق الذميمة والعادات السيئة؛ فلا يدخلوا الحرم المكي - ومن ضمنه المسجد الحرام - ولو كانوا حجاجاً أو معتمرين بعد عامهم هذا الذي هو سنة تسع للهجرة، وإن خفتهم - أيها المؤمنون - فقرأ بسبب انقطاع ما كانوا يجلبون إليكم من الأطعمة والتجارات المختلفة فإن الله سيكفيكم من فضله إن شاء، إن الله عليم بحالكم التي أنتم عليها، حكيم فيما يدبره لكم.

﴿٧٩﴾ قاتلوا - أيها المؤمنون - الكافرين الذين لا يؤمنون بالله إلهاً لا شريك له، ولا يؤمنون بيوم القيامة، ولا يجتنبون ما حرمه الله ورسوله عليهم من الميتة ولحم الخنزير والخمر والربا، ولا يخضعون لما شرعه الله، من اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية بأيديهم أذلاء مقهورين.

﴿٨٠﴾ إن كلاً من اليهود والنصارى مشركون، فاليهود أشركوا بالله لما ادعوا أن عزيلاً ابن الله، والنصارى

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَذَى يُوَفُّكُمْ ﴿٨٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِعِبَادَةِ إِلَهٍ وَاحِدٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٨١﴾

أشركوا به لما ادعوا أن المسيح عيسى ابن الله، ذلك القول الذي افتروه قالوه بأفواههم دون إقامة برهان عليه، وهم يشابهون في هذا القول قول المشركين من قبلهم الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، أهلكهم الله، كيف يُضَرِّفُونَ عَنِ الْحَقِّ الْبَيِّنِ إِلَى الْبَاطِلِ؟!

﴿٨١﴾ جعل اليهود علماءهم، والنصارى عبّادهم؛ أرباباً من دون الله، يحلون لهم ما حرمه الله عليهم، ويحرمون عليهم ما أحله الله لهم، وجعل النصارى المسيح عيسى بن مريم إلهاً مع الله، وما أمر الله علماء اليهود وعبّاد النصارى وما أمر عزيلاً وعيسى بن مريم إلا أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً، فهو سبحانه إله واحد، لا معبود بحق سواه، تنزه سبحانه، وتقدم أن يكون له شريك كما يقول هؤلاء المشركون وغيرهم.

﴿٨٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- في الآيات دليل على أن تعلق القلب بأسباب الرزق جائز، ولا ينافي التوكل.
- في الآيات دليل على أن الرزق ليس بالاجتهاد، وإنما هو فضل من الله تعالى تولى قسمته.
- الجزية واحد من خيارات ثلاثة يعرضها الإسلام على الأعداء، يقصد منها أن يكون الأمر كله للمسلمين بنزع شوكة الكافرين.
- في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن تجرؤوا على الله، وتتقصوا من عظمتة سبحانه.

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ
يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينٍ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
يَكْزُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا
فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُورٌ يَهَابُهَا هُمْ وَجُوبُهُمْ
وَيُظْهِرُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْزُرُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا
أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ
أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
يُقَتِّلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾

١٩٢

﴿٢٣﴾ يريد هؤلاء الكفار وغيرهم ممن هم على ملة من ملل الكفر بافتراءاتهم هذه وتكذيبهم بما جاء به محمد ﷺ أن يقضوا على الإسلام ويبطلوه، ويبطلوا ما جاء فيه من الحجج الواضحة والبراهين الجلية على توحيد الله، وأن ما جاء به رسوله حق، ويأبى الله ﷻ إلا أن يكمل دينه ويظهره، ويعليه على غيره، ولو كره الكافرون إكمال دينه وإظهاره وإعلاءه فإن الله مُمِته ومُظْهره ومُعليه، وإذا أراد الله أمراً بطلت إرادة غيره.

﴿٢٤﴾ والله سبحانه هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالقرآن الذي هو هدى للناس، ويدين الحق الذي هو دين الإسلام ليُعليه بما فيه من الحجج والبراهين والأحكام على غيره من الأديان، ولو كره المشركون ذلك.

﴿٢٥﴾ يا أيها الذين آمنوا، وعملوا بما شرعه الله لهم، إن كثيراً من علماء اليهود، وكثيراً من عبادة النصارى، ليأخذون أموال الناس بغير حق شرعي، فهم يأخذونها بالرشوة وغيرها، وهم يمنعون الناس من الدخول في دين الله. والذين يجمعون الذهب والفضة، ولا يؤدون ما يجب عليهم من زكاتها، فأخبرهم - أيها الرسول - بما يسوؤهم يوم القيامة من عذاب موجه.

﴿٢٦﴾ يوم القيامة يوقد على ما جمعه

ومنعوا حقه في نار جهنم، فإذا اشتدت حرارتها وُضعت على جباههم وعلى جنوبهم وعلى ظهورهم، ويقال لهم على سبيل التوبيخ: هذه هي أموالكم التي جمعتموها ولم تؤدوا الحقوق الواجبة فيها، فذوقوا وبال ما كنتم تجمعونه ولا تؤدون حقوقه، وعاقبة ذلك.

﴿٢٧﴾ إن عدد شهور السنة في حكم الله وقضائه اثنا عشر شهراً، فيما أثبتته الله في اللوح المحفوظ أول ما خلق السماوات والأرض، من هذه الأشهر الاثني عشر أربعة أشهر حرم الله فيهن القتال، وهي ثلاثة سرد: (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم)، وواحد فرد، وهو (رجب). ذلك المذكور من عدد شهور السنة، ومن تحريم أربعة منها، هو الدين المستقيم، فلا تظلموا في هذه الأشهر الحُرُم أنفسكم بإيقاع القتال فيها، وهتك حرمتها، وقتلوا المشركين جميعاً كما أنهم يقاتلونكم جميعاً، واعلموا أن الله مع الذين يتقونه بامتنال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه بالنصر والتثبيت، ومن كان الله معه فلن يغلبه أحد.

• من قَوَائِدِ الآيَاتِ،

• دين الله ظاهر ومنصور مهما سعى أعداؤه للنيل منه حسداً من عند أنفسهم.

• تحريم أكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله تعالى.

• تحريم اكتناز المال دون إنفاقه في سبيل الله.

• الحرص على تقوى الله في السر والعلن، خصوصاً عند قتال الكفار؛ لأن المؤمن يتقي الله في كل أحواله.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ وَعَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ رِعَايًا لِيُطِيعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَمَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾

١٩٣

﴿٢٧﴾ إن التأخير لحزمة شهر مُحَرَّم إلى شهر غير مُحَرَّم وجعله مكانه - كما كان يفعل العرب في الجاهلية - زيادة في الكفر على كفرهم بالله؛ حيث كفروا بحكمه في الأشهر الحُرُم، يُضِلُّ بها الشيطان الذين كفروا بالله حين سَنَّ لهم هذه السُّنة السيئة، يحلون الشهر الحرام عامًا بإبداله بشهر من شهور الحل، ويبقونه على تحريمه عامًا ليوافقوا عدد الأشهر التي حرم الله وإن خالفوا أعيانها، فلا يحلون شهرًا إلا حرموا مكانه شهرًا، فيحلون بذلك ما حرمه الله من الأشهر الحرم، ويخالفون حكمه، حَسَنَ لهم الشيطان الأعمال السيئة فعملوها، ومنها ما ابتدعوه من النسبي، والله لا يوفق الكافرين المُصِرِّين على كفرهم.

﴿٢٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما شرعه لهم، ما شأنكم إذا دُعِيتُم إلى الجهاد في سبيل الله لقتال عدوكم بباطانم، وملتُم إلى الاستقرار في مساكنكم؟! أرضيتُم بمتاع الحياة الدنيا الزائلة ولذاتها المنقطعة عوضًا عن نعيم الآخرة الدائم الذي أعدّه الله للمجاهدين في سبيله؟! فما متاع الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا حقير، فكيف لعافل أن يختار فانيًا على باق، وحقيرًا على عظيم؟! ﴿٢٩﴾ إن لم تخرجوا - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله لقتال عدوكم يعاقبكم الله بالقهر والإذلال وغيره، ويستبدل بكم قومًا مطيعين لله إذا استنفروا للجهاد نفروا، ولا تضروه شيئًا بمخالفتكم أمره، فهو غني عنكم، وأنتم الفقراء إليه، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فهو قادر على نصر دينه ونبيه من دونكم.

﴿٣٠﴾ إن لم تنصروا - أيها المؤمنون - رسول الله ﷺ، وتستجيبوا لدعوته للجهاد في سبيل الله، فقد نصره الله دون أن تكونوا معه حين أخرجه المشركون هو وأبا بكر رضي الله عنهما، لا ثالث لهما حين كانا في غار ثور مستخفيين من الكفار الذين كانوا يبحثون عنهما، حين يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر الصديق حين خاف عليه أن يدركه المشركون: لا تحزن إن الله معنا بتأييده ونصره، فأنزل الله الطمأنينة على قلب رسوله، وأنزل عليه جنودًا لا تشاهدونهم وهم الملائكة يؤيدونه، وصيّر كلمة المشركين السفلى، وكلمة الله هي العليا حين أعلى الإسلام، والله عزيز في ذاته وقهره وملكه، لا يغالبه أحد، حكيم في تدبيره وقدره وشرعه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- العادات المخالفة للشرع بالاستمرار عليها دونما إنكار لها يزول قبحها عن النفوس، وربما ظُن أنها عادات حسنة.
- عدم التفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة.
- فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش فيها الأفتدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.
- أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين وخاصة عند الخوف على فوات مصلحة عامة.

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ
 وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
 لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ
 حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ
 ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ يُولُؤُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ
 يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾
 إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ
 أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ
 فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِىكُمْ
 مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
 الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿٤١﴾ سيروا - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله في العسر واليسر، شبابًا وشيوخًا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، فإن ذلك الخروج والجهاد بالأموال والأنفس أكثر نفعًا في الحياة الدنيا والآخرة من القعود والتعلق بسلامة الأموال والأنفس، إن كنتم تعلمون ذلك فاحرصوا عليه.

﴿٤٢﴾ لو كان ما تدعون إليه الذين استأذنوك من المنافقين في التخلف غنيمة سهلة وسفرًا لا مشقة فيه لاتبعوك - أيها النبي - ولكن بَعُدَتْ عليهم المسافة التي دعوتهم لقطعها إلى العدو فتخلفوا، وسيحلف بالله هؤلاء المستأذنون من المنافقين في التخلف عندما ترجع إليهم قائلين: لو استطعنا الخروج إلى الجهاد معكم لخرجنا، يهلكون أنفسهم بتعريضها لعقاب الله بسبب تخلفهم وبسبب هذه الأيمان الكاذبة، والله يعلم أنهم كاذبون في دعواهم، وفي أيمانهم هذه.

﴿٤٣﴾ عفا الله عنك - أيها الرسول - اجتهداك في الإذن لهم في التخلف، فلم سمحت لهم فيه؟ حتى يتضح لك الصادقون في أعدائهم التي قدموها، والكاذبون فيها، فتأذن للصادقين منهم دون الكاذبين.

﴿٤٤﴾ ليس من شأن المؤمنين بالله، ويوم القيامة إيمانًا صادقًا أن يطلبوا منك - أيها الرسول - الإذن في

التخلف عن الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بل شأنهم أن ينفروا متى استنفرتهم، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، والله عليم بالمؤمنين من عباده الذين لا يستأذنونك إلا لأعداء تمنعهم من الخروج معك.

﴿٤٥﴾ إن الذين يطلبون منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد في سبيل الله هم المنافقون الذين لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون بيوم القيامة، وأصاب قلوبهم الشك في دين الله، فهم في شكهم يترددون حيارى لا يهتدون إلى الحق.

﴿٤٦﴾ ولو كانوا صادقين في دعوى أنهم يريدون الخروج معك للجهاد في سبيل الله لتأهبوا له بإعداد العدة، ولكن أبغض الله خروجهم معك، فثقل عليهم الخروج حتى أثروا القعود في منازلهم.

ولما كان تخلف هؤلاء قد يحزن المؤمنين طمأنهم الله بأن خروجهم أكثر ضررًا من تخلفهم فقال:

﴿٤٧﴾ من الخير ألا يخرج هؤلاء المنافقون معكم، فهم إن خرجوا معكم ما زادوكم إلا فسادًا بما يقومون به من التخذيل وإلقاء الشبه، ولأسرعوا في صفوفكم بنشر النيمة لتفريقكم، وفيكم - أيها المؤمنون - من يستمع إلى ما يروجونه من الكذب، فيقبله وينشره، فينشأ الاختلاف بينكم، والله عليم بالظالمين من المنافقين الذين يلغون الدسائس والشكوك بين المؤمنين.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

• وجوب الجهاد بالنفس والمال كلما دعت الحاجة. • الأيمان الكاذبة توجب الهلاك. • وجوب الاحتراز من العجلة، ووجوب الثبوت والتأني، وترك الاغترار بظواهر الأمور، والمبالغة في التفحص والتريث. • من عناية الله بالمؤمنين تشييطه المنافقين ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين، رحمة بالمؤمنين ولطفًا من أن يداخلهم من لا ينفعهم بل يضرهم.

لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٨﴾ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ أَسْأَلُ اللَّهَ فِي وَلَا تَقْتَنِي إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ
حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ
أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَسْتَوِلُّوا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ
لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا
أَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَمَنْ نَرْتَضِ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ
بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْخُذَ بِنَا فَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ
مُتَرَبِّصُونَ ﴿٦٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يَتَّخِذَ
مِنْكُمْ إِنَّا نَكُفِّرُ عَنْكُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٦٣﴾ وَمَا
مَنْعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَتَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٦٤﴾

١٩٥

﴿٥٨﴾ لقد حرص هؤلاء المنافقون على الإفساد بتفريق كلمة المؤمنين، وتشيت شملهم من قبل غزوة تبوك، ونوعوا وصرفوا لك - أيها الرسول - الأمور بتدبير الحيل، لعل حيلهم تؤثر في عزمك على الجهاد، حتى جاء نصر الله وتأييده لك، وأعز الله دينه وقهر أعداءه، وهم كارهون لذلك؛ لأنهم كانوا يرغبون في انتصار الباطل على الحق.

﴿٥٩﴾ ومن المنافقين من يعتذر بالأعذار المختلفة فيقول: يا رسول الله، ائذن لي في التخلف عن الجهاد، ولا تحملني على الخروج معك حتى لا أصيب ذنباً بسبب فتنة نساء العدو - الروم - إذا شاهدتهن. ألا قد وقعوا في فتنة أعظم مما زعموا، وهي فتنة النفاق، وفتنة التخلف، إن جهنم يوم القيامة لمحيطة بالكافرين، لا يفوتها منهم أحد، ولا يجدون عنها مهرباً.

﴿٦٠﴾ إن نالتك - يا رسول الله - نعمة من الله بما يسرك من نصر أو غنيمة كرهوا ذلك، وحزنوا له، وإن نالتك مصيبة من شدة أو انتصار عدو يقول هؤلاء المنافقون: قد احتطنا لأنفسنا، وأخذنا بالحزم حين لم نخرج للقتال كما خرج المؤمنون، فأصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، ثم ينصرف هؤلاء المنافقون إلى أهلهم مسرورين بالسلامة.

﴿٦١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنافقين: لن ينالنا إلا ما كتبه الله لنا، فهو سبحانه سيدنا وملجؤنا الذي نلجأ إليه، ونحن متوكلون عليه في أمورنا، وإليه وحده يفوض المؤمنون أمورهم، فهو كافيتهم، ونعم الوكيل.

﴿٦٢﴾ قل - أيها الرسول - لهم: هل تنتظرون أن يقع لنا إلا النصر أو الشهادة؟! ونحن ننتظر أن ينزل بكم الله عذاباً من عنده يهلككم أو يعذبكم بأيدينا بقتلكم وأسركم إذا أذن لنا بقتالكم، فانتظروا عاقبتنا، إنا منتظرون عاقبتكم.

﴿٦٣﴾ قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها لكفركم وخروجكم عن طاعة الله.

﴿٦٤﴾ وما منعهم من قبول نفقاتهم إلا ثلاثة أمور: كفرهم بالله وبرسوله، وكسلهم وتناقلهم إذا صلُّوا، وأنهم لا ينفقون أموالهم طوعاً، وإنما ينفقونها كرهاً؛ لأنهم لا يرجون ثواباً في صلاتهم، ولا في إنفاقهم.

﴿٦٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- دأب المنافقين السعي إلى إلحاق الأذى بالمسلمين عن طريق الدسائس والتجسس.
- التخلف عن الجهاد مفسدة كبرى وفتنة عظيمة محققة، وهي معصية لله ومعصية لرسوله.
- في الآيات تعليم للمسلمين ألا يحزنوا لما يصيبهم؛ لثلاثيهم: ولأنهم ينفقون أموالهم طوعاً، ولأنهم ينفقونها كرهاً؛ لأنهم لا يرجون ثواباً في صلاتهم، ولا في إنفاقهم.
- ويرجوا رضا ربهم؛ لأنهم واقفون بأن الله يريد نصر دينه.
- من علامات ضعف الإيمان وقلة التقوى التكاثر في أداء الصلاة والإنفاق عن غير رضا ورجاء للثواب.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
 بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ
 ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ
 قَوْمٌ يَفْقَرُونَ ﴿٥٦﴾ لَا يَجِدُونَ مَلْجَأَ أَوْ مَعْرَاضَ أَوْ مَدَّ خَلًا
 لَوْ لَوْ إِلَى اللَّهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي
 الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا
 هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ
 إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
 وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ
 وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ
 مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
 النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلٍّ أَدْنَىٰ خَيْرٍ لَّكُمْ يَوْمُنُ
 بِاللَّهِ وَيَوْمُنُ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا
 مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

﴿١٩٦﴾

يعطينا من فضله، لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم من أن يعيبوك.

ولما عابوا رسول الله ﷺ في قسمتها بين لهم مصارفها ومستحقها بركة لرسوله، فقال:

﴿٦٠﴾ إنما الزكوات الواجبة يجب أن تصرف للفقراء، وهم المحتاجون الذين لديهم مال من مهنة أو وظيفة، لكنه لا يكفيهم ولا يَنْتَبِه لحالهم، والمساكين الذين لا يكادون يملكون شيئاً ولا يَخْفُونَ على الناس بسبب حالهم أو مقالهم، وللسعاة الذين يرسلهم الإمام لجمعها، وللکفار الذين يَتَأَلَّفُونَ بها ليسلّموا، أو لضعة الإيمان ليقوى إيمانهم، أو لمن يُدْفَع بها شره، وتصرف في الأَرْقَاء ليعتقوا بها، وللمدنيين في غير إصراف ولا معصية إن لم يجدوا وفاء لما عليهم من دين، وتصرف في تجهيز المجاهدين في سبيل الله، وللمسافر الذي انقطعت نفقته. قُضِرَ صرف الزكوات على هؤلاء فريضة من الله، والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تدبيره وشرعه.

﴿٦١﴾ ومن المنافقين من يؤذون رسول الله ﷺ بالكلام، فيقولون لِمَا شاهدوا حلمه ﷺ: إنه يسمع من كل أحد ويصدق، ولا يميز بين الحق والباطل، قل لهم - أيها الرسول -: إن الرسول لا يسمع إلا الخير، يصدق بالله، ويصدق ما يخبر به المؤمنون الصادقون ويرحمهم، فإن بعثته رحمة لمن آمن به، والذين يؤذونه ﷺ بأي نوع من أنواع الإيذاء لهم عذاب موجه.

• مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الأموال والأولاد قد تكون سبباً للعذاب في الدنيا، وقد تكون سبباً للعذاب في الآخرة، فليتعامل العبد معهما بما يرضي مولاه، فتحقق بهما النجاة. • توزيع الزكاة موكل لاجتهاد ولالة الأمور يضعونها على حسب حاجة الأصناف وسعة الأموال. • إيذاء الرسول ﷺ فيما يتعلق برسائلته كفر، يترتب عليه العقاب الشديد. • ينبغي للعبد أن يكون أذن خير لا أذن شر، يستمع ما فيه الصلاح والخير، ويعرض ترفعاً وإباء عن سماع الشر والفساد.

﴿٥٥﴾ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، ولا المنافقين ولا أولادهم، تستحسنها، فعاقبة أموالهم وأولادهم سيئة، فالله يجعلها عذاباً عليهم بالكذب والتعب لتحصيلها، وبما ينزل من مصائب فيها إلى أن يخرج الله أرواحهم حال كفرهم فيعذبون بالخلود في الدرك الأسفل من النار.

﴿٥٦﴾ ويقسم المنافقون لكم - أيها المؤمنون - كاذبين: إنهم لمن جمعتكم، وهم ليسوا منكم في بواطنهم، وإن أظهروا أنهم منكم، لكنهم قوم يخافون أن يحل بهم ما حل بالمشركين من القتل والسبي، فيظهرون الإسلام تقية.

﴿٥٧﴾ لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ من حصن يحفظون فيه أنفسهم، أو يجدون كهوفاً في الجبال يخبتون فيها، أو يجدون نفقاً يدخلون فيه لالتجؤوا إليه، ودخلوا فيه وهم مسرعون.

﴿٥٨﴾ ومن المنافقين من يعيبك - أيها الرسول - في قسمة الصدقات عندما لا ينالون منها ما يريدون، فإن أعطيتهم منها ما يطلبون رضوا عنك، وإن لم تعطهم ما يطلبون منها أظهروا التذمر.

﴿٥٩﴾ ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يعيبونك في قسمة الصدقات رضوا بما فرضه الله لهم، وبما أعطاهم رسوله منها، وقالوا: كافينا الله، سيعطينا الله من فضله ما شاء، وسيعطينا رسوله مما أعطاه الله، إنا إلى الله وحده راغبون أن

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ
 أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ وَمَنْ
 يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
 ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ
 تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةُ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا
 إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
 لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ
 وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ
 بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ تَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً
 بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
 بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ
 حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

﴿٦٢﴾ يقسم المنافقون بالله لكم - أيها المؤمنون - أنهم لم يقولوا شيئاً يؤذي النبي ﷺ، ذلك ليرضوكم عنهم، والله ورسوله أولى بالإرضاء بالإيمان والعمل الصالح إن كان هؤلاء مؤمنين حقاً.

﴿٦٣﴾ ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنهم بعملهم هذا معادون لله ولرسوله، وأن من يعاديهما يدخل يوم القيامة نار جهنم ماكثاً فيها أبداً؟! ذلك الهوان والذل الكبير.

﴿٦٤﴾ يخاف المنافقون أن ينزل الله على رسوله سورة تطلع المؤمنين على ما يضمرونه في قلوبهم من الكفر، قل - أيها الرسول -: استمروا - أيها المنافقون - على سخريتكم وطعنكم في الدين، فالله مخرج ما تخافون بإنزال سورة أو بإخبار رسوله بذلك.

﴿٦٥﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - المنافقين عما قالوا من الطعن وسب المؤمنين بعد إخبار الله لك به ليقولن: كنا في حديث نمزح فيه ولم نكن جادين، قل - أيها الرسول -: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟!

﴿٦٦﴾ لا تعتذروا بهذه الأعذار الكاذبة، فقد أظهرتم الكفر باستهزائكم بعد أن كنتم تضمرونه، إن نتجاوز عن فريق منكم لتركه النفاق وتوبته منه وإخلاصه لله، نعذب فريقاً منكم لإصرارهم على النفاق وعدم توبتهم منه.

﴿٦٧﴾ المنافقون رجالاً ونساء متفقون في أحوال النفاق، وهم على النقيض من المؤمنين، فهم يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويخجلون بأموالهم فلا ينفقونها في سبيل الله، تركوا الله أن يطيعوه، فتركهم الله من توفيقه، إن المنافقين هم الخارجون عن طاعة الله وطريق الحق إلى معصيته وطريق الضلال.

﴿٦٨﴾ وعد الله المنافقين والكفار الذين لم يتوبوا أن يدخلهم نار جهنم ماكثين فيها أبداً، هي كافيتهم عقاباً، وطردهم الله من رحمته، ولهم عذاب مستمر.

• من قوائد الآيات:

- قبائح المنافقين كثيرة، ومنها الإقدام على الأيمان الكاذبة، ومعاداة الله ورسوله، والاستهزاء بالقرآن والنبي والمؤمنين، والتخوف من نزول سورة في القرآن تفضح شأنهم، واعتذارهم بأنهم هازلون لاعبون، وهو إقرار بالذنب، بل هو عذر أقبح من الذنب.
- لا يتقبل الهزل في الدين وأحكامه، وبعد الخوض بالباطل في كتاب الله ورسله وصفاته كفراً.
- التفاق: مرض غصّال متأصل في البشر. وأصحاب ذلك المرض متشابهون في كل عصر وزمان في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وقبض أيديهم وإمسакهم عن الإنفاق في سبيل الله للجهاد، وفيما يجب عليهم من حق.
- الجزاء من جنس العمل، فالذي يترك أوامر الله ويأتي نواهيه يتركه من رحمته.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثُرَ أَمْوَالُهُمْ
وَأُولَادُهُمْ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِعْتُمْ
كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودَ وَقَوْمُ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٧﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٦٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٩﴾

١٩٨

﴿٦٦﴾ أنتم - يا معشر المنافقين - في الكفر والاستهزاء مثل الأمم المكذبة من قبلكم، كانوا أعظم قوة منكم وأكثر أموالاً وأولاداً، فتمتعوا بنصيبهم المكتوب لهم من ملذات الدنيا وشهواتها، فتمتعتم أنتم - أيها المنافقون - بنصيبكم المقدر لكم من ذلك مثل تمتع الأمم المكذبة السابقة بنصيبهم، وخضعت في التكبذب بالحق والطعن في الرسول مثل خوضهم في التكذب به والطعن على رسلهم، أولئك المتصفون بتلك الصفات الذميمة هم الذين بطلت أعمالهم لفسادها عند الله بالكفر، وهم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك.

﴿٦٧﴾ ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر ما فعلته الأمم المكذبة، وما فعل بها من عقاب: قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم إبراهيم، وأصحاب مدين، وقرى قوم لوط؛ جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة والحجج الجلية، فما كان الله ليظلمهم؛ فقد أنذرتهم رسلهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بما كانوا عليه من الكفر بالله وتكذيب رسله.

﴿٦٨﴾ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أنصار بعض وأعوانهم؛ لجمع الإيمان بينهم، يأمرون بالمعروف؛ وهو كل محبوب لله تعالى من وجوه طاعته

كالتوحيد والصلاة، وينهون عن المنكر؛ وهو كل ما أبغضه الله تعالى من المعاصي كالكفر والربا، ويؤدون الصلاة كاملة على أكمل وجه، ويطيعون الله، ويطيعون رسوله؛ أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة سيدخلهم الله في رحمته، إن الله عزيز، لا يغالبه أحد، حكيم في خلقه وتديبه وشرعه.

﴿٦٩﴾ وعد الله المؤمنين بالله والمؤمنات به أن يدخلهم يوم القيامة جنات تجري الأنهار من تحت قصورها ماكين فيها دائماً، لا يموتون فيها ولا ينقطع نعيمهم، ووعدهم أن يدخلهم مساكن حسنة في جنات إقامة، ورضوان يحله الله عليهم أكبر من ذلك كله، ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.

❖ من قوالب الآيات،

- سبب العذاب للكفار والمنافقين واحد في كل العصور، وهو إثارة الدنيا على الآخرة والاستمتاع بها، وتكذيب الأنبياء والمكر والخديعة والغدر بهم.
- إهلاك الأمم والأقوام الغابرة بسبب كفرهم وتكذيبهم الأنبياء فيه عظة وعبرة للمعتبر من العقلاء.
- أهل الإيمان رجالاً ونساء أمة واحدة مترابطة متعاونة متناصرة، قلوبهم متحدة في التوادة والتحاب والتعاطف.
- رضا رب الأرض والسموات أكبر من نعيم الجنات؛ لأن السعادة الروحية أفضل من الجسمية.

﴿٧٤﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ، جَاهِدِ الْكُفَّارَ بَقِتَالِهِمْ بِالسَّيْفِ، وَجَاهِدِ الْمُنَافِقِينَ بِاللِّسَانِ وَالْحُجَّةِ، وَاشْدُدْ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ؛ فَهُمْ أَهْلُ لَذَّةٍ، وَمَقْرَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمُ، وَسَاءَ الْمَصِيرُ مَصِيرُهُمْ.

﴿٧٥﴾ يَحْلِفُ الْمُنَافِقُونَ بِاللَّهِ كَاذِبِينَ: مَا قَالُوا مَا بَلَغَكَ عَنْهُمْ مِنَ السَّبِّ لَكَ وَالْعَيْبِ لَدَيْكَ، وَلَقَدْ قَالُوا مَا بَلَغَكَ عَنْهُمْ مِمَّا يَكْفُرُهُمْ، وَأَظْهَرُوا الْكُفْرَ بَعْدَ إِظْهَارِهِمُ الْإِيمَانَ، وَلَقَدْ قَسَمُوا بِمَا لَمْ يَظْفَرُوا بِهِ مِنَ الْفِتَنِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَمَا أَنْكَرُوا شَيْئًا إِلَّا شَيْئًا لَا يَنْفَكُ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَفْضِلُ عَلَيْهِمْ بِإِغْنَائِهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ الَّتِي مَنَّ بِهَا عَلَى نَبِيِّهِ، فَإِنْ يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ نِفَاقِهِمْ تَكُنْ تَوْبَتُهُمْ مِنْهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنَ الْبَقَاءِ عَلَيْهِ، وَإِنْ يَتَوَلَّوْا عَنِ التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ يَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا مُوجَعًا فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا مُوجَعًا فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، وَلَيْسَ لَهُمْ وَلِيٌّ يَتَوَلَّاهُمْ فَيُنْقِذُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا نَاصِرٌ يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ.

﴿٧٦﴾ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ قَائِلًا: لَئِنْ أَعْطَانَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ لَنَتَصَدَّقَ عَلَى الْمَحْتَاجِينَ، وَلَنَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ صَلَحَتْ أَعْمَالُهُمْ. ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَضْلِهِ لَمْ يَفْعَلُوا بِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، بَلْ مَنَعُوا أَمْوَالَهُمْ فَلَمْ يَتَصَدَّقُوا بِشَيْءٍ، وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مَعْرُضُونَ عَنِ الْإِيمَانِ.

﴿٧٨﴾ فَجَعَلَ عَاقِبَتَهُمْ نِفَاقًا ثَابِتًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ عِقَابًا لَهُمْ عَلَى إِخْلَافِهِمْ لِعَهْدِ اللَّهِ. وَعَلَى كَذِبِهِمْ.

﴿٧٩﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَخْفُونَ مِنَ الْكَيْدِ وَالْمَكْرِ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَلَامُ الْغُيُوبِ؟ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ شَيْءٌ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

﴿٨٠﴾ الَّذِينَ يَعْطُونَ الْمُتَطَوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ الصَّدَقَاتِ الْيَسِيرَةَ، الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا شَيْئًا قَلِيلًا هُوَ حَاصِلُ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ قَائِلِينَ: مَاذَا تَجْدِي صَدَقَتَهُمْ؟! سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ جَزَاءً عَلَى سَخَرِيَّتِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُوجَعٌ.

﴿٨١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- وجوب جهاد الكفار والمنافقين، فجهاد الكفار باليد وسائر أنواع الأسلحة الحربية، وجهاد المنافقين بالحجة واللسان.
- المنافقون من شر الناس؛ لأنهم غادرون يقابلون الإحسان بالإساءة.
- في الآيات دلالة على أن نقض العهد وإخلاف الوعد يورث النفاق، فيجب على المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه.
- في الآيات ثناء على قوة البدن والعمل، وأنها تقوم مقام المال، وهذا أصل عظيم في اعتبار أصول الثروة العامة والتنويه بشأن العامل.

يَتَّيِّهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظْ عَلَيْهِمْ
وَمَا أُولَئِهِمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٤﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا
وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ
بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَكُ
عَذَابُ الْيَمِينِ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

(٨٠) اطلب - أيها الرسول - المغفرة لهم، أو لا تطلبها لهم، فإن طلبتها سبعين مرة، فإنها على كثرتها لن توصل إلى مغفرة الله لهم؛ لأنهم كافرون بالله ورسوله، والله لا يوفق للحق الخارجين عن شرعه عن عمد وقصد.

(٨١) فرح المتخلفون من المنافقين عن غزوة تبوك بقعودهم عن الجهاد في سبيل الله مخالفين رسول الله، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله كما يجاهد المؤمنون، وقالوا مشطبين لإخوانهم من المنافقين: لا تسيروا في الحر، وكانت غزوة تبوك في زمن الحر، قل لهم - أيها الرسول -: نار جهنم التي تنتظر المنافقين أشد حرًا من هذا الحر الذي فروا منه لو يعلمون.

(٨٢) فليضحك هؤلاء المنافقون المتخلفون عن الجهاد قليلًا في حياتهم الدنيا الفانية، وليبكوا كثيرًا في حياتهم الآخرة الباقية؛ جزاء على ما كانوا اكتسبوه من الكفر والمعاصي والآثام في الدنيا.

(٨٣) فإن أعادك الله - أيها النبي - إلى فريق من هؤلاء المنافقين ثابت على نفاقه، فطلبوا منك الإذن بالخروج معك في غزوة أخرى، فقل لهم: لن تخرجوا - أيها المنافقون - معي في الجهاد في سبيل الله أبدًا عقوبة لكم،

أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَعِذْ نَوَكُ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَافِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ أَعْمَتُوا بِاللَّهِ وَجْهَهُدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذْكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا زَانًا كُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

٢٠٠

وحذرًا من المفساد المترتبة على وجودكم معي، فقد رضيتم بالقعود والتخلف في غزوة تبوك، فاقعدوا وابتقوا مع المتخلفين من المرضى والنساء والصبيان.

(٨٦) ولا تصل - أيها الرسول - على أي ميت من موتى المنافقين أبدًا، ولا تقف على قبره للدعاء له بالمغفرة، ذلك لأنهم كفروا بالله وكفروا برسوله، وماتوا وهم خارجون عن طاعة الله. ومن كان كذلك لا يُصَلَّى عليه ولا يُدْعَى له.

(٨٧) ولا تعجبك - أيها الرسول - أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا، وذلك بما يعانونه من المشاق في سبيلها، وما يصابون به من مصائب فيها، وأن تخرج أرواحهم من أجسادهم وهم على كفرهم.

(٨٨) وإذا أنزل الله سورة على نبيه محمد ﷺ متضمنة للأمر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله طلب الإذن في التخلف عنك أصحاب الغنى واليسار منهم، وقالوا: اتركنا نتخلف مع أصحاب الأعداء كالضعفاء والزمنى.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافرًا. • الآيات تدل على قصر نظر الإنسان، فهو ينظر غالبًا إلى الحال والواقع الذي هو فيه، ولا ينظر إلى المستقبل وما يمتَحِضُ عنه من أحداث. • التهاون بالطاعة إذا حضر وقتها سبب لعقوبة الله وتثييطه للعبد عن فعلها وفضلها. • في الآيات دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، وزيارة قبورهم والدعاء لهم بعد موتهم، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك في المؤمنين.

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنِ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَسَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْهُمْ تَفْيِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِزُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

التوبة
الجزء ١١

٢٠١

﴿٨٧﴾ رضي هؤلاء المنافقون لأنفسهم الذلة والمهانة حين رَضُوا أن يتخلفوا مع أصحاب الأعذار، وختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم ونفاقهم، فهم لا يعلمون ما فيه مصلحتهم.

﴿٨٨﴾ أما الرسول والمؤمنون معه فلم يتخلفوا عن الجهاد في سبيل الله مثل هؤلاء، وإنما جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وكان جزاؤهم عند الله حصول المنافع الدنيوية لهم كالتنصر والغنائم، وحصول المنافع الآخروية، ومنها دخول الجنة، وحصول الفوز بالمطلوب والنجاة من المروهب.

﴿٨٩﴾ هيا الله لهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها ماكثين فيها أبدا، لا يلحقهم فناء، ذلك الجزاء هو الفلاح العظيم الذي لا يدانيه فلاح.

﴿٩٠﴾ وجاء قوم من أعراب المدينة ومن حولها يعتذرون إلى رسول الله ﷺ؛ ليأذن لهم في التخلف عن الخروج والجهاد في سبيل الله، وتخلف قوم آخرون لم يعتذروا أصلا عن الخروج؛ لعدم تصديقهم للنبي ولعدم إيمانهم بوعد الله، سينال هؤلاء بسبب كفرهم هذا عذاب مؤلم موجه.

﴿٩١﴾ ليس على النساء والصبيان والمرضى والعجزة والعمي والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقونه من المال ليتجهزوا به، ليس على هؤلاء جميعا

إثم في التخلف عن الخروج؛ لأن أعذارهم قائمة، إذا أخلصوا لله ورسوله، وعملوا بشرعه، ليس على المحسنين من أصحاب هذه الأعذار طريق لإيقاع العقاب عليهم، والله غفور رحيم بهم.

﴿٩٢﴾ ولا إثم كذلك على المتخلفين عنك الذين إن جاؤوك - أيها الرسول - يطلبون ما تحملهم عليه من الدواب وقلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه من الدواب؛ أدبروا عنك وأعينهم تسيل من الدمع أسفاً على أنهم لم يجدوا ما ينفقون من عند أنفسهم أو من عندك.

﴿٩٣﴾ لما بين أن لا طريق لعقوبة أهل الأعذار ذكر من يستحق العقوبة والمواخذة، فقال: إنما الطريق بالعقوبة والمواخذة على أولئك الذين يطلبون منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد وهم قادرون عليه بوجود ما يتجهزون به، رضوا لأنفسهم الذلة والهوان بأن يبقوا مع الخوالم في البيوت، وختم الله على قلوبهم فلا تأثر بموعظة، وهم بسبب هذا الختم لا يعلمون ما فيه مصلحتهم ليختاروه، وما فيه مفسدتهم ليتجنبوه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- المجاهدون سيحصلون الخيرات في الدنيا، وإن فاتهم هذا فلمهم الفوز بالجنة والنجاة من العذاب في الآخرة.
- الأصل أن المحسن إلى الناس تكرمًا منه لا يؤاخذ إن وقع منه تقصير.
- أن من نوى الخير، واقرن بينه الجازمة سعي فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر - فإنه يُنَزَّلُ مَنَزِلَةً الْفَاعِلِ لَهُ.
- الإسلام دين عدل ومنطق؛ لذلك أوجب العقوبة والمأثم على المنافقين المستأذنين وهم أغنياء ذوو قدرة على الجهاد بالمال والنفس.

﴿٩٤﴾ يُقَدِّمُ المنافقونَ الْمُتَخَلِّفُونَ عن الجهاد أعذارًا واهية للمسلمين حين عودتهم من الجهاد، ويوجه الله نبيه والمؤمنين بالرد عليهم: لا تعتذروا بالأعذار الكاذبة، لن نصدقكم فيما أخبرتمونا به منها، قد أعلمنا الله شيئًا مما في نفوسكم، وسيرى الله ورسوله: هل ستتوبون، فيقبل الله توبتكم، أم تستمرون على نفاقكم؟ ثم ترجعون إلى الله الذي يعلم كل شيء، فيخبركم بما كنتم تعملون، ويجازيكم عليه، فبادروا إلى التوبة والعمل الصالح.

﴿٩٥﴾ سيقسم هؤلاء المتخلفون بالله إذا رجعتهم - أيها المؤمنون - إليهم تأكيدًا لأعذارهم الباطلة؛ لتكفروا عن لومهم وتوبيخهم، فتركوهم ترك ساخط واهجروهم، إنهم أنجاس خبيثاء الباطن، ومستقرهم الذي يأوون إليه هو جهنم؛ جزاء لهم على ما يكسبونه من النفاق والآثام.

﴿٩٦﴾ يقسم هؤلاء المتخلفون لكم - أيها المؤمنون - لترضوا عنهم، وتقبلوا أعذارهم، فلا ترضوا عنهم، فإن ترضوا عنهم فقد خالفتم ربكم، فإنه لا يرضى عن القوم الخارجين عن طاعته بالكفر والنفاق؛ فاحذروا - أيها المسلمون - أن ترضوا عمن لا يرضى الله عنه.

﴿٩٧﴾ أهل البادية إن كفروا أو نافقوا

كان كفرهم أشد من كفر غيرهم من أهل الحضر، ونفاقهم أشد من نفاق أولئك، وهم أخرى بالجهل بالدين، وأحق بالآل يعلموا الفرائض والسنن وضوابط الأحكام التي أنزلها على رسوله؛ لما هم عليه من الجفاء والغلظة وقلة المخاطلة، والله عليم بأحوالهم، لا يخفى عليه منها شيء، حكيم في تدبيره وشرعه.

﴿٩٨﴾ ومن سكان البادية المنافقين من يعتقد أن ما يتنفق من مال في سبيل الله خسران وغرامة؛ لتوهمه أنه لا يؤجر إن أنفق، ولا يعاقبه الله إن أمسك، ولكنه مع هذا ينفق أحيانًا رياءً وتقية. ويتنظر أن ينزل بكم - أيها المؤمنون - شر فيتخلص منكم، بل جعل الله ما يتمنونه أن يقع على المؤمنين من الشر ودوران الزمان بما لا تحمد عقباه واقعًا عليهم هم لا على المؤمنين، والله سميع لما يقولونه، عليم بما يضمرونه.

﴿٩٩﴾ ومن سكان البادية من يؤمن بالله، ويؤمن بيوم القيامة، ويجعل ما يتنفق من مال في سبيل الله قربات يتقرب بها إلى الله، ووسيلة للظفر بدعاء الرسول ﷺ واستغفاره له، ألا إن إنفاقه في سبيل الله ودعاء الرسول له قربات له عند الله، سيجد ثوابها عنده بأن يدخله الله في رحمته الواسعة التي تشمل مغفرته وجنته، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٠٠﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- ميدان العمل والتكاليف خير شاهد على إظهار كذب المنافقين من صدقهم.
- أهل البادية إن كفروا فهم أشد كفرًا ونفاقًا من أهل الحضر؛ لتأثير البيئة.
- الحض على النفقة في سبيل الله مع إخلاص النية، وعظم أجر من فعل ذلك.
- فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الخطأ.

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَالَّذِينَ تَبِعُوا
 وَاتَّبَعُوا سَبِيلَهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ
 لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ
 مُنْفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ
 فَخَنُ تَعْلَمُهُمْ سَتُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
 عَظِيمٍ ۝ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا
 وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
 ۝ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
 إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ
 اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ
 وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ
 إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝

٢٠٣

الذين بادروا أولاً إلى الإيمان من المهاجرين الذين هاجروا من ديارهم وأوطانهم إلى الله، ومن الأنصار الذين نصرُوا نبيه ﷺ، والذين اتبعوا المهاجرين والأنصار السابقين إلى الإيمان بإحسان في الاعتقاد والأقوال والأفعال - رضي الله عنهم فقبل طاعتهم، ورضوا عنه لما أعطاهم من ثوابه العظيم، وأعدَّ لهم جنات تجري الأنهار تحت قصورها، مأكثين فيها أبداً. ذلك الجزاء هو الفلاح العظيم.

وَمَنْ هم قرييون من المدينة من سكان البادية منافقون، ومن أهل المدينة منافقون أقاموا على النفاق وثبتوا عليه، لا تعلمهم - أيها الرسول - الله هو الذي يعلمهم، سيعذبهم الله مرتين: مرة في الدنيا بانكشاف نفاقهم وقتلهم وأسرههم، ومرة في الآخرة بعذاب القبر، ثم يردون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في الدرك الأسفل من النار.

وَمِنْ أهل المدينة قوم آخرون تخلفوا عن الغزو من غير عذر، فأقروا على أنفسهم بأنهم لم يكن لهم عذر، ولم يأتوا بأعذار كاذبة، مزجوا أعمالهم الصالحة السابقة من القيام بطاعة الله، والتمسك بشرائعه، والجهاد في سبيله بعمل سيئ يرجون من الله أن يتوب عليهم، ويتجاوز عنهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

خُذْ - أيها الرسول - من أموالهم زكاة تطهرهم بها من دنس المعاصي والآثام، وتُتَمِّ حَسَنَاتِهِمْ بها، وادع لهم بعد أخذها منهم، إن دعاءك رحمة لهم وطمأنينة، والله سميع لدعائك، عليم بأعمالهم ونياتهم.

لِيَعْلَمَ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْجِهَادِ وَالتَّابُونَ إِلَى اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ يَقْبَلُ الصَّدَقَاتِ وَهُوَ غَنِي عَنْهَا، وَيُثِيبُ الْمُتَصَدِّقَ عَلَى صِدْقَتِهِ، وَأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ هُوَ التَّوَّابُ عَلَى مَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، الرَّحِيمُ بِهِمْ.

وَقُلْ - أيها الرسول - لهؤلاء الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْجِهَادِ وَالتَّائِبِينَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ: اجبروا ضرر ما فاتكم، وأخلصوا أعمالكم لله، واعملوا بما يرضيه، فسرى الله ورسوله والمؤمنون أعمالكم، وسترجعون يوم القيامة إلى ربكم الذي يعلم كل شيء، فيعلم ما تسرون وما تعلنون، وسيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم عليه.

وَمِنَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ غَزْوَةِ تَبُوكَ قَوْمٌ آخَرُونَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَذْرٌ، فَهَؤُلَاءِ مُؤَخَّرُونَ لِقِضَاءِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ فِيهِمْ، يَحْكُمُ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ: إما أن يعذبهم إن لم يتوبوا إليه، وإما أن يتوب عليهم إن تابوا، والله عليم بمن يستحق عقابه، وبمن يستحق عفوه، حكيم في شرعه وتدييره، وهؤلاء هم: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية.

مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- فضل المسارعة إلى الإيمان، والهجرة في سبيل الله، ونصرة الدين، واتباع طريق السلف الصالح.
- استئثار الله ﷻ بعلم الغيب، فلا يعلم أحد ما في القلوب إلا الله.
- الرجاء لأهل المعاصي من المؤمنين بتوبة الله عليهم ومغفرته لهم إن تابوا وأصلحوا عملهم.
- وجوب الزكاة وبيان فضلها وأثرها في تنمية المال وتطهير النفوس من البخل وغيره من الآفات.

﴿١٧﴾ ومن المنافقين أيضًا أولئك الذين ابتنوا مسجدًا لغير طاعة الله، بل للإضرار بالمسلمين، وإظهار الكفر بتقوية أهل النفاق، وللتفريق بين المؤمنين، وللإعداد والانتظار لمن حارب الله ورسوله من قبل بناء المسجد، وليلحق هؤلاء المنافقون لكم: ما قصدنا إلا الرفق بالمسلمين، والله يشهد إنهم لكاذبون في دعواهم هذه.

﴿١٨﴾ مسجد هذه صفته لا تستجب - أيها النبي - لدعوة المنافقين لك للصلاة فيه، فإن مسجد قباء الذي أسس أول ما أسس على التقوى أولى بأن تصلي فيه من هذا المسجد الذي أسس على الكفر، في مسجد قباء رجال يحبون أن يتطهروا من الأحداث والأخبار بالماء، ومن المعاصي بالشبهة والاستغفار، والله يحب المتطهرين من الأحداث والأخبار والذنوب.

﴿١٩﴾ أيستوي من أسس بنيانه على تقوى من الله بامثال أوامره، واجتناب نواهيه، ورضوان الله بالتوسع في أعمال البر مع من بنى مسجدًا للإضرار بالمسلمين وتقوية الكفر، والتفريق بين المؤمنين؟ لا يستويان أبدًا، فالأول بنيانه قوي متماسك لا يخشى عليه السقوط، وهذا مثله كمثل من بنى بنيانًا على شفير حفرة فتهدم وسقط، فانهار به بنيانه في قعر جهنم، والله لا

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَلَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُمْ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شِقَاجِرٍ هَا رَاقَتْهَا رِيحُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ لَا يَزَالُ بُنِيَ لَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠﴾ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعَكُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢١﴾

٢٠٤

يوفق القوم الظالمين بالكفر والنفاق وغير ذلك.

﴿٢٠﴾ لا يزال مسجدهم الذي بنوه ضرارًا شكا ونفاقًا ثابتًا في قلوبهم حتى تقطع قلوبهم بالموت أو القتل بالسيف، والله عليم بأعمال عباده، حكيم فيما يحكم به من جزاء على الخير أو الشر.

﴿٢١﴾ لما بين الله فضائح المنافقين المتخلفين عن الجهاد ذكر جزاء المجاهدين في سبيله فقال: ﴿٢١﴾ إن الله سبحانه اشترى من المؤمنين أنفسهم - مع أنهم ملكه؛ تفضلاً منه - بثمان غال هو الجنة، حيث يقاتلون الكفار لتكون كلمة الله هي العليا، فيقتلون الكفار، ويقتلهم الكفار، وعد الله بذلك وعدًا صدقًا في التوراة: كتاب موسى، والإنجيل: كتاب عيسى عليه السلام، والقرآن: كتاب محمد ﷺ، ولا أحد أوفى بعهد من الله سبحانه؛ فافرحوا وسروا - أيها المؤمنون - ببيعكم الذي بايعتم به الله، فقد ربحتم فيه ربحًا عظيمًا، وذلك البيع هو الفلاح العظيم.

﴿٢٢﴾ من قواعد الآيات،

- محبة الله ثابتة للمتطهرين من الأنجاس البدنية والروحية.
- لا يستوي من عمل عملاً قصد به وجه الله؛ فهذا العمل هو الذي سيقى ويسعد به صاحبه، مع من قصد بعمله نصرة الكفر ومحاربة المسلمين؛ وهذا العمل هو الذي سيفنى ويشقى به صاحبه.
- مشروعية الجهاد والحض عليه كانت في الأديان التي قبل الإسلام أيضًا.
- كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها، كما أن كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين واتلافهم يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها.

الَّتِي بَوَّاتِ الْعَيْدُونَ الْحَمْدُوتِ السَّيِّحُونَ
الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٧﴾ وَمَا
كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا
إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ
هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾
لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ
فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢١﴾

٢٠٥

اجتنابها، فإن ارتكبوا ما حرم عليهم بعد بيان تحريمه حكم عليهم بالضلال، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، وقد علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

﴿١١٦﴾ إن الله له ملك السماوات وملك الأرض، لا شريك له فيهما، لا يخفى عنه فيهما خافية، يُخَيِّي من شاء إحياء، ويميت من شاء إماتته، وما لكم - أيها الناس - غير الله من ولي يتولى أموركم، وما لكم من نصير يدفع عنكم السوء، وينصركم على عدوكم.

﴿١١٧﴾ لقد تاب الله على النبي محمد ﷺ إذ أذن للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك، ولقد تاب على المهاجرين، وعلى الأنصار الذين لم يتخلفوا عنه، بل اتبعوه في غزوة تبوك مع شدة الحر وقلة ذات اليد وقوة الأعداء، بعدما كادت تميل قلوب طائفة منهم هموا بترك الغزو؛ لما هم فيه من الشدة العظيمة، ثم وفقهم الله للثبات والخروج إلى الغزو، وتاب عليهم، إنه سبحانه رؤوف بهم رحيم، ومن رحمته توفيقهم للتوبة وقبولها منهم.

﴿١١٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- بطلان الاحتجاج على جواز الاستغفار للمشركين بفعل إبراهيم عليه السلام.
- أن الذنوب والمعاصي هي سبب المصائب والخذلان وعدم التوفيق.
- أن الله هو مالك الملك، وهو ولينا، ولا ولي ولا نصير لنا من دونه.
- بيان فضل أصحاب النبي ﷺ على سائر الناس.

﴿١٧٨﴾ ولقد تاب الله على الثلاثة، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية؛ الذين خُلِفُوا عن التوبة وأُخِّرَ قبول توبتهم بعد تخلفهم عن الخروج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، فأمر النبي ﷺ الناس بهجرانهم، وأصابهم حزن وغم على ذلك حتى ضاقت عليهم الأرض على سعتها، وضاقت صدورهم بما حصل لهم من الوحشة، وعلموا أن لا ملجأ لهم يلجؤون إليه إلا إلى الله وحده، فرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم قبل توبتهم، إنه هو التواب على عباده، الرحيم بهم.

﴿١٧٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله وعملوا بشرعه، اتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وكونوا مع الصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم، فلا مُنْجاة لكم إلا في الصدق.

﴿١٨٠﴾ ليس لأهل المدينة ولا لمن حولهم من سكان البادية أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الجهاد بنفسه، وليس لهم أن يَتَّخِذُوا بأنفسهم، ويصونوها عن نفسه ﷺ، بل الواجب عليهم أن يبذلوا أنفسهم دون نفسه؛ ذلك لأنهم لا ينالهم عطش، ولا تعب، ولا مجاعة في سبيل الله، ولا ينزلون مكاناً يثير وجودهم به غيظ الكفار، ولا يصيبون من عدو قتلًا أو أسراً أو غنيمَةً أو هزيمة - إلا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح يقبله منهم، إن الله لا يضيع أجر المحسنين، بل يوفيهم إياه كاملاً، ويزيدهم عليه.

﴿١٨١﴾ ولا يبذلون مالاً قليلاً كان أو كثيراً، ولا يتجاوزون وادياً إلا كتب لهم ما عملوه من بذل ومن سفر ليكافئهم الله، فيعطيهما في الآخرة أجر أحسن ما كانوا يعملون.

﴿١٨٢﴾ وما ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا للقتال جميعاً حتى لا يُسْتَأْصَلُوا إذا ظهر عليهم عدوهم، فهلاً خرج للجهاد فريق منهم، وبقي فريق ليرافقوا رسول الله ﷺ، ويتفقهوا في الدين بما يسمعون منه ﷺ من القرآن وأحكام الشرع، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما تعلموه؛ رجاء أن يحذروا من عذاب الله وعقابه، فيمتثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه. وكان هذا في السرايا التي كان يبعثها رسول الله ﷺ إلى النواحي، ويختار لها طائفة من أصحابه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- وجوب تقوى الله والصدق وأنهما سبب للنجاة من الهلاك.
- عظم فضل الثقة في سبيل الله.
- وجوب الثقة في الدين مثله مثل الجهاد، وأنه لا قيام للدين إلا بهما معاً.

﴿١٢٦﴾ أمر الله تعالى المؤمنين بقتال من يجاورهم من الكفار؛ لما يسببون من خطر على المؤمنين بسبب قربهم، وأمرهم كذلك أن يُظهروا قوة وشدة من أجل إرهابهم ودفع شرهم، والله تعالى مع المؤمنين المتقين بعونه وتأييده.

﴿١٢٧﴾ وإذا أنزل الله سورة على رسوله ﷺ فمن المنافقين من يسأل مستهزئاً ساخراً: أيكم زادته هذه السورة النازلة إيماناً بما جاء به محمد؟ فأما الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله فقد زادهم نزول السورة إيماناً إلى إيمانهم السابق، وهم مسرورون بما نزل من الوحي؛ لما فيه من منافعهم الدنيوية والأخروية.

﴿١٢٨﴾ وأما المنافقون فإن نزول القرآن بما فيه من أحكام وقصص يزيدهم مرضاً وخيباً بسبب تكذيبهم بما ينزل، فيزداد مرض قلوبهم بزيادة نزول القرآن؛ لأنهم كلما نزل شيء شكوا بما فيه وماتوا على الكفر.

﴿١٢٩﴾ أولاً ينظر المنافقون معتبرين بابتلاء الله لهم بكشف حالهم وفضح نفاقهم كل سنة مرة أو مرتين؟! ثم مع علمهم بأن الله تعالى هو فاعل ذلك بهم لا يتوبون إليه من كفرهم، ولا يقلعون عن نفاقهم، ولا هم يتذكرون ما حل بهم وأنه من الله!

﴿١٣٠﴾ وإذا أنزل الله سورة على

رسوله ﷺ فيها ذكر أحوال المنافقين نظر بعض المنافقين إلى بعض قائلين: هل يراكم أحد؟ فإن لم يره أحد انصرفوا عن المجلس، ألا صرف الله قلوبهم عن الهداية والخير، وخذلهم بأنهم قوم لا يفهمون.

﴿١٣١﴾ لقد جاءكم - يا معشر العرب - رسول من جنسكم، فهو عربي مثلكم، شاق عليه ما يشق عليكم، شديدة رغبته في هدايتكم والعناية بكم، وهو بالمؤمنين خاصة كثير العطف والرحمة.

﴿١٣٢﴾ فإن أعرضوا عنك، ولم يؤمنوا بما جئت به، فقل لهم - أيها الرسول -: يكفيني الله الذي لا معبود بحق سواه، عليه وحده اعتمدت، وهو سبحانه رب العرش العظيم.

﴿١٣٣﴾ من قوايد الآيات.

- وجوب ابتداء القتال بالأقرب من الكفار إذا اتسعت رقعة الإسلام، ودعت إليه حاجة.
- بيان حال المنافقين حين نزول القرآن عليهم وهي الترقب والاضطراب.
- بيان رحمة النبي ﷺ بالمؤمنين وحرصه عليهم.
- في الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتفقد إيمانه ويتعاهده فيجده وينمي؛ ليكون دائماً في صعود.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِإِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٨﴾ وَأَوَّلًا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣٠﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٣٢﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

الآيات

الآيات

٢٠٧

● من مقاصد الشورى:

مواجهة المكذبين للوحي بالحجج والبراهين ودعوتهم للإيمان ترغيباً وترهيباً.

● التفسير:

① ﴿الر﴾ سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. هذه الآيات المتلوة في هذه السورة آيات القرآن المحكم المتقن المشتمل على الحكمة والأحكام.

② أكان باعثاً للناس على التعجب أن أنزلنا الوحي على رجل من جنسهم؟ أمرين إياه أن يحذرهم من عذاب الله؟! وأخير - أيها الرسول - الذين آمنوا بالله بما يسره؛ أن لهم منزلة عالية جزاء على ما قدموه من عمل صالح عند ربهم سبحانه، قال الكافرون: إن هذا الرجل الذي جاء بهذه الآيات لساحر ظاهر السحر.

③ إن ربكم - أيها المتعجبون - هو الله الذي خلق السماوات على عظمها، والأرض على اتساعها في ستة أيام، ثم علا وارتفع على العرش، فكيف تعجبون من إرساله رجلاً من جنسكم؟! وهو وحده الذي يقضي ويقرر في ملكه الواسع، وما لأحد أن يشفع لديه في شيء إلا بعد إذنه ورضاه عن الشافع، ذلكم المتصف بهذه

الصفات هو الله ربكم، فأخلصوا له العبادة وحده، أفلا تتعظون بكل هذه البراهين والحجج على وحدانيته؟ فمن كان له أدنى اتعاض علم ذلك، وآمن به.

④ إليه وحده رجوعكم يوم القيامة؛ ليجازيكم على أعمالكم، وعد الله الناس بذلك وعداً صادقاً لا يخلفه، إنه على ذلك قادر، يبدأ إيجاد المخلوق على غير مثال سابق، ثم يعيده بعد موته؛ ليجزي سبحانه الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات بالعدل فلا ينقص من حسناتهم، ولا يزيد في سيئاتهم، والذين كفروا بالله وبرسله لهم شراب من ماء متناهي الحرارة، يقطع أمعاءهم، ولهم عذاب موجه بسبب كفرهم بالله وبرسله.

⑤ هو الذي جعل الشمس تشع الضوء وتنشره، وجعل القمر نوراً يستنار به، وقدر سيره بعدد منازل الثماني والعشرين، والمنزلة هي المسافة التي يقطعها كل يوم وليلة؛ لتعلموا - أيها الناس - بالشمس عدد الأيام، وبالقمر عدد الشهور والسنين، ما خلق الله السماوات والأرض وما فيهما إلا بالحق؛ ليظهر قدرته وعظمته للناس، يبين الله هذه الأدلة الواضحة والبراهين الجلية على وحدانيته لقوم يعلمون الاستدلال بها على ذلك.

⑥ إن في تعاقب الليل والنهار على العباد، وما يصحب ذلك من ظلمة وضياء، وقصر أحدهما وطوله، والمخلوقات التي في السماوات والأرض لعلامات دالة على قدرة الله لقوم يتقون الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه.

● من قوايد الآيات،

● إثبات نبوة النبي ﷺ وأن إرساله أمر معقول لا عجب فيه. ● خلق السماوات والأرض ومن فيهما، وتدبير الأمور. وتقدير الأزمان واختلاف الليل والنهار كلها آيات عظيمة دالة على ألوهية الله سبحانه. ● الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا لمن أذن له الله، ورضي قوله وفعله. ● تقدير الله ﷻ لحركة الشمس وللمنازل القمر يساعد على ضبط التاريخ والأيام والسنين.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَارٍ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا
بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَلْفُلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا وَلَهُمْ
النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ
الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ
اللَّهُمَّ وَنَحْمُكَ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا عَنْهَا دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرَ الَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَارٍ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ
الْضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْقَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُ وَمَرَكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِلْمُتَسِّرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونِ
مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ
خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿٧﴾ إن الكافرين الذين لا يتوقعون لقاء الله فيخافوه أو يطمعوا فيه، وارتضوا الحياة الدنيا القانية بدلاً من الحياة الآخورية الباقية، وسكنت أنفسهم إليها فرحة بها، والذين هم عن آيات الله ودلائله معرضون عنها لا هم.

﴿٨﴾ أولئك المتصفون بهذه الصفات مستقرهم الذي يأوون إليه هو النار؛ بسبب ما اكتسبوه من الكفر والتكذيب بيوم القيامة.

﴿٩﴾ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات يرزقهم الله الهداية إلى العمل الصالح الموصول إلى رضاه؛ بسبب إيمانهم، ثم يدخلهم الله يوم القيامة في جنات النعيم الدائم، تجري من تحتهم الأنهار.

﴿١٠﴾ دعاؤهم في الجنة هو تسبيح الله وتقديسه، وتحية الله لهم وتحية الملائكة وتحية بعضهم لبعض: سلام، وخاتمة دعائهم الشاء على الله رب المخلوقات كلها.

﴿١١﴾ ولو يُعَجِّلُ الله سبحانه استجابة دعاء الناس على أنفسهم وأولادهم وأمورهم بالشر عند الغضب، مثل ما يستجيب لهم في دعائهم بالخير - لهلكوا، ولكن الله يمهلهم، فيترك الذين لا ينتظرون لقاء - لأنهم لا يخافون عقاباً ولا يرتجون ثواباً - يتركهم مترددين حائرين مرتابين في يوم الحساب.

﴿١٢﴾ وإذا أصاب الإنسان المسرف على نفسه مرض أو سوء حال، دعانا متذللاً متضرعاً مضطجعاً على جنبه أو قاعداً أو قائماً؛ رجاء أن يُزال ما به من ضرر، فلما استجيبنا دعاءه، وأزلنا ما به من ضرر مضى على ما كان عليه كأنه لم يدعنا لكشف ضرر أصابه، كما زُين لهذا المعرض الاستمرار في ضلاله زُين للمتجاوزين للحدود بكفرهم ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي، فلا يتركونه.

﴿١٣﴾ ولقد أهلكنا الأمم من قبلكم - أيها المشركون - لتكذيبهم برسول الله وارتكابهم المعاصي، وقد جاءتهم رسلهم الذين أرسلناهم إليهم بالبراهين الواضحة الدالة على صدقهم فيما جاؤوا به من عند ربهم، فما استقام لهم أن يؤمنوا؛ لعدم استعدادهم للإيمان، فخذلهم الله، ولم يوقفهم له، كما جازينا تلك الأمم الظالمة نجزي أمثالهم في كل زمان ومكان.

﴿١٤﴾ ثم صَيَّرْنَاكُمْ - أيها الناس - خَلَفًا لتلك الأمم المكذبة التي أهلكناها؛ لننظر كيف تعملون، هل تعملون خيراً فتثابروا عليه، أم تعملون شراً فتعاقبوا عليه؟

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- لطف الله ﷻ بعباده في عدم إجابة دعائهم على أنفسهم وأولادهم بالشر.
- بيان حال الإنسان بالدعاء في الضراء والإعراض عند الرخاء والتحذير من الاتصاف بذلك.
- هلاك الأمم السابقة كان سببه ارتكابهم المعاصي والظلم.

﴿١٥﴾ وإذا تُقرأ عليهم الآيات القرآنية الواضحة الدالة على توحيد الله، قال منكرو البعث الذين لا يرجون ثواباً، ولا يخافون عقاباً: جئ - يا محمد - بقرآن غير هذا القرآن المشتمل على سب عبادة الأصنام أو غيره بنسخ بعضه أو كله بما يوافق أهواءنا، قل لهم - أيها الرسول - لا يصح أن أغيّرهُ أنا، ولا أستطيع - بالأولى - الإتيان بغيره، بل الله وحده هو الذي يبدل منه ما يشاء، فلست أتبع إلا ما يوحى به الله إلي، إنني أخاف إن عصيت الله بإجابتكم إلى ما طلبتم عذاب يوم عظيم، وهو يوم القيامة.

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول - لو شاء الله ألا أقرأ القرآن عليكم ما قرأته عليكم، وما بلغتكم إياه، ولو شاء الله ما أعلمكم بالقرآن علي لساني، فقد مكث بينكم زمناً طويلاً - هو أربعون سنة - لا أقرأ ولا أكتب، ولا أطلب هذا الشأن ولا أبحث عنه، أفلا تدركون بعقولكم أن ما جئتم به هو من عند الله، ولا شأن لي فيه؟!

﴿١٧﴾ فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً، فكيف لي أن أبدل القرآن افتراء عليه، إن الشأن أن المتجاوزين لحدود الله بالافتراء عليه لا يفوزون بمطلوبهم.

﴿١٨﴾ ويعبد المشركون من دون الله آلهة مزعومة، لا تنفع ولا تضر، والمعبود

وإذا أتتني عليهم آياتي أتيتني قال الذين لا يرجون لقاءنا أنت بقدر إن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله ومن تلقاي نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴿١٥﴾ قل لو شاء الله ما تكلمت عليكم ولا أذكر لكم به فقد ليئت فيكم عذراً من قبله أفلا تعقلون ﴿١٦﴾ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يضلح المجرمون ﴿١٧﴾ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفَعونا عند الله قل اتذنبون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿١٨﴾ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ﴿١٩﴾ ويقولون لو لا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين ﴿٢٠﴾

بالحق ينفع ويضر متى شاء، ويقولون عن معبوداتهم: هؤلاء وسطاء يشفعون لنا عند الله فلا يعذبنا بذنوبنا، قل لهم - أيها الرسول - أنخبرون الله العليم أن له شريكاً، وهو لا يعلم له شريكاً في السماوات ولا في الأرض، تقدّس وتَنَزَّه عما يقوله المشركون من الباطل والكذب.

﴿١٩﴾ وما كان الناس إلا أمة واحدة مؤمنة موحدة فاختلّفوا، فمنهم من بقي مؤمناً، ومنهم من كفر، ولولا ما مضى من قضاء الله أنه لا يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه في الدنيا، وإنما يحكم بينهم فيه يوم القيامة، لولا ذلك لحكم بينهم في الدنيا فيما يختلفون فيه، فيتبين المهتدي من الضال.

﴿٢٠﴾ ويقول المشركون: هلا أنزل على محمد آية من ربه دالة على صدقه؟ فقل لهم - أيها الرسول -: نزول الآيات غيب يختص الله بعلمه، فانتظروا ما اقترحتهم من الآيات الحسية، إني معكم من المنتظرين لها.

﴿٢١﴾ من هو أيدى الآيات،

• عظم الافتراء على الله والكذب عليه وتحريف كلامه كما فعل اليهود بالتوراة.

• النفع والضرر بيد الله ﷻ وحده دون ما سواه.

• بطلان قول المشركين بأن آلهتهم تشفع لهم عند الله.

• اتباع الهوى والاختلاف على الدين هو سبب الفرقة.

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسْتَهْمٍ ۚ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ
 فِيءَ آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ
 ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ
 وَجَرَينَ بِهِمْ يَرْيَحُ طَيْبَةً وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَ تَهَارِيجٌ عَاصِفٌ
 وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ
 دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ
 مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا أَجَاهُمْ إِذَا هُمْ بِعَجُونٍ فِي الْأَرْضِ يَغِيرُ
 الْحَقُّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَّتَّعَ الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾
 إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ
 بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا
 أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ
 عَلَيْهَا آتَاهَا أَمْرًا نَّالِيًا أَوْ نَهَاها فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ
 بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا
 إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٠﴾

٢١١

﴿٦٦﴾ وإذا أذقنا المشركين نعمة من مطر وخصب بعد جلد وبؤس أصابهم، إذا لهم استهزاء وتكذيب بآياتنا، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: الله أسرع مكرًا، وأسرع استدراجًا لكم وعقوبة، إن الحفظة من الملائكة يكتبون ما تُدبرون من مكر، لا يفوتهم منه شيء، فكيف يفوت خالفهم؟! وسيجازيكم الله على مكركم.

﴿٦٧﴾ الله هو الذي يُسَيِّرُكم - أيها الناس - في البر على أقدامكم وعلى دوابكم، وهو الذي يسيركم في البحر في السفن، حتى إذا كنتم في السفن في البحر، وجرت بهم بريح طيبة، فرح الركاب بتلك الريح الطيبة، فينما هم في فرحهم جاءتهم ريح قوية الهبوب، وجاءهم موج البحر من كل جهة، وغلب على ظنهم أنهم هالكون؛ دعو الله وحده، ولم يشركوا معه غيره قائلين: لنز أنقذتنا من هذه المحنة المهلكة لنكونن من الشاكرين لك على ما أنعمت به علينا.

﴿٦٨﴾ فلما استجاب دعاءهم، وأنقذهم من تلك المحنة، إذا هم يفسدون في الأرض بارتكاب الكفر والمعاصي والآثام. أفيقوا - أيها الناس - إنما عاقبة بُغْيِكُم السيئة على أنفسكم، فالله لا يضره بُغْيُكُمْ، تتمتعون به في الحياة الدنيا وهي فانية، ثم إلينا رجوعكم يوم القيامة، فنخبركم بما كنتم تعملون من المعاصي، ونجازيكم عليها.

﴿٦٩﴾ إنما مثل الحياة الدنيا التي تتمتعون فيها في سرعة انقضائها كمثل مطر اختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس من الحبوب والثمار، ومما تأكل الأنعام من الحشيش وغيره، حتى إذا أخذت الأرض لونها الزاهي - وتجمّلت بما تنبت من أنواع النبات، وظن أهلها أنهم قادرون على حصاد ما أنبت وقطافه، جاءها قضاؤنا يهلكها، فصيرناها محصودة كأن لم تكن عامرة بالأشجار والنباتات في عهد قريب، كما بيّنا لكم حال الدنيا وسرعة انقضائها نبين الأدلة والبراهين لمن يتفكرون ويعتبرون.

﴿٧٠﴾ والله يدعو جميع الناس إلى جنته التي هي دار السلام، يسلم فيها الناس من المصائب والهموم، ويسلمون من الموت، والله يوفق من شاء من عباده إلى دين الإسلام الموصل إلى دار السلام هذه.

﴿٧١﴾ مِن قَوْلِ الْآيَاتِ:

- الله أسرع مكرًا بمن مكر بعباده المؤمنين.
- بغى الإنسان عائد على نفسه ولا يضر إلا نفسه.
- بيان حقيقة الدنيا في سرعة انقضائها وزوالها، وما فيها من النعيم فهو فان.
- الجنة هي مستقر المؤمن؛ لما فيها من النعيم والسلامة من المصائب والهموم.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ ﴿٦٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتِرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۚ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۚ فَإِنِّي نَصْرَفْتُ ﴿٧٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٣﴾

٢١٢ هـ

نأمركم بها، وأنا لم نشعر بعبادتكم.

﴿٦٦﴾ في ذلك الموقف العظيم تختبر كل نفس ما أمضت من عمل في حياتها الدنيا، وأرجع المشركون إلى ربهم الحق الذي هو الله الذي يتولى حسابهم، وذهب عنهم ما افتروه من شفاعة أصنامهم.

﴿٦٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين بالله: من يرزقكم من جهة السماء بإتزال المطر عليكم؟ ومن يرزقكم من الأرض بما ينبت فيها من نبات، وبما تحويه من معادن؟ ومن يُخرج الحي من الميت كالإنسان من النطفة، والطير من البيضة، ومن يُخرج الميت من الحي كالنطفة من الحيوان، والبيضة من الطير؟ ومن يدبر أمر السماوات والأرض وما فيهن من مخلوقات؟ فسيجيئون بأن فاعل ذلك كله هو الله، فقل لهم: أفلا تعلمون ذلك. وتتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه؟!

﴿٧٠﴾ فذلكم - أيها الناس - الذي يفعل ذلك كله هو الله الحق خالقكم، ومدبر أمركم، فماذا بعد معرفة الحق غير البعد عنه والضياع؟! فأين تذهب عقولكم عن هذا الحق الجلي؟!

﴿٧١﴾ كما ثبتت الربوبية الحققة لله وجبت - أيها الرسول - كلمة ربك القدريّة على الذين خرجوا عن الحق عنادًا أنهم لا يؤمنون.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أعظم نعيم يُرغَّب به المؤمن هو النظر إلى وجه الله تعالى. • بيان قدرة الله، وأنه على كل شيء قدير.
- التوحيد في الربوبية والإشراك في الإلهية باطل، فلا بد من توحيدهما معًا. • إذا قضى الله بعدم إيمان قوم بسبب معاصيهم فإنهم لا يؤمنون.

﴿٦٦﴾ للذين أحسنوا بالقيام بما أوجبه الله عليهم من الطاعات، وترك ما حرم عليهم من المعاصي؛ المثوبة الحسنی، وهي الجنة، ولهم زيادة عليها، وهي النظر إلى وجه الله الكريم، ولا يغشى وجوههم غبار، ولا يغشاها هوان ولا خزي، أولئك المتصفون بالإحسان أصحاب الجنة هم فيها ماكنون.

﴿٦٧﴾ والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي لهم جزاء السيئة التي عملوها بمثلها من عقاب الله في الآخرة، وتغشى وجوههم ذلة وهوان، ليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله إذا أنزله بهم، كأنما ألّبت وجوههم سوادًا من الليل المظلم من كثرة ما يغشاها من دخان النار وسوادها، أولئك المتصفون بتلك الصفات أصحاب النار هم فيها ماكنون أبدًا.

﴿٦٨﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم القيامة حين نحشر جميع الخلائق، ثم نقول للذين أشركوا بالله في الدنيا: الزموا - أيها المشركون - مكانكم أنتم ومعبوداتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله. ففصرنا بين المعبودين والعابدين، وتبرأ المعبودون من العابدين قائلين: لم تكونوا تعبدونها في الدنيا.

﴿٦٩﴾ هنا تبرأ منهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله قائلة: فالله شاهد - وكفى به - أنا لم نرض بعبادتكم لنا، ولم

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَقُلِ اللَّهُ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَقُلْ أَنِ تَتَّقُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَا تَهُمُ تَأْوِيلَهُ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبِّي أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيقُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

٢١٣

﴿٢٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هل من بين شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله من يُنشئ الخلق على غير مثال سابق، ثم يبعثه بعد موته؟ قل لهم: الله يُنشئ الخلق على غير مثال سابق، ثم يبعثه بعد موته، فكيف تصرفون - أيها المشركون - عن الحق إلى الباطل؟!

﴿٢٥﴾ قل لهم - أيها الرسول -: هل من بين شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله من يرشد إلى الحق؟ قل لهم: الله وحده يرشد إلى الحق، فهل من يرشد الناس إلى الحق، ويدعوهم إليه أولى بأن يتبع أم معبوداتكم التي لا تهتدي بنفسها إلا أن يهديها غيرها؟! فما لكم كيف تحكمون بالباطل حين تزعمون أنهم شركاء لله؟! تعالى الله عن قولكم علواً كبيراً.

﴿٢٦﴾ وما يتبع معظم المشركين إلا ما لا علم لهم به، فما يتبعون إلا وهماً وشكاً، إن الشك لا يقوم مقام العلم، ولا يغني عنه، إن الله عليم بما يفعلونه، لا يخفى عليه شيء من أفعالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٢٧﴾ وما يصح لهذا القرآن أن يُخلق، وينسب إلى غير الله لعجز الناس ضرورة عن الإتيان بمثله، ولكنه مصدق لما نزل من الكتب قبله، ومبين لما أجمل فيها من الأحكام، فهو لا شك فيه أنه منزل من رب المخلوقات.

﴿٢٨﴾ بل أيقول هؤلاء المشركون: إن

محمداً ﷺ اختلق هذا القرآن من نفسه، ونسبه إلى الله، قل - أيها الرسول - رداً عليهم: إن كنت قد أتيت به من عندي وأنا بشر مثلكم فأتوا أنتم بسورة من مثله، وادعوا من استطعتم دعاءه لمظاهر تكلم إن كنتم صادقين فيما تدعون من أن القرآن مختلق مكذوب، ولن تستطيعوا ذلك، وعدم قدرتهم - وأنتم أصحاب اللسان وأرباب الفصاحة - دال على أن القرآن منزل من عند الله.

﴿٢٩﴾ فلم يجيبوا، بل سارعوا بتكذيب القرآن قبل أن يفهموه ويتدبروه، وقبل أن يحصل ما أنذروا به من العذاب، وقد اقترب إتيان ذلك، مثل هذا التكذيب كذبت الأمم السابقة، فنزل بها ما نزل من العذاب، فتأمل - أيها الرسول - كيف كانت نهاية الأمم المكذبة، فقد أهلكهم الله.

﴿٣٠﴾ ومن المشركين من سيؤمن بالقرآن قبل موته، ومنهم من لا يؤمن به عناداً ومكابرة حتى يموت، ، وربك - أيها الرسول - أعلم بالمُصيرين على كفرهم، وسيجازيهم على كفرهم.

﴿٣١﴾ فإن كذبتك - أيها الرسول - قومك فقل لهم: لي ثواب عملي وأنا أتحمل تبعه عملي، ولكم ثواب عملكم وعليكم عقابه، أنتم بريئون من عقاب ما أعمل، وأنا بريء من عقاب ما تعملون.

﴿٣٢﴾ ومن المشركين من يستمع إليك - أيها الرسول - إذا قرأت القرآن استماعاً غير مقرون بقبول وإذعان، أفأنت تقدر على إسماع من سلب السمع؟! فكذلك لن تقدر على هداية هؤلاء الذين صموا عن سماع الحق فلا يعقلونه.

• بين قوايد الآيات،

• الهادي إلى الحق هداية التوفيق هو الله وحده دون ما سواه. • الحث على تطلب الأدلة والبراهين والهدايات للوصول للعلم والحق وترك الوهم والظن. • ليس في مقدور أحد أن يأتي ولو بأية مثل القرآن الكريم إلى يوم القيامة. • سفه المشركين وتكذيبهم بما لم يفهموه ويتدبروه.

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ
 (٤٧) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ
 يَظْلِمُونَ (٤٨) وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ
 يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا
 مُهْتَدِينَ (٤٩) وَإِنَّمَا نَرِيكَ بِعَضِّ أَلْيِ نَعْدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيَتَكَ
 فَإِنَّمَا مَرَجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (٥٠) وَلِكُلِّ
 أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ
 لَا يَظْلِمُونَ (٥١) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
 (٥٢) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ
 أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَسْقِضُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٥٣)
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن آتَاكُمْ عَذَابُهُ وَبَيَّتَ أُورْشَاكُمَا مَاذَا تَسْتَعِجِلُ مِنْهُ
 الْمُجْرِمُونَ (٥٤) أَتُمَرِّدُونَ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنٌ مِنْهُ بِهِ ءَالُكُمْ وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ
 تَسْتَعِجِلُونَ (٥٥) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ
 هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٦) * وَيَسْتَنِيذُونَكَ
 أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ وَلِحَقٍّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٧)

(٤٧) ومن المشركين من ينظر إليك - أيها الرسول - ببصره الظاهر لا ببصيرته، أفأنت تستطيع تبصير الذين سلبت أبصارهم؟! إنك لا تستطيع ذلك، وكذلك لا تستطيع هداية فاقد البصيرة.
 (٤٨) إن الله تنزه عن ظلم عباده، فهو لا يظلمهم مثقال ذرة، ولكنهم هم الذين يظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك؛ بسبب التعصب للباطل والمكابرة والعداوة.

(٤٩) ويوم يحشر الله الناس يوم القيامة لحسابهم كان لم يمكثوا في حياتهم الدنيا وفي برزخهم إلا ساعة من نهار لا أزيد، يعرف بعضهم بعضًا فيها، ثم تنقطع معرفتهم لشدة ما شاهدوا من أهوال القيامة، قد خسر الذين يكذبون بقاء ربهم يوم القيامة. وما كانوا مؤمنين في الدنيا بيوم البعث حتى يسلموا من الخسران.

(٥٠) وإما نريتك - أيها الرسول - بعضًا مما وعدناهم به من العذاب قبل موتك، أو توفيتك قبل ذلك، ففي كلتا الحالتين إلينا رجوعهم يوم القيامة، ثم الله مطلع على ما كانوا يعملون، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

(٥١) ولكل أمة من الأمم السابقة رسول أرسل إليهم، فإذا بلغهم ما أمر بتبليغه، وكذبوه حكم بينهم وبينه بالعدل، فنجاه الله بفضلهم، وأهلكهم بعدله، وهم لا يظلمون من جزاء أعمالهم شيئًا.

(٥٢) ويقول هؤلاء الكفار معاندين ومُتَحَدِّين: متى زمن ما وعدتمونا به من العذاب إن كنتم صادقين فيما تدعون؟!
 (٥٣) قل لهم - أيها الرسول -: لا أملك لنفسي ضرًّا أضرها به أو أذفعا عنها، ولا نفعًا أنفعاها به، فكيف ينفع غيري أو ضره؟ إلا ما شاء الله من ذلك، فكيف لي أن أعلم غيبه؟ لكل أمة من الأمم توعداها الله بهلاكٍ زمنٌ محدد لهلاكها، لا يعلمه إلا الله، فإذا جاء زمن هلاكها لم تتأخر عنه وقتًا ما ولم تتقدم.
 (٥٤) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين للعذاب: أخبروني إن جاءكم عذاب الله في أي وقت من ليل أو نهار، ما الذي تستعجلونه من هذا العذاب؟!
 (٥٥) أبعد أن يقع عليكم العذاب الذي وعدتموه تؤمنون حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل؟ أتؤمنون الآن، وقد كنتم تستعجلون العذاب من قبل على وجه التكذيب به؟!
 (٥٦) ثم بعد إدخالهم في العذاب وطلبهم الخروج منه يقال لهم: ذوقوا العذاب الدائم في الآخرة، فهل تائبون إلا ما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي؟!
 (٥٧) ويستخبرك - أيها الرسول - المشركون: أهذا العذاب الذي وعدنا به حق؟ قل لهم: نعم، إنه - والله - لحق، ولستم بمُفْلِتِينَ منه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ :

• الإنسان هو الذي يورد نفسه موارد الهلاك، فالله مُنْزَهُ عن الظلم. • مهمة الرسول هي التبليغ، والله يتولى حسابهم وعقابهم بحكمته فقد يجعله في حياة الرسول أو يؤخره لبعد وفاته. • النفع والضرر بيد الله ﷻ، فلا أحد من الخلق يملك لنفسه أو لغيره ضرًّا ولا نفعًا. • لا ينفع الإيمان صاحبه عند معاينة الموت.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
 النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآنَ
 وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْوِينُ عِظَّةٍ
 مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
 يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ
 فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ أَذِنَ لَكُمْ أَمْرًا عَلَى
 اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
 لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ
 وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
 فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
 السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

٢١٥

عليكم من إنزال الرزق، فعملتم فيه بأهوائكم، فحرمتم بعضه، وأحللتهم بعضه، قل لهم: هل الله أباح لكم في تحليل ما أحللتهم، وتحريم ما حرمتهم، أم أنكم تختلفون عليه الكذب؟!
 ﴿٦١﴾ وأي شيء يظنه مختلفو الكذب عليه واقعا بهم يوم القيامة؟! أيتظنون أن يغفر لهم؟! هيهات، إن الله لذو إفضال على الناس بإمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، ولكن أكثرهم جاحدون نعم الله عليهم فلا يشكرونها.
 ﴿٦٢﴾ وما تكون - أيها الرسول - في أمر من الأمور، وما تقرأ من قرآن، وما تعملون - أيها المؤمنون - من عمل إلا كنا نراكم عالمين بكم ونسمعكم حين تشرعون في العمل مندفعين فيه، وما يغيب عن علم ربك وزن ذرة في السماء أو في الأرض، ولا أصغر من وزنها ولا أكبر، إلا وهو مسجل في كتاب واضح لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عظم ما ينتظر المشركين بالله من عذاب، حتى إنهم يتمنون دفعه بكل ما في الأرض، ولن يُقبلَ منهم.
- القرآن شفاء للمؤمنين من أمراض الشهوات وأمراض الشبهات بما فيه من الهدايات والدلائل العقلية والنقلية.
- ينبغي للمؤمن أن يفرح بنعمة الإسلام والإيمان دون غيرهما من حطام الدنيا.
- دقة مراقبة الله لعباده وأعمالهم وخواطرهم ونياتهم.

﴿١٣﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٤﴾
فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ حُظُوظِ
الدُّنْيَا.

﴿١٥﴾ هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءُ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا
يَتَصَفَّوْنَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ،
وَكَانُوا يَتَّقُونَ اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ
وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿١٦﴾ لَهُمُ الْبَشَارَةُ مِنْ رَبِّهِمْ فِي الدُّنْيَا
بِمَا يَسِرُّهُمْ بِرُؤْيَا صَالِحَةٍ أَوْ ثَوَاءِ النَّاسِ
عَلَيْهِمْ، وَلَهُمُ الْبَشَارَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عِنْدَ
قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، وَبَعْدَ الْمَوْتِ، وَفِي
الْحَشْرِ، لَا تَغْيِيرَ لِمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ،
ذَلِكَ الْجَزَاءُ هُوَ النِّجَاحُ الْعَظِيمُ؛ لِمَا
فِيهِ مِنْ نَيْلِ الْمَطْلُوبِ، وَالنِّجَاحُ مِنَ
الْمَرْهُوبِ.

﴿١٧﴾ وَلَا تَحْزَنُ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِمَا
يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ مِنَ الطَّعْنِ وَالْقَدَحِ فِي
دِينِكَ، إِنَّ الْقَهْرَ وَالْغَلْبَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ، فَلَا
يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، هُوَ السَّمِيعُ لِقَوْلِهِمْ،
الْعَلِيمُ بِأَفْعَالِهِمْ، وَسَبَّاحُ زِيهِمْ عَلَيْهَا.

﴿١٨﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ مَلِكٌ مِنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَلِكٌ مِنْ فِي الْأَرْضِ،
وَأَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُهُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ؟ لَا
يَتَّبِعُونَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا الشُّكَّ، وَمَا هُمْ
إِلَّا يَكْذِبُونَ فِي نَسْبَتِهِمُ الشُّرَكَاءَ
إِلَى اللَّهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عَلَوْا
كَبِيرًا.

﴿١٩﴾ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ - أَيُّهَا

النَّاسُ - اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْعَبَثِ، وَجَعَلَ النَّهَارَ مُضِيًّا لِتَسْعَوْا فِيهِ بِمَا يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ بِنَفْعٍ فِي مَعَاشِكُمْ،
إِنْ فِي ذَلِكَ لَدَلَالٌ وَاضِحَةٌ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سَمَاعَ اعْتِبَارٍ وَقَبُولٍ.

﴿٢٠﴾ قَالَ فَرِيقٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: اتَّخَذَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتٍ، تَقْدُسُ اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ، فَهُوَ سَبِّحَانَهُ الْغَنِيِّ عَنْ جَمِيعِ
مَخْلُوقَاتِهِ، لَهُ مَلِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَلِكٌ مَا فِي الْأَرْضِ، لَيْسَ عِنْدَكُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - بَرَهَانٌ عَلَى قَوْلِكُمْ هَذَا،
أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ قَوْلًا عَظِيمًا - إِذْ تَنْسِبُونَ إِلَيْهِ الْوِلْدَ - لَا تَعْلَمُونَ حَقِيقَتَهُ دُونَ بَرَهَانٍ؟!

﴿٢١﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: إِنْ الَّذِينَ يَخْتَلِقُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بِنَسْبَةِ الْوِلْدِ إِلَيْهِ لَا يَظْفَرُونَ بِمَا يَطْلُبُونَهُ، وَلَا
يَنْجُونَ مِمَّا يَرْهَبُونَهُ.

﴿٢٢﴾ فَلَا يَخْتَرُوا بِمَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنْ مِلْذَاتِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا، فَهُوَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ زَائِلٌ، ثُمَّ إِلَيْنَا رَجُوعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ
نُذِقُهُمُ الْعَذَابَ الْقَوِيَّ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ لِرَسُولِهِ.

﴿٢٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- ولاية الله تكون لمن آمن به، وامثل أوامره، واجتنب نواهيه، واتبع رسوله ﷺ، وأولياء الله هم الآمنون يوم القيامة، ولهم البشرى في الدنيا إما بالرؤيا الصالحة أو عند الموت.
- العزة لله جميعًا وحده، فهو مالك الملك، وما عُبد من دُونِ اللَّهِ لَا حَقِيقَةَ لَهُ.
- الحث على التفكير في خلق الله؛ لأن ذلك يقود إلى الإيمان به وتوحيده.
- حرمة الكذب على الله ﷻ، وأن صاحبه لن يفلح، ومن أعظم الكذب نسبة الولد له سبحانه.

﴿٧٤﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنَّ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيِّنَاتٍ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧٥﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَاءَ لَكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَآمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلَاكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَفًا وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٨٠﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَيْسَحَرُّ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾

﴿٢١٧﴾

إصرارهم السابق على تكذيب الرسل، فختم الله على قلوبهم. مثل هذا الختم الذي ختمنا به على قلوب أتباع الرسل الماضين فنختم به على قلوب الكافرين المتجاوزين لحدود الله بالكفر في كل زمان ومكان.

﴿٧٥﴾ ثم بعد مدة من الزمن بعثنا من بعد هؤلاء الرسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر والكبراء من قومه، بعثناهما بالآيات الدالة على صدقهما، فتكبروا عن الإيمان بما جاء به، وكانوا قوماً مجرمين؛ لكفرهم بالله وتكذيبهم لرسله.

﴿٧٦﴾ فلما جاء فرعون والكبراء من قومه الذين جاء به موسى وهارون ﴿٧٥﴾ قالوا عن آياته الدالة على صدق ما جاء به موسى: إنه لسحر واضح، وليس حقاً.

﴿٧٧﴾ قال موسى مستنكراً عليهم: أتقولون للحق حين جاءكم: هو سحر؟! كلا، ما هو بسحر، وإني لأعلم أن الساحر لا يفلح أبداً، فكيف لي بتعاطيه؟!

﴿٧٨﴾ أجاب قوم فرعون موسى ﴿٧٧﴾ قائلين: أجيئنا بهذا السحر لتصرفنا عما وجدنا عليه آبائنا من الدين، ويكون لك أنت ولأخيك الملك؟ وما نحن لكما - يا موسى وهارون - بمقرين بأنكما رسولان أرسلتما إلينا.

﴿٨٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- سلاح المؤمن في مواجهة أعدائه هو التوكل على الله.
- الإصرار على الكفر والتكذيب بالرسول يوجب الختم على القلوب فلا تؤمن أبداً.
- حال أعداء الرسل واحد، فهم دائماً يصفون الهدى بالسحر أو الكذب.
- إن الساحر لا يفلح أبداً.

﴿٧٤﴾ واقصص - أيها الرسول - على هؤلاء المشركين المكذبين خبر نوح ﴿٧٤﴾ حين قال لقومه: يا قوم، إن كان عظم عليكم مقامي بين أظهركم، وشئ عليكم تذكيري بآيات الله ووعظي، وعزمت على قلتي، فعلى الله وحده اعتمدت في إحباط ما تكيدون، فأحكموا أمركم، واعزموا على إهلاكه، وادعوا ألهتكم لتستعينوا بها، ثم لا يكن كيدكم سراً مبهمًا، ثم بعد تدبيركم لقلتي أمضوا إلي ما تظنون، ولا تؤخروني لحظة.

﴿٧٥﴾ فإن كنتم قد أعرضتم عن دعوتي فقد علمتم أنني ما طلبت منكم جزاء على تبليغكم رسالة ربي، ليس ثوابي إلا على الله، آمتم بي، أم كفرتم، وأمرني الله أن أكون من المنقادين له بالطاعة والعمل الصالح.

﴿٧٦﴾ فكذبه قومه، ولم يصدقوا به، فنجيناه هو ومن كان معه في السفينة من المؤمنين، وصبرناهم خلفاً لمن كان قبلهم، وأهلكنا الذين كذبوا بما جاء به من الآيات والحجج بالطوفان، فتأمل - أيها الرسول - كيف كانت نهاية أمر القوم الذين أنذرهم نوح ﴿٧٦﴾، فلم يؤمنوا.

﴿٧٧﴾ ثم بعد مدة من الزمن بعثنا من بعد نوح رسولاً إلى أقوامهم، فجاء الرسل أمهم بالآيات والبراهين، فما كانت لهم إرادة أن يؤمنوا بسبب

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَأَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُظِلُّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ
 عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحْيِي اللَّهُ الْخَبْءَ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَاءٌ آمِنٌ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى
 خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
 فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقُومُ
 كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾
 فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
 ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
 وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا بِمِصْرَ بَيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ
 قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَابْتَئِزَّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى
 رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ
 وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

٢١٨

فالتوكل على الله يدفع عنكم السوء، ويجلب لكم الخير.

﴿٨٥﴾ فأجابوا موسى ﷺ، فقالوا: على الله وحده توكلنا، ربنا لا تسلط علينا الظالمين، فيفتنونا عن ديننا بالتعذيب والقتل والإغراء.

﴿٨٦﴾ وخلصنا برحمتك - ربنا - من أيدي قوم فرعون الكافرين، فقد استعبدونا وآذونا بالتعذيب والقتل.

﴿٨٧﴾ وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون ﷺ أن اختاروا واتخذوا لقومكما بيوتًا لعبادة الله وحده، وصيروا بيوتكم متجهة إلى جهة القبلة (بيت المقدس)، واتوا بالصلاة كاملة، وأخير - يا موسى - المؤمنين بما يسرهم من نصر الله وتأيدهم، وإهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض.

﴿٨٨﴾ وقال موسى ﷺ: ربنا، إنك أعطيت فرعون والأشراف من قومه من زخرف الدنيا وبهاجها زينة، وأعطيتهم أموالًا في هذه الحياة الدنيا، فلم يشكروك على ما أعطيتهم، بل استعانوا بها على الإضلال عن سبيلك، ربنا اطمس أموالهم وامحقها، واجعل قلوبهم قاسية، فلا يؤمنون إلا حين يشاهدون العذاب الموجه حين لا يفقههم إيمانهم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الثقة بالله وبنصره والتوكل عليه ينبغي أن تكون من صفات المؤمن القوي.

• بيان أهمية الدعاء، وأنه من صفات المتوكلين.

• تأكيد أهمية الصلاة ووجوب إقامتها في كل الأديان السماوية وفي كل الأحوال.

• مشروعية الدعاء على الظالم.

﴿٧٩﴾ وقال فرعون لقومه: جيئوني بكل ساحر خبير بالسحر مثقن له.

﴿٨٠﴾ فلما جاؤوا فرعون بالسحرة قال لهم موسى ﷺ: واثقًا بانتصاره عليهم: اطرحوا - أيها السحرة - ما أنتم طارحوه.

﴿٨١﴾ فلما طرحوا ما عندهم من السحر قال لهم موسى ﷺ: الذي أظهرتموه هو السحر، إن الله سيصير ما صنعتم باطلًا لا أثر له، إنكم بسحركم مفسدون في الأرض، والله لا يصلح عمل من كان مفسدًا.

﴿٨٢﴾ ويثبت الله الحق، ويمكن له بكلماته القدرية، وبما في كلماته الشرعية من الحجج والبراهين، ولو كره ذلك الكافرون المجرمون من آل فرعون.

﴿٨٣﴾ صمم القوم على الإعراض، فما صدق بموسى ﷺ - مع ما جاء به من الآيات الظاهرة، والحجج الواضحة - إلا شباب من قومه بني إسرائيل، مع خوف من فرعون وكبراء قومه أن يصرفوهم عن إيمانهم بما يذيقونهم من العذاب إن كشف أمرهم، وإن فرعون لمتكبر متسلط على مصر وأهلها، وإنه لمن المتجاوزين للحد في الكفر والتقتيل والتعذيب لبني إسرائيل.

﴿٨٤﴾ وقال موسى ﷺ لقومه: يا قوم، إن كنتم آمنتُم بالله إيمانًا حَقًّا، فعلى الله وحده اعتمدوا إن كنتم مسلمين،

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوِّزْنَا بِنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ
فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ
قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتَ بِهِ ءَبْنُو إِسْرَءِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَلَمْ تَكُنْ وَفَدَّ عَصِيَّتَ قَبْلُ وَكُنْتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ
﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صَدَقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ
مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾
وَلَوْ جَاءَ تَهُمَّ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

٢١٩

﴿٨٩﴾ قال الله: قد أُجِيبَتْ دعاءكما - يا موسى وهارون - على فرعون وأشراف قومه، فاثبتنا على دينكما، ولا تنحرفا عنه إلى اتباع سبيل الجهال الذين لا يعلمون طريق الحق.

﴿٩٠﴾ وبسّرنا لبني إسرائيل عبور البحر بعد قلْقِهِ حتى جاوزوه سالمين، فلحقهم فرعون وجنوده ظلمًا واعتداءً، حتى إذا انطبق عليه البحر، وناله الغرق، ويسر من النجاة. قال: آمنت أنه لا معبود بحق إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المنقادين لله بالطاعة.

ولما كانت معاناة الموت مانعة من قبول التوبة، قال الله تعالى:

﴿٩١﴾ أتؤمن الآن بعد اليأس من الحياة؟! وقد عصيت الله - يا فرعون - قبل نزول العذاب بالكفر به، والصد عن سبيله، وكنت من المفسدين بسبب ضلالك في نفسك وإضلالك لغيرك.

﴿٩٢﴾ فاليوم نخرجك - يا فرعون - من البحر، ونجعلك على مرتفع من الأرض؛ ليعتبر بك من يأتي بعدك، وإن كثيرًا من الناس عن حُجُجنا ودلائل قدرتنا لغافلون، لا يتفكرون فيها.

﴿٩٣﴾ ولقد أنزلنا بني إسرائيل محمولًا ومكانًا مرضيًا في بلاد الشام المباركة، ورزقناهم من الحلال الطيب، فما اختلفوا في أمر دينهم

حتى جاءهم القرآن مصدقًا لما قرؤوه في التوراة من نعت محمد ﷺ، فلما أنكروا ذلك سُلِبت أوطانهم، إن ربك - أيها الرسول - يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، فيجازي المحق والمبطل منهم بما يستحقه كل منهما.

﴿٩٤﴾ فإن كنت - أيها الرسول - في ارتياب وحيرة من حقيقة ما أنزلنا إليك من القرآن فاسأل من آمن من اليهود الذين يقرؤون التوراة، والنصارى الذين يقرؤون الإنجيل، فسيعبرونك بأن الذي أنزل عليك حق؛ لما يجدون من نفعه في كتابيهما، لقد جاءك الحق الذي لا مَرِيَّةَ فيه من ربك، فلا تكونن من الشاكِّين.

﴿٩٥﴾ ولا تكونن من الذين كذبوا بحجج الله وبراهينه فتكون بذلك من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم، وكل هذا التحذير لبيان خطورة الشك والتكذيب، وإلا فإن النبي معصوم عن أن يصدر منه شيء من هذا.

﴿٩٦﴾ إن الذين ثبت عليهم قضاء الله بأنهم يموتون على الكفر لإصرارهم عليه لا يؤمنون أبدًا.

﴿٩٧﴾ ولو أتتهم كل آية شرعية أو كونية حتى يشاهدوا العذاب الموعود، فيؤمنوا حين لا ينفعهم الإيمان.

• مِنْ هَوَآئِدِ الْآيَاتِ،

• وجوب الثبات على الدين، وعدم اتباع سبيل المجرمين.

• لا تُقبل توبة من حَشَرَتْ روحه، أو عاين العذاب.

• أن اليهود والنصارى كانوا يعلمون صفات النبي ﷺ، لكن الكبر والعناد هو ما منعهم من الإيمان.

﴿٩٨﴾ لم يحدث أن آمننت قرية من القرى التي أرسلنا إليها رسلنا إيماناً مُتَعَدِّداً به قبل معاينة العذاب، فينفعها إيمانها لمجيئه قبل معاينته، إلا قوم يونس حين آمنوا إيماناً صادقاً رفعنا عنهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا، ومنعناهم إلى وقت انقضاء آجالهم.

﴿٩٩﴾ ولو شاء ربك - أيها الرسول - إيمان جميع من في الأرض لآمنوا، لكنه لم يشأ ذلك لحكمة، فهو يضل من يشاء بعذله، ويهدي من يشاء بفضله، فليس باستطاعتك إكراه الناس على أن يكونوا مؤمنين، فتوفيقهم للإيمان بيد الله وحده.

﴿١٠٠﴾ وما ينبغي لنفس أن تؤمن من تلقاء نفسها إلا أن يأذن الله، فلا يقع إيمان إلا بمشيئته، فلا تذهب نفسك حسرات عليهم، ويجعل الله العذاب والخزي على الذين لا يدركون عنه حجه وأوامره ونواهي.

﴿١٠١﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين الذين يسألونك الآيات: تأملوا ماذا في السماوات والأرض من الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته، وما ينفع إنزال الآيات والحجج والرسول في قوم ليس لهم استعداد أن يؤمنوا؛ لإصرارهم على الكفر.

﴿١٠٢﴾ فهل ينتظر هؤلاء المكذبون إلا مثل الوقائع التي أوقعها الله على الأمم

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ لِمَآءٍ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَظَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْذِرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْثِقَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَجَعَلَ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

المكذبة السابقة؟! قل - أيها الرسول - لهم: انتظروا عذاب الله، إني معكم من المنتظرين لوعدي ربي.

﴿١٠٣﴾ ثم نُزِّلْ بهم العقاب، وَنُنْجِي رسلنا، وَنُنْجِي الذين آمنوا معهم، فلا يصيبهم ما أصاب قومهم، كما أنجينا أولئك الرسل والمؤمنين معهم نُنْجِي رسول الله والمؤمنين معه إنجاءً حقاً ثابتاً علينا.

﴿١٠٤﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس، إن كنتم في شك من ديني الذي أدعوكم إليه وهو دين التوحيد، فأنا على يقين من فساد دينكم فلا أتبعه، فلا أعبد الذين تعبدونهم من دون الله، ولكني أعبد الله الذي يميّتكم، وأمرني أن أكون من المؤمنين المخلصين له الدين.

﴿١٠٥﴾ وأمرني كذلك أن أستقيم على الدين الحق، وأثبت عليه مائلاً عن كل الأديان إليه، ونهاني أن أكون من المشركين به.

﴿١٠٦﴾ وَلَا تَدْعُ - أيها الرسول - من دون الله من الأوثان والأصنام وغيرها ما لا يملك نفعاً فينفعك، ولا ضرراً فيضرك، فَإِنْ عَبَدْتَهَا فَإِنَّكَ إِذَنْ مِنَ الظَّالِمِينَ المعتدين على حق الله وحق أنفسهم.

• بَيْنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الإيمان هو السبب في رفعة صاحبه إلى الدرجات العلى والتمتع في الحياة الدنيا.
- ليس في مقدور أحد حمل أحد على الإيمان؛ لأن هذا عائد لمشيئة الله وحده.
- لا تنفع الآيات والنذر من أصر على الكفر وداوم عليه.
- وجوب الاستقامة على الدين الحق، والبعد كل البعد عن الشرك والأديان الباطلة.

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْهُدَى مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٣٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا نُوحِيَ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٣٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِيبُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُرْفُصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ وَبَشِيرٍ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا مِنْ رَبِّكُمْ ثُمَّ تُرَوُّوا إِلَيْهِ يُمَتَّعَكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لَيْسَتْ خَفَافُ أُمَّةٍ أَلَحِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

٢٢١

﴿٣٧﴾ وإن يصيبك الله - أيها الرسول - ببلاء، وطلبت صرفه عنك فلا صارف له إلا هو سبحانه، وإن يردك برخاء فلا أحد يمنع فضله، يصيب بفضله من يشاء من عباده، فلا مكره له، وهو الغفور لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿٣٨﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس، قد جاءكم القرآن منزلاً من ربكم، فمن اهتدى وآمن به فنفذ ذلك عائد إليه؛ لأن الله غني عن طاعة عباده، ومن ضل فإن أثر ضلاله عليه وحده، فالله لا تضره معصية عباده، ونست عليكم بحفيظ أحفظ أعمالكم، وأحاسبكم عليها.

﴿٣٩﴾ واتبع - أيها الرسول - ما يوحى إليك ربك واعمل به، واصبر على إيذاء من خالفك من قومك، وعلى تبليغ ما أمرت بتبليغه، واستمر على ذلك حتى يحكم الله فيهم بحكمه بنصرك عليهم في الدنيا، وبعذابهم في الآخرة إن ماتوا على كفرهم.

سُورَةُ هُودٍ

— مكة —

• من مقاصد السورة:

بيان منهج الرسل في مواجهة قومهم المكذبين.

• التفسير:

﴿١﴾ «الر» تقدم الكلام على نظائرها في سورة البقرة. القرآن كتاب

أتقنت آياته نظاماً ومعنى، فلا ترى فيها خللاً ولا نقصاً، ثم بُيِّنَ بذكر الحلال والحرام والأمر والنهي والوعيد والقصص وغير ذلك، من عند حكيم في تديبه وتشريعه، خبير بأحوال عباده، وبما يصلحهم.

﴿٢﴾ مضمون هذه الآيات المنزلة على محمد ﷺ: نهى العباد أن يعبدوا مع الله غيره، إني - أيها الناس - مُخَوِّفٌ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ كَفَرْتُمْ بِهِ وَعَصَيْتُمُوهُ، ومبشركم بثوابه إِنْ آمَنْتُمْ بِهِ، وعملتكم بشرعه.

﴿٣﴾ واطلبوا - أيها الناس - مغفرة ذنوبكم من ربكم، وارجعوا إليه بالندم على ما فرطتم في جنبه، يمتنعكم في حياتكم الدنيا متاعاً حسناً إلى وقت انقضاء آجالكم المحددة، ويعطى كل من له فضل في الطاعة والعمل جزاء فضله كاملاً غير منقوص، وإن تُعْرِضُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ رَبِّي فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ شَدِيدِ الْأَهْوَالِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿٤﴾ إلى الله وحده رجوعكم - أيها الناس - يوم القيامة، وهو سبحانه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فلا يعجزه إحيائكم وحسابكم بعد موتكم وبعثكم.

﴿٥﴾ ألا إن هؤلاء المشركين يحنون صدورهم ليكتبوا ما فيها من شك عن الله جهلاً منهم به، ألا حين يغطون رؤوسهم بثيابهم، يعلم الله ما يكتنون وما يظهرون، إنه عليم بما تخفيه الصدور.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• إن الخير والشر والنفع والضر بيد الله دون ما سواه. • وجوب اتباع الكتاب والسنة والصبر على الأذى وانتظار الفرج من الله. • آيات القرآن محكمة لا يوجد فيها خلل ولا باطل، وقد فُصِّلَت الأحكام فيها تفصيلاً تاماً. • وجوب المسارعة إلى التوبة والندم على الذنوب لنيل المطلوب والنجاة من المرهوب.

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٦ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ ٧ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَجْحِسُ فِي الْأَيْمَانِ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٨ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُفُّوسٌ كَفُورٌ ٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّةٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ١٠ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١١ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْجَاءٌ مَعَهُ وَمَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٢

٢٢٢

وما من مخلوق يدب على وجه الأرض مهما كان إلا تكفل الله برزقه تفضلاً منه، ويعلم سبحانه موضع استقراره في الأرض، ويعلم موضع موته الذي يموت فيه، فكل من الدواب ورزقها ومواقع استقرارها ومواقع موتها، في كتاب واضح هو اللوح المحفوظ.

وهو سبحانه الذي خلق السماوات والأرض على عظمهما، وخلق ما فيهما في ستة أيام، وكان عرشه قبل خلقهما على الماء؛ ليختبركم - أيها الناس - أيكم أحسن عملاً بما يرضي الله، وأيكم أسوأ عملاً بما يسخطه، فيجازي كلا بما يستحقه، ولئن قلت - أيها الرسول -: إنكم - أيها الناس - مبعوثون بعد موتكم لتحاسبوا ليقولن الذين كفروا بالله وأنكروا البعث: ما هذا القرآن الذي تلوهُ إلا سحر واضح، فهو باطل واضح البطلان.

ولئن أخرنا عن المشركين ما يستحقون من العذاب في الحياة الدنيا إلى مدة أيام معدودة ليقولن مستعجلين له مستهزئين: أي شيء يحبس عنا العذاب؟ ألا إن العذاب الذي يستحقونه له أمد عند الله، ويوم يأتيهم لن يجدوا صارفاً يصرفه عنهم، بل يقع عليهم، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاء وسخرية.

ولئن أعطينا الإنسان منا نعمة كنعمة الصحة والغنى، ثم سلينا منه تلك النعمة إنه لكثير اليأس من رحمة الله، عظيم الكفران بنعمه، ينساها إذا سلها الله منه.

ولئن أذقناه سعة في الرزق وصحة بعد فقر ومرضى أصابه ليقولن: ذهب السوء عني، وزال الضر، ولم يشكر الله على ذلك، إنه لكثير الفرح بطراً، وكثير التناول على الناس والتباهي بما أنعم الله عليه.

إلا الذين صبروا على المكاره والطاعات وعن المعاصي، وعملوا الأعمال الصالحات، فلهم حال آخر، حيث لا يصيبهم يأس، ولا كفر بنعم الله، ولا تناول على الناس، أولئك المتصفون بهذه الصفات لهم مغفرة من ربهم لذنوبهم، ولهم جزاء كبير في الآخرة.

فلعلك أيها الرسول - لما واجهته من كفرهم وعنادهم واقتراحهم الآيات - تارك تبليغ بعض ما أمرك الله بتبليغه مما يشق عليهم العمل به، وضائق صدرك بتبليغه لئلا يقولوا: هلاً أنزل عليه كنز يغنيه، أو جاء معه ملك يصدقه، فلا تترك بعض ما يوحى إليك من أجل ذلك، فما أنت إلا نذير، تبلغ ما أمرك الله بتبليغه. وليس عليك الإتيان بما يقترحونه من الآيات، والله على كل شيء حفيظ.

من قوائد الآيات:

- سعة علم الله تعالى وتكفله بأرزاق مخلوقاته من إنسان وحيوان وغيرهما.
- بيان علة الخلق؛ وهي اختبار العباد بامتنال أوامر الله واجتناب نواهيه.
- لا ينبغي الاغترار بإمهال الله تعالى لأهل معصيته، فإنه قد يأخذهم فجأة وهم لا يشعرون.
- بيان حال الإنسان في حالتي السعة والشدة، ومدح موقف المؤمن المتمثل في الصبر والشكر.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ
كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَاَلنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

٢٢٣

﴿١٣﴾ بل أيقول المشركون: اختلق محمد القرآن، وليس وحياً من الله، قل - أيها الرسول - متحدياً إياهم: فاتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مُخْتَلَقَاتٍ لا تلتزمون فيها بصدق مثل القرآن الذي زعمتم أنه مُخْتَلَقٌ، وادعوا من استطعتم دعاءه؛ لتستعينوا به على ذلك، إن كنتم صادقين في دعوى أن القرآن مُخْتَلَقٌ.

﴿١٤﴾ فإن لم يأتوا بما طلبتم منهم لعدم قدرتهم عليه فاعلموا - أيها المؤمنون - علم يقين أن القرآن إنما أنزله الله بعلمه على رسوله، وليس مُخْتَلَقًا، واعلموا أن لا معبود بحق إلا الله، فهل أنتم متقادون له بعد هذه الحجج القاطعة؟

﴿١٥﴾ من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ومُتْنَهَا الفانية ولا يريد به الآخرة، نعطيهم ثواب أعمالهم في الدنيا: صحة، وأمنًا، وسعة في الرزق، لا ينقصون من ثواب عملهم شيئاً.

﴿١٦﴾ أولئك المتصفون بهذا القصد الذميمة ليس لهم يوم القيامة ثواب إلا النار يدخلونها، وذهب عنهم ثواب أعمالهم، وأعمالهم باطلة؛ لأنها لم يسبقها إيمان ولا قصد صحيح، فلم يريدوا بها وجه الله والدار الآخرة.

﴿١٧﴾ لا يستوي النبي محمد ﷺ الذي معه برهان من ربه تعالى، ويتبعه شاهد من ربه، وهو جبريل. ويشهد له من قبل على نبوته التوراة التي أنزلت على موسى ﷺ قُدوة الناس ورحمتهم، لا يستوي هو ومن آمن معه مع أولئك الكافرين المُتَخَبِّطِينَ في الضلال، أولئك يؤمنون بالقرآن، وبمحمد ﷺ الذي أنزل عليه، ومن يكفر به من أصحاب الملل فالنار موعده يوم القيامة، فلا تكن - أيها الرسول - في ارتياب من القرآن ومن موعدهم، فهو الحق الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون مع تصافر الأدلة الواضحة والبراهين الجلية.

﴿١٨﴾ ولا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك أو الولد إليه، أولئك الذين يختلقون الكذب على الله يُعْرَضُونَ على ربهم يوم القيامة ليسألهم عن أعمالهم، ويقول الشهود عليهم من الملائكة والمرسلين: هؤلاء هم الذين كذبوا على الله بما نسبوه إليه من الشريك ومن الولد، ألا طرد الله من رحمته الظالمين لأنفسهم بالكذب على الله.

﴿١٩﴾ الذين يمنعون الناس عن سبيل الله المستقيم، ويطلبون لسبيله الاعوجاج عن الاستقامة حتى لا يسلكها أحد، وهم يكفرون بالبعث بعد الموت ويجحدونه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تحدي الله تعالى للمشركين بالإتيان بعشر سور من مثل القرآن، وبيان عجزهم عن الإتيان بذلك.
- إذا أعطي الكافر مبتغاه من الدنيا فليس له في الآخرة إلا النار.
- عظم ظلم من يفترى على الله الكذب وعظم عقابه يوم القيامة.

﴿١١﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات لم يكونوا قادرين على الهرب في الأرض من عذاب الله إذا نزل بهم، وليس لهم حلفاء ونصراء من دون الله يدفعون عقاب الله عنهم؛ يزداد عليهم العذاب يوم القيامة بسبب صرْفهم أنفسهم وصرْفهم غيرهم عن سبيل الله، ما كانوا في الدنيا يستطيعون سماع الحق والهدى سماع قبول، وما كانوا يبصرون آيات الله في الكون إحصاءً يفيدهم؛ لإعراضهم الشديد عن الحق.

﴿١٢﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك باتخاذ الشركاء مع الله، وذهب عنهم ما كانوا يختلقونه من الشركاء والشفعاء.

﴿١٣﴾ حقاً إنهم يوم القيامة هم الأخسرون صفقة، حيث استبدلوا الكفر بالإيمان، والدنيا بالآخرة، والعذاب بالرحمة.

﴿١٤﴾ إن الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحات، وخضعوا وخشعوا لله أولئك هم أصحاب الجنة، هم فيها ما كانوا أهدأ.

﴿١٥﴾ مثل فريق الكفار والمؤمنين مثل الأعمى الذي لا يبصر، والأصم الذي لا يسمع، وهذا مثل فريق الكفار الذين لا يسمعون الحق سماع قبول، ولا يبصرونه إحصاءً ينفعهم، ومثل

السميع البصير، وهذا مثل فريق المؤمنين الذي يجمع بين السمع والإبصار، هل يستوي هذان الفريقان حالاً وصفة؟ لا يستويان، أفلا تعتبرون بعدم استوائهما؟!

ولما ظهر ما ظهر من إعراض المشركين عن الإيمان سلى الله نبيه ﷺ بأنه ليس هو أول من كُذِّب، وذلك بذكر قصص الأنبياء، فقال سبحانه:

﴿١٦﴾ ولقد بعثنا نوحاً ﷺ رسولاً إلى قومه، فقال لهم: يا قوم، إني نذير لكم من عذاب الله، مبين لكم ما أرسلت به إليكم.

﴿١٧﴾ وأدعوكم إلى عبادة الله وحده، فلا تعبدوا إلا إياه، إني أخاف عليكم عذاب يوم مؤولم.

﴿١٨﴾ فقال الأشراف والرؤساء الذين كفروا من قومه: لن نستجيب لدعوتك؛ لأنه لا مزية لك علينا، فأنت بشر مثلاً، ولأننا لا نراك اتبعك إلا سفلتنا فيما ظهر لنا من رأينا، ولأنه ليس لكم زيادة في الشرف والمال والجاه تؤهلكم لأن تتبعكم، بل نظنكم كاذبين فيما تدعون.

﴿١٩﴾ قال لهم نوح: يا قوم، أخبروني إن كنت على برهان من ربي يشهد لصدقي، ويوجب عليكم تصديقي، وأعطاني رحمة من عنده وهي النبوة والرسالة، وأخفيت عليكم لجهلكم بها؛ أنجبركم على الإيمان بها، وتدخلكم في قلوبكم كرهاً؟ لا تقدر على ذلك، فالذي يوفق للإيمان هو الله.

﴿٢٠﴾ من قوايد الآيات،

• الكافر لا ينتفع بسمعه وبصره انتفاعاً يقود للإيمان، فهما كالمُتَنَبِّهين عنه بخلاف المؤمن.

• سنة الله في أتباع الرسل أنهم الفقراء والضعفاء لخلوهم من الكبر، وخصومهم الأشراف والرؤساء.

• تكبر الأشراف والرؤساء واحترارهم لمن دونهم في غالب الأحيان.

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ لِأَجْرَ مَا أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ *مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْمَىٰ وَالْأَصْبَحِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿١٨﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَىٰ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِالرَّأْيِ وَمَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْهُمْ كَمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٠﴾

وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا
بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقَوْنَ بِهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا
تَجْهَلُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُ مَنْ يُضِرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا
أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي
أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي
إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ قَالُوا يَنْبَغُ قَدْ جَدَلْتُنَا فَكَثَرْتَ جِدْلَنَا
فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ إِنَّمَا
يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٨﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ
نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ
يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَىٰ
قُلُوبَ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ
﴿٣٠﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣١﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾

﴿٢٤﴾ وبإنا قوم، لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة مالا، فما ثوابي إلا على الله، ولست بمُبتدئ عن مجلسي الفقراء من المؤمنين الذين طلبتم طردهم، إنهم ملاقو ربهم يوم القيامة، وهو مجازيهم على إيمانهم، ولكني أراكم قوما لا تفهمون حقيقة هذه الدعوة حين تطلبون طرد الضعفاء من المؤمنين.

﴿٢٥﴾ وبإنا قوم، من يدفع عني عذاب الله إن طردت هؤلاء المؤمنين ظلما بغير ذنب؟ أفلا تتذكرون، وتسمعون إلى ما هو أصلح لكم وأنفع؟!

﴿٢٦﴾ ولا أقول لكم - يا قومي -: عندي خزائن الله التي فيها رزقه، أنفقها عليكم إن آمنتم، ولا أقول لكم: إنني أعلم الغيب، ولا أقول لكم: إنني من الملائكة، بل أنا بشر مثلكم، ولا أقول عن الفقراء الذين تحقروهم أعينكم وتستصغروهم: لن يعطيهم الله توفيقا ولا هداية، الله أعلم بنياتهم وأحوالهم، إنني إن ادعيت ذلك لمن الظالمين الذين يستحقون عذاب الله.

﴿٢٧﴾ قالوا نعتنا وتكبرنا: يا نوح، قد خاصمتنا وناظرتنا، فأكثرنا مخاصمتنا ومناظرتنا، فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت من الصادقين فيما تدعيه.

﴿٢٨﴾ قال لهم نوح: أنا لا آتيكم بالعذاب، إنما يأتيكم به الله إن شاء،

وما أنتم بقادرين على الإفلات من عذاب الله إن أراد بكم عذابا.

﴿٢٩﴾ ولا ينفعكم نصحي وتذكيري لكم، إن كان الله يريد أن يضلكم عن الصراط المستقيم، ويخذلكم عن الهداية بسبب عنادكم، هو ربكم، فهو الذي يملك أمركم، فيضلكم إن شاء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٣٠﴾ وسبب كفر قوم نوح أنهم يزعمون أنه اختلق على الله هذا الدين الذي جاء به، قل لهم - أيها الرسول -: إن اختلقته، فعلي وحدي عقاب إثمي، ولا أتحمل من إثم تكذيبكم شيئا، فأنا بريء منه.

﴿٣١﴾ وأوحى الله إلى نوح: أنه لن يؤمن من قومك - يا نوح - إلا من قد آمن من قبل، فلا تحزن - يا نوح - بسبب ما كانوا يفعلونه من التكذيب والاستهزاء خلال تلك المدة الطويلة.

﴿٣٢﴾ واصنع السفينة برأى منا محفوظا منا، وبوحينا بتعليمك كيف تصنعها، ولا تخاطبني طالبا إمهال الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، إنهم مُعْرِضُونَ - لا محالة - بالطوفان؛ عقابا لهم على إصرارهم على الكفر.

• مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- عفة الداعية إلى الله وأنه يرجو منه الثواب وحده.
- حرمة طرد فقراء المؤمنين، ووجوب إكرامهم واحترامهم.
- استئثار الله تعالى وحده بعلم الغيب.
- مشروعية جدال الكفار ومناظرتهم.

وَيَصْنَعُ الْفُلَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ
 قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ
 ٢٨ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
 مُقِيمٌ ٢٩ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
 وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٠ وَقَالَ ارْكَبُوا
 فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبًا وَمِنْ سَهْلٍ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
 ٣١ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ
 وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرَكَبٌ مَعَٰنًا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ٣٢
 قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ
 مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
 الْمُغْرَقِينَ ٣٣ وَقِيلَ يَتَا رِضْ أَبْلَىٰ مَاءِ كِ وَيَسْمَاءُ أَقْلَىٰ
 وَغِيصَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَىٰ وَقِيلَ
 بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٣٤ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي
 مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ٣٥

٢٢٦

٢٨ فامتثل نوح أمر ربه، وظفّق بصنع السفينة، وكلما مر عليه كبراء قومه وسادتهم استهزؤا به؛ لما يقوم به من صنع السفينة وليس في أرضه ماء ولا أنهار، فلما تكرر استهزاؤهم به؛ قال: إن تستهزئوا - أيها الملأ - منا اليوم عندما نصنع السفينة، فإننا نستهزئ بكم لجهلكم بما يصير إليهم أمركم من الغرق.

٢٩ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب في الدنيا يذله ويهينه، وينزل عليه يوم القيامة عقاب دائم لا يقطع.

٣٠ وأنهى نوح ﷺ صنع السفينة التي أمره الله بصنعها، حتى إذا جاء أمرنا يهلكهم، وفار الماء من التنور الذي كانوا يخبزون فيه؛ إعلاناً ببداية الطوفان؛ قلنا لنوح ﷺ: احمل في السفينة من كل صنف من الحيوان فوق الأرض زوجين: ذكراً وأنثى، واحمل أهلك إلا من سبق الحكم بأنه مغرق؛ لكونه لم يؤمن، واحمل من آمن معك من قومك، وما آمن معه من قومه إلا عدد قليل على طول المدة التي مكث فيها يدعوهم إلى الإيمان بالله.

٣١ وقال نوح لمن آمن من أهله وقومه: اركبوا في السفينة، باسم الله يكون جري السفينة، وباسمه يكون رؤسوها، إن ربي غفور لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمته بالمؤمنين أن أنجاهم من الهلاك.

٣٢ والسفينة تسير بمن فيها من الناس وغيرهم في موج عظيم مثل الجبال، وبعاطفة الأبوة نادى نوح ﷺ ابنه الكافر، وكان منفرداً عن أبيه وقومه في مكان: يا بني اركب معنا في السفينة؛ لتنجو من الغرق، ولا تكن مع الكافرين، فيصيبك ما أصابهم من الهلاك بالغرق.

٣٣ قال ابن نوح لنوح: سألجأ إلى جبل مرتفع؛ ليمتني من وصول الماء إليّ، قال نوح لابنه: لا مانع اليوم من عذاب الله بالغرق بالطوفان إلا الله الرَّاحِمُ برحمته من يشاء سبحانه، فإنه يمنعه من الغرق، وفرّق الموج بين نوح وابنه الكافر، فكان ابنه من المغرقين بالطوفان لكفره.

٣٤ وقال الله للأرض بعد نهاية الطوفان: يا أرض، اشربي ما عليك من ماء الطوفان، وقال للسماء: يا سماء أمسكي ولا ترسلي المطر، ونقص الماء حتى جفت الأرض، وأهلك الله الكافرين، ووقفت السفينة على جبل الجودي، وقيل: بُعداً وهلاكاً للقوم المتجاوزين لحدود الله بالكفر.

٣٥ ونادى نوح ﷺ ربه مستغيثاً به، فقال: يا رب، إن ابني من أهلي الذين وعدتني بإنجائهم، وإن وعدك هو الصدق الذي لا تخلف فيه، وأنت أعدل الحاكمين وأعلمهم.

• من فوائد الآيات:

- بيان عادة المشركين في الاستهزاء والسخرية بالأنبياء وأتباعهم.
- بيان سُنَّة الله في الناس وهي أن أكثرهم لا يؤمنون.
- لا ملجأ من الله إلا إليه، ولا عاصم من أمره إلا هو سبحانه.

قَالَ يَنْفُوحُ إِلَيْهِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَعِنِ
 مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
 ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا
 تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٤٧ قِيلَ يَنْفُوحُ
 أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ
 وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٨ تِلْكَ
 مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ
 وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ٤٩
 وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ
 إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ٥٠ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 أَجْرًا إِنْ أَجَبْتَنِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥١
 وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
 عَلَيْكُمْ مَدَدًا رَافِقًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
 مُجْرِمِينَ ٥٢ قَالُوا يَلْهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
 بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ أَنْ نَقُولَ لَكَ يَمْؤُمِنِينَ ٥٣

٢٢٧

هودًا ٥٤، قال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا معه أحدًا، ليس لكم معبود بحق غيره سبحانه، ولستم في دعواكم أن له شريكا إلا كاذبين.
 ٥١ يا قوم، لا أطلب منكم ثوابًا على ما أبلغكم من ربي. وأدعوكم إليه، ليس ثوابي إلا على الله الذي خلقني، أفلا تعقلون ذلك، وتستجيبون لما أدعوكم إليه؟
 ٥٢ يا قوم، اطلبوا المغفرة من الله، ثم توبوا إليه من ذنوبكم - وأكبرها الشرك - يُبَيِّنْكُمْ على ذلك بإنزال المطر الكثير، ويزدكم عزًّا إلى عزكم بأكثار الذرية والأموال، ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه، فتكونوا من المجرمين بإعراضكم عن دعوتي، وكفركم بالله وتكذيبكم بما جئت به.
 ٥٣ قال قومه: يا هود، ما جئنا بحجة جلية تجعلنا نؤمن بك، ولسنا بتاركي عبادة آل هارون من أجل قولك الخالي من حجة، ولسنا بمؤمنين لك فيما تدعيه من أنك رسول.

٥٤ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- لا يملك الأنبياء الشفاعة لمن كفر بالله حتى لو كانوا أبناءهم.
- عفة الداعية وتزهره عما في أيدي الناس أقرب للقبول منه.
- فضل الاستغفار والتوبة، وأنهما سبب إنزال المطر وزيادة الذرية والأموال.

٥٤ قال الله لنوح: يا نوح، إن ابنك الذي سألتني إنجاءه ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم؛ لأنه كافر، إن سؤالك يا نوح عمل غير مناسب منك، ولا يصلح لمن هو في مقامك، فلا تسألني ما ليس لك به علم، إني أحذرك أن تكون من الجاهلين، فتسألني ما يخالف علمي وحكمتي.

٥٥ قال نوح ٥٥: رب، إني ألتجئ وأعتصم بك من أن أسألك ما لا علم لي به، وإن لم تغفر لي ذنبي، وترحمني برحمتك، أكن من الخاسرين الذين خسروا حظوظهم في الآخرة.

٥٦ قال الله لنوح ٥٦: يا نوح، انزل من السفينة على الأرض بسلامة وأمن، وبنعم من الله كثيرة عليك، وعلى ذرية من كانوا معك في السفينة من المؤمنين يأتون من بعدك، وثمة أمم أخرى من ذريتهم كافرون ستمتعهم في هذه الحياة الدنيا، ونعطيهم ما يعيشون به، ثم ينالهم من في الآخرة عذاب موجه.

٥٧ قصة نوح هذه من أخبار الغيب، ما كنت - أيها الرسول - تعلمها أنت، وما كان قومك يعلمونها من قبل هذا الوحي الذي أوحينا إليك، فاصبر على أذى قومك وتكذيبهم كما صبر نوح ٥٨، إن النصر والغلبة للذين يمثلون أوامر الله، ويجتنبون نواهي.

٥٩ وأرسلنا إلى عاد أخاهم

٥٥ ما نقول إلا أنه أصابك بعض
آلهتنا بجنون لما كنت تنهانا عن
عبادتهم، قال هود: إني أشهد الله،
وأشهدوا أنتم أني بريء من عبادة
آلهتكم التي تعبدونها من دون الله،
فامكروا بي أنتم وآلهتكم التي تزعمون
أنها أصابتني بجنون، ثم لا تمهلوني.
٥٦ إني توكلت على الله وحده،
واعتمدت عليه في أمري، فهو ربي
وربكم، ما من شيء يدب على وجه
الأرض إلا وهو خاضع لله تحت ملكه
وسلطانه، يصرفه كيف يشاء، إن ربي
على الحق والعدل، فلن يسلككم
علي؛ لأنني على الحق وأنتم على
الباطل.

﴿٥٧﴾ فَإِنْ تَعَرَّضُوا وَتَدْبِرُوا عَمَّا جِئْتُمْ بِهِ
فَمَا عَلَيَّ إِلَّا إِلَافُكُمْ، وَقَدْ أَيْلَفْتُكُمْ
كُلَّ مَا أُرْسَلَنِي اللَّهُ بِهِ، وَأَمْرُنِي
بِإِبْلَاغِهِ، وَقَدْ قَامَتْ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةُ،
وَوَسَّيْهِلُكُمْ رَبِّي، وَيَأْتِي بِقَوْمٍ غَيْرَكُمْ
يُخْلَفُونَكُمْ، وَلَا تَضُرُّونَ اللَّهَ ضَرْرًا
كَبِيرًا وَلَا صَغِيرًا بِتَكْذِيبِكُمْ
﴿٥٨﴾ وَإِعْرَاضِكُمْ؛ لِأَنَّهُ غَنِيٌ عَنْ عِبَادِهِ. إِنْ
يُحْفَظُنِي مِنَ السُّوءِ الَّذِي تُكِيدُونَنِي بِهِ.
﴿٥٩﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بِإِهْلَاكِهِمْ سَلَّمْنَا
هُوَذًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مَنَا
نَالَتْهُمْ، وَسَلَّمْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ
عَذَبْنَا بِهِ قَوْمَهُ الْكَافِرِينَ.

٥٨ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرِكَ بَعْضُ الْهَيْتَانِ سَوْءٌ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ
 وَأَشْهَدُ وَأَنتَ بَرِيٌّ مِّمَّا نُنْشِرُكَ ٥٩ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي
 جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ٦٠ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ
 مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 ٦١ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
 رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ وَشَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ
 ٦٢ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
 وَنَجَّيْنَا هُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٦٣ وَتِلْكَ آدَاءُ جَحَدُوا بِهَا وَاتَّبَعُوا
 رَبَّهُمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ٦٤ وَاتَّبَعُوا فِي
 هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ٦٥ أَلَا إِنَّ آدَاءَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا
 بُعْدَ الْعَادِ قَوْمِ هُودٍ * ٦٦ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمُ
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَهُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ
 وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ
 ٦٧ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ
 مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ٦٨

وَعَصُوا رَسُولَهُمْ هُودًا، وَأَطَاعُوا أَمْرَ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ عَلَى الْحَقِّ، طَاغَ لَا يَقْبَلُهُ، وَلَا يَذَعْنُ لَهُ.

﴿١٠﴾ ولحقهم في هذه الحياة الدنيا الخزي والطرْد من رحمة الله، وكذلك يوم القيامة هم مُبعدون من رحمة الله، وذلك بسبب كفرهم بالله تعالى، ألا فابعدهم الله من كل خير، وقربهم من كل شر.

﴿١٦﴾ وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا، قال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود يستحق العبادَةَ غيره، هو خَلَقَكُم من تراب الأرض بخلق أبيكم آدم منه، وجعلكم عَمَّارَهَا، فاطلبوا منه المغفرة ثم ارجعوا إليه بعمل الطاعات وترك المعاصي، إن ربي قريب ممن أخلص له العبادَةَ، محيٍب من دعاة.

﴿٦٦﴾ قال له قومه: يا صالح، قد كنت فينا صاحب مكانة عالية قبل دعوتك هذه، فقد كنا نرجو أن تكون عاقلاً صاحب نصيح ومشورة، أنظنانا - يا صالح - عن عبادة ما كان آباؤنا يعبدونه؟ وإننا لفي شك مما تدعونا إليه من عبادة الله وحده، يجعلنا نتهكم بالكذب على الله.

● من فوائد الآيات،

- من وسائل المشركين في التنفير من الرسل الاتهام بخفة العقل والجنون.
- ضعف المشركين في كيدهم وعدائهم، فهم خاضعون لله مهقورون تحت أمره وسلطانه.
- أدلة الربوبية من الخلق والإنشاء مقتضية لتوحيد الألوهية وترك ما سوى الله.

قَالَ يَنْقُومُ آرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَنِي
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ وَمَا تَزِيدُونِي
غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٧﴾ وَيَنْقُومُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٨﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا
نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَبَرَحْمَةً مِنَّا وَمِن
خِزْيِ يَوْمٍ إِذِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٧٠﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٧١﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الْآلُ إِنَّا ثَمُودَ أَكْفَرُوا رَبَّهُمْ ۖ أَلَا
بُعْدَ الثَّمُودِ ﴿٧٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا
سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَدْ لَبِثْنَا أَن جَاءَ بِعِجْلٍ خَنِيذٍ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ
أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوَّحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ ﴿٧٤﴾ وَأَمْرَاتُهُ وَقَائِمَةٌ
فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٥﴾

٢٢٩

﴿٦٧﴾ قال صالح ردًا على قومه: يا قوم، أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي، وأعطاني منه رحمة وهي النبوة، فمن يمتني من عقابه إن أنا عصيته بترك تبليغ ما أمرني بتبليغه إليكم؟ فما تزيدوني غير تضليل وبعد عن مرضاته.

﴿٦٨﴾ ويا قوم، هذه ناقة الله لكم علامة على صدقي، فاتركوها ترعى في أرض الله، ولا تتعرضوا لها بأي أذى فبالكم عذاب قريب من وقت عُقْرِكُمْ لها.

﴿٦٩﴾ فنحروها إمعانًا في التكذيب، فقال لهم صالح: استمتعوا بالحياة في أرضكم مدة ثلاثة أيام من عُقْرِكُمْ إياها، ثم يأتيكم عذاب الله، فإتيان عذابه بعد ذلك وعد واقع لا محالة غير مكذوب، بل هو وعد صادق.

﴿٧٠﴾ فلما جاء أمرنا بإهلاكهم سلمنا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا، وسلمناهم من هوان ذلك اليوم وذلتهم، إن ربك - أيها الرسول - هو القوي العزيز الذي لا يغالبه أحد، ولذلك أهلك الأمم المكذبة.

﴿٧١﴾ وأخذ صوت شديد مهلك ثمود فماتوا من شدته، وأصبحوا ساقطين على وجوههم، قد لصقت وجوههم بالتراب.

﴿٧٢﴾ كأن لم يقيموا في بلادهم في نعمة ورغد عيش، ألا إن ثمود كفروا بالله ربهم، لا زالوا مُتَعِدِينَ من رحمة الله.

﴿٧٣﴾ ولقد جاءت الملائكة في هيئة رجال إلى إبراهيم عليه السلام؛ مبشرين إياه وزوجته بإسحاق ثم يعقوب، فقال الملائكة: سلامًا، فرد عليهم إبراهيم بقوله: سلام، وذهب مسرعًا، فجاءهم بعجل مشوي؛ ليأكلوا منه طأنًا منه أنهم رجال.

﴿٧٤﴾ فلما رأى إبراهيم أن أيديهم لا تصل إلى العجل، وأنهم لم يأكلوا منه استنكر ذلك منهم، وأخفى في نفسه الخوف منهم، فلما رأت الملائكة خوفه منهم قالوا: لا تخف منا، نحن بعثنا الله إلى قوم لوط لنعذبهم.

﴿٧٥﴾ وامرأة إبراهيم «سارة» قائمة، فأخبرناها بما يسرها، وهو أنها تلد إسحاق، ويكون لإسحاق ولد هو يعقوب، فضحكت واستشرت بما سمعت.

﴿٧٦﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ

- عناد واستكبار المشركين حيث لم يؤمنوا بآية صالح عليه السلام وهي من أعظم الآيات.
- استحباب تبشير المؤمن بما هو خير له.
- مشروعية السلام لمن دخل على غيره، ووجوب الرد.
- وجوب إكرام الضيف.

قَالَتْ يَوَاسِيَ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ وَعَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٨﴾ إِنْ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ أَوَلَمْ تُبَيِّنْ ﴿٨٠﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٨١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمُ عَصِيبٍ ﴿٨٢﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوْمٌ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٨٣﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٨٤﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّاكُمْ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٥﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٦﴾

٢٣٠

﴿٧٦﴾ قالت سارة لما بشرتها الملائكة بتلك البشري متعجبة: كيف ألد وأنا كبيرة آيسة من الولد، وهذا زوجي بلغ سن الشيخوخة؟! إن إنجاب ولد في هذه الحالة شيء عجيب، لم تُجِرِ العادة به.

﴿٧٧﴾ قالت الملائكة لسارة لماذا تعجبت من البشري: أتعجبين من قضاء الله وقدره؟ فمثلك لا يخفى عليه أن الله قادر على مثل هذا، رحمة الله وبركاته عليكم - يا أهل بيت إبراهيم - إن الله حميد في صفاته وأفعاله، ذو مجد ورفعة.

﴿٧٨﴾ فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي أصابه من ضيوفه الذين لم يأكلوا طعامه بعد علمه أنهم ملائكة، وجاءه الخير السار بأنه سيولد له إسحاق، ثم يعقوب، طفق يجادل رسلنا في شأن قوم لوط؛ لعلهم يؤخرون عنهم العذاب، ولعلهم ينجون لوطاً وأهله.

﴿٧٩﴾ إن إبراهيم حلیم، يحب تأخير العقوبة، كثير التضرع إلى ربه، كثير الدعاء، تائب إليه.

﴿٨٠﴾ قال الملائكة: يا إبراهيم، أعرض عن هذا الجدل في قوم لوط، إنه قد جاء أمر ربك بإيقاع العذاب الذي قدره عليهم، وإن قوم لوط آتيهم عذاب عظيم، لا يرده جدال ولا دعاء.

﴿٧٧﴾ ولما جاءت الملائكة لوطاً في هيئة رجال ساء مجيئهم، وضاق صدره بسبب الخوف عليهم من قومه الذين يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وقال لوط: هذا يوم شديد؛ لظنه أن قومه سيغالبنه على ضيوفه.

﴿٨١﴾ وجاء قوم لوط لوطاً مسرعين قاصدين فعل الفاحشة بضيوفه، ومن قبل ذلك كان عاداتهم إتيان الرجال شهوة من دون النساء، قال لوط مدافعاً قومه ومعدراً لنفسه أمام ضيوفه: هؤلاء بناتي من جملة نساكم فتزوجوهن؛ فهن أطهر لكم من فعل الفاحشة، فخافوا من الله، ولا تجلبوا لي العار في ضيوفي، أليس منكم - يا قوم - رجل ذو عقل شديد ينهاكم عن هذا الفعل القبيح؟!

﴿٨٢﴾ قال له قومه: لقد علمت - يا لوط - أنه ليس لنا حاجة في بناتك ولا نساء قومك، ولا شهوة، وإنك لتعلم ما نريده، فلا نريد إلا الرجال.

﴿٨٣﴾ قال لوط: ليت لي قوة أدفعكم بها، أو عشيرة تمنعني، فأحول بينكم وبين ضيوفي.

﴿٨٤﴾ قالت الملائكة للوط ﷺ: يا لوط، إنا رسلُ أرسلنا الله، لن يصل إليك قومك بسوء، فأخرج بأهلك من هذه القرية ليلاً في ساعة مظلمة، ولا ينظر أحدكم إلى ما وراءه، إلا امرأتك ستلتفت مخالفة؛ لأنه سينالها ما نال قومك من العذاب، إن موعد إهلاكهم الصبح، وهو موعد قريب.

﴿٨٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- بيان فضل ومنزلة خليل الله إبراهيم ﷺ، وأهل بيته.
- مشروعية الجدل عمن يُرجى له الإيمان قبل الرفع إلى الحاكم.
- بيان فظاعة وقبح عمل قوم لوط.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
 حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ
 وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
 شُعَيْبًا قَالَ يَقُومُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ
 وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَانَكُمْ بِخَيْرٍ
 وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقُومُوا
 أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ
 أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ
 اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
 بِحَفِيفٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوْتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَّتْرَكَ
 مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ
 لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقُومُوا أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ
 عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
 أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
 مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

﴿٨٢﴾ فلما جاء أمرنا بآهلاك قوم لوط صيّرنا عالي قراهم سافلها برفعها وقلبها بهم، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلب مصفوف بعضها فوق بعض يتتابع.

﴿٨٣﴾ هذه الحجارة معلّمة عند الله بعلامة خاصة، وليست هذه الحجارة من الظالمين من قريش وغيرهم ببعيدة، بل هي قريبة متى قدر الله إنزالها عليهم نزلت.

﴿٨٤﴾ وأرسلنا إلى مدّين أخاهم شعيبًا، قال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود يستحق العبادّة غيره، ولا تنقصوا الكيل والوزن إذا كلتم الناس أو وزنتموهم، إنني أراكم في سعة من الرزق ونعمة، فلا تغيروا عليكم نعمة الله بالمعاصي، وإنني أخاف عليكم عذاب يوم محيط يدرك كل أحد منكم، لا تجدون منه مهربًا ولا ملجأ.

﴿٨٥﴾ وباقوم، أثموا المكيال والميزان بالعدل إن كلتم أو وزنتم لغيركم، ولا تنقصوا الناس من حقوقهم شيئًا بالتطفيف والغش والخداع، ولا تفسدوا في الأرض بالقتل وغيره من المعاصي.

﴿٨٦﴾ بقية الله التي يبقّيها لكم من الحلال بعد إيفاء حقوق الناس بالعدل، أكثر نفعًا وبركة من الزيادة الحاصلة بالتطفيف والإفساد في

الأرض، إن كنتم مؤمنين حقًا فارضوا بتلك البقية، ولست عليكم بقرّيب أحصي أعمالكم، وأحاسبكم عليها، إنما الرّقيب على ذلك هو من يعلم السر والنجوى.

﴿٨٧﴾ قال قوم شعيب لشعيب: يا شعيب، أصلاتك التي تصلّيها لله تأمرك أن تترك عبادة ما كان آباؤنا يعبدونه من الأصنام، وتأمر أن نترك التصرف في أموالنا بما نشاء، ونتميها بما نشاء؟! إنك لأنّ الحليم الرشيد، فإنك أنت العاقل الحكيم كما عرفناك قبل هذه الدعوة، فما الذي أصابك؟!

﴿٨٨﴾ قال شعيب لقومه: يا قوم، أخبروني عن حالكم إن كنت على برهان واضح من ربي، وبصيرة منه، ورزقني منه رزقًا حلالًا، ومنه النبوة، وما أريد أن أنهاكم عن شيء وأخالفكم في فعله، لا أريد إلا إصلاحكم بدعوتكم إلى توحيد ربكم وطاعته قدر استطاعتي، وما توفّقي إلى الحصول على ذلك إلا بالله سبحانه، عليه وحده توكلت في جميع أموري، وإليه أرجع.

﴿٩٠﴾ من قواید آیات،

- من سنن الله إهلاك الظالمين بأشد العقوبات وأفظعها.
- حرمة نقص الكيل والوزن وبخس الناس حقوقهم.
- وجوب الرضا بالحلال وإن قل.
- فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب العمل بما يأمر الله به، والانتها عما ينهى عنه.

﴿٨٨﴾ وَيَا قَوْمِ، لَا تَحْمِلَنَّكُمْ عداوتي على التكذيب بما جئت به؛ خوف أن ينالكم من العذاب مثل ما نال قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعد، لا زماناً ولا مكاناً، وقد علمتم ما أصابهم، فاعتبروا.

﴿٨٩﴾ واطلبوا المغفرة من ربكم، ثم توبوا إليه من ذنوبكم، إن ربي رحيم بالتائبين، شديد المحبة لمن تاب منهم.

﴿٩٠﴾ قال قوم شعيب لشعيب: يا شعيب، ما نفهم كثيراً مما جئت به، وإننا لنراك فينا ذا ضعف لما أصاب عينك من ضعف أو عَمَى، ولولا أن عشيرتك على ملتنا لقتلناك بالرمي بالحجارة، ولست علينا بعزيز حتى نهاب قتلك، وإنما تركنا قتلك احتراماً لعشيرتك.

﴿٩١﴾ قال شعيب لقومه: يا قوم، أعشيري أكرم عندكم وأعز من الله ربكم؟! وتركتم الله وراءكم منبوءاً حين لم تؤمنوا بنبيه الذي بعثه إليكم، إن ربي بما تعملون محيط، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها في الدنيا بالإهلاك، وفي الآخرة بالعذاب.

﴿٩٢﴾ ويا قوم، اعملوا ما تستطيعونه على طريقتكم التي ارتضىتموها، إني عامل على طريقتي التي ارتضىتها بما أستطيعه، سوف تعلمون من منا يأتيه

وَيَقَوْمَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِرِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدَ لَلْمُدِينِ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

عذاب بذله عقاباً له، ومن منا هو كاذب فيما يدعيه، فانتظروا ما يقضي به الله، إني معكم منتظر.

﴿٩٤﴾ ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم شعيب أنقذنا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا، وأصاب الذين ظلموا من قومه صوت شديد مهلك فماتوا، وأصبحوا ساقطين على وجوههم، قد لصقت وجوههم بالتراب.

﴿٩٥﴾ كأن لم يقيموا فيها من قبل، ألا طردت مدین من رحمة الله يحلوا نقمته عليهم، كما طردت منها ثمود بأنزال سخطه عليهم.

﴿٩٦﴾ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الدالة على توحيد الله، وبحججنا الواضحة الدالة على صدق ما جاء به.

﴿٩٧﴾ أرسلناه إلى فرعون والأشراف من قومه، فاتبع هؤلاء الأشراف أمر فرعون لهم بالكفر بالله، وليس أمر فرعون بأمر ذي إصابة للحق حتى يتبع.

﴿٩٨﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

- ذم الجهلة الذين لا يفقهون عن الأنبياء ما جاؤوا به من الآيات.
- ذم وتسفيه من اشتغل بأوامر الناس، وأعرض عن أوامر الله.
- بيان دور العشيرة في نصره الدعوة والدعاة.
- طرد المشركين من رحمة الله تعالى.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ
 الْمَرْوَدُ ﴿٩٨﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ
 الرَّقْدُ الْمَرْقُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ
 مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيرٍ ﴿١٠١﴾
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ
 أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
 ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾
 وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنْهُمْ
 النَّارُ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
 * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنْهُمْ الْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُودٍ ﴿١٠٨﴾

﴿٩٨﴾ يتقدم فرعون قومه يوم القيامة حتى يدخلهم النار وإياه، وساء المورود الذي يوردهم إليه.

﴿٩٩﴾ وأتبعهم الله في الحياة الدنيا لعنة وطرذاً وإبعاداً من رحمته مع ما أصابهم من الهلاك بالغرق، وأتبعهم طرداً وإبعاداً منها يوم القيامة، ساء ما حصل لهم من ترادف اللعنتين والعذاب في الدنيا والآخرة.

﴿١٠٠﴾ ذلك المذكور في هذه السورة من أخبار القرى نخبرك - أيها الرسول - به، من هذه القرى ما هو قائم المعالم، ومنها ما مُجيت معالمه، فلم يبق له أثر.

﴿١٠١﴾ وما ظلمناهم بما أصبناهم به من هلاك، ولكن ظلموا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بكفرهم بالله، فما دفعت عنهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ما نزل بهم من عذاب حين جاء أمر ربك - أيها الرسول - بإهلاكهم، وما زادتهم آلهتهم هذه إلا خسراناً وهلاكاً.

﴿١٠٢﴾ وكذلك الأخذ والاستئصال الذي أخذ الله به القرى المكذبة في كل زمان ومكان، إن أخذه للقرى الظالمة أخذ مؤلم قوي.

﴿١٠٣﴾ إن في أخذ الله الشديد لتلك القرى الظالمة لعبرة وعظة لمن خاف عذاب يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يجمع الله له الناس لمحاسبتهم، وذلك يوم مشهود يشهده أهل المحشر.

﴿١٠٤﴾ ولا تؤخر ذلك اليوم المشهود إلا لأجل معلوم العدد.

﴿١٠٥﴾ يوم يأتي ذلك اليوم لا تتكلم أي نفس بحجة أو شفاعة إلا بعد إذنه، والناس فيه نوعان: شقي يدخل النار، وسعيد يدخل الجنة.

﴿١٠٦﴾ فأما الأشقياء لكفرهم وفساد أعمالهم فيدخلون في النار، ترتفع فيها أصواتهم وأنفاسهم من شدة ما يعانون من لهيبها.

﴿١٠٧﴾ ما كاثون فيها أبداً، لا يخرجون منها ما دامت السماوات والأرض، إلا من شاء الله إخراجاً من عصاة الموحدين، إن ربك - أيها الرسول - فعَّال لما يريد، فلا تُستكره له سبحانه.

﴿١٠٨﴾ وأما السعداء الذين سبقت لهم السعادة من الله لإيمانهم وصلاح أعمالهم، فهم في الجنة ما كاثون فيها أبداً ما دامت السماوات والأرض، إلا من شاء الله إدخاله النار قبل الجنة من عصاة المؤمنين، إن نعيم الله لأهل الجنة غير مقطوع عنهم.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- التحذير من اتباع رؤساء الشر والفساد، وبيان شؤم اتباعهم في الدارين.
- تنزه الله تعالى عن الظلم في إهلاك أهل الشرك والمعاصي.
- لا تنفع آلهة المشركين عابديها يوم القيامة، ولا تدفع عنهم العذاب.
- انقسام الناس يوم القيامة إلى: سعيد خالد في الجنان، وشقي خالد في النيران.

فَلَا تَكُ فِي مِرَّةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
 آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ
 ١٢٩ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ يُرِيبُ
 ١٣٠ وَإِنْ كَلَّمَا لَوْفِيَّتَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
 خَبِيرٌ ١٣١ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٣٢ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
 فَمَتَّسِكُمْ أَنْثَارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
 لَا تُنصِرُونَ ١٣٣ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ
 أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي
 لِلذَّاكِرِينَ ١٣٤ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
 ١٣٥ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ
 عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ١٣٦ وَمَا
 كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ١٣٧

٢٣٤

١٢٩ فلا تكن - أيها الرسول - في مرة واحدة مما يعبد هؤلاء المشركون، فليس لهم على صحته برهان عقلي ولا شرعي، وإنما الحامل لهم على عبادة غير الله تقليدهم لا بائهم، وإنا لمُثْمِنُونَ لهم نصيبهم من العذاب دون نقص.

١٣٠ ولقد أعطينا موسى التوراة، فاختلف الناس فيها، فأمن بعضهم بها، وكفر بعض، ولولا قضاء من الله سبق أنه لا يُعْجَلُ العذاب، بل يؤخره إلى يوم القيامة لحكمة، لنزل بهم ما يستحقون من العذاب في الدنيا، وإن الكافرين من يهود ومشركين لفي شك من القرآن موقع في الارتباب.

١٣١ وإن كل من ذكر من المختلفين لِيُثْمِنَ له ربك - أيها الرسول - جزاء أعمالهم، فما كان خيراً كان جزاؤه خيراً، وما كان شراً كان جزاؤه شراً، إن الله بدقائق ما يعملونه عليهم، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

١٣٢ داوم على الالتزام بالطريق المستقيم - أيها الرسول - كما أمرك الله، فامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وليستقم من تاب معك من المؤمنين، ولا تتجاوزوا الحد بارتكاب المعاصي، إنه بما تعملون بصير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

١٣٣ ولا تميلوا إلى الكفار الظالمين

بمداينة أو مودة، فتصيبكم النار بسبب ذلك الميل، وليس لكم من دون الله أولياء ينقذونكم منها، ثم لا تجدون من نصركم.

١٣٤ وأقم - أيها الرسول - الصلاة على أحسن وجه في طرفي النهار وهما أول النهار وآخره، وأقمها في ساعات من الليل، إن الأعمال الصالحات تمحو صفات الذنوب، ذلك المذكور موعظة للمتعتين، وعبرة للمعتبرين.

١٣٥ واصبر على فعل ما أمرت به من الاستقامة وغيرها، وعلى ترك ما نهيت عنه من الطغيان والركون إلى الظلمة، إن الله لا يطل ثواب المحسنين، بل يتقبل منهم أحسن الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون.

١٣٦ فهلاً كان من الأمم المعذبة قبلكم بقية من أهل الفضل والصلاح ينهون تلك الأمم عن الكفر، وعن الفساد في الأرض بالمعاصي، لم تكن منهم تلك البقية، إلا قليل منهم كانوا ينهون عن الفساد، فأنجيناهم حين أهلكنا قومهم الظالمين، واتباع الظالمون من أقوامهم ما هم فيه من النعيم، وكانوا ظالمين باتباعهم ذلك.

١٣٧ وما كان ربك - أيها الرسول - ليهلك قرية من القرى إذا كان أهلها مصلحين في الأرض، إنما يهلكها إن كان أهلها مفسدين بالكفر والظلم والمعاصي.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- وجوب الاستقامة على دين الله تعالى.
- التحذير من الركون إلى الكفار الظالمين بمداينة أو مودة.
- بيان سُنَّةِ الله تعالى في أن الحسنة تمحو السيئة.
- الحث على إيجاد جماعة من أولي الفضل يأمرهم بالمعروف، وينهون عن الفساد والشر، وأنهم عصمة من عذاب الله.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
 إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
 لَا مَمْلَأَنَّا جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلَّا نَقْصُ
 عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ
 الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ
 ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
 فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
 عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ
 الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

٢٣٥

سورة يوسف

— مكية —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوحِ:

الوعد بالتمكين بعد الابتلاء المبين، تبييناً ووعداً للنبي ﷺ وللمؤمنين.

• التفسير:

﴿١﴾ الر: سبق الكلام عليها وعلى نظائرها في بداية سورة البقرة. هذه الآيات التي أنزلت في هذه السورة من آيات القرآن الواضح فيما اشتمل عليه.

﴿٢﴾ إنا أنزلنا القرآن بلغة العرب لعلمكم - أيها العرب - تفهمون معانيه.

﴿٣﴾ نحن نقص عليك - أيها الرسول - أحسن القصص لصديقها وسلامة ألفاظها وبلاغتها، بإنزالنا عليك هذا القرآن، وإنك كنت من قبل إنزاله من الغافلين عن هذا القصص، لا علم لك به.

﴿٤﴾ نخبرك - أيها الرسول - حين قال يوسف لأبيه يعقوب: يا أبت، إني رأيت في المنام أحد عشر كوكباً، ورأيت الشمس والقمر، رأيت كل أولئك لي ساجدين، فكانت هذه الرؤيا عاجل بشرى ليوسف ﷺ.

• مِنْ قَوَائِدِ آيَاتِهِ:

• بيان الحكمة من القصص القرآني، وهي تثبيت قلب النبي ﷺ وموعظة المؤمنين. • انفراد الله تعالى بعلم الغيب لا يشركه فيه أحد. • الحكمة من نزول القرآن عربياً أن يعقله العرب؛ ليلغوه إلى غيرهم. • اشتمال القرآن على أحسن القصص.

﴿١١٩﴾ ولو شاء ربك - أيها الرسول - أن يجعل الناس أمة واحدة على الحق لفعل، لكنه لم يشأ ذلك، فلا يزالون مختلفين فيه بسبب اتباع الهوى والبغي.

﴿١٢٠﴾ إلا من رحمهم الله بالتوفيق للهداية، فإنهم لا يختلفون في توحيده سبحانه، ولذلك الاختبار بالاختلاف خلقهم سبحانه، فمنهم شقي وسعيد، وتمت كلمة ربك - أيها الرسول - التي قضاه في الأزل بملء جهنم من اتباع الشيطان من الجن والناس.

﴿١٢١﴾ وكل خبر نقصه عليك - أيها الرسول - من أخبار الرسل من قبلك نقصه لتثبت به قلبك على الحق ونقوبه، وجاءك في هذه السورة الحق الذي لا شك فيه، وجاءتك فيها موعظة للكافرين، وذكرى للمؤمنين الذين يتفنون بالذكرى.

﴿١٢٢﴾ وقل - أيها الرسول - للذين لا يؤمنون بالله، ولا يوحدونه: اعملوا على طريقكم في الإعراض عن الحق والصد عنه، إنا عاملون على طريقنا من الثبات عليه، والدعوة له، والصبر عليه.

﴿١٢٣﴾ وترقبوا ما ينزل بنا، إنا مترقبون ما ينزل بكم.

﴿١٢٤﴾ والله وحده علم ما غاب في السموات، وما غاب في الأرض، لا يخفى عليه شيء منه، وإليه وحده يرجع الأمر جميعه يوم القيامة، فاعبده - أيها الرسول - وحده، وتوكل عليه في كل أمورك، وليس ربك بغافل عما تعملون، بل هو عليم به، وسيجازي كلًا بما عمل.

قَالَ يَبْنِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ ۚ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلْمَسَائِلِينَ ۝ إِذْ قَالَُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَمَا نَزَلْنَاهُ فُجِّرْنَاهُ عَنْ عَصَبِهِ ۚ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ طَرْحُوهُ أَرْضًا يَخُلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَاهُ فِي عَيْبَتِ الْحَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ وَلَنَصْحُونُ ۝ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ۝ قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ۝ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ۝

٥ قال يعقوب لابنه يوسف: يا بني، لا تذكر رؤياك لإخوتك، فيفهموها، ويحسدوك، فيدبروا لك مكيده حسداً منهم، إن الشيطان للإنسان عدو واضح العداوة.

٦ وكما رأيت تلك الرؤيا يختارك - يا يوسف - ربك، ويعلمك تعبير الرؤى، ويكمل نعمته عليك بالنبوة كما أتم نعمته على أبويك من قبلك: إبراهيم وإسحاق، إن ربك عليم بخلقه، حكيم في تدبيره.

٧ لقد كان في خبر يوسف وخبر إخوته عبر وعظات للساثلين عن أخيارهم.

٨ حين قال إخوته فيما بينهم: ليوسف وأخوه الشقيق أحب إلى أبينا منا ونحن جماعة ذوو عدد، فكيف فضلهما علينا؟ إنا لنراه في خطأ بين حين فضلهما علينا من غير سبب يظهر لنا.

٩ اقتلوا يوسف، أو غيِّبوه في أرض بعيدة؛ يخلص لكم وجه أبيكم فيحبكم حباً كاملاً، وتكونوا من بعد ما تقدمون عليه من قتله أو تغييبه قوماً صالحين، حين تتوبون من ذنبكم.

١٠ قال أحد الإخوة: لا تقتلوا يوسف، ولكن ارموه في قعر البئر يأخذه بعض المسافرين الذين يمرّون به، فهذا أخف ضرراً من قتله، إن كنتم عازمين على ما قلتم بشأنه.

١١ ولما اتفقوا على إبعاده قالوا لأبيهم يعقوب: يا أبانا، ما لك لا تجعلنا أمانة على يوسف؟ وإنا لمشفقون عليه نرعاه مما يضره، ونحن ناصحون له بحفظه ورعايته حتى يعود إليك سالماً، فما الذي يمنعك من إرساله معنا؟

١٢ اسمح لنا نأخذه معنا غداً يتمتع بالطعام ويمرح، وإنا له لحافظون من كل أذى يصيبه.

١٣ قال يعقوب لأبنائه: إني ليحزنني ذهابكم به؛ لأنني لا أصبر على فراقه، وأخاف عليه من أن يأكله الذئب وأنتم لاهون عنه بالرتع واللعب.

١٤ قالوا لأبيهم: لنن أكل الذئب يوسف ونحن جماعة إنا في هذه الحال لا خير فينا، فنحن خاسرون إذ لم نمنعه من الذئب.

١٥ من قوايد الآيات،

- ثبوت الرؤيا شرعاً، وجواز تعبيرها.
- مشروعية كتمان بعض الحقائق إن ترتب على إظهارها شيء من الأذى.
- بيان فضل ذرية آل إبراهيم واصطفائهم على الناس بالنبوة.
- الميل إلى أحد الأبناء بالحب يورث العداوة والحسد بين الإخوة.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاعْتَمَرُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَ
أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكُلْهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ وَعَلَى قَمِيصِهِ
بِدْمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ
فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ
بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى
أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى
أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ
وَاتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

٢٣٧

﴿١٥﴾ فأرسله يعقوب معهم، فلما ذهبوا به بعيداً، وعزموا على رميه في قعر البئر، وأوحينا إلى يوسف في هذه الحال: لتخبرنهم بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بك حال إخبارك لهم.

﴿١٦﴾ وجاء إخوة يوسف أباهم وقت العشاء يتباكون ترويحاً لمكرهم.

﴿١٧﴾ قالوا: يا أبانا، إنا ذهبنا نستأقب على الأرجل ونترامي بالنبال، وتركنا يوسف عند ثيابنا وأزوادنا ليحفظها، فأكله الذنب، ولست بمصدق لنا، وإن كنا في الواقع صادقين فيما أخبرناك به.

﴿١٨﴾ وأكدوا خبرهم بحيلة، فجاءوا بقميص يوسف ملطخاً بدم غير دمه، موهمين أنه أثر أكل الذنب له، ففطن يعقوب - بقرينة أن القميص لم يمزق - لكذبهم، فقال لهم: ليس الأمر كما أخبرتم، بل زينت لكم أنفسكم أمراً سيئاً صنعتموه به، فأصري صبر جميل لا جزع فيه، والله المطلوب منه العون على ما تذكرونه من أمر يوسف.

﴿١٩﴾ وجاءت قافلة مارة، فبعثوا من يستقي لهم الماء، فأرسل دلوّه في البئر، فتعلق يوسف بالحبل، فلما أبصره مرسلها قال مسروراً: يا بشراي هذا غلام، وأخفاه واردهم وبعض أصحابه عن بقية القافلة زاعمين أنه بضاعة استبضعوها، والله عليهم بما يفعلونه بيوسف من الابتذال والبيع، لا يخفى عليه من عملهم شيء.

﴿٢٠﴾ وباعه الوارد وأصحابه بمصر بثمن زهيد، فهو دراهم سهلة العد لقلتها، وكانوا من الزاهدين فيه لحرصهم على التخلص منه سريعاً، فقد علموا من حاله أنه ليس بمملوك، وخافوا على أنفسهم من أهله، وهذا من تمام رحمة الله به حتى لا يبقى معهم طويلاً.

﴿٢١﴾ وقال الرجل الذي اشتراه من مصر لامرأته: أحسنِي إليه وأكرميهِ في مقامه معنا؛ لعله ينفعنا في القيام ببعض ما نحتاج إليه، أو نُصَيِّرُهُ وَلَدًا بِالتَّبْنِي، وكما أنجبنا يوسف من القتل، وأخرجناه من البئر، وعطفنا عليه قلب العزيز؛ مكنّا له في مصر، ولنعلّمه تأويل الرؤيا، والله غالب على أمره، فأسرّه نافذ، فلا مكره له سبحانه، ولكن غالب الناس - وهم الكفار - لا يعلمون ذلك.

﴿٢٢﴾ ولما بلغ يوسف سن اشتداد البدن أعطياه فهمًا وعلماً، ومثل هذا الجزاء الذي جزيناه به نجزي المحسنين في عبادتهم لله.

﴿٢٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• بيان خطورة الحسد الذي جرّ إخوة يوسف إلى الكيد به والمؤامرة على قتله.

• مشروعية العمل بالقرينة في الأحكام.

• من تدبير الله ليوسف ﷺ ولطفه به أن قذف في قلب عزيز مصر معاني الأبوة بعد أن حجب الشيطان عن إخوته معاني الأخوة.

﴿٢٣﴾ وباعه الوارد وأصحابه بمصر بثمن زهيد، فهو دراهم سهلة العد لقلتها، وكانوا من الزاهدين فيه لحرصهم على التخلص منه سريعاً، فقد علموا من حاله أنه ليس بمملوك، وخافوا على أنفسهم من أهله، وهذا من تمام رحمة الله به حتى لا يبقى معهم طويلاً.

﴿٢١﴾ وقال الرجل الذي اشتراه من مصر لامرأته: أحسنِي إليه وأكرميهِ في مقامه معنا؛ لعله ينفعنا في القيام ببعض ما نحتاج إليه، أو نُصَيِّرُهُ وَلَدًا بِالتَّبْنِي، وكما أنجبنا يوسف من القتل، وأخرجناه من البئر، وعطفنا عليه قلب العزيز؛ مكنّا له في مصر، ولنعلّمه تأويل الرؤيا، والله غالب على أمره، فأسرّه نافذ، فلا مكره له سبحانه، ولكن غالب الناس - وهم الكفار - لا يعلمون ذلك.

﴿٢٢﴾ ولما بلغ يوسف سن اشتداد البدن أعطياه فهمًا وعلماً، ومثل هذا الجزاء الذي جزيناه به نجزي المحسنين في عبادتهم لله.

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ
وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ
إِنَّهُ لَا يَفْضَحُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَا أَنَّ رَأَ بَرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ وَمَنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٦٨﴾ وَأَسْتَبَقَا
الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٦٩﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ
أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ وَقَدْ مِّنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِّنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ وَقَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧١﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ وَقَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ
مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧٢﴾ قَالَ يَدْعُونَكَ لِيَذَبَ يُوسُفُ عَرِضٌ عَنْ
هَذَا أَوْ اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا
عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾

﴿٦٧﴾ وطلبت امرأة العزيز برفق وإعمال حيلة من يوسف عليه السلام فعل الفاحشة، وغلقت الأبواب إمعاناً في الخلوة، وقالت له: هَلَمْ وتعال إليّ، فقال يوسف: أعتصم بالله مما دعوتني إليه، إن سيدي أحسن إليّ في مقامي عنده فلن أخونه، فإن خنته كنت ظالماً، إنه لا يفوز الظالمون.

﴿٦٨﴾ ولقد رغبت نفسها في فعل الفاحشة، وخطر على نفسه هو ذلك، لولا أنه رأى من آيات الله ما يكفه عن ذلك ويبعده، وقد أريانه ذلك لكشف عنه السوء، ونبعده عن الزنى والخيانة، إن يوسف من عبادنا المختارين للرسالة والنبوة.

﴿٦٩﴾ وتسابقا إلى الباب: يوسف لينجو بنفسه، وهي لتمنعه من الخروج، فأمسكت بقميصه لتمنعه من الخروج، فشقته من خلفه، ووجد زوجها عند الباب، قالت امرأة العزيز للعزيز محتالة: ليس عقاب من قصد بزواجك - يا عزيز - فعل الفاحشة إلا السجن، أو أن يُعَذَّبَ عذاباً موجعاً.

﴿٧٠﴾ قال يوسف عليه السلام: هي التي طلبت مني الفاحشة، ولم أؤدّها منها، وجعل الله صبيّاً من أهلها يتكلم في المهد، فشهد بقوله: إن كان قميص يوسف شق من أمامه فذلك قرينة على صدقها؛ لأنها كانت تمنعه من نفسها، فهو كاذب.

﴿٧١﴾ وإن كان قميصه شق من خلفه فذلك قرينة على صدقه؛ لكونها كانت تُراوده وهو هارب عنها، فهي كاذبة.

﴿٧٢﴾ فلما شاهد العزيز أن قميص يوسف عليه السلام شق من خلفه تحقق من صدق يوسف، وقال: إن هذا القذف الذي قذفته به من جملة مكرٍ - معشر النساء - إن مكرٍ مكر قوي.

﴿٧٣﴾ وقال ليوسف: يا يوسف، اضرب عن هذا الأمر صفحاً، ولا تذكره لأحد، واطلبي أنت المغفرة لإثمك، إنك كنت من الآثمين بسبب مراودة يوسف عن نفسه.

﴿٧٤﴾ وانتشر خبرها في المدينة، وقالت طائفة من النساء على سبيل الإنكار: زوجة العزيز تدعو عبدها إلى نفسها، قد وصل حبه شغاف قلبها (أي: غلافه)، إنا لنراها بسبب مراودتها له وحبها إياه - وهو عبدها - في ضلال واضح.

﴿٧٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- قبح خيانة المحسن في أهله وماله، الأمر الذي ذكره يوسف من جملة أسباب رفض الفاحشة.
- بيان عصمة الأنبياء وحفظ الله لهم من الوقوع في السوء والفحشاء.
- وجوب دفع الفاحشة والهرب والتخلص منها.
- مشروعية العمل بالقرائن في الأحكام.

﴿٢١﴾ فلما سمعت امرأة العزيز إنكارهن عليها واغتيابهن إياها بعثت إليهن تدعوهن ليرين يوسف فيعذرنها، وهَيَّأتَ لهن محلاً فيه فراش ووسائد، وأعطت كل واحدة من المدعوات سكيناً تقطع به الطعام، وقالت ليوسف ﷺ: اخرج عليهن، فلما نظرن إليه أعظمته، واندھشن لحسنه، وانبهرن بجماله، وجرحن أيديهن من شدة الانبهار به بالسكاكين المعدة لقطع الطعام، وقلن: تنزه الله، ليس هذا الغلام بشراً، فما هو فيه من الجمال لم يُعهد في البشر، ليس إلا ملكاً كريماً من الملائكة الكرام.

﴿٢٢﴾ قالت امرأة العزيز للنسوة لما رأت ما أصابهن: هذا هو الفتى الذي عَبرْتُنني بسبب حبه، ولقد طلبته، واحتلت لإغوائه، فامتنع، ولئن لم يفعل ما أطلب منه مستقبلاً ليدخلن السجن، وليكونن من الأذلاء.

﴿٢٣﴾ قال يوسف ﷺ داعياً ربه: يا رب، السجن الذي هددتني به أحب إليّ مما يدعونني إليه من فعل الفاحشة، وإذا لم تكشف عني مكرهن أبل إليهن، وأكن من الجاهلين إن ملئت إليهن، وطاوعتهن فيما يردن مني.

﴿٢٤﴾ فأجاب الله دعوته، وكشف عنه مكر امرأة العزيز ومكر نسوة المدينة، إنه ﷺ السميع لدعاء يوسف، ولدعاء كل داع، العليم بحاله وحال غيره.

﴿٢٥﴾ ثم كان من رأي العزيز وقومه لما شاهدوا الأدلة على براءته أن يسجنوه - حتى لا تنكشف الفضيحة - إلى مدة غير معلومة.

﴿٢٦﴾ فسجنوه، ودخل معه غلامان في السجن، قال أحد الغلامين ليوسف: إني رأيت في المنام أني أعصر العنب ليصير خمراً، وقال الثاني: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطيور منه، أخبرنا - يا يوسف - بتفسير ما رأينا، إنا نراك من أهل الإحسان.

﴿٢٧﴾ قال يوسف ﷺ: لا يأتیکما طعام يجري عليكما من الملك أو غيره إلا بيئت لكما حقيقته وكيفيته قبل أن يأتیکما، ذلكما التأويل الذي أعلمه هو مما علّمني ربي، لا من الكهانة ولا من التنجيم، إني تركت دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالآخرة كافرون.

﴿٢٨﴾ من فوائد الآيات،

- بيان جمال يوسف ﷺ الذي كان سبب افتتان لنساء به.
- إثارة يوسف ﷺ السجن على معصية الله.
- من تدبير الله ليوسف ﷺ ولطفه به تعليمه تأويل الرؤى وجعلها سبباً لخروجه من بلاء السجن.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا
وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ
أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَهُ
عَنِ نَفْسِهِ فَوَسْوَسَ لَهُ وَلِيْنَ لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ أَمْرِهِ وَلِيَسْجَنَ
وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي
إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ
﴿٢٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لِيَسْجُنَنَّهُ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي
أَرَانِي أُعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي
خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٧﴾

﴿٢٨﴾ واتبعت دين آبائي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهو دين التوحيد لله، ما يصح لنا أن نشرك بالله غيره، وهو المنفرد بالوحدانية، ذلك التوحيد والإيمان الذي أنا عليه وآبائي هو من فضل الله علينا أن وفقنا له، ومن فضله على الناس جميعًا حين بعث إليهم الأنبياء به، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه، بل يكفرونه.

﴿٢٩﴾ ثم خاطب يوسف الغلامين في السجن قائلاً: أعبادة آلهة متعددة خير، أم عبادة الله الواحد الذي لا شريك له، القهار لغيره، الذي لا يقهر؟

﴿٣٠﴾ ما تعبدون من دون الله إلا أسماء على غير مسميات، سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة، ليس لها في الألوهية نصيب، لم يُنزل الله بتسميتكم لها حجة تدل على صحتها، ليس الحكم في جميع المخلوقات إلا لله وحده، لا لهذه الأسماء التي سميتموها أنتم وآباؤكم. أمر الله سبحانه أن توحدوه بالعبادة، ونهى أن تشركوا معه غيره، ذلك التوحيد هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، ولذلك يشركون بالله، فيعبدون بعض مخلوقاته.

﴿٣١﴾ يا رفيقي السجن، أما الذي رأى أنه يعصر عنبًا ليصير خمرًا فإنه يخرج من السجن، ويرجع إلى عمله، فيسقي الملك، وأما الذي رأى أن فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه فإنه يقتل ويصلب، فتأكل الطير من لحم رأسه، فرغ الأمر الذي طلبتما الفئتي فيه وتم، فهو واقع لا محالة.

﴿٣٢﴾ وقال يوسف للذي ظن أنه ناج منهما - وهو ساقى الملك -: اذكر قصتي وشأني عند الملك؛ لعله يخرجني من السجن، فأنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عند الملك، فمكث يوسف في السجن بعد ذلك عدة سنوات. وقال الملك: إني رأيت في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأيت سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات يابسات، يا أيها السادة والأشراف، أخبروني بتأويل رؤيائي هذه إن كنتم عالمين بتأويل الرؤيا.

• من فوائد الآيات،

• وجوب اتباع ملة إبراهيم، والبراءة من الشرك وأهله.

• في قوله: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ...﴾ دليل على أن هؤلاء المصريين كانوا أصحاب ديانة سماوية لكنهم أهل إشراك.

• كل الآلهة التي تُعبد من دون الله ما هي إلا أسماء على غير مسميات، ليس لها في الألوهية نصيب.

• استغلال المناسبات للدعوة إلى الله، كما استغلها يوسف ﷺ في السجن.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنُ وَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ يَصْحَبِي السِّجْنُ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٣١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٣٣﴾

﴿٤٤﴾ قالوا: رؤياك أخلاط أحلام، وما كان كذلك فلا تأويل له، وللسنا عالمين بتأويل الأحلام المختلفة.

﴿٤٥﴾ وقال الساقى الذي نجا من الغلامين السجينين، وتذكر يوسف ﴿٤٦﴾ وما هو عليه من علم تأويل الرؤيا بعد مدة: أنا أخبركم بتأويل ما رآه الملك بعد سؤال من له علم بتأويلها، فابعثني - أيها الملك - إلى يوسف ليؤول رؤياك.

﴿٤٧﴾ فلما وصل الناجي إلى يوسف قال له: يا يوسف، أيها الصديق، أخبرنا عن تأويل من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر، ورأى سبع سنبلات يابسات؛ لعلني أرجع إلى الملك ومن عنده لعلهم يعلمون تعبير رؤيا الملك، ويعلمون فضلك ومكانتك.

﴿٤٨﴾ قال يوسف ﴿٤٩﴾ معبراً هذه الرؤيا: تزرعون سبع سنين متتابعة بجدة، فما حصدتكم في كل سنة من تلك السنين السبع فاتركوه في سنبلة منحا له من التسوس، إلا قليلاً مما تحتاجون لأكله من الحبوب.

﴿٥٠﴾ ثم تجيء من بعد تلك السنين السبع المُخْصِبة التي زرعتم فيها، سبع سنين مجدبة يأكل الناس فيها كل ما حُصِد في السنين المُخْصِبة إلا قليلاً مما تحفظونه مما يكون بذراً.

﴿٤٤﴾ قَالُوا أَضَعَتْكَ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٦﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَىٰ يُسَبِّتُ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُخْصِنُونَ ﴿٤٩﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِصُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ اتَّبُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَافٍ عَلَيْهِنَّ ﴿٥١﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَلَشَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّحْصُ حَصَّ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٣﴾

٢٤١

﴿٥٤﴾ ثم يجيء بعد تلك السنين المجدبة عام تنزل فيه الأمطار، وتنبت الزروع، ويعصر فيه الناس ما يحتاج للعصر كالعنب والزيتون والقصب.

﴿٥٥﴾ وقال الملك لأعوانه لما بلغه تعبير يوسف لرؤياه: أخرجوه من السجن، وأتوني به، فلما جاء يوسف رسول الملك قال له: أرجع إلى سيدك الملك فاسأله عن قصة النسوة اللاتي جرّحن أيديهن، حتى تظهر براءته قبل الخروج من السجن، إن ربي بما صنع بي من المُرَاوِدة عليم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿٥٦﴾ قال الملك مخاطباً النسوة: ما شأنكن حين طلبتن يوسف بحيلة؛ ليعمل الفاحشة معكن؟ قالت زوجة العزيز مُفَرِّدة بما صنعت: الآن يظهر الحق، أنا حاولت إغواءه، ولم يحاول إغوائي، وإنه لمن الصادقين فيما ادعاه من براءته مما رميته به.

﴿٥٧﴾ قالت امرأة العزيز: ليعلم يوسف حين أقررت أنني أنا الذي راودته، وأنه صادق أنني لم أفتر عليه في غيابه، فقد تبين لي مما حصل أن الله لا يوفق من يكذب ويمكر.

﴿٥٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْأَكْيَادِ،

- من كمال أدب يوسف أنه أشار لحدّث النسوة ولم يشر إلى حدّث امرأة العزيز.
- كمال علم يوسف ﴿٥٨﴾ في حسن تعبير الرؤى.
- مشروعية تبرئة النفس مما نُسب إليها ظلماً، وطلب تقصي الحقائق لإثبات الحق.
- فضيلة الصدق وقول الحق ولو كان على النفس.

﴿٥٢﴾ وَمَا أَتَى نَفْسِي إِلَّا النَّفْسُ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي
 إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُ بِهِ
 لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾
 قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ
 مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ
 بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا أَجْرُ
 الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ
 إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ
 ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُؤْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا
 تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي
 بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَرُدُّوْهُ عَنْ أَبَاهُ
 وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ
 لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
 ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ
 فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنَانَا كَيْتَلَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾

٢٤٢

﴿٥٢﴾ وواصلت امرأة العزيز كلامها
 قائلة: وما أنزه نفسي عن إرادة السوء،
 وما أردت بذلك تزكية نفسي؛ لأن
 شأن النفس البشرية كثرة الأمر بالسوء
 لميلها إلى ما تشتهيه وصعوبة كفها
 عنه، إلا ما رحمه الله من النفوس،
 فعصمها من الأمر بالسوء، إن ربي
 غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٥٣﴾ وقال الملك لأعوانه لما تبين
 براءة يوسف وعلمه: جيئوني به أجعله
 خالصاً لنفسي، فجأؤوه به، فلما
 كلمه، وتبين له علمه وعقله قال له:
 إنك - يا يوسف - قد صيرت اليوم
 عندنا صاحب مكانة وجاه ومؤتمناً.

﴿٥٤﴾ قال يوسف للملك: ولني على

حفظ خزائن المال والأقوات في أرض
 مصر، فلني خازن أمين، ذو علم
 وبصيرة بما أتولاه.

﴿٥٥﴾ وكما منّنا على يوسف بالبراءة
 والخلاص من السجن منّنا عليه
 بالتمكين له في مصر، ينزل ويقيم في
 أي مكان شاء، نعطي من رحمتنا في
 الدنيا من نشاء من عبادنا، ولا نضيع
 ثواب المحسنين، بل نوفيهم إياه كاملاً
 غير منقوص.

﴿٥٦﴾ ولثواب الله الذي أعدّه في الآخرة
 خير من ثواب الدنيا للذين آمنوا بالله
 وكانوا يتقونه بامثال أوامره واجتناب
 نواهيه.

﴿٥٧﴾ وقدم إخوة يوسف إلى أرض مصر

ببضاعة لهم، فدخلوا عليه، فعرف أنهم إخوته، ولم يعرفوا أنه أخوهم؛ لطول المدة وتغير هيئته؛ لأنه كان صبيّاً
 حين رموه في البئر.

﴿٥٨﴾ ولما أعطاهم ما طلبوه من الميرة والزداد، قال بعد أن أخبروه أن لهم أخاً من أبيهم تركوه عند أبيه: جيئوني
 بأخيكم من أبيكم أزيدكم حمل بعير، ألا ترون أنني أكمل الكيل ولا أنقصه، وأنا خير المضيفين.

﴿٥٩﴾ فإن لم تجيئوني به تبين كذبكم في دعواكم أن لكم أخاً من أبيكم، فلن أكيل لكم طعاماً، ولا تقربوا بلدي.

﴿٦٠﴾ فأجابه إخوته قائلين: سنطلبه من أبيه، ونجتهد في ذلك، وإنا لفاعلون ما أمرتنا به دون تقصير.

﴿٦١﴾ وقال يوسف لعمّاله: ردوا ببضاعة هؤلاء إليهم حتى يعرفوا عند عودتهم أننا لم نبتغها منهم، وهذا يجبرهم
 على الرجوع ثانية ومعهم أخوهم؛ ليشتوا ليوسف صدقهم، ويقبل منهم بضاعتهم.

﴿٦٢﴾ فلما رجعوا إلى أبيهم، وقصوا عليه ما كان من إكرام يوسف لهم قالوا: يا أبانا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ إِنْ لَمْ نَأْتِ
 بِأَخِينَا مَعَنَا فَابْعَثْهُ مَعَنَا، فَإِنَّكَ إِنْ بَعَثْتَهُ مَعَنَا نَكْتَلُ الطَّعَامَ، وَإِنَّا لَنَتَّعِدُكَ بِحِفْظِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْكَ سَالِمًا.

﴿٦٣﴾ مِنْ قَوْلِهِمَا لَا كَيْلَ،

• من أعداء المؤمن: نفسه التي بين جنبيه؛ لذا وجب عليه مراقبتها وتقويم اعوجاجها.

• اشتراط العلم والأمانة فيمن يتولى منصباً يصلح به أمر العامة.

• بيان أن ما في الآخرة من فضل الله، إنما هو خير وأفضل لأهل الإيمان.

• جواز طلب الرجل المنصب ومدحه لنفسه إن دعت الحاجة، وكان مريدًا للخير والصلاح.

﴿٤٤﴾ قال لهم أبوه: هل آمنكم عليه
إلا كما أمنتكم على أخيه الشقيق:
يوسف من قبل؟! فقد أمنتكم عليه،
وتعهدتم بحفظه، ولم تفوا بما تعهدتم
به، فلا ثقة عندي بتعهدكم بحفظه،
وإنما ثقتي بالله، فهو خير الحافظين
لمن أراد حفظه، وأرحم الراحمين
بمن أراد رحمته.

﴿١٥﴾ ولما فتحوا أوعية طعامهم الذي جلبوه وجدوا ثمنه رد إليهم، فقالوا لأبيهم: أي شيء نطلب من هذا العزيز بعد هذا الإكرام؟ وهذا ثمن طعامنا رده العزيز تفضلاً منه علينا، ونجلب الطعام لأهلنا، ونحفظ أخانا مما نخافه عليه، ونزداد كيل بغير بسبب اصطحابه، فزيادة كيل بغير أمر سهل عند العزيز.

(١١) قال لهم أبوه: لن أبعثه معكم حتى تؤثروني عهد الله مؤكداً أن تردوه إليّ إلا إن أحاط هلاك بكم جميعاً، ولم يُثِقْ منكم أحداً، ولم تقدرُوا على دفعه ولا الرجوع، فلما أعطوه عهد الله المؤكد على ذلك، قال: الله شهيد على ما نقول، فتكفينا شهادته.

(١٧) وقال لهم أبوه موصيًا إياهم: لا تدخلوا مصر من باب واحد مجتمعين، لكن ادخلوا من أبواب متفرقة، فذلك أسلم من أن يعمّكم أحد بضرر إن أرادهم بكم، ولا أقول لكم ذلك لأدفع عنكم ضررًا أرادته الله

بكم، ولا لأجلب لكم نفعاً لم يردده الله،
كل أموري، وعليه وحده فليتك كل المتوكل

(٦) فارتحلوا ومعهم أخوه الشقيق، ولما أبواب متفرقة شيئاً مما قدره الله عليهم، لا قضاء إلا قضاء الله، فهو عالم بما عا ذلك.

﴿٦٩﴾ ولما دخل إخوة يوسف على يوسف
أخوك الشقيق: يوسف، فلا تحزن لما
إياي في البئر.

● من فوائد الآيات :

- قَالَ هَلْ ءَامَنَكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن
قَبْلُ فَأَلَّهٖ خَيْرٌ حَفِظْنَا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا
مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنِي
آدَمَ إِنَّا هَٰذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزَادُكَ كَيْلٌ بَعِيرٌ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٧﴾ قَالَ
لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُتَوَّنُوا مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي
بِهِ ۖ إِلَّا أَن يَحَاطَبَكُمْ فَلَمَّاءُ تَوَّهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا
نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٨﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَتَدَخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ
وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ
يَغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ
قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِن أَكْثَرِ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ
قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

بكم، ولا لأجلب لكم نفعاً لم يردده الله، فالقضاء ليس إلا قضاء الله، والأمر ليس إلا أمره، عليه وحده توكلت في كل أموري، وعليه وحده فليتوكل المتوكلون في أمورهم.

﴿٧٨﴾ فارتحلوا ومعهم أخوه الشقيق، ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهما ما كان يدفع عنهم دخولهم من أبواب متفرقة شيئاً مما قدره الله عليهم، إنما هي شفقة يعقوب على أولاده، أظهرها، ووصاهم بها، وهو يعلم أن لا قضاء إلا قضاء الله، فهو عالم بما علمناه من الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

(١٦) ولما دخل إخوة يوسف على يوسف، ومعهم أخوه الشقيق، ضم إليه أخاه الشقيق، وقال له سرًّا: إني أنا أخوك الشقيق: يوسف، فلا تحزن لما كان يصنعه إخوانك من الأعمال الطائشة؛ من إيذاء وحقد علينا، وإلقاءهم إياي في البئر.

- الأمر بالاحتياط والحذر ممن أُثِرَ عنه غدر، وفي الحديث (لَا يُلْدَغُ مُؤْمِنٌ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ).
- من وجوه الاحتياط التأكد بأخذ المواثيق المؤكدة باليمين، وجواز استحلاف المخوف منه على حفظ الودائع والأمانات.
- يجوز لطالب اليمين أن يستثني بعض الأمور التي يرى أنها ليست في مقدور من يحلف اليمين.
- من الأخذ بالأسباب الاحتياط من الممالك.

فَلَمَّا جَهَنَزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ
ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنُ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا
وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُبُوحَ الْمَلِكِ
وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ، حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا تَاللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ
﴿٧٨﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا أَجْزَاؤُهُ
مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
﴿٨٠﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهُمَا مِنْ
وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٨١﴾ * قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ
وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدًا مَعَكَا إِنَّكَ أَنْتَ نَزَّكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٣﴾

٢٤٤

﴿٧٥﴾ فلما أمر يوسف خُذَّامه بتحميل
إبل إخوته بالطعام جعل مكيال الملك
الذي يكيل به الطعام للمُخْتَارِينَ فِي
وَعَاءِ أَخِيهِ الشَّقِيقِ دُونَ عِلْمِهِمْ تَوْضُّلاً
إِلَى إِبْقَائِهِ مَعَهُ، فلما ارتحلوا عَائِدِينَ
إِلَى أَهْلِهِمْ نَادَى مُنَادٍ فِي إِثْرِهِمْ: يَا
أَصْحَابَ الْإِبِلِ الْمُحْمَلَةِ بِالْمِيرَةِ، إِنَّكُمْ
لَسَارِقُونَ.

﴿٧٦﴾ قال إخوة يوسف، وأقبلوا على
المنادي في إِثْرِهِمْ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ
أَصْحَابِهِ: مَاذَا ضَاعَ مِنْكُمْ حَتَّى تَتَهَمُونَا
بِالسَّرْقَةِ؟

﴿٧٧﴾ قال المنادي وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ
لِإِخْوَةِ يُوسُفَ: ضَاعَ مَنَّا صَاعُ الْمَلِكِ
الَّذِي يَكِيلُ بِهِ، وَلَمَنْ جَاءَ بِصَاعِ
الْمَلِكِ قَبْلَ التَّفْتِيشِ يُجْعَلُ، وَهُوَ حِمْلُ
جَمَلٍ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَهُ ذَلِكَ.

﴿٧٨﴾ قال لهم إخوة يوسف: والله لقد
علمتم نزاحتنا وبراءتنا، كما رأيتموه
مِنْ أَحْوَالِنَا، وَأَنَا مَا جِئْنَا أَرْضَ مِصْرَ
لِنُفْسِدَ فِيهَا، وَمَا كُنَّا فِي حَيَاتِنَا
سَارِقِينَ.

﴿٧٩﴾ قال المنادي وَأَصْحَابِهِ: فَمَا جَزَاءُ
مَنْ سَرَقَ عِنْدَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ فِي
دَعْوَاكُمْ الْبَرَاءَةَ مِنَ السَّرْقَةِ؟

﴿٨٠﴾ قال لهم إخوة يوسف: جزاء
السارق عِنْدُنَا أَنْ مَنْ وَجِدَ الْمَسْرُوقَ
فِي وَعَائِهِ يَسْلَمُ بِرَقَبَتِهِ لِلْمَسْرُوقِ مِنْهُ
يَسْتَرْقُهُ، مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ بِالْأَسْتَرْقَاقِ
نَجْزِي السَّارِقِينَ.

﴿٨١﴾ فَأَرْجِعُوهُمْ إِلَى يُوسُفَ لَتَفْتِشَ أَوْعِيَّتَهُمْ، فَبَدَأَ بِتَفْتِيشِ أَوْعِيَةِ إِخْوَتِهِ غَيْرِ الْأَشْقَاءِ قَبْلَ تَفْتِيشِ وَعَاءِ أَخِيهِ الشَّقِيقِ
سِتْرًا لِلْحِيلَةِ، ثُمَّ فَتَشَ وَعَاءَ شَقِيقِهِ، وَأَخْرَجَ صَاعَ الْمَلِكِ مِنْهُ، كَمَا كِدْنَا لِيُوسُفَ بِتَدْبِيرٍ وَضَعَ الصَّاعَ فِي وَعَاءِ أَخِيهِ،
كِدْنَا لَهُ أَمْرًا آخَرَ أَنْ يَأْخُذَ إِخْوَتَهُ بِعِقَابِ بِلَدِهِمْ بِاسْتَرْقَاقِ السَّارِقِ، هَذَا الْأَمْرُ لَا يَتَحَقَّقُ لَوْ عَمِلَ بِعِقَابِ الْمَلِكِ
لِلْسَّارِقِ الَّذِي هُوَ الضَّرْبُ وَالتَّغْرِيمُ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَدْبِيرًا آخَرَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، نَرْفَعُ مَنْ تَبَّ مِنْ نَشَاءٍ مَنْ عِبَادِنَا كَمَا
رَفَعْنَا مَرْتَبَةَ يُوسُفَ، وَفَوْقَ كُلِّ صَاحِبِ عِلْمٍ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، وَفَوْقَ عِلْمِ الْجَمِيعِ عِلْمُ اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ.

﴿٨٢﴾ قال إخوة يوسف: إِنْ يَسْرِقْ فَلَا عَجَبَ، فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ شَقِيقٌ مِنْ قَبْلِ سَرَقَتِهِ هُوَ، يَعْنُونَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخْفَى
يُوسُفَ تَأْذِيَهُ بِقَوْلِهِمْ هَذِهِ، وَلَمْ يَظْهَرْهَا لَهُمْ، قَالَ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ: مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَسَدٍ وَصَنِيعِ سُوءٍ سَبَقَ مِنْكُمْ، هُوَ
الشَّرُّ بَيْنَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِهَذَا الْإِفْتِرَاءِ الَّذِي يَصْدُرُ مِنْكُمْ.

﴿٨٣﴾ قال إخوة يوسف لِيُوسُفَ: أَيُّهَا الْعَزِيزُ، إِنَّ لَهُ وَالِدًا شَيْخًا طَاعَةً فِي السِّنِّ يَحِبُّهُ كَثِيرًا، فَأَمْسِكْ أَحَدًا بَدْلًا
مِنْهُ، إِنْ نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ فِي مَعَامِلَتِنَا وَمَعَامِلَةِ غَيْرِنَا، فَأَحْسِنْ إِلَيْنَا بِذَلِكَ.

﴿٨٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْأَيَّاتِ،

- جَوَازُ الْحِيلَةِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ، بِشَرَطِ عَدَمِ الْإِضْرَارِ بِالْغَيْرِ.
- يَجُوزُ لِصَاحِبِ الضَّالَّةِ أَوْ الْحَاجَةِ الضَّائِعَةِ رَصْدُ جُعْلٍ «مُكَافَأَةً» مَعَ تَعْيِينِ قَدْرِهِ وَصِفَتِهِ لِمَنْ عَاوَنَهُ عَلَى رَدِّهَا.
- التَّغَاوُلُ عَنِ الْأَذَى وَالْإِسْرَارُ بِهِ فِي النَّفْسِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مَتَعْنَا عِنْدَهُ وَإِنَّا إِذَا أَظْلَمُوتُ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا أَسَدَيْتَ سَوَامِنَهُ خَلَصُوا نَجِيًّا
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٧٧﴾
أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا نَاثِرُ ابْنِكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٧٨﴾
وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٠﴾ وَقَوْلِي عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفْهُ عَلَى يُوسُفَ وَأَيَّضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨١﴾
قَالُوا يَا اللَّهُ تَقَتُّوا تَذَكَّرُوا يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٣﴾

٢٤٥

﴿٧٦﴾ قال يوسف عليه السلام: عيادًا بالله أن نظلم بريئًا بجرم ظالم، فتمسك غير من وجدنا صاع الملك في وعائه، إنا إن فعلنا ذلك لظالمون، حيث عاقبنا بريئًا، وتركنا جانيًا.

﴿٧٧﴾ فلما يسئسوا من إجابة يوسف لطلبهم انفردوا عن الناس للتشاور، قال أخوهم الكبير: أذكركم أن آباكم قد أخذ عليكم عهد الله مؤكدًا على أن تردوا إليه ابنه إلا أن يحاط بكم بما لا تقدرُونَ على دفعه، ومن قبل ذلك قد فرطتم في يوسف، ولم تفوا بعهديكم لأبيكم فيه، فلن أترك أرض مصر حتى يسمح لي أبي بالرجوع إليه، أو يقضي الله لي بأخذ أخي، والله خير القاضين، فهو يقضي بالحق والعدل.

﴿٧٨﴾ وقال الأخ الكبير: عودوا إلى أبيكم، فقولوا له: إن ابنك سرق، فاسترقه عزيز مصر عقوبة له على سرقة، وما أخبرنا إلا بما علمناه من مشاهدتنا للصاع يخرج من وعائه، وما كان لنا علم بأنه يسرق، ولو علمنا ذلك ما عاهدناك على رده.

﴿٧٩﴾ ولنتحقق من صدقنا أسأل - يا أبانا - أهل مصر التي كنا فيها، وأسأل أصحاب القافلة التي جئنا معها يخبروك بما أخبرناك به، وإنا لصادقون حقًا فيما أخبرناك به من سرقة.

﴿٨٠﴾ قال لهم أبوهم: ليس الأمر كما ذكرتم من كونه سرق، بل زينت لكم أنفسكم أن تمكروا به كما مكرتم بأخيه يوسف من قبل، فصبري صبر جميل، لا شكوى فيه إلا إلى الله، عسى الله أن يعيدهم إلي جميعًا: يوسف وشقيقه، وأخاهما الكبير، إنه سبحانه هو العليم بحالي، الحكيم في تدبيره لأمر.

﴿٨١﴾ وابتعد معرضًا عنهم، وقال: يا شدة حزني على يوسف، وصار سواد عينيه بياضًا من كثرة ما بكى عليه، فهو مملوء حزنًا وهماً، يكتنم حزنه عن الناس.

﴿٨٢﴾ قال إخوة يوسف لأبيهم: تالله لا تزال - يا أبانا - تذكر يوسف، وتتفجع عليه حتى يشتد بك المرض، أو تهلك فعلاً.

﴿٨٣﴾ قال لهم أبوهم: ما أشكو ما أصابني من الهم والحزن إلا إلى الله وحده، وأعلم من لطف الله وإحسانه وإجابته للمضطر وجزائه للمصاب ما لا تعلمونه أنتم.

﴿٨٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- لا يجوز أخذ بريء بجريمة غيره، فلا يؤخذ مكان المجرم شخص آخر.
- الصبر الجميل هو ما كانت فيه الشكوى لله تعالى وحده.
- على المؤمن أن يكون على تمام يقين بأن الله تعالى يفرج كربته.

يَنْبَغِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْكُسُوا
مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْكُتُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْكَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ
مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزَجَّلَةٍ فَأَوَفَّ لَنَا
الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ
﴿٢٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ
جَاهِلُونَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ
وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتِّقٍ وَيَصْبِرٍ فَإِنَّ
اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ
ءَاثَرَكُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ لَا تَنْتَرِبَ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ
﴿٣٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ
بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ
تُفَنِّدُونِ ﴿٣٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيمِ ﴿٣٥﴾

٢٤٦

﴿٢٧﴾ قال لهم أبوهم: يا أبنائي، اذهبوا
فتعرفوا من أخبار يوسف وأخيه، ولا
تقنطوا من تفريج الله وتنفيسه عن
عباده، إنه لا يقنط من تفريجه وتنفيسه
إلا القوم الكافرون؛ لأنهم يجهلون
عظيم قدرة الله وخفي إفضاله على
عباده.

﴿٢٨﴾ فامتثلوا أمر أبيهم، وذهبوا بحثاً
عن يوسف وأخيه، فلما دخلوا على
يوسف قالوا له: أصابتنا الشدة
والفقر، وأتيننا ببضاعة حقيرة زهيدة،
فكُلْ لنا كيلاً وافياً كما كنت تكيل لنا
من قبل، وتصدق علينا بزيادة على
ذلك أو بالتعاضى عن بضاعتنا
الحقيرة، إن الله يجازي المتصدقين
بأحسن الجزاء.

﴿٢٩﴾ فلما سمع كلامهم رق لهم رحمة
بهم، وعرفهم بنفسه قال لهم: قد
علمتم ما فعلتم بيوسف وشقيقه حين
كنتم جاهلين عاقبة ما فعلتم بهما؟!

﴿٣٠﴾ فتعاجزوا، وقالوا: أإنك أنت
يوسف؟ قال لهم يوسف: نعم أنا
يوسف، وهذا الذي ترون معي: أخي
الشقيق، قد تفضل الله علينا بالخلاص
مما كنا فيه، وبرفع القدر، إنه من
يتق الله يامتثال أوامره واجتناب
نواهيه، ويصبر على البلاء؛ فإن عمله
من الإحسان، والله لا يضيع أجر
المحسنين، بل يحفظه لهم.

﴿٣١﴾ قال له إخوته معتردين عما صنعوا

به: تالله لقد فضلك الله علينا بما أعطاك من صفات الكمال، ولقد كنا فيما صنعنا بك مسيئين ظالمين.

﴿٣٢﴾ فقبل يوسف اعتذارهم، وقال: لا لوم عليكم اليوم يقتضي عقابكم ولا توبيخ، أسأل الله أن يغفر لكم، وهو
سبحانه أرحم الراحمين.

﴿٣٣﴾ فأعطاهم قميصه لما أعلموه بما آل إليه بصر أبيه، وقال: اذهبوا بقميصي هذا، فاطرحوه على وجه أبي يُعْذِلْهُ
بصره، وأحضروا إلي أهليكم كلهم.

﴿٣٤﴾ ولما خرجت القافلة منطلقاً من مصر، وفارقت العامر منها قال يعقوب عليه السلام لأبنائه وللمن عنده في أرضه: إني
لأسم رائحة يوسف، لولا أنكم تُجْهَلُونَنِي وتُسَبِّحُونَنِي إلى الخرف بقولكم: هذا شيخ خرف، يقول ما لا يعلم.

﴿٣٥﴾ قال من عنده من ولده: والله إنك لا تزال في توهمك السابق بشأن منزلة يوسف عندك وإمكانية رؤيته ثانية.

﴿٣٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- عظم معرفة يعقوب عليه السلام بالله حيث لم يتغير حسن ظنه رغم توالي المصائب ومرور السنين.
- من خلق المعتذر الصادق أن يطلب التوبة من الله، ويعترف على نفسه ويطلب الصفح ممن تضرر منه.
- بالتقوى والصبر تنال أعظم الدرجات في الدنيا وفي الآخرة.
- قبول اعتذار المسيء وترك الانتقام، خاصة عند التمكن منه، وترك تأنيبه على ما سلف منه.

﴿١٦﴾ فلما جاء الْمُخْبِرُ بما يَسَّرَ يعقوب ألقى قميص يوسف على وجهه فصار بصيرًا، عندئذ قال لأبنائه: ألم أقل لكم إني أعلم من لطف الله وإحسانه ما لا تعلمونه أتم؟

﴿١٧﴾ قال أبنأوه معتردين لأبيهم يعقوب ﷺ عما فعلوه بيوسف وأخيه: يا أبانا، اطلب من الله المغفرة لذنوبنا السابقة، إنا كنا مذنبين مسيئين فيما فعلناه بيوسف وشقيقه.

﴿١٨﴾ قال لهم أبوهم: سوف أطلب لكم المغفرة من ربي، إنه هو الغفور لذنوب التائبين من عباده، الرحيم بهم.

﴿١٩﴾ وخرج يعقوب وأهله من أرضهم قاصدين يوسف في مصر، فلما دخلوا عليه ضم إليه أباه وأمه، وقال لإخوته وأهلهم: ادخلوا مصر بمشيئة الله آمين لا يصيبكم فيها أذى.

﴿٢٠﴾ وأجلس أبويه على السرير الذي يجلس عليه، وحياته أبواه وإخوته الأحد عشر بالسجود وكان سجود تشريف لا عبادة، تحقيقًا لأمر الله كما في الرؤيا، لذا قال يوسف ﷺ لأبيه: هذه النحلة بالسجود لي منكم هي تأويل رؤياي التي رأيته من قبل وقصصتها عليك، قد صبرها ربي حقًا بوقوعها، وقد أحسن إلي ربي حين أخرجني من السجن، وحين جاء بكم من البادية من بعد أن أفسد الشيطان

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَبْنَآبَانَا أَتَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿١٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَبْنَآبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ ۖ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْأَبَدِ ۖ وَمِن بَعْدِ أَن نَّرْعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ تَوْفَّنِي مُسْلِمًا ۖ وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

بيني وبين إخوتي، إن ربي لطيف في تدبيره لما يشاء، إنه هو العليم بأحوال عباده، الحكيم في تدبيره.

﴿٢١﴾ ثم دعا يوسف ربه، فقال: يا رب، قد أعطيتني ملك مصر، وعلمتني تعبیر الرؤى، يا خالق السماوات والأرض ومبدعهما على غير مثال سابق، أنت متولي جميع أموري في الحياة الدنيا، ومتولي جميعها في الآخرة، اقْبِضْنِي عند انتهاء أجلي مسلمًا، وألحقني بالأنبياء الصالحين من آبائي وغيرهم في الفردوس الأعلى من الجنة.

﴿٢٢﴾ ذلك المذكور من قصة يوسف وإخوته نوحيه إليك - أيها الرسول - لم يكن لك علم به، إذ لم تكن حاضرًا عند إخوة يوسف حين عزموا على إلقائه في قعر البئر، ودبروا ما دبروا من الحيلة، ولكننا أوحينا إليك ذلك.

﴿٢٣﴾ وما أكثر الناس بمؤمنين ولو بذلت - أيها الرسول - كل جهد ليؤمنوا، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

﴿٢٤﴾ مِن قَوَادِمِ الْآيَاتِ،

- بر الوالدين وتبجيلهما وتكريمهما واجب، ومن ذلك المسارعة بالبشارة لهما فيما يدخل السرور عليهما.
- التحذير من نزغ الشيطان، ومن الذي يسعى بالوقعة بين الأحباب؛ ليفرق بينهم.
- مهما ارتفع العبد في دينه أو دنياه فإن ذلك كله مرجعه إلى تفضل الله تعالى وإنعامه عليه.
- سؤال الله حسن الخاتمة والسلامة والفوز يوم القيامة والالتحاق برفقة الصالحين في الجنان.

وَمَا سَأَلْنَاهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَتَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَّشَأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأُسْنَاعِنَ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾

٢٤٨

﴿١٤﴾ ولو عقلوا لآمنوا بك؛ لأنك لم تطلب منهم - أيها الرسول - على القرآن ولا على ما تدعوهم إليه ثواباً، فليس القرآن إلا تذكيراً لجميع الناس.

﴿١٥﴾ وكثيرة هي الآيات الدالة على توحيده سبحانه مبثوثة في السماوات وفي الأرض، يمررون عليها وهم عن التأمل فيها والاعتبار بها معرضون، لا يلتفتون إليها.

﴿١٦﴾ وما يؤمن أكثر الناس بالله أنه الخالق الرازق المحيي المميت إلا وهم يعبدون معه غيره من الأصنام والأوثان، ويدعون أن له ولداً، سبحانه.

﴿١٧﴾ أفامن هؤلاء المشركون أن تأتيهم عقوبة في الدنيا تغمرهم وتظللهم، لا يستطيعون دفعها، أو تأتيهم الساعة فجأة، وهم لا يحسون بإتيانها فيستعدوا لها، فلذلك لم يؤمنوا؟!

﴿١٨﴾ قل - أيها الرسول - لمن تدعوهم: هذه طريقي التي أدعو الناس إليها، على حجة واضحة أدعو إليها أنا، ويدعو إليها من اتبعني، واهتدى بهديي، واستن بسنتي، ولست من المشركين بالله، بل أنا من الموحدين له سبحانه.

﴿١٩﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - إلا رجلاً من البشر لا ملائكة، نوحى إليهم كما أوحينا إليك، من أهل المدن لا من أهل البوادي، فكذبته أممهم فاهلكناها، أفلم يسر هؤلاء المكذبون بك في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية المكذبين من قبلهم فيعتبروا بهم؟! وما

في الدار الآخرة من النعيم خير للذين اتقوا الله في الدنيا، أفلا تعقلون أن ذلك خير فتقوا الله بامتثال أوامره - وأعظمها الإيمان - وباجتناب نواهيه، وأكبرها الشرك بالله.

﴿٢٠﴾ هؤلاء الرسل الذين نرسلهم نمهل أعداءهم، ولا نعاملهم العقوبة استدراجاً لهم، حتى إذا تأخر إهلاكهم، ويش الرسل من هلاكهم، وظن الكفار أن رسلهم قد كذبوهم فيما وعدوهم به من العقاب للمكذبين، وإنجاء المؤمنين؛ جاء نصرنا لرسنا، ونجى الرسل والمؤمنون من الهلاك الواقع على المكذبين، ولا يرد عذابنا عن القوم المجرمين عندما ننزلهم بهم.

﴿٢١﴾ لقد كان في قصص الرسل وقصص أممهم، وفي قصة يوسف وإخوته موعظة بتعظ بها أصحاب العقول السليمة، ما كان القرآن المشتمل على ذلك كلاماً مختلفاً مكذوباً على الله، ولكن كان تصديقاً للكتب السماوية المنزلة من عند الله، وتفصيلاً لكل ما يحتاج إلى تفصيله من الأحكام والشرائع، وإرشاداً لكل خير، ورحمة لقوم يؤمنون به، فهم الذين ينتفعون بما فيه.

• من قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

• من فضل الله تعالى أنه يُظْلَعُ أنبياءه على بعض من أمور الغيب لغايات وحكم. • أن الداعية لا يملك تصريف قلوب العباد وحملها على الطاعات، وأن أكثر الخلق ليسوا من أهل الهداية. • ذم المعرضين عن آيات الله الكونية ودلائل توحيده المبثوثة في صفحات الكون. • شملت هذه الآية ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي...﴾ ذكر بعض أركان الدعوة، ومنها: أ - وجود منهج: ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾. ب - ويقوم المنهج على العلم: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾. ج - وجود داعية: ﴿ادْعُوا﴾. د - وجود مدعوين: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْءُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ أَلْهَارًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ ۖ وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَّبْ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا فَخْلٌ جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

﴿٢٤٩﴾

النهار، فيصير مظلمًا بعدما كان منيرًا، إن في ذلك المذكور لأدلة وبراهين لقوم يتفكرون في صنع الله، ويتأملون فيه، فهم الذين يتفكرون بتلك الأدلة والبراهين.

﴿١﴾ وفي الأرض بقاع متقاربة، وفيها بساتين من أغناب، وفيها زرع، ونخلات مجتمعة في أصل واحد، ونخلات منفردات بأصلها، تُسْقَى هذه البساتين وتلك الزروع بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الطعم وغيره من الفوائد على رغم تجاورها وسقيها بماء واحد، إن في ذلك المذكور لأدلة وبراهين لقوم يعقلون؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بذلك.

﴿٢﴾ وإن تعجب - أيها الرسول - من شيء، فأحق ما تعجب منه تكذيبهم بالبعث، وقولهم احتجاجًا لإنكاره: إذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بالية نخرة أُنْبِثَتْ ونُعَاد أحياء؟! أولئك المنكرون للبعث بعد الموت الذين كفروا بربهم فأنكروا قدرته على بعث الموتى، وأولئك توضع السلاسل من النار في أعناقهم يوم القيامة، وأولئك هم أصحاب النار. وهم فيها ماكثون أبدًا، لا يلحقهم فناء، ولا ينقطع عنهم العذاب.

﴿٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- إثبات قدرة الله ﷻ والتعجب من خلقه للسموات على غير أعمدة تحملها، وهذا مع عظيم خلقها واتساعها.
- إثبات قدرة الله وكمال ربوبيته ببرهان الخلق، إذ نبئت النبات الضخم، ويخرجه من البذرة الصغيرة، ثم يسقيه من ماء واحد، ومع هذا تختلف أحجام وألوان ثمراته وطعمها.
- أن إخراج الله تعالى للأشجار الضخمة من البذور الصغيرة، بعد أن كانت معدومة، فيه رد على المشركين في إنكارهم للبعث؛ فإن إعادة جمع أجزاء الرفات المتفرقة والمتحللة في الأرض، وبعثها من جديد، بعد أن كانت موجودة، هو بمنزلة أسهل من إخراج المعدوم من البذرة.

﴿٤﴾ مِنْ مَقَاصِدِ الشُّوَرَةِ:

بيان حقيقة القوة والقدرة الإلهية ومظاهرها، وإثبات الوعد والوعيد وسنة الله في التغيير والتبديل.

﴿٥﴾ التفسير:

﴿١﴾ التمر. تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. هذه الآيات الرفيعة في هذه السورة، والقرآن الذي أنزله الله عليك - أيها الرسول - هو الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك أنه من عند الله، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون به عنادًا وتكبرًا.

﴿٢﴾ الله هو الذي خلق السماوات مرفوعات دون دعائم تشاهدونها، ثم علا وارتفع على العرش علوًا يليق به سبحانه من غير تكليف ولا تمثيل، ودّلل الشمس والقمر لمنافع خلقه، كل من الشمس والقمر يجري لأمد محدد في علم الله، يصرف سبحانه الأمر في السماوات والأرض بما يشاء، يبين الآيات الدالة على قدرته رجاء أن توقنوا ببقاء ربكم يوم القيامة، فتستعدوا له بالعمل الصالح.

﴿٣﴾ وهو سبحانه الذي بسط الأرض، وخلق فيها جبالًا ثوابت حتى لا تضطرب بالناس، ومن كل أنواع الثمرات جعل فيها صنفين كالذكر والأنثى في الحيوان، يلبس الليل

﴿٦﴾ ويستعجلونك بالسّيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلث وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴿٧﴾ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴿٨﴾ الله يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما ترزاد وكل شيء عنده بمقدار ﴿٩﴾ علم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴿١٠﴾ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالآل وسارب بالتهار ﴿١١﴾ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من والٍ ﴿١٢﴾ هو الذي يرِيكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال ﴿١٣﴾ ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال ﴿١٤﴾

﴿٦﴾ ويقول الذين كفروا بالله - تمادياً في الصدود والعناد -: هلا أنزل على محمد آية من ربه مثل ما أنزل على موسى وعيسى . إنما أنت - أيها الرسول - منذر تخوف الناس من عذاب الله، وليس لك من الآيات إلا ما أعطاك الله، ولكل قوم نبي يرشدهم إلى طريق الحق، ويدلهم عليه .

﴿٧﴾ الله يعلم ما تحمّل كل أنثى في بطنها، يعلم كل شيء عنه، ويعلم ما يحصل في الأرحام من نقص وزيادة وصحة واعتلال، وكل شيء عنده سبحانه مُقدّر بمقدار لا يزيد عليه ولا ينقص عنه .

﴿٨﴾ لأنه سبحانه عالم كل ما غاب عن حواس خلقه، وعالم كل ما تدركه حواسهم، العظيم في صفاته وأسمائه وأفعاله، المستعلي على كل مخلوق من مخلوقاته بذاته وصفاته .

﴿٩﴾ يعلم السر وأخفى، يستوي في علمه من أخفى منكم - أيها الناس - القول، ومن أعلنه، ويستوي في علمه كذلك من

هو مستتر بظلمة الليل عن أعين الناس، ومن هو ظاهر بأعماله في وضح النهار .

﴿١٠﴾ له ملائكة يعقّب بعضهم بعضاً على الإنسان، فيأتي بعضهم بالليل، وبعضهم بالنهار، يحفظون الإنسان بأمر الله من جملة الأقدار التي كتب الله لهم منعها عنه، ويكتبون أقواله وأعماله، إن الله لا يغير ما بقوم من حال طيبة إلى حال غيرها لا تسره حتى يغيروا ما بأنفسهم من حال الشكر، وإذا أراد الله سبحانه بقوم هلاكاً فلا راد لما أراد، وما لكم - أيها الناس - من دون الله من متول يتولى أموركم، فتلجؤوا إليه لدفع ما أصابكم من بلاء .

﴿١١﴾ هو الذي يرِيكم - أيها الناس - البرق، ويجمع لكم به الخوف من الصواعق، والطمع في المطر، وهو الذي ينشئ السحاب المثلث بماء المطر الغزير .

﴿١٢﴾ ويسبح الرعد ربّه تسبيحاً مقروناً بحمده سبحانه، وتسبح الملائكة ربّها خوفاً منه وإجلالاً وتعظيماً له، ويرسل الصواعق المحرقة على من يشاء من مخلوقاته فيهلكه، والكفار يخاصمون في وحدانية الله، والله شديد الحول والقوة، لمن عصاه .

﴿١٣﴾ من قواید الآيات،

- عظيم مغفرة الله وحلمه عن خطايا بني آدم، فهم يستكبرون ويتحدّون رسله وأنبياءه، ومع هذا يرزقهم ويعافهم ويحلم عنهم .
- سعة علم الله تعالى بما في ظلمة الرحم، فهو يعلم أمر النطفة الواقعة في الرحم، وصيرورتها إلى تخليق ذكر أو أنثى، وصحته واعتلاله، ورزقه وأجله، وشقي أو سعيد، فعلمه بها عام شامل .
- عظيم عناية الله ببني آدم، وإنبات وجود الملائكة التي تحرسه وتصوره وغيرهم مثل الحفظة .
- أن الله تعالى يغير حال العبد إلى الأفضل متى ما رأى منه اتباعاً لأسباب الهداية، فهداية التوفيق منوطة باتباع هداية البيان .

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا
 كَيَسِطَ لَكُفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَإِمَّا يَنْفَعُهُ وَمَا هُوَ بِلَغَاءٍ لَّهُمْ شَيْءٌ وَلَا يَكْفُرِينَ
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝١٤ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
 وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝١٥ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتُخَذَ ثَمَرٌ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ
 أَنْفُسَهُمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ
 تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا الْخَلْقَ ۚ فَتَشَبَّهَ
 الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝١٦ أَنْزَلَ
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا
 وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ
 كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً
 وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
 الْأَمْثَالَ ۝١٧ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا
 لَهُ وَلَوْ أَنَّ لَهُمْ مِائِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فُتَدُوا بِهِ ۚ
 أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝١٨

⑬ لله وحده دعوة التوحيد لا يشاركه فيها أحد، والأصنام التي يدعوها المشركون من دونه لا تستجيب دعاء من يدعوها في أي مسألة، وما دعائهم لها إلا مثل عطشان ييسط يده إلى الماء ليصل إلى فيه فيشرب منه، وما الماء بواصل إلى فيه، وما دعاء الكافرين لأصنامهم إلا في ضياع وبُعْدٍ عن الصواب؛ لأنها لا تملك لهم جلب نفع، ولا دفع ضرر.

⑭ لله وحده يخضع بالسجود جميع من في السماوات ومن في الأرض، يستوي في ذلك المؤمن والكافر، غير أن المؤمن يخضع له ويسجد طوعاً، وأما الكافر فيخضع له كرهاً، وتملئ عليه فطرته أن يخضع له طوعاً، وله ينقاد ظل كل ما له ظل من المخلوقات أول النهار وآخره.

⑮ قل - أيها الرسول - للكفار الذين يعبدون مع الله غيره: من خالق السماوات والأرض ومدير أمرهما؟ قل - أيها الرسول -: الله هو خالقهما ومدير أمرهما، وأنتم تقولون بذلك، قل - أيها الرسول - لهم: أفتأخذتم لأنفسكم أولياء من دون الله عاجزين، لا يستطيعون جلب نفع لأنفسهم، ولا كشف ضرر عنها، فأنى لهم أن يستطيعوا ذلك لغيرهم؟ قل لهم - أيها الرسول -: هل يستوي الكافر الذي هو أعمى البصيرة، والمؤمن الذي هو البصير المهتدي؟ أم هل يستوي الكفر الذي هو ظلمات، والإيمان الذي هو نور؟ أم جعلوا لله سبحانه شركاء معه في

الخلق خلقوا مثل خلق الله، فاختلط عندهم خلق الله بخلق شركائهم؟ قل لهم - أيها الرسول -: الله وحده هو خالق كل شيء، لا شريك له في الخلق، وهو المنفرد بالألوهية، الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، القهار.

⑯ ضرب الله مثلاً لتلاشي الباطل وبقاء الحق بماء مطر نازل من السماء حتى سالت به الأودية، كل حسب حجمه صغراً وكبيراً، فحمل السيل الغناء والرغوة مرتفعاً فوق الماء، وضرب مثلاً آخر لهما ببعض ما يوقد الناس عليه من المعادن النفيسة ابتغاء صهرها وصنع ما يتزين الناس به، بمثل هذين المثلين يضرب الله مثل الحق والباطل، فالباطل مثل الغناء والزبد الطافي على الماء، ومثل ما ينفيه صهر المعدن من الصدا، والحق مثل الماء الصافي الذي يشرب منه، وينبت الثمار والكلأ والعشب، ومثل ما بقي من المعدن بعد صهره فينتفع الناس به، كما ضرب الله هذين المثلين يضرب الله الأمثال للناس؛ ليتضح الحق من الباطل.

⑰ للمؤمنين الذين أجابوا ربهم لما دعاهم لتوحيدهم وطاعته المثوبة الحسنى وهي الجنة، والكفار الذين لم يجيبوا دعوتهم إلى توحيدهم وطاعته لو اتفق أن لهم ما في الأرض من أنواع المال، ولهم مثله مضافاً إليه؛ ليدلوا كل ذلك فداء لأنفسهم من العذاب، أولئك الذين لم يجيبوا دعوتهم يحاسبون على سيئاتهم كلها، ومسكنهم الذي يأوون إليه جهنم، وساء فراشهم ومستقرهم الذي هو النار.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

• بيان ضلال المشركين في دعوتهم واستغاثتهم بغير الله تعالى، وتشبيه حالهم بحال من يريد الشرب فييسط يده للماء بلا تناول له، وليس بشارب مع هذه الحالة؛ لكونه لم يتخذ وسيلة صحيحة لذلك. • أن من وسائل الإيضاح في القرآن: ضرب الأمثال، وهي تقرب المعقول من المحسوس، وتعطي صورة ذهنية تعين على فهم المراد. • إثبات سجود جميع الكائنات لله تعالى طوعاً، أو كرهاً بما تملئ الفطرة من الخضوع له سبحانه.

﴿١﴾ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَمْرًا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٥﴾ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٦﴾ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَيَعْمَعُونَ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٨﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴿٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّا لِلَّهِ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿١١﴾

٢٥٢

﴿١﴾ لا يستوي الذي يعلم أن ما أنزله الله عليك - أيها الرسول - من ربك هو الحق الذي لا مزية فيه، وهو المؤمن المستجيب لله، ومن هو أعمى، وهو الكافر غير المستجيب لله، إنما يعتبر ويتعظ بذلك أصحاب العقول السليمة. ﴿٢﴾ الذين استجابوا لله هم الذين يوفون بما عاهدوا الله عليه أو عاهدوا عليه عباده، ولا ينكثون العهود الموثقة مع الله، أو مع غيره. ﴿٣﴾ وهم الذين يصلون كل ما أمر الله

بوصله من الأرحام، ويخشون ربهم خشية تدفعهم إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويخافون أن يحاسبهم الله على كل ما اكتسبوه من الإثم، فمن نوقش الحساب هلك. ﴿٤﴾ وهم الذين صبروا على طاعة الله، وعلى ما قدره الله عليهم مما يسر أو يسوء، وصبروا عن معصيته طلباً لمرضاة الله، وأدوا الصلاة على أكمل وجه، وبذلوا مما أعطاهم من الأموال الحقوق الواجبة، وبذلوا منها تطوعاً خفية للبعد عن الرياء، وجهراً ليتأذى بهم غيرهم، ويدفعون سوء من أساء إليهم بالإحسان إليه، أولئك المتصفون بهذه الصفات لهم العاقبة المحمودة يوم القيامة. ﴿٥﴾ هذه العاقبة المحمودة هي جنات يقيمون فيها مُتَعَمِّين إقامة دائمة، ومن تمام نعيمهم فيها أن يدخلها معهم من استقام من آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم وأولادهم إكمالاً لأنفسهم بلفظهم، والملائكة يدخلون عليهم مهنئين من جميع أبواب منازلهم في الجنة.

﴿٦﴾ وتحييهم الملائكة كلما دخلوا عليهم بقولهم: سلام عليكم؛ أي: سلمتم من الآفات بسبب صبركم على طاعة الله، وعلى ممر أقداره، وصبركم عن معصيته، فنعيم عاقبة الدار التي كانت عاقبتكم. ولما ذكر الله صفات المؤمنين تثنى بصفات الكفار المعرضين، فقال: ﴿٧﴾ والذين ينكثون عهد الله من بعد توحيده، ويقطعون ما أمر الله بوصله من الأرحام، أولئك البعداء الأشقياء لهم الطرد من رحمة الله، ولهم سوء العاقبة وهو النار. ﴿٨﴾ الله يوسع في الرزق لمن يشاء، ويضيق على من يشاء من عباده، وليس توسيع الرزق علامة على السعادة ولا على محبة الله، ولا ضيقه علامة على الشقاء، وفرح الكفار بالحياة الدنيا فركنوا واطمأنوا إليها، وليست الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا متاعاً قليلاً ذاهباً.

﴿٩﴾ ويقول الذين كفروا بالله وبآياته: هلاً أنزل على محمد آية حسنة من ربه تدل على صدقه، فنؤمن به، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المقترحين: إن الله يضل من يشاء بعذله، ويهدي إليه من رجع إليه بالتوبة بفضل، وليست الهداية بأيديهم حتى يربطوها بإنزال الآيات. ﴿١٠﴾ هؤلاء الذين يهديهم الله هم الذين آمنوا، وتستأنس قلوبهم بذكر الله بتسبيحه وتحميده، وتبلاوة كتابه وسماعه، ألا بذكر الله وحده تستأنس القلوب، خليف بها ذلك.

﴿١١﴾ من قوايد الآيات: • الترغيب في جملة من فضائل الأخلاق الموجبة للجنة، ومنها: حسن الصلاة، وخشية الله تعالى، والوفاء بالعهد، والصبر والإنفاق، ومقابلة السيئة بالحسنة والتحذير من ضدها. • أن مقاليد الرزق بيد الله ﷻ، وأن توسعة الله تعالى أو تضيقه في رزق عبد ما لا ينبغي أن يكون موجباً لفرح أو حزن، فهو ليس دليلاً على رضا الله أو سخطه على ذلك العبد. • أن الهداية ليست بالضرورة مربوطة بإنزال الآيات والمعجزات التي اقترح المشركون إظهارها. • من آثار القرآن على العبد المؤمن أنه يورثه طمأنينة في القلب.

﴿١٢﴾ من قوايد الآيات: • الترغيب في جملة من فضائل الأخلاق الموجبة للجنة، ومنها: حسن الصلاة، وخشية الله تعالى، والوفاء بالعهد، والصبر والإنفاق، ومقابلة السيئة بالحسنة والتحذير من ضدها. • أن مقاليد الرزق بيد الله ﷻ، وأن توسعة الله تعالى أو تضيقه في رزق عبد ما لا ينبغي أن يكون موجباً لفرح أو حزن، فهو ليس دليلاً على رضا الله أو سخطه على ذلك العبد. • أن الهداية ليست بالضرورة مربوطة بإنزال الآيات والمعجزات التي اقترح المشركون إظهارها. • من آثار القرآن على العبد المؤمن أنه يورثه طمأنينة في القلب.

﴿١٣﴾ من قوايد الآيات: • الترغيب في جملة من فضائل الأخلاق الموجبة للجنة، ومنها: حسن الصلاة، وخشية الله تعالى، والوفاء بالعهد، والصبر والإنفاق، ومقابلة السيئة بالحسنة والتحذير من ضدها. • أن مقاليد الرزق بيد الله ﷻ، وأن توسعة الله تعالى أو تضيقه في رزق عبد ما لا ينبغي أن يكون موجباً لفرح أو حزن، فهو ليس دليلاً على رضا الله أو سخطه على ذلك العبد. • أن الهداية ليست بالضرورة مربوطة بإنزال الآيات والمعجزات التي اقترح المشركون إظهارها. • من آثار القرآن على العبد المؤمن أنه يورثه طمأنينة في القلب.

﴿١٤﴾ من قوايد الآيات: • الترغيب في جملة من فضائل الأخلاق الموجبة للجنة، ومنها: حسن الصلاة، وخشية الله تعالى، والوفاء بالعهد، والصبر والإنفاق، ومقابلة السيئة بالحسنة والتحذير من ضدها. • أن مقاليد الرزق بيد الله ﷻ، وأن توسعة الله تعالى أو تضيقه في رزق عبد ما لا ينبغي أن يكون موجباً لفرح أو حزن، فهو ليس دليلاً على رضا الله أو سخطه على ذلك العبد. • أن الهداية ليست بالضرورة مربوطة بإنزال الآيات والمعجزات التي اقترح المشركون إظهارها. • من آثار القرآن على العبد المؤمن أنه يورثه طمأنينة في القلب.

﴿١٥﴾ من قوايد الآيات: • الترغيب في جملة من فضائل الأخلاق الموجبة للجنة، ومنها: حسن الصلاة، وخشية الله تعالى، والوفاء بالعهد، والصبر والإنفاق، ومقابلة السيئة بالحسنة والتحذير من ضدها. • أن مقاليد الرزق بيد الله ﷻ، وأن توسعة الله تعالى أو تضيقه في رزق عبد ما لا ينبغي أن يكون موجباً لفرح أو حزن، فهو ليس دليلاً على رضا الله أو سخطه على ذلك العبد. • أن الهداية ليست بالضرورة مربوطة بإنزال الآيات والمعجزات التي اقترح المشركون إظهارها. • من آثار القرآن على العبد المؤمن أنه يورثه طمأنينة في القلب.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَى
كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا
عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ٣١ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا
سُئِرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ
بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْنِيسْ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ
اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ
بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ٣٢ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسِلِي مَنْ
قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ٣٣ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا
لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ
يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ رُبُّنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ
السَّبِيلِ وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٣٤ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ٣٥

٢٥٣

٣١) وهؤلاء الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة التي تقرّبهم إلى الله، لهم عيش طيب في الآخرة، ولهم العاقبة الحسنة وهي الجنة.

٣٢) مثل هذا الإرسال الذي أرسلنا به الرسل السابقين إلى أممهم؛ أرسلناك - أيها الرسول - إلى أممتك؛ لتقرأ عليهم القرآن الذي أوحيناه إليك، فهو كاف في الدلالة على صدقك، لكن حال قومك أنهم يجحدون هذه الآية؛ لأنهم يكفرون بالرحمن حيث يشركون معه غيره، قل لهم - أيها الرسول -: الرحمن الذي تشركون به غيره هو ربي الذي لا معبود بحق غيره، عليه توكلت في جميع أموري، وإليه توبتي.

٣٣) ولو كان من صفات كتاب من الكتب الإلهية أن تزال به الجبال عن أماكنها، أو تشقق به الأرض فتستحيل أنهاراً وغيوفاً، أو يقرأ على الموتى فيصيروا أحياء - لكان هذا القرآن المنزل عليك - أيها الرسول - فهو واضح البرهان، عظيم التأثير لو أنهم كانوا أتقياء القلوب، لكنهم جاحدون. بل لله الأمر كله في إنزال المعجزات وغيرها، أفلم يعلم المؤمنون بالله أنه لو يشاء الله هداية الناس جميعاً دون إنزال آيات لهداهم جميعاً دونها؟ لكنه لم يشأ ذلك، ولا يزال الذين كفروا بالله تصيبهم بما عملوا من الكفر والمعاصي داهية شديدة تفرعهم، أو تنزل تلك الداهية قريباً من دارهم، حتى يأتي وعد الله بنزول العذاب

الم متصل، إن الله لا يترك إنجاز ما وعد به إذا جاء وقته المحدد له.

٣٤) ولست أول رسول كذب به قومه وسخروا منه، فقد استهزأت أمم من قبلك - أيها الرسول - برسالتها وكذبوا بهم، فأمهلت الذين كفروا برسلمهم حتى ظنوا أنني غير مهلكهم، ثم أخذتهم بعد الإمهال بصنوف العذاب. فكيف رأيت عقابي لهم؟ لقد كان عقاباً شديداً.

٣٥) أفمن هو قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق رقيب على كل نفس بما كسبت من عمل، فيجازيها على أعمالها، أولى أن يُعبد، أم هذه الأصنام التي لا حق لها أن تعبد؟ وقد جعلها الكفار شركاء لله ظلماً وزوراً، قل لهم - أيها الرسول -: سمو لنا الشركاء الذين عبدتموهم مع الله إن كنتم صادقين في دعواكم، أم تخبرون الله بما لا يعلم في الأرض من الشركاء. أم تخبرونه بظاهر من القول لا حقيقة له؟ بل حسن الشيطان للذين كفروا تدبيرهم السيئ، فكفروا بالله، وصرفهم عن سبيل الرشاد والهداية، ومن يضل الله عن سبيل الرشاد فليس له من هاد يهديه.

٣٦) لهم عذاب في الحياة الدنيا بما ينالهم من القتل والأسر على أيدي المؤمنين، ولعذاب الآخرة الذي ينتظرهم أشد عليهم وأثقل من عذاب الدنيا؛ لما فيه من الشدة والدوام الذي لا ينقطع، وليس لهم مانع يحميهم من عذاب الله يوم القيامة.

• من فوائد الآيات:

- أن الأصل في كل كتاب منزل أنه جاء للهداية، وليس لاستئزال الآيات، فذاك أمر الله تعالى يقدره متى شاء، وكيف شاء.
- تسليّة الله تعالى للنبي ﷺ، وإحاطته علماً أن ما يسلكه معه المشركون من طرق التكذيب، واجهه أنبياء سابقون.
- يصل الشيطان في إضلال بعض العباد إلى أن يزين لهم ما يعملونه من المعاصي والافساد.

﴿٢٥﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى
الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ
بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ وَقُلْ إِنَّمَا
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَبَاقِ
﴿٢٧﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ تُبَدِّلَ أَهْوَاءَ هُمْ بَعْدَ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٢٩﴾
يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٠﴾ وَإِنْ مَا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ
وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٣١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٣٢﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٣٣﴾

﴿٢٥﴾ صفة الجنة التي وعد الله بها المتقين له بامثال أوامره واجتناب نواهيه أنها تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ثمارها دائمة لا تنقطع، عكس ثمار الدنيا، وظلها دائم لا يزول، ولا يتفلس، تلك هي عاقبة الذين اتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وعاقبة الكافرين النار يدخلونها ماكثين فيها أبداً.

﴿٢٦﴾ والذين أعطيناهم التوراة من اليهود، والذين أعطيناهم الإنجيل من النصارى، يفرحون بما أنزل عليك - أيها الرسول - لموافقته لبعض ما أنزل عليهم، ومن طوائف اليهود والنصارى من ينكر بعض ما أنزل إليك مما لا يتفق مع أهوائهم، أو مما يصفهم بالتبديل والتحريف، قل لهم - أيها الرسول -: إنما أمرني الله أن أعبد وحده، ولا أشرك به غيره، إليه وحده أدعو ولا أدعو غيره، وإليه وحده مرجعي، وبهذا جاءت التوراة والإنجيل.

﴿٢٧﴾ ومثل إنزالنا الكتب السابقة بالسنة أقوامها أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن قولاً فصلاً مبيناً للحق عربياً، ولئن اتبعت - أيها الرسول - أهواء أهل الكتاب في مساومتهم لك بحذف ما لا يتفق مع أهوائهم بعدما جاءك من العلم الذي علمك الله إياه، فليس لك من الله ولي يتولى أمرك، وينصرك على أعدائك، وليس لك مانع يمنعك من عذابه.

﴿٢٨﴾ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك - أيها الرسول - من البشر، فليست بدعاً من الرسل، وجعلنا لهم أولاداً كسائر البشر، ولم نجعلهم ملائكة لا يتزوجون ولا ينجبون، وأنت من هؤلاء الرسل الذين هم بشر يتزوجون وينجبون، فلماذا يعجب المشركون من كونك كذلك؟ ولا يصح لرسول أن يأتي من عنده بآية إلا إن أذن الله بإتيانه بها، لكل أمر قضاه الله كتاب ذكر فيه ذلك، وأجل لا يتقدم ولا يتأخر.

﴿٢٩﴾ يزيل الله ما يشاء إزالته من خير أو شر أو سعادة أو شقاء وغيرها، ويثبت ما يشاء منها، وعنده اللوح المحفوظ، فهو مرجع كل ذلك، وما يظهر من محو أو إثبات مطابق لما هو فيه.

﴿٣٠﴾ وإن أريناك - أيها النبي - بعض ما نعدهم به من العذاب قبل موتك فذلك إلينا، أو أمتاك قبل أن نريك إياه فليس عليك إلا تبليغ ما أمرك بتبليغه، وليس عليك مجازاتهم ولا محاسبتهم، فذلك علينا.

﴿٣١﴾ أَوَلَمْ يشاهد هؤلاء الكفار أنا نأتي أرض الكفر نناقضها من أطرافها بنشر الإسلام، وفتح المسلمين لها، والله يحكم ويقضي بما يشاء بين عباده، ولا أحد يتعقب حكمه بنقض أو تغيير أو تبديل، وهو سبحانه سريع الحساب، يحاسب الأولين والآخرين في يوم واحد.

﴿٣٢﴾ وقد مكرت الأمم السابقة بأنبيائها، وكادت لهم، وكذبوا بما جاؤوا به، فماذا فعلوا بتدبيرهم لهم؟ لا شيء؛ لأن التدبير الفاعل هو تدبير الله لا غيره، كما أنه سبحانه هو الذي يعلم ما تكسبه نفوسهم ويجازيهم عليه، وعندئذ سيعلمون كم كانوا مخطئين في عدم الإيمان بالله، وكم كان المؤمنون مصيبين، فحازوا بذلك الجنة والعاقبة الحسنة.

﴿٣٣﴾ مِنْ تَوَاقِيهِ الْآيَاتِ،

- الترغيب في الجنة ببيان صفتها، من جريان الأنهار وديمومة الرزق والظل.
- خطورة اتباع الهوى بعد ورود العلم وأنه من أسباب عذاب الله.
- بيان أن الرسل بشر، لهم أزواج وذريات، وأن نبينا ﷺ ليس بدعاً بينهم، فقد كان مماثلاً لهم في ذلك.

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١٦﴾

الْبَاقِي

سُورَةُ الْاِنْشَاءِ

الْبَاقِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٧﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ
لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ
فِيضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا
اللَّهِ إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢١﴾

٢٥٥

﴿١٦﴾ ويقول الذين كفروا: لست - يا محمد - مرسلًا من الله، قل لهم - أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم على أني مرسل من ربي إليكم، ومن عنده علم من الكتب السماوية التي جاء فيها نعتي، ومن كان الله شاهداً بصدقه، فلا يضره تكذيب من كذب.

سُورَةُ الْاِنْشَاءِ

— مَكِّيَّة —

● مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوحِ:

بيان وظيفة الرسل وحرصهم على إخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، في مقابل إعراض أقوامهم، تثبيتاً للنبي ﷺ وتوعداً للظالمين.

● التفسير:

﴿الرَّكِتَبُ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك - أيها الرسول - لتخرج الناس من الكفر والجهل والضلالة إلى الإيمان والعلم والهداية إلى دين الإسلام الذي هو طريق الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، المحمود في كل شيء.

﴿١٧﴾ الله الذي له وحده ملك ما في السماوات، وله وحده ملك ما في الأرض، فهو المستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به شيء من خلقه، وسينال الذين كفروا عذاباً قوياً.

﴿١٨﴾ الذين كفروا يؤثرون الحياة الدنيا وما فيها من نعيم زائل على الآخرة وما فيها من نعيم دائم، ويصرفون الناس عن طريق الله، ويطلبون لطيفه التشويه والزيغ عن الحق والميل عن الاستقامة حتى لا يسلكها أحد، وأولئك المتصفون بتلك الصفات في ضلال بعيد عن الحق والصواب.

﴿١٩﴾ وما بعثنا من رسول إلا بعثناه مُتَحَدِّثًا بلغته قومه؛ ليسهل عليهم فهم ما جاء به من عند الله، ولم نبعثه لإجبارهم على الإيمان بالله، فالله يضل من يشاء بعذله، ويوفق من يشاء للهداية بفضله، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتدبيره.

﴿٢٠﴾ ولقد بعثنا موسى وأيدناه بالآيات الدالة على صدقه، وأنه مرسل من ربه، وأمرناه أن يُخْرِجَ قومه من الكفر والجهل إلى الإيمان والعلم، وأمرناه أن يذكرهم بأيام الله التي أنعم عليهم فيها، إن في تلك الأيام دلالات جليلة على توحيد الله وعظيم قدرته، وإنعامه على المؤمنين، وهذا ما ينتفع به الصابرون على طاعة الله المداومون على شكر نعمه وآلائه.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أن المقصد من إنزال القرآن هو الهداية بإخراج الناس من ظلمات الباطل إلى نور الحق.
- إرسال الرسل يكون بلسان أقوامهم ولغتهم؛ لأنه أبلغ في الفهم عنهم، فيكون أدعى للقبول والامتثال.
- وظيفة الرسل تتلخص في إرشاد الناس وقيادتهم للخروج من الظلمات إلى النور.

❶ واذكر - أيها الرسول - حين امثل موسى أمر ربه فقال لقومه من بني إسرائيل مُذَكِّرًا إياهم بنعم الله عليهم: يا قوم، اذكروا نعمة الله عليكم حين أنقذكم من آل فرعون، وسَلَّمَكُم مِن بَأْسِهِم، يَذِيقُونَكُم شَرَّ الْعَذَابِ، حيث كانوا يذبحون أبناءكم الذكور حتى لا يولد فيكم من يستولي على ملك فرعون، ويقيمون نساءكم على قيد الحياة لإذلالهن وإهانتهن، وفي أفعالهم هذه اختبار لكم عظيم على الصبر، فكافأكم الله على صبركم على هذا البلاء بإنقاذكم من بأس آل فرعون.

❷ وقال لهم موسى: اذكروا حين أعلمكم ربكم إعلامًا بليغًا: لئن شكرتم الله على ما أنعم به عليكم من تلك النعم المذكورة ليزيدنكم عليها من إنعامه وفضله، ولئن جحدتم نعمه عليكم ولم تشكروها، فإن عذابه لشديد لمن يجحد نعمه ولا يشكرها.

❸ وقال موسى لقومه: يا قوم، إن تكفروا أنتم وكفر معكم جميع من في الأرض، فضرر كفركم يعود عليكم؛ فإن الله غني بنفسه، مستوجب الحمد بذاته، لا ينفعه إيمان المؤمنين، ولا يضره كفر الكافرين.

❹ ألم يجنكم - أيها الكفار - خبر إهلاك الأمم المكذبة من قبلكم: قوم نوح، وعاد قوم هود، وشمود قوم

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ❶ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ❷ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ❸ أَلَمْ يَأْنِ لَكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ❹ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ❺

٢٥٦

صالح، والأمم الذين جاؤوا من بعدهم، وهم كثير لا يحصى عددهم إلا الله؟ أنتهم رسلهم بالدلائل الواضحة، ووضعوا أيديهم في أفواههم عاضين على أصابعهم من الغيظ على الرسل، وقالوا لرسولهم: إنا كفرنا بما أرسلتم به، وإنا لفي شك باعث على الرية مما تدعوننا إليه.

❺ قالت لهم رسلهم ردًا عليهم: أفي توحيد الله وإفراذه بالعبادة شك، وهو خالق السماوات وخالق الأرض، وموجدتهما على غير مثال سابق؟! يدعوكم إلى الإيمان به ليمحو عنكم من ذنوبكم السابقة، ويؤخركم إلى حين استيفائكم لأجالكم المحددة في حياتكم الدنيا. قالت لهم أقوامهم: لستم إلا بشرًا مثلنا، لا مزية لكم علينا، تريدون صرفنا عن عبادة ما كان يعبد آبائنا، فأتونا بحجة واضحة تدل على صدقكم فيما تدعوننا من أنكم رسل من الله إلينا.

❻ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- من وسائل الدعوة تكبير المدعويين بنعم الله تعالى عليهم، خاصة إن كان ذلك مرتبطًا بنعمة كبيرة، مثل نصر على عدو أو نجاة منه.
- من فضل الله تعالى أنه وعد عباده مقابلة شكرهم بمزيد الإنعام، وفي المقابل فإن وعيده شديد لمن يكفر به.
- كفر العباد لا يضر الله البتة، كما أن إيمانهم لا يضيف له شيئًا، فهو غني حميد بذاته.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ
عَلَىٰ مَا أَذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّسُلُ هُمْ كُنُوزُكُمْ مِنْ أَرْضِنَا
أَوْ لَعُنُودٌ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُصَبِّحَنَّكَوُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا
وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ
الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ
عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ
كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

٢٥٧

﴿١١﴾ قالت لهم رسلهم رداً عليهم: لسنا إلا بشرًا مثلكم، فنحن لا ننكر مماثلتكم في ذلك، ولكن لا يلزم من تلك المماثلة المماثلة في كل شيء، فالله يتفضل بالإنعام الخاص على من يشاء من عباده، فيصطفيهم رسلاً إلى الناس، وما يصح لنا أن نأتيكم بما طلبتم من حجة إلا بمشيئة الله، فليس الإتيان بها في مقتورنا، بل الله وحده هو القادر على ذلك، وعلى الله وحده يتوكل المؤمنون به في شؤونهم كلها.

﴿١٢﴾ وأي مانع وأي عذر يحول بيننا وبين التوكل عليه؟ وقد أرشدنا لأقوم الطرق وأوضحها، ولنصبرن على إيذاكم لنا بالكذب والسخرية، وعلى الله وحده يتوكل المتوكلون في جميع أمورهم.

﴿١٣﴾ وقال الذين كفروا من أقوام الرسل لئنا عجزوا عن مُخَاجَةِ رسلهم: لنخرجكم من قريتنا، أو لترجعن عن دينكم إلى ديننا، فأوحى الله إلى الرسل تثبيثاً لهم: لنهلكن الظالمين الذين كفروا بالله وبرسله.

﴿١٤﴾ ولنسكننكم - أيها الرسل ومن تبعكم - الأرض من بعد إهلاكهم، ذلك المذكور من إهلاك الكفار المكذبين، وإسكان رسلهم والمؤمنين الأرض من بعد إهلاكهم هو لمن استحضرت عظمتي ومراقبتي له، وخاف إنذاري له بالعذاب.

﴿١٥﴾ وطلب الرسل من ربهم أن ينصرهم على أعدائهم، وخسر كل متكبر معاند للحق، لا يتبعه مع ظهوره له.

﴿١٦﴾ من أمام هذا المتكبر يوم القيامة جهنم، فهي له بالمرصاد، ويُسقى فيها من قيح أصحاب النار الذي يسيل منهم، فلا يروي عطشه، فلا يزال يُعَذَّبُ بالعطش وغيره من صنوف العذاب.

﴿١٧﴾ يتكلف شربه مرة بعد مرة لشدة مرارته وحرارته وفتنه، ولا يقدر على ابتلاعه، ويأتيه الموت من كل جهة من شدة ما يقاسيه من العذاب، وليس هو بميت فيستريح، بل يبقى حياً يعاني العذاب، ومن أمامه عذاب آخر شديد ينتظره.

﴿١٨﴾ مثل ما يقدمه الكفار من أعمال البر كالصدقة والإحسان والرحمة بالضعيف، مثل رماد اشتدت به الرياح في يوم شديد هبوب الرياح، فحملته بقوة، وفترته في كل مكان حتى لم يبق له أثر، وهكذا أعمال الكفار عصف بها الكفر، فلم تنفع أصحابها يوم القيامة، ذلك العمل الذي لم يؤسس على الإيمان هو الضلال البعيد عن طريق الحق.

﴿١٩﴾ مِنْ قَوَالِدِ الْآيَاتِ،

- أن الأنبياء والرسل بشرٌ من بني آدم، غير أن الله تعالى فضلهم بحمل الرسالة واصطفاهم لها من بين بني آدم.
- على الداعية الذي يريد التغيير أن يتوقع أن هناك صعوبات جمة سوف تقابله، ومنها الطرد والنفي والإيذاء القولي والفعلي.
- أن الدعاة والصالحين موعودون بالنصر والاستخلاف في الأرض.
- بيان إبطال أعمال الكافرين الصالحة، وعدم اعتبارها بسبب كفرهم.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١١﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٢﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهَدَيْتُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحِيصٍ ﴿١٣﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٦﴾

٢٥٨

﴿١١﴾ ألم تعلم - أيها الإنسان - أن الله خلق السماوات وخلق الأرض بالحق، فلم يخلقهما عبثاً، إن يشأْ إذهابكم - أيها الناس - والإتيان بخلق آخر بعده ويطيعه بدلاً منكم لأذهابكم وجاء بخلق آخر بعده ويطيعه، فهو أمر سهل يسير عليه.

﴿١٢﴾ وليس إهلاككم والإتيان بخلق غيركم بمعجز له سبحانه، فهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿١٣﴾ وخرج الخلائق من قبورهم إلى الله يوم الميعاد، فقال الأتباع الضعفاء للسادة الرؤساء: إنا كنا لكم - أيها السادة - أتباعاً، نأتمر بأمركم، وننتهي بنهيكم، فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله شيئاً؟ قال السادة الرؤساء: لو وفّقنا الله للهداية لأرشدناكم إليها، فنحن جميعاً من عذابه، ولكن ضللنا فأضللتناكم، يستوي علينا وعليكم أن نضعف عن تحمل العذاب أو أن نصبر، ليس لنا مهرب من العذاب.

﴿١٤﴾ وقال إبليس حين دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار: إن الله وعدكم الوعد الحق، فأنجزكم ما وعدكم، ووعدتكم وعد الباطل فلم أفِ بما وعدتكم به، وما كان لي من قوة أقهركم بها في الدنيا على الكفر والضلال، لكن دعوتكم إلى الكفر، وزينت لكم المعاصي، فسارعتن إلى اتباعي، فلا تلموني على ما حصل

لكم من الضلال، ولوموا أنفسكم، فهي أولى باللوم، ما أنا بمغيثكم بدفع العذاب عنكم، وما أنتم بمغيثي بدفعه عني، إني كفرت بجعلكم إياي شريكاً لله في العبادة، إن الظالمين - بالشرك بالله في الدنيا والكفر به - لهم عذاب موعود ينتظرهم يوم القيامة.

ولما ذكر الله مصير الكفار يوم القيامة ترهيباً منه، ذكر مصير المؤمنين ترغيباً فيه، فقال:

﴿١٥﴾ وبخلاف مصير الظالمين أدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ماكين فيها أبداً بإذن ربهم وحوله، يُحَيِّي بعضهم بعضاً، وتحييهم الملائكة، ويحييهم ربهم سبحانه بالسلام.

﴿١٦﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - كيف ضرب الله مثلاً لكلمة التوحيد التي هي: لا إله إلا الله، حين مثلها بشجرة طيبة هي النخلة، جذعها ضارب في قرار الأرض تشرب الماء بعروقها الطيبة، وفرعها مرتفع إلى السماء يشرب من الندى، ويستنشق الهواء الطيب.

﴿١٧﴾ من فوائد الآيات،

• بيان سوء عاقبة التاب والمتبوع إن اجتمعا على الباطل.

• بيان أن الشيطان أكبر عدو لبني آدم، وأنه كاذب مخذول ضعيف، لا يملك لنفسه ولا لأتباعه شيئاً يوم القيامة.

• اعتراف إبليس أن وعد الله تعالى هو الحق، وأن وعد الشيطان إنما هو محض الكذب.

• تشبيه كلمة التوحيد بالشجرة الطيبة الثمر، العالية الأغصان، الثابتة الجذور.

(٥٥) تعطي هذه الشجرة الطيبة ثمرها الطيب كل وقت بأمر ربها، ويضرب الله ﷻ الأمثال للناس رجاء أن يتذكروا.

(٥٦) ومثل كلمة الشرك الخبيثة مثل شجرة خبيثة، وهي شجرة الحنظل، اقلعت من أصلها، ليس لها ثبات على الأرض، ولا ارتفاع إلى السماء، فتموت وتذروها الرياح، فكلمة الكفر مآلها الفناء، ولا يصعد لصاحبها إلى الله عمل طيب.

(٥٧) يُثَبِّتُ الله المؤمنين بكلمة التوحيد الثابتة إيماناً تاماً في الحياة الدنيا حتى يموتوا وهم على الإيمان، وفي البرزخ في قبورهم عند السؤال، ويثبتهم يوم القيامة، ويضلل الله الظالمين بالشرك بالله والكفر به عن الصواب والرشد، ويفعل الله ما يشاء من إضلال من أراد إضلاله بعذله، ومن هداية من شاء هدايته بفضله، فلا مكره له سبحانه.

(٥٨) لقد رأيت حال الذين كفروا بالله وبرسوله من قريش حين اعتاضوا عن إنعام الله عليهم بالأمن في الحرم، وبيعته محمد ﷺ فيهم، اعتاضوا عن ذلك: الكفر بنعمه حين كذبوا بما جاءهم به من ربه، وأنزلوا من اتباعهم في الكفر من أقوامهم دار الهلاك.

(٥٩) ودار الهلاك هي جهنم يدخلونها، يقاسون حرّها، وساء المستقر مستقرهم.

تَوَاتَىٰ أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْثَةٍ كَشَجَرَةِ خَيْثَةٍ أَجْتَثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٥٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٥٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٥٩﴾ وَجَعَلَ اللَّهُ آدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٦٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ ﴿٦١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٦٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٦٣﴾

(٦٠) وجعل المشركون لله أمثالاً ونظراء ليضلوا من اتباعهم عن سبيل الله بعد أن ضلوا هم عنها، قل لهم - أيها الرسول - تمتعوا بما أنتم فيه من الشهوات، ونشر الشبهات في هذه الحياة الدنيا، فإن مرجعكم يوم القيامة إلى النار، ليس لكم مرجع غيرها.

(٦١) قل - أيها الرسول - للمؤمنين: أيها المؤمنون، أدوا الصلاة على أكمل وجه، وأنفقوا مما رزقكم الله النفقات الواجبة والمستحبة، خفية خوفاً من الرياء، وجهراً ليقنطري بكم غيركم، من قبل أن يجيء يوم لا بيع فيه ولا فداء فيقتدى من عذاب الله، ولا صداقة حتى يشفع الصديق لصديقه.

(٦٢) الله الذي أنشأ السماوات وأنشأ الأرض على غير مثال سابق، وأنزل من السماء ماء المطر، فأخرج بذلك الماء المنزل من أصناف الثمار رزقاً لكم - أيها الناس - وذلل لكم السفن تجري على الماء وفق تقديره، وذلل لكم الأنهار لتشربوا منها، وتسقوا أنعامكم وزروعكم.

(٦٣) وذلل لكم الشمس والقمر يجريان باستمرار، وذلل لكم الليل والنهار يتعاقبان، الليل لنومكم وراحتكم، والنهار لنشاطكم وكذاكم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

• تشبيه كلمة الكفر بشجرة الحنظل الزاحفة، فهي لا ترتفع، ولا تنتج طيباً، ولا تدوم.

• الرابط بين الأمر بالصلاة والزكاة مع ذكر الآخرة، فيه إشعار بأنهما مما تكون به النجاة يومئذ.

• تعداد بعض النعم العظيمة إشارة لعظم كفر بعض بني آدم وجحدهم نعمه ﷻ.

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَاءٍ لُتْمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَتَّكَلْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾

٢٦٠

﴿٣٤﴾ وأعطاكم من جميع ما طلبتموه، ومما لم تطلبوه، وإن تعدوا نعم الله لا تقدرها على حصرها؛ لكثرتها وتعددتها، فما ذكر لكم أمثلة منها، إن الإنسان لظلوم لنفسه، كثير الجحود لنعم الله ﷻ.

﴿٣٥﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم بعد أن أسكن ابنه إسماعيل وأمه هاجر بوادي مكة: يا رب، اجعل هذا البلد الذي أسكنت فيه أهلي - وهو مكة - بلداً آمناً، لا يسفك فيه دم، ولا يظلم فيه أحد، وأبعدني وأبعد أولادي عن عبادة الأصنام.

﴿٣٦﴾ يا رب، إن الأصنام أضللت كثيراً من الناس، حيث ظنوا أنها تشفع لهم، ففتنوا بها، وعبدوها من دون الله، فمن تبعني من الناس في توحيد الله وطاعته فإنه من شيعتي وأتباعي، ومن عصاني فلم يتبعني في توحيد طاعته فإنك - يا رب - غفور لذنوب من شئت أن تغفر له، رحيم بهم.

﴿٣٧﴾ ربنا إني أسكنت بعض ذريتي، وهم ابني إسماعيل وأبناؤه بوادٍ (وهو مكة) لا زرع فيه ولا ماء بجوار بيتك المحرم، ربنا أسكنتهم بجواره ليقبوا الصلاة فيه، فصير - يا رب - قلوب الناس تحن إليهم، وإلى هذا البلد، وارزقهم من الثمرات رجاء أن يشكروك على إنعامك عليهم.

﴿٣٨﴾ ربنا، إنك تعلم كل ما نسرّه، وكل ما نجهر به، ولا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء، بل يعلمه، فلا يخفى عليه احتياجنا وقرنا إليه.

﴿٣٩﴾ الشكر والثناء لله سبحانه الذي أجاب دعائي أن يهب لي من الصالحين، فأعطاني على كبر سني إسماعيل من هاجر، وإسحاق من سارة، إن ربي سبحانه سميع دعاء من دعاه.

﴿٤٠﴾ يا رب، اجعلني مؤدياً للصلاة على أكمل وجه، واجعل ذريتي ممن يؤدونها كذلك، يا ربنا، وأجب دعائي واجعله مقبولاً عندك.

﴿٤١﴾ ربنا، اغفر لي ذنوبي، واغفر ذنوب والديّ (قالها قبل أن يعلم أن أباه عدو لله، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه)، واغفر للمؤمنين ذنوبهم يوم يقوم الناس لحسابهم أمام ربهم.

﴿٤٢﴾ ولا تظنن - أيها الرسول - أن الله إذ يؤخر عذاب الظالمين غافل عما يعمل الظالمون من التكذيب والصد عن سبيل الله وغير ذلك، بل هو عالم بذلك، لا يخفى عليه منه شيء، إنما يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة، ذلك اليوم الذي ترتفع فيها الأبصار خوفاً من هول ما تشاهده.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

- بيان فضيلة مكة التي دعا لها نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.
- أن الإنسان مهما ارتفع شأنه في مراتب الطاعة والعبودية ينبغي له أن يخاف على نفسه وذريته من جليل الشرك ودقيقه.
- دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدل على أن العبد مهما ارتفع شأنه يظل مفتقراً إلى الله تعالى ومحتاجاً إليه.
- من أساليب التربية: الدعاء للأبناء بالصلاح وحسن المعتقد والتوفيق في إقامة شعائر الدين.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ
وَأَفْعَدْتُ لَهُمْ هَوَاءً ٤٧ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ
فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ
دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ٤٨ أَوْ لَمْ تَكُنْ أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ
مَّا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ٤٩ وَسَكَتُمْ فِي مَسْكِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ
الْأَمْثَالَ ٥٠ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ٥١ فَلَا
تُحْسَبُ إِلَى اللَّهِ مُخْلِفٌ وَعْدُهُ رُسُلَهُ وَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ ٥٢ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ
وَيَزُولُ فِي يَدَيْهِ الْقَهَّارِ ٥٣ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ٥٤ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قِطْرٍ وَتَغْشَى
وُجُوهَهُمُ النَّارُ ٥٥ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٥٦ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذِرُوا بِهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ٥٧

٢٦١

٤٧ حين يقوم الناس من قبورهم مسرعين إلى الداعي، رافعي رؤوسهم ينظرون جزعاً إلى السماء، لا ترجع إليهم أبصارهم، بل تبقى شاخصة من هول ما يشاهدونه، وقلوبهم فارغة لا عقل لها، ولا فهم من فزع المشهد.

٤٨ وخوف - أيها الرسول - أمتك من عذاب الله يوم القيامة، فيقول عند ذلك الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله والشرك به: يا ربنا، أهلكنا، وأخر عنا العذاب، وردنا إلى الدنيا مدة يسيرة نؤمن بك، ونطيع الرسل الذين بعثتهم إلينا، فيجيبون توبيخاً لهم: ألم تكونوا حلفتُمْ في الحياة الدنيا أنكم لا انتقال لكم من الحياة الدنيا إلى الآخرة منكرين البعث بعد الموت؟

٤٩ ونزلتم في مساكن الأمم السابقة الظالمة من قبلكم لأنفسها بالكفر بالله، مثل قوم هود وقوم صالح، واتضح لكم ما أوقعناهم بهم من الهلاك، وضررنا لكم الأمثال في كتاب الله لتعظوا، فما تعظم بها.

٥٠ وقد دبر هؤلاء النازلون في مساكن الأمم الظالمة المكائد لقتل النبي محمد ﷺ، والقضاء على دعوته، والله يعلم تدبيرهم لا يخفى عليه منه شيء، وتدبير هؤلاء ضعيف، فهو لا يزيل الجبال ولا غيرها لضغفه، خلافاً لمكر الله بهم.

٥١ فلا تظنن - أيها الرسول - أن الله الذي وعد رسله بالنصر وإظهار الدين

مُخْلِفٌ ما وعد به رسله، إن الله عزيز لا يغلبه شيء، وسيعز أوليائه، ذو انتقام شديد من أعدائه وأعداء رسله.

٥٢ هذا الانتقام من الكفار يحصل يوم تقوم القيامة، يوم تُبَدَّلُ هذه الأرض أرضاً أخرى بيضاء نقية، وتبدل السماوات سماوات غيرها، وظهر الناس من قبورهم بأبدانهم وأعمالهم للوقوف بين يدي الله المنفرد بعظمته، القهار الذي يَهْرُ ولا يَهْرُ، وَيَغْلِبُ ولا يُغْلَبُ.

٥٣ وتُبَصِّرُ - أيها الرسول - يوم تُبَدَّلُ الأرض غير الأرض، وتُبَدَّلُ السماوات؛ الكفار والمشركون قد شُدَّ بعضهم إلى بعض في القيود، قُرَّتْ أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالسلاسل، ثيابهم التي يلبسونها مِنَ الْقِطْران (وهي مادة شديدة الاشتعال)، وتعلو وجوههم الكالحة النار.

٥٤ ليثيب الله كل نفس ما عملت من خير أو شر، إن الله سريع الحساب للأعمال.

٥٥ هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ إعلام من الله إلى الناس، وليخوفوا بما فيه من التهيب والوعيد الشديد، وليعلموا أن المعبود بحق هو الله وحده فيعبده ولا يشركوا به أحداً، وليتعظ به ويعتبر أصحاب العقول السليمة؛ لأنهم هم الذين يتفهمون بالعظات والعبر.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تصوير مشاهد يوم القيامة وجزع الخلق وخوفهم وضعفهم ورهبتهم، وتبدل الأرض والسماوات.
- وصف شدة العذاب والذل الذي يلحق بأهل المعصية والكفر يوم القيامة.
- أن العبد في سعة من أمره في حياته في الدنيا، فعليه أن يجتهد في الطاعة، فإن الله تعالى لا يتيح له فرصة أخرى إذا بعثه يوم القيامة.

سورة الحجر

— مكة —

● من مقاصد السورة:

إنذار المكذبين بالعقاب من خلال عرض مشاهد المهلكين، تحذيرًا للمخاطبين وتثبيتًا للمؤمنين.

● التفسير:

① ﴿الر﴾ تقدم الكلام على نظارتها في بداية سورة البقرة. هذه الآيات رفيعة الشأن الدالة على أنها منزلة من عند الله هي آيات قرآن موضح للتوحيد والشرائع.

② سبتمنى الكفار يوم القيامة لو كانوا مسلمين عندما يتضح لهم الأمر، وينكشف لهم بطلان ما كانوا عليه من الكفر في الدنيا.

③ اترك - أيها الرسول - هؤلاء المكذبين يأكلوا كما تَأْكُلُ الأنعام، ويتمتعوا بملذات الدنيا المنقطعة، ويشغلهم طول الأمل عن الإيمان والعمل الصالح، فسوف يعلمون ما هم فيه من الخسران إذا وردوا على الله يوم القيامة.

④ وما أنزلنا الهلاك على قرية من القرى الظالمة إلا كان لها أجل محدد في علم الله، لا تتقدم عنه ولا تتأخر.

⑤ لا يأتي أمة من الأمم هلاكها قبل أن يحين أجلها، ولا يتأخر عنها الهلاك إذا حان أجلها، فعلى الظالمين ألا يغتروا بإمهال الله لهم.

⑥ وقال الكفار من أهل مكة للرسول ﷺ: يا أيها الذي نزل عليه - كما يدعي - الذكر إنك بدعواك هذه لمجنون تتصرف تصرف المجانين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ۝ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۝ مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعِجِرُونَ ۝ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرَجُونَ ۝ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ۝

٢٦٢

⑦ هلا جئنا بالملائكة يشهدون لك، أو طلبت إهلاكنا بسبب كفرنا!

⑧ قال الله ردًا على ما اقترحوه من مجيء الملائكة: لا ننزل الملائكة إلا وفق ما تقتضيه الحكمة حين يحين إهلاككم بالعذاب، وليسوا - إذا جئنا بالملائكة ولم يؤمنوا - بمُهلِّين، بل سيعاجلون بالعقاب.

⑨ إنا نحن نزلنا هذا القرآن على قلب محمد ﷺ تذكيرًا للناس، وإنا للقرآن لحافظون من الزيادة والنقصان والتبديل والتحريف.

⑩ ولقد بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسلًا في جماعات الكفر السابقة فكذبوهم، فلست بدعًا من الرسل في تكذيب أمتك لك.

⑪ وما يأتي جماعات الكفر السابقة رسول إلا كذبوه وسخروا منه.

⑫ كما أدخلنا التكذيب في قلوب تلك الأمم ندخله كذلك في قلوب مشركي مكة بإعراضهم وعنادهم.

⑬ لا يؤمنون بهذا القرآن المنزل على محمد ﷺ، وقد مضت سنة الله في إهلاك المكذبين بما جاءت به رسلهم، فليعتبر المكذبون بك.

⑭ وهؤلاء المكذبون معاندون حتى لو اتضح لهم الحق بالأدلة الجلية، فلو فتحنا لهم بابًا من السماء فظلوا يصعدون.

⑮ لما صدقوا، ولقالوا: إنما سُئِلْتُ أبصارنا عن الإبصار، بل ما نراه هو بتأثير السحر، فنحن مسحورون.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● القرآن الكريم جامع بين صفة الكمال في كل شيء، والوضوح والبيان. ● يهتم الكفار عادة بالماديات، فتراهم مُتَغَمِّسين في الشهوات والأهواء، مغترين بالأمانى الزائفة، منشغلين بالدنيا عن الآخرة.

● هلاك الأمم مُقَدَّر بتاريخ معين، ومقرر في أجل محدد، لا تأخير فيه ولا تقديم، وإن الله لا يُعَجِّلُ لعجلة أحد.

● تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم من التغير والتبديل، والزيادة والنقص، إلى يوم القيامة.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ
فَاتَّبَعَهُ وَشَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعَاشٍ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُ لَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا
الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُنُوهَ وَمَا أَسْمُرُ
لَهُ بِخَزَائِنِ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَ خَلَقْتَهُ مِنْ
قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا
مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ وَاسْجُدْ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

٢٦٣

﴿١٦﴾ ولقد جعلنا في السماء نجومًا عظيمة يهتدي بها الناس في أسفارهم في ظلمات البر والبحر، وجعلناها لمن نظر إليها وأبصرها؛ ليستدلوا بها على قدرة الله سبحانه.

﴿١٧﴾ وحفظنا السماء من كل شيطان مطرود عن رحمة الله.

﴿١٨﴾ إلا من استمع للملأ الأعلى خلصة فيلحقه جرم مضيء، فيحرقه.

﴿١٩﴾ والأرض بسطناها ليستقر الناس عليها، وجعلنا فيها جبالاً ثوابت حتى لا تميد بالناس، وأنبتنا فيها من أنواع النبات ما هو مقدر محدد بما تقتضيه الحكمة.

﴿٢٠﴾ وجعلنا لكم - أيها الناس - في الأرض ما يعيشكم من المأكول والمشرب ما دتم في الحياة الدنيا، وجعلنا لغيركم ممن لا ترزقونه من الناس والحيوان ما يعيشهم.

﴿٢١﴾ وما من شيء ينتفع به الناس والدواب إلا نحن قادرون على إيجاده ونفع الناس به، وما نوجد ما نوجده من ذلك إلا بمقدار محدد تقتضيه حكمتنا ومشيئتنا.

﴿٢٢﴾ وأرسلنا الرياح تُلْفَح السحاب، فأَنْزَلْنَا مِنَ السحاب المُلْفَح بها مطراً، فسقيناكم من ماء المطر، ولستم - أيها الناس - بخازنين لهذا الماء في الأرض ليكون عيوناً وآباراً، وإنما الله هو الذي يخزنه فيها.

﴿٢٣﴾ وإنا نحن نحْيِي الموتى بخلقهم من العدم وبعثهم بعد الموت، ونميت

الآحياء إذا استوفوا آجالهم، ونحن الباقون الذين نرث الأرض ومن عليها.

﴿٢٤﴾ ولقد علمنا من تقدم منكم ولادة وموتاً، وعلمنا من تأخر فيهما، لا يخفى علينا من ذلك شيء.

﴿٢٥﴾ وإن ربك - أيها الرسول - هو يحشرهم جميعاً يوم القيامة؛ ليجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، إنه حكيم في تدبيره، عليم لا يخفى عليه شيء.

﴿٢٦﴾ ولقد خلقنا آدم من طين يابس إن نُقِرَ صَوْتٌ، وهذا الطين الذي نُخِلِقُ منه أسود متغير الريح لطول مكثه.

﴿٢٧﴾ وخلقنا أبا الجن من قبل خلق آدم ﷺ من نار شديدة الحرارة.

﴿٢٨﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قال ربك للملائكة ولإبليس - وكان معهم -: إني سأخلق بشراً من طين يابس له صوت إذا نُقِرَ، أسود متغير الريح.

﴿٢٩﴾ فإذا عَدَلْتُ صورته، وكَمَلْتُ خلقه فاسجدوا له امتثالاً لأمري وتحية له.

﴿٣٠﴾ فامتثل الملائكة، فسجدوا كلهم له كما أمرهم ربهم.

﴿٣١﴾ لكن إبليس - الذي كان مع الملائكة، ولم يكن منهم - امتنع أن يسجد لآدم مع الملائكة.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• ينبغي للعبد التأمل والنظر في السماء وزينتها والاستدلال بها على بارئها. • جميع الأرزاق وأصناف الأقدار لا يملكها أحد إلا الله، فخزائنها بيده يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، بحسب حكمته ورحمته. • الأرض مخلوقة مهيأة منبسطة تناسب مع إمكان الحياة البشرية عليها، وهي مثبته بالجبال الرواسي؛ لتلا تحرك بأهلها، وفيها من النباتات المختلفة ذات المقادير المعلومة على وفق الحكمة والمصلحة. • الأمر للملائكة بالسجود لآدم فيه تكريم للجنس البشري.

قَالَ يَبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ لَمَّا كُنْتُ
لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٦﴾
قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
الَّذِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٤٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٤١﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا
أَعْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٢﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ
مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٦﴾
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٧﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٨﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ أَمِينٍ ﴿٤٩﴾
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٠﴾
لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٥١﴾
* نَجَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٣﴾ وَنَبِّئَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥٤﴾

٢٦٤

﴿٣٥﴾ قال الله لإبليس بعد امتناعه من
السجود لآدم: ما حملك ومنعك من
أن تسجد مع الملائكة الذين سجدوا
امثالاً لأمرى؟

﴿٣٦﴾ قال إبليس متكبراً: ما يصح لي
أن أسجد لبشر خلقته من طين يابس
كان طيناً أسود متغيراً.

﴿٣٧﴾ قال الله لإبليس: اخرج من الجنة
فإنك مطرود.

﴿٣٨﴾ وإن عليك اللعنة والطرده من
رحمتي إلى يوم القيامة.

﴿٣٩﴾ قال إبليس: يا رب، أمهلني ولا
تمتني إلى يوم يبعث الخلق.

﴿٤٠﴾ قال الله له: فإنك من الممهلين
الذين أخرت أجالهم.

﴿٤١﴾ إلى الوقت الذي يموت فيه جميع
الخلق عند النفخة الأولى.

﴿٤٢﴾ قال إبليس: يا رب، بسبب
إضلالك لي لأحتنن لهم المعاصي في
الأرض، ولا أضلنهم كلهم عن الصراط
المستقيم.

﴿٤٣﴾ إلا من اصطفتهم من عبادك
لعبادتك.

﴿٤٤﴾ قال الله: هذا طريق معتدل موصل
إلي.

﴿٤٥﴾ إن عبادي المخلصين ليس لك
قدرة ولا تسلط على إغوائهم إلا من
اتبع من الضالين.

﴿٤٦﴾ وإن جهنم لموعده إبليس ومن
اتبعه من الضالين كلهم.

﴿٤٧﴾ لجهنم سبعة أبواب يدخلون منها، لكل باب من أبوابها من أتباع إبليس قدر معلوم منهم يدخل منه.

﴿٤٨﴾ إن الذين اتقوا ربهم بامثال أمره واجتناب نهيه في جنات وعيون.

﴿٤٩﴾ يقال لهم عند دخولها: ادخلوها بسلامة من الآفات، وأمن من المخاوف.

﴿٥٠﴾ وأزلنا ما في صدورهم من حقد وعداوة، إخوة متحابين يجلسون على أسرة ينظر بعضهم إلى بعض.

﴿٥١﴾ لا يصيبهم فيها تعب، وليسوا بمُخْرَجِينَ منها، بل هم خالدون فيها.

﴿٥٢﴾ أعلم - أيها الرسول - عبادي أنني أنا الغفور لمن تاب منهم، الرحيم به.

﴿٥٣﴾ وأعلمهم أن عذابي هو العذاب الموعود، فليتوبوا إلي لينالوا مغفرتي، ويأمنوا من عذابي.

﴿٥٤﴾ وأعلمهم بخبر ضيوف إبراهيم عليه السلام من الملائكة الذين جاؤوه بالبشرى بالولد، ويهلك قوم لوط.

• من قَوَائِدِ آيَاتِهِ:

• في الآيات دليل على تزاور المتقين واجتماعهم وحسن أدبهم فيما بينهم، في كون كل منهم مقابلاً للآخر لا
مستديراً له.

• ينبغي للعبد أن يكون قلبه دائماً بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة.

• سجد الملائكة لآدم كلهم أجمعون سجدوا تحية وتكريم إلا إبليس رفض وأبى.

• لا سلطان لإبليس على الذين هداهم الله واجتباهم واصطفاهم في أن يلقهم في ذنب يمنعهم عفو الله.

(٥٢) حين دخلوا عليه، فقالوا له: سلامًا، فأجابهم بأحسن من تحيتهم، وقدم لهم عجلا مشويًا لياكلوه. فقد ظن أنهم بشر، فلما لم يأكلوا منه، قال: إنا منكم خائفون.

(٥٣) قال الرسل من الملائكة: لا تخف، إنا نخبرك بما يسرك، أنه سيكون لك ولد ذكر عليم.

(٥٤) قال لهم إبراهيم - وقد تعجب من تبشيرهم إياه بولد -: أبشروني بولد مع ما أصابني من الكبر والشيخوخة، فعلى أي وجه تبشرونني؟

(٥٥) قال الرسل من الملائكة لإبراهيم: بشرك بالحق الذي لا مرية فيه. فلا تكن من اليائسين مما بشرك به.

(٥٦) قال إبراهيم: وهل يمتس من رحمة ربه إلا المنحرفون عن صراط الله المستقيم؟!

(٥٧) قال إبراهيم: فما شأنكم الذي جاء بكم أيها المرسلون من الله تعالى؟

(٥٨) قال الرسل من الملائكة: إنا أرسلنا الله لإهلاك قوم عظيمي الفساد، عظيمي الشر، وهم قوم لوط.

(٥٩) إلا أهل لوط وأتباعه من المؤمنين، فلا يشملهم الإهلاك، إنا مسلموهم جميعًا منه.

(٦٠) إلا زوجته، فقد حكمنا أنها من الباقيين الذين يشملهم الهلاك.

(٦١) فلما قدم الملائكة المرسلون إلى آل لوط في صور رجال.

(٦٢) قال لهم لوط **﴿عسى﴾**: قوم غير معروفين.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَالِمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشِّرْهُنِي عَلَىٰ أَن مَّسْنِي الْكَبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونِ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بِشَرِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَدِيطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَجْبُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَاتَهُ وَقَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوهَا حَيْثُ تُمْرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

(٦٣) قال الرسل من الملائكة للوط: لا تخف، بل جئناك - يا لوط - بما كان يشك فيه قومك من العذاب المهلك لهم،

(٦٤) وجئناك بالحق الذي لا هزل فيه، وإنا لصادقون فيما أخبرناك به.

(٦٥) فسير بأهلك بعد مضي جانب من الليل، وسير خلفهم، ولا يلتفت أحد منكم إلى الوراء لينظر ما حل بهم، وامضوا إلى حيث أمركم الله أن تمضوا.

(٦٦) وأعلمنا لوطًا عن طريق الوحي ذلك الأمر الذي قدرناه، وهو أن هؤلاء القوم سيستأصلون بإهلاك آخرهم إذا دخلوا في الصبح.

(٦٧) وجاء أهل سدوم مستبشرين بضيوف لوط؛ طمعا في فعل الفاحشة.

(٦٨) قال لهم لوط: إن هؤلاء القوم ضيوفي، فلا تفضحوني بما تريدون بهم.

(٦٩) وخافوا الله بترك هذه الفاحشة، ولا تذلونني بصنيعكم الشنيع.

(٧٠) قال له قومه: ألم ننهك عن إضافة أحد من الناس؟

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تعليم أدب الضيف بالتحية والسلام حين القدوم على الآخرين.
- من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم لا سبيل له إلى القنوط من رحمة الله.
- نهى الله تعالى لوطًا وأتباعه عن الالتفات أثناء نزول العذاب بقوم لوط حتى لا تأخذهم الشفقة عليهم.
- تصميم قوم لوط على ارتكاب الفاحشة مع هؤلاء الضيوف دليل على طمس فطرتهم، وشدة فحشهم.

﴿٧١﴾ قَالَ لَهُمْ لُوطٌ ﴿٧٠﴾ مَعذِرًا لِنَفْسِهِ أَمَامَ ضُيُوفِهِ: هَؤُلَاءِ بَنَاتِي مِنْ جَمَلَةٍ نَسَائِكُمْ، فَتَزَوَّجُوهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ قَاصِدِينَ قَضَاءَ شَهْوَتِكُمْ.

﴿٧٢﴾ وَحَيَاتِكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - إِنْ قَوْمُ لُوطٍ لَفِي طَغْيَانٍ شَهْوَتُهُمْ يَتَرَدَّدُونَ.

﴿٧٣﴾ فَأَخَذَهُمْ صَوْتُ شَدِيدٍ مَهْلِكٍ عِنْدَ دُخُولِهِمْ فِي وَقْتِ شُرُوقِ الشَّمْسِ.

﴿٧٤﴾ فَقَلَبْنَا قَرَاهِمَ يَجْعَلُ عَلَيْهَا سَافِلًا، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُتَحَجَّرٍ.

﴿٧٥﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِمَّا حَلَّ بِقَوْمِ لُوطٍ مِنْ هَلَاكِ لَعَلَمَاتٍ لِلْمُتَأَمِّلِينَ.

﴿٧٦﴾ وَإِنْ قَرَى قَوْمُ لُوطٍ لَعَلَى طَرِيقٍ ثَابِتٍ، يَرَاهَا مِنْ يَمْرِ بِهَا مِنَ الْمَسَافِرِينَ.

﴿٧٧﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ الَّذِي حَدَثَ لِدَلَالَةِ الْمُؤْمِنِينَ يَعْتَبِرُونَ بِهَا.

﴿٧٨﴾ وَقَدْ كَانَ قَوْمُ شُعَيْبٍ أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ذَاتِ الشَّجَرِ الْمَلْتَفِ ظَالِمِينَ؛ لَكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ لِرَسُولِهِ شُعَيْبٍ ؑ.

﴿٧٩﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ حَيْثُ أَخَذَهُمُ الْعَذَابُ، وَإِنْ قَرَى قَوْمُ لُوطٍ وَمَوَاطِنُ أَصْحَابِ شُعَيْبٍ لِبَطْرِيقٍ وَاضِحٍ لِمَنْ مَرَّ بِهِ.

﴿٨٠﴾ وَلَقَدْ كَذَبَ ثَمُودُ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْحِجْرِ (مَكَانٌ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ) جَمِيعَ الرُّسُلِ حِينَ كَذَّبُوا نَبِيَّهُمْ صَالِحًا ؑ.

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ وَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَلسَّبِيلِ مُقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَأَتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِئْسَ مَا مَرُومِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُتَحَدَّثُونَ مِنَ الْجِبَالِ الْيُوقَاتِ أَمِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

٢٦٦

﴿٨١﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحِجْجَ وَالْذَّلَاتِلَ عَلَى صَدَقِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَمِنْ ذَلِكَ النَّاقَةُ، فَلَمْ يَعْتَبِرُوا بِتِلْكَ الدَّلَائِلِ، وَلَمْ يَبَالُوا بِهَا.

﴿٨٢﴾ وَكَانُوا يَقْطَعُونَ الْجِبَالَ لِيَصْنَعُوا بَيْوتًا لَهُمْ يَسْكُنُونَهَا آمِنِينَ مِمَّا يَخَافُونَ.

﴿٨٣﴾ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ وَقْتُ الصُّبْحِ.

﴿٨٤﴾ فَمَا دَفَعَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْمَسَاكِينِ.

﴿٨٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا دُونَ حِكْمَةٍ، مَا خَلَقْنَا كُلَّ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا مَحَالَةَ، فَأَعْرِضْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - عَنِ الْمَكْذِبِينَ بِكَ، وَاعْفُ عَنْهُمْ عَفْوًا حَسَنًا.

﴿٨٦﴾ إِنْ رَبُّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - هُوَ الْخَلَّاقُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْعَلِيمُ بِهِ.

﴿٨٧﴾ وَلَقَدْ أَعْطَيْنَاكَ الْفَاتِحَةَ الَّتِي هِيَ سَبْعُ آيَاتٍ، وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ.

﴿٨٨﴾ لَا تُمَدِّدْ بَصْرَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ مَتَعٍ زَائِلَةٍ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ، وَتَوَاضَعْ لِلْمُؤْمِنِينَ.

﴿٨٩﴾ وَقُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ مِنَ الْعَذَابِ، الْبَيِّنُ النَّذَارَةَ.

﴿٩٠﴾ أَنْذَرَكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الْمُفْرَقِينَ كُتِبَ اللَّهُ أَجْزَاءَ فَيُؤْمِنُونَ بَعْضُ وَيَكْفُرُونَ بَعْضُ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ. • أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَهْلِكَ قَرْيَةً أَزَادَ شَرَّهَا وَطَغْيَانَهَا، فَإِذَا انْتَهَى أَوْقَعَ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ. • كَرَاهَةِ دُخُولِ مَوَاطِنِ الْعَذَابِ، وَمِثْلِهَا دُخُولُ مَقَابِرِ الْكُفَّارِ، فَإِنْ دَخَلَ الْإِنْسَانُ إِلَى تِلْكَ الْمَوَاضِعِ وَالْمَقَابِرِ فَعَلِيهِ الْإِسْرَاعُ. • لَا يَطْمَحُ بَصَرُ الْمُؤْمِنِ إِلَى زُخَارِفِ الدُّنْيَا وَعِنْدَهُ مَعَارِفُ الْمَوْلَى ﷺ. • عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ بَعِيدًا مِنَ الْمَشْرُكِينَ، وَلَا يَحْزَنْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا، قَرِيبًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، مُتَوَاضِعًا لَهُمْ، مُحِبًّا لَهُمْ وَلَوْ كَانُوا فَقَرَاءً.

٩١ الذين صَبَرُوا القرآنَ أجزاءً، فقالوا: هو سحر، أو كهانة، أو شعر.
 ٩٢ فوردك - أيها الرسول - لنسألن يوم القيامة جميع الذين صَبَرُوا أجزاءً.
 ٩٣ لنسألنهم عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي في الدنيا.
 ٩٤ فاعلن - أيها الرسول - ما أمرك الله به من الدعوة إليه، ولا تلتفت إلى ما يقوله ويفعله المشركون.
 ٩٥ ولا تخف منهم، فقد كفيناك كيد الساخرين من أئمة الكفر من قريش.
 ٩٦ الذين يتخذون مع الله معبودًا غيره، فسوف يعلمون عاقبة شركهم السيئة.
 ٩٧ ولقد نعلم أنك - أيها الرسول - يضيّق صدرك بما يصدر منهم من تكذيبهم لك وسخريتهم منك.
 ٩٨ فالجأ إلى الله بتنزيهه عما لا يليق به، والثناء عليه بصفات كماله. وكن من العابدين لله، المصلين له، ففي ذلك علاج لضيّق صدرك.
 ٩٩ وداوم على عبادة ربك، واستمر عليها ما دمت حيًّا حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك.

سورة النحل

— مكية —

● من مَقاصِدِ السُّورَةِ:

التذكير بالنعم الدالة على المنعم، إلزامًا لعبوديته وتحذيرًا من جحود نعمته.

● التَّصْمِيحُ:

١ اقترَب ما قضى الله به من عذابكم - أيها الكفار - فلا تطلبوا تعجيله قبل أوانه، تنزه الله وتعالى عما يجعل له المشركون من الشركاء.

٢ ينزل الله الملائكة بالوحي من قضائه على من يشاء من رسله: أن خَوْفُوا - أيها الرسل - الناس من الشرك بالله، فلا معبود بحق إلا أنا، فاتقوني - أيها الناس - بامتنال أوامري واجتناب نواهي.

٣ خلق الله السماوات وخلق الأرض على غير مثال سابق بالحق، فلم يخلقهما باطلاً، بل خلقهما لِيُسْتَدَلَّ بهما على عظمته، تَنَزُّه عن إشراكهم به غيره.

٤ خلق الإنسان من نطفة مهينة، فمن خلقاً من بعد خلق. فإذا هو شديد الجدل بالباطل ليطمس به الحق، مبين في جداله به.
 ٥ والأنعام من الإبل والبقر والغنم خلقها لمصالحكم - أيها الناس - ومن هذه المصالح الدفء بأصوافها وأوبارها، ومصالح أخرى في ألبانها وجلودها وظهورها، ومنها تأكلون.

٦ ولكم فيها زينة حين تدخلون في المساء، وحين تُخْرِجونها للمرعى في الصباح.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● عناية الله ورعايته بصَوْنِ النبي ﷺ وحمايته من أذى المشركين. ● التشبيح والتحميد والصلاة علاج الهموم والأحزان، وطريق الخروج من الأزمان والمآزق والكروب. ● المسلم مطالب على سبيل الفرضية بالعبادة التي هي الصلاة على الدوام حتى يأتيه الموت، ما لم يغلب الغشيان أو فقد الذاكرة على عقله. ● سعى الله الوحي روحاً؛ لأنه تحيا به النفوس. ● مَلَكْنَا الله تعالى الأنعام والدواب وذَلَّلْهَا لَنَا، وأَبَاحَ لنا تسخيرها والانتفاع بها؛ رحمة منه تعالى بنا.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ٩١ فَوَرَّيْكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٣ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ٩٥ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٩٦ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ٩٨ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ٩٩

سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَعَلَىٰ عَمَائِشِرُكُونَ ١ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُوا ٢ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَائِشِرُكُونَ ٣ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ٤ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ٦

﴿٦﴾ وتحمل هذه الأنعام التي خلقناها لكم أمتعتكم الثقلية في أسفاركم إلى بلد لم تكونوا واصلية إلا بمشققة عظيمة على الأنفس، إن ركبكم - أيها الناس - لرؤوف، رحيم بكم حيث سخر لكم هذه الأنعام.

﴿٧﴾ وخلق الله لكم الخيل والبغال والحمير لركوبوها، وتحملوا عليها أمتعتكم، ولتكون جمالاً لكم تتجملون به في الناس، ويخلق ما لا تعلمون مما أراد خلقه.

﴿٨﴾ وعلى الله بيان الطريق المستقيم الموصل إلى مرضاته وهو الإسلام، ومن الطرق ما هو من طرق الشيطان المائلة عن الحق، وكل طريق غير طريق الإسلام فهو مائل، ولو شاء الله أن يوفقكم جميعاً للإيمان لوفقكم له جميعاً.

﴿٩﴾ هو سبحانه الذي أنزل لكم من السحاب ماء، لكم من ذلك الماء شراب تشربونه وتشربه أنعامكم، ومنه ما يحصل به نبات الشجر الذي فيه ترعون مواشيكم.

﴿١٠﴾ يثبت الله لكم بذلك الماء الزروع التي تأكلون منها، وينبت لكم الزيتون والنخل والأعنان، وينبت لكم من جميع الثمرات، إن في ذلك الماء وما ينشأ عنه لدلالة على قدرة الله لقوم يتفكرون في خلقه، فيستدلون به على عظمته سبحانه.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا شِقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالنَّحْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُثَبِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَ كَمَا يَمْشِي فِيهِ وَلَيَسْتَعْمُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

٢٦٨

﴿١٥﴾ وذلل الله لكم الليل لتسكنوا فيه وتستريحوا، والنهار لتكسبوا فيه ما تعيشون به، وسخر لكم الشمس، وجعلها ضياءً، والقمر وجعله نوراً، والنجوم مذلات لكم بأمره القدري، بها تهتدون في ظلمات البر والبحر، وتعلمون الأوقات وغير ذلك، إن في تسخير ذلك كله لدلالات واضحة على قدرة الله لقوم يُعْمِلُونَ عقولهم، فهم الذين يدركون الحكمة منها.

﴿١٦﴾ وسخر لكم ما خلق سبحانه في الأرض مما اختلف ألوانه من المعادن والحيوان والنبات والزروع، إن في ذلك المذكور من الخلق والتسخير لدلالة جلية على قدرة الله سبحانه لقوم يعتبرون به، ويدركون أن الله قادر ومنعم.

﴿١٧﴾ وهو سبحانه الذي ذلل لكم البحر، فمكنكم من ركوبه واستخراج ما فيه؛ لتأكلوا مما تصطادون من سمكه لحماً غصاً لبناً، وتستخرجوا منه زينة تلبسونها وتلبسها نساءكم مثل اللؤلؤ، وترى السفن تشق غُباب البحر، وتركبون هذه السفن طلباً لفضل الله الحاصل من ربح التجارة، ورجاء أن تشكروا الله على ما أنعم به عليكم، وتفردوه بالعبادة.

﴿١٨﴾ مِّن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من عظمة الله أنه يخلق ما لا يعلمه جميع البشر في كل حين يريد سبحانه.
- خلق الله النجوم لزينة السماء، والهداية في ظلمات البر والبحر، ومعرفة الأوقات وحساب الأزمنة.
- الثناء والشكر على الله الذي أنعم علينا بما يصلح حياتنا ويعيننا على أفضل معيشة.
- الله سبحانه أنعم علينا بتسخير البحر لتناول اللحوم (الأسماك)، واستخراج اللؤلؤ والمرجان، وللركوب، والتجارة، وللدفاع عن البلاد من أذى محتل وعدوان مستعمر.

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٥﴾ وَعَلَّمَتِ وَيَا تَجْمِرُهُمْ يَهْتَدُونَ
﴿٥٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنْ
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٨﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٦٠﴾ أَمْوَاتٌ
غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ
وَاحِدٌ قَالِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٦٢﴾ لَأَجْزِمَنَّ أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا
يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٦٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٤﴾ لِيَحْمِلُوا
أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ
بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءُ مَا يُزِرُّونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَاتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾

﴿٥٥﴾ وألقى في الأرض جبالاً ثنيتها حتى لا تضطرب بكم وتميل، وأجرى فيها أنهاراً لتشربوا منها، وتسقوا أنعامكم وزروعكم، وشق فيها طرقاً تسلكونها، فتصلون إلى مقاصدكم دون أن تضلوا.

﴿٥٦﴾ وجعل لكم في الأرض معالم ظاهرة تهتدون بها في السير نهاراً، وجعل لكم النجوم في السماء رجاء أن تهتدوا بها ليلاً.

﴿٥٧﴾ أفمن يخلق هذه الأشياء وغيرها كمن لا يخلق شيئاً؟! أفلا تذكرون عظمة الله الذي يخلق كل شيء، وتفردوه بالعبادة، ولا تشركوا به ما لا يخلق شيئاً؟

﴿٥٨﴾ وإن تحاولوا - أيها الناس - عدّ نعم الله الكثيرة التي أنعم بها عليكم، وحضرها لا تستطيعوا ذلك لكثرتها وتنوعها، إن الله لغفور رحيم يؤاخذكم بالغفلة عن شكرها، رحيم حيث لم يقطعها عنكم بسبب المعاصي والتقصير في شكره.

﴿٥٩﴾ والله يعلم ما تخفون - أيها العباد - من أعمالكم، ويعلم ما تظهرون منها، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها.

﴿٦٠﴾ والذين يعبدونهم المشركون من دون الله لا يخلقون شيئاً ولو كان قليلاً، ومن عبدوهم من دون الله هم الذين يصنعونهم، فكيف يعبدون من دون الله ما يصنعونه بأيديهم من الأصنام؟!

﴿٦١﴾ ومع كون عابديهم صنعوهم بأيديهم

فهم جمادات لا حياة فيها ولا علم، فهم لا يعلمون متى يبعثون مع عابديهم يوم القيامة؛ ليرموا معهم في نار جهنم.

﴿٦٢﴾ معبودكم بحق هو معبود واحد لا شريك له وهو الله، والذين لا يؤمنون بالبعث للجزاء قلوبهم جاحدة وحادية الله لعدم خوفها، فهي لا تؤمن بحساب ولا عقاب، وهم متكبرون لا يقبلون الحق، ولا يخضعون له.

﴿٦٣﴾ حقاً إن الله يعلم ما يسره هؤلاء من الأعمال، ويعلم ما يظهورونه منها، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيهم عليها، إنه سبحانه لا يحب المستكبرين عن عبادة والخضوع له، بل يمتقنهم أشد المقت.

﴿٦٤﴾ وإذا قيل لهؤلاء الذين ينكرون وحدانية الخالق، ويكذبون بالبعث: ماذا أنزل الله على محمد ﷺ؟ قالوا: لم ينزل عليه شيئاً، وإنما جاء من نفسه بقصص الأولين وأكاذيبهم.

﴿٦٥﴾ ليكون مآلهم أن يحملوا آثامهم دون نقص، ويحملوا من آثام الذين أضلّوهم عن الإسلام جهلاً وتقليداً، فما أشد قبح ما يحملونه من آثامهم وآثام أتباعهم.

﴿٦٦﴾ لقد أتى الكفار من قبل هؤلاء بالمكائد لرسولهم، فهدم الله أبنيتهم من أسسها، فسقطت عليهم سقوفهم من فوقهم، وجاءهم العذاب من حيث لا يتوقعون، فقد كانوا يتوقعون أن أبنيتهم تحميهم، فأهلكوا بها.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • في الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل، يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره وذكره ودعائه. • طبيعة الإنسان الظلم والتجرؤ على المعاصي والتقصير في حقوق ربه، كقمار نعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هده الله. • مساواة المفضل للضال في جريمة الضلال؛ إذ لولا إضلاله إياه لاهتدى بنظره أو بسؤال الناصحين. • أخذ الله للمجرمين فجأة أشد نكايه؛ لما يصحبه من الرعب الشديد، بخلاف الشيء الوارد تدريجياً.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيَّنَ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبَاتٍ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

٢٧٠

﴿٢٧﴾ ثم يوم القيامة يهينهم الله بالعذاب، ويذلهم به، ويقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة، وكنتم تعادون أنبيائي والمؤمنين بسببهم؟ قال العلماء الربانيون: إن الهوان والعذاب يوم القيامة واقع على الكافرين.

﴿٢٨﴾ الذين يقبض ملك الموت وأعوانه من الملائكة أرواحهم وهم متلبسون بظلم أنفسهم بالكفر بالله، فانقادوا مستسلمين لما نزل بهم من الموت، وأنكروا ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي؛ ظنًا منهم أن الإنكار ينفعهم، فيقال لهم: كذبتُم، قد كنتم كافرين تعملون المعاصي، إن الله عليم بما كنتم تعملون في الدنيا، لا يخفى عليه شيء منه، وسيجازيكم عليه.

﴿٢٩﴾ ويقال لهم: ادخلوا حسب أعمالكم أبواب جهنم ما كنتم فيها أبدًا، فليست مفرًا للمتكبرين عن الإيمان بالله وعبادته وحده.

﴿٣٠﴾ وقيل للذين اتقوا ربهم بامتنثال أوامره واجتناب نواهيه: ماذا أنزل ربكم على نبيكم محمد ﷺ؟ أجابوا: أنزل الله عليه خيرًا عظيمًا، للذين أحسنوا عبادة الله وأحسنوا التعامل مع خلقه في هذه الحياة الدنيا مثوبة حسنة، منها النصر وسعة الرزق، وما أعد الله لهم من الثواب في الآخرة خير مما عجله لهم في الدنيا، ولنعم دار المتقين لربهم بامتنثال أوامره واجتناب نواهيه دار الآخرة.

﴿٣١﴾ جنات إقامة واستقرار يدخلونها، تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، لهم في هذه الجنات ما تشتهي أنفسهم من المأكول والمشرب وغيرهما، يمثل هذا الجزاء الذي يجزي به المتقين من أمة محمد ﷺ يجزي المتقين من الأمم السابقة.

﴿٣٢﴾ الذين يقبض ملك الموت وأعوانه من الملائكة أرواحهم في حال طهارة قلوبهم من الكفر، تخاطبهم الملائكة بقولهم: سلام عليكم، سلمتم من كل آفة، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح.

﴿٣٣﴾ هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون إلا أن يأتيتهم ملك الموت وأعوانه من الملائكة لقبض أرواحهم وضرب وجوههم وأديبارهم، أو يأتي أمر الله باستئصالهم بالعذاب في الدنيا؟ مثل هذا الفعل الذي يفعله المشركون في مكة فعلة المشركون من قبلهم فأهلكهم الله، وما ظلمهم حين أهلكهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بإيرادها موارد الهلاك بالكفر بالله.

﴿٣٤﴾ فنزلت عليهم عقوبات أعمالهم التي كانوا يعملونها، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه إذا ذكروا به.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- فضيلة أهل العلم، وأنهم الناطقون بالحق في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتبارًا عند الله وعند خلقه.
- من أدب الملائكة مع الله أنهم أسندوا العلم إلى الله دون أن يقولوا: إنا نعلم ما كنتم تعملون، وإشعارًا بأنهم ما علموا ذلك إلا بتعليم من الله تعالى.
- من كرم الله وجوده أنه يعطي أهل الجنة كل ما تمنوه عليه، حتى إنه يذكّرهم أشياء من النعيم لم تخطر على قلوبهم.
- العمل هو السبب والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك يحصل برحمة الله ومُنَّة على المؤمنين لا بحولهم وقوتهم.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ مَحْنٌ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا خَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَاهَرُوا لِنَبِيِّنَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٢﴾

٢٧١

﴿٢٥﴾ وقال الذين أشركوا مع الله غيره في عبادتهم: لو شاء الله أن نعبده وحده، ولا نشرك به لما عبدنا أحداً غيره، لا نحن ولا آباؤنا من قبلنا، ولو شاء ألا نحرم شيئاً ما حرمناه، بمثل هذه الحجة الباطلة قال الكفار السابقون، فما على الرسل إلا التبليغ الواضح لما أمروا بتبليغه، وقد بلغوا، ولا حجة للكفار في الاعتذار بالقدر بعد أن جعل الله لهم مشيئة واختياراً، وأرسل إليهم رسله.

﴿٢٦﴾ ولقد بعثنا في كل أمة سابقة رسولاً يأمر أمته بأن يعبدوا الله وحده، ويتركوا عبادة غيره من الأصنام والشياطين وغيرهم، فكان منهم من وفقه الله فأمن به، واتبع ما جاء به رسوله، وكان منهم من كفر بالله وعصى رسوله فلم يوفقه، فوجبت عليه الضلالة، فسيروا في الأرض لتروا بأعينكم كيف كان مصير المكذابين بعدما حل بهم من عذاب وهلاك.

﴿٢٧﴾ إن تجتهد - أيها الرسول - بما تستطيع من دعوتك لهؤلاء، وتحرص على هدايتهم، وتأخذ بأسباب ذلك؛ فإن الله لا يوفق للهداية من يضلّه، وليس لهم من دون الله من أحد ينصرهم يدفع العذاب عنهم.

﴿٢٨﴾ وخلف هؤلاء المكذبون بالبعث مبالغين في حلفهم جاهدين فيه مؤكّدين له: لا يبعث الله من يموت؛ دون أن

تكون لهم حجة على ذلك، بل، سيبعث الله كل من يموت، وعداً عليه حقاً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله يبعث الموتى، فينكرون البعث.

﴿٢٩﴾ يبعثهم الله جميعاً يوم القيامة لموضح لهم حقيقة ما كانوا يختلفون فيه من التوحيد والبعث والنبوة، وليلعلم الكفار أنهم كانوا كاذبين في ادعائهم شركاء مع الله وفي إنكارهم للبعث.

﴿٣٠﴾ إنا إذا أردنا إحياء الموتى وبعثهم فلا مانع يمنعنا من ذلك، إنما نقول لشيء إذا أردناه: ﴿كُنْ﴾، فيكون لا محالة. والذين تركوا ديارهم وأهليهم وأموالهم مهاجرين من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ابتغاء مرضاة الله من بعد ما عذبهم الكفار وضيّقوا عليهم لنتّزلّهم في الدنيا داراً يكونون فيها أعزّة، ولثواب الآخرة أعظم لأن منه الجنة، لو كان المتخلفون عن الهجرة يعلمون ثواب المهاجرين لمّا تخلّفوا عنها.

﴿٣١﴾ هؤلاء المهاجرون في سبيل الله هم الذين صبروا على أذى أقوامهم ومفارقة أهليهم وأوطانهم، وصبروا على طاعة الله، وهم على ربهم وحده يعتمدون في كل أمورهم، فأعطاهم الله هذا الجزاء العظيم.

• مِنْ قَوَائِدِ آيَاتِ،

• العاقل من يعتبر ويتعظ بما حل بالضالين المكذابين كيف آل أمرهم إلى الدمار والخراب والعذاب والهلاك.
• الحكمة من البعث والمعاد إظهار الله الحقّ فيما يختلف فيه الناس من أمر البعث وكل شيء. • فضيلة الصبر والتوكل: أما الصبر: فلما فيه من قهر النفس، وأما التوكل: فللغزوف عن الخلق والاتجاه إلى الحقّ. • جزاء المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وصبروا على الأذى وتوكلوا على ربهم، هو الموطن الأفضل، والمنزلة الحسنة، والعيشة الرضية، والرزق الطيب الوفير، والنصر على الأعداء، والسيادة على البلاد والعباد.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَعَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٨﴾
أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٩﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
فِي تَغْلِبِهِمْ فَمَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٠﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
يَتَفَقَّهُوا ظُلُمًا ذُحًى عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
﴿٤٢﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٣﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٤٤﴾ * وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ
إِثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونِ ﴿٤٥﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٤٦﴾ وَمَا بَكُمْ مِنْ
نِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْعَرُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ إِذَا
كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٤٨﴾

٢٧٢

﴿٣٧﴾ وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - إلا رجالاً من البشر نوحى إليهم، فلم نرسل رسلاً من الملائكة، وهذه سُنتنا المطردة، وإن كنتم تنكرون ذلك فاسألوا أهل الكتب السابقة يخبروكم أن الرسل كانوا بشرًا، ولم يكونوا ملائكة، إن كنتم لا تعلمون أنهم بشر.

﴿٣٨﴾ أرسلنا هؤلاء الرسل من البشر بالدلائل الواضحة، وبالكتب المنزلة، وأنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن لتوضح للناس ما يحتاج منه إلى توضيح، ولعلهم يُعْمِلُونَ أفكارهم. فيتعطوا بما تضمنه.

﴿٣٩﴾ أفامن الذين ذُكِّروا المكايد ليصدوا عن سبيل الله أن يخسف الله بهم الأرض كما خسفها بقارون، أو يجيئهم العذاب من حيث لا ينتظرون.

﴿٤٠﴾ أو يصيبهم العذاب في حال تقلبهم في أسفارهم وسعيهم لمكاسبهم، فليسوا بفاتنين ولا ممتنعين.

﴿٤١﴾ أو آمنوا أن ينالهم عذاب الله حال خوفهم منه، فالله قادر على تعذيبهم في كل حال، إن ربكم لرؤوف رحيم لا يعاجل بالعقوبة لعل عباده يتوبون إليه.

﴿٤٢﴾ أولم ينظر هؤلاء المكذبون نظر تأمل إلى مخلوقاته، تميل ظلالها يمينًا وشمالًا تبعًا لحركة الشمس وسيرها نهارًا وللمقمر ليلاً، خاضعة لربها ساجدة له سجودًا حقيقيًا، وهي ذليلة.

﴿٤٣﴾ والله وحده يسجد جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض من دابة، وله وحده يسجد الملائكة، وهم لا يستكبرون عن عبادة الله وطاعته.

﴿٤٤﴾ وهم - مع ما هم عليه من العبادة والطاعة الدائمة - يخافون ربهم الذي هو فوقهم بذاته وقهره وسلطانه، ويفعلون ما يأمرهم به ربهم من الطاعة.

﴿٤٥﴾ وقال الله سبحانه لجميع عباده: لا تتخذوا معبودين اثنين، إنما هو معبودٌ بحقٌ واحدٌ لا ثاني له ولا شريك، فإياي فخافوني، ولا تخافوا غيري.

﴿٤٦﴾ وله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقًا وملكًا وتديرًا، وله وحده الطاعة والخضوع والإخلاص ثابتًا، أغير الله تخافون؟! لا، بل خافوه وحده.

﴿٤٧﴾ وما بكم - أيها الناس - من نعمة دينية أو دنيوية فمن الله سبحانه لا من غيره، ثم إذا أصابكم بلاء أو مرض أو فقر فإليه وحده تتضرعون بالدعاء؛ ليكشف عنكم ما أصابكم، فمن يمنح النعم ويكشف النقم هو الذي يجب أن يُعْبَدَ وحده.

﴿٤٨﴾ ثم إذا استجاب دعوتكم فصرف ما بكم من ضرر إذا طائفة منكم بربهم يشركون، حيث يعبدون معه غيره، فأى لؤم هذا؟! •

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • على المجرم أن يستحي من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات ومعاصيه صاعدة إلى ربه في كل الأوقات. • ينبغي لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي الخوف من الله تعالى أن يأخذهم بالعذاب على غفرة وهم لا يشعرون. • جميع النعم من الله تعالى، سواء المادية كالرزق والسلامة والصحة، أو المعنوية كالآمان والجاه والمنصب ونحوها. • لا يجد الإنسان ملجأً لكشف الضر عنه في وقت الشدائد إلا الله تعالى، فيضج بالدعاء إليه؛ لعلمه أنه لا يقدر أحد على إزالة الكرب سواه.

﴿٥٥﴾ شُرِكُهُمْ بِاللَّهِ جَعَلَهُمْ يَكْفُرُونَ نِعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ومنها كشف الضر؛ ولهذا قيل لهم: تمتعوا بما أنتم فيه من نعيم حتى يأتيكم عذاب الله الآجل والعاجل.

﴿٥٦﴾ ويجعل المشركون لأصنامهم التي لا تعلم شيئاً - لأنها جمادات، ولا تنفع ولا تضر - قسماً من أموالهم التي رزقناهم، يتقربون به إليها، والله لتسألن - أيها المشركون - يوم القيامة عما كنتم تزعمون من أن هذه الأصنام آلهة، وأن لها قسماً من أموالكم.

﴿٥٧﴾ وينسب المشركون لله البنات، ويعتقدون أنها الملائكة، فينسبون إليه البنوة، ويختارون له ما لا يحبونه لأنفسهم، تنزه سبحانه وتقدس عما يجعلونه له منها، ويجعلون لهم ما تميل إليه أنفسهم من الأولاد الذكور، فأي جرم أعظم من هذا؟!.

﴿٥٨﴾ وإذا أخبر أحد هؤلاء المشركين بميلاد أنثى اسود وجهه من شدة كراهية ما أخبر به، وامتلأ قلبه همًا وحزنًا، ثم هو ينسب إلى الله ما لا يرضاه لنفسه!

﴿٥٩﴾ يختفي ويتغيب عن قومه من سوء ما أخبر به من ميلاد أنثى، تحدته نفسه: أيملك هذه البنت على ذل وانكسار أو يئدها، فيخفيها في التراب؟ ما أقبح ما يحكم به المشركون، حيث حكموا لربهم بما يكرهون لأنفسهم.

﴿٦٠﴾ للكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة صفة السوء من الحاجة للولد والجهل والكفر، والله الصفات الحميدة العليا من

يَكْفُرُوا وَإِيمَاءَ أَتَيْنَهُمْ فَتَمَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَجَعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقَهُمْ تَاللَّهِ لَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَقْتُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَاطِمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُونَ سَاعَةً ۚ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَجَعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَنَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَآ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِيقَ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

الجلال والكمال والغنى والعلم، وهو سبحانه العزيز في ملكه الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتدبيره وتشريعه.

﴿٦١﴾ ولو يعاقب الله سبحانه الناس بسبب ظلمهم وكفرهم به ما ترك على الأرض من إنسان ولا حيوان يدب على وجهها، ولكنه سبحانه يؤخرهم إلى أمد محدد في علمه، فإذا جاء ذلك الأمد المحدد في علمه لا يتأخرون عنه ولا يتقدمون، ولو وقتًا يسيرًا.

﴿٦٢﴾ ويجعلون لله سبحانه ما يكرهون نسبته إليهم من الإناث، وتنطق ألسنتهم بالكذب أن لهم عند الله المنزل الحسنى إن صح أنهم سيبعثون كما يقولون، حقاً إن لهم النار، وإنهم متروكون فيها، لا يخرجون منها أبداً.

﴿٦٣﴾ تالله لقد بعثنا رسلاً إلى أمم من قبلك - أيها الرسول - فحسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة من الشرك والكفر والمعاصي، فهو نصيرهم المزعوم يوم القيامة فليستصروه، ولهم يوم القيامة عذاب موعج.

﴿٦٤﴾ وما أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن إلا لتبين لجميع الناس ما اختلفوا فيه من التوحيد والبعث وأحكام الشرع، وأن يكون القرآن هداية ورحمة للمؤمنين بالله وبرسله، وبما جاء به القرآن، فهم الذين يتنفعون بالحق.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• من جهالات المشركين: نسبة البنات إلى الله تعالى، ونسبة البنين لأنفسهم، وأنفثهم من البنات، وتغير وجوههم حزناً وغماً بالبنات، واستخفاء الواحد منهم وتغيبه عن مواجهة القوم من شدة الحزن وسوء الخزي والعار والحياء الذي يلحقه بسبب البنات. • من منن الله إهمال الكفار وعدم معاجلتهم بالعقوبة ليرتك الفرصة لهم للإيمان والتوبة. • مهمة النبي ﷺ الكبرى هي تبين ما جاء في القرآن، وبيان ما اختلف فيه أهل الملل والأهواء من الدين والأحكام، فتقوم الحجة عليهم ببيانه.

﴿١٥﴾ والله أنزل من جهة السماء مطراً، فأحيا به الأرض بإخراج النبات منها بعد أن كانت قاحلة جافة، إن في إنزال المطر من جهة السماء، وإخراج نبات الأرض به دلالة واضحة على قدرة الله لقوم يسمعون كلام الله ويتدبرونه.

﴿١٦﴾ وإن لكم - أيها الناس - في الإبل والبقر والغنم لعلظة تتعظون بها، حيث نسقيكم من ضرعها لبناً خارجاً من بين ما يحتويه البطن من فضلات وما في الجسم من دم، ومع هذا يخرج لبناً خالصاً نقياً لهذا يطيب للشاربين.

﴿١٧﴾ ولكم عظة فيما نرزقكم من ثمرات النخل ومن ثمرات الأعناب، فتتخذون منه مسكراً يذهب بالعقل، وهو غير حسن، وتتخذون منه رزقاً حسناً تنتفعون به مثل التمر والزبيب والنخل والدبس، إن في ذلك المذكور دلالة على قدرة الله وإنعامه على عباده لقوم يعقلون، فهم الذين يعتبرون.

﴿١٨﴾ وألهم ربك - أيها الرسول - النحل، وأرشدنا أن: اتخذني لك بيوتاً في الجبال، واتخذني بيوتاً في الشجر، وفيما بينه الناس ويسقونه.

﴿١٩﴾ ثم كلي من كل ما تشتهي من الثمرات، واسلكي الطرق التي ألهمك ربك سلوكها مذكلة، يخرج من بطون تلك النحل عسل مختلف الألوان، فيه الأبيض والأصفر

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقُوا مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَتَّخِذُونَ ﴿٢١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٢٢﴾

وغيرهما، فيه شفاء للناس، يعالجون به الأمراض، إن في إلهام النحل ذلك وفي العسل الذي يخرج من بطونها دلالة على قدرة الله وتدبيره لشؤون خلقه لقوم يتفكرون، فهم الذين يعتبرون.

﴿٢٠﴾ والله خلقكم على غير مثال سابق، ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم، ومنكم من يمتد عمره إلى أسوأ مراحل العمر وهو الهرم، فلا يعلم مما كان يعلمه شيئاً، إن الله عليم لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده، قدير لا يعجزه شيء.

﴿٢١﴾ والله ﷻ فضل بعضكم على بعض فيما منحكم من الرزق، فجعل منكم الغني والفقير، والسيد والمسود، فليس الذين فضلهم الله في الرزق براً في ما أعطاهم الله على عبيدهم حتى يكونوا شركاء بالسوية معهم في الملك، فكيف يرضون لله شركاء من عباده، ولا يرضون لأنفسهم أن يكون لهم شركاء من عبيدهم يستون معهم؟ فأَي ظلم هذا، وأي جحود لنعم الله أعظم من هذا؟!

﴿٢٢﴾ والله جعل لكم - أيها الناس - من جنسكم أزواجاً تأنسون بهن، وجعل لكم من أزواجكم أولاداً وأولاد أولاد، ورزقكم من المأكولات - كاللحم والحبوب والفواكه - طيبها، أفعال باطل من الأصنام والأوثان يؤمنون، ونعم الله الكثيرة التي لا يستطيعون حصرها يكفرون ولا يشكرون الله بأن يؤمنوا به وحده؟!

● من فوائد الآيات، جعل تعالى لعباده من ثمرات النخل والأعناب منافع للعباد، ومصالح من أنواع الرزق الحسن الذي يأكله العباد طرياً ونضيجاً وحاضراً ومُدخراً وطعاماً وشراباً. ● في خلق النحلة الصغيرة وما يخرج من بطونها من عسل لذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها، دليل على كمال عناية الله تعالى، وتعام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يحب غيره ويُدعى سواه. ● من من الله العظيمة على عباده أن جعل لهم أزواجاً ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم أولاداً تقر بهم أعينهم، ويخدمونهم ويقضون حوائجهم، ويتنفعون بهم من وجوه كثيرة.

(٧٣) ويعبد هؤلاء المشركون من دون الله أصنامًا، لا يملكون أن يرزقوهم أي رزق من السماوات ولا من الأرض، ولا يتأتى منهم أن يملكوا ذلك؛ لكونهم جمادات لا حياة لها ولا علم.

(٧٤) فلا تجعلوا - أيها الناس - لله أشباهًا من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، فليس لله شبيه حتى تشركوه معه في العبادة، إن الله يعلم ما له من صفات الجلال والكمال، وأنتم لا تعلمون ذلك، فتقعون في الشرك به، وادعاء مماثلته لأصنامكم.

(٧٥) ضرب الله سبحانه مثلًا للرد على المشركين: عبدًا مملوكًا عاجزًا عن التصرف، ليس له ما ينفقه، وحرًا أعطيناه من لدنا ما لا حلالًا، يتصرف فيه بما يشاء، فهو يبذل منه في الخفاء والجهر ما يشاء، فلا يستوي هذان الرجلان، فكيف تُسوون بين الله المالك المتصرف في ملكه بما يشاء، وبين أصنامكم العاجزة؟! الشناء لله المستحق للثناء، بل أكثر المشركين لا يعلمون انفراد الله بالالوهية واستحقاق أن يُعبد وحده.

(٧٦) وضرب الله سبحانه مثلًا آخر للرد عليهم هو مثل رجلين: أحدهما أبكم لا يسمع ولا ينطق ولا يفهم؛ لصممه وبكمه، عاجز عن نفع نفسه وعن نفع غيره، وهو حمل ثقيل على من يعوله، ويتولى أمره، أينما يبعثه لجهة لا يأت بخير، ولا يظفر بمطلوب، هل يستوي

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِثَارَ زَقَا حَسَنًا
فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ
أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ
الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾
وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرْوُوا إِلَى الظَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَكُتِبُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

من هذه حاله مع من هو سليم السمع والنطق، نفعه مُتَعَدِّ، فهو يأمر الناس بالعدل، وهو مستقيم في نفسه، فهو على طريق واضح لا لبس فيه ولا عوج؟! فكيف تُسوون - أيها المشركون - بين الله المتصف بصفات الجلال والكمال وبين أصنامكم التي لا تسمع ولا تنطق، ولا تجلب نفعًا، ولا تكشف ضرًا؟!!

(٧٧) والله وحده علم ما غاب في السماوات، وعلم ما غاب في الأرض، فهو المختص بعلم ذلك دون أحد من خلقه، وما شأن القيامة التي هي من الغيوب المختصة به في سرعة مجيئها إذا أَرَادَهُ إِلَّا مِثْلَ انْطِبَاقِ جَفْنٍ عَيْنٍ وَفَتْحِهِ، بَلْ هُوَ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لا يعجزه شيء، إذا أَرَادَ أَمْرًا قَالَ لَهُ: ﴿كُنْ﴾، فيكون.

(٧٨) والله أخرجكم - أيها الناس - من بطون أمهاتكم بعد انقضاء وقت الحمل أطفالًا لا تدركون شيئًا، وجعل لكم السمع لتسمعوا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتعقلوا بها؛ رجاء أن تشكروه على ما أنعم به عليكم منها.

(٧٩) ألم ينظر المشركون إلى الظير مُدَلَّلَاتٍ مُهَيَّاتٍ للطيران في الهواء بما منحها الله من الأجنحة ورقة الهواء، وألهمها قبض أجنحتها وبسطها، ما يمسكهن في الهواء عن السقوط إلا الله القادر، إن في ذلك التذليل والإمساك عن السقوط لدلالات لقوم يؤمنون بالله؛ لأنهم الذين ينتفعون بالدلالات والعبر.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الله تعالى الحكمة البالغة في قسمة الأزواق بين العباد، إذ جعل منهم الغني والفقير والمتوسط؛ ليتكامل الكون، ويتعاش الناس، ويخدم بعضهم بعضًا. • دَلَّ المَثَلَانِ فِي الْآيَاتِ عَلَى ضَلَالَةِ الْمَشْرِكِينَ وَبُطْلَانِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ؛ لِأَنَّ شَأْنَ الْإِلَهِ الْمَعْبُودِ أَنْ يَكُونَ مَالِكًا قَادِرًا عَلَى التَّصَرُّفِ فِي الْأَشْيَاءِ، وَعَلَى نَفْعِ غَيْرِهِ مِمَّنْ يَعْبُدُونَهُ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْخَيْرِ وَالْعَدْلِ. • مِنْ نِعَمِهِ تَعَالَى وَمِنْ مَظَاهِرِ قُدْرَتِهِ خَلْقُ النَّاسِ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِشَيْءٍ، ثُمَّ تَزْوِيدُهُمْ بَوَسَائِلِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ، وَهِيَ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ وَالْأَفْئِدَةُ، فِيهَا يَعْلَمُونَ وَيَدْرِكُونَ.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَاوَمِتْعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٥﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٨٧﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٩﴾ وَإِذَارَأَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٩٠﴾ وَإِذَارَأَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَشْرَكَاءَ هُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالِقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩١﴾ وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٩٢﴾

٢٧٦

﴿٨٥﴾ والله سبحانه جعل لكم من بيوتكم التي تبنيونها من الحجر وغيره استقراراً وراحة، وجعل لكم من جلود الإبل والبقر والغنم خياماً وقبائلاً في البادية مثل بيوت الحضر، يخفف عليكم حملها في ترحالكم من مكان لآخر، ويسهل نصبها وقت نزولكم، وجعل لكم من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار المعز أثناً ومِتْعاً وأكسية وأغطية تتمتعون بها إلى زمن محدد.

﴿٨٦﴾ والله جعل لكم من الأشجار والأبنية ما تستظلون به من الحر، وجعل لكم من الجبال أسراباً ومغارات وكهوفاً تستترون فيها عن البرد والحر والعدو، وجعل لكم قمصاً وثياباً من القطن وغيره تدفع عنكم الحر والبرد، وجعل لكم دروعاً تقيكم بأس بعضكم في الحرب، فلا ينفذ السلاح إلى أجسامكم، كما أنعم الله به عليكم من النعم السابقة يكمل نعمه عليكم رجاء أن تنقادوا لله وحده، ولا تشركوا به شيئاً.

﴿٨٧﴾ فإن أعرضوا عن الإيمان والتصديق بما جئت به فليس عليك - أيها الرسول - إلا تبليغ ما أمرت بتبليغه تبليغاً واضحاً، وليس عليك حملهم على الهداية.

﴿٨٨﴾ يعرف المشركون نعم الله التي أنعم بها عليهم، ومنها إرسال النبي ﷺ إليهم، ثم يجحدون نعمه بعدم

شكرها، وبالتكذيب برسوله، وأكثرهم الجاحدون لنعمه سبحانه.

﴿٨٩﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يبعث الله من كل أمة رسولها الذي أرسل إليها يشهد على إيمان المؤمن منهم وكفر الكافر، ثم بعد ذلك لا يسمح للكفار بالاعتذار عما كانوا عليه من الكفر، ولا يرجعون إلى الدنيا ليعملوا ما يرضى عنه ربهم، فالآخرة دار حساب لا دار عمل.

﴿٩٠﴾ وإذا عاين الظالمون المشركون العذاب فلا يخفف عنهم العذاب، ولا هم يُمهلون بتأخيرهم عنهم، بل يدخلونه خالدين فيه مخلدين.

﴿٩١﴾ وإذا عاين المشركون في الآخرة معبوداتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله قالوا: ربنا، هؤلاء هم شركاؤنا الذين كنا نعبدهم من دونك، قالوا ذلك ليحملوهم أوزارهم، فأطلق الله معبوداتهم، فردوا عليهم: إنكم - أيها المشركون - لكاذبون في عبادتكم شريكاً مع الله، فليس معه شريك فيعبد.

﴿٩٢﴾ واستسلم المشركون، وانقادوا لله وحده، وذهب عنهم ما كانوا يخلقونه من ادعاء أن أصنامهم تشفع لهم عند الله.

• مِنْ قَوَايِدِ آيَاتِ،

- دلت الآيات على جواز الانتفاع بالأصواف والأوبار والأشعار على كل حال، ومنها استخدامها في البيوت والأثاث.
- كثرة النعم من الأسباب الجالبة من العباد مزيد الشكر، والثناء بها على الله تعالى.
- الشهيد الذي يشهد على كل أمة هو أزكي الشهداء وأعدلهم، وهم الرسل الذين إذا شهدوا تم عليهم الحكم.
- في قوله تعالى: ﴿وَسَرَّيْلٌ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ﴾ دليل على اتخاذ العباد عدة الجهاد؛ ليستعينوا بها على قتال الأعداء.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا
فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ
شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا
بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ
بِهِمْ وَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلْتَسَأَلَنْ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

٢٧٧

﴿٨٨﴾ الذين كفروا بالله، وصرفوا غيرهم عن سبيل الله زدهم عذاباً - بسبب فسادهم وإفسادهم بإضلالهم لغيرهم - على العذاب الذي استحقوه لكفرهم.

﴿٨٩﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم نبعث في كل أمة رسولا يشهد عليهم بما كانوا عليه من كفر أو إيمان، هذا الرسول من جنسهم، ويتكلم بلسانهم، وجئنا بك - أيها الرسول - شهيدا على الأمم جميعا، ونزلنا عليك القرآن لتبين كل ما يحتاج إلى تبين من الحلال والحرام والثواب والعقاب وغير ذلك، ونزلناه هداية للناس إلى الحق، ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه، وتبشيرا للمؤمنين بالله بما ينتظرون من النعيم المقيم.

﴿٩٠﴾ إن الله يأمر عباده بالعدل بأن يؤدي العبد حقوق الله وحقوق العباد، وألا يفضل أحدا على أحد في الحكم إلا بحق يوجب ذلك التفضيل، ويأمر بالإحسان بأن يفضل العبد بما لا يلزمه كالإنفاق تطوعا والعفو عن الظالم، ويأمر بإعطاء الأقرباء ما يحتاجون إليه، وينهى عن كل ما قبح، قولا كفحش القول، أو فعلا كالزنى، وينهى عما ينكره الشرع، وهو كل المعاصي، وينهى عن الظلم والتكبر على الناس، يعظكم الله بما أمركم به، ونهاكم عنه في هذه الآية رجاء أن تعتبروا بما وعظكم به.

﴿٩١﴾ وأوفوا بكل عهد عاهدتم الله أو عاهدتم الناس عليه، ولا تنقضوا الأيمان بعد تغليظها بالحلف بالله، وقد جعلتم الله شهيدا عليكم بالوفاء بما حلفتم عليه، إن الله يعلم ما تفعلون، لا يخفى عليه شيء منه، وسيجازيكم عليه.

﴿٩٢﴾ ولا تكونوا بنقض العهود سفهاء خفاف العقول، مثل امرأة حمقاء تعبت في غزل صوفها أو قطنها، وأحكمت غزله، ثم نقضته وجعلته محلولاً كما كان قبل غزله، فتعبت في غزله ونقضه، ولم تحصل على مطلوب، تُضَيِّرُونَ أيمانكم خديعة يخدع بعضكم بعضا بها؛ لتكون أمتكم أكثر وأقوى من أمة أعدائكم، إنما يخبركم الله بالوفاء بالعهود، هل تفون بها، أم تنقضونها؟ وليوضحن الله لكم يوم القيامة ما كنتم تختلفون فيه في الدنيا، يبين المحق من المبطل، والصادق من الكاذب.

﴿٩٣﴾ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة متفقين على الحق، ولكنه سبحانه يضل من يشاء بخذلانه عن الحق وعن الوفاء بالعهود بعدله، ويوفق من يشاء بفضل له لذلك، ولتسألن يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا.

• مِنْ قَوَائِدِ الْأَجَابَاتِ •

- للكفار الذين يصدون عن سبيل الله عذاب مضاعف بسبب إفسادهم في الدنيا بالكفر والمعصية.
- لا تخلو الأرض من أهل الصلاح والعلم، وهم أمة الهدى خلفاء الأنبياء، والعلماء حفظة شرائع الأنبياء.
- حذرت هذه الآيات دعائم المجتمع المسلم في الحياة الخاصة والعامة للفرد والجماعة والدولة.
- النهي عن الرشوة وأخذ الأموال على نقض العهد.

﴿٤٦﴾ وَلَا تُصَيِّرُوا إِيْمَانَكُمْ خُدَيْعَةً يَخْدَعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِهَا، تَتَّبِعُونَ فِيهَا أَهْوَاءَكُمْ، فَتَنْقُضُونَهَا مَتَى شِئْتُمْ، وَتَفُونَ بِهَا مَتَى شِئْتُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ زَلْتُمْ أَقْدَامَكُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ ثَابِتَةً عَلَيْهِ، وَذُقْتُمْ الْعَذَابَ بِسَبَبِ ضَلَالِكُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِضْلَالِكُمْ غَيْرَكُمْ عَنْهَا، وَلَكُمْ عَذَابٌ مُضَاعَفٌ.

﴿٤٧﴾ وَلَا تَسْتَبْدِلُوا بَعْدَ اللَّهِ عَوْضًا قَلِيلًا عَلَى نَقْضِكُمْ لِلْعَهْدِ، وَتَرْكِ الْوَفَاءِ بِهِ، إِنْ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النِّصْرِ وَالْغَنَائِمِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا عِنْدَهُ مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا تَنَاقَلُونَهُ مِنْ عَوْضٍ قَلِيلٍ عَلَى نَقْضِ الْعَهْدِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿٤٨﴾ مَا عِنْدَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنَ الْمَالِ وَالذِّمَّاتِ وَالنِّعَمِ يَنْقُضِي وَلَوْ كَانَ كَثِيرًا، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجَزَاءِ بَاقٍ، فَكَيْفَ تَوْثِرُونَ فَانِيًا عَلَى بَاقٍ؟ وَلَنْجِزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى عَهْدِهِمْ وَلَمْ يَنْقُضُوا ثَوَابَهُمْ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَنَجْزِيَهُمُ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضَعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

﴿٤٩﴾ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ؛ فَلْنَحْيِيَنَّهُ فِي الدُّنْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً بِالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَبِالْقَنَاعَةِ وَالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَاتِ، وَلَنْجِزِيَنَّهُمْ ثَوَابَهُمْ فِي

وَلَا تَتَّخِذُوا إِيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْجِزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٨﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٩﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٥٠﴾ إِنَّهُ وَلَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٥٤﴾

الْآخِرَةِ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

﴿٤٦﴾ فَإِذَا أُرِدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ - فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَعْزِكَ مِنْ وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ الْمَطْرُودِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

﴿٤٧﴾ إِنْ الشَّيْطَانُ لَيْسَ لَهُ تَسْلُطٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَعَلَى رَبِّهِمْ وَحْدَهُ يَعْتَمِدُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

﴿٤٨﴾ إِنَّمَا تَسْلُطُهُ بِالْوَسْوَاسِ عَلَى الَّذِينَ يَتَّخِذُونَهُ وَلِيًّا، وَيَطِيعُونَهُ فِي إِغْوَاثِهِ، وَالَّذِينَ هُمْ بِسَبَبِ إِغْوَاثِهِ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ يَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ.

﴿٤٩﴾ وَإِذَا نَسَخْنَا حُكْمَ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ بِآيَةٍ أُخْرَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْسَخُ مِنَ الْقُرْآنِ لِحُكْمَةٍ، وَعَلِيمٌ بِمَا لَا يَنْسَخُ مِنْهُ - قَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ - كَاذِبٌ تَخْتَلِقُ عَلَى اللَّهِ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ النِّسْخَ إِنَّمَا يَكُونُ لِحُكْمَةٍ إِلَهِيَّةٍ بَالِغَةٍ.

﴿٥٠﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ -: نَزَلَ بِهَذَا الْقُرْآنِ جِبْرِيلٌ ﴿٥١﴾ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا خَطَأَ فِيهِ وَلَا تَبْدِيلَ وَلَا تَحْرِيفَ، لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ عَلَى إِيْمَانِهِمْ كُلَّمَا نَزَلَ مِنْهُ جَدِيدٌ، وَنُسخَ مِنْهُ بَعْضٌ، وَلِيَكُونَ هُدًى لَهُمْ إِلَى الْحَقِّ. وَبِشَارَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا يَحْصِلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْمَقْرُونُ بِالْإِيْمَانِ يَجْعَلُ الْحَيَاةَ طَيِّبَةً. • الطَّرِيقُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ شَرِّ الشَّيْطَانِ هُوَ الْإِلْتِمَاءُ إِلَى اللَّهِ، وَالِاسْتِعَاذَةُ بِهِ مِنْ شَرِّهِ. • عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْعَلُوا الْقُرْآنَ إِمَامَهُمْ، فَيَتَرَبَّعُوا بِعِلْمِهِ، وَيَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِهِ، وَيَسْتَضِيُّوا بِنُورِهِ، فَبِذَلِكَ تَسْتَقِيمُ أُمُورُهُمُ الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ. • نَسْخُ الْأَحْكَامِ وَاقِعٌ فِي الْقُرْآنِ زَمَنَ الْوَحْيِ لِحُكْمَةٍ، وَهِيَ مِرَاعَاةُ الْمَصَالِحِ وَالْحَوَادِثِ، وَتَبْدِيلُ الْأَحْوَالِ الْبَشَرِيَّةِ.

﴿١٦﴾ ونحن نعلم أن المشركين يقولون: إن محمداً ﷺ إنما يُعلمه القرآن إنساناً، وهم كاذبون في دعواهم، ف لغة من يزعمون أنه يعلمه أعجمية، وهذا القرآن نزل بلسان عربي واضح ذي بلاغة عالية، فكيف يزعمون أنه تلقاه من أعجمي؟! ﴿١٧﴾

﴿١٧﴾ إن الذين لا يؤمنون بآيات الله أنها من عنده سبحانه لا يوفقه الله للهداية ما داموا مُصِرِّين على ذلك، ولهم عذاب موجه بسبب ما هم فيه من الكفر بالله، والتكذيب بآياته.

﴿١٨﴾ ليس محمد ﷺ كاذباً فيما جاء به من ربه، إنما يختلق الكذب الذين لا يصدقون بآيات الله، لأنهم لا يخافون عذاباً، ولا يرجون ثواباً، وأولئك المتصفون بالكفر هم الكاذبون؛ لأن الكذب عادتهم التي اعتادوا عليها.

﴿١٩﴾ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان موقن بحقيقتها، لكن من كان منفسح الصدر بالكفر فاختره على الإيمان وتكلم به طائفاً فهو مرتد عن الإسلام فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم.

﴿٢٠﴾ ذلك الارتداد عن الإسلام بسبب أنهم آثروا ما ينالونه من حطام الدنيا مكافأة لكفرهم على الآخرة، وأن الله لا يوفق القوم الكافرين إلى الإيمان، بل يخذلهم.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ وَ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعُوهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٢١﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿٢١﴾ أولئك المتصفون بالردة بعد الإيمان الذين ختم الله على قلوبهم فلا يفهمون المواعظ، وعلى أسماعهم فلا يسمعونها سماعاً يُتَنَفَّعُ به، وعلى أبصارهم فلا يبصرون الآيات الدالة على الإيمان، وأولئك هم الغافلون عن أسباب السعادة والشقاء، وعما أعد الله لهم من العذاب.

﴿٢٢﴾ حقاً إنهم يوم القيامة هم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم بسبب كفرهم بعد إيمانهم الذي لو تمسكوا به لدخلوا الجنة.

﴿٢٣﴾ ثم إن ربك - أيها الرسول - لغفور ورحيم بالمستضعفين من المؤمنين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة بعدما عذبهم المشركون وامتحنوهم في دينهم حتى نطقوا بكلمة الكفر وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، ثم جاهدوا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وصبروا على مشاقه، إن ربك من بعد تلك الفتن التي فتنوا بها، والتعذيب الذي عذبوا به حتى نطقوا بكلمة الكفر؛ لغفور لهم، رحيم بهم؛ لأنهم ما نطقوا بكلمة الكفر إلا مُكْرَهِينَ.

• مِنْ قَوْلِهَا آيَاتٍ،

- الترخيص للمُسْتَكْرَه بالنطق بالكفر ظاهراً مع اطمئنان القلب بالإيمان.
- المرتدون استوجبوا غضب الله وعذابه؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، وحرّموا من هداية الله، وطبع الله على قلوبهم وسمّعهم وأبصارهم، وجعلوا من الغافلين عما يراهم من العذاب الشديد يوم القيامة.
- كَتَبَ اللهُ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَهَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا، وَصَبَرُوا عَلَى الْجِهَادِ.

﴿١٣٦﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٣٧﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٣٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٣٩﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْهِكُمْ الْفَيْسُ وَاللِّمَيمَةَ وَالَّذِمَّ وَالْخَنزِيرَ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَن أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فِاتَ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١٤٢﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤٣﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٤٤﴾

٢٨٠

﴿١٣٦﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يأتي كل إنسان يُحاج عن نفسه، لا يُحاج عن غيرها لعظم الموقف، وتُوَفَّى كل نفس جزاء ما عملت من خير وشر، وهم لا يظلمون بنقص حسنتهم، ولا بزيادة سيئاتهم.

﴿١٣٧﴾ وضرب الله مثلاً قرية - وهي مكة - كانت آمنة لا يخاف أهلها، مستقرة والناس من حولها يُتَحَفُّفُونَ، يجيئها رزقها هنيئاً سهلاً من كل مكان، فكفر أهلها بما أنعم الله عليهم من النعم ولم يشكروه، فجازاهم الله بالجوع والخوف الشديد الظاهر على أجسامهم فزعاً وهزاً، حتى صاروا كاللباس لهم بسبب ما كانوا يعملون من الكفر والتكذيب.

﴿١٣٨﴾ ولقد جاء أهل مكة رسول منهم يعرفونه بالأمانة والصدق، وهو محمد ﷺ، فكذبوه فيما أنزله عليه ربه، فنزل بهم عذاب الله بالجوع والخوف، وهم ظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك حين أشركوا بالله، وكذبوا رسوله.

﴿١٣٩﴾ فكلوا - أيها العباد - مما رزقكم الله سبحانه ما كان حلالاً من جنس ما يُسْتَطَابُ أكله، واشكروا نعمة الله التي أنعم بها عليكم بالإقرار بهذه النعم لله وصرافها في مرضاته، إن كنتم تعبدونه وحده ولا تشركون به.

﴿١٤٠﴾ حَرَّمَ الله عليكم من المأكولات ما

مات دون ذكاة مما يُدَكَّى، والدم المسفوح، والخنزير بجميع أجزائه، وما ذبحه ذابحه قرباناً لغير الله، وهذا التحريم إنما هو في حالة الاختيار، فمن ألجأته الضرورة إلى أكل المذكورات، فأكل منها غير راغب في المحرم لذاته، ولا متجاوز لحد الحاجة؛ فلا إثم عليه، فإن الله غفور، يغفر له ما أكل، رحيم به حين أباح له ذلك عند الضرورة.

﴿١٤١﴾ ولا تقولوا - أيها المشركون - لما تصفه ألسنتكم من الكذب على الله: هذا الشيء حلال، وهذا الشيء حرام؛ بقصد أن تخلقوا على الله الكذب بتحريم ما لم يحرم، أو تحليل ما لم يحلل، إن الذين يخلقون على الله الكذب لا يفوزون بمطلوب، ولا ينجون من مرهوب.

﴿١٤٢﴾ لهم متاع قليل حقير باتباعهم أهواءهم في الدنيا، ولهم يوم القيامة عذاب موحع. ولما ذكر الله ما حرمه من المأكولات على هذه الأمة ذكر ما حرمه على اليهود فقال:

﴿١٤٣﴾ وعلى اليهود خاصة حرماً ما قصصناه عليك (كما في الآية ١٤٦) من سورة الأنعام)، وما ظلمناهم بتحريم ذلك، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حين ارتكبوا أسباب العقاب، فجزيناهاهم ببغيهم، فحرماً عليهم ذلك عقوبة لهم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الجزء من جنس العمل؛ فإن أهل القرية لما بطروا النعمة بُدِّلُوا بتقيضها، وهو مَحْطُّهَا وَسَلْبُهَا، ووقعوا في شدة الجوع بعد الشبع، وفي الخوف والهلوع بعد الأمن والاطمئنان، وفي قلة موارد العيش بعد الكفاية.
- وجوب الإيمان بالله وبالرسل، وعبادة الله وحده، وشكره على نعمه وآلائه الكثيرة، وأن العذاب الإلهي لاحق بكل من كفر بالله وعصاه، وجحد نعمة الله عليه.
- الله تعالى لم يحرم علينا إلا الخباثات تفضلاً منه، وصيانة عن كل مُسْتَقْدَر.

﴿١٦١﴾ ثم إن ربك - أيها الرسول - للذين عملوا السيئات جهلاً بعاقبتها وإن كانوا متعمدين، ثم تابوا إلى الله بعد ما عملوا من سيئات، وأصلحو أعمالهم التي فيها فساد، إن ربك من بعد التوبة لغفور لذنبهم، رحيم بهم. ولما كان المشركون يزعمون أنهم على ملة إبراهيم رد الله عليهم دعواهم، فقال:

﴿١٦٢﴾ إن إبراهيم عليه السلام كان جامعاً لخصال الخير، مديماً لطاعة ربه، مائلاً عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ولم يكن من المشركين قط. وكان شاكراً لنعم الله التي أنعم بها عليه، اختاره الله للنبوة، وهداه إلى دين الإسلام القويم.

﴿١٦٣﴾ وأعطيناه في الدنيا النبوة والثناء الحسن والولد الصالح، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين أعد الله لهم الدرجات العلى من الجنة.

﴿١٦٤﴾ ثم أوحينا إليك - أيها الرسول - أن اتبع ملة إبراهيم في التوحيد والبراءة من المشركين والدعوة إلى الله والعمل بشريعته، مائلاً عن جميع الأديان إلى دين الإسلام، وما كان من المشركين قط كما يزعم المشركون، بل كان موحداً لله.

﴿١٦٥﴾ إنما جعل تعظيم السبت فرضاً على اليهود الذين اختلفوا فيه؛ ليتفرغوا فيه من مشاغلهم للعبادة بعد

أن ضلوا عن يوم الجمعة الذي أمروا بالتفرغ فيه، وإن ربك - أيها الرسول - ليحكم بين هؤلاء المختلفين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، فيجازي كلًا بما يستحق.

﴿١٦٦﴾ ادع - أيها الرسول - إلى دين الإسلام أنت ومن اتبعك من المؤمنين بما تقتضيه حال المدعو وفهمه وانقياده، وبالنصح المشتمل على الترغيب والترهيب، وجادلهم بالطريقة التي هي أحسن قولاً وفكراً وتهدياً، فليس عليك هداية الناس، وإنما عليك إبلاغهم، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن دين الإسلام، وهو أعلم بالمهتدين إليه، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

﴿١٦٧﴾ وإن أردتم معاقبة عدوكم فعاقبوه بمثل ما فعل بكم دون زيادة، ولئن صيرتم عن معاقبتكم له عند القدرة عليه فإن ذلك خير للصابرين منكم من الانتصاف بمعاقبتهم.

﴿١٦٨﴾ واصبر - أيها الرسول - على ما يصيبك من أذاهم، وما توفيقك للصبر إلا بتوفيق الله لك، ولا تحزن لإعراض الكفار عنك، ولا يضق صدرك بسبب ما يقومون به من مكر وكيد.

﴿١٦٩﴾ إن الله مع الذين اتقوه بترك المعاصي، والذين هم محسنون بأداء الطاعات، وامثال ما أمروا به، فهو معهم بالنصر والتأييد.

﴿١٧٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • اقتضت رحمة الله أن يقبل توبة عباده الذين يعملون السوء من الكفر والمعاصي، ثم يتوبون ويصلحون أعمالهم، فيغفر الله لهم. • يحسن بالمسلم أن يتخذ إبراهيم عليه السلام قدوة له. • على الدعاة إلى دين الله اتباع هذه الطرق الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن. • العقاب يكون بالمثل دون زيادة، فالمظلوم منهي عن الزيادة في عقوبة الظالم.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦١﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٢﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦٣﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٦٤﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٥﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٦﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٦٧﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٦٨﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٦٩﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٧٠﴾

﴿١٧٠﴾ ادع - أيها الرسول - إلى دين الإسلام أنت ومن اتبعك من المؤمنين بما تقتضيه حال المدعو وفهمه وانقياده، وبالنصح المشتمل على الترغيب والترهيب، وجادلهم بالطريقة التي هي أحسن قولاً وفكراً وتهدياً، فليس عليك هداية الناس، وإنما عليك إبلاغهم، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن دين الإسلام، وهو أعلم بالمهتدين إليه، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

﴿١٧١﴾ وإن أردتم معاقبة عدوكم فعاقبوه بمثل ما فعل بكم دون زيادة، ولئن صيرتم عن معاقبتكم له عند القدرة عليه فإن ذلك خير للصابرين منكم من الانتصاف بمعاقبتهم.

﴿١٧٢﴾ واصبر - أيها الرسول - على ما يصيبك من أذاهم، وما توفيقك للصبر إلا بتوفيق الله لك، ولا تحزن لإعراض الكفار عنك، ولا يضق صدرك بسبب ما يقومون به من مكر وكيد.

﴿١٧٣﴾ إن الله مع الذين اتقوه بترك المعاصي، والذين هم محسنون بأداء الطاعات، وامثال ما أمروا به، فهو معهم بالنصر والتأييد.

﴿١٧٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • اقتضت رحمة الله أن يقبل توبة عباده الذين يعملون السوء من الكفر والمعاصي، ثم يتوبون ويصلحون أعمالهم، فيغفر الله لهم. • يحسن بالمسلم أن يتخذ إبراهيم عليه السلام قدوة له. • على الدعاة إلى دين الله اتباع هذه الطرق الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن. • العقاب يكون بالمثل دون

زيادة، فالمظلوم منهي عن الزيادة في عقوبة الظالم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ وَمِنَ آيَاتِنَا أَنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوكُمْ جَبَرًا ﴿٤﴾ فَاذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا
بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّأُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ
الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُمْ أَلْقَيْنَا
عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا
﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَهُمْ أَحْسَنُكُمْ لَآنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا
جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَقُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

٢٨٢

● مِن مَّقَاصِدِ السُّورَةِ:
بيان كمال الرسالة المحمدية، وفيها
إشارات وبشارات للرسالة مضمونها
ومستقبلها.

● التَّشْبِيرُ:
﴿١﴾ تنزه الله سبحانه وتعظم؛ لقدرته
على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فهو
الذي سَير عبده محمدًا ﷺ روحًا
وجسدًا يقظة بجزء من الليل من
المسجد الحرام إلى مسجد بيت
المقدس الذي باركنا حوله بالشمار
والزروع وبمنازل الأنبياء ﷺ؛ ليرى
بعض آياتنا الدالة على قدرة الله
سبحانه، إنه هو السميع فلا يخفى عليه
مسموع، البصير فلا يخفى عليه
مُبْصِر.

﴿٢﴾ وأعطينا موسى ﷺ التوراة
وجعلناها هادية ومرشدة لبني إسرائيل،
وقلنا لبني إسرائيل: لا تتخذوا من
دوني وكيلًا تفوضون إليه أموركم، بل
توكلوا عليّ وحدي.

﴿٣﴾ أنتم من نسل من أنعمنا عليهم
بالنجاة مع نوح ﷺ من الغرق في
الطوفان، فتذكروا هذه النعمة،
واشكروا الله تعالى بعبادته وحده
وطاعته، واقتدوا في ذلك بنوح، فإنه
كان كثير الشكر لله تعالى.

﴿٤﴾ وأخبرنا بني إسرائيل وأعلمناهم في التوراة أنه لا بد أن يقع منهم فساد في الأرض بفعل المعاصي والبطر
مرتين، وَلَيَسْتَعْلُنَّ عَلَى النَّاسِ بِالْظُلْمِ وَالْبَغْيِ متجاوزين الحد في الاستعلاء عليهم.

﴿٥﴾ فإذا حصل منهم الإفساد الأول سَلَطْنَا عَلَيْهِمْ عِبَادًا لَّنَا أصحاب قوة وبطش عظيم يقتلونهم ويشردونهم، فجألوا
بين ديارهم يفسدون ما مروا عليه، وكان وعد الله بذلك واقعًا لا محالة.

﴿٦﴾ ثم أعدنا لكم - يا بني إسرائيل - الدولة والغلبة على من سَلَطُوا عَلَيْكُمْ عندما تبتم إلى الله، وأمددناكم بأموال
بعد نهبها، وأولاد بعد سبيهم، وصيرناكم أكثر جمعًا من أعدائكم.

﴿٧﴾ إن أحسنتم - يا بني إسرائيل - أعمالكم، وجئتم بها على الوجه المطلوب، فجزاء ذلك عائد لكم، فالله غني
عن أعمالكم، وإن أسأتم أفعالكم فعاقبة ذلك عليكم، فالله لا ينفعه إحسان أفعالكم، ولا تضره إساءتها، فإذا
حصل الإفساد الثاني سَلَطْنَا عَلَيْكُمْ أَعْدَاءَكُمْ لِيَخْزَوْكُمْ، ويجعلوا المساء ظاهرة على وجوهكم، لما يذيقونكم من
صنوف الهوان، وليدخلوا بيت المقدس ويخربوه كما دخلوه وخربوه المرة الأولى، وليدمروا ما غلبوا عليه من
البلاد تدميرًا كاملاً.

● مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- في قوله: ﴿الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾: إشارة لدخوله في حكم الإسلام؛ لأن المسجد موطن عبادة المسلمين.
- بيان فضيلة الشكر، والاعتداء بالشاركين من الأنبياء والمرسلين.
- من حكمة الله وسُنَّتِهِ أن يعيث على المفسدين من يمنهم من الفساد؛ لتحقيق حكمة الله في الإصلاح.
- التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي؛ لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فَسَنَةُ الله واحدة لا تبدل ولا تتحول.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَنَاءَ آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
الْيَمِينِ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
إِنْسَانٍ أَرْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَفَرَأَيْتَ لَكَ كُفًىٰ بِنَفْسِكَ أَيُّومٍ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مِّنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِىٰ لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فَنَدِمْنَاهَا نَدِيمًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ
مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

٢٨٣

﴿٨﴾ عسى ربكم - يا بني إسرائيل - أن يرحمكم بعد هذا الانتقام الشديد إن تبتم إليه، وأحسنتم أعمالكم، وإن رجعتم إلى الإفساد مرة ثالثة أو أكثر رجعنا إلى الانتقام منكم، وصيّرنا جهنم للكافرين بالله فراشًا ومهادًا لا يتخلون عنه.

﴿٩﴾ إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ يدل على أحسن السبل وهي سبيل الإسلام، ويخبر المؤمنين بالله الذين يعملون الأعمال الصالحات بما يسرهم، وهو أن لهم ثوابًا عظيمًا من الله.

﴿١٠﴾ ويخبر الذين لا يؤمنون بيوم القيامة بما يسوؤهم، وهو أننا أعدنا لهم يوم القيامة عذابًا موجعًا.

﴿١١﴾ ويدعو الإنسان لجهله على نفسه وولده وماله عند الغضب بالشروع، مثل دعائه لنفسه بالخير، فلو استجبنا دعاءه بالشّر لهلك، وهلك ماله وولده، وكان الإنسان مجبولًا على العجلة؛ ولذا فإنه قد يتعجل ما يضره.

﴿١٢﴾ وخلقنا الليل والنهار علامتين دالتين على وحدانية الله وقدرته؛ لما فيها من الاختلاف في الطول والقصر والحرارة والبرودة، فجعلنا الليل مظلمًا للراحة والنوم، وجعلنا النهار مضيئًا يبصر فيه الناس فيسعون لمعاشهم، رجاء أن تعلموا بتعاقبهما عدد السنين، وما تحتاجون إليه من

حساب أوقات الشهور والأيام والساعات، وكل شيء بيّناه تبيينًا لتمييز الأشياء، ويتضح المَحَقُّ من المُبْطَل.

﴿١٣﴾ وكل إنسان جعلنا عمله الصادر عنه ملازمًا له ملازمة القلادة للعنق، لا يفصل عنه حتى يُحَاسَبَ عليه، ونخرج له يوم القيامة كتابًا فيه جميع ما عمل من خير وشر يجده أمامه مفتوحًا مبسوطًا.

﴿١٤﴾ ونقول له يومئذ: اقرأ - أيها الإنسان - كتابك، وتولّ حساب نفسك على أعمالك، كفى بنفسك يوم القيامة محاسبًا لك.

﴿١٥﴾ من اهتدى إلى الإيمان فتواب هدايته له، ومن ضل فعقاب ضلاله عليه، ولا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى، وما كنا معذبين قومًا حتى نقيم عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم.

﴿١٦﴾ وإذا أردنا إهلاك قرية لظلمها أمرنا من أبطرتهم النعمة بالطاعة فلم يمتثلوا، بل عصوا وخرجوا عن الطاعة، فَحَقَّ عليهم القول بالعذاب المُسْتَأْصَل، فأهلكناهم هلاك استئصال.

﴿١٧﴾ وما أكثر الأمم المكذبة التي أهلكناها من بعد نوح مثل عاد وثمود! وكفى بربك - أيها الرسول - بذنوب عباده خبيرًا بصيرًا، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ. • من اهتدى بهدي القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره. • التحذير من الدعوة على النفس والأولاد بالشّر. • اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقص وتعاقبهما، وضوء النهار وظلمة الليل، كل ذلك دليل على وحدانية الله ووجوده وكمال علمه وقدرته. • تقرر الآيات مبدأ المسؤولية الشخصية، عدلًا من الله ورحمة بعباده.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدِّهُ هُوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُومًا ﴿٢٢﴾ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَاَهُ وَيَا لَوْلَايَيْنِ أَحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنْ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

٢٨٤

﴿١٨﴾ من كان يقصد بأعمال البر الحياة الدنيا، ولا يؤمن بالآخرة، ولا يُلقِي لها بالاً، عَجَلْنَا له فيها ما نشاءه نحن لا ما يشاءه هو من نعيم، ثم جعلنا له جهنم يدخلها يوم القيامة يعاني حرها، مذمومًا على اختياره الدنيا وكفره بالآخرة، مطرودًا من رحمة الله.

﴿١٩﴾ ومن قصد ثواب الآخرة بأعمال البر، وسعى لها سعيها الخالي من الرياء والسמعة، وهو مؤمن بما أوجب الله الإيمان به، فأولئك المتصفون بتلك الصفات كان سعيهم مقبولًا عند الله، وسيجازيهم عليه.

﴿٢٠﴾ نزيذٌ كلاً من هذين الفريقين الفاجر والبر، من عطاء ربك - أيها الرسول - دون انقطاع، وما كان عطاء ربك في الدنيا ممنوعاً عن أحد، بَرًّا كان أو فاجرًا.

﴿٢١﴾ تأمل - أيها الرسول - كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا في الرزق والمراتب، وللآخرة أعظم تفاوتاً في درجات النعيم من الحياة الدنيا، وأعظم تفضيلاً، فليحرص المؤمن عليها.

﴿٢٢﴾ لا تجعل - أيها العبد - مع الله معبوداً آخر تعبده، فتصير مذمومًا عند الله، وعند عباده الصالحين لا حامد لك، مخذولاً منه لا ناصر لك.

﴿٢٣﴾ وأمر ربك - أيها العبد - وأوجب ألا يُعبد غيره، وأمر بالإحسان إلى

الوالدين خاصة عند بلوغ الكبر، فإن بلغ أحد الوالدين الكبر أو بلغه كلاهما عندك، فلا تتضرع منهما بالتفوه بما يدل على ذلك، ولا تزجرهما ولا تغلظ عليهما في القول، وقل لهما قولاً كريماً فيه لين ولطف.

﴿٢٤﴾ وتواضع لهما ذلاً ورحمة بهما، وقل: يا رب، ارحمهما رحمة لأجل تربيتهما إياي في صغري. ﴿٢٥﴾ أيها الناس - أعلم بما في ضمائركم من الإخلاص له في العبادة وأعمال الخير، والبر بالوالدين، فإن كانت نياتكم في عبادتكم ومعاملتكم لوالديكم وغيرهما صالحة فإنه سبحانه كان للرجاعين إليه بالتوبة غفوراً، فمن تاب من تقصيره السابق في طاعته لربه أو لوالديه غفر الله له.

﴿٢٦﴾ وأعط - أيها المؤمن - القريب حقه من صلة رحمه، وأعط الفقير المحتاج، وأعط المنقطع في سفره، ولا تنفق مالك في معصية، أو على وجه الإسراف.

﴿٢٧﴾ إن المنفقين أموالهم في المعاصي، والمسرفين في الإنفاق كانوا إخوان الشياطين، يطعونهم فيما يأمرونهم به من التبذير والإسراف، وكان الشيطان لربه كفوراً، فلا يعمل إلا بما فيه معصية، ولا يأمر إلا بما يسخط ربه.

﴿٢٨﴾ بين قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه؛ ليثاب على ذلك.
- أن النعم في الدنيا لا ينبغي أن يُستدل بها على رضا الله تعالى؛ لأن الدنيا قد تحصل مع أن عاقبتها المصير إلى عذاب الله.
- الإحسان إلى الوالدين فرض لازم واجب. وقد قرن الله شكرهما بشكركه لعظيم فضلهما.
- يحرم الإسلام التبذير، والتبذير إنفاق المال في غير حقه.

﴿١٨﴾ وإن امتنعت عن إعطاء هؤلاء؛ لعدم وجود ما تعطيتهم إياه منتظرًا ما يفتح الله به عليك من رزق، فقل لهم قولاً ليناً سهلاً، مثل أن تدعو لهم بسعة الرزق، أو تعدهم بالعطاء إن رزقك الله مالا.

﴿١٩﴾ ولا تمسك يدك عن الإنفاق، ولا تسرف في الإنفاق، فتصير ملوماً يلومك الناس على بخلك إن أمسكت يدك عن الإنفاق، منقطعاً عن الإنفاق لإسرافك، فلم تجد ما تنفقه.

﴿٢٠﴾ إن ربك يوسع الرزق على من يشاء، ويضيقه على من يشاء لحكمة بالغة، إنه كان بعباده خبيراً بصيراً، لا يخفى عليه منهم شيء، فيصرف أمره فيهم بما يشاء.

﴿٢١﴾ ولا تقتلوا أولادكم خوفاً من الفقر مستقبلاً إذا أنفقت عليهم، نحن نتكفل برزقهم، ونتكفل برزقكم أنتم، إن قتلهم كان إثماً كبيراً؛ إذ لا ذنب لهم ولا سبب يستوجب قتلهم.

﴿٢٢﴾ واحذروا الزنى، وتجنبوا ما يشجع عليه، إنه كان متناهياً في القبح، وساء طريقاً لما يؤديه من اختلاط الأنساب، ومن عذاب الله.

﴿٢٣﴾ ولا تقتلوا النفس التي عصم الله دمه بإيمان أو بأمان إلا إن استحققت القتل بردة، أو بزنى بعد إحصان، أو بقصاص، ومن قُتل مظلوماً دون سبب يبيح قتله فقد جعلنا لمن يلي أمره من

ورثته تسلطاً على قاتله، فله أن يطالب بقتله قصاصاً، وله العفو دون مقابل، وله العفو وأخذ الدية، فلا يتجاوز الحد الذي أباحه الله له بالتمثيل بالقاتل، أو بقتله بغير ما قتل به، أو بقتل غير القاتل، إنه كان مؤثماً معاناً.

﴿٢٤﴾ ولا تصرفوا في مال من مات والده من الأبطال إلا بما هو أصلح له من تنميته وحفظه حتى يبلغ كمال عقله ورشده، وأوفوا بما بينكم وبين الله، وبما بينكم وبين عباده من عهد دون نقض أو نقص، إن الله يسأل معطي العهد يوم القيامة: هل وفى به في شيء أو لم يف به فيعاقبه.

﴿٢٥﴾ وأتموا الكيل إذا كلتم لغيركم ولا تخسروا، وزنوا بالميزان العدل الذي لا ينقص شيئاً ولا يبخسه، ذلك الإيفاء للكيل والوزن خير لكم في الدنيا والآخرة، وأحسن عاقبة من التطفيف بنقص المكييل والموازين.

﴿٢٦﴾ ولا تتبع - يا ابن آدم - ما لا علم لك به، ف تتبع الظنون والحدس، إن الإنسان مسؤول عما استخدم فيه سمعه وبصره وفؤاده من خير أو شر، فيثاب على الخير، ويعاقب على الشر.

﴿٢٧﴾ ولا تمش في الأرض تكبراً واختيالاً، إنك إن تمش فيها متعاليًا لن تقطع الأرض بمشيئك، ولن تصل قامتك إلى ما وصلت إليه الجبال طولاً وارتفاعاً، فعلام التكبر إذن؟

﴿٢٨﴾ كل ما سبق ذكره كان السيئ منه عند ربك - أيها الإنسان - ممنوعاً، لا يرضى الله عن مرتكبه، بل يبيغضه.

وَأَمَّا نَعُزِّضَنَّهُمْ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَنْتَحِنُوا نَزْفُوهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ خِطَاءً كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ الَّذِي آتَيْنَاهُ كَانَتْ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ لَهُ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزِنًا بِالْقِسْطِ أَسِ الْمُسْتَقِيرَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

ورثته تسلطاً على قاتله، فله أن يطالب بقتله قصاصاً، وله العفو دون مقابل، وله العفو وأخذ الدية، فلا يتجاوز الحد الذي أباحه الله له بالتمثيل بالقاتل، أو بقتله بغير ما قتل به، أو بقتل غير القاتل، إنه كان مؤثماً معاناً.

﴿٢٤﴾ ولا تصرفوا في مال من مات والده من الأبطال إلا بما هو أصلح له من تنميته وحفظه حتى يبلغ كمال عقله ورشده، وأوفوا بما بينكم وبين الله، وبما بينكم وبين عباده من عهد دون نقض أو نقص، إن الله يسأل معطي العهد يوم القيامة: هل وفى به في شيء أو لم يف به فيعاقبه.

﴿٢٥﴾ وأتموا الكيل إذا كلتم لغيركم ولا تخسروا، وزنوا بالميزان العدل الذي لا ينقص شيئاً ولا يبخسه، ذلك الإيفاء للكيل والوزن خير لكم في الدنيا والآخرة، وأحسن عاقبة من التطفيف بنقص المكييل والموازين.

﴿٢٦﴾ ولا تتبع - يا ابن آدم - ما لا علم لك به، ف تتبع الظنون والحدس، إن الإنسان مسؤول عما استخدم فيه سمعه وبصره وفؤاده من خير أو شر، فيثاب على الخير، ويعاقب على الشر.

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ فَتُنْقِلَ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٢٨﴾ أَفَأَصْفِدُكُمْ رَبُّكُمْ
 بِالْبَنِينِ وَالتَّخَذِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنشَاءً أَنْتُمْ تَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٣٠﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا ابْتِغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا
 ﴿٣١﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٣٢﴾ سُبْحَٰنَ لَهُ السَّمَوَاتُ
 السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
 لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٣٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ
 الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِلَاخِرَةِ حِجَابًا
 مَّسُورًا ﴿٣٤﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ
 وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَوَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٣٥﴾
 نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ
 إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٣٦﴾ أَنْظِرْ
 كَيْفَ صَرُّوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٣٧﴾
 وَقَالُوا آءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا آءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٣٨﴾

﴿٢٨﴾ ذلك الذي وضعناه من الأوامر والنواهي والأحكام مما أوحاه إليك ربك، ولا تتخذ - أيها الإنسان - مع الله معبودًا آخر، فتُرمى في جهنم يوم القيامة ملومًا تلومك نفسك وتلومك الناس، مطرودًا عن كل خير.

﴿٢٩﴾ يا من تدعون أن الملائكة بنات الله، أفاختصكم ربكم - أيها المشركون - بالذكر من الأولاد، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟ تعالى الله عما تقولون، إنكم لتقولون على الله سبحانه قولًا بالغ القبح حيث تنسبون له الولد، وتزعمون أن له البنات إمعانًا في الكفر به.

﴿٣٠﴾ ولقد أوضحنا في هذا القرآن الأحكام والمواعظ والأمثال ليتعظ بها الناس، فيسلوكوا ما ينفعهم، ويتركوا ما يضرهم، والحال أن بعضهم ممن انتكست فطرتهم لم يزد بذلك إلا بعدًا عن الحق وكرهية له.

﴿٣١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لو كان مع الله تعالى معبودات كما يقولون افتراء وكذبًا إذن لطلبت تلك المعبودات المزعومة إلى الله ذي العرش طريقًا لتغالبه على ملكه وتنازعه فيه.

﴿٣٢﴾ تنزه الله سبحانه وتقدس عما يصفه به المشركون، وتعالى عما يقولونه علوًّا كبيرًا.

﴿٣٣﴾ تسبح لله السماوات، وتسبح الله الأرض، ويسبح لله من في السماوات

والأرض من المخلوقات، وما من شيء إلا ينزهه قارئًا تنزيهه إياه بالثناء، ولكن لا تفهمون كيفية تسبيحهم، فأنتم لا تفهمون إلا تسبيح من يسبح بلسانكم، إنه تعالى كان حليمًا لا يعاجل بالعقوبة، غفورًا لمن تاب إليه.

﴿٣٤﴾ وإذا قرأت - أيها الرسول - القرآن فسمعوا ما فيه من الزواجر والمواعظ جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بيوم القيامة حجابًا ساترًا يمنعهم من فهم القرآن عقابًا لهم على إعراضهم.

﴿٣٥﴾ وصيرنا على قلوبهم أغطية حتى لا يفهموا القرآن، وصيرنا في آذانهم ثقلًا حتى لا يسمعه سماع انتفاع، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده، ولم تذكر آلهتهم المزعومة رجعوا على أعقابهم متابعين عن إخلاص التوحيد لله.

﴿٣٦﴾ نحن أعلم بطريقة استماع رؤسائهم للقرآن، فهم لا يريدون الاهتداء به، بل يريدون الاستخفاف واللغو عند قراءتك، ونحن أعلم بما يتناجون به من التكذيب والصد عنه، حين يقول هؤلاء الظالمون لأنفسهم بالكفر: لا تبصرون - أيها الناس - إلا رجلاً مسحورًا اختلط عقله.

﴿٣٧﴾ تأمل - أيها الرسول - لتعجب مما وصفوك به من صفات مذمومة مختلفة، فانهرفوا عن الحق، وحاروا فلم يهتدوا إلى طريق الحق.

﴿٣٨﴾ وقال المشركون إنكارًا للبعث: أإذا متنا وصرنا عظامًا، وبليت أجسامنا، أنبعثبعثًا جديدًا؟ إن هذا لمستحيل.

• من قوائد الآيات، • الزعم بأن الملائكة بنات الله افتراء كبير، وقول عظيم الإثم عند الله ﷻ. • أكثر الناس لا تزيدهم آيات الله إلا نفورًا؛ لبغضهم للحق ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل. • ما من مخلوق في السماوات والأرض إلا يسبح بحمد الله تعالى فينبغي للعبد ألا تسبقه المخلوقات بالتسبيح. • من حلم الله على عباده أنه لا يعاجلهم بالعقوبة على غفلتهم وسوء صنيعهم، فرحمته سبقت غضبه.

﴿٥١﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٢﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٣﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٤﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٥﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَمِيمًا أَوْ يُنْزِلْ عَلَيْكُمْ غَاسِقًا يُظْلِمُ الْبَلَدَ كُلَّ بَلَدٍ وَكَيْلًا ﴿٥٦﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبورًا ﴿٥٧﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٩﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦٠﴾

﴿٥١﴾ قل لهم - أيها الرسول -: كونوا - أيها المشركون - إن استطعتم حجارة في شدتها، أو كونوا حديدًا في قوته، ولن تستطيعوا ذلك.

﴿٥٢﴾ أو كونوا خلقًا آخر أعظم منهما مما يعظم في صدوركم، فإن الله معيدكم كما بدأكم، ومحبيكم كما خلقكم أول مرة، فسيقول هؤلاء المعاندون: من يعيدنا أحياء بعد موتنا؟ قل لهم: يعيدكم الذي خلقكم أول مرة على غير مثال سابق، فسيحركون رؤوسهم ساخرين من ردك عليهم، ويقولون مستعدين: متى هذه الإعادة؟! قل لهم: لعلها قريبة، فكل ما هو آت قريب.

﴿٥٣﴾ يعيدكم الله يوم يناديكم إلى أرض المحشر، فتستجيبون منقادين لأمره، حامدين إياه، وتظنون أنكم ما مكثتم في الأرض إلا زمانًا قليلًا.

﴿٥٤﴾ وقُل - أيها الرسول - لعبادي المؤمنين بي: يقولوا الكلمة الطيبة عندما يحاورون، ويحتملوا الكلمة السيئة المنقورة؛ لأن الشيطان يستغلها فيسعى بينهم بما يفسد عليهم حياتهم الدنيوية والأخروية، إن الشيطان كان للإنسان عدوًّا واضح العداوة، فعليه أن يحذر منه.

﴿٥٥﴾ ربكم - أيها الناس - أعلم بكم، فلا يخفى عليه منكم شيء، إن يشأ أن يرحمكم رحمكم بأن يوفقكم للإيمان والعمل الصالح، وإن يشأ أن يعذبكم

عذبكم بأن يخذلكم عن الإيمان ويميتكم على الكفر، وما بعثناك - أيها الرسول - عليهم وكيلًا تجبرهم على الإيمان، وتمنعهم من الكفر، وتحصي عليهم أعمالهم، إنما أنت مبلغ عن الله ما أمرك بتبليغه.

﴿٥٦﴾ وربك - أيها الرسول - أعلم بكل من في السماوات والأرض، وأعلم بأحوالهم وبما يستحقون، ولقد فضلنا بعض الأنبياء على بعض بكثرة الأتباع وبإزالة الكتب، وأعطينا داود كتابًا هو الزبور.

﴿٥٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ادعوا - أيها المشركون - الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله إن نزل بكم ضرر، فهم لا يملكون دفع الضر عنكم، ولا يملكون نقله إلى غيركم لعجزهم، ومن كان عاجزًا لا يكون إلهاً.

﴿٥٨﴾ أولئك الذين يدعونهم من الملائكة ونحوهم هم أنفسهم يطلبون ما يقربهم إلى الله من العمل الصالح، ويتنافسون أيهم أقرب إليه بالطاعة، ويرجون أن يرحمهم، ويخافون أن يعذبهم، إن عذاب ربك - أيها الرسول - مما ينبغي أن يحذر.

﴿٥٩﴾ وما من قرية أو مدينة إلا نحن منزلون بها العذاب والهلاك في الحياة الدنيا بسبب كفرها، أو مبتلواها بعقاب قوي بالقتل أو غيره بسبب كفرها، كان ذلك الإهلاك والعذاب قضاءً إلهيًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

﴿٦٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْكِتَابِ.

• القول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح، فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره.

• فاضل الله بين الأنبياء بعضهم على بعض عن علم منه وحكمة.

• الله لا يريد عباده إلا ما هو الخير، ولا يأمرهم إلا بما فيه مصلحتهم.

• علامة محبة الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله، وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله والنصح فيها.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ٥٩ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا
الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ٦٠
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ٦١ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَخِرَّ لَكَ إِلَى يَوْمِ الْفَيْكَةِ لَا خُشْيَ لَكَ
دَرِيتُهُ إِلَّا قَلِيلًا ٦٢ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ٦٣ وَاسْتَغْفِرُ مَنْ أَسْطَظَعْتَ
مِنْهُمْ بَصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُكُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا ٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ٦٥ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِلُ لَكُمْ الْفُلْكَ فِي
الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ وَكَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٦٦

٢٨٨

وما تركنا إنزال العلامات الحسية الدالة على صدق الرسول التي طلبها المشركون كإحياء الموتى ونحوه، إلا لأننا أنزلناها على الأمم الأولى فكذبوا بها، فقد أعطينا ثمود آية عظيمة واضحة، هي الناقة، فكفروا بها فعاجلناهم بالعذاب، وما نبعث بالآيات على أيدي الرسل إلا تخويفاً لأممهم؛ لعلهم يسلمون.

٥٩ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته، والله مانعك منهم، فبلغ ما أمرت بتبليغه، وما جعلنا ما أريناك عياناً ليلة الإسراء إلا امتحاناً للناس، هل يصدقون به، أم يكذبون به؟ وما جعلنا شجرة الزقوم المذكورة في القرآن أنها تنبت في أصل الجحيم إلا ابتلاء لهم، فإذا لم يؤمنوا بهاتين الآيتين فلن يؤمنوا بغيرهما، ونخوفهم بإنزال الآيات فما يزدادون بالتخويف بإنزالها إلا زيادة في الكفر وتماديّاً في الضلال.

٦٠ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية لا سجود عبادة، فامثلوا وسجدوا كلهم له، لكن إبليس أبى تكبراً أن يسجد له قائلاً: أأسجد لمن خلقته من الطين، وأنا خلقتني من النار؟! فأنا أشرف منه.

٦١ قال إبليس لربه: رأيت هذا

المخلوق الذي كرّمته عليّ بأمرك لي بالسجود له؟ لئن أبقيتني حيّاً إلى آخر الحياة الدنيا لأستميلن أولاده ولأغوينهم عن صراطك المستقيم إلا قليلاً ممن عصمت منهم، وهم عبادك المخلصون.

٦٢ قال له ربه: اذهب أنت ومن أطاعك منهم، فإن جهنم هي جزاؤك وجزاؤهم جزاء كاملاً موفراً على أعمالكم. واستخفّف من استطعت أن تستخفّه منهم بصوتك الداعي إلى المعصية، وصيخ عليهم بفرسانك ومشاتك الداعين لطاعتك، وشاركهم في أموالهم بتزيين كل تصرف يخالف الشرع، وشاركهم في أولادهم بادعائهم كذباً، وتحصيلهم بالنزني، وتعبيدهم لغير الله عند التسمية، وزين لهم الوعود الكاذبة والأمانى الباطلة، وما يعدهم الشيطان إلا الوعود الكاذبة التي تخدعهم.

٦٣ إن عبادي المؤمنين العاملين بطاعتي ليس لك - يا إبليس - عليهم تسلّط؛ لأن الله يدفع عنهم شركك، وكفى باله وكيلاً لمن اعتمد عليه في أموره.

٦٤ ربكم - أيها الناس - هو الذي يسيّر لكم السفن في البحر رجاء أن تطلبوا رزقاً بأرباح التجارة وغيرها، إنه كان بكم رحيماً حيث يسيّر لكم هذه الوسائل.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

- من رحمة الله بالناس عدم إنزاله الآيات التي يطلبها المكذبون حتى لا يعاجلهم بالعقاب إذا كذبوا بها.
- ابتلى الله العباد بالشيطان الداعي لهم إلى معصية الله بأقواله وأفعاله.
- من صور مشاركة الشيطان للإنسان في الأموال والأولاد: ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وعدم تأديب الأولاد.

(٧) وإذا أصابكم - أيها المشركون - بلاء ومكروه في البحر حتى خشيتم الهلاك غاب عن خاطركم ما كنتم تعبدون من دون الله، ولم تذكروا إلا الله فاستغثتم به، فلما أغاثكم وسلمكم مما تخافونه، وصرتم في البر أعرضتم عن توحيد ودعائه وحده، ورجعتم إلى أصنامكم، وكان الإنسان جحوداً لنعم الله.

(٨) أفأمنتُم - أيها المشركون - حين نجاكم إلى البر أن يجعله الله ينهار بكم؟ أو أمنتُم أن ينزل عليكم حجارة من السماء تمطركم مثل ما فعل بقوم لوط، ثم لا تجدوا حافظاً يحفظكم، ولا ناصرًا يمنعكم من الهلاك.

(٩) أم أمنتُم أن يعيدكم الله إلى البحر مرة أخرى، ثم يبعث عليكم ريحاً شديدة، فيغرقكم بسبب كفركم بنعمة الله لما أنجاكم أولاً، ثم لا تجدوا لكم مطالباً يطالبنا بما فعلنا بكم انتصاراً لكم.

(١٠) ولقد كرمنا ذرية آدم بالعقل وإسجاد الملائكة لأبيهم وغير ذلك، وسخرنا لهم ما يحملهم في البر من الدواب والمراكب، وما يحملهم في البحر من السفن، ووزقناهم من طيبات المأكَل والمشارب والمناجح وغيرها، وفضلناهم على كثير من مخلوقاتنا تفضيلاً عظيماً، فعليهم أن يشكروا نعم الله عليهم.

(١١) وأذكر - أيها الرسول - يوم ننادي كل مجموعة بإمامها الذي كانت تقتدي به في الدنيا، فمن أعطي كتاب عمله يمينه فأولئك يقرؤون كتبهم مسرورين، ولا ينقصون من أجورهم شيئاً، وإن بلغ في صغره قدر الخيط الذي في شق النواة.

(١٢) ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى القلب عن قبول الحق والإذعان له، فهو يوم القيامة أشد عمى، فلا يهتدي لطريق الجنة، وأضل طريقاً عن الهداية، والجزاء من جنس العمل.

(١٣) ولقد أوشك المشركون أن يصرفوك - أيها الرسول - عما أوحينا إليك من القرآن؛ لتختلق علينا غيره مما يوافق أهواءهم، ولو فعلت ما أرادوا من ذلك لاصطفوك حبيباً.

(١٤) ولولا أن مننا عليك بالثبوت على الحق لقد أوشكت أن تميل إليهم بعض الميل، فتوافقهم فيما اقترحوه عليك؛ لقوة خداعهم وشدّة احتيالهم مع فرط حرصك على إيمانهم، لكن عصمتك من الميل إليهم.

(١٥) ولو ملت إليهم فيما يقترحون عليك لأصباك بعباد مضاعف في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ثم لا تجد نصيراً يناصرك علينا، ويدفع عنك العذاب.

• مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الإنسان كفور للنعم إلا من هدى الله.
- كل أمة تُدعى إلى دينها وكتابها، هل عملت به أم لا؟ والله لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ومخالفته لها.
- عداوة المجرمين والمكذبين للرسول وورثتهم ظاهرة بسبب الحق الذي يحملونه، وليس لذواتهم.
- الله تعالى عصم النبي من أسباب الشر ومن البشر، فثبته وهداه الصراط المستقيم، ولورثته مثل ذلك على حسب اتباعهم له.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَن يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا الْكَوْكَبَيلَ ﴿٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغَرِّقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا الْكَوْكَبَيلَ عَلَيْهِ تَبِعًا ﴿٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿١٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ وَيَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿١١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَجِدُوا لَكَ خَلِيلًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ لَا أَن تَبَشِّرَكَ لَقَدَكِدْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿١٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿١٥﴾

(١٦) وأذكر - أيها الرسول - يوم ننادي كل مجموعة بإمامها الذي كانت تقتدي به في الدنيا، فمن أعطي كتاب عمله يمينه فأولئك يقرؤون كتبهم مسرورين، ولا ينقصون من أجورهم شيئاً، وإن بلغ في صغره قدر الخيط الذي في شق النواة.

(١٧) ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى القلب عن قبول الحق والإذعان له، فهو يوم القيامة أشد عمى، فلا يهتدي لطريق الجنة، وأضل طريقاً عن الهداية، والجزاء من جنس العمل.

(١٨) ولقد أوشك المشركون أن يصرفوك - أيها الرسول - عما أوحينا إليك من القرآن؛ لتختلق علينا غيره مما يوافق أهواءهم، ولو فعلت ما أرادوا من ذلك لاصطفوك حبيباً.

(١٩) ولولا أن مننا عليك بالثبوت على الحق لقد أوشكت أن تميل إليهم بعض الميل، فتوافقهم فيما اقترحوه عليك؛ لقوة خداعهم وشدّة احتيالهم مع فرط حرصك على إيمانهم، لكن عصمتك من الميل إليهم.

(٢٠) ولو ملت إليهم فيما يقترحون عليك لأصباك بعباد مضاعف في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ثم لا تجد نصيراً يناصرك علينا، ويدفع عنك العذاب.

﴿٧٦﴾ ولقد أوشك الكفار أن يزعجوك بعداوتهم إياك ليخرجوك من مكة، لكن منعهم الله من إخراجك حتى هاجرت بأمر ربك، ولو أخرجوك لم يبقوا بعد إخراجك إلا زمناً يسيراً.

﴿٧٧﴾ ذلك الحكم بعدم بقائهم بعذك إلا زمناً يسيراً سنة الله المطردة في الرسل من قبلك، وهي أن أي رسول أخرجه قومه من بينهم أنزل الله بهم العذاب، ولن تجد - أيها الرسول - لسنة تغييراً، بل ستجدها ثابتة مطردة.

﴿٧٨﴾ أقم الصلاة بالإتيان بها على أتم وجه في أوقاتها من زوال الشمس عن كبد السماء، ويشمل ذلك صلاة الظهر والعصر، إلى ظلمة الليل، وتشمل المغرب والعشاء، وأقم صلاة الفجر وأطل القراءة فيها، فصلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار.

﴿٧٩﴾ ومن الليل فقم - أيها الرسول - وصل بعضاً منه لتكون صلاتك زيادة لك في رفع درجاتك، متحريراً أن يبعثك ربك يوم القيامة شافعاً للناس مما هم فيه من أهوال يوم القيامة، ويكون لك مقام الشفاعة العظمى الذي يحمله الأولون والآخرون.

﴿٨٠﴾ قل - أيها الرسول -: رب، اجعل مداخلني ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، واجعل لي من عندك حجة ظاهرة تنصرني بها على عدوي.

﴿٨١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء

المشركين: جاء الإسلام، وتحقق ما وعد الله به من نصره، وذهب الشرك والكفر، إن الباطل ذاهب مُتَلَاش لا يثبت أمام الحق.

﴿٨٢﴾ ونزل من القرآن ما هو شفاء للقلوب من الجهل والكفر والشك، وما هو شفاء للأبدان إذا رقيت به، وما هو رحمة للمؤمنين العاملين به، ولا يزيد هذا القرآن الكفار إلا هلاكاً؛ لأن سماعه يغيظهم، ويزيدهم تكديراً وإعراضاً عنه.

﴿٨٣﴾ وإذا أنعمنا على الإنسان بنعمة مثل الصحة والغنى أعرض عن شكر الله وطاعته، وتباعد تكبراً، وإذا أصابه مرض أو فقر ونحوهما كان شديد القنوط واليأس من رحمة الله.

﴿٨٤﴾ قل - أيها الرسول -: كل إنسان يعمل على طريقته التي تشابه حاله في الهداية والضلال، فربكم أعلم بمن هو أهدى طريقاً إلى الحق.

﴿٨٥﴾ ويسألك - أيها الرسول - الكفار من أهل الكتاب عن حقيقة الروح، فقل لهم: لا يعلم حقيقة الروح إلا الله، وما أعطيتم أنتم وجميع الخلق من العلم إلا قليلاً في جنب علم الله سبحانه.

﴿٨٦﴾ والله لو شئنا لذهب بالذي أنزلنا إليك - أيها الرسول - من الوحي بمحوه من الصدور والكتب لذهبنا به، ثم لا تجد من ينصرك ويتولى رده.

﴿٨٧﴾ من هَوَإِدِّ الْآيَاتِ. • في الآيات دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له ألا يزال مُتَمَلِّقاً لربه أن يشبته على الإيمان. • عند ظهور الحق يَضْمَحِلُّ الباطل، ولا يعلو الباطل إلا في الأزمنة والأمكنة التي يكسل فيها أهل الحق. • الشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب من الشبهة، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والمقاصد السيئة. • في الآيات دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر ليس في مصلحة السائل فالأولى أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ وَكَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝٨٧ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٨٩ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثَاقًا ۝٩٢ أَوْ تَأْتِي بَالِلًا ۝٩٣ قِيلَ لَا أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُوقِكَ حَتَّىٰ تُنْزِلَ عَلَيْنَا مِثْلَ بَنَاتِ نَعْرُودٍ ۝٩٤ وَقُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٥ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٦ قُلْ لَّوْكَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَحْشُونَ مَطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۝٩٧ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝٩٨

٢٩١

٨٧) لكن لم نذهب به رحمة من ربك، وتركناه محفوظًا، إن فضل ربك كان عليك عظيمًا حيث جعلك رسولًا، وختم بك الأنبياء، وأنزل عليك القرآن.

ولما كان المشركون يندفعون بأن هذا القرآن من جنس ما يقوله البشر، واقترحوا تبديله تحذاهم الله بالإتيان بمثله، فقال:

٨٨) قل - أيها الرسول -: لئن اجتمع الإنس والجن كلهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن المنزل عليك في بلاغته، وحسن نظمه، وجزالاته، لن يأتوا به أبدًا ولو كان بعضهم لبعض معيّنًا ونصيرًا.

٨٩) ولقد بينّا للناس في هذا القرآن، ونوعنا فيه من كل ما يُعتبر به من المواعظ والعبر والأوامر والنواهي والقصص رجاء أن يؤمنوا، فأبى معظم الناس إلا جحودًا وإنكارًا لهذا القرآن. ولما عجزوا بدؤوا يقدمون مقترحات للتعجيز، فاقترحوا ما يلي:

٩٠) وقال المشركون: لن نؤمن بك حتى تُخرج لنا من أرض مكة عينا جارية لا تضرب.

٩١) أو يكون لك بستان كثير الأشجار، فتجري فيه الأنهار بغزارة.

٩٢) أو تُسْقِطَ علينا السماء - كما ذكرت - قطعًا من العذاب، أو تجيء بالله والملائكة عيانًا حتى يشهدوا لك بصحة ما تدعيه.

٩٣) أو يكون لك بيت مُزَخَّرٌ بالذهب وغيره، أو تصعد في السماء، ولن نؤمن بأنك مرسل إن صعدت إليها إلا إذا نزلت بكتاب من عند الله مسطور نقرأ فيه أنك رسول الله. قل لهم - أيها الرسول -: سبحان ربي! هل كنت إلا بشرًا رسولًا كسائر الرسل، لا أملك الإتيان بشيء، فكيف لي أن أجيء بما اقترحتموه؟!

٩٤) وما منع الكفار من الإيمان بالله وبرسوله، والعمل بما جاء به الرسول إلا إنكارهم أن يكون الرسول من جنس البشر، حيث قالوا استنكارًا: أبعث الله إلينا رسولًا من البشر؟!

٩٥) قل - أيها الرسول - ردًا عليهم: لو كان على الأرض ملائكة يسكنونها ويسيرون مطمئنين كما هو حالكم لبعثنا إليهم رسولًا ملكًا من جنسهم؛ لأنه الذي يستطيع أن يُفهمهم ما أُرسِلَ به، فليس من الحكمة أن نرسل إليهم رسولًا من جنس البشر، وكذلك حالكم أنتم.

٩٦) قل - أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم أني رسول إليكم، وأني بلغنكم ما أُرسلت به إليكم، إنه كان بأحوال عبادته محيطًا، لا يخفى عليه منها شيء، بصيرًا بكل خفايا نفوسهم.

٩٧) من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- بين الله للناس في القرآن من كل ما يُعتبر به من المواعظ والعبر والأوامر والنواهي والقصص؛ رجاء أن يؤمنوا.
- القرآن كلام الله وآية النبي الخالدة، ولن يقدر أحد على المجيء بمثله.
- من رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم بشرًا منهم، فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة.
- من شهادة الله لرسوله ما أيده به من الآيات، ونَصْرُهُ على من عاداه وناوَاه.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ
 مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَيُكَمِّمُوا
 وُصْمًا مَّاؤُلَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
 ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ بَأْنَهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا
 وَرُفَاتًا أَعْنَا الْمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
 وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنِ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
 قُلْ لَوِ انْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
 الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ نَاسِعَ
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
 إِنِّي لَا أَظُنُّكَ يَكْفُرُ بِمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ
 هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
 يَفِرْعَوْنُ مُشَبَّهًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ وَجَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ
 اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

٢٩٢

﴿٩٧﴾ ومن يوفقه الله للهداية فهو المهتدي حقًا، ومن يضلّه عنها ويضلّه فلن تجد - أيها الرسول - لهم أولياء يهدونهم إلى الحق، ويدفعون عنهم الضرر، ويجلبون لهم النفع، ونحشرهم يوم القيامة يُشْحَبُونَ على وجوههم لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون، منزلهم الذي يأوون إليه جهنم، كلما سكن ليهيبا زدنهم اشتعالًا.

﴿٩٨﴾ ذلك العذاب الذي يلقونه هو جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا المنزلة على رسولنا، ويقولهم استبعادًا للبعث: إذا متنا وصرنا عظامًا بالية، وأجزاء مُفْتَتَةٍ أبعث بعد ذلك خلقًا جديدًا؟ ولما ذكروا ما يتشبهون به الإنكار البعث رد الله عليهم بقوله:

﴿٩٩﴾ أولم يعلم هؤلاء المنكرون للبعث أن الله الذي خلق السماوات وخلق الأرض على عظمهما قادر على أن يخلق مثلهم، فمن قدر على خلق ما هو عظيم قادر على خلق ما دونه، وقد جعل الله لهم في الدنيا وقتًا محددًا تنتهي فيه حياتهم، وجعل لهم أجلًا لبعثهم لا شك فيه، ومع ظهور أدلة البعث أبى المشركون إلا جحودًا بالبعث مع وضوح أدلته.

﴿١٠٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفد ولا تنقضي، إذن لا امتنعتم من إنفاقها خوفًا من

نفادها حتى لا تصبحوا فقراء، ومن طبع الإنسان أنه بخيل إلا إن كان مؤمنًا، فهو ينفق رجاء ثواب الله.

ولما لقي النبي ﷺ من المشركين ما لقي من التكذيب جاءت تسليته بقصة موسى مع فرعون وقومه، فقال:

﴿١٠١﴾ ولقد أعطينا موسى تسع دلائل واضحة تشهد له، وهي العصا واليد والستون ونقص الثمرات والظوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فاسأل - أيها الرسول - اليهود حين جاء موسى أسلافهم بتلك الآيات، فقال له فرعون: إني لأظنك - يا موسى - رجلًا مسحورًا؛ لما تأتي به من الغرائب.

﴿١٠٢﴾ قال موسى ردًا عليه: لقد أبقيت - يا فرعون - أنه ما أنزل هذه الآيات إلا الله رب السماوات والأرض، أنزلهن دلالات على قدرته، وعلى صدق رسوله، ولكنك جحدت، وإني لأعلم أنك - يا فرعون - هالك خاسر.

﴿١٠٣﴾ فأراد فرعون أن يعاقب موسى ﷺ وقومه بإخراجهم من مصر، فأهلكناه ومن كان معه من جنوده جميعًا بالغرق.

﴿١٠٤﴾ وقلنا من بعد إهلاك فرعون وجنوده لبني إسرائيل: اسكنوا أرض الشام، فإذا كان يوم القيامة آتينا بكم جميعًا إلى المحشر للحساب.

﴿١٠٥﴾ من فوائد الآيات،

- الله تعالى هو المنفرد بالهداية والإضلال، فمن يهده فهو المهتدي على الحقيقة، ومن يضلّه فلا هادي له.
- مأوى الكفار ومستقرهم ومقامهم جهنم، كلما سكنت نارها زادها الله نارًا تلتهب.
- وجوب الاعتصام بالله عند تهديد الطغاة والمُستَبِدِّين.
- الطغاة والمُستَبِدُّون يلجؤون إلى استخدام السلطة والقوة عندما يواجهون أهل الحق؛ لأنهم لا يستطيعون مواجهتهم بالحجة والبيان.

﴿١٧﴾ وبالحق أنزلنا هذا القرآن على محمد ﷺ، وبالحق نزل عليه دون تبديل ولا تحريف، وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا مبشراً لأهل التقوى بالجنة، ومخوفاً لأهل الكفر والعصيان من النار. ﴿١٨﴾ وأنزلناه قرآناً فصلناه، وبيناه رجاء أن تقرأه على الناس على مهل وترسل في التلاوة؛ لأنه أدعى للفهم والتدبر، وأنزلناه منجماً مفرقاً حسب الحوادث والأحوال.

﴿١٩﴾ قل - أيها الرسول -: آمنوا به، فلا يزيد إيمانكم شيئاً، أو لا تؤمنوا به، فلا ينقصه كفركم شيئاً، إن الذين قرؤوا الكتب السماوية السابقة، وعرفوا الوحي والنبوة إذا يقرأ عليهم القرآن يخرون على وجوههم ساجدين لله شكراً.

﴿٢٠﴾ ويقولون في سجودهم: تنزه ربنا عن خلف الوعد، فما وعد به من بعثة محمد ﷺ كائن، إن وعد ربنا بذلك وبغيره لواقع لا محالة.

﴿٢١﴾ ويقعون على وجوههم ساجدين لله يكون من خشيته، ويزيدهم سماع القرآن وتدبر معانيه خضوعاً لله وخشية له.

﴿٢٢﴾ قل - أيها الرسول - لمن أنكر عليك الدعاء بقولك: (يا الله، يا رحمن): الله والرحمن اسمان له سبحانه فادعوه بأي منهما أو بغيرهما من أسمائه، فله - سبحانه - الأسماء الحسنى، وهذان منها، فادعوه بهما أو بغيرهما من أسمائه الحسنى، ولا تجهر بالقراءة في صلاتك فيسمعك المشركون، ولا تسربها فلا يسمعها المؤمنون، واطلب طريقاً وسطاً بين الأمرين.

﴿٢٣﴾ وقل - أيها الرسول -: الحمد لله

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٧﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٨﴾
قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا سُئِلُوا عَنْهُمُ بَيَّحُورُونَ لِلَّذِينَ قَالُوا سُبْحَانَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿٢٠﴾ وَيَخِرُّونَ لِلَّذِينَ قَالُوا بِكَ وَبِزِيدِهِمْ خُشُوعًا ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِهَا وَانْتَبِخْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِنَ الدَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴿٢٣﴾

سجدة

سُورَةُ الْكَافُرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فِيمَا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا لِمَنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكِينٍ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

٢٩٣

المستحق لأنواع المحامد الذي تنزه عن الولد، وتنزه عن الشريك، فلا شريك له في ملكه، ولا يصيبه ذل وهوان، فلا يحتاج لمن يناصره ويعززه، وعظمه تعظيماً كبيراً، فلا تنسب له ولداً ولا شريكاً في الملك ولا مناصراً معيناً.

سُورَةُ الْكَافُرَاتِ

— مكية —

• من مقاصد السور:

بيان منهج التعامل مع الفتن، وضرب النماذج لذلك.

• التفسير:

﴿١﴾ الثناء بصفات الكمال والجلال، وبالنعمة الظاهرة والباطنة لله وحده الذي أنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ القرآن، ولم يجعل لهذا القرآن اعوجاجاً وميلاً عن الحق.

﴿٢﴾ بل جعله مستقيماً لا تناقض فيه ولا اختلاف؛ ليخوف الكافرين من عذاب قوي من عند الله ينتظرهم، ويخبر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحات بما يسرهم أن لهم ثواباً حسناً لا يدانيه ثواب.

﴿٣﴾ خالدين في هذا الثواب أبداً، فلا ينقطع عنهم.

﴿٤﴾ ويخوف اليهود والنصارى وبعض المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولداً.

• من فوائد الآيات: • أنزل الله القرآن متضمناً الحق والعدل والشرعية والحكم الأمثل. • جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى. • الدعاء أو القراءة في الصلاة يكون بطريقة متوسطة بين الجهر والإسرار. • القرآن الكريم قد اشتمل على كل عمل صالح موصل لما تستبشر به النفوس وتفرح به الأرواح.

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ٥ فَلَعَلَّكَ بَدِخٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ هَذَا الْحَدِيثَ أَسَفًا ٦ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٧ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ٨ أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ١٠ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَى الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ١٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ١٣ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ١٤ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ١٥

٢٩٤

٥ ليس لهؤلاء المفترين من علم أو دليل على ما يدعونه من نسبة الولد إلى الله، وليس لأبائهم الذين قلدهم في ذلك علم، عظمت في القبح تلك الكلمة التي تخرج من أفواههم دون تعقل، ما يقولون إلا قولاً كذباً، لا أساس له ولا مستند.

٦ فلعلك - أيها الرسول - مهلك نفسك حزناً وأسفاً إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فلا تفعل، فليس عليك هدايتهم، وإنما عليك البلاغ.

٧ إنا جعلنا ما فوق وجه الأرض من المخلوقات جمالاً لها لنختبرهم أيهم أحسن عملاً بما يرضي الله، وأيهم أسوأ عملاً، لنجزي كلًا بما يستحقه.

٨ وإنا لمصيرون ما على وجه الأرض من المخلوقات تراباً خالياً من النبات، وذلك بعد انقضاء حياة ما عليها من المخلوقات، فليعتبروا بذلك.

٩ لا تظن - أيها الرسول - أن قصة أصحاب الكهف، ولوحهم الذي كُتبت فيه أسماؤهم من آياتنا العجيبة، بل غيرها أعجب مثل خلق السماوات والأرض.

١٠ اذكر - أيها الرسول - حين التجأ الشبان المؤمنون فراراً بدينهم، فقالوا في دعائهم لربهم: ربنا، أعطنا من عندك رحمة بأن تغفر ذنوبنا، وتنجينا من أعدائنا، واجعل لنا من أمر الهجرة عن الكفار والإيمان اهتداء إلى طريق الحق وسداداً.

١١ ثم بعد سيرهم ولجوئهم إلى الكهف ضربنا على آذانهم حجاباً عن سماع الأصوات، وألقينا عليهم النوم أعواماً كثيرة.

١٢ ثم بعد نومهم الطويل أيقظناهم لنعلم - علم ظهور - أي الطائفتين المتنازعتين في أمد مكثهم في الكهف أعلم بمقدار ذلك الأمد.

١٣ نحن نطلعك - أيها الرسول - على خبرهم بالصدق الذي لا مرية معه، إنهم شبان آمنوا بربهم، وعملوا بطاعته، وزدناهم هداية وتثبيتاً على الحق.

١٤ وقوينا قلوبهم بالإيمان والثبات عليه، والصبر على هجر الأوطان فيه، حين قاموا معلنين بين يدي الملك الكافر إيمانهم بالله وحده، فقالوا له: ربنا الذي آمنا به وعبدناه هو رب السماوات ورب الأرض، لن نعبد ما سواه من الآلهة المزعومة كذباً، لقد قلنا - إن عبدنا غيره - قولاً جائزاً بعيداً عن الحق.

١٥ ثم التفت بعضهم إلى بعض قائلين: هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله معبودات يعبدونها، وهم لا يملكون على عبادتهم برهاناً واضحاً، فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك إليه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الداعي إلى الله عليه التبليغ والسعي بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فيها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف. • في العلم بمقدار لبث أصحاب الكهف، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته. • في الآيات دليل صريح على الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقربات والأصدقاء والأوطان والأموال: خوف الفتنة. • ضرورة الاهتمام بتربية الشباب؛ لأنهم أزكى قلوباً، وأنقى أفئدة، وأكثر حماسة، وعليهم تقوم نهضة الأمم.

وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْ قَوْمِكُمْ، وَتَرَكْنَا
 مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَلَمْ تَعْبُدُوا
 إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَالْجُؤُوهَا إِلَى الْكَهْفِ
 فَارَا بِدِينِكُمْ يُبْسِتُ لَكُمْ رَبُّكُمْ سُبْحَانَهُ
 مِنْ رَحْمَتِهِ مَا يَحْفَظُكُمْ بِهِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ
 وَيُحْكِمُكُمْ، وَيُبَشِّرُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَا
 تَتَفَعَّلُونَ بِهِ مِمَّا يَعْزُضُكُمْ عَنِ الْعَيْشِ بَيْنَ
 ظَهْرَانِي قَوْمِكُمْ.

﴿١٧﴾ فَاثْنَلُوا مَا أَمَرُوا بِهِ، وَالْقَى اللَّهُ
 النَّوْمَ عَلَيْهِمْ، وَحَفَظَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ،
 وَتَرَى - أَيُّهَا الْمَشَاهِدُ لَهُمْ - الشَّمْسُ إِذَا
 طَلَعَتْ مِنْ مَشْرِقِهَا تَمِيلُ عَنْ كَهْفِهِمْ
 جِهَةً يَمِينِ الدَّخْلِ فِيهِ، وَإِذَا غَابَتْ عِنْدَ
 غُرُوبِهَا تَعْدِلُ عَنْهُ جِهَةً شِمَالَهُ فَلَا
 تَصِيبُهُ، فَهَمْ فِي ظِلِّ دَائِمٍ لَا يُؤْذِيهِمْ حَرُّ
 الشَّمْسِ، وَهَمْ فِي مُتَسَعٍ مِنَ الْكَهْفِ
 يَنَالُهُمْ مِنَ الْهَوَاءِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ،
 ذَلِكَ الْحَاصِلُ لَهُمْ مِنْ إِبْوَانِهِمْ إِلَى
 الْكَهْفِ، وَإِلْقَاءِ النَّوْمِ عَلَيْهِمْ، وَانْحِرَافِ
 الشَّمْسِ عَنْهُمْ، وَاتِّسَاعِ مَكَانِهِمْ
 وَإِنْجَائِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ: مِنْ عَجَائِبِ
 صَنِعِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ، مِنْ يَوْفَقِهِ اللَّهُ
 لَطَرِيقِ الْهُدَايَةِ فَهُوَ الْمُهْتَدِي حَقًّا، وَمَنْ
 يَخْذُلُهُ عَنْهَا وَيَضِلُّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَاصِرًا
 يَوْفُقُهُ لِلْهُدَايَةِ، وَيُرْشِدُهُ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ
 الْهُدَايَةَ بِيَدِ اللَّهِ، وَلَيْسَتْ بِيَدِهِ هُوَ.

﴿١٨﴾ وَتَظَنُّهُمْ - أَيُّهَا النَّاطِرُ إِلَيْهِمْ -
 مُسْتَقِظِينَ لَانْفِتَاحِ أَعْيُنِهِمْ، وَالْوَاقِعِ
 أَنَّهُمْ نِيَامٌ، وَنَقَلَبَهُمْ فِي نَوْمِهِمْ تَارَةً
 يَمِينًا، وَتَارَةً شِمَالًا حَتَّى لَا تَأْكُلِ
 الْأَرْضُ أَجْسَامَهُمْ، وَكُلِبَهُمُ الْمِرَافِقُ
 لَهُمْ مَا ذُرَاعِيهِ بِمَدْخَلِ الْكَهْفِ، لَوْ
 أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ وَشَاهَدَتْهُمْ لَأَدْبَرَتْ عَنْهُمْ هَارِبًا خَوْفًا مِنْهُمْ، وَلَا مَتَلَأَتْ نَفْسُكَ رَعْبًا مِنْهُمْ.

﴿١٩﴾ وَكَمَا فَعَلْنَا بِهِمْ مِمَّا ذَكَّرْنَا مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِنَا أَقْبَضْنَاكُمْ بَعْدَ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ لَيْسَالٍ بَعْضُهُمْ عَنْ الْمَدَّةِ الَّتِي مَكُتُوهَا
 نَائِمِينَ، فَأَجَابَ بَعْضُهُمْ: مَكُنَّا نَائِمِينَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، وَأَجَابَ بَعْضُ بَعْضٍ مِنْهُمْ مِمَّنْ لَمْ تَظْهَرْ لَهُ مَدَّةٌ مَكُتُهُمْ نَائِمِينَ:
 رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَدَّةِ مَكُتِكُمْ نَائِمِينَ، فَفَوَّضُوا إِلَيْهِ عِلْمَ ذَلِكَ وَانْشَغَلُوا بِمَا يَعْنِيكُمْ، فَأَرْسَلُوا أَحَدَكُمْ بِتَقْوَدِكُمْ الْفُضِيَّةِ هَذِهِ
 إِلَى مَدِينَتِنَا الْمَعْهُودَةِ، فَلْيَنْظُرْ أَيُّ أَهْلِهَا أَطِيبُ طَعَامًا وَأَطِيبُ مَكْسَبًا، وَلْيَتَأَنَّ فِي دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ وَمَعَامَلَتِهِ، وَلْيَكُنْ
 لَبِقًا، وَلَا يَدْعُ أَحَدًا يَعْلَمُ بِمَكَانِكُمْ؛ لِمَا يَتَرْتَبِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ ضَرَرٍ عَظِيمٍ.

﴿٢٠﴾ إِنْ قَوْمُكُمْ إِنْ يَظْلَعُوا عَلَيْكُمْ وَيَعْلَمُوا بِمَكَانِكُمْ يَقْتُلُوكُمْ بِالرَّحْمِ بِالْحِجَارَةِ، أَوْ يَرْجِعُوكُمْ إِلَى مَلْتَهُمُ الْمُنْحَرِفَةِ الَّتِي
 كُنْتُمْ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالْهُدَايَةِ إِلَى دِينِ الْحَقِّ، وَإِنْ رَجَعْتُمْ إِلَيْهَا فَلَنْ تَفُوزُوا أَبَدًا، لَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا
 فِي الْآخِرَةِ، بَلْ سَتُخْسَرُونَ فِيهِمَا الْخُسْرَانَ الْعَظِيمَ بِسَبَبِ تَرْكِكُمْ دِينَ الْحَقِّ الَّذِي هَدَاكُمْ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَرُجُوعِكُمْ إِلَى تِلْكَ
 الْمَلَّةِ الْمُنْحَرِفَةِ.

٢٩٥

• مِنْ قَوَائِدِ آيَاتِهِ،

- مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ أَنْ قَلْبُهُمْ عَلَى جَنُوبِهِمْ يَمِينًا وَشِمَالًا بِقَدْرِ مَا لَا تَفْسُدُ الْأَرْضُ أَجْسَامَهُمْ، وَهَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ.
- جَوَازُ اتِّخَاذِ الْكِلَابِ لِلْحَاجَةِ وَالصَّيْدِ وَالْحِرَاسَةِ.
- انْتِفَاعُ الْإِنْسَانِ بِصُحْبَةِ الْأَخْيَارِ وَمُخَالَطَةِ الصَّالِحِينَ حَتَّى لَوْ كَانَ أَقَلُّ مِنْهُمْ مَنْزِلَةً، فَقَدْ حَفِظَ ذِكْرَ الْكَلْبِ لِأَنَّهُ صَاحِبُ أَهْلِ الْفَضْلِ.
- دَلَّتِ الْآيَاتُ عَلَى مَشْرُوعِيَةِ الْوِكَالَةِ، وَعَلَى حَسَنِ السِّيَاسَةِ وَالتَّلَطُّفِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ.

﴿٢٨﴾ وكما فعلنا بهم الأفعال العجيبة الدالة على قدرتنا من إنعامهم سنين كثيرة، وإيقاظهم بعدها، أطلعنا عليهم أهل مدينتهم ليعلم أهل مدينتهم أن وعد الله بنصر المؤمنين وبالبعث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، فلما انكشف أمر أصحاب الكهف وماتوا اختلف المظلمون عليهم: ماذا يفعلون بشأنهم؟ قال فريق منهم: ابنوا على باب كهفهم بنياناً يحجبهم ويحميهم، ربهم أعلم بحالهم، فحالهم يقتضي أن لهم خصوصية عنده. وقال أصحاب النفوذ ممن ليس لهم علم ولا دعوة صحيحة: لتتخذن على مكانهم هذا مسجداً للعبادة تكريماً لهم وتذكيراً بمكانهم.

﴿٢٩﴾ سيقول بعض الخائضين في قصتهم عن عددهم: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم، وكلتا الطائفتين إنما قالت ما قالته تبعاً لظنهما من غير دليل، ويقول بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم، قل - أيها الرسول -: ربي أعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا قليل ممن علمهم الله عددهم، فلا تحادل في عددهم ولا في غيره من أحوالهم أهل الكتاب ولا غيرهم إلا جدالاً ظاهراً لا عمق فيه، بأن تقتصر على من نزل عليك وحي بشأنهم، ولا تسأل أحداً منهم عن تفاصيل شأنهم، فإنهم لا يعلمون ذلك. ﴿٣٠﴾ ولا تقولن - أيها النبي - لشيء

وَكَذَلِكَ أَتَتْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢٩﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِّشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٣١﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا ارْشَادًا ﴿٣٢﴾ وَلِيسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٣٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِّيسُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٣٤﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٣٥﴾

٢٩٦

تريد فعله غداً: إني فاعل هذا الشيء غداً؛ لأنك لا تدري هل تفعله، أو يُحال بينك وبينه؟ وهو توجيه لكل مسلم. ﴿٣٦﴾ إلا أن تُعلّق فعله على مشيئة الله بأن تقول: سأفعله - إن شاء الله - غداً، واذكر ربك بقولك: إن شاء الله - إن نسيت أن تقولها - وقل: أرجو أن يرشدني ربي لأقرب من هذا الأمر هداية وتوفيقاً. ﴿٣٧﴾ ومكّت أصحاب الكهف في كهفهم ثلاث مئة وتسع سنين. ﴿٣٨﴾ قل - أيها الرسول -: الله أعلم بما مكثوا في كهفهم، وقد أخبرنا بمدة مكثهم فيه، فلا قول لأحد بعد قوله سبحانه، له سبحانه وحده ما غاب في السماوات وما غاب في الأرض خلقاً وعلماً، ما أبصره سبحانه! فهو يبصر كل شيء، وما أسمع! فهو يسمع كل شيء، ليس لهم من دونه ولي يتولى أمرهم، ولا يشرك في حكمه أحداً، فهو المنفرد وحده بالحكم.

ولما بين ﴿٣٩﴾ أن الحكم له وحده أمر رسوله بتلاوة ما أوحى إليه من حكم ربه واتباعه، فقال: ﴿٤٠﴾ واقرأ - أيها الرسول - واعمل بما أوحى الله به إليك من القرآن، فلا مبدل لكلماته؛ لأنها صدق كلها وعدل كلها، ولن تجد من دونه سبحانه ملجأً تلجأ إليه، ولا معاذاً تعوذ به سواه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- اتخاذ المساجد على القبور، والصلاة فيها، والبناء عليها؛ غير جائز في شرعنا.
- في القصة إقامة الحجة على قدرة الله على الحشر وبعث الأجساد من القبور والحساب.
- دلّت الآيات على أن المراء والجدال المحمود هو الجدال بالتي هي أحسن.
- السنّة والأدب الشرعيان يقتضيان تعليق الأمور المستقبلية بمشيئة الله تعالى.

﴿٣٨﴾ أَلَزِمَ نَفْسَكَ بِصَحْبَةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ دَعَاءَ عِبَادَةٍ وَدَعَاءَ مَسْأَلَةِ أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ، مُخْلِصِينَ لَهُ، لَا تَتَجَاوَزُ عَيْنَكَ عَنْهُمْ، تَرِيدُ مَجَالِسَةَ أَهْلِ الْغِنَى وَالشَّرَفِ، وَلَا تَطْعُ مَنْ صَيَّرْنَا قَلْبَهُ غَافِلًا عَنْ ذِكْرِنَا بِخَتْمِنَا عَلَيْهِ، فَأَمَرَكَ بِتَنْحِيَةِ الْفُقَرَاءِ عَنْ مَجْلِسِكَ، وَقَدَّمَ اتِّبَاعَ مَا تَهْوَاهُ نَفْسُهُ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، وَكَانَتْ أَعْمَالُهُ ضَيَاعًا.

﴿٣٩﴾ وَقُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِهَؤُلَاءِ الْأَهِلِينَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ لَغْفلة قُلُوبُهُمْ: مَا جِئْتُكُمْ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا مِنْ عِنْدِي، وَلَسْتُ مُجِيبَ دَعْوَتِكُمْ إِلَّا بِأَنْ أَطْرُدَ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ الْإِيمَانَ بِهَذَا الْحَقِّ فَلْيُؤْمِنْ بِهِ، وَسَيَسِّرُ بَجَزَائِهِ، وَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ الْكُفْرَ بِهِ فَلْيَكْفُرْ، وَسَيَسْتَأْ بِالْعِقَابِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ، إِنَّا أَعَدَدْنَا لِلظَّالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِاخْتِيَارِ الْكُفْرِ نَارًا عَظِيمَةً أَحَاطَ بِهِمْ سَوْرُهَا، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ فِرَارًا مِنْهَا، وَإِنْ يَطْلُبُوا غَوًى بَمَاءٍ مِنْ شِدَّةِ مَا يَلَاقُونَ مِنَ الْعَطَشِ يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالزَّيْتِ الْعَبْرَ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ، يَشْوِي وَجُوهَهُمْ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ، سَاءَ شَرَابًا هَذَا الشَّرَابُ الَّذِي يُخَاثُونَ بِهِ، فَهُوَ لَا يَغْنِي مِنْ عَطَشٍ بَلْ يَزِيدُهُ، وَلَا يَطْفِئُ اللَّهَبَ الَّذِي يُلْفَحُ جُلُودَهُمْ، وَسَاءَتْ النَّارُ مَنَزَلًا يَنْزِلُونَهُ، وَمَقَامًا يَقِيمُونَ فِيهِ.

ولما ذكر الله ما أعد للظالمين من عذاب ذكر ما أعد للمؤمنين من ثواب كريم، فقال:

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعِ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٣٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٤١﴾ * وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا لِرَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٤٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ إِتَتْ أَكْلَهُمَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٤٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ ثَمَرًا ﴿٤٤﴾ وَأَعْرَضَ نِفَرًا ﴿٤٥﴾

﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ قَدْ أَحْسَنُوا عَمَلَهُمْ فَلَهُمْ ثَوَابٌ عَظِيمٌ، إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، بَلْ نُوْقِيهِمْ أَجُورَهُمْ كَامِلَةً غَيْرَ مُنْقُوصَةٍ.

﴿٤١﴾ أُولَئِكَ الْمُوصُوفُونَ بِالْإِيمَانِ وَفِعْلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ إِقَامَةٍ يَقِيمُونَ فِيهَا أَبَدًا، تَجْرِي مِنْ تَحْتِ مَنَازِلِهِمْ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الْعَذْبَةِ، يَزِينُونَ فِيهَا بِأَسُورَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ رَقِيقِ الْحَرِيرِ وَغُلِيقِظِهِ، يَتَكُونُ عَلَى الْأَسْرَةِ الْمَزِينَةِ بِالسَّائِرِ الْجَمِيلَةِ، حَسَنُ الثَّوَابِ ثَوَابُهُمْ، وَحَسُنَتْ الْجَنَّةُ مَنَزَلًا وَمَقَامًا يَقِيمُونَ فِيهِ.

ولما بين سبحانه جزاء الظالمين وجزاء المؤمنين ضرب مثلًا لهما، فقال:

﴿٤٢﴾ وَأَضْرِبْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - مَثَلًا لِرَجُلَيْنِ: كَافِرٌ وَمُؤْمِنٌ، جَعَلْنَا لِلْكَافِرِ مِنْهُمَا حَدِيقَتَيْنِ، وَأَحْطَنَا الْحَدِيقَتَيْنِ بِنَخْلٍ، وَأَبْنَيْتُنَا فِي الْفَارِغِ مِنْ مَسَاحَتِهِمَا زَرْعًا.

﴿٤٣﴾ فَأَثْمَرَتْ كُلُّ حَدِيقَةٍ ثَمَرَاهَا مِنْ ثَمَرٍ وَعَنْبٍ وَزَرْعٍ، وَلَمْ تَنْقُصْ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ أَعْطَتْهُ وَافِيًا كَامِلًا، وَأَجْرَيْنَا بَيْنَهُمَا نَهْرًا لِسُقْيِهِمَا بَيَسَرٍ.

﴿٤٤﴾ وَكَانَ لِصَاحِبِ الْحَدِيقَتَيْنِ أَمْوَالٌ وَثَمَارٌ أُخْرَى، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ الْمُؤْمِنِ وَهُوَ يَخَاطِبُهُ لِيُؤْثِرَ فِيهِ مُغْتَرًا: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ أَمْوَالًا، وَأَعَزُّ مِنْكَ جَانِبًا، وَأَقْوَى عَشِيرَةً.

﴿٤٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • فَضِيلَةُ صَحْبَةِ الْأَخْيَارِ، وَمُجَاهَدَةُ النَّفْسِ عَلَى صَحْبَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ وَإِنْ كَانُوا فُقَرَاءَ؛ فَإِنْ فِي صَحْبَتِهِمْ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا لَا يُحْصَى. • كَثْرَةُ الذِّكْرِ مَعَ حُضُورِ الْقَلْبِ سَبَبٌ لِلْبُرْكَاتِ فِي الْأَعْمَارِ وَالْأَوْقَاتِ. • قَاعِدَاتُ الثَّوَابِ وَأَسَاسُ النِّجَاحِ: الْإِيمَانُ مَعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَتَّبَ عَلَيْهِمَا الثَّوَابَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ
أَبَدًا ۝٢٥ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ
خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ۝٢٦ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ
بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفَرُ ثُمَّ سَوَّيْتُكَ رَجُلًا ۝٢٧
لَّسْنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝٢٨ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ
مَالًا وَوَلَدًا ۝٢٩ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ
عَلَيْهَا حَسْبَانَا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ۝٣٠ أَوْ يُصْبِحُ
مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ وَطْلَبًا ۝٣١ وَأُحِيطُ بِشَمْرِهِ
فَأُصْبِحُ يُقَلِّبُ كَفْتِهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۝٣٢ وَلَمْ تَكُن لَّهُ
فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝٣٣ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ
لِللَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۝٣٤ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَوةِ
الَّذِي آتَيْنَاهُم مَّا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٣٥

٢٩٨

٢٥) ودخل الكافر حديقته في صحبة
المؤمن ليريه إياها وهو ظالم لنفسه
بالكفر وبالعجب، قال الكافر: ما أظنُّ
أن تفسى هذه الحديقة التي تشاهدها؛
لما اتخذت لها من أسباب البقاء.

٢٦) وما أظنُّ أن القيامة حادثة، إنما
هي حياة مستمرة، وعلى فرض وقوعها
فإذا بُعثت وأُرجعت إلى ربِّي لأجدنَّ
بعد البعث ما أرجع إليه مما هو أفضل
من حديقتي هذه، فكوني غنيًا في الدنيا
يقضي أن أكون غنيًا بعد البعث.

٢٧) قال له صاحبه المؤمن وهو
يراجعه الكلام: أكفرت بالذي خلق
أباك آدم من تراب، ثم خلقك أنت من
المني، ثم صيِّرك إنسانًا ذكرًا، وعدل
أعضاءك وجعلك كاملاً، فالذي قدر
على ذلك كله قادر على بعثك.

٢٨) لكن أنا لا أقول بقولك هذا،
وإنما أقول: هو الله سبحانه ربِّي
المتفضل بنعمه علينا، ولا أشرك به
أحدًا في العبادة.

٢٩) هلا حين دخلت حديقتك قلت:
ما شاء الله لا قوة لأحد إلا بالله، فهو
الذي يفعل ما يشاء وهو القوي، فإن
كنت تراني أفقر منك وأقل أولادًا.

٣٠) فإنا أتوقع أن يعطيني الله خيرًا من
حديقتك، وأن يبعث على حديقتك
عذابًا من السماء، فتصبح حديقتك
أرضًا لا نبات فيها تزلق فيها الأقدام
لملوستها.

٣١) أو يذهب مأواها غائرًا في الأرض فلا تستطيع الوصول إليه بوسيلة، وإذا غار مأواها فلا بقاء لها.
٣٢) وتَحَقَّق ما توقعه المؤمن، فأحاط الهلاك بشار حديقة الكافر، فأصبح الكافر يقلب كفيه من شدة الحسرة والندم
على ما بذل في عمارتها وإصلاحها من أموال، والحديقة ساقطة على دعائمها التي تُمدد عليها أغصان العنب،
ويقول: يا ليتني آمنت بربي وحده، ولم أشرك معه أحدًا في العبادة.

٣٣) ولم تكن لهذا الكافر جماعة يمنعونه مما حلَّ به من عقاب، وهو الذي كان يفتخر بجماعته، وما كان هو
ممتنعًا من إهلاك الله لحديقته.

٣٤) في ذلك المقام النصرة لله وحده، هو سبحانه خيرٌ ثوابًا لأوليائه من المؤمنين، فهو يضاعف لهم الثواب،
وخيرٌ عاقبةً لهم.

٣٥) واضرب - أيها الرسول - للمُخْتَرَيْنِ بالدنيا مثلًا، فمثلها في زوالها وسرعة انقضائها مثل ماء مطر أنزلناه من
السماء، فبنت بهذا الماء نبات الأرض وأُتِنِع، فأصبح هذا النبات متكسرًا متفتتًا، تحمل الرياح أجزائه إلى نواح
أخرى، فتعود الأرض كما كانت، وكان الله على كل شيء مقتدرًا، لا يعجزه شيء، فيحيي ما شاء، ويفني ما
شاء.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • على المؤمن ألا يستكين أمام عزة الغني الكافر، وعليه نصحه وإرشاده إلى الإيمان بالله،
والإقرار بوحدانيته، وشكر نعمه وأفضاله عليه. • ينبغي لكل من أعجبه شيء من ماله أو ولده أن يضيف النعمة
إلى مولئها ومُسَدِّدِهَا بأن يقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. • إذا أراد الله بعبد خيرًا عجل له العقوبة في الدنيا.
• جواز الدعاء بتلف مال من كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه.

﴿٤٦﴾ المال والأولاد مما يُتَزَيَّن به في الحياة الدنيا، ولا نفع للمال في الآخرة إلا إن أُتِفِقَ فيما يرضي الله، والأعمال والأقوال المرضية عند الله خير ثوابًا من كل ما في الدنيا من زينة، وهي خير ما يؤمله الإنسان؛ لأن زينة الدنيا فانية وثواب الأعمال والأقوال المرضية عند الله باق.

﴿٤٧﴾ واذكر يوم نُزِيلَ الجبال من مواطنها، وترى الأرض ظاهرة لزوال ما عليها من جبال وشجر وبناء، وجمعنا جميع المخلوقات، فلم نترك منهم أحدًا إلا بعثناه.

﴿٤٨﴾ وعرض الناس على ربك صفوفًا فيحاسبهم، ويقال لهم: لقد جئتمونا فرادى حفاة عراة غرلاً كما خلقناكم أول مرة، بل زعمتم أنكم لن تبعثوا، وأنا لن نجعل لكم زمانًا ومكانًا نجازيكم فيه على أعمالكم.

﴿٤٩﴾ ووضع كتاب الأعمال، فمن آخِذ كتابه بيمينه، ومن آخِذ إياه بشماله، وترى - أيها الإنسان - الكافرين خائفين مما فيه؛ لأنهم يعلمون ما قدموا فيه من الكفر والمعاصي، ويقولون: يا هلاكنا ومصيبتنا! ما لهذا الكتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمالنا إلا حفظها وعذها، ووجدوا ما عملوا في حياتهم الدنيا من المعاصي مكتوبًا مثبًا، ولا يظلم ربك - أيها الرسول - أحدًا، فلا يعاقب أحدًا من غير ذنب، ولا ينقص المطيع من أجر طاعته شيئًا.

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرْضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ فِي مَوَاقِفِهِمْ وَيَقُولُونَ يَتَوَلَّىٰ تَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتَ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

٢٩٩

﴿٥٠﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية، فسجدوا كلهم له امتثالًا لأمر ربهم إلا إبليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة، فأبى واستكبر عن السجود، فخرج عن طاعة ربه، أفتتخذونه - أيها الناس - هو وأولاده أولياء توالونهم من دوني وهم أعداء لكم، فكيف تتخذون أعداءكم أولياء لكم؟ بئس صنع الظالمين الذين جعلوا الشيطان وليًا لهم بدلًا من مولاة الله تعالى.

﴿٥١﴾ هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني هم عبيد أمثالكم، ما أشهدتهم خلق السموات ولا خلق الأرض حين خلقتهم، بل لم يكونوا موجودين، وما أشهدت بعضهم خلق بعض، فأنا المنفرد بالخلق والتدبير، وما كنت متخذ المضلين من شياطين الإنس ولجن أعوانًا، فأنا غني عن الأعوان.

﴿٥٢﴾ واذكر لهم - أيها الرسول - يوم القيامة إذ يقول الله للذين أشركوا به في الدنيا: ادعوا شركائي الذين زعمتم أنهم شركاء لي لعلهم ينصرونكم، فدعوه فلم يستجيبوا لدعائهم ولم ينصروهم، وجعلنا بين العابدين والمعبدوين مهلكًا يشركون فيه، وهو نار جهنم.

﴿٥٣﴾ وعابن المشركون النار، فأيقنوا تمام اليقين أنهم واقعون فيها، ولم يجدوا عنها مكانًا ينصرفون إليه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- على العبد الإكثار من الباقيات الصالحات، وهي كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة.
- على العبد تذكر أهوال القيامة، والعمل لهذا اليوم حتى ينبو من أهواله، وينعم بجنة الله ورضوانه.
- كَرَّمَ اللهُ تَعَالَى أَبَانَ آدَمَ ﷺ والجنس البشري بأجمعه بأمره الملائكة أن تسجد له في بدء الخليقة سجود تحية وتكريم.
- في الآيات الحث على اتخاذ الشيطان عدوًّا.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا
 إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ
 الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
 إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَجَعَلْنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
 لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۝٥٦
 وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَىٰ
 مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ
 وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا
 أَبَدًا ۝٥٧ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا
 لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ
 مَوْيلًا ۝٥٨ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا
 لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝٥٩ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ
 أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ
 بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١

٣٠٠

لما تدعوهم إليه أبدًا ما دامت على قلوبهم أغطية، وفي آذانهم صمم.

٥٤ ولئن لا يشقوف النبي ﷺ إلى معاملة المكذبين به بالعذاب، قال الله له: وربك - أيها الرسول - الغفور لذنوب عباده التائبين، ذو الرحمة التي وسعت كل شيء، ومن رحمته أنه يمهّل العصاة لعلمهم يتوبون إليه، فلو أنه تعالى يعاقب هؤلاء المعرضين لعجل لهم العذاب في الحياة الدنيا، لكنه حلیم رحيم، أخر عنهم العذاب ليتوبوا، بل لهم مكان وزمان محددان يجازون فيه على كفرهم وإعراضهم إن لم يتوبوا، لن يجدوا من دونه ملجأ يلجئون إليه.

٥٥ وتلك القرى الكافرة القريبة منكم مثل قرى قوم هود وصالح وشعيب أهلكناهم حين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، وجعلنا لإهلاكهم وقتًا محددًا.

٥٦ واذكر - أيها الرسول - حين قال موسى ﷺ لخادمه يوشع بن نون: لا أزال أسير حتى أصل ملتقى البحرين، أو أسير زمانًا طويلًا إلى أن ألقى العبد الصالح، فأتعلم منه.

٥٧ فسارا، فلما وصلا ملتقى البحرين نسيا سمكتهما التي اتخذها زادًا لهما، فأحيا الله السمكة، واتخذت طريقًا في البحر مثل السرداب، لا يلتئم الماء معه.

٥٨ من قوائد الآيات: • عظمة القرآن وجلالته وعمومه؛ لأن فيه كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر. • من حكمة الله ورحمته أن تقييذه المبطلين المجادلين الحق بالباطل من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق، وتبيين الباطل وفساده. • في الآيات من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه أن يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مُرْهَبٍ وذاجر عن ذلك. • فضيلة العلم والرحلة في طلبه، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم. • الحوت يطلق على السمكة الصغيرة والكبيرة ولم يرد في القرآن لفظ السمك، وإنما ورد الحوت والنون واللحم الطري.

٥٤ ولقد بينا ونوعنا في هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ الكثير من أنواع الأمثال ليتذكروا ويتعظوا، لكن الإنسان - وخاصة الكافر - أكثر شيء يظهر منه المجادلة بغير الحق.

٥٥ وما حال بين الكفار المعاندين وبين الإيمان بما جاء به محمد ﷺ من ربه، وما حال بينهم وبين طلب المغفرة من الله لذنوبهم نقص البيان، فقد ضريت لهم الأمثلة في القرآن، وجاءتهم الحجج الواضحة، وإنما منعهم طلبهم - بتعنت - إيقاع عذاب الأمم السابقة عليهم، ومعاينة العذاب الذي وعدوا به.

٥٦ وما نبعث من نبعث من رسلنا إلا مبشرين أهل الإيمان والطاعة، ومخوفين أهل الكفر والعصيان، وليس لهم تسلط على القلوب بحملها على الهداية، وبخاصم الذين كفروا بالله الرسل مع وضوح الدليل لهم؛ ليزيلوا بباطلهم الحق المنزل على محمد ﷺ، وصيروا القرآن وما حُوفوا به أضحوكة وسخرية.

٥٧ ولا أحد أشد ظلمًا ممن ذُكر بآيات ربه، فلم يعبأ بما فيها من وعيد بالعذاب، وأعرض عن الاعتاظ بها، ونسي ما قدّم في حياته الدنيا من الكفر والمعاصي ولم يتب منها، إنا جعلنا على قلوب من هذا وصفهم أغطية تمنعها من فهم القرآن، وفي آذانهم صممًا عنه، فلا يسمعون سماع قبول، وإن تدعهم إلى الإيمان فلن يستجيبوا

﴿٦٢﴾ فلما تعديا ذلك المكان، قال موسى ﷺ لخادمه: آتنا طعام الغدوة، لقد لقينا من سفرنا هذا تعباً شديداً.

﴿٦٣﴾ قال الغلام: أ رأيت ما حصل حين التجأنا إلى الصخرة؟! فإني نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، وما أنساني أن أذكره لك إلا الشيطان، فقد خبي الحوت، واتخذ له طريقاً في البحر يحمل على التعجب.

﴿٦٤﴾ قال موسى ﷺ لخادمه: ذلك ما كنا نريد، فهو علامة مكان العبد الصالح، فرجعا يتبعان آثار أقدامهما؛ لتلا يضيعا عن الطريق حتى انتهيا إلى الصخرة، ومنها إلى مدخل الحوت.

﴿٦٥﴾ فلما وصلا مكان فقد الحوت وجداً عنده عبداً من عبادنا الصالحين (وهو الخضر ﷺ)، أعطينا رحمة من عندنا، وعلمناه من عندنا علماً لا يطلع عليه الناس، وهو ما تضمنته هذه القصة.

﴿٦٦﴾ قال له موسى في تواضع وتلطف: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله من العلم ما هو رشاد إلى الحق؟

﴿٦٧﴾ قال الخضر: إنك لن تطيق الصبر على ما تراه من علمي؛ لأنه لا يوافق ما لديك من علم.

﴿٦٨﴾ وكيف تصبر على ما ترى من الأفعال التي لا تعلم وجه الصواب فيها؛ لأنك تحكم فيها بمبلغ علمك؟!

﴿٦٩﴾ قال موسى: ستجدي إن شاء الله صابراً على ما أرى منك من أفعال، ملتزماً بطاعتك، لا أعصي لك أمراً أمرني به.

﴿٧٠﴾ قال الخضر لموسى: إن اتبعتني، فلا تسألني عن شيء مما تشاهدني أقوم به حتى أكون أنا البادئ بتبيين وجهه.

﴿٧١﴾ فلما اتفقا على ذلك انطلقا إلى ساحل البحر حتى لقيا سفينة، فركبا فيها دون أجرٍ تَكْرُمَةً للخضر، فخرق الخضر السفينة بقلع لوح من ألواحها، فقال له موسى: أخرجت السفينة التي حملنا أهلها فيها بغير أجرٍ رجاء أن تُغرق أهلها؟! لقد أتيت أمراً عظيماً.

﴿٧٢﴾ قال الخضر لموسى: ألم أقل: إنك لن تطيق معي صبراً على ما ترى مني؟!

﴿٧٣﴾ قال موسى ﷺ للخضر: لا تؤاخذني بسبب تركي لعهدك نسياناً، ولا تضيق علي وتشد في صحبتك.

﴿٧٤﴾ فانطلقا بعد نزولهما من السفينة يمشيان على الساحل، فأبصرا غلاماً لم يبلغ الحلم يلعب مع غلمان، فقتله الخضر، فقال له موسى: أقتلت نفساً طاهرة لم تبلغ الحلم دونما ذنب؟! لقد أتيت أمراً منكراً!

﴿٧٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• استحباب كون خادَم الإنسان ذكياً فطناً كيَساً ليتم له أمره الذي يريده. • أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله يُعان ما لا يُعان غيره. • التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم لإياه ألطف خطاب. • النسيان لا يقتضي المؤاخظة، ولا يدخل تحت التكليف، ولا يتعلق به حكم. • تعلم العالم الفاضل للمعلم الذي لم يتَمَهَّر فيه ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة. • إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها.

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٧٥ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَدِّقْنِي فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ٧٦ فَانْطَلِقَا حَتَّى إِذَا آتَيْتُمَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا هُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ٧٧ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ٧٨ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ٧٩ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَ هُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ٨٠ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ٨١ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ٨٢ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ٨٣ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ٨٤ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْيَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ٨٥

٣٠٢

٧٥ قال الخضر لموسى : إني كنت قلت لك : إنك - يا موسى - لن تستطيع الصبر على ما أقوم به من أمر .
٧٦ قال موسى : إن سألت عن شيء بعد هذه المرة ففارقني ، فقد وصلت إلى الغاية التي تُعَذِّرُ فيها على ترك مصاحبتي ؛ لكوني خالفت أمرك ثلاث مرات .

٧٧ فسارا حتى إذا جاء أهل قرية طلبا من أهلها طعاماً ، فامتنع أهل القرية من إطعامهما ، وتأدية حق الضيافة إليهما ، فوجدا في القرية حائطاً مائلاً قارب أن يسقط وينهدم ، فسوّاه الخضر حتى استقام ، فقال موسى : للخضر : لو شئت اتخذت أجر على إصلاحه لاتخذته ؛ لحاجتنا إليه بعد امتناعهم من ضيافتنا .

٧٨ قال الخضر لموسى : هذا الاعتراض على عدم أخذي أجراً على إقامة الحائط هو محل الفراق بيني وبينك ، سأخبرك بتفسير ما لم تستطع أن تصبر عليه مما شاهدتني قمت به .

٧٩ أما السفينة التي أنكرت عليّ خرقها ؛ فكانت لضعفاء يعملون عليها في البحر لا يستطيعون الدفع عنها ، فأردت أن تصير معيبة بما أحدثته فيها ؛ حتى لا يستولي عليها ملك كان أمامهم يأخذ كل سفينة صالحة كرهاً من أصحابها ، ويترك كل سفينة معيبة .

٨٠ وأما الغلام الذي أنكرت عليّ

قتله فكان أبواه مؤمنين ، وكان هو في علم الله كافراً ، فخفنا إن بلغ أن يحملهما على الكفر بالله والطغيان من فرط محبتهما له ، أو من فرط حاجتهما إليه .

٨١ فأردنا أن يعرضهما الله ولداً خيراً منه ديناً وصلاً وطهارة من الذنوب ، وأقرب رحمة بوالديه منه .
٨٢ وأما الحائط الذي أصلحته وأنكرت عليّ إصلاحه فكان لصغيرين في المدينة التي جثناها قد مات أبوهما ، وكان تحت الحائط مال مدفون لهما ، وكان أبو هذين الصغيرين صالحاً ، فأراد ربك - يا موسى - أن يبلغا سن الرشد ويكبرا ، ويخرجا مالهما المدفون من تحته ؛ إذ لو سقط الحائط الآن لانكشف مالهما وتعرض للضياع ، وكان هذا التدبير رحمة من ربك بهما ، وما فعلته من اجتهادي ؛ ذلك تفسير ما لم تستطع الصبر عليه .

ولما ذكر الله قصة الخضر ذكر قصة ذي القرنين ؛ لما بينهما من ترابط ؛ إذ إن كلاً منهما سعى لحماية الضعفاء ، فقال :
٨٣ ويسألك - أيها الرسول - المشركون واليهود مُمتحنين عن خبر صاحب القرنين ، قل : سأتلو عليكم من خبره جزءاً تعتبرون به وتذكرون .

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ ،

• وجوب التأنى والتثبت وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء . • أن الأمور تجري أحكامها على ظاهرها ، وتُعلّق بها الأحكام الدنيوية في الأموال والدماء وغيرها . • يُدْفَعُ الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير ، ويُزاعَى أكبر المصلحتين بتفويت أدناها . • ينبغي للصاحب ألا يفارق صاحبه ويترك صحبته حتى يُعَيِّتَهُ ويُعْذِرَ منه . • استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ بنسبة الخير إليه وعدم نسبة الشر إليه . • أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه وفي ذريته .

﴿٨٤﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْطَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ مَطْلُوبُهُ طَرِيقًا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مَرَادِهِ.

﴿٨٥﴾ فَأَخَذَ بِمَا أُعْطِيْنَاهُ مِنَ الْوَسَائِلِ وَالطَّرِيقِ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى مَطْلُوبِهِ، فَاتَّجَهَ غَرِبًا.

﴿٨٦﴾ وَسَارَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى نَهَايَةِ الْأَرْضِ مِنْ جِهَةِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ رَأَاهَا كَأَنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَاوَةَ ذَاتِ طِينٍ أَسْوَدَ، وَوَجَدَ عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ قَوْمًا كَفَّارًا، قُلْنَا لَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّخْيِيرِ: يَا صَاحِبَ الْقُرْنَيْنِ، إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ هَؤُلَاءِ بِالْقَتْلِ أَوْ بغيرِهِ، وَإِمَّا أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِمْ.

﴿٨٧﴾ قَالَ صَاحِبُ الْقُرْنَيْنِ: أَمَّا مِنْ أَشْرَكٍ بِاللَّهِ وَأَصْرَ عَلَى ذَلِكَ بَعْدَ دَعْوَتِنَا لَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ فَسَنَعَاقِبُهُ بِالْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا فَظِيمًا.

﴿٨٨﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَلَهُ الْجَنَّةُ؛ جَزَاءً مِنْ رَبِّهِ عَلَى إِيْمَانِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ، وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا مَا فِيهِ رَفَقٌ وَلِينٌ.

﴿٨٩﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِ الْأَوَّلَى مُتَّجِهًا إِلَى جِهَةِ شُرُوقِ الشَّمْسِ.

﴿٩٠﴾ وَسَارَ حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، وَجَدَ الشَّمْسَ تَطْلُعُ عَلَى أَقْوَامٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِ الشَّمْسِ مَا يَفِيهِمْ مِنَ الْبُيُوتِ وَمِنْ ظِلَالِ الْأَشْجَارِ.

﴿٩١﴾ كَذَلِكَ أَمَرَ صَاحِبَ الْقُرْنَيْنِ، وَقَدْ أَحَاطَ عَلِمَانَا بِتَفَاصِيلِ مَا لَدَيْهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ.

﴿٩٢﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ طَرِيقًا غَيْرَ الطَّرِيقَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مُعْتَرِضًا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

﴿٩٣﴾ وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ ثَغْرَةً بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَوَجَدَ مِنْ قَبْلِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ كَلَامَ غَيْرِهِمْ.

﴿٩٤﴾ قَالُوا: يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ، إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ (يَعْنُونَ أُمَّتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ بَنِي آدَمَ) مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَا يَقُومُونَ بِهِ مِنَ الْقَتْلِ وَغَيْرِهِ، فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ مَالًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَاجِزًا؟

﴿٩٥﴾ قَالَ ذُو الْقُرْنَيْنِ: مَا رَزَقْنِي رَبِّي مِنَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ خَيْرٌ لِي مِمَّا تَعْطُونَنِي مِنْ مَالٍ، فَأَعِينُونِي بِرِجَالٍ وَآلَاتٍ أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ حَاجِزًا.

﴿٩٦﴾ أَحْضَرُوا قِطْعَ الْحَدِيدِ، فَأَحْضَرُوهُمَا فُطْفِقَ بَيْنَهُمَا بِرِجَالِهِمَا، حَتَّى إِذَا سَاوَاهُمَا بَيْنَاتِهِ قَالَ لِلْعَمَلِ: أَشْعَلُوا النَّارَ عَلَى هَذِهِ الْقِطْعِ، حَتَّى إِذَا احْمَرَّتْ قَطَعَ الْحَدِيدُ قَالَ: أَحْضَرُوا نَحَاسًا أَصْبَهَ عَلَيْهِ.

﴿٩٧﴾ فَمَا اسْتَطَاعَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ أَنْ يَعلَوْا عَلَيْهِ لَارْتِفَاعِهِ، وَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَثْقُبُوهُ مِنْ أَسْفَلِهِ لِصَلَابَتِهِ.

﴿٩٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• أَنَّ ذَا الْقُرْنَيْنِ أَحَدَ الْمُلُوكِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَلَكَوا الدُّنْيَا وَسَيَّطَرُوا عَلَى أَهْلِهَا، فَقَدْ آتَاهُ اللَّهُ مَلَكًا وَاسِعًا، وَمَنْحَهُ حِكْمَةً وَهِيَةً وَعِلْمًا نَافِعًا.

• مِنْ وَاجِبِ الْمُلْكِ أَوْ الْحَاكِمِ أَنْ يَقُومَ بِحِمَايَةِ الْخَلْقِ فِي حِفْظِ دِيَارِهِمْ، وَإِصْلَاحِ ثَغُورِهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

• أَهْلُ الصَّلَاحِ وَالْإِخْلَاصِ يَحْرُسُونَ عَلَى إِنْجَازِ الْأَعْمَالِ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَأْذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَأْذَا الْقُرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

﴿١٨﴾ قال ذو القرنين: هذا السد رحمة

من ربي يحول بين يأجوج ومأجوج وبين الإفساد في الأرض، ويمنعهم منه، فإذا جاء الوقت الذي حدده الله لخروجهم قبل قيام الساعة صيره مستويًا بالأرض، وكان وعد الله بتسويته بالأرض وبخروج يأجوج ومأجوج ثابتًا لا خلف فيه.

﴿١٩﴾ وتركنا بعض الخلق آخر الزمان يضطربون ويختلطون ببعض، وتُفخ في الصور فجمعنا الخلق كله للحساب والجزاء.

﴿٢٠﴾ وأظهرنا جهنم للكافرين إظهارًا لا لبس معه ليشهدوها عيانًا.

﴿٢١﴾ أظهرناها للكافرين الذين كانوا في الدنيا عميًا عن ذكر الله؛ لما على أعينهم من حجاب مانع من ذلك، وكانوا لا يستطيعون سماع آيات الله سماع قبول.

﴿٢٢﴾ أظن الذين كفروا بالله أن يجعلوا عبادي من ملائكة ورسل وشياطين معبودين من دوني؟! إنا هيأنا جهنم للكافرين منزلًا لإقامتهم.

﴿٢٣﴾ قل - أيها الرسول -: هل نخبركم - أيها الناس - بأعظم الناس خسرانًا لعمله؟

﴿٢٤﴾ الذين يرون يوم القيامة أن سعيهم الذي كانوا يسعون في الدنيا قد ضاع، وهم يظنون أنهم محسنون في سعيهم، وسينتفون بأعمالهم، والواقع خلاف ذلك.

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٨﴾ وَتَرْكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَ يَمِيزُ مَوْجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَعْنَاهُمْ جُمُعًا ﴿١٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَظَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿٢١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِّن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِّلْكَافِرِينَ نَزْلًا ﴿٢٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿٢٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُولًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزْلًا ﴿٢٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿٢٨﴾ قُلْ لَّوْكَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿٢٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿٣٠﴾

٣٠٤

﴿٣٠﴾ أولئك هم الذين كفروا بآيات ربهم الدالة على توحيده، وكفروا بلفاته، فبطلت أعمالهم لكفرهم بها، فلا يكون لهم يوم القيامة قدر عند الله.

﴿٣١﴾ ذلك الجزاء المُعد لهم هو جهنم؛ لكفرهم بالله، واتخاذهم آياتي المنزلة ورسلي سخريه. ولما ذكر الله جزاء الكافرين ذكر جزاء المؤمنين، فقال:

﴿٣٢﴾ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات كانت لهم أعلى الجنان منزلًا لإكرامهم.

﴿٣٣﴾ ماكثين فيها أبدًا، لا يطلبون عنها تحوّلًا؛ لأنها لا يدانيها جزاء.

﴿٣٤﴾ قل - أيها الرسول -: إن كلمات ربي كثيرة، فلو كان البحر حبرًا لها تكتب به لانتهى ماء البحر قبل أن تنتهي كلماته سبحانه، ولو أتينا بحور أخرى لنفدت أيضًا.

﴿٣٥﴾ قل - أيها الرسول -: إنما أنا بشر مثلكم، يُوحى إليّ أنّ معبودكم بحق معبود واحد لا شريك له، وهو الله، فمن كان يخاف لقاء ربه فليعمل عملًا موافقًا لشرعه، مخلصًا فيه لربه، ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا.

﴿٣٦﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- إثبات البعث والحشر بجمع الجن والإنس في ساحات القيامة بالنفخة الثانية في الصور.
- أن أشد الناس خسارة يوم القيامة هم الذين ضل سعيهم في الدنيا، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا في عبادة من سوى الله.
- لا يمكن حصر كلمات الله تعالى وعلمه وحكمته وأسراره، ولو كانت البحار والمحيطات وأمثالها دون تحديد حبرًا يكتب به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَمْ هِيَ ص ١ ذَكَرَ رَحِمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ وَزَكَرِيَّا ٢ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَنِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عِوَالِي يَعْقُبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦ يَزَكِّرُنَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١١

٣٠٥

٨ قال زكريا متعجبًا من قدرة الله: كيف يولد لي ولد وامرأتي عقيم لا تلد، وقد بلغت نهاية العمر من الكبر وضعف العظام؟!

٩ قال المَلَكُ: الأمر كما قلت من أن امرأتك لا تلد، وأنت قد بلغت نهاية العمر من الكبر وضعف العظام، لكن ربك قال: خلقت ربك ليحيى من أم عاقرة ومن أب بلغ نهاية العمر سهّل، وقد خلقتك - يا زكريا - من قبل ذلك ولم تكن شيئًا يذكرك؛ لأنك كنت عديمًا.

١٠ قال زكريا ﷺ: يا رب، اجعل لي علامة أطمئن بها تدل على حصول ما بشرتني به الملائكة، قال: علامتك على حصول ما بُشِّرْتَ به ألا تستطيع كلام الناس ثلاث ليالٍ من غير علة، بل أنت صحيح معافى.

١١ فخرج زكريا على قومه من مصلّاه، فأشار إليهم من غير كلام: أن سبّحوا الله سبحانه أول النهار وآخره.

١٢ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الضعف والعجز من أحب وسائل التوسل إلى الله؛ لأنه يدل على التبرؤ من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته.

• يستحب للمرء أن يذكر في دعائه نعم الله تعالى عليه، وما يليق بالخضوع.

• الحرص على مصلحة الدين وتقديمها على بقية المصالح.

• تستحب الأسماء ذات المعاني الطيبة.

• من مقاصد السُّورَةِ: بيان مظاهر رحمة الله بأوليائه؛ كهيئة الولد الصالح، وبيان تنزهه تعالى عن الولد والمعين، ردًا على المفتريين.

• التفسير:

١ ﴿كَمْ هِيَ ص﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ هذا ذكر رحمة ربك بعبدك زكريا ﷺ، نقضه عليك للاعتبار به.

٣ إذ دعا ربه سبحانه دعاء خفيًا ليكون أقرب إلى الإجابة.

٤ قال: يا رب، إنني ضعفت عظامي، وكثر شيب رأسي، ولم أكن خائفًا في دعائي لك، بل كلما دعوتك أجبتني.

٥ وإني خفت قرابتي ألا يقوموا بعد موتي بحق الدين لانشغالهم بالدنيا، وكانت امرأتي عقيمًا لا تلد، فأعطني من عندك ولدًا مقيمًا.

٦ يرث النبوة عني، ويرثها من آل يعقوب ﷺ، وصيّره - يا رب - مرضيًا في دينه وخلقه وعلمه.

٧ فاستجاب الله دعاءه، وناداه: يا زكريا، إنا نخبرك بما يسرك، فقد أجبتنا دعاءك، وأعطيناك غلامًا اسمه يحيى، لم نجعل لغيره من قبله هذا الاسم.

يٰحَيِّ خُذْ أَلَكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَ صَبِيًّا ۝
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۝ وَكَانَ تَقِيًّا ۝
يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۝ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ
مِّنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ قَالَتْ إِنِّي
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ قَالَ كَذَلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ ۖ وَلَنَجْعَلَ لَهٗ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ
مَكَانًا قَصِيًّا ۝ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ
قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ۝
فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝
وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ۝

٣٠٦

﴿١٢﴾ فولد له يحيى، فلما بلغ سنًا يخاطب فيها قلنا له: يا يحيى، خذ التوراة بجد واجتهاد، وأعطيناه الفهم والعلم والجد والعزم وهو في سن الصبا.

﴿١٣﴾ ورحمناه رحمة من عندنا، وطهرناه من الذنوب، وكان تقياً ياتمر بأوامر الله، ويجتنب نواهيه.

﴿١٤﴾ وكان برًا بوالديه، لطيفًا بهما، محسنًا إليهما، ولم يكن متكبرًا عن طاعة ربه ولا طاعتهما، ولا عاصيًا لربه أو لوالديه.

﴿١٥﴾ وسلام عليه من الله وأمان له منه يوم ولد، ويوم يموت ويخرج من هذه الحياة، ويوم يبعث حيًّا يوم القيامة، وهذه المواطن الثلاثة هي أوحش ما يمر به الإنسان، فإذا أمن فيها فلا خوف عليه فيما عداها.

﴿١٦﴾ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خير مريم ؑ إذ نتخت عن أهلها، وانفردت بمكان على جهة الشرق منهم.

﴿١٧﴾ فاتخذت لنفسها من دون قومها ساترًا يستورها حتى لا يروها حال عبادتها لربها، فبعثنا إليها جبريل ؑ، فتمثل لها في صورة إنسان سوي الخلقة، فخافت أنه يريد بها سوء.

﴿١٨﴾ فلما رآته في صورة إنسان سوي الخلق يتجه إليها قالت: إني أستجير بالرحمن منك أن ينالني منك سوء - يا هذا - إن كنت تقياً تخاف الله.

﴿١٩﴾ قال جبريل ؑ: أنا لست بشراً، إنما أنا رسول من ربك أرسلني إليك لأهب لك ولداً طيباً طاهراً.

﴿٢٠﴾ قالت مريم متعجبة: كيف يكون لي ولد ولم يقربني زوج ولا غيره، ولست زانية حتى يكون لي ولد؟!

﴿٢١﴾ قال لها جبريل: الأمر كما ذكرت من أنك لم يمسسك زوج ولا غيره ولم تكوني زانية، لكن ربك سبحانه قال: خلقت ولد من غير أب سهل عليّ، وليكون الولد الموهوب لك علامة للناس على قدرة الله، ورحمة منا لك ولمن آمن به، وكان خلقت ولدك هذا قضاء من الله مقدراً، مكتوباً في اللوح المحفوظ.

﴿٢٢﴾ فحملت به بعد نفخ الملك، فنتخت به إلى مكان بعيد عن الناس.

﴿٢٣﴾ فضربها المخاض، وألجأها إلى ساق نخلة، قالت مريم ؑ: يا ليتني مت قبل هذا اليوم، وكنت شيئاً لا يُذكر حتى لا يُظن بي السوء.

﴿٢٤﴾ فنادها عيسى من تحت قدميها: لا تحزني، قد جعل ربك تحتك جدول ماءٍ تشرين منه.

﴿٢٥﴾ وأمسكي بجذع النخلة وهزيه تساقط عليك رطباً طرياً جُني من ساعته.

﴿٢٦﴾ من قوائد الآيات.

• الصبر على القيام بالتكاليف الشرعية مطلوب.

• علو منزلة بر الوالدين ومكانتها عند الله، فالله قرنه بشكره.

• مع كمال قدرة الله في آياته الباهرة التي أظهرها لمريم، إلا أنه جعلها تعمل بالأسباب ليصلها ثمرة النخلة.

فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٣٦ فَآتَتْ
بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ٣٧ قَالُوا لَيْسَ رِيْمٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْعًا فَرِيًّا ٣٨
يَتَأَخَتَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكَ بَغِيًّا ٣٩ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا ٤٠ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ٤١ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٤٢ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ٤٣ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٤٤ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٤٥ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٤٦ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٤٧ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٤٨ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَنْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٤٩

٣٠٧

٣٦ فكلي من الرطب، واشربي من الماء، وطبقي نفساً بمولودك ولا تحزني، فإن رأيت من الناس أحداً فسألك عن خبر المولود فقولي له: إني أوجبت على نفسي لربي صمتاً عن الكلام. فلن أكلّم اليوم أحداً من الناس.

٣٧ فجاءت مريم بابنها إلى قومها تحمله، قال لها قومها مستنكرين: يا مريم، لقد جئت أمراً عظيماً مفترى، حيث جئت بولد من غير أب.

٣٨ يا شبيهة هارون في العبادة (وهو رجل صالح) ما كان أبوك زانياً، ولا كانت أمك زانية، فأنت من بيت طاهر معروف بالصلاح، فكيف تأتين بولد من غير أب؟!

٣٩ فأشارت إلى ابنها عيسى عليه السلام وهو في المهد، فقال لها قومها متعجبين: كيف نكلّم صبيّاً وهو في المهد؟!

٤٠ قال عيسى عليه السلام: إني عبد الله، أعطاني الإنجيل، وجعلني نبياً من أنبيائه.

٤١ وجعلني كثير النفع للعباد أينما كنت، وأمرني بأداء الصلاة وإعطاء الزكاة طيلة حياتي.

٤٢ وجعلني بَرّاً بأمي، ولم يجعلني متكبراً عن طاعة ربي، ولا عاصياً له.

٤٣ والأمان من الشيطان وأعوانه عليّ يوم ميلادي ويوم موتي ويوم بعثي حياً يوم القيامة، فلم يتخبطني الشيطان في هذه المواقف الثلاثة الموحشة.

٤٤ ذلك الموصوف بتلك الصفات هو عيسى بن مريم، وهذا الكلام هو قول الحق فيه، لا ما يقوله الضالّون الذين يشكّون في أمره ويختلفون.

٤٥ ما ينبغي لله أن يتخذ من ولد، تقدّس عن ذلك وتنزه، إذا أراد أمراً، فإنما يكفيه سبحانه أن يقول لذلك الأمر: (كن)، فيكون لا محالة، فمن كان كذلك فهو مُنَزَّه عن الولد.

٤٦ وإن الله سبحانه هو ربي وهو ربكم جميعاً، فأخلصوا له العبادة وحده، هذا الذي ذكرت لكم هو الطريق المستقيم الموصل إلى مرضاة الله.

٤٧ فاختلف المختلفون في شأن عيسى عليه السلام فصاروا أحزاباً متفرقين من بين قومه، فأمن به بعضهم وقالوا: هو رسول، وكفر به آخرون كاليهود، كما غلا فيه طوائف فقال بعضهم: هو الله، وقال آخرون: هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك. فويل للمختلفين في شأنه من شهود يوم القيامة العظيم بما فيه من مشاهد وحساب وعقاب.

٤٨ ما أسمعهم يومئذ وما أبصرهم، سمعوا حين لم ينفعهم السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر، لكن الظالمون في الحياة الدنيا في ضلال واضح عن الصراط المستقيم، فلا يستعدّون للأخرة حتى تأتيهم بغتة وهم على ظلمهم.

٤٩ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• في أمر مريم بالسكوت عن الكلام دليل على فضيلة الصمت في بعض المواطن. • لا يجوز نذر الصمت في شرعنا. • أن ما أخبر به القرآن عن كيفية خلق عيسى هو الحق القاطع الذي لا شك فيه، وكل ما عداه من تقولات باطل لا يليق بالرسول. • في الدنيا يكون الكافر أصم وأعمى عن الحق، ولكنه سيبصر ويسمع في الآخرة إذا رأى العذاب، ولن ينفعه ذلك.

﴿٣٦﴾ وأنذر - أيها الرسول - الناس يوم التدامة حين يندم المسيء على إساءته، والمحسن على عدم استكثاره من الطاعة، إذ طويت صحف العباد، وفرغ من حسابهم، وصار كل إلى ما قدم، وهم في حياتهم الدنيا مُغْتَرُونَ بها، لاهون عن الآخرة، وهم لا يؤمنون بيوم القيامة.

﴿٣٧﴾ إنا نحن الساقون بعد فناء الخلائق، نرث الأرض، ونرث من عليها لفنائهم وبقائنا بعدهم، وملكتنا لهم، وتصرّفنا فيهم بما نشاء، وإلينا وحدنا يرجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٣٨﴾ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إبراهيم عليه السلام، إنه كان كثير الصدق والتصديق بآيات الله، ونبياً من عند الله.

﴿٣٩﴾ إذ قال لأبيه آزر: يا أبت؛ لِمَ تعبد من دون الله صنماً لا يسمع دعاءك إن دعوته، ولا يبصر عبادتك إن عبدته، ولا يكشف عنك ضراً، ولا يجلب لك نفعاً؟!

﴿٤٠﴾ يا أبت، إني قد جاءني من العلم عن طريق الوحي ما لم يأتك، فاتبعني أرشدك إلى طريق مستقيم.

﴿٤١﴾ يا أبت، لا تعبد الشيطان بطاعتك له، إن الشيطان كان للرحمن عاصياً، حيث أمره بالسجود لأدم فلم يسجد.

﴿٤٢﴾ يا أبت، إني أخاف أن يصيبك

وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٧﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٣٨﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٣٩﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٠﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤١﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا كُنْتُمْ تَتَنَزَّهَ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٣﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَاسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٤﴾ وَأَعِزَّنِي لَهُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٥﴾ فَلَمَّا أَعِزَّنَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٤٨﴾

عذاب من الرحمن إن مت على كفرك، فتكون قريباً له في العذاب لمولاتك له.

﴿٤٩﴾ قال آزر لابنه إبراهيم عليه السلام: أمعروض أنت عن أصنامي التي أعبدتها يا إبراهيم؟! لئن لم تكف عن سب أصنامي لأرميتك بالحجارة، وفارقني زماناً طويلاً فلا تكلمني، ولا تجتمع معي.

﴿٥٠﴾ قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: سلام عليك مني، لا ينالك ما تكره مني، سأطلب لك المغفرة من ربي والهداية، إنه سبحانه كان كثير اللطف بي.

﴿٥١﴾ وأفارقكم وأفارق معبوداتكم التي يعبدونها من دون الله، وأدعو ربي وحده لا أشرك به شيئاً، عسى ألا يمنعي إذا دعوته، فأكون بدعائه شقيّاً.

﴿٥٢﴾ فلما تركهم وترك آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، عوضناه عن فقد آلهه فوهبنا له ابنه إسحاق، ووهبنا له حفيده يعقوب، وكل واحد منهما جعلناه نبياً.

﴿٥٣﴾ وأعطيناهم من رحمتنا مع النبوة خيراً كثيراً، وجعلنا لهم ثناءً حسناً مستمراً على ألسنة العباد.

﴿٥٤﴾ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر موسى عليه السلام، إنه كان مختاراً مصطفى، وكان رسولاً نبياً.

• من قوالب الآيات،

• لما كان اعتزال إبراهيم لقومه مشتركاً فيه مع سارة، ناسب أن يذكر هبتهما المشتركة وحفيدهما، ثم جاء ذكر إسماعيل مستقلاً مع أن الله وهبه إياه قبل إسحاق. • التأدب واللفظ والرفق في محاوراة الوالدين واختيار أفضل الأسماء في مناداتهما. • المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته. • وعد الله كل محسن أن ينشر له ثناءً صادقاً بحسب إحسانه، وإبراهيم عليه السلام وذريته من أئمة المحسنين.

وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۖ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۝ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ ۖ بِالْغَيْبِ ۖ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا زَوْجُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَا ۝ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ ۖ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ۖ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝

٣٠٩

٥١) ونادينا من جانب الجبل الأيمن بالنسبة لموقع موسى عليه السلام، وقربنا مناجيا، حيث أسمعه الله كلامه.

٥٢) وأعطيناه - من رحمتنا وإنعامنا عليه - أخاه هارون عليه السلام نبيًا: استجابة لدعائه حين سأل ربه ذلك.

٥٣) واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إسماعيل عليه السلام، إنه كان صادق الوعد، لا يعد وعدا إلا وفى به، وكان رسولًا نبيًا.

٥٤) وكان يأمر أهله بإقامة الصلاة، وبإعطاء الزكاة، وكان عند ربه مرضيًا.

٥٥) واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إدريس عليه السلام، إنه كان كثير الصدق والتصديق بآيات ربه، وكان نبيًا من أنبياء الله.

٥٦) ورفعنا ذكره بما أعطيناه من النبوة، فكان عالي المنزلة.

٥٧) أولئك المذكورون في هذه السورة ابتداءً بذكر إبراهيم وختانًا بإدريس عليه السلام، هم الذين أنعم الله عليهم بالنبوة من أبناء آدم عليه السلام، ومن أبناء في السفينة مع نوح عليه السلام، ومن أبناء إبراهيم وأبناء يعقوب عليه السلام، وفقنا للهداية إلى الإسلام، واصطفيناهم وجعلناهم أنبياء، كانوا إذا سمعوا آيات الله تقرأ سجودوا لله باكين من خشيته.

٥٨) فجاء من بعد هؤلاء الأنبياء المصطفين أتباع سوء وضلال، ضيعوا الصلاة، فلم يأتوا بها على الوجه المطلوب، وارتكبوا ما تشهيه أنفسهم من المعاصي كالزنى، فسوف يلقون شرًا في جهنم وخيبة.

٥٩) إلا من تاب وعمل عملاً صالحاً فأولئك الموصوفون بهذه الصفات يدخلون الجنة، ولا ينقصون من أجور أعمالهم شيئاً ولو قل.

٦٠) جنات إقامة واستقرار التي وعد الرحمن عباده الصالحين بالغيب أن يدخلهم فيها، وهم لم يروها فآمنوا بها، فوعد الله بالجنة - وإن كان غيباً - آت لا محالة.

٦١) لا يسمعون فيها فضولاً، ولا كلاماً فحشياً، بل يسمعون سلام بعضهم على بعض، وسلام الملائكة عليهم، ويأتهم ما يشتهون من الطعام فيها صباحاً ومساءً.

٦٢) هذه الجنة الموصوفة بهذه الصفات هي التي نورثها من عبادنا من كان ممثلاً للأوامر، مجتنباً للنواهي.

٦٣) ولما ذكر سبحانه ثواب المتقين ذكر أن التقوى هي الوقوف مع أمره، فقال:

٦٤) قل - يا جبريل - لمحمد صلى الله عليه وسلم: إن الملائكة لا تنزل من تلقاء أنفسها، وإنما تنزل بأمر الله، الله ما نستقبله من أمر الآخرة، وما خلفناه من أمر الدنيا، وما بين الدنيا والآخرة، وما كان ربك - أيها الرسول - ناسياً شيئاً.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• حاجة الداعية دوماً إلى أنصار يساعده في دعوته. • إثبات صفة الكلام لله تعالى. • صدق الوعد محمود، وهو من خلق النبيين والمرسلين، وضده وهو الخُلُف مذموم. • إن الملائكة رسل الله بالوحي لا تنزل على أحد من الأنبياء والرسل من البشر إلا بأمر الله.

﴿١٥﴾ خالق السماوات وخالق الأرض، ومالكهما ومدير أمرهما، وخالق ما بينهما ومالكه ومديره، فاعبده وحده، فهو المستحق للعبادة، واثبت على عبادته، فليس له مثل ولا نظير يشاركه في العبادة.

﴿١٦﴾ ويقول الكافر المنكر للبعث؛ استهزاء: «إذا مت فإني سوف أخرج من قبري حيًّا ثانية؟! إن هذا لبعيد.

﴿١٧﴾ أولاً يتذكر هذا المنكر للبعث أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئاً؟! فيستدل بالخلق الأول على الخلق الثاني، مع أن الخلق الثاني أسهل وأيسر.

﴿١٨﴾ فوريك - أيها الرسول - لنخرجتهم من قبورهم إلى المحشر مصحوبين بشياطينهم الذين أضلّوهم، ثم لنسوقهم إلى أبواب جهنم أذلاء، باركين على ركبهم.

﴿١٩﴾ ثم لنجذبن بشدة وعنف من كل طائفة من طوائف الضلال أشدهم عصياناً، وهم قادتهم.

﴿٢٠﴾ ثم لنحن أعلم بالذين هم أحقّ بدخول النار ومقاساة حرّها ومعاناته.

﴿٢١﴾ وما منكم - أيها الناس - أحد إلا سيعبر فوق الصراط المضروب على متن جهنم، كان هذا العبور قضاءً مُبرّماً قضاء الله، فلا رادّ لقضائه.

﴿٢٢﴾ ثم بعد هذا العبور على الصراط نسلم الذين اتقوا ربهم بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وترك الظالمين باركين على ركبهم، لا يستطيعون الفرار منها.

﴿٢٣﴾ وإذا تُقرأ على الناس آياتنا المنزلّة على رسولنا وضحاح قال الكفار للمؤمنين: أيّ فريقنا خير إقامة ومسكنًا، وأحسن مجلسًا ومجتمعًا: فريقنا أم فريقكم؟!.

﴿٢٤﴾ وما أكثر الأمم التي أهلكتها قبل هؤلاء الكفار المفتخرين بما هم فيه من تفوّق مادي، هي أحسن منهم أموالاً، وأحسن منظراً لنفاسة ثيابهم، وتنعّم أبدانهم.

﴿٢٥﴾ قل - أيها الرسول -: من كان يتخبط في ضلاله فسيمهله الرحمن حتى يزداد ضلالاً، حتى إذا عاينوا ما كانوا يوعدون به من العذاب المعجل في الدنيا، أو المؤجل يوم القيامة فسيعلمون حينئذ من هو شر منزلاً وأقل ناصراً، أهو فريقهم أم فريق المؤمنين؟

﴿٢٦﴾ ومقابل الإمهال لأولئك حتى يزدادوا ضلالاً، يزيد الله الذين اهتدوا إيماناً وطاعة، والأعمال الصالحات المؤدية إلى السعادة الأبدية أنفع عند ربك - أيها الرسول - جزاء، وخير عاقبة.

• **مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ** • على المؤمنين الاشتغال بما أمروا به والاستمرار عليه في حدود المستطاع. • ورود جميع الخلائق على النار - أي: المرور على الصراط، لا الدخول في النار - أمر واقع لا محالة. • أن معايير الدين ومفاهيمه الصحيحة تختلف عن تصورات الجهلاء والعوام. • من كان غارقاً في الضلالة متأصلاً في الكفر يتركه الله في طغيان جهله وكفره، حتى يطول اغتراره، فيكون ذلك أشد لعاقبه. • يثبت الله المؤمنين على الهدى، ويزيدهم توفيقاً ونصرة، وينزل من الآيات ما يكون سبباً لزيادة اليقين مجازاة لهم.

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿١٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿١٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿١٧﴾ فَوَرَيْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿١٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٢٢﴾ وَإِذْ اسْتُلِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٢٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَدًّا ﴿٢٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٢٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلَقِيبَتْ أَنَّ الصَّالِحِينَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٢٦﴾

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
 ٧٧ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ٧٨
 سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ٧٩ وَنَرِيهِ
 مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ٨٠ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً
 لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ٨١ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
 عَلَيْهِمْ ضِدًّا ٨٢ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
 تَوْرَهُمْ آدًا ٨٣ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ٨٤
 يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ٨٥ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ
 إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ٨٦ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ
 الرَّحْمَنِ عَهْدًا ٨٧ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ٨٨ لَقَدْ
 جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
 وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوِ لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا
 ٩١ وَمَا يَتَّبِعِ لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَنْ فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ٩٣ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ
 وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٤ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ٩٥

٣١١

٧٧ أفرأيت - أيها الرسول - الذي كفر بحججنا، وأنكر وعيدنا، وقال: إن مت، وبعثت لأعطين مالا كثيرا وأولادا.

٧٨ أعلم الغيب فقال ما قال عن بيته؟! أم جعل عند ربه عهدا ليدخله الجنة، ويعطيته مالا وأولادا؟!.

٧٩ ليس الأمر كما زعم، سنكتب ما يقوله وما يعمل، ونزيد عذابا فوق عذابه لما يذيعه من الباطل.

٨٠ ونرت ما تركه من مال وولد بعد إهلاكنا له، ويجئنا يوم القيامة فردا قد سلب منه ما كان يتمتع به من مال ومن جاه.

٨١ واتخذ المشركون لهم معبودين من دون الله؛ ليكونوا لهم ظهيرا ومعينا ينتصرون بهم.

٨٢ ليس الأمر كما زعموا، فهذه المعبودات التي يعبدونها من دون الله ستجحد عبادة المشركين لها يوم القيامة، وتبترأ منهم، وتكون لهم أعداء.

٨٣ ألم تر - أيها الرسول - أنا بعثنا الشياطين، وسلطناهم على الكفار تهيجهم إلى فعل المعاصي والصد عن دين الله تهيجًا؟

٨٤ فلا تعجل - أيها الرسول - بطلب الله أن يعجل هلاكهم، إنما نحصى أعمارهم إحصاء، حتى إذا انتهى وقت إكمالهم عاقبتهم بما يستحقون.

٨٥ واذكر - أيها الرسول - يوم القيامة يوم نجمع المتقين ربهم - بامثال أوامره واجتباب نواهيه - إلى ربهم وفداً مكرمين معززين.

٨٦ ونسوق الكفار إلى جهنم عطاشاً.

٨٧ لا يملك هؤلاء الكفار الشفاعة لبعضهم إلا من اتخذ عند الله في الدنيا عهداً بالإيمان به وبرسوله.

٨٨ وقال اليهود والنصارى وبعض المشركين: اتخذ الرحمن ولداً.

٨٩ لقد جئتم - أيها القائلون بهذا - شيئاً عظيماً.

٩٠ تكاد السماوات تشقق من هذا القول المنكر، وتكاد الأرض تتصدع، وتكاد الجبال تسقط منهزمة.

٩١ كل ذلك من أجل أن نسبوا للرحمن ولداً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٩٢ وما يستقيم أن يتخذ الرحمن ولداً لتزفه عن ذلك.

٩٣ إن كل من في السماوات من الملائكة والإنس والجن إلا يأتي ربه يوم القيامة خاضعاً.

٩٤ لقد أحاط بهم علماً، وعدهم عدداً، فلا يخفى عليه منهم شيء.

٩٥ وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً لا ناصر له ولا مال.

• من قوائد الآيات،

• تدل الآيات على سخف الكافر وسذاجة تفكيره، وتَمَيُّيه الأمانى المعسولة، وهو سيجد نقيضها تماماً في عالم الآخرة. • سَلَطَ الله الشياطين على الكافرين بالإغواء والإغراء بالشر، والإخراج من الطاعة إلى المعصية. • أهل الفضل والعلم والصلاح يشفعون بإذن الله يوم القيامة.

﴿٣٦﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا
الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
فُتُوحَاتٍ كَثِيرًا مِّنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ

﴿٣٧﴾ فَإِنَّمَا يَسْتُرْنَا هَذَا الْقُرْآنُ بِأَنزَالِهِ
لِبَلْسَانِكَ - أيها الرسول - من أجل أن
تبشّر به المتقين الذين يمثلون
أوامري، ويجتنبون نواهي، وتخوف به
قومًا أشداء في الخصومة والمكابرة في
الإذعان للحق.

﴿٣٨﴾ وما أكثر الأمم التي أهلكناها من
قبل قورك، فهل تشر اليوم بأحد من
تلك الأمم؟! وهل تسمع لهم صوتًا
خفيًا؟! فما أصابهم قد يصيب غيرهم
حين يأذن الله.

سُورَةُ طه

— مكية —

﴿٣٩﴾ مِنْ مَّقَاصِدِ السُّورَةِ:
تقوية النبي ﷺ لحمل الرسالة والصبر
عليها.

﴿٤٠﴾ التَّفْسِيرُ:
﴿طه﴾ تقدم الكلام على نظائرها
في بداية سورة البقرة.

﴿٤١﴾ ما أنزلنا عليك - أيها الرسول -
القرآن ليكون سببًا في إرهابك نفسك
أسفًا على إعراض قومك عن الإيمان
بك.

﴿٤٢﴾ ما أنزلناه إلا ليكون تذكيرًا لمن
وقفهم الله لخشيته.

﴿٤٣﴾ نَزَّلَهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْمَرْفُوعَةَ، فَهُوَ قُرْآنٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ عَظِيمٍ.

﴿٤٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَا وَارْتَفَعَ عَلَى الْعَرْشِ عَلَوًّا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ ﷻ.

﴿٤٥﴾ لَهُ سُبْحَانُهُ وَحْدَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَحْتَ التُّرَابِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، خَلَقًا وَمَلَكًا وَتَدْبِيرًا.

﴿٤٦﴾ وَإِنْ تَعْلَنْ - أيها الرسول - الْقَوْلَ، أَوْ تَخْفَهُ فَإِنَّهُ سُبْحَانُهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَهُوَ يَعْلَمُ السِّرَّ وَمَا هُوَ أَخْفَى مِنَ السِّرِّ
مثل خواطر النفس، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿٤٧﴾ اللَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ، لَهُ وَحْدَهُ الْأَسْمَاءُ الْبَالِغَةُ الْكَمَالِ فِي الْحَسَنِ.

﴿٤٨﴾ وَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْانِي مِنْ قَوْمِهِ الْإِعْرَاضِ، جَاءَتْ تَسْلِيَتُهُ بِقِصَّةِ مُوسَى ﷺ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ جَاءَكَ - أيها الرسول - خَيْرُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ﷺ.

﴿٥٠﴾ حِينَ عَايَنَ فِي سَفَرِهِ نَارًا، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: أَقِيمُوا فِي مَكَانِكُمْ هَذَا، إِنِّي أَبْصَرْتُ نَارًا لِعَلِّي آتِيكُمْ مِنْ هَذِهِ النَّارِ
بشعلة، أو أجد من يهديني إلى الطريق.

﴿٥١﴾ فَلَمَّا جَاءَ النَّارَ نَادَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: يَا مُوسَى.

﴿٥٢﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَانْزِعْ نَعْلَيْكَ اسْتِعْدَادًا لِمُنَاجَاتِي، إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُطَهَّرِ (طُوًى).

﴿٥٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • ليس إنزال القرآن العظيم لإتعايب النفس في العبادة، وإذاقتها المشقة الفادحة، وإنما هو كتاب
تذكير ينتفع به الذين يخشون ربهم. • قَرَنَ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، فَكَمَا أَنَّ الْخَلْقَ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْحِكْمَةِ؛ فَكَذَلِكَ
لَا يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَى إِلَّا بِمَا هُوَ عَدْلٌ وَحِكْمَةٌ. • عَلَى الزَّوْجِ وَاجِبُ الْإِنْفَاقِ عَلَى الْأَهْلِ (الْمَرْأَةِ) مِنْ غِذَاءٍ وَكِسَاءٍ
وَمَسْكَنٍ وَوَسَائِلِ تَدْفِئَةِ وَقْتِ الْبَرْدِ.

وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تَلَكَ بِمِيمِنِكَ يَكُمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَكُمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَتِي مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كُنْتُ نَسِيحًا كَذِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذَرْتُكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَكُمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾

- ﴿١٣﴾ وأنا اصطفتيك - يا موسى - لتبليغ رسالتي، فاستمع لما أوحى إليك.
- ﴿١٤﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِي، فاعبدني وحدي، وأد الصلاة على أكمل وجه لتذكركني فيها.
- ﴿١٥﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا مُحَالَةَ وَوَاقِعَةً، أَكَادُ أُخْفِيهَا فَلَا يَعْلَمُ وَقْتُهَا مَخْلُوقٌ، ولكن يعرفون علاماتها بإخبار النبي لهم؛ لكي تُجَازَى كل نفس بما عملته، خيرًا كان أو شرًا.
- ﴿١٦﴾ فلا يصرفتك عن التصديق بها والاستعداد لها بالعمل الصالح من لا يؤمن بها من الكفار، واتبع ما تهواه نفسه من المحرمات، فتهلك بسبب ذلك.
- ﴿١٧﴾ وما تلك التي بيدك اليمنى يا موسى؟
- ﴿١٨﴾ قال موسى ﷺ: هي عصاي؛ أعتمد عليها في المشي، وأخطب بها الشجر ليسقط ورقها لغنمي، ولي فيها منافع غير ما ذكرت.
- ﴿١٩﴾ قال الله: ألقها يا موسى.
- ﴿٢٠﴾ فألقها موسى، فانقلبت حية تمشي بسرعة وخفة.
- ﴿٢١﴾ قال الله لموسى ﷺ: خذ العصا، ولا تخف من انقلابها حية، سنعيد لها إذا أخذتها إلى حالتها الأولى.
- ﴿٢٢﴾ واضمم يدك إلى جنبك تخرج بياض من غير برص؛ علامة ثانية لك.
- ﴿٢٣﴾ أربناك هاتين العلامتين لنريك - يا موسى - من آياتنا العظمى الدالة على قدرتنا، وعلى أنك رسول من عند الله.
- ﴿٢٤﴾ سر - يا موسى - إلى فرعون، فإنه تجاوز الحد في الكفر والتمرد على الله.
- ﴿٢٥﴾ قال موسى ﷺ: رب، وسع لي صدري لأتحمل الأذى.
- ﴿٢٦﴾ وسهل لي أمري.
- ﴿٢٧﴾ ليفهموا كلامي إذا بلغتهم رسالتك.
- ﴿٢٨﴾ واجعل لي معيَّنًا من أهلي يعينني في أموري.
- ﴿٢٩﴾ هارون بن عمران أخي.
- ﴿٣٠﴾ قوِّ به ظهري.
- ﴿٣١﴾ واجعله شريكًا لي في الرسالة.
- ﴿٣٢﴾ لكى نسبحك تسيبًا كثيرًا.
- ﴿٣٣﴾ ونذكرك ذكرًا كثيرًا.
- ﴿٣٤﴾ إنك كنت بنا بصيرًا، لا يخفى عليك شيء من أمرنا.
- ﴿٣٥﴾ قال الله: قد أعطيتك ما طلبت يا موسى.
- ﴿٣٦﴾ ولقد أنعمنا عليك مرة أخرى.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

- وجوب حسن الاستماع في الأمور المهمة، وأهمها الوحي المنزل من عند الله. •
- اشتغال أول الوحي إلى موسى على أصليين في العقيدة وهما: الإقرار بتوحيد الله، والإيمان بالساعة (القيامة)، وعلى أهم فريضة بعد الإيمان وهي الصلاة. •
- التعاون بين الدعاة ضروري لإنجاح المقصود؛ فقد جعل الله لموسى أخاه هارون نبيًا ليعاونه في أداء الرسالة. •
- أهمية امتلاك الداعية لمهارة الإقناع للمدعوين.

﴿٢٨﴾ إِذْ أَلْهَمْنَا أُمِّكَ مَا أَلْهَمْنَاهَا مِمَّا
حَفَظْتَ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَكْرِ فِرْعَوْنَ.

﴿٢٥﴾ فقد أمرناها حين ألهمناها : أن
أرميه بعد ولادته في الصندوق،
وأطرحه الصندوق في البحر،
فسيطرحه البحر بالشاطئ بأمر منا،
فيأخذه عدو لي وله، وهو فرعون،
ووضعت عليك محبة مني، فأحبك
الناس، ولتربي على عيني وفي حفظي
ورعايتي.

﴿٤٤﴾ إِذْ خَرَجْتَ أَتَيْتُكَ تَمِيرَ كَلِمًا سَارَ
التَّابُوتَ تَتَابِعُهُ، فَقَالَتْ لِمَنْ أَخَذُوهُ:
هَلْ أُرْسِدُكُمْ إِلَى مَنْ يَحْفَظُهُ وَيَرْضَعُهُ
وَيَرْبِيهِ؟ فَمَنْتَا عَلَيْكَ بِإِرْجَاعِكَ إِلَى أُمِّكَ
لَتَسَرَّ بِرُجُوعِكَ إِلَيْهَا، وَلَا تَحْزَنَ مِنْ
أَجْلِكَ، وَقَتْلَ الْقَبِيضِيِّ الَّذِي وَكَرَّهْتَهُ،
فَمَنْتَا عَلَيْكَ بِإِنْجَاكَ مِنَ الْعُقُوبَةِ،
وِخْلَصْنَاكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ مِنْ كُلِّ امْتِحَانٍ
تَعَرَّضْتَ لَهُ، فَخَرَجْتَ وَمَكْتَحٌ أَعْوَامًا
فِي أَهْلِ مَدْيَنَ، ثُمَّ أَتَيْتَ فِي الْوَقْتِ
الَّذِي قُدِّرَ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ فِيهِ لَتَكْلِمِكَ يَا
مُوسَى.

❶ واخترتك لتكون رسولا عني تبليغ
الناس ما أوحيت به إليك.

٤٦ اذهب أنت - يا موسى - وأخوك
هارون، بآياتنا الدالة على قدرة الله
ووحدانيته، ولا تضعفوا عن الدعوة
إليّ، وعن ذكرى.

﴿١٤﴾ اذهبوا إلى فرعون، فإنه تجاوز الحد في الكفر والتمرد على الله.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٢٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ
 فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ
 عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلَضَعَع عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٢٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ
 هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّعَبَ بِهَا
 وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَكَانَتْ نَفْسًا فَجِيعًا مِّنَ الْغَمِ ۚ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا
 فَلَمِشْتَ سَيْنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْؤُوسَى ﴿٣٠﴾
 وَأَصْطَنَعْنَاكَ لِنَقُصِيَ ﴿٣١﴾ أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِمَا لَبِيتَ ۖ وَلَا
 تَبْنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٣٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٣٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا
 لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَا لَكَ مِن بَيْنِ أَيْدِي
 عَالِيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٣٥﴾ قَالَ لَأَنخَاِفَآ أَنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ ۚ وَأَرَىٰ
 ﴿٣٦﴾ فَأَتَيْنَاهُ فُقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
 وَلَا تَجْعَلْ فِيهِمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَايَةِ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ
 الْهُدَىٰ ﴿٣٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَبَ
 وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْؤُوسَى ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
 كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٤٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٤١﴾

٢١٤

﴿١١﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَطِيفًا لَا عَنفَ فِيهِ؛ رَجَاءُ أَنْ يَتَذَكَّرَ، وَيَخَافُ اللَّهَ فَيَتُوبَ.

قال موسى وهارون عليهما السلام: إنا نخاف أن يعجل بالعقوبة قبل إتمام دعوته، أو أن يتجاوز الحد في ظلمنا بالقتل أو غيره.

﴿٤١﴾ قال الله لهما: لا تخافا؛ إني معكما بالنصر والتأييد، أسمع وأرى ما يحدث بينكما وبينه.

﴿١٧﴾ فَأْتِيَاهُ، فَقُولَا لَهُ: إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ - يَا فِرْعَوْنُ - فَأَبْعَثْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا تَعْذِibَهُمْ بِقَتْلِ أَبْنَائِهِمْ، وَاسْتَحْيَاهُمْ، قَدْ آتَيْنَاكَ بَيْرَهَانًا مِنْ رَبِّكَ عَلَى صَدَقَاتِنَا، وَالْأَمَانُ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ لِمَنْ آمَنَ، وَاتَّبِعْ هُدَى اللَّهِ.

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَأَعْرَضَ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.

٤٩ قال فرعون منكراً لما جاء به: فمن ربكما الذي زعمتما أنه أرسلكما إليّ يا موسى؟

قال موسى: ربنا هو الذي أعطى كل شيء صورته وشكله المناسب له، ثم هدى المخلوقات لما خلقها له.

قال فرعون: فما شأن الأمم السابقة التي كانت على الكفر؟

● من فوائد الآيات:

● كمال اعتناء الله بكليمه موسى ﷺ والأنبياء والرسل، ولورثتهم نصيب من هذا الاعتناء على حسب أحوالهم مع الله. ● من الهداية العامة للمخلوقات أن تجد كل مخلوق يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عن نفسه. ● بيان فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة، ووضيحت له العصمة. ● الله هو المختص بعلم الغيب في الماضي والحاضر والمستقبل.

قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ٥٤ الَّذِي
 جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَوَسَّلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ٥٥ كُلُوا
 وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ٥٦ * مِنْهَا
 خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ٥٧ وَلَقَدْ
 آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ٥٨ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
 مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَى ٥٩ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ
 فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
 سُوًى ٦٠ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ صُحَى ٦١
 ٥٩ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ٦٢ قَالَ لَهُمْ
 مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيَسْحَرَكُم بِعَذَابٍ
 وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ٦٣ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَوْا
 السَّجْوَى ٦٤ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ
 مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ٦٥
 فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعَالَ ٦٦

٣١٥

٥٤) قال موسى ﷺ لفرعون: عِلْمُ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْأُمَمُ عِنْدَ رَبِّي، مُثَبَّتٌ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، لَا يَخْطِئُ رَبِّي فِي عِلْمِهَا، وَلَا يَنْسَى مَا عِلِمَهُ مِنْهَا.

٥٥) عند ربِّي الذي صَبَّرَ لَكُمْ الْأَرْضَ مُهْمَدَةً لِلْعَيْشِ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا طَرَفًا صَالِحَةً لِلسَّيْرِ عَلَيْهَا، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءَ الْمَطَرِ. فَأَخْرَجْنَا بِذَلِكَ الْمَاءِ أَصْنَافًا مِنَ النَّبَاتَاتِ مُخْتَلِفَةً.

٥٦) كُلُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الطَّيْبَاتِ، وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ، إِنْ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنَ النِّعَمِ لَدَلَالٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ.

٥٧) من تراب الأرض خلقنا أباكم آدم ﷺ، وفيها نرجعكم بالدفن إذا مِتُّمْ، ومنها نخرجكم مرة أخرى للبعث يوم القيامة.

٥٨) ولقد أظهرنا لفرعون آياتنا التسع كلها، وشاهدناها فكذب بها، وامتنع أن يستجيب إلى الإيمان بالله.

٥٩) قال فرعون: أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ مِصْرَ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ السِّحْرِ - يَا مُوسَى - لِيَبْقَى لَكَ مَلِكُهَا؟

٦٠) فلنأتينك - يا موسى - بسحر مثل سحرِك، فاجعل بيننا وبينك موعداً في زمان معلوم ومكان محدد، لا نتخلف نحن ولا تتخلف أنت عنه، وليكن المكان وسطاً بين الفريقين معتدلاً.

٦١) قال موسى ﷺ لفرعون: الموعد بيننا وبينكم يوم العيد حيث يجتمع الناس محتفلين بعيدهم ضحى.

٦٢) فادبر فرعون منصرفاً، وجمع مكره وحيله، ثم جاء في الزمان والمكان المحددين للمُعَالَةِ.

٦٣) قال موسى يعظ سحرة فرعون: احذروا، لا تختلقوا على الله كذباً بما تخذعون به الناس من السحر فيستأصلكم بعذاب من عنده، وقد خسر من اختلق على الله الكذب.

٦٤) فتناظر السحرة لما سمعوا كلام موسى ﷺ، وتناجوا بينهم سرّاً.

٦٥) قال بعض السحرة لبعضهم سرّاً: إِنْ مُوسَى وَهَارُونُ سَاِحَرَانِ، يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ مِصْرَ بِسِحْرِهِمَا الَّذِي جَاءَ بِهِ، وَيَذْهَبَا بِسُتْنِكُمُ الْعِلْيَا فِي الْحَيَاةِ، وَمَذْهَبِكُمُ الْأَرْقَى.

٦٦) فَأَحْكُمُوا أَمْرَكُمْ، وَلَا تَخْتَلِقُوا فِيهِ، ثُمَّ تَقْدُمُوا مُصْطَفَيْنَ، وَارْمُوا مَا عِنْدَكُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَقَدْ ظَفِرَ بِالْمَطْلُوبِ الْيَوْمَ مَنْ غَلَبَ خَصْمَهُ.

٦٧) مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- إخراج أصناف من النبات المختلفة الأنواع والألوان من الأرض دليل واضح على قدرة الله تعالى ووجود الصانع.
- ذكرت الآيات دليلين عقليين واضحين على الإعادة: إخراج النبات من الأرض بعد موتها، وإخراج المكلفين منها وإيجادهم.
- كفر فرعون كفر عناد؛ لأنه رأى الآيات عياناً لا خبراً، واقتنع بها في أعماق نفسه.
- اختار موسى يوم العيد؛ لتعلو كلمة الله، ويظهر دينه، ويكبت الكفر، أمام الناس قاطبة في المجمع العام ليُشيع الخبر.

﴿٥٥﴾ قال السحرة لموسى ﴿٥٥﴾: يا موسى، اختر أحد أمرين: أن تكون البادئ بالقاء ما لديك من سحر، أو نكون نحن البادئين بذلك.

﴿٥٦﴾ قال موسى ﴿٥٦﴾: بل اطرحوا أنتم ما لديكم أولاً، فطرحوا ما عندهم، فإذا حبالهم وعصيهم التي طرحوها يُخَيَّلُ إلى موسى من سحرهم أنها ثعابين تتحرك بسرعة.

﴿٥٧﴾ فأسرَّ موسى في نفسه الخوف مما صنعوا.

﴿٥٨﴾ قال الله لموسى ﴿٥٨﴾ مطمئنًا إياه: لا تخف مما يُخَيَّلُ إليك، إنك - يا موسى - أنت المُسْتَغْلَى عليهم بالغلبة والنصر.

﴿٥٩﴾ واطرح العصا التي بيدك اليمنى تنقلب حية تتلع ما صنعه من السحر، فما صنعه ليس إلا كيدًا سحريًا، ولا يظفر الساحر بمطلوب أين كان.

﴿٦٠﴾ فطرح موسى عصاه فانقلبت حية، وابتلعت ما صنعه السحرة، فسجد السحرة لله لما علموا أن ما عند موسى ليس سحرًا، إنما هو من عند الله، قالوا: آمنا برب موسى وهارون، رب جميع المخلوقات.

﴿٦١﴾ قال فرعون منكراً على السحرة إيمانهم ومتوعدًا: هل أمنتُم بموسى قبل أن أذن لكم بذلك؟! إن موسى لهو رئيسكم - أيها السحرة - الذي علمكم السحر، فلاقطعن من كل واحد منكم

قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٥٦﴾ فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِلَّا تَكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٥٨﴾ وَالْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٥٩﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِجِّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٦٠﴾ قَالَ ءَاَمَنْتُمْ لَهُ وَقَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا أَصْلَابَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلِتَعْمُنَّ أَنْتَ بَأْسَ دُ عَذَابًا وَابْقَى ﴿٦١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٦٢﴾ إِنَّآءَ آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَعْرِفَ لَنَا خَطِئْنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٦٣﴾ إِنَّهُ وَمَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ وَجْهَهُ لَإِيْمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٦٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٦٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٦٦﴾

٣١٦

رجلاً ويدًا مخالفًا بين جهتهما، ولأصْلَبَ أبدانكم على جذوع النخل حتى تموتوا، وتكونوا عبرة لغيركم، وتتعلمن عند ذلك أين أقوى عذابًا، وأدوم: أنا أو رب موسى؟!

﴿٦٧﴾ قال السحرة لفرعون: لن نفضل اتباعك - يا فرعون - على اتباع ما جاءنا من الآيات الواضحات، ولن نفضلك على الله الذي خلقنا، فاصنع ما أنت صانع بنا، ما لك سلطان علينا إلا في هذه الحياة الفانية، وسيزول سلطانك.

﴿٦٨﴾ إنا آمنا بربنا رجاء أن يمحو عنا معاصينا السالفة من الكفر وغيره، ويمحو عنا ذنب السحر الذي أجبرتنا على تعلمه وممارسته ومغالبة موسى به، والله خير جزاء مما وعدتنا به، وأدوم عذابًا مما توعدتنا به من العذاب.

﴿٦٩﴾ إن الشأن والحاصل أن من يأتي ربه يوم القيامة كافرًا به أن له نار جهنم يدخلها مأكثًا فيها أبدًا، لا يموت فيها فيستريح من عذابها، ولا يحيا حياة طيبة.

﴿٧٠﴾ ومن يأت ربه يوم القيامة مؤمنًا به قد عمل الأعمال الصالحات فأولئك الموصوفون بتلك الصفات العظيمة لهم المنازل الرفيعة، والدرجات العلية.

﴿٧١﴾ تلك الدرجات هي جنات إقامة تجري الأنهار من تحت قصورها مأكثين فيها أبدًا، وذلك الجزاء المذكور جزاء كل من تطهر من الكفر والمعاصي.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ، لا يفوز ولا ينجو الساحر حيث أتى من الأرض أو حيث احتال، ولا يحصل مقصوده بالسحر خيرًا كان أو شرًا. • الإيمان يصنع المعجزات؛ فقد كان إيمان السحرة أرسخ من الجبال، فهان عليهم عذاب الدنيا، ولم يبالوا بتهديد فرعون. • دأب الطغاة التهديد بالعذاب الشديد لأهل الحق والإيمان في ذلك للإذلال والإهانة.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعَبَادِي فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
 فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
 بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ
 وَمَهَّدَى ﴿٧٩﴾ يُبَيِّنُ إِسْرَاءَ يَلْ قَدْ أَجَبْتَكُمْ مِنْ عَذْوِكُمْ وَعَدْتُكُمْ
 جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ
 طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي
 وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ
 وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ
 قَوْمِكَ يَكْمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
 رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
 السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ
 يَلْقَوُ الْأَرْضَ يَحْدُكُمُ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا أَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ
 أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ
 مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا
 أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

٣١٧

﴿٧٧﴾ ولقد أوحينا إلى موسى: أن سر بعبادي ليلاً من مصر حتى لا يشعر بهم أحد، واجعل لهم طريقاً في البحر يابساً بعد ضرب البحر بالعصا، آمناً لا تخاف أن يلحق بك فرعون وملؤه، ولا تخشى من الغرق في البحر. ﴿٧٨﴾ فتبعهم فرعون مصحوباً بجنوده، فغمره وغمر جنوده من البحر ما غمرهم مما لا يعلم حقيقته إلا الله، فغرقوا جميعاً وهلكوا، ونجا موسى ومن معه.

﴿٧٩﴾ وأضل فرعون قومه بما حسنه لهم من الكفر، وخدعهم به من الباطل، ولم يرشدهم إلى طريق الهداية.

﴿٨٠﴾ وقلنا لبني إسرائيل بعد أن أنقذناهم من فرعون وجنوده: يا بني إسرائيل، قد أنقذناكم من عدوكم، وواعدناكم أن نكلّم موسى بالجهة اليمنى من الوادي الواقع بجانب جبل الطور، ونزلنا عليكم في الثّبة من نعمنا شراباً حلواً مثل العسل وطائراً صغيراً طيب اللحم يشبه السماني.

﴿٨١﴾ كلوا من المستلذات مما رزقناكم من الأطعمة الحلال، ولا تتجاوزوا ما أبحنه لكم إلى ما حرّمناه عليكم، فينزل عليكم غضبي، ومن ينزل عليه غضبي فقد هلك وشقي في الدنيا والآخرة.

﴿٨٢﴾ وإني لكثير المغفرة والعفو لمن تاب إليّ وآمن، وعمل عملاً صالحاً، ثم استقام على الحق.

﴿٨٣﴾ وما الذي جعلك تعجل عن قومك - يا موسى - فتقدمهم تاركاً إياهم خلفك؟

﴿٨٤﴾ قال موسى ﷺ: ها هم ورائي وسيلحقوني، وسبقت قومي إليك لترضى عني بمسارعتي إليك.

﴿٨٥﴾ قال الله: فإننا قد ابتلينا قومك الذين خلفتهم وراءك بعبادة العجل، فقد دعاهم إلى عبادته السامري، فأضلّهم بذلك.

﴿٨٦﴾ فعاد موسى إلى قومه غضبان لعبادتهم العجل، حزناً عليهم، قال موسى ﷺ: يا قوم، أما وعدكم الله وعداً حسناً أن ينزل عليكم التوراة، ويدخلكم الجنة، فهل طال عليكم الزمان فنسيتم؟ أم أردتم بفعلكم هذا أن ينزل عليكم غضب من ربكم، ويقع عليكم عذابه، فلذلك أخلفتم موعدي بالثبات على الطاعة حتى أرجع إليكم؟! ﴿٨٧﴾ قال قوم موسى: ما أخلفنا موعداً - يا موسى - باختيار منا، بل باضطرار، فقد حملنا أحمالاً وأثقالاً من حُلِيِّ قوم فرعون، فرميناها في حفرة للتخلص منها، فكما رميناها في الحفرة رمى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل ﷺ.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• من سُنَّةِ اللَّهِ انتقامه من المجرمين بما يشفي صدور المؤمنين، ويقر أعينهم، ويذهب غيظ قلوبهم. • الطاغية شوم على نفسه وعلى قومه؛ لأنه يضلهم عن الرشd، وما يهديهم إلى خير ولا إلى نجاة. • النعم تقتضي الحفظ والشكر المقرون بالمزيد، وجحودها يوجب حلول غضب الله ونزوله. • الله غفور على الدوام لمن تاب من الشرك والكفر والمعصية، وآمن به وعمل الصالحات، ثم ثبت على ذلك حتى مات عليه. • أن العجلة وإن كانت في الجملة مذمومة فهي ممدوحة في الدين.

﴿٣٨﴾ فَأَخْرَجَ السَّامِرِيُّ مِنْ تِلْكَ الْحَلِيِّ لَبْنِي إِسْرَائِيلَ جَسَدَ عَجَلٍ لَا رُوحَ فِيهِ، لَهُ صِيَاغٌ كَصِيَاغِ الْبَقَرِ، فَقَالَ الْمُفْتَنُونَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ السَّامِرِيِّ: هَذَا هُوَ مَعْبُودُكُمْ وَمَعْبُودُ مُوسَى، نَسِيَهُ وَتَرَكَهُ هُنَا.

﴿٣٩﴾ أَفْلا يَرَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فُتِنُوا بِالْعَجَلِ فَعْبَدُوهُ أَنَّ الْعَجَلَ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَجِيبُهُمْ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ ضَرَرٍ عَنْهُمْ وَلَا عَنْ غَيْرِهِمْ، وَلَا جَلْبَ نَفْعٍ لَهُ، أَوْ لغيره؟!

﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ قَبْلَ رَجُوعِ مُوسَى إِلَيْهِمْ: مَا فِي صِيَاغَةِ الْعَجَلِ مِنَ الذَّهَبِ وَخُحْوَارِهِ إِلَّا اخْتِبَارٌ لَكُمْ لِيُظْهِرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكَافِرِ، وَإِنْ رَبَّكُمْ - يَا قَوْمَ - هُوَ مَنْ يَمْلِكُ الرَّحْمَةَ لَا مَنْ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا فَضَلَّ عَنْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ، فَاتَّبَعُونِي فِي عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرِي بِتَرْكِ عِبَادَةِ غَيْرِهِ.

﴿٤١﴾ قَالَ الْمُفْتَنُونَ بِعِبَادَةِ الْعَجَلِ: لَنْ نَزَالَ مُقِيمِينَ عَلَى عِبَادَتِهِ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْنَا مُوسَى.

﴿٤٢﴾ قَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونُ: مَا الَّذِي مَنَعَكَ حِينَ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا بِعِبَادَةِ الْعَجَلِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

﴿٤٣﴾ أَنْ تَتْرَكَهُمْ وَتَلْحَقَ بِي؟! أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي لَكَ حِينَ اسْتَخْلَفْتُكَ عَلَيْهِمْ؟!

﴿٤٤﴾ وَلَمَّا أَخَذَ مُوسَى بِلِحْيَةِ أَخِيهِ وَرَأْسِهِ يَسْجُوهُ إِلَيْهِ مُسْتَنَكِرًا عَلَيْهِ صَنِيعَهُ قَالَ لَهُ هَارُونُ مُسْتَعِظًا إِيَّاهُ: لَا تَمْسُكْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِشَعْرِ رَأْسِي، فَإِنْ لِي عَذْرًا

فِي بَقَائِي مَعَهُمْ، فَقَدْ خَفْتُ إِنْ تَرَكْتَهُمْ وَحْدَهُمْ أَنْ يَتَفَرَّقُوا، فَتَقُولُ: إِنِّي فَارَقْتُ بَيْنَهُمْ، وَإِنِّي لَمْ أَحْفَظْ وَصِيَّتَكَ فِيهِمْ.

﴿٤٥﴾ قَالَ مُوسَى ﷺ لِلْسَّامِرِيِّ: فَمَا شَأْنُكَ أَنْتَ يَا سَامِرِيُّ؟ وَمَا الَّذِي دَفَعَكَ إِلَى مَا صَنَعْتَ؟

﴿٤٦﴾ قَالَ السَّامِرِيُّ لِمُوسَى ﷺ: رَأَيْتُ مَا لَمْ يَرَوْهُ، فَقَدْ رَأَيْتُ جَبْرِيلَ عَلَى فَرَسٍ، فَأَخَذَتْ قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ مِنْ أَثَرِ فَرَسِهِ، فَطَرَحَتْهَا عَلَى الْحَلِيِّ الْمَذَابِ الْمَسْبُوكِ عَلَى صُورَةِ عَجَلٍ، فَنَشَأَ عَنْ ذَلِكَ عَجَلٌ جَسَدُ لَهُ خُحْوَارٌ، وَكَذَلِكَ حَسَنْتُ لِي نَفْسِي مَا صَنَعْتُهُ.

﴿٤٧﴾ قَالَ مُوسَى ﷺ لِلْسَّامِرِيِّ: فَادْهَبْ أَنْتَ فَإِنَّ لَكَ أَنْ تَقُولَ مَا دُمْتَ حَيًّا: لَا أَمْسَنَ وَلَا أَمُتَ، فَتَعِيشَ مُنْبِذًا، وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُحَاسِبُ فِيهِ وَتُعَاقَبُ، لَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ هَذَا الْمَوْعِدَ، وَانْظُرْ إِلَى عَجَلِكَ الَّذِي اتَّخَذْتَهُ مَعْبُودًا، وَأَقِمْتَ عَلَى عِبَادَتِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، لِنَشْعَلَنَّ عَلَيْهِ نَارًا حَتَّى يَنْصَهَرَ، ثُمَّ لَنَذَرِيَّتَهُ فِي الْبَحْرِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ.

﴿٤٨﴾ إِنَّمَا مَعْبُودُكُمْ بِحَقِّ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، فَلَا يَفُوتُهُ سُبْحَانَهُ عِلْمُ شَيْءٍ.

﴿٤٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• خَدَاعُ النَّاسِ بِتَزْوِيرِ الْحَقَائِقِ مَسْلِكُ أَهْلِ الضَّلَالِ.

• الْغَضَبُ الْمَحْمُودُ عِنْدَ اتِّهَاقِ مُحَارَمِ اللَّهِ.

• فِي الْآيَاتِ أَصْلٌ فِي نَفْيِ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمَعَاصِي وَهَجْرَانِهِمْ، وَأَلَا يُخَالَطُوا.

• فِي الْآيَاتِ وَجُوبُ الْفِكْرِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ خِلَالِ مَفْعُولَاتِهِ فِي الْكُونِ.

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا
ذِكْرًا ۝١٦ مَن أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا
۝١٧ خَلِيدٍ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۝١٨ يَوْمَ يُنْفَخُ
فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝١٩ يَتَخَفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۝٢٠ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۝٢١ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ
فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝٢٢ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝٢٣
لَا تَبْقَى فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أَمْتًا ۝٢٤ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ
لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
۝٢٥ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ
قَوْلًا ۝٢٦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ
عِلْمًا ۝٢٧ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ
ظُلْمًا ۝٢٨ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ
ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۝٢٩ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا
فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۝٣٠

٣١٩

١٦ مثل ما قصصنا عليك - أيها الرسول - خبر موسى وفرعون، وخبر قومهما نقص عليك أخبار من سبقوك من الأنبياء والأمم لتكون تسلياً لك، وقد أعطيناك من عندنا قرآنًا يتذكر به من تذكر.

١٧ من أعرض عن هذا القرآن المنزل عليك فلم يؤمن به، ولم يعمل بما فيه؛ فإنه يأتي يوم القيامة حاملاً أثماً عظيماً، ومستحقاً عقاباً اليماً.

١٨ ما كثر في ذلك العذاب دائماً، وبنس الحمل الذي يحملونه يوم القيامة.

١٩ يوم ينفخ المثلث في الصور النفخة الثانية للبعث، وتحشر الكفار في ذلك اليوم زُرْقاً لتغير ألوانهم وعيونهم من شدة ما لا قوة من أهوال الآخرة.

٢٠ يتهايمسون بقولهم: ما لبثتم في البرزخ بعد الموت إلا عشر ليال.

٢١ نحن أعلم بما يتسألون به، لا يفهمنا منه شيء، إذ يقول أوفرهم عقلاً: ما لبثتم في البرزخ إلا يوماً واحداً لا أكثر.

٢٢ ويسألونك - أيها الرسول - عن حال الجبال يوم القيامة، فقل لهم: الجبال يقتلعها ربي من أصولها ويذريها، فتكون هباءً.

٢٣ فيترك الأرض التي كانت تحملها مستوية لا بناء عليها ولا نبات.

٢٤ لا ترى - أيها الناظر إليها - في الأرض من تمام استوائها ميلاً ولا ارتفاعاً ولا انخفاضاً.

٢٥ في ذلك اليوم يتبع الناس صوت الداعي إلى المحشر، لا معدل لهم عن اتباعه، وسكنت الأصوات للرحمن رهبة، فلا تسمع في ذلك اليوم إلا صوتاً خفياً.

٢٦ في ذلك اليوم العظيم لا تنفع الشفاعة من أي شافع إلا شافعاً أذن له الله أن يشفع، ورضي قوله في الشفاعة.

٢٧ يعلم الله سبحانه ما يستقبله الناس من أمر الساعة، ويعلم ما استدبروه في دنياهم، ولا يحيط جميع العباد بذات الله وصفاته علماً.

٢٨ وذلت وجوه العباد، واستكانت للحي الذي لا يموت، القائم بأمر عبادته بتدبيرها وتصريفها، وقد خسر من حمل الإثم بإيراده نفسه موارد الهلاك.

٢٩ ومن يعمل الأعمال الصالحة وهو مؤمن بالله ورسله فيسأل جزاءه وأثراً، ولا يخاف ظلماً بأن يعذب بذنب لم يفعله، ولا نقصاً لثواب عمله الصالح.

٣٠ ومثل ما أنزلنا من قصص السابقين أنزلنا هذا القرآن بلسان عربي مبين، وبينا فيه أنواع الوعيد من تهديد وتخويف؛ رجاء أن يخافوا الله، أو ينشئ لهم القرآن موعظة واعتباراً.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• القرآن العظيم كله تذكير ومواعظ للأمم والشعوب والأفراد، وشرف وفخر للإنسانية. • لا تنفع الشفاعة أحداً إلا شفاعته من أذن له الرحمن، ورضي قوله في الشفاعة. • القرآن مشتمل على أحسن ما يكون من الأحكام التي تشهد العقول والفطر بحسنها وكمالها. • من آداب التعامل مع القرآن تلقيه بالقبول والتسليم والتعظيم، والاهتمام بنوره إلى الصراط المستقيم، والإقبال عليه بالتعلم والتعليم. • ندم المجرمين يوم القيامة حيث ضيعوا الأوقات الكثيرة، وقطعوها ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم.

فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٤٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١٤٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٤٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجَنَّ كَمَا مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٤٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٤٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١٤٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْئَلُ ﴿١٥٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ وَفُغِيَ ﴿١٥١﴾ ثُمَّ أَلْحَبْتَهُ رَبُّهُ وَقَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٥٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٥٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٥٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٥٥﴾

٣٢٠

﴿١٤٣﴾ فتعالى الله وتقّس وجلّ، الملك الذي له ملك كل شيء، الذي هو حق وقوله حق، تعالى عما يصفه به المشركون، ولا تسرع - أيها الرسول - بقراءة القرآن مع جبريل قبل أن ينهي إليك إبلاغه، وقل: رب زدني علماً إلى ما علمتني.

ولما ذكر الله قصة موسى وما اشتملت عليه من إعراض فرعون وغفلة بني إسرائيل، ذكر قصة آدم عليه السلام رجوع من نسي إلى طاعة الله فقال:

﴿١٤٤﴾ ولقد وصينا آدم من قبل بعدم الأكل من الشجرة، ونهيناه عن ذلك، وبينّا له عاقبته، فنسي الوصية وأكل من الشجرة، ولم يصبر عنها، ولم نر له قوة عزم على حفظ ما وصيناه به.

﴿١٤٥﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية، فسجدوا كلهم إلا إبليس - الذي كان معهم ولم يكن منهم - امتنع من السجود تكبراً.

﴿١٤٦﴾ فقلنا: يا آدم. إن إبليس عدو لك وعدو لزوجك، فلا يخرجتك أنت وزوجك من الجنة بطاعته فيما يوسوس به، فتتحمل أنت المشاق والمكاره.

﴿١٤٧﴾ إن لك على الله أن يطعمك في الجنة فلا تجوع، ويكسوك فلا تعرى.

﴿١٤٨﴾ وأن يسقيك فلا تعطش، ويظلك فلا يصيبك حر الشمس.

﴿١٤٩﴾ فوسوس الشيطان إلى آدم، وقال

له: هل أرشدك إلى شجرة من أكل منها لا يموت أبداً، بل يبقى حياً مخلّداً، ويملك ملكاً مستمراً لا ينقطع ولا ينتهي؟!

﴿١٥٠﴾ فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نُهيّا عن الأكل منها، فظهرت لهما عورتهما بعد أن كانت مستورة، وشرعا ينزعان من أوراق شجر الجنة، ويستران بها عورتهما، وخالف آدم أمر ربه إذ لم يمثل أمره باجتناّب الأكل من الشجرة، فتعدّى إلى ما لا يجوز له.

﴿١٥١﴾ ثم اختاره الله وقبل توبته، ووفقه إلى الرشاد.

﴿١٥٢﴾ قال الله لآدم وحواء: انزلا من الجنة أنتما وإبليس، فهو عدو لكما وأنتما عدوان له، فإن جاءكم مني بيان لسبيلي: فمن اتبع منكم بيان سبيلي وعمل به ولم ينحرف عنه؛ فلا يضلّ عن الحق، ولا يشقى في الآخرة بالعذاب، بل يدخله الله الجنة.

﴿١٥٣﴾ ومن تولّى عن ذكري ولم يقبله، ولم يستجب له فإن له معيشة ضيقة في الدنيا وفي البرزخ، ونسوقه إلى المحشر يوم القيامة فاقد البصر والحجة.

﴿١٥٤﴾ يقول هذا المّعْرِض عن الذكر: يا رب، لم حشرتني اليوم أعمى، وقد كنت في الدنيا بصيراً.

• من قَوَائِدِ الْأَيَّاتِ: • الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنّى ويصبر حتى يفرغ المُتَلِمِي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض. • نسي آدم فسيت ذريته، ولم يثبت على العزم المؤكد، وهم كذلك، وبادر بالتوبة فغفر الله له، ومن يشابه أباه فما ظلم. • فضيلة التوبة؛ لأن آدم عليه السلام كان بعد التوبة أحسن منه قبلها. • المعيشة الضنك في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة لأهل الكفر والضلال.

﴿١٦٦﴾ قال الله تعالى ردًا عليه: مثل ذلك فعلته في الدنيا، فقد جاءتك آياتنا فأعرضت عنها وتركتها، وكذلك فإنك تترك اليوم في العذاب.

﴿١٦٧﴾ ومثل هذا الجزاء نجزي من انهمك في الشهوات المحرمة، وأعرض عن الإيمان بالدلائل الواضحة من ربه. ولعذاب الله في الآخرة أقطع وأقوى من المعيشة الضئيلة في الدنيا والبرزخ وأدوم.

﴿١٦٨﴾ أفلم يبين للمشركين كثرة الأمم التي أهلكتها من قبلهم، يمشون في مساكن تلك الأمم المهلكة، ويعينون آثار ما أصابهم؟ إن فيما أصاب تلك الأمم الكثيرة من الهلاك والدمار لعبارة لأصحاب العقول.

﴿١٦٩﴾ ولولا كلمة سبقت من ربك - أيها الرسول - أنه لا يعذب أحدًا قبل إقامة الحجة عليه، ولولا أجل مُقَدَّر عنده لهم لعاجلهم العذاب؛ لاستحقاقهم إياه.

﴿١٧٠﴾ فاصبر - أيها الرسول - على ما يقوله المكذبون بك من أوصاف باطلة، وسبح بحمد ربك في صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وفي صلاة العصر قبل غروبها، وفي صلاة المغرب والعشاء من ساعات الليل، وفي صلاة الظهر عند الزوال بعد نهاية الطرف الأول من النهار وفي صلاة المغرب بعد نهاية الطرف الثاني منه؛ رجاء أن تنال عند الله من الثواب ما ترضى به.

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٦٦﴾
وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأُنْفَى ﴿١٦٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٦٨﴾
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَا وَاجِلٌ مِّسْمَى ﴿١٦٩﴾
فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٧٠﴾
وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأُنْفَى ﴿١٧١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٧٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٧٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٧٤﴾ قُلْ كُلُّ مَتْرِصٍّ فَتَرِصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٧٥﴾

﴿٣٢١﴾

﴿١٧١﴾ ولا تنظر إلى ما جعلناه لأصناف هؤلاء المكذبين متعة يتمتعون بها من زهرة الحياة الدنيا لنختبرهم، فإن ما جعلناه لهم من ذلك زائل، وثواب ربك الذي وعدك به حتى ترضى خير مما متعهم به في الدنيا من متع زائلة وأدوم؛ لأنه لا ينقطع.

﴿١٧٢﴾ وأمر - أيها الرسول - أهلك بأداء الصلاة، واصطبر أنت على أدائها، لا تطلب منك رزقًا لنفسك ولا لغيرك، نحن نتكفل برزقك، والعاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة لأصحاب التقوى الذين يخافون الله، فيمتثلون وأوامره، ويجتنبون نواهيه.

﴿١٧٣﴾ وقال هؤلاء الكفار المكذبون بالنبي ﷺ: هلاً يأتينا محمد بعلامة من ربه تدل على صدقه وأنه رسول، أولم يأت هؤلاء المكذبين القرآن الذي هو تصديق للكتب السماوية من قبله؟!

﴿١٧٤﴾ ولو أننا أهلكتنا هؤلاء المكذبين بالنبي ﷺ بإنزال عذاب عليهم لكفرهم وعنادهم قبل أن نرمل إليهم رسولاً، وننزل عليهم كتاباً لقالوا يوم القيامة معتذرين عن كفرهم: هلاً أرسلت - ربنا - إلينا رسولاً في الدنيا، فنؤمن به ونتبع ما جاء به من آيات من قبل أن يحل بنا الهوان والخزي بسبب عذابك؟!

﴿١٧٥﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: كل واحد منكم منتظر ما يُجرِّبه الله، فانتظروا أنتم، فستعلمون - لا محالة - من أصحاب الطريق المستقيم، ومن المهتدون: نحن أم أنتم؟

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • من الأسباب المعينة على تحمل إبداء المعرضين استثمار الأوقات الفاضلة في التسبيح بحمد الله. • ينبغي على العبد إذا رأى من نفسه طموحاً إلى زينة الدنيا وإقبالاً عليها أن يوازن بين زينتها الزائلة ونعيم الآخرة الدائم. • على العبد أن يقيم الصلاة حق الإقامة، وإذا حَزَبَ أمر صلى وأمر أهله بالصلاة، وصبر عليهم تأسياً بالرسول ﷺ. • العاقبة الجميلة المحمودة هي الجنة لأهل التقوى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
 مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
 يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ
 ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَاءَ أَنْتُمْ
 تَبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ
 افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
 ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
 ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

٣٢٢

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
 بيان وحدة الرسالات من خلال التذكير
 بحال الرسل ودعوتهم الواحدة
 لعبادة الله وحده.

• التَّفْسِيرُ:
 ① قُرْبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ عَلَى
 أعمالهم يوم القيامة، وهم في غفلة
 معرضون عن الآخرة؛ لانشغالهم
 بالدنيا عنها.

② وما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ
 حديث النزول إلا استمعوه سماعًا غير
 نافع، بل سماع لعب غير مباليين بما
 فيه.

③ استمعوه وقلوبهم غافلة عنه،
 وأخفى الظالمون بالكفر الحديث الذي
 يتناجون به قائلين: هل هذا الذي
 يدعي أنه رسول إلا بشر مثلكم، لا
 ميزة له عنكم؟! وما جاء به سحر،
 أفنتبعونه وأنتم تدركون أنه بشر مثلكم،
 وأن ما جاء به سحر؟!!

④ قال الرسول ﷺ: ربي يعلم ما
 أخفيتم من الحديث، فهو يعلم كل
 قول صادر من قائله في السماوات
 وفي الأرض، وهو السميع لأقوال
 عباده، العليم بأعمالهم، وسيجازيهم
 عليها.

⑤ بل ترددوا بشأن ما جاء به
 محمد ﷺ، فتارة قالوا: أحلام مختلطة

لا تأويل لها، وقالوا تارة: لا، بل اختلقه من غير أن يكون له أصل، وقالوا تارة: هو شاعر، وإن كان صادقًا في
 دعواه فليجئنا بمعجزة مثل الأولين من الرسل، فقد جاؤوا بالمعجزات، مثل عصا موسى، وناقاة صالح.

⑥ ما آمنت قبل هؤلاء المقترحين قرية اقترحوا نزول الآيات فأعطوها كما اقترحوها، بل كذبوا بها فأهلكناهم،
 أفبؤمن هؤلاء؟!!

⑦ وما بعثنا قبلك - أيها الرسول - إلا رجالًا من البشر نوحى إليهم، ولم نبعثهم ملائكة، فاسألوا أهل الكتاب من
 قبلكم إن كنتم لا تعلمون ذلك.

⑧ وما جعلنا الرسل الذين نرسلهم ذوي جسد لا يأكلون الطعام، بل يأكلون كما يأكل غيرهم، وما كانوا باقين
 في الدنيا لا يموتون.

⑨ ثم حققنا لرسلنا ما وعدناهم به حيث أنقذناهم وأنقذنا من نشاء من المؤمنين من الهلاك، وأهلكنا المتجاوزين
 للحد بكفرهم بالله، وارتابهم المعاصي.

⑩ لقد أنزلنا إليكم القرآن فيه شرفكم وفخركم إن صدقتم به، وعلمتم بما فيه، أفلا تعقلون ذلك، فتسارعوا إلى
 الإيمان به، والعمل بما تضمنه؟!!

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- قُرْبَ الْقِيَامَةِ مِمَّا يَسْتَوْجِبُ الْاسْتِعْدَادَ لَهَا. • انشغال القلوب باللغو يصرفها عن الحق. • إحاطة علم الله بما
 يصدر من عباده من قول أو فعل. • اختلاف المشركين في الموقف من النبي ﷺ يدل على تخطيطهم واضطرابهم.
- أن الله مع رسله والمؤمنين بالتأييد والعون على الأعداء. • القرآن شرف وعز لمن آمن به وعمل به.

(١) وما أكثر القرى التي أهلكناها بسبب ظلمها بالكفر، وخلقنا بعدها قومًا آخرين!

(٢) فلما شاهد المهلكون عذابنا المستأصل، إذا هم من قريتهم يسرعون هربًا من الهلاك.

(٣) فينادون على وجه السخرية: لا تهربوا، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من التنعم بملذاتكم، وإلى مساكنكم؛ لعلمكم تسألون من دنياكم شيئًا.

(٤) قال هؤلاء الظالمون معترفين بذنبهم: يا هلاكنا وخسراننا، إنا كنا ظالمين لكفرنا بالله.

(٥) فما زال اعترافهم بذنبهم ودعائهم على أنفسهم بالهلاك دعوتهم التي يكررونها حتى صيرناها مثل الزرع المحصود، ميتين لا حراك به.

(٦) وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لعبًا وعبثًا، بل خلقناهما للدلالة على قدرتنا.

(٧) لو أردنا اتخاذ صاحبة أو ولد لاتخذناه مما عندنا، وما كنا فاعلين ذلك لتزهننا عنه.

(٨) بل نرمي بالحق الذي نوحيه به إلى رسولنا على باطل أهل الكفر فيدحضه، فإذا باطلهم ذاهب زائل، ولكم - أيها القائلون باتخاذها صاحبة وولداً - الهلاك لو صفكم له بما لا يليق به.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
آخَرِينَ ﴿١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ بِمِقَاتٍ كُضُوبٍ ﴿٢﴾
لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَسْأَلُونَ ﴿٣﴾ قَالُوا يُبَيِّنُ لَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ
دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلِيبِينَ ﴿٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعِيبِينَ ﴿٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ
لَهُمْ آيَةً لَتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿١٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا آلَ اللَّهِ لِقْسَدًا فَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١١﴾ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا
مِنْ دُونِهِ آلَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ
مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١٣﴾

ولما كان اتخاذ الصاحبة والولد سببًا عن الافتقار؛ بين ﷻ أنه مالك هذا الكون، فقال:

(١) وله سبحانه وحده ملك السماوات وملك الأرض، ومن عنده من الملائكة لا يتكبرون عن عبادته، ولا يتعبون منها.

(٢) يواظبون على تسبيح الله دائماً، لا يملون منه.

(٣) بل اتخذ المشركون آلهة من دون الله، لا يحيون الموتى، فكيف يعبدون عاجزًا عن ذلك؟!

(٤) لو كان في السماوات والأرض معبودات متعددة لفدنا بتنازع المعبودات في الملك، والواقع خلاف ذلك، فنزّه الله رب العرش عما يصفه به المشركون كذبًا من أن له شركاء.

(٥) والله هو المتفرد في ملكه وقضائه، لا يسأله أحد عما قدره وقضى به، وهو يسأل عباده عن أعمالهم، ويجازيهم عليها.

(٦) بل اتخذوا من دون الله معبودات، قل - أيها الرسول - لهؤلاء أمشركين: هاتوا حججكم على استحقاقها للعبادة، فهذا الكتاب المنزل علي، والكتب المنزلة على الرسل لا حجة لكم فيها، بل معظم المشركين لا يستندون إلا إلى الجهل والتقليد، فهم معرضون عن قبول الحق.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الظلم سبب في الهلاك على مستوى الأفراد والجماعات.
- ما خلق الله شيئًا عبثًا؛ لأنه سبحانه سُتْرُهُ عن العبث.
- غلبة الحق، ودحر الباطل سُتْرُ الْهِيمَةِ.
- إبطال عقيدة الشرك بدليل التَّمَانُعِ.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا ثَقَافَتَيْنِ هُمَا وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْمَاءِ كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفْلا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

٣٢٤

﴿٢٥﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسولاً إلا نوحى إليه أنه لا معبود بحق إلا أنا فاعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي شيئاً.

﴿٢٦﴾ وقال المشركون: اتخذ الله الملائكة بنات، تنزه سبحانه وتقدس عما يقولونه من الكذب، بل الملائكة عباد لله، مكرمون منه، مقربون إليه.

﴿٢٧﴾ لا يتقدمون ربهم بقول، فلا ينطقون به حتى يأمرهم، وهم بأمره يعملون، فلا يخالفون له أمراً.

﴿٢٨﴾ يعلم سابق أعمالهم ولاحقها، ولا يسألون الشفاعة إلا بإذنه لمن ارتضى الشفاعة له، وهم من خوفه سبحانه يحذرون، فلا يخالفونه في أمر ولا نهي.

﴿٢٩﴾ ومن يقل من الملائكة من باب الافتراض: إني معبود من دون الله، فإننا نجزيه على قوله بعذاب جهنم يوم القيامة خالداً فيها، ومثل هذا الجزاء نجزي الظالمين بالكفر والشرك بالله.

﴿٣٠﴾ أولم يعلم الذين كفروا بالله أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين، لا فراغ بينهما فينزل منه المطر، ففصلنا بينهما، وجعلنا من الماء النازل من السماء إلى الأرض كل شيء من حيوان أو نبات، أفلا يعتبرون بذلك، ويؤمنون بالله وحده؟!

﴿٣١﴾ وخلقنا في الأرض جيالاً ثابتة حتى لا تضطرب بمن عليها، وجعلنا

فيها مسالك وطرقاً واسعة لعلهم يهتدون في أسفارهم إلى مقاصدهم.

﴿٣٢﴾ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً من السقوط من غير عمد، ومحفوظاً من اشتراق السمع، والمشركون عما في السماء من الآيات - كالشمس والقمر - معرضون لا يعتبرون.

﴿٣٣﴾ والله وحده هو الذي خلق الليل للراحة، وخلق النهار لكسب المعاش، وخلق الشمس علامة على النهار، والقمر علامة على الليل، كل من الشمس والقمر يجري في مداره الخاص به، لا ينحرف عنه ولا يميل.

﴿٣٤﴾ وما جعلنا لأحد من البشر قبلك - أيها الرسول - البقاء في هذه الحياة؟ أفإن انقضى أجلك في هذه الحياة ومِتَّ فهو لا باقون بعدك؟! كلا.

﴿٣٥﴾ كل نفس مؤمنة أو كافرة ذائقة الموت في الدنيا، ونختبركم - أيها الناس - في الحياة الدنيا بالتكاليف والنعم والنقم، ثم بعد موتكم إلينا لا إلى غيرنا ترجعون، فنجازيكم على أعمالكم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• تنزيه الله عن الولد.

• منزلة الملائكة عند الله أنهم عباد خلقهم لطاعته، لا يوصفون بالذكورة ولا الأنوثة، بل عباد مكرمون.

• خلقت السماوات والأرض وفق سنة التدرج، فقد خلقتا ملئتَين، ثم فُصل بينهما.

• الابتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير.

وَإِذَا رَأَوْاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا
 الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ
 كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ سَأُورِيكُمْ
 آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
 لَا يَكْفُوتُ عَنْ وَجُوهِهِمُ النَّارُ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا
 هُمْ يُبْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
 يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ
 بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا
 بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾
 أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
 أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَتَابِعُ حُبُوتٍ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ
 وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا أَنَا نِي
 الْأَرْضِ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

٣٢٥

﴿٣٦﴾ وإذا رآك المشركون لا يتخذونك إلا سخرية منقرين أتباعهم بقولهم: أهذا هو الذي يسب آلهتهم التي تعبدونها؟ وهم مع السخرية بك جاحدون بما أنزل الله عليهم من القرآن وبما أعطاهم من النعم كافرون؛ فهم أولى بالعيب لجمعهم كل سوء.

﴿٣٧﴾ طبع الإنسان على العجلة، فهو يستعجل الأشياء قبل وقوعها، ومن ذلك استعجال المشركين للعذاب، سأريكم - أيها المستعجلون لعذابي - ما استعجلتموه منه، فلا تطلبوا تعجيله.

﴿٣٨﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث على وجه الاستعجال: متى يكون ما نعدوننا به... أيها المسلمون - من البعث إن كنتم صادقين فيما تدعونه من وقوعه؟!

﴿٣٩﴾ لو يعلم هؤلاء الكفار المنكرون للبعث حين لا يردون النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم، وأن لا ناصر ينصرهم بدفع العذاب عنهم، لو يفتنوا ذلك لما استعجلوا العذاب.

﴿٤٠﴾ لا تأتيهم هذه النار التي يُعذبون بها عن علم منهم، بل تأتيهم فجأة، فلا يقدرون على ردها عنهم، ولا هم يؤخرون حتى يتوبوا فتألمهم الرحمة.

ولما عانى رسول الله ﷺ من استهزاء قومه به وتكذيبهم له، سلاه الله بقوله:

﴿٤١﴾ ولئن سخر بك قومك فلست بذعاً في ذلك، فقد استهزئ برسول من قبلك - أيها الرسول - فأحاط بالكفار الذين كانوا يسخرون منهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به في الدنيا عندما تخوفهم رسلهم به.

﴿٤٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: من يحفظكم بالليل والنهار مما يريد بكم الرحمن من إنزال العذاب والهلاك بكم؟ بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه معرضون، لا يتدبرون شيئاً منها جهلاً وسفهاً.

﴿٤٣﴾ أم هل لهم آلهة تمنعهم من عذابنا؟ لا يستطيعون نصر أنفسهم بدفع ضرر عنها، ولا يجلب نفع لها، ومن لا ينصر نفسه فكيف ينصر غيره؟! ولا هم يُجَارُونَ من عذابنا.

﴿٤٤﴾ بل متعنا هؤلاء الكفار، ومتعنا آباءهم بما بسطنا عليهم من نعمنا؛ استدراجاً لهم، حتى تطاول بهم الزمن فاعتروا بذلك، وأقاموا على كفرهم، أفلا يرى هؤلاء المغترون بنعمنا المستعجلون بعذابنا أنا نأتي الأرض ننقصها من جوانبها بقرنها لأهلها، وغلبتنا لهم، فيعتبروا بذلك حتى لا يقع بهم ما وقع بغيرهم؟! فليس هؤلاء غالبين، بل هم مغلوبون.

• مِنْ قَوَائِدِ آيَاتِ:

- بيان كفر من يستهزئ بالرسول، سواء بالقول أو الفعل أو الإشارة.
- من طبع الإنسان الاستعجال، والأناة خلق فاضل.
- لا يحفظ من عذاب الله إلا الله.
- مآل الباطل الزوال، ومآل الحق البقاء.

﴿٥٥﴾ قل - أيها الرسول -: إنما أخوفكم - أيها الناس - من عذاب الله بالوحي الذي يوحى إليّ ربي، ولا يسمع الصم عن الحق ما يدعون إليه سماع قبول إذا خوفوا من عذاب الله.

﴿٥٦﴾ ولئن مسّ هؤلاء المستعجلين بالعذاب نصيب من عذاب ربك - أيها الرسول - ليقولنّ عندئذ: يا هلاكنا وخسراننا، إنا كنا ظالمين بالشرك بالله والتكذيب بما جاء به محمد ﷺ.

﴿٥٧﴾ ونُنصِب الموازين العادلة لأهل القيامة لتوزن بها أعمالهم، فلا تُظلم في ذلك اليوم نفس بنقص حسناتها أو زيادة سيئاتها، وإن كان الموزون قليلاً مثل ما تزنه حبة خردل جثنا به، وكفى بنا مُحْصِينَ نحصى أعمال عبادنا.

﴿٥٨﴾ ولقد أعطينا موسى وهارون ﷺ التوراة فارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام، وهداية لمن آمنوا بها، وتذكيراً للمتقين لربهم.

﴿٥٩﴾ الذين يخافون عقاب ربهم الذي يؤمنون به مع أنهم لم يشاهدوه، وهم من الساعة خائفون.

﴿٦٠﴾ وهذا القرآن المنزل على محمد ﷺ ذُكر لمن أراد أن يتذكر به وموعظة، كثير النفع والخير، أفأنتم له مع ذلك منكرون؟! غير مقرّين بما فيه، ولا عاملين به؟!.

﴿٦١﴾ ولقد أعطينا إبراهيم الحجة على قومه في صغره وكنا به عالمين،

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٥٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٠﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٦٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولَؤُمُ مَذْبِحَينَ ﴿٦٧﴾

٣٢٦

فأعطيناه ما يستحقّه في علمنا من لحجة على قومه.

﴿٥٥﴾ إذ قال لأبيه آزر ولقومه: ما هذه الأصنام التي صنعتموها بأيديكم، والتي أنتم مقيمون على عبادتها؟

﴿٥٦﴾ قال له قومه: وجدنا آباءنا يعبدونها، فعبدناها تأسياً بهم.

﴿٥٧﴾ قال لهم إبراهيم: لقد كنتم - أيها التابعون - أنتم وآباؤكم المتبوعون في ضلال عن طريق الحق واضح.

﴿٥٨﴾ قال له قومه: أجيئنا بالجد حين قلت ما قلت، أم أنت من الهازلين؟

﴿٥٩﴾ قال إبراهيم: بل جئتكم بالجد لا بالهزل، فربكم هو ربّ السماوات والأرض الذي خلقهن على غير مثال سابق، وأنا على أنه ربكم ورب السماوات والأرض من الشاهدين، وليس لأصنامكم حظ من ذلك.

﴿٦٠﴾ وقال إبراهيم بحيث لا يسمعه قومه: والله لأدبرنّ لأصنامكم ما تكرهون بعد أن تذهبوا عنها إلى عيدكم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• نفع الإقرار بالذنب مشروط بمصاحبة التوبة قبل فوات أوانها.

• إثبات العدل لله، ونفي الظلم عنه.

• أهمية قوة الحجة في الدعوة إلى الله.

• ضرر التقليد الأعمى.

• التدرج في تغيير المنكر، والبعد بالأسهل فالأسهل، فقد بدأ إبراهيم بتغيير منكر قومه بالقول والصدع بالحجة، ثم انتقل إلى التغيير بالفعل.

فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ

﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْهَيْتَانِ إِنَّهُ وَلِمَنِ الظَّلَامِيَتِ ﴿٥٩﴾

قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا

بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنْتَ

فَعَلْتَ هَذِهِ الْهَيْتَانِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ وَكِيرُهُمْ

هَذَا فَاسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى

أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا

عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ

أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا

يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَلَمْ تَكُنْ لَكُمْ وَالِمَاتُ عِبَادُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا أَحَرِّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهُتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ

﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ

وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا

لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

﴿٥٨﴾ فحظم إبراهيم أصنامهم حتى صارت قطعاً صغيرة، وأبقى كبيرها رجاء أن يرجعوا إليه ليسألوه عمن حظمها.

﴿٥٩﴾ فلما رجعوا ووجدوا أصنامهم قد حُطمت سأل بعضهم بعضاً: من حُظم معبوداتنا؟ إن من حطمتها لمن الظالمين، حيث حَقَّر ما يستحق التعظيم والتقديس.

﴿٦٠﴾ قال بعضهم: سمعنا فتى يذكرهم بسوء ويعييبهم يُدعى إبراهيم، لعله هو الذي حطمتهم.

﴿٦١﴾ قال سادتهم: جيئوا بإبراهيم على مشهد من الناس ومراى؛ لعلهم يشهدون على إقراره بما صنع، فيكون إقراره حجة لكم عليه.

﴿٦٢﴾ فجاءوا بإبراهيم ﴿٦٣﴾ فسألوه: أنت فعلت هذا الفعل الشنيع بأصنامنا يا إبراهيم؟!

﴿٦٤﴾ قال إبراهيم - مُتهكِّماً بهم، مظهراً عجز أصنامهم على مراى من الناس -: ما فعلت ذلك، بل فعله كبير الأصنام، فاسألوا أصنامكم إن كانوا يتكلمون.

﴿٦٥﴾ فرجعوا إلى أنفسهم بالتفكير والتأمل، فتبين لهم أن أصنامهم لا تنفع ولا تضر، فهم ظالمون حين عبدوها من دون الله.

﴿٦٦﴾ ثم عادوا للعناد والجحود، فقالوا: لقد أيقنت - يا إبراهيم - أن هذه الأصنام لا تنطق، فكيف تأمرنا أن نسألها؟ أرادوا ذلك حجة لهم، فكان حجة عليهم.

﴿٦٧﴾ قال إبراهيم - منكراً عليهم -: أفتعبدون من دون الله أصناماً لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم، فهي عاجزة عن دفع الضر عن نفسها، أو جلب النفع لها.

﴿٦٨﴾ قُبْحاً لكم، وقُبْحاً لما تعبدونه من دون الله من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، أفلا تعقلون ذلك، وتتركون عبادتها؟!

﴿٦٩﴾ فلما عجزوا عن مواجهته بالحجة لجؤوا إلى القوة، فقالوا: حرِّقوا إبراهيم بالنار؛ انتصاراً لأصنامكم التي هُدمها وكسرها إن كنتم فاعلين به عقاباً رادعاً.

﴿٧٠﴾ فأوقدوا ناراً ورموه فيها، فقلنا: يا نار، كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، فكانت كذلك، فلم يُصَب بأذى.

﴿٧١﴾ وأراد قوم إبراهيم ﴿٧٢﴾ به كيداً بأن يحرقوه، فأبطلنا كيدهم، وجعلناهم هم الهالكين المغلوبين.

﴿٧٣﴾ وأنقذناه وأنقذنا لوطاً، وأخرجناهما إلى أرض الشام التي باركنا فيها؛ بما بعثنا فيها من الأنبياء، وبما بشناه فيها للمخلوقات من الخيرات.

﴿٧٤﴾ ووهبنا له إسحاق حين دعا ربه أن يرزقه ولداً، ووهبنا له يعقوب زيادة، وكل من إبراهيم وابنيه إسحاق ويعقوب صبرناهم صالحين مطيعين لله.

• مِنْ قَوَائِدِ الْأَقَابِ،

• جواز استخدام الحيلة لإظهار الحق وإبطال الباطل. • تعلق أهل الباطل بحجج يحسبونها لهم، وهي عليهم. • التعنيف في القول وسيلة من وسائل التغيير للمنكر إن لم يترتب عليه ضرر أكبر. • اللجوء لاستخدام القوة برهان على العجز عن المواجهة بالحجة. • نُصِرَ الله لعباده المؤمنين، وإنقاذه لهم من المحن من حيث لا يحتسبون.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ
الْخَيْرَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَاءُوا الزَّكَاةَ وَكَانُوا لَنَا
عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ
إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلَّاءَ آتَيْنَاهُمَا عِلْمًا وَسَخَّرْنَا
مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾

٣٢٨

وسليمان شاهدين، لم يغب عنا من حكمهما شيء.

﴿٧٩﴾ ففهمنا القضية سليمان دون أبيه داود، وكلاً من داود وسليمان أعطينا النبوة والعلم بأحكام الشرع، لم نخص به سليمان وحده، وطوعنا مع داود الجبال تسبح بتسبيحه، وطوعنا له الطير، وكنا فاعلين لذلك التفهيم وإعطاء الحكم والعلم والتسخير.

﴿٨٠﴾ وعلمنا داود دون سليمان صناعة الدروع لتحميكم من فتك السلاح بأجسامكم، فهل أنتم - أيها الناس - شاكرون لهذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم؟!

﴿٨١﴾ وطوعنا لسليمان الريح شديدة الهبوب تجري بأمره إذا أمرها إلى أرض الشام التي باركنا فيها بما بعثنا فيها من الأنبياء، وبما بسط فيها من الخيرات، وكنا بكل شيء عالمين، لا يخفى علينا منه شيء.

• من قوالها الآيات:

- فعل الخير والصلاة والزكاة، مما اتفقت عليه الشرائع السماوية.
- ارتكاب الفواحش سبب في وقوع العذاب المستأصل.
- الصلاح سبب في الدخول في رحمة الله.
- الدعاء سبب في النجاة من الكروب.

﴿٧٣﴾ وصيرناهم أئمة يهتدي بهم الناس في الخير، يدعون الناس إلى عبادة الله وحده بإذن منه تعالى، وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات، واثبتوا بالصلاة على أكمل وجه، وآدوا الزكاة، وكانوا لنا مُقَادِرِينَ.

﴿٧٤﴾ ولو طاء أعطيناها فصل القضاء بين الخصوم، وأعطيناها علماً بأمر دينه، وسلمناه من العذاب الذي أنزلناه على قريته (سدوم) التي كان أهلها يأتون الفاحشة، إنهم كانوا قوم فساد خارجين عن طاعة ربهم.

﴿٧٥﴾ وأدخلناه في رحمتنا إذ أنجيناها من العذاب الذي أصاب قومه، إنه من الصالحين الذين يأترون بأمرنا، ويبتغون بنينا.

﴿٧٦﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة نوح؛ إذ نادى الله من قبل إبراهيم ولوط، فاستجبنا له بإعطائه ما طلب، فأنقذناه وأنقذنا أهله المؤمنين من الغم العظيم.

﴿٧٧﴾ ونجيناها من مكر القوم الذين كذبوا بما أئذناه به من الآيات الدالة على صدقه، إنهم كانوا قوم فساد وشر، فأهلكناهم أجمعين بالغرق.

﴿٧٨﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة داود وابنه سليمان ﷺ إذ يحكما في قضية رُفِعَتْ إليهما بشأن خصمين؛ لأحدهما غنم انتشرت ليلاً في حرث الآخر فأفسدته، وكنا لحكم داود

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَعُودُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَيُوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ وَأَنَّىٰ مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَكَّشْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَزَوَّجْنَاهُ بِإِسْرَافٍ وَكَانُوا يُسْرِفُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

٣٢٩

﴿٨٢﴾ وسخرنا من الشياطين من يغوصون له في البحار يستخرجون اللؤلؤ وغيرها، ويعملون غير ذلك من الأعمال كالمبناء، وكنا لأعدادهم وأعمالهم حافظين، لا يفوتنا شيء من ذلك.

﴿٨٣﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة أيوب عليه السلام، إذ دعا ربه سبحانه حين أصابه البلاء قائلاً: يا رب، إني أصبْتُ بالمرض وفقدت الأهل، وأنت أرحم الراحمين جميعاً، فاصرف عني ما أصابني من ذلك.

﴿٨٤﴾ فأجبنا دعوته، وصرفنا عنه ما أصابه من ضرر، وأعطيناه ما فقد من أهله وأولاده، وأعطيناه مثلهم معهم، كل ذلك فعلناه رحمة من عندنا، وتذكيراً لكل منقاد لله بالعبادة؛ ليصبر كما صبر أيوب.

﴿٨٥﴾ واذكر - أيها الرسول - إسماعيل وإدريس وذا الكفل عليهم السلام، كل واحد منهم من الصابرين على البلاء، وعلى القيام بما كلفهم الله به.

﴿٨٦﴾ وأدخلناهم في رحمتنا، فجعلناهم أنبياء، وأدخلناهم الجنة، إنهم من عباد الله الصالحين الذين عملوا بطاعة ربهم، وصلحت سرائرهم وعلاياتهم.

﴿٨٧﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة صاحب الحوت يونس عليه السلام، إذ ذهب دون إذن من ربه مغاضباً قومه لتماديهم في العصيان، فظن أننا لن نُصَيِّقَ عليه؛ يعاقبه على ذهابه، فابْتُلِيَ بشدة الضيق والجس حين التقمه الحوت، فدعا في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل؛ مقرأً بذيته تائباً إلى الله منه، فقال: لا معبود بحق غيرك، تنزهت وتقدس، إني كنت من الظالمين.

﴿٨٨﴾ فأجبنا دعوته، ونجّيناه من كرب الشدة بإخراجه من الظلمات، ومن بطن الحوت، ومثل إنجاء يونس من كربه هذا ننجي المؤمنين إذا وقعوا في كرب ودعوا الله.

﴿٨٩﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة زكريا عليه السلام، إذ دعا ربه سبحانه قائلاً: رب، لا تتركني منفرداً لا ولد لي، وأنت خير الباقيين، فارزقني ولداً يبقى بعدي.

﴿٩٠﴾ فأجبنا له دعوته، وأعطيناه يحيى ولداً، وأصلحنا زوجه، فصارت ولوداً بعد أن كانت لا تلد، إن زكريا وزوجه وابنه كانوا يسارعون إلى فعل الخيرات، وكانوا يدعوننا راغبين فيما عندنا من الثواب، خائفين مما عندنا من العقاب، وكانوا لنا مُتَضَرِّعِينَ.

﴿٩١﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الصلاح سبب للرحمة.
- الالتجاء إلى الله وسيلة لكشف الكروب.
- فضل طلب الولد ليبقى بعد الإنسان إذا مات.
- الإقرار بالذنب، والشعور بالاضطرار لله وشكوى الحال له، وطاعة الله في الرخاء من أسباب إجابة الدعاء وكشف الضر.

﴿٩١﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة مريم عليها السلام التي صانت فرجها من الزنى، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام، فنفخ فيها فحملت بعبسى عليه السلام، وكانت هي وابنها عيسى علامة للناس على قدرة الله، وأنه لا يعجزه شيء حيث خلقه من غير أب.

﴿٩٢﴾ إن هذه ملتكم - أيها الناس - ملّة واحدة، وهي التوحيد الذي هو دين الإسلام، وأنا ربكم، فأخلصوا العبادة لي وحدي.

﴿٩٣﴾ وتفرّق الناس، فصار منهم الموحّد والمشرّك والكافر والمؤمن، وكل هؤلاء المتفرّقين إلينا وحدنا راجعون يوم القيامة، فنجازيهم على أعمالهم.

﴿٩٤﴾ فمن عمل منهم الأعمال الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله واليوم الآخر فلا جحود لعمله الصالح، بل يشكر الله له ثوابه فيضاعفه له، ويجده في كتاب عمله يوم يبعث، فيسرّ به.

﴿٩٥﴾ ومستحيل على أهل قرية أهلكتها بسبب كفرها أن يرجعوا إلى الدنيا؛ ليتوبوا وتُقبل توبتهم.

﴿٩٦﴾ لا يرجعون أبدًا حتى إذا فُتح سدّ يأجوج ومأجوج، وهم يومئذ من كل مرتفع من الأرض يخرجون مسرعين.

﴿٩٧﴾ واقتربت القيامة بخروجهم، وظهرت أهوالها وشدائدها، فإذا

وَأَلَّتْ - أَخَصَّتْ فَرَجَهَا فَتَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّا هَدَوْنَاهُ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ - كُلُّ إِلَهٍ نَارِجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَكْفُرْ
لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ
يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَيَوِيلٌ لَّكَ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
خَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ
هَؤُلَاءِ إِلَهًا مَّا وَرَدُّوهُهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

٣٣٠

أبصار الكفار مفتوحة من شدّة هولها يقولون: يا هلاكنا، قد كنا في الدنيا في لهو وانشغال عن الاستعداد لهذا اليوم العظيم، بل كنا ظالمين بالكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٩٨﴾ إنكم - أيها المشركون - وما تعبدونه من دون الله من الأصنام، وممن يرضى بعبادتكُم له من الإنس والجن - وقود جهنم، أنتم ومعبوداتكم لها داخلون.

﴿٩٩﴾ لو كانت هذه المعبودات آلهة تُعبد بحق ما دخلوا النار مع من عبدوهم، وكل من العابدين والمعبودين في النار، ماكثون فيها أبدًا لا يخرجون منها.

﴿١٠٠﴾ لهم فيها - من شدّة ما يلاقونه من الآلام - تنفس شديد، وهم في النار لا يسمعون الأصوات من شدّة الهول المُفرّع الذي أصابهم.

﴿١٠١﴾ ولما قال المشركون: (إنّ عيسى والملائكة الذين عُبدوا سيدخلون النار) قال الله: إنّ الذين سبق في علم الله أنهم من أهل السعادة مثل عيسى عليه السلام مبعدون عن النار.

﴿١٠٢﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- التنويه بالعفاف وبيان فضله.
- اتفاق الرسالات السماوية في التوحيد وأسس العبادات.
- فتح سدّ يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى.
- الغفلة عن الاستعداد ليوم القيامة سبب لمعاناة أهوالها.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٢٥﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٢٦﴾
يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا
أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٢٧﴾ وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ ﴿١٢٨﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ
عَالِمِينَ ﴿١٢٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٣٠﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَعَلَّ
أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ
وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَم بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٣٢﴾ إِنَّهُ يُعَلِّمُ
الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٣٣﴾ وَإِنْ أَدْرِي
لَعَلَّهُ وَفْتَنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٣٤﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم
بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٣٥﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

آيَاتُهَا ٢٨

مِثْقَالُهَا ٢٢

٣٣١

﴿١٢٥﴾ لا يصل إلى سَمْعِهِمْ صوت جهنم، وهم فيما اشتتهه أنفسهم من النعيم والملذات ماكثون، لا ينقطع نعيمهم أبدًا.

﴿١٢٦﴾ لا يخيفهم الهول العظيم حين تطبق النار على أهلها، وتستقبلهم الملائكة بالتهنئة قائلين: هذا يومكم الذي كنتم توعدون به في الدنيا، وتبشرون بما تلاقون فيه من النعيم.

﴿١٢٧﴾ يوم نطوي السماء مثل طي الصحيفة على ما فيها، ونحشر الخلق على هيتهم التي خلقوا بها أول مرة، وعدنا بذلك وعدًا لا خلف فيه، إنا كنا منجزين ما نعد به.

﴿١٢٨﴾ ولقد كتبنا في الكتب التي أنزلناها على الرسل من بعد ما كتبناه في اللوح المحفوظ: أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون العاملون بطاعته، وهم أمة محمد ﷺ.

﴿١٢٩﴾ إن فيما أنزلناه من الوعظ لبلاغًا لقوم عابدين ربهم بما شرعه لهم، فهم الذين يتفنون به.

﴿١٣٠﴾ وما بعثناك - يا محمد - رسولًا إلا رحمة لجميع الخلق؛ لما تتصف به من الحرص على هداية الناس وإنقاذهم من عذاب الله.

﴿١٣١﴾ قل - أيها الرسول -: إنما يُوحَىٰ إلي من ربي أنما معبودكم بحق معبود واحد، لا شريك له وهو الله، فأنقادوا لإيمان به، والعمل بطاعته.

﴿١٣٢﴾ فإن أعرض هؤلاء عما جئتهم به، فقل - أيها الرسول - لهم: أعلمتكم أنني وإياكم على أمر مستو بيني وبينكم من المفاصلة، ولست أعلم متى ينزل بكم ما وعد الله به من عذابه.

﴿١٣٣﴾ إن الله يعلم ما أعلنتم من القول، ويعلم ما تكتُمونه منه، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجزىكم عليه.

﴿١٣٤﴾ ولست أدري لعل إمهالكُم بالعذاب اختبار لكم، واستدراج، وتمتيع لكم إلى أمد مقدّر في علم الله؛ لتتأدوا في كفركم وضلالكم.

﴿١٣٥﴾ قال رسول الله ﷺ داعيًا ربه: رب، افصل بيننا وبين قومنا الذين أصرّوا على الكفر بالقضاء الحق، وبربنا الرحمن نستعين على ما تقولون من الكفر والتكذيب.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ :

- الصلاح سبب للتمكين في الأرض.
- بعثة النبي ﷺ وشرعه وسنته رحمة للعالمين.
- الرسول ﷺ لا يعلم الغيب.
- علم الله بما يصدر من عباده من قول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ
 ❶ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
 كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ
 بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ❷ وَمِنَ النَّاسِ مَن
 يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ❸
 كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ
 إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ❹ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ
 مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ثَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ
 ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ
 لَكُمْ وَنُقَرِّفِي الْأَرْحَامَ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ
 نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبْغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَقَّىٰ
 وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن
 بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
 الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ❺

٣٣٢

❶ من مقاصد الشَّوْرَةِ؛
 ذكر التعظيم والاستسلام لله من خلال
 عرض مشاهد العظمة والقدرة الإلهية.

❷ التفسير؛

❶ يا أيها الناس، اتقوا ربكم بامثال
 ما أمركم به، والكف عما نهاكم عنه،
 إن ما يصاحب القيامة من زلزلة
 الأرض وغيرها من الأحوال أمر
 عظيم، يجب الاستعداد له بالعمل بما
 يرضي الله.

❷ يوم تشاهدونها تغفل كل مرضعة
 عن رضيعها، وتُسقط كل صاحبة حمل
 حملها من شدة الخوف، وترى الناس
 من غياب عقولهم مثل السكارى من
 شدة هول الموقف، وليسوا سكارى
 من شرب الخمر، ولكن عذاب الله
 شديد، فقد أفقدهم عقولهم.

ولما ذكر الله ما يصاحب قيام الساعة
 من أحوال ردة على الذين ينكرون
 القيامة والبعث، فقال:

❸ ومن الناس من يخاصم في
 قدرة الله على بعث الأموات دون علم
 يستند إليه، ويتبع في اعتقاده وقوله كل
 متمرد على ربه من الشياطين، ومن
 أئمة الضلال.

❹ كُتِبَ على ذلك المتمرد من
 شياطين الإنس والجن أن من اتبعه

وصدق به فإنه يضلّه عن طريق الحق، ويسوقه إلى عذاب النار بما يقوده إليه من الكفر والمعاصي.

❺ يا أيها الناس، إن كان لديكم شك في قدرتنا على بعثكم بعد الموت، فتأملوا في خلقكم؛ فقد خلقنا أبائكم
 آدم من تراب، ثم خلقنا ذريته من مني يقذفه الرجل في رحم المرأة، ثم يتحول المني دماً جامداً، ثم يتحول الدم
 الجامد إلى قطعة لحم تشبه قطعة اللحم الممضوغة، ثم تتحول قطعة اللحم إما إلى خلق سوي يبقى في الرحم حتى
 يخرج مولوداً حياً، وإما إلى خلق غير سوي يسقطه الرحم؛ لنبيين لكم قدرتنا بخلقكم أطواراً، وثبتت في الأرحام
 ما نشاء من الأجنة حتى يولد في أجل محدد وهو تسعة أشهر، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً، ثم لتصلوا
 إلى كمال القوة والعقل، ومنكم من يموت قبل ذلك، ومنكم من يعيش حتى يبلغ سن الهرم حيث تضعف القوة
 ويضعف العقل، حتى يصير أسوأ حالاً من الصبي، لا يعلم شيئاً مما كان يعلمه، وترى الأرض يابسة لا نبات
 فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر تفتحت عن النبات، وارتفعت بسبب نمو نباته، وأخرجت من كل صنف من
 النبات جميل المنظر.

❻ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- وجوب الاستعداد ليوم القيامة بزيادة التقوى.
- شدة أحوال القيامة حيث تنسى المرضع طفلها وتسقط الحامل حملها وتذهب عقول الناس.
- التدرج في الخلق سُنَّةَ إلهية.
- دلالة الخلق الأول على إمكان البعث.
- ظاهرة المطر وما يتبعها من إنبات الأرض دليل ملموس على بعث الأموات.

ذَٰلِكَ يَٰأَنَّا اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ وَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۝٧ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِي عَظِيمُهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝١١ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نِفْعَةَ ۝١٢ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝١٣ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ لِلْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ۝١٤ إِنْ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝١٥ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ وَمَا يَغِيظُ ۝١٥

① ذلك الذي ذكرنا لكم - من بدء خلقكم وأطواره وأحوال من يولد منكم - لأجل أن تؤمنوا بأن الله الذي خلقكم هو الحق الذي لا شك فيه، بخلاف ما تعبدون من أصنامكم، وتؤمنوا بأنه يحيي الموتى، وأنه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

② وتؤمنوا بأن الساعة آتية لا شك في إتيانها، وأن الله يبعث الموتى من قبورهم ليجازيهم على أعمالهم.

ولما ذكر الله سبحانه حال الضلال بسبب التقليد في الآية الثالثة ذكر حال ضلال رؤوس الكفر في هذه الآية فقال:

③ ومن الكفار من يجادل في توحيد الله، بغير علم منهم يصلون به إلى الحق، ولا اتباع هادٍ يدلهم عليه، ولا كتاب مضيء منزل من عند الله يهديهم إليه.

④ لا ويا عنقه تكبيرا ليصرف الناس عن الإيمان والدخول في دين الله، لمن هذا وصفه ذل في الدنيا بما يلحقه من عقاب، ونذيقه في الآخرة عذاب النار المحرقة.

⑤ ويقال له: ذلك العذاب الذي ذقته بسبب ما اكتسبته من الكفر والمعاصي، والله لا يعذب أحدا من خلقه إلا بذنب.

⑥ ومن الناس مضطرب يعبد الله على شك، فإن أصابه خير من صحة

وغنى استمر على إيمانه وعبادته لله، وإن أصابه ابتلاء بمرض وفقر تشاءم بدينه فارتد عنه، خسر دنياه، فلن يزيده كفره خطأ من الدنيا لم يكتب له، وخسر آخرته بما يلقاه من عذاب الله، ذلك هو الخسران الواضح.

⑦ يعبد من دون الله أصناما لا تضره إن عصاها، ولا تنفعه إن أطاعها، ذلك الدعاء لأصنام لا تضر ولا تنفع هو الضلال البعيد عن الحق.

⑧ يدعو هذا الكافر الذي يعبد الأصنام من ضرره المحقق أقرب من نفعه المفقود، لئساء المعبود الذي ضره أقرب من نفعه، ساء ناصرا لمن يستنصره، وصاحبا لمن يصحبه.

⑨ إن الله يدخل الذين آمنوا به وعملوا الأعمال الصالحات جنات تجري الأنهار من تحت قصورها، إن الله يفعل ما يريد من رحمة من يرحمه، وعقاب من يعاقبه، لا مكره له سبحانه.

⑩ من كان يظن أن الله لا ينصر نبيه ﷺ في الدنيا والآخرة فليمدد بحبل إلى سقف بيته، ثم ليخنق به بقطع نفسه عن الأرض، ثم لينظر هل يذهبن ذلك ما يجده في نفسه من الغيظ، فالله ناصر نبيه، شاء المعاند أم أبى.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ :

- أسباب الهداية إما علم يوصل به إلى الحق، أو هادٍ يدلهم إليه، أو كتاب يوثق به يهديهم إليه.
- الكبر خلق يمنع من التوفيق للحق.
- من عدل الله أنه لا يعاقب إلا على ذنب.
- الله ناصر نبيه ودينه ولو كره الكافرون.

﴿٦٧﴾ وكما بينا لكم الحجج الواضحة على البعث أنزلنا على محمد ﷺ القرآن آيات واضحة، وأن الله يوفق بفضل من يشاء لسبيل الهداية والرشاد.

﴿٦٨﴾ إن الذين آمنوا بالله من هذه الأمة، واليهود، والصابئين (طائفة من أتباع بعض الأنبياء)، والنصارى، وعبداء النار، وعبداء الأوثان - إن الله يقضي بينهم يوم القيامة فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل غيرهم النار، إن الله على كل شيء أقوال عباده وأعمالهم شهيد، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٦٩﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسجد له سجود طاعة من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من مؤمني الإنس والجن، وتسجد له الشمس، ويسجد له القمر، وتسجد له النجوم في السماء، والجبال والشجر والدواب في الأرض؛ سجود انقياد، ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة، وكثير يمتنع عن السجود له طاعة، فحق عليهم عذاب الله لكفرهم، ومن يقض الله عليه بالذلة والمهانة لكفره فليس له أحد يكرمه، إن الله يفعل ما يشاء، فلا مكره له سبحانه.

ولما بين الله ﷻ من يسجد له طاعة ومن يمتنع، عقب ذلك بمصير كل منهما فقال:

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ فِيهَا مَن يُرِيدُ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٧٠﴾ هَٰذَا نَحْنُ خَصَمَانِ أَخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ شِيَابٌ مِّن نَّارٍ نَّصَبٌ مِّن فَوْق رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿٧١﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ مَقْقِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٧٣﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٧٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِّن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٧٥﴾

﴿٦٨﴾ هذان فريقان متخاصمان في ربهم أيهم المُنقذ: فريق الإيمان، وفريق الكفر؛ ففريق الكفر تحيط بهم النار مثل إحاطة الثياب بلباسها، ويُنصب من فوق رؤوسهم الماء المتناهي في الحرارة.

﴿٧٠﴾ يُذاب به ما في بطونهم من الأحشاء من شدة حره، ويصل إلى جلودهم فيذيبها.

﴿٧١﴾ ولهم في النار مطارق من حديد تضرب الملائكة بها رؤوسهم.

﴿٧٢﴾ كلما حاولوا الخروج من النار من شدة ما يلاقونه فيها من الكرب رُدُّوا إليها، وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق.

﴿٧٣﴾ وفريق الإيمان وهم الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، يدخلهم الله في جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، يزينهم الله بتحليتهم بأسورة من الذهب، ويزينهم بالتحلية باللؤلؤ، ويكون لباسهم فيها الحرير.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الهداية بيد الله يمنحها من يشاء من عباده.
- رقابة الله على كل شيء من أعمال عباده وأحوالهم.
- خضوع جميع المخلوقات لله قدرًا، وخضوع المؤمنين له طاعة.
- العذاب نازل بأهل الكفر والعصيان، والرحمة ثابتة لأهل الإيمان والطاعة.

وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
 (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ
 وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُطْلَمِ نَذْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ
 (٢٥) وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ
 بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا
 مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ
 عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا
 وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ
 وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)
 ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَعِنْدَ
 رَبِّهِمْ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ
 فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠)

٣٣٥

(٢٤) وأرشدكم الله في الحياة الدنيا إلى طيب الأقوال كشهادة أن لا إله إلا الله، والتكبير والتحميد، وأرشدكم إلى طريق الإسلام المحمود.

(٢٥) إن الذين كفروا بالله، ويصرفون غيرهم عن الدخول في الإسلام، ويصدون الناس عن المسجد الحرام، مثل ما فعل المشركون عام الحديبية فسوف نذيقهم العذاب الأليم، ذلك المسجد الذي جعلناه قبلة للناس في صلاتهم ومنسكًا من مناسك الحج والعمرة، يستوي فيه المكّي المقيم فيه، والطارئ فيه من غير أهل مكة، ومن يرد فيه ميلاً عن الحق بالوقوع بشيء من المعاصي عامداً نذفه من عذاب مؤلم.

(٢٦) واذكر - أيها الرسول - إذ بينا لإبراهيم عليه السلام مكان البيت وحدوده بعد أن كان مجهولاً، وأوحينا إليه ألا تشرك بعبادتي شيئاً، بل اعبديني وحدي، وطهر بيتي من الأنجاس الحسية والمعنوية للطائفين به، والمصلين فيه.

(٢٧) وناد في الناس داعياً إياهم إلى حج هذا البيت الذي أمرناك ببنائه؛ يأتوك مشاة أو ركباً على كل بعيد مهزول مما عانى من السير، تأتي بهم الإبل تحملهم من كل طريق بعيد.

(٢٨) ليحضروا ما يعود لهم بالنفع من مغفرة الذنوب، والحصول على الثواب، وتوحيد الكلمة وغير ذلك،

وليذكروا اسم الله على ما يذبحونه من الهدايا في أيام معلومات هي: عاشر ذي الحجة وثلاثة أيام بعده؛ شكراً لله على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فكلوا من هذه الهدايا، وأطعموا منها من كان شديد الفقر.

(٢٩) ثم ليقضوا ما بقي عليهم من مناسك حجهم، ويتحللوا بحلق رؤوسهم وقص أظفارهم وإزالة الوسخ المتراكم عليهم بسبب الإحرام، وليوفوا بما أوجبوا على أنفسهم من حج أو عمرة أو هدي، وليطوفوا طواف الإفاضة بالبيت الذي أعفته الله من تسلط الجبابة عليه.

(٣٠) ذلك الذي أمرتم - به من التحلل بحلق الرأس وقص الأظفار وإزالة الأوساخ، والوفاء بالنذر والطواف بالبيت - هو ما أوجبه الله عليكم، فعضموا ما أوجبه الله عليكم، ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه؛ تعظيماً منه لحدود الله أن يواقعها، وحرمانه أن يستحلها فهو خير له في الدنيا والآخرة عند ربه سبحانه، وأبيحت لكم - أيها الناس - الأنعام من الإبل والبقر والغنم، فلم يُحرّم عليكم منها حامياً ولا بَجيرةً ولا وَصيلةً، فلم يحرم منها إلا ما تجدونه في القرآن من حرمة الميتة والدم وغيرهما، فابتعدوا عن القلر الذي هو الأوثان، وابتعدوا عن كل قول باطل كذب على الله أو على خلقه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

- حرمة البيت الحرام تقتضي الاحتياط من المعاصي فيه أكثر من غيره.
- بيت الله الحرام مأوى أفئدة المؤمنين في كل زمان ومكان.
- منافع الحج عائدة إلى الناس سواء الدنيوية أو الأخروية.
- شكر النعم يقتضي العطف على الضعفاء.

حَقَّاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٢٧﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٨﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْتَمِذُوا لَهُ ۚ وَحَدِّثْ لَهُ ۚ وَاسْلُمُوا ۚ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢٩﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿٣٠﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۚ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ۚ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا ۚ الْقَانِعُ وَالْمُعْتَرِكُ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣١﴾ لَنْ يَتَاَلَّهِ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَتَاَلَّهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۚ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٢﴾ *إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٣﴾

الحج

﴿٢٦﴾ اجتنبوا ذلك مائلين عن كل دين سوى دينه المُرتضى عنده، غير مشركين به في العبادة أحدًا، ومن يشرك بالله فكأنما سقط من السماء، فإما أن تخطف الطير لحمه وعظامه، أو تقذفه الريح في مكان بعيد.

﴿٢٧﴾ ذلك ما أمر الله به من توحيده والإخلاص له، واجتناب الأوثان وقول الزور. ومن يعظم معالم الدين - ومنها الهدى ومناسك الحج - فإن تعظيمها من تقوى القلوب لربها.

﴿٢٨﴾ لكم في الهدايا التي تنحرونها بالبيت منافع، مثل الركوب والصوف والنسل واللين، إلى أجل محدد بوقت ذبحها عند القرب من بيت الله الذي أعتقه من تسلط الجبارة.

﴿٢٩﴾ ولكل أمة ماضية جعلنا منسكًا لإراقة الدماء قربانًا لله؛ رجاء أن يذكروا اسم الله على ما يذبحونه من تلك القرابين عند الذبح؛ شكرًا لله على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فمعبودكم بحق - أيها الناس - معبود واحد لا شريك له، فله وحده انقادوا بالاذعان والطاعة، وأخير - أيها الرسول - الخاشعين المخلصين بما يَسْرَهُم.

﴿٣٠﴾ الذين إذا ذُكر الله خافوا من عقابه، فابتعدوا عن مخالفة أمره، وأدُّوا الصلاة تامة، ويصبرون إن أصابهم بلاء، وينفقون في وجوه البر مما رزقهم الله.

﴿٣١﴾ والإبل والبقر التي تُهدى إلى البيت جعلناها لكم من شعائر الدين وأعلامه، لكم فيها منافع دينية ودنيوية، فقولوا: (باسم الله) عند نحرها بعد أن تصف قوائمها وهي قائمة قد ربطت إحدى يديها حتى لا تشرد، فإذا سقطت بعد النحر على جنبها، فكلوا - أيها المُهْدُونَ - منها، وأعطوا منها الفقير الذي يتعفف عن السؤال، والفقير الذي يتعرض ليُعْطَى منها، كما ذللناها لكم لتحملوا عليها وتركبوها ذللناها لكم فانقادت إلى حيث تنحرونها؛ تقريبًا لله لعلكم تشكرون الله على نعمة تذليلها لكم.

﴿٣٢﴾ لن يصل إلى الله لحوم ما تقدمونه من هدايا ولا دماؤها، ولن تُرْفَعَ إليه، لكن يرفع إليه اتقاؤكم الله فيها؛ بأن تخلصوا له في امتثالكم للتقرب بها إليه، كذلك ذللها الله لكم لتكبروا الله شاكرين إياه على ما وفقكم له من الحق، وأخير - أيها الرسول - المحسنين في عبادتهم لربهم وفي تعاملهم مع خلقه، بما يسرهم.

﴿٣٣﴾ إن الله يدفع عن الذين آمنوا بالله شر أعدائهم، إن الله لا يحب كل خَوَّانٍ لأمانته، كفور لنعم الله، فلا يشكر الله عليها، بل يبغضه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْكَلَامِ،

- ضَرْبُ المَثَلِ لتقريب الصور المعنوية بجعلها في ثوب حسي، مقصد تربوي عظيم.
- فضل التواضع.
- الإحسان سبب للسعادة.
- الإيمان سبب لدفاع الله عن العبد ورعايته له.

ولما بين الله ﷻ أنه يدافع عن المؤمنين، فاطمأنت نفوسهم أذن لهم في قتال الكفار، فقال:

(٣٩) أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلهم المشركون بالقتال؛ لما وقع عليهم من ظلم أعدائهم لهم، وإن الله على نصر المؤمنين على عدوهم دون قتال لقدير، لكن حكمته اقتضت أن يختبر المؤمنين بقتال الكافرين.

(٤٠) الذين أخرجهم الكفار من ديارهم ظلمًا، لا لجُرم ارتكبهوا إلا أنهم قالوا: ربنا الله، لا رب لنا غيره، ولولا ما شرعه الله للأنبياء وللمؤمنين من قتال أعدائهم لاعتدوا على مواطن العبادة، فهدموا صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين المُعَدَّة للصلاة، فيها يذكر المسلمون الله ذكرًا كثيرًا، ولينصرون الله من ينصر دينه ونبيّه، إن الله لقوي على نصر من ينصر دينه، عزيز لا يغلبه أحد.

(٤١) هؤلاء الموعودون بالنصر هم الذين إن مكناهم في الأرض بالنصر على أعدائهم أذوا الصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالهم، وأمروا بما أمر به الشرع، ونهوا عما نهى عنه، والله وحده مرجع الأمور في الثواب عليها والعقاب.

(٤٢) وإن يكذبك - أيها الرسول - قومك، فاصبر فلست أول من كذبه

قومه من الرسل، فقد كذب قومك قوم نوحًا، وكذبت عادٌ هودًا، وثمود صالحًا.

(٤٣) وكذب قوم إبراهيم إبراهيم، وكذب قوم لوط لوطًا.

(٤٤) وكذب أصحاب مدين شعيبًا، وكذب فرعون وقومه موسى، فأخزت عن أقوامهم العقوبة استدراجًا لهم، ثم أخذتهم بالعذاب، فتأمل كيف كان إنكاري عليهم، فقد أهلكتهم بسبب كفرهم.

(٤٥) فما أكثر القرى التي أهلكناها - وهي ظالمة بكفرها - بعذاب مُسْتَأْصِل، فديارها مهتمة خالية من سكانها، وما أكثر الآبار الخالية من وُزَادِها لهلاكهم، وما أكثر القصور العالية المزخرفة التي لم تحصن ساكنيها من العذاب.

(٤٦) أفلم يَسِرْ هؤلاء المكذبون بما جاء به الرسول ﷺ في الأرض؛ ليعاينوا آثار تلك القرى المهلكة، فيتفكروا بعقولهم ليعتبروا، ويسمعوا قصصهم سماع قبول ليتعظوا، فإن العمى ليس عمى البصر، بل العمى المُهِلِك المُرْدي هو عمى البصيرة، بحيث لا يكون لصاحبه اعتبار ولا اتعاظ.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• إثبات صفتي القوة والعزة لله.

• إثبات مشروعية الجهاد؛ للحفاظ على مواطن العبادة.

• إقامة الدين سبب لنصر الله لعبيده المؤمنين.

• عمى القلوب مانع من الاعتبار بآيات الله.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِن لَّا تُنْصَرِهِمْ لَقَدِيرٌ
 (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا
 رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتِ
 صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَاءُ اللَّهِ
 كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
 عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
 قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ
 لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ
 ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَتْ نِكَرٌ (٤٤) فَكَانَ مِنْ قَرِيَةٍ
 أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُرُ
 مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ
 لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا
 لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيُّنَ مِّن
قَرَبَةٍ أُمَلِّتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ قَالُوا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا
إِذَا تَمَنَّيَ الْوَيْلُ لِلشَّيْطَانِ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
وَتُخْفِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِئَةٍ مِّنْهُ حَتَّى
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

﴿٤٧﴾ ويستعجلوك - أيها الرسول - الكفار من قومك بالعذاب المُعَجَّل في الدنيا وبالْعَذَابِ المُؤَجَّل في الآخرة لما أنذروا بهما، ولن يخلفهم الله ما وعدهم به منه، ومن المُعَجَّل ما حل بهم يوم بدر، وإن يومًا من العذاب في الآخرة مثل ألف سنة مما تعدون من سبني الدنيا بسبب ما فيه من العذاب. ﴿٤٨﴾ وما أكثر القرى التي أهلتها بالعذاب وهي ظالمة لكفرها، ولم أعجلها به استدراجًا لها، ثم أخذتها بعذاب مُسْتَأْصِل، وإليّ وحدي مرجعهم يوم القيامة، فأجازيهم على كفرهم بالعذاب الدائم. ﴿٤٩﴾ يا أيها الناس، إنما أنا لكم منذر أبلغكم ما أرسلت به، واضح في إنذاري. ﴿٥٠﴾ فالذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لهم من ربهم مغفرة لذنوبهم، ولهم رزق كريم في الجنة لا ينقطع أبدًا. ﴿٥١﴾ والذين سعوا في التكذيب بآياتنا مُقَدَّرِينَ أَنَّهُمْ سَيُعْجِزُونَ الله ويفوتونه فلا يعذبهم، أولئك أصحاب الجحيم يلزامونه كما يلزام صاحب صاحبه. ﴿٥٢﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ كتاب الله ألقى الشيطان في قراءته ما يلبس به على الناس أنه من الوحي، فيبطل الله ما يلقى الشيطان من إلقائه، وينبئ

آياته، والله عليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، حكيم في خلقه وتقديره وتدبيره.

﴿٥٣﴾ يُلْقِي الشيطان في قراءة النبي ليصير الله ما يلقى امتحانًا للمنافقين، وللذين قست قلوبهم من المشركين، وإن الظالمين من المنافقين والمشركين لفي عداوة لله ورسوله وبعيد عن الحق والرشاد.

﴿٥٤﴾ وليتيقن الذين أعطاهم الله العلم أن القرآن المنزل على محمد ﷺ هو الحق الذي أوحى به الله إليك - أيها الرسول - فيزدادوا إيمانًا به، وتخضع له قلوبهم وتخضع، وإن الله لهادي الذين آمنوا به إلى طريق الحق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه؛ جزاء لهم على خضوعهم له.

﴿٥٥﴾ ولا يزال الذين كفروا بالله وكذبوا برسوله في شك مما أنزل الله عليك من القرآن، مستمرين حتى تأتيهم الساعة فجأة وهم على ذلك، أو يأتيهم عذاب يوم لا رحمة فيه ولا خير، وهو يوم القيامة بالنسبة لهم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- استدراج الظالم حتى يتمادى في ظلمه سَنَةً إِلَهِيَّة.
- حفظ الله لكتابه من التبديل والتحريف وصرف مكاييد أعوان الشيطان عنه.
- النفاق وقسوة القلوب مرضان قاتلان.
- الإيمان ثمرة للعلم، والخشوع والخضوع لأوامر الله ثمرة للإيمان.

﴿٥٦﴾ الملك يوم القيامة - يوم يأتي هؤلاء ما كانوا يعدون به من العذاب - الله وحده، لا منازع له فيه، هو سبحانه يحكم بين المؤمنين والكافرين، فيحكم لكل منهم بما يستحقه، فالذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لهم ثواب عظيم هو جنات النعيم المقيم الذي لا ينقطع.

والذين كفروا بالله وكذبوا بآياتنا
المنزلة على رسولنا، لهم عذاب مُدُلٌّ
يذللهم الله به في جهنم.

والذين تركوا ديارهم وأوطانهم طلباً لمرضاة الله وإعزازاً لدينه، ثم قُتِلُوا في الجهاد في سبيله، أو ماتوا - يبرز قَتْلُهُم في الجنة رزقاً حسناً دائماً لا ينقطع، وإن الله سبحانه لهو خير الرازقين.

﴿٥٩﴾ لِيَدْخُلْتَهُمُ اللَّهُ مَوْضِعًا يَرْضُونَهُ وَهُوَ
الْجَنَّةُ، وَإِنْ اللَّهُ لَعَلِيمٌ بِأَفْعَالِهِمْ
وَنِيَاتِهِمْ، حَلِيمٌ حَيْثُ لَمْ يَعْاجِلْهُمْ
بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَا فَرَّطُوا فِيهِ.

ذلك المذكور؛ من إدخال المهاجرين في سبيل الله الجنة، ومن الإذن بمقابلة المعتدي بمثل ما اعتدى بحيث لا إثم عليه في ذلك، فإذا عاود المعتدي اعتدائه فإن الله ينصر المُعتدى عليه، إن الله عفو عن ذنوب المؤمنين، غفور لهم.

﴿٦١﴾ ذَلِكَ الْنَصْرُ لِلْمُعْتَدِي عَلَيْهِ لِأَنَّ اللَّهَ

الْمَلِكُ يُؤَمِّدُ اللَّهَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فُولَتْ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ بَرٍّ طَيِّبٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ * ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَآتَى اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَآتَى مَا يَشَاءُونَ مِنْ دُونِهِ ۚ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَتَى اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

قادر على ما يشاء، ومن قدرته إدخال الليل في النهار، والنهار في الليل؛ بزيادة أحدهما ونقص الآخر، وأن الله سمع لأقوال عباده، علم بأفعالهم، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيهم عليها.

(٧٧) ذلك المذكور من إدخال الله الليل في النهار، والنهار في الليل؛ لأن الله هو الحق، قدينه حق، ووعدته حق، ونصرته للمؤمنين حق، وأن ما يعبد المشركون من دون الله من الأوثان هو الباطل الذي لا أساس له، وأن الله هو العلي على خلقه ذاتاً وقُدراً وقهراً، الكبير الذي له الكبرياء والعظمة والجلال.

﴿١٦﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله أنزل من السماء مطراً، فتصيح الأرض بعد نزول المطر عليها خضراء بما أنبتته من نبات، إن الله لطيف بعباده حيث أنزل لهم المطر، وأنبت لهم الأرض، خبير بمصالحهم، لا يخفى عليه شيء منها.

﴿٦﴾ له وحده ملك ما في السماوات وملك ما في الأرض ، وإن الله لهو الغني الذي لا يفتقر إلى أي مخلوق من مخلوقاته ، المحمود في كل حال .

● من فوائد الآيات:

- مكانة الهجرة في الإسلام وبيان فضلها .
- جواز العقاب بالمثل .
- نصر الله للمُعتَذِر عليه يكون في الدنيا أو الآخرة .
- إثبات الصفات العَلَّاه بما يليق بحالته ؛ كالعلم والسمع والبصر والعلو .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَم أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ
عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذْ أَتَى عَلَىهِمْ آيَاتُنَا
بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ
مِنْ ذَلِكَ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

٣٤٠

﴿٦٥﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله دَلَّلَ لك وللناس ما في الأرض من الدواب والجمادات لمنافعكم وحاجاتكم، ودَلَّلَ لكم السفن تجري في البحر بأمره وتسخيره من بلد إلى بلد، ويمسك السماء حتى لا تسقط على الأرض إلا بإذنه، فلو أذن لها أن تسقط عليها لسقطت، إن الله بالناس لرؤوف رحيم، حيث سَخَّرَ لهم هذه الأشياء مع ما فيهم من ظلم.

﴿٦٦﴾ والله هو الذي أحياكم حيث أوجدكم بعد أن كنتم معدومين، ثم يميتكم إذا انقضت أعماركم، ثم يحييكم بعد موتكم ليحاسبكم على أعمالكم، ويجازيكم عليها، إن الإنسان لكثير الجحد لنعم الله - مع أنها ظاهرة - بعبادته معه غيره.

﴿٦٧﴾ لكل أهل ملة جعلنا شريعة، فهم يعملون بشريعتهم، فلا يُنْزَعَنَّك - أيها الرسول - المشركون وأهل الأديان الأخرى في شريعتك، فأنت أولى بالحق منهم؛ لأنهم أصحاب باطل، وادع الناس إلى إخلاص التوحيد لله، إنك لعلی طريق مستقيم، لا اعوجاج فيه.

﴿٧٨﴾ وإن امتنعوا إلا أن يجادلوك بعد ظهور الحجة ففوض أمرهم إلى الله قائلاً على سبيل الوعيد: الله أعلم بما تعملون من عمل، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٧٩﴾ الله يحكم بين عباده: مؤمنهم وكافرهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا من أمر الدين.

﴿٧٠﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يعلم ما في السماء، ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء مما فيهما، إن علم ذلك مُسَجَّل في اللوح المحفوظ، إن علم ذلك كله على الله سهل.

﴿٧١﴾ ويعبد المشركون من دون الله أصناماً لم ينزل الله حجة على عبادتها في كتبه، وليس لهم عليها دليل من علم، وإنما مستندهم التقليد الأعمى لأبائهم، وليس للظالمين من نصير يمنعهم مما يحلّ بهم من عذاب الله.

﴿٧٢﴾ وإذا تقرأ عليهم آياتنا في القرآن واضحات تعرف في وجوه الذين كفروا بالله إنكارها من عيولهم عند سماعهم لها، يكادون من شدة الغضب يبطشون بالذين يقرؤون عليهم آياتنا، قل لهم - أيها الرسول -: أفأخبركم بما هو شر من غيظكم وعبوسكم؟ هو النار التي وعد الله الكفار أن يدخلهم فيها، وساء المصير الذي يصيرون إليه.

﴿٧٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

- من نعم الله على الناس تسخير ما في السماوات وما في الأرض لهم.
- إثبات صفتي الرأفة والرحمة لله تعالى.
- إحاطة علم الله بما في السماوات والأرض وما بينهما.
- التقليد الأعمى هو سبب تمسك المشركين بشركهم بالله.

﴿٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ضُربَ مثل فاستمعوا له، واعتبروا به، إن ما تعبدون من أصنام وغيرها من دون الله لن يخلقوا ذباباً على صغره لعجزهم، ولو اجتمعوا كلهم على أن يخلقوه ما خلقوه، وإذا أخذ الذباب شيئاً مما عليهم من طيب وما أشبهه لم يقدرُوا على إنقاذه منه، ويعجزهم عن خلق الذباب، وإنقاذ أشياءهم منه؛ تبين عجزهم عما هو أكبر من ذلك، فكيف تعبدونها - مع عجزها - من دون الله؟! ضَعُفَ هذا الطالب وهو الصنم المعبود الذي لا يستطيع إنقاذ ما استلبه الذباب منه، وضَعُفَ هذا المطلوب الذي هو الذباب.

﴿٧٤﴾ ما عظموا الله حق تعظيمه حين عبدوا معه بعض مخلوقاته، إن الله لقوي، ومن قوته وقدرته خلق السماوات والأرض ومن فيهما، عزيز لا يغالبه أحد بخلاف أصنام المشركين فهي ضعيفة ذليلة لا تخلق شيئاً.

﴿٧٥﴾ الله ﷻ يختار من الملائكة رسلاً، ويختار من الناس رسلاً كذلك، فيرسل بعض الملائكة إلى الأنبياء مثل جبريل أرسله إلى الرسل من البشر، ويرسل الرسل من البشر إلى الناس، إن الله سميع لما يقوله المشركون في رسله، بصير بمن يختاره لرسالاته.

﴿٧٦﴾ يعلم سبحانه ما عليه رسله من الملائكة والناس قبل خلقهم وبعد موتهم، وإلى الله وحده ترجع الأمور يوم القيامة، حيث يبعث عباده فيجازيهم على ما قدموا من عمل.

﴿٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بالله وعملوا بما شرع لهم، اركعوا واسجدوا في صلاتكم لله وحده، وافعلوا الخير من صدقة وصلة؛ رجاء أن تفوزوا بالمطلوب، وتنجوا من المرهوب.

﴿٧٨﴾ وجاهدوا في سبيل الله جهاداً خالصاً لوجهه، هو اختاركم وجعل دينكم سَمْحاً لا ضيق فيه ولا شدة، هذه الملة السَّمْحَةُ هي ملة أبيكم إبراهيم عليه السلام، وقد سمَّاكم الله المسلمين في الكتب السابقة وفي القرآن؛ ليكون الرسول شهيداً عليكم أنه بلغكم ما أمر بتبليغه، ولتكونوا أنتم شهوداً على الأمم السابقة أن رسلها بلغتها، فاشكروا الله على ذلك بالإتيان بالصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، والجهُّوا إلى الله، واعتمدوا عليه في أموركم، فهو سبحانه نعم المولى لمن تولاه من المؤمنين، ونعم النصير لمن استنصره منهم، فتولَّوه يتولَّكم، واستنصروه ينصركم.

﴿٧٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- أهمية ضرب الأمثال لتوضيح المعاني، وهي طريقة تربوية جلييلة.
- عجز الأصنام عن خلق الأدنى دليل على عجزها عن خلق غيره.
- الإشراف بالله سببه عدم تعظيم الله.
- إثبات صفتي القوة والعزة لله، وأهمية أن يستحضر المؤمن معاني هذه الصفات.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُربَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

آيَاتُهَا ١٨

سُورَةُ الْحَجِّ

آيَاتُهَا ١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ
ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْأَرْضَ دُونَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾
ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظًا فَكَسَوْنَا الْعِظَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

٣٤٢

﴿١﴾ من مَقَاصِدِ الشُّرُوفِ:
ذكر الإيمان وحقيقته وثماره وعواقب
مخالفته ودم الكافرين، ولذلك افتتحت
بفلاح المؤمنين وعدم فلاح الكافرين.

﴿٢﴾ التَّفْسِيرُ:

﴿١﴾ قد فاز المؤمنون بالله العاملون
بشرعه بالحصول على ما يطلبون،
والنَّجاة مما يرهبون.

﴿٢﴾ الذين هم في صلاتهم مُتَذَلِّلُونَ،
قد سكنت فيها جوارحهم، وفرغت
قلوبهم من الشواغل.

﴿٣﴾ والذين هم عن الباطل واللهو وما
فيه معصية من الأقوال والأفعال
معرضون.

﴿٤﴾ والذين هم لتطهير أنفسهم من
الردائل، وتطهير أموالهم بإخراج
زكاتها فاعلون.

﴿٥﴾ والذين هم لفروجهم بإبعادها عن
الزنى والبواط والفواحش حافظون،
فهم أعفاء طاهرون.

﴿٦﴾ إلا على زوجاتهم أو ما يملكون
من الإماء، فإنهم لا يُلامون في
الاستمتاع بهنَّ بالوطء وغيره.

﴿٧﴾ فمن طلب الاستمتاع بما عدا
الزوجات أو إمانته اللاتي يملكها فهو
متجاوز لحدود الله بتجاوز ما أحله من
التمتع إلى ما حرمه منه.

﴿٨﴾ والذين هم لما اتتمهم الله عليه، أو اتتمهم عباده، ولعمودهم حافظون لا يضيعونها، بل يوفون بها.

﴿٩﴾ والذين هم على صلواتهم يحافظون بالمداومة عليها، وعلى أداؤها في أوقاتها بأركانها وواجباتها ومستحباتها.

﴿١٠﴾ أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الوارثون.

﴿١١﴾ الذين يرثون أعلى الجنة هم فيها ما يكونون أبدًا، لا ينقطع نعيمهم فيها.

﴿١٢﴾ ولقد خلقنا أبا البشر آدم من طين، أخذت تربته من خلاصة استخرجت من ماء مختلط بتربة الأرض.

﴿١٣﴾ ثم خلقنا ذريته متناسلين من نطفة تستقر في الرحم إلى حين الولادة.

﴿١٤﴾ فخلقنا بعد ذلك النطفة المستقرة في الرحم عَلَقَةً حمراء، ثم جعلنا تلك العَلَقَةَ الحمراء كقطعة لحم مضبوغة،
فخلقنا قطعة اللحم تلك عظامًا مُتَصَلِّبَةً، فألبسنا تلك العظام لحمًا، ثم أنشأناه خلقًا آخر بنفخ الروح فيه، وإخراجه
إلى الحياة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

﴿١٥﴾ ثم إنكم - أيها الناس - بعد ما مررتم به من تلك الأطوار ستموتون عند انقضاء آجالكم.

﴿١٦﴾ ثم إنكم بعد موتكم تبعثون من قبوركم يوم القيامة؛ لتحاسبوا على ما قدمتم من عمل.

﴿١٧﴾ ولقد خلقنا فوقكم - أيها الناس - سبع سماوات بعضها فوق بعض. وما كنا بغافلين عن خلقنا، ولا ناسين إياه.

﴿١٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• للفلاح أسباب متنوعة يحسن معرفتها والحرص عليها.

• التدرج في الخلق والشرع سُنَّةٌ إلهية.

• إحاطة علم الله بمخلوقاته.

﴿١٧﴾ وأنزلنا من السماء ماء المطر بمقدار الحاجة، لا كثيرًا فيفسد ولا قليلًا فلا يكفي، فجعلناه يستقر في الأرض ينتفع به الناس والدواب، وإنا لقادرون على أن نذهب به فلا تنتفعون.

﴿١٨﴾ فأنشأنا لكم بذلك الماء بساتين من النخيل والأعناب، لكم فيها فواكه متعددة الأشكال والألوان، كالثلثين والرمان والتفاح، ومنها تأكلون.

﴿١٩﴾ وأنشأنا لكم به شجرة الزيتون التي تخرج في منطقة جبل سيناء، ثبتت الدهن الذي يستخرج من ثمرها يذهب به ويؤثّم.

﴿٢٠﴾ وإن لكم - أيها الناس - في الأنعام (الإبل، البقر، الغنم) لعبرة ودلالة تستدلّون بها على قدرة الله ولطفه بكم، نسقيكم مما في بطون هذه الأنعام لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين، ولكم فيها منافع كثيرة تنتفعون بها منها؛ كالركوب والصوف والوبر والشعر، وتأكلون من لحومها.

﴿٢١﴾ وعلى الإبل من الأنعام في البر، وعلى السفن في البحر تحمّلون.

﴿٢٢﴾ ولقد بعثنا نوحًا عليه السلام إلى قومه يدعوهم إلى الله، فقال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود بحق غيره سبحانه، أفلا تتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه؟!

﴿٢٣﴾ فقال الأشراف والسادة الذين

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَكُةٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيَّغُ لِّلْأَكْلِيلِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُسْقِیَ كُم مِّمَّا فِی بَطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتِّرَ بَصُوءًا بِهِ هَتَّاجِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنتَ بِنُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذْ جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مِّنْ أَثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾

٣٤٣

كفروا بالله من قومه لأتباعهم وعامتهم: ما هذا الذي يزعم أنه رسول إلا بشر مثلكم يريد الرئاسة والسيادة عليكم، فلو شاء الله أن يرسل إلينا رسولاً لأرسله من الملائكة، ولم يرسله من البشر، ما سمعنا بمثل ما ادعاه عند أسلافنا الذين سبقونا.

﴿٢٤﴾ وما هو إلا رجل به جنون، لا يعي ما يقول، فانتظروا به حتى يتضح أمره للناس.

﴿٢٥﴾ قال نوح عليه السلام: رب انصُرني عليهم بأن تنتقم لي منهم بسبب تكذيبهم إياي.

﴿٢٦﴾ فأوحينا إليه أن اصنع السفينة بمرأى منا وتعلّمنا إياك كيف تصنعها، فإذا جاء أمرنا بإهلاكهم، ونبح الماء بقوة من المكان الذي يخبر فيه، فأدخل فيها من كل الأحياء ذكرًا وأنثى ليستمرّ النسل، وأدخل أهلك إلا من سبق عليه القول من الله بالإهلاك مثل زوجتك وابنتك، ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالكفر بطلب نجاتهم وترك إهلاكهم، إنهم مهلكون - لا محالة - بالغرق في ماء الطوفان.

﴿٢٧﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ

- لطف الله بعباده ظاهر بإنزال المطر وتيسير الانتماع به.
- التنويه بمنزلة شجرة الزيتون.
- اعتقاد المشركين ألوهية الحجر، وتكذيبهم بنوة البشر، دليل على سخف عقولهم.
- نصر الله لرسوله ثابت عندما تكذبهم أممهم.

﴿٣٨﴾ فإذا علوت على السفينة أنت ومعك من المؤمنين الناجين، فقل: الحمد لله الذي أنقذنا من القوم الكافرين فأهلكهم.

﴿٣٩﴾ وقل: رب أنزلني من الأرض إنزالاً مباركاً، وأنت خير المنزّلين.

﴿٤٠﴾ إن في ذلك المذكور من إنجاء نوح والمؤمنين معه، وإهلاك الكافرين؛ لدلالات جليلة على قدرتنا على نصر رسلنا وإهلاك المكذبين بهم، وإن كنا لمختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ليتضح المؤمن من الكافر والمطيع من العاصي.

﴿٤١﴾ ثم أنشأنا من بعد إهلاك قوم نوح أمة أخرى.

﴿٤٢﴾ فبعثنا فيهم رسولاً منهم يدعوهم إلى الله، فقال لهم: اعبدوا الله وحده ما لكم من معبود بحق غيره سبحانه، أفلا تتقون الله باجتناب نواهيه، وامثال أوامره؟!

﴿٤٣﴾ وقال الأشراف والسادة من قومه الذين كفروا بالله، وكذبوا بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، وأطغاهم ما وسعنا لهم من النعم في الحياة الدنيا، قالوا لأتباعهم وعامتهم -: ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه، ويشرب مما تشربون منه، فليس له مزية عليكم حتى يُبعث رسولاً إليكم.

﴿٤٤﴾ ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذن لخاسرون لعدم انتفاعكم بطاعته

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَأَفْلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٤٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴿٤٤﴾ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٤٥﴾ هَٰهُنَا هَٰهُنَا لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٤٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٤٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحَ نَادِمِينَ ﴿٥٠﴾ فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً فَبَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٥٢﴾

﴿٣٤٤﴾

لترككم آلتهكم، واتباع من لا فضيلة له عليكم.

﴿٣٨﴾ أيعدكم هذا الذي يزعم أنه رسول أنكم إذا متم وصرتم تراباً وعظاماً بالية أنكم تخرجون من قبوركم أحياء؟! أيعقل هذا؟!

﴿٣٩﴾ بعيد جداً ما توعدون به من إخراجكم من قبوركم أحياء بعد موتكم، ومصيركم تراباً وعظاماً بالية.

﴿٤٠﴾ ليست الحياة إلا الحياة الدنيا، لا الحياة الآخرة، تموت الأحياء منا ولا تحيا، ويولد آخرون فيحيون، ولسنا بمُخْرَجِينَ بعد موتنا للحساب يوم القيامة.

﴿٤١﴾ ما هذا الذي يدعي أنه رسول إليكم إلا رجل اختلق على الله كذباً بادعائه هذا، ولسنا له بمؤمنين.

﴿٤٢﴾ قال الرسول: رب انصُرْنِي عليهم بأن تنتقم لي منهم بسبب تكذيبهم إياي.

﴿٤٣﴾ فأجابه الله قائلًا: بعد زمن قليل سيصبح هؤلاء المكذبون بما جئت به نادمين على ما وقع منهم من التكذيب.

﴿٤٤﴾ فأخذهم صوت شديد مهلك باستحقاقهم العذاب لتعتهم، فصيرتهم هلكى مثل غشاء السيل، فهلاكاً للقوم الظالمين.

﴿٤٥﴾ ثم بعد إهلاكهم أنشأنا أقواماً وأممًا آخرين مثل قوم لوط، وقوم شعيب، وقوم يونس.

﴿٥١﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• وجوب حمد الله على النعم.

• الترف في الدنيا من أسباب الغفلة أو الاستكبار عن الحق.

• عاقبة الكافر الندامة والخسران.

• الظلم سبب في البعد عن رحمة الله.

مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعِجِرُونَ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
تَتَرَاكِلَ أَيْدِيهِمْ وَرِجُلُهُمْ مُثَيِّبَاتٍ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَفُتِنُوا بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدَ الْقَوْمُ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى
وَآخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٩﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٥٠﴾ فَقَالُوا أَوَلَمْ نَأْتِ الْبَشَرَيْنِ مِثْلًا
قَوْمَهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٥١﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٥٢﴾
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَجَعَلْنَا
أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاتَّقُونِ ﴿٥٥﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٦﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمَرِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٧﴾ أَيْتَحَسَبُونَ أَنَّمَا يُدْخِلُهُمْ
بِئْسَ مِنْ مَّالٍ وَنَيْنٍ ﴿٥٨﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٦٢﴾

٣٤٥

﴿٤٦﴾ لا تتقدم أي أمة من هذه الأمم
المكذبة الوقت المحدد لمجيء
هلاكتها، ولا تتأخر عنه، مهما كان لها
من الوسائل.

﴿٤٧﴾ ثم بعثنا رسلنا متتابعين رسولاً
رسولاً، كلما جاء أمة من تلك الأمم
رسولها المبعوث إليها كذبوه، فأتبعنا
بعضهم ببعض بالهلاك، فلم يبق لهم
وجود إلا أحاديث الناس عنهم، فهلاكوا
لقوم لا يؤمنون بما جاءتهم به رسلهم
من عند ربهم.

﴿٤٨﴾ ثم بعثنا موسى وأخاه هارون
بآياتنا التسع: (العصا، اليد، الجراد،
القُمَّل، الضفادع، الدم، الطوفان،
السنون، نقص الثمرات)، وبعبارة
واضحة.

﴿٤٩﴾ بعثناهما إلى فرعون والأشرف من
قومه فاستكبروا، فلم ينفقوا للإيمان
لهما، وكانوا قوماً مُسْتَعْلِينَ على
الناس بالقهر والظلم.

﴿٥٠﴾ فقالوا: أنؤمن لبشرين مثلنا، لا
مزية لهما علينا، وقومهما (بنو
إسرائيل) لنا مطيعون خاضعون؟!

﴿٥١﴾ فكذبوهما فيما جاء به من
عند الله، فكانوا بسبب تكذيبهم من
المُهْلَكِينَ بالفرق.

﴿٥٢﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة رجاء
أن يهتدي بها قومه إلى الحق، ويعملوا
بها.

﴿٥٣﴾ وصيرنا عيسى بن مريم وأمه مريم
علامة دالة على قدرتنا، فقد حملت به

من غير أب، وأويناها إلى مكان مرتفع من الأرض، مستو صالح للاستقرار عليه، فيه ماء جار متجدد.
﴿٥٤﴾ يا أيها الرسل، كلوا مما أحلت لكم مما يُسْتَبَاطُ أكله، واعملوا عملاً صالحاً موافقاً للشرع، إني بما
تعملون من عمل عليم، لا يخفى عليّ من أعمالكم شيء.

﴿٥٥﴾ وإن ملتكم - أيها الرسل - ملة واحدة وهي الإسلام، وأنا ربكم لا رب لكم غيري، فاتقوني بامتثال أوامري،
 واجتناب نواهي.

﴿٥٦﴾ فتفرق أتباعهم بعدهم في الدين، فصاروا أحزاباً وشيعاً، كل حزب معجب بما يؤمن أنه هو الدين المرضي
عند الله، ولا يلتفت إلى ما عند غيره.

﴿٥٧﴾ فاتركهم - أيها الرسول - فيما هم فيه من الجهل والحيرة إلى حين نزول العذاب بهم.

﴿٥٨﴾ أظن هؤلاء الأحزاب الفرحون بما لديهم أن ما نعطهم من الأموال والأولاد في الحياة الدنيا هو تعجيل
خير لهم يستحقونه؟! ليس الأمر كما ظنوا، إنما نعطهم ذلك إملاءً واستدراجاً لهم، لكنهم لا يحشون بذلك.

﴿٥٩﴾ إن الذين هم مع إيمانهم وإحسانهم ورجلون من ربهم.

﴿٦٠﴾ والذين هم بآيات كتابه يؤمنون.

﴿٦١﴾ والذين هم يوحدون ربهم لا يشركون به شيئاً.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الاستكبار مانع من التوفيق للحق. • إطابة المأكل له أثر في صلاح القلب وصلاح العمل. • التوحيد ملة
جميع الأنبياء ودعوتهم. • الإنعام على الفاجر ليس إكراماً له، وإنما هو استدراج.

والذين يجتهدون في أعمال البر،
ويتقربون إلى الله بالأعمال الصالحة
وهم خائفون ألا يتقبل الله منهم
إنفاقهم وأعمالهم الصالحة إذا رجعوا
إليه يوم القيامة.

أولئك الموصوفون بهذه الصفات
العظيمة يبادرون إلى الأعمال
الصالحة، وهم إليها سابقون، ومن
أجلها سبقوا غيرهم.

ولا نكلف نفساً إلا قدر ما
تستطيعه من العمل، وعندنا كتاب
أثبتنا فيه عمل كل عامل، ينطق بالحق
الذي لا مزية فيه، وهم لا يظلمون
بنقص حسناتهم، ولا زيادة سيئاتهم.

بل قلوب الكفار في غفلة من هذا
الكتاب الذي ينطق بالحق، والكتاب
الذي نزل عليهم، ولهم أعمال أخرى
دون ما هم عليه من الكفر هم لها
عاملون.

حتى إذا عاقبنا منعمهم في الدنيا
بالعذاب يوم القيامة إذا هم يرفعون
أصواتهم مستغيثين.

فيقال لهم تبيسنا لهم من
رحمة الله: لا تصرخوا ولا تستغيثوا
في هذا اليوم، فإنه لا ناصر لكم
يمنعكم من عذاب الله.

قد كانت آيات كتاب الله تُقرأ
عليكم في الدنيا، فكنتم ترجعون
مولين عنها إذا سمعتموها كراهية لها.

تفعلون ذلك مستكبرين على
الناس بما تزعمونه من أنكم أهل

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاً وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦١﴾
أُولَئِكَ يَسْعُرُونَ فِي الْحَيَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَا تَكْفُلُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٣﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ
هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ
يَجْعَرُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مَتَّاءٌ لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٦﴾ قَدْ كَانَتْ
ءَايَاتِي تَنَالِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنَكُّصُونَ ﴿٦٧﴾
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَلِيمًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٨﴾ أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ
جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٩﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ
فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٧٠﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِجَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ
وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧١﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ
عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَارَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ
وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٤﴾
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَابِتُونَ ﴿٧٥﴾

٣٤٦

الحرم ولستم أهله؛ لأن أهله هم المتقون، وتسامرون حوله بالسيئ من القول، فأنتم لا تقدسونه.

أفلم يتدبر هؤلاء المشركون ما أنزل الله من القرآن ليؤمنوا به، ويعملوا بما فيه، أم جاءهم ما لم يأت
أسلافهم من قبلهم، فأعرضوا عنه وكذبوا به.

أم إنهم لم يعرفوا محمداً ﷺ الذي أرسله الله إليهم، فهم منكرون له، لقد عرفوه وعرفوا صدقه وأمانته.

بل يقولون: هو مجنون، لقد كذبوا، بل جاءهم بالحق الذي لا مزية فيه أنه من عند الله، ومعظمهم كارهون
للحق، مبغضون له حسداً من عند أنفسهم، وتعصبا لباطلهم.

ولو أجرى الله الأمور، ودبرها على وفق ما تهواه أنفسهم لفسدت السماوات والأرض. وفسد من فيهن
لجهلهم بعواقب الأمور، وبالصحيح والفاقد من التدبير.

هل طلبت - أيها الرسول - أجراً من هؤلاء على ما جنتهم به، وذلك جعلهم يرفضون الدعوة؟ هذا لم يحدث
منك، فتواب ربك وأجره خير من ثواب هؤلاء وغيرهم، وهو - سبحانه - خير الرازقين.

وإنك - أيها الرسول - لتدعو هؤلاء وغيرهم إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإسلام.

وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من حساب وعقاب وثواب عن طريق الإسلام لماثلون إلى غيرها من
الطرق المعوجة الموصلة إلى النار.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• خوف المؤمن من عدم قبول عمله الصالح. • سقوط التكليف بما لا يُستطاع رحمة بالعباد. • الترف مانع من
موانع الاستقامة وسبب في الهلاك. • قصور عقول البشر عن إدراك كثير من المصالح.

(٧٥) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَرَفَعْنَا عَنْهُمْ مَا بِهِمْ مِنْ قِحْطٍ وَجُوعٍ لَتَمَادُوا فِي ضَلَالِهِمْ عَنْ الْحَقِّ يَتَرَدَّدُونَ وَيَتَخَبُّطُونَ.

(٧٦) وَلَقَدْ اخْتَبَرْنَا هُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَصَائِبِ، فَمَا تَلَّكُلُوا لِرَبِّهِمْ وَلَا خَضَعُوا لَهُ، وَمَا دَعَا خَاشِعِينَ لِيَرْفَعَهُمُ الْمَصَائِبُ عِنْدَ نَزْوِلِهَا.

(٧٧) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ إِذَا هُمْ فِيهِ آيِسُونَ مِنْ كُلِّ فَرْجٍ وَخَيْرٍ.

ولما كان إنكار البعث لا يقع ممن ينتفع بسمعه وبصره وعقله ذكَّره الله بما أنعم عليهم به منها، فقال:

(٧٨) وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمَكْذِبُونَ بِالْبَعْثِ - السَّمْعَ - لِتَسْمَعُوا بِهِ، وَالْأَبْصَارَ لِتَبْصُرُوا بِهَا، وَالْقُلُوبَ لِتَفْقَهُوا بِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ لَا تَشْكُرُونَهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ إِلَّا قَلِيلًا.

(٧٩) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي الْأَرْضِ، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُونَ لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ.

(٨٠) وَهُوَ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ الَّذِي يَحْيِي فَلَا مَحْيِي غَيْرَهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يُمِيتُ فَلَا مُمِيتَ سِوَاهُ، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ تَقْدِيرُ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ظُلُمَةً وَإِنَارَةً وَطَوَلًا وَقَصْرًا، أَفَلَا تَعْقِلُونَ قُدْرَتَهُ، وَتَفَرَّدَهُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ؟!

(٨١) بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ آبَاؤُهُمْ وَأَسْلَافُهُمْ فِي الْكُفْرِ.

(٨٢) قَالُوا عَلَى وَجْهِ الاسْتِغْبَادِ وَالْإِنْكَارِ: إِذَا مِتْنَا وَصَرْنَا تَرَابًا وَعِظَامًا بَالِيَةً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَحْيَاءٌ لِلْحِسَابِ؟!

(٨٣) لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا الْوَعْدَ - وَهُوَ الْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ - وَوَعَدْنَا أَسْلَافَنَا مِنْ قَبْلُ بِذَلِكَ، وَلَمْ نَرِ ذَلِكَ الْوَعْدَ تَحَقُّقًا، مَا هَذَا إِلَّا أَبَاطِيلُ الْإِنْدَمِينَ وَأَكَاذِبُهُمْ.

(٨٤) قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِهَؤُلَاءِ الْكَفَّارِ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: لِمَنْ هَذِهِ الْأَرْضُ، وَمَنْ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ لَكُمْ عِلْمٌ؟

(٨٥) سَيَقُولُونَ: الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا لِلَّهِ، فَقُلْ لَهُمْ: أَلَا تَتَذَكَّرُونَ أَنَّ مَنْ لَهُ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا قَادِرٌ عَلَى إِحْيَائِكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ؟

(٨٦) قُلْ لَهُمْ: مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ؟ وَمَنْ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يَوْجُدُ مَخْلُوقٌ أَعْظَمُ مِنْهُ؟

(٨٧) سَيَقُولُونَ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْعَرْشُ الْعَظِيمُ لِلَّهِ، فَقُلْ لَهُمْ: أَفَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ بِامْتِنَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ لِتَسْلَمُوا مِنْ عَذَابِهِ؟

(٨٨) قُلْ لَهُمْ: مَنْ الَّذِي بِيَدِهِ مَلِكُ كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَشُدُّ عَنْ مَلِكِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ يَغِيثُ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَا أَحَدٌ يَمْتَنِعُ مِنْ أَرَادِهِ هُوَ بِسُوءٍ، فَيُدْفِعُ عَنْهُ الْعَذَابَ، إِنْ كَانَ لَكُمْ عِلْمٌ؟

(٨٩) سَيَقُولُونَ: مَلِكُ كُلِّ شَيْءٍ بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ، فَقُلْ لَهُمْ: فَكَيْفَ تَذْهَبُ عُقُولُكُمْ، وَتَعْبُدُونَ غَيْرَهُ مَعَ إِفْرَارِكُمْ بِذَلِكَ؟!

(٩٠) مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ.

• عدم اعتبار الكفار بالنعم أو النقم التي تقع عليهم دليل على فساد فطرتهم.

• كفران النعم صفة من صفات الكفار.

• التمسك بالتقليد الأعمى يمنع من الوصول للحق.

• الإقرار بالربوبية ما لم يصحبه إقرار بالألوهية لا ينجي صاحبه.

* وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضَرٍّ لَلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٧٨) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٨٠) بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣) قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ يَدِينُهُ مَلَائِكَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)

﴿٩٠﴾ ليس الأمر كما يدعون، بل جئناهم بالحق الذي لا مرية فيه، وإنهم لكاذبون فيما يدعونه الله من الشريك والولد، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

﴿٩١﴾ ما اتخذ الله من ولد كما يزعم الكفار، وما كان معه من معبود بحق، ولو فرض أنه معه معبود بحق لذهب كل معبود بنصيبه من الخلق الذي خلقه، ولغالب بعضهم بعضاً، فيفسد نظام الكون، والواقع أن شيئاً من ذلك لم يحدث، فدل على أن المعبود بحق واحد وهو الله وحده، تنزه وتقدس عما يصفه به المشركون مما لا يليق به من الولد والشريك.

﴿٩٢﴾ عالم كل ما غاب عن خلقه، وعالم كل ما يشاهد ويدرك بالحواس، لا يخفى عليه شيء من ذلك، فتعالى سبحانه أن يكون له شريك.

﴿٩٣﴾ قل - يا أيها الرسول -: رب إما تريني في هؤلاء المشركين ما وعدتهم من العذاب.

﴿٩٤﴾ رب إن عاقبتهم وأنا أشاهد ذلك فلا تجعلني فيهم فيصيبني ما أصابهم من العذاب.

﴿٩٥﴾ وأنا على أن نجعلك تشاهد وترى ما تعدهم به من العذاب لقادرون، لا نجز عن ذلك ولا عن غيره.

﴿٩٦﴾ ادفع - أيها الرسول - من يسيء إليك بالخصلة التي هي أحسن؛ بأن تصفح عنه، وتصبر على أذاه. نحن أعلم بما يصفون من الشرك والتكذيب،

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا الذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ أَذْفَعُ بَالِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يُصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

وبما يصفونك به مما لا يليق بك كالسحر والجنون.

﴿٩٧﴾ وقل: رب اعتصم بك من نَزَغَاتِ الشياطين ووساوسهم.

﴿٩٨﴾ وأعوذ بك رب أن يحضروني في شيء من أموري.

﴿٩٩﴾ حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت، وعاین ما ينزل به قال ندماً على ما فات من عمره، وما فرط في جنب الله: رب ارجعني إلى الحياة الدنيا.

﴿١٠٠﴾ لعلني أعمل عملاً صالحاً إذا رجعت إليها، كلا، ليس الأمر كما طلبت، إنها مجرد كلمة هو قائلها، فلو رُدُّ إلى الحياة الدنيا لما وفي بما وعد به، وسيبقى هؤلاء المتوَقِّفون في حاجر بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث والنشور، فلا يرجعون منه إلى الدنيا ليستردوا ما فاتهم، ويصلحوا ما أفسدوه.

﴿١٠١﴾ فإذا نفخ الموكل بالنفخ في القرن الفضة الثانية المؤذنة بالقيامة، فلا أنساب بينهم يتفاخرون بها لانشغالهم بأهواء الآخرة، ولا يسأ بعضهم بعضاً لانشغالهم بما يهمهم.

﴿١٠٢﴾ فمن ثقلت موازينه يرجحان حسناته على سيئاته فأولئك هم المفلحون بما ينالونه من مطلوبهم، وما يجتنبون من مروهوبهم.

﴿١٠٣﴾ ومن خفت موازينه لرجحان سيئاته على حسناته فأولئك هم الذين ضيعوا أنفسهم بفعل ما يضرها، وترك ما ينفعها من الإيمان والعمل الصالح، فهم في نار جهنم ماكثون، لا يخرجون منها.

﴿١٠٤﴾ تحرق وجوههم النار، وهم فيها قد تقلصت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم من شدة العبوس.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • الاستدلال باستقرار نظام الكون على وحدانية الله. • إحاطة علم الله بكل شيء. • معاملة المسيء بالإحسان أدب إسلامي رفيع له تأثيره البالغ في الخصم. • ضرورة الاستعاذة بالله من وساوس الشيطان وإغراءاته.

أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي تَتْلِي عَلَيْنَا فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْسَعُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٩﴾ فَاتَّخَذُوا لَهُمْ سَخِرًا حَتَّى اسْتَوُكِرَ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٢٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿٢٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿٢٨﴾

﴿١٥﴾ ويقال لهم تقريباً لهم: ألم تكن آيات القرآن تقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم بها تكذبون؟!

﴿١٦﴾ قالوا: ربنا غلب علينا ما سبق في علمك من شقاوتنا، وكنا قوماً ضالين عن الحق.

﴿١٧﴾ ربنا أخرجنا من النار، فإن رجعنا إلى ما كنا عليه من الكفر والضلال فإننا ظالمون لأنفسنا، قد انقطع عذرنا.

﴿١٨﴾ قال الله: اسكنوا أذلاء مهانين في النار، ولا تكلموني.

﴿١٩﴾ إنه كان فريق من عبادي الذين آمنوا بي يقولون: ربنا آمنا بك فاعفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك، وأنت خير الراحمين.

﴿٢٠﴾ فاتخذتم هؤلاء المؤمنين الداعين ربهم محلاً للاستهزاء تسخرون منهم، وتستهنئون بهم حتى أنساكم الانشغال بالسخرية منهم ذكر الله، وكنتم تضحكون منهم سخرية واستهزاء.

﴿٢١﴾ إني جزيت هؤلاء المؤمنين الفوز بالجنة يوم القيامة؛ لصبرهم على طاعة الله وعلى ما كانوا يتلقونه منكم من الأذى.

ولما سألوا الرجوع إلى الدنيا ليصلحوا ما أفسدوا، ذكرهم بما عمروا فيها مما يمكنهم من التوبة لو أرادوا ذلك.

﴿٢٢﴾ قال: كم مكثتم في الأرض من السنين؟ وكم أضعتم فيها من وقت؟ فيجيبون بقولهم: مكثنا يوماً أو جزءاً من يوم، فاسأل الذين يُعْتَوْنَ بحساب الأيام والشهور.

﴿٢٣﴾ قال: ما مكثتم في الدنيا إلا زمناً قليلاً يسهل الصبر فيه على الطاعة لو أنكم كنتم تعلمون مقدار مكثكم.

﴿٢٤﴾ أفحسبتم - أيها الناس - أنما خلقناكم لعباً دون حكمة، فلا ثواب ولا عقاب مثل البهائم، وأنكم لا ترجعون إلينا يوم القيامة للحساب والجزاء؟!

﴿٢٥﴾ فتنزه الله الملك المتصرف في خلقه بما يشاء، الذي هو حق، ووعدته حق، وقوله حق، لا معبود بحق غيره، رب العرش الكريم الذي هو أعظم المخلوقات، ومن كان رباً لأعظم المخلوقات فهو ربها كلها.

﴿٢٦﴾ ومن يدع مع الله معبوداً آخر لا حجة له على استحقاقه العبادة (وهذا شأن كل معبود غير الله) فإنما جزاء عمله السيئ عند ربه سبحانه، فهو الذي يجازيه بالعذاب عليه، إنه لا يفوز الكافرون ببئيل ما يطلبون، ولا بالنجاة مما يرهبون.

﴿٢٧﴾ قل - أيها الرسول -: رب اغفر لي ذنوبي، وارحمني برحمتك وأنت خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الكافر حقير مهان عند الله.

• الاستهزاء بالنصالحين ذنب عظيم يستحق صاحبه العذاب.

• تضييع العمر لازم من لوازم الكفر.

• الثناء على الله مظهر من مظاهر الأدب في الدعاء.

• لما افتتح الله سبحانه السورة بذكر صفات فلاح المؤمنين ناسب أن تختتم السورة بذكر خسارة الكافرين وعدم فلاحهم.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

— مَدِينَةٌ —

● من مقاصد السُّورَةِ:
التركيز على قضية العفاف والستر
وصفاء المجتمع المسلم وتحصينه من
أسباب الفاحشة وكيد المنافقين في
نشرها.

● التفسير:
① هذه سورة أنزلناها، وأوجبنا
العمل بأحكامها، وأنزلنا فيها آيات
بينات؛ رجاء أن تتذكروا ما فيها من
الأحكام فتعملوا به.

② الزانية والزاني البيحران فاجلدوا
كل واحد منهما مئة جلدة، ولا
تأخذكم بهما رقعة ورحمة بحيث لا
تقيمون عليهما الحد أو تخففونه
عنهما، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر، وليحضر إقامة الحد عليهما
جمع من المؤمنين إمعاناً في التشهير
بهما، وردعاً لهما ولغيرهما.

③ لتفطيع الزنى ذكر الله أن الذي
اعتاده لا يرغب في الزواج إلا من
زانية مثله أو مشركة لا تتوفى الزنى مع
عدم جواز نكاحها، والتي اعتادت
الزنى لا ترغب في الزواج إلا من زان
مثله أو مشرك لا يتوقاه مع حرمة
زواجها منه، وحرم نكاح الزانية
ونكاح الزاني على المؤمنين.

④ والذين يرمون بالفاحشة العفاف
من النساء، (والأعفاء من الرجال
مثلهن)، ثم لم يأتوا بأربعة شهود على
الذين لا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك الذين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
① الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ
عَدَاؤُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ② الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً
وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
③ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ ④ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ⑤ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ
شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ وَلِمَنِ
الصَّدِيقِينَ ⑥ وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ
⑦ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ وَلِمَنِ
الْكُذِّيبِينَ ⑧ وَالْخَمْسَةُ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّدِيقِينَ
⑨ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ⑩

٣٥٠

ما رموهم به من الفاحشة فاجلدوهم - أيها الحكام - ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك الذين
يرمون العفاف هم الخارجون عن طاعة الله.

① إلا الذين تابوا إلى الله بعد الذي أقدموا عليه من ذلك، وأصلحوا أعمالهم فإن الله يقبل توبتهم وشهادتهم،
إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

② والرجال الذين يرمون زوجاتهم وليس لهم شهود غير أنفسهم يشهدون على صحة ما رموهن به؛ يشهد الواحد
منهم أربع شهادات بالله: إنه لصادق فيما رمى به زوجته من الزنى.

③ ثم في شهادته الخامسة يزيد الدعاء على نفسه باستحقاق اللعنة إن كان كاذباً فيما رماها به.

④ فتستحق هي بذلك أن تحدد الزنى، ويدفع عنها هذا الحد أن تشهد هي أربع شهادات بالله: إنه لكاذب فيما رماها به.

⑤ ثم في شهادتها الخامسة تزيد الدعاء على نفسها بغضب الله عليها إن كان صادقاً فيما رماها به.

⑥ ولولا تفضل الله عليكم - أيها الناس - ورحمته بكم، وأنه تواب على من تاب من عباده، حكيم في تدبيره
وشرعه لعاجلكم بالعقوبة على ذنوبكم، ولفضحكم بها.

● من تَوَابِدِ الْآيَاتِ،

- التمهيد للحديث عن الأمور العظام بما يؤذن بعظمتها.
- الزاني يفقد الاحترام والرحمة في المجتمع المسلم.
- الحصار الاجتماعي على الزناة وسيلة لتحصين المجتمع منهم، ووسيلة لردعهم عن الزنى.
- تنويع عقوبة الفاذف إلى عقوبة مادية (الحد)، ومعنوية (رد شهادته، والحكم عليه بالفسق) دليل على خطورة
هذا الفعل. ● لا يثبت الزنى إلا ببينة، وادعائه دونها كذف.

﴿١﴾ إِنْ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْبُيُوتَانِ (وهو رمي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة) جماعة تنتسب إليكم - أيها المؤمنون - لا تظنوا أن ما افتروه شر لكم، بل هو خير لما فيه من الثواب والتمحيص للمؤمنين، ولما يصحبه من تبرئة أم المؤمنين، لكل واحد شارك في رميها بالفاحشة جزاء ما اكتسبه من الإثم لتكلمه بالإفك، والذي تحمّل معظم ذلك ببذئه به له عذاب عظيم، والمقصود به رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول.

﴿٢﴾ هَذَا إِذْ سَمِعَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ هَذَا الْإِفْكَ الْعَظِيمَ ظَنُّوا سَلَامَةً مِنْ فِتْرِي عَلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالُوا: هَذَا كَذِبٌ وَاضِحٌ.

﴿٣﴾ هَلَّا أَتَى الْمَفْتَرُونَ عَلَى أَمِ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَلَى فَرِيَتِهِمُ الْعَظِيمَةِ بِأَرْبَعَةِ شُهُودٍ يَشْهَدُونَ عَلَى صَحَّةٍ مَا نَسَبُوا إِلَيْهَا، فَإِنْ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهُودٍ عَلَى ذَلِكَ - وَلَنْ يَأْتُوا بِهِمْ أَبَدًا - فَهُمْ كَاذِبُونَ فِي حُكْمِ اللَّهِ.

﴿٤﴾ وَلَوْلَا تَفَضُّلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - وَرَحْمَتُهُ بِكُمْ حَيْثُ لَمْ يَعاْجِلْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَتَابَ عَلَى مَنْ تَابَ مِنْكُمْ؛ لِأَصَابِكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ بِسَبَبِ مَا خَضَعْتُمْ فِيهِ مِنَ الْكُذْبِ وَالْإِفْكِ عَلَى أَمِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿٥﴾ إِذْ يَرُويهِ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَتَنَاقَلُونَهُ بِأَفْوَاهِكُمْ مَعَ بَطْلَانِهِ؛ فَمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، وَتَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ سَهْلٌ هَيِّنٌ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْكُذْبِ وَرَمِي بِهِ.

﴿٦﴾ وَهَلَّا إِذْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْإِفْكَ قُلْتُمْ: مَا يَصِحُّ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْأَمْرِ الشَّنِيعِ، تَزْيِيهَا لَكُمْ رَبَّنَا، هَذَا الَّذِي رَمَوْا بِهِ أَمِ الْمُؤْمِنِينَ كَذِبٌ عَظِيمٌ.

﴿٧﴾ يَذْكُرُكُمْ اللَّهُ وَيَتَصَحَّحُكُمْ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِ هَذَا الْإِفْكِ فَتَرْمُوا بَرِيئًا بِالْفَاحِشَةِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ.

﴿٨﴾ وَيُوضِّحُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِ الْمَشْتَمَلَةِ عَلَى أَحْكَامِهِ وَمَوَاعِظِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِأَعْمَالِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِ وَشَرْعُهُ.

﴿٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَنْتَشِرَ الْمُتَكَرَّرَاتُ - وَمِنْهَا الْقَذْفُ بِالزَّانِي - فِي الْمُؤْمِنِينَ، لَهُمْ عَذَابٌ مُوجِعٌ فِي الدُّنْيَا بِإِقَامَةِ حَدِّ الْقَذْفِ عَلَيْهِمْ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ كَذِبَهُمْ، وَمَا يُؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرَ عِبَادِهِ، وَيَعْلَمُ مَصَالِحَهُمْ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿١٠﴾ وَلَوْلَا تَفَضُّلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْوَاقِعُونَ فِي الْإِفْكَ - وَرَحْمَتُهُ بِكُمْ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ بِكُمْ، لَعَاجَلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تركيز المنافقين على هدم مراكز الثقة في المجتمع المسلم بإشاعة الاتهامات الباطلة. • المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين لمشاركتهم في أعمالهم. • تكريم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بتبرئتها من فوق سبع سماوات. • ضرورة الثبوت تجاه الشائعات.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ وَمِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ إِنْ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رُؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَمَا زَكَّىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّيٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣٧﴾

٣٥٢

نطقوا به من الباطل، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

﴿٣٥﴾ في ذلك اليوم يوقهم الله جزاءهم بعدل، ويعلمون أن الله سبحانه هو الحق، فكل ما يصدر عنه من خبر أو وعد أو وعيد حق واضح لا مرية فيه.

﴿٣٦﴾ كل خبيث من الرجال والنساء والأقوال والأفعال مناسب وموافق لما هو خبيث، وكل طيب من ذلك مناسب وموافق لما هو طيب، أولئك الطيبون والطيبات مُبرَّءون مما يقوله عنهم الخبيثون والخبيثات، لهم مغفرة من الله يغفر بها ذنوبهم، ولهم رزق كريم وهو الجنة.

ولما كان الاطلاع على العورات سبباً لإثارة الشهوة المؤدي إلى ارتكاب الزنى المذكور في بداية السورة، أمر الله بالاستئذان على البيوت؛ حماية للنظر من الاطلاع على العورات، فقال:

﴿٣٧﴾ يا أيها الذين آمنوا وعملوا بطاعة الله، لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا ساكنيها في الدخول عليهم، وتسلموا عليهم بأن تقولوا في السلام والاستئذان: السلام عليكم أدخل؟ ذلك الاستئذان الذي أمرتم به خير لكم من الدخول فجأة، لعلكم تذكرون ما أمرتم به فتمثلوه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • إغراءات الشيطان ووساوسه داعية إلى ارتكاب المعاصي، فليحذرها المؤمن.

• التوفيق للتوبة والعمل الصالح من الله لا من العبد.

• العفو والصفح عن المسيء سبب لغفران الذنوب.

• قذف العفاف من كبائر الذنوب.

• مشروعية الاستئذان لحماية النظر، والحفاظ على حرمة البيوت.

﴿٣١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بشرعه، لا تتبعوا طرق الشيطان في تزيينه للباطل، ومن يتبع طريقه فإنه يأمر بالقبيح من الأفعال والأقوال، وبما ينكره الشرع، ولولا فضل الله عليكم - أيها المؤمنون - ما طهر منكم من أحد أبداً بالتوبة إن تاب، ولكن الله يطهر من يشاء بقبول توبته. والله سميع لأقوالكم، عليم بأعمالكم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٣٢﴾ ولا يحلف أهل الفضل في الدين وأصحاب السعة في المال على ترك إعطاء أقرابهم المحتاجين - لما هم عليه من الفقر، من المهاجرين في سبيل الله - لذنوب ارتكبوها، وليعفوا عنهم، وليصفحوا عنهم، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ذنوبكم إذا عفوتهم عنهم وصفحتم؟! والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، فليتأس به عباده. نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما حلف على ترك الإنفاق على مسطح لمشاركته في الإفك.

﴿٣٣﴾ إن الذين يرمون العفافات الغافلات عن الفاحشة التي لا يظن لها المؤمنات، طردوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب عظيم في الآخرة.

﴿٣٤﴾ يحصل لهم ذلك العذاب يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم بما

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ
وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا
غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٣٩﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٤٠﴾
وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَبِحِفْظِ
فُرُوجِهِنَّ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمْرِهِنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْغَفُورُ ﴿٤١﴾

٣٥٣

﴿٣٨﴾ فإن لم تجدوا فيها أحدًا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم في دخولها ممن يملك الإذن، وإن قال لكم أربابها: (ارجعوا) فارجعوا ولا تدخلوها، فإنه أظهر لكم عند الله، والله بما تعملون علیم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٣٩﴾ ليس عليكم حرج أن تدخلوا دون استئذان بيوتًا عامة لا تختص بأحد، أعدت للانتفاع العام؛ كالمكتبات والحواريات في الأسواق، والله يعلم ما تظهرون من أعمالكم وأحوالكم وما تخفون، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم عليه.

ولما كان النظر بريذاً إلى الزنى، أمر الله بغض البصر لنوقاية منه، فقال:

﴿٤٠﴾ قل - أيها الرسول - للمؤمنين يكفوا من أبصارهم عن النظر إلى ما لا يحل لهم من النساء والعورات، ويحفظوا فروجهم من الوقوع في المحرم، ومن كشفها، ذلك الكف عن النظر إلى ما حرمه الله أظهر لهم عند الله، إن الله خبير بما يصنعون، لا يخفى عليه شيء منه، وسيجازيهم عليه.

﴿٤١﴾ وقل للمؤمنات يكففن من أبصارهن عن النظر إلى ما لا يحل لهن النظر إليه من العورات، ويحفظن

فروجهن بالبعد عن الفاحشة وبالستر، ولا يُظْهَرْنَ زِينَتَهُنَّ لِلْأَجَانِبِ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا مما لا يمكن إخفاؤه كالثياب، وليضربن بأغطينتهن على فتحات أعلى ثيابهن ليسترن شعورهن ووجوههن وأعناقهن، ولا يُظْهَرْنَ زِينَتَهُنَّ الْخَفِيَّةَ إِلَّا لِأَزْوَاجِهِنَّ، أو آبائهن، أو آباء أزواجهن، أو أبناءهن، أو إخوانهن، أو أبناء إخوانهن، أو بناتهن، أو نساءهن المأمونات، مسلمات كن أو كافرات، أو ما ملكن من العبيد ذكورا أو إناثا، أو التابعين الذين لا غرض لهم في النساء، أو الأطفال الذين لم يطلعوا على عورات النساء لصغرهم، ولا يضرب النساء بأرجلهن قصد أن يُعْلَمَ ما يسترن من زِينَتِهِنَّ مثل الخلخال وما شابهه، وتوبوا إلى الله جميعاً - أيها المؤمنون - مما يحصل لكم من النظر وغيره؛ رجاء أن تفوزوا بالمطلوب، وتنجوا من المرهوب.

﴿٤٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ آيَاتِ،

- جواز دخول المباني العامة دون استئذان.
- وجوب غض البصر على الرجال والنساء عما لا يحل لهم.
- وجوب الحجاب على المرأة.
- منع استخدام وسائل الإثارة.

وَأَنذِرْهُمْ أَن لَّا يَأْتِيَنَّ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾
وَلَيْسَتْ عُفَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِن عَمِلْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا
فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِن أَرَدْتُمْ تَحْصِنَ ۚ لَّا تَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٨﴾ ۖ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
مِثْلُ نُورِهِ ۖ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۚ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ
الزَّجَاةِ ۚ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ
لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تَرْفَعَ
وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٤٠﴾

ولما كانت العنوسة سبباً من أسباب انتشار الزنى، أمر الله بإعانة الأياشي على النكاح، فقال:

﴿٣٦﴾ وزوجوا - أيها المؤمنون - الرجال الذين لا زوجات لهم، والحرائر اللاتي لا أزواج لهن، وزوجوا المؤمنين من عبيدكم ومن إماءكم، إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله الواسع، والله واسع الرزق، لا ينقص رزقه إغناء أحد، عليم بأحوال عباده.

ولما أمر الله المؤمنين بتزويج الأياشي، أمر الأييم أن يستعفف إذا لم يجد ما يتزوج به، فقال:

﴿٣٧﴾ وليطلب العفة عن الزنى الذين لا يستطيعون الزواج لفقرهم إلى أن يغنيهم الله من فضله الواسع، والذين يطلبون مكتابة أسيادهم من العبيد على دفع مال ليتحرروا، فعلى أسيادهم أن يقبلوا منهم ذلك إن علموا فيهم القدرة على الأداء والصلاح في الدين، وعليهم أن يعطوهم من مال الله الذي أعطاهم بأن يحفظوا عنهم جزءاً مما كاتبوهم على دفعه، ولا تجبروا إماءكم على الزنى بحثاً عن المال - كما فعل عبد الله بن أبي - بأمرته حين طلبنا التعفف والبعد عن الفاحشة - لتطلبوا ما تكسبه بفرجها، ومن يجبرهن منكم على ذلك فإن الله من بعد الإيجاب لهن غفور لذنبهن. رحيم بهن؛ لأنهن مكرهات، والإثم على مكرههن.

﴿٣٨﴾ ولقد أنزلنا إليكم - أيها الناس - آيات واضحة لا لبس فيها، وأنزلنا إليكم مثلاً من الذين مضوا من قبلكم من المؤمنين والكافرين، وأنزلنا عليكم موعظة يتعظ بها الذين يتقون ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٣٩﴾ الله نور السماوات والأرض، وهادي من فيهما، مثل نوره سبحانه في قلب المؤمن ككوة في حائط غير نافذة، فيها مصباح، المصباح في زجاجة متوهجة كأنها كوكب مضيء كالدر، يوقد المصباح من زيت شجرة مباركة، هي شجرة الزيتون، الشجرة لا يسترها عن الشمس شيء، لا في الصباح ولا في المساء، يكاد زيتها لصفائه يضيء، ولو لم تمسه نار، فكيف إذا مسته؟! نور المصباح على نور الزجاجة، وهكذا قلب المؤمن إذا أشرق فيه نور الهداية، والله يوفق لاتباع القرآن من يشاء من عباده، ويبين الله الأشياء بأشباها بضره للأمثال، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

﴿٤٠﴾ يوقد هذا المصباح في مساجد أمر الله أن يعلو قدرها وبنائها، ويذكر فيها اسمه بالأذان والذكر والصلاة، يُصَلِّي فيها ابتغاء مرضاة الله أول النهار وآخره.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الله ﷻ ضيق أسباب الرق (بالحرب) ووسع أسباب العتق وحض عليه. • التخلّص من الرّق عن طريق المكاتب وإعانة الرقيق بالمال ليعتق حتى لا يشكل الرقيق طبقة مُستَزْدَلَة تمتلئ بالفاحشة. • قلب المؤمن نُور بنور الفطرة، ونور الهداية الربانية. • المساجد بيوت الله في الأرض أنشأها ليعبد فيها، فيجب إبعادها عن الأقدار الحسية والمعنوية. • من أسماء الله الحسنى (النور) وهو يتضمن صفة النور له سبحانه.

﴿٣٧﴾ رجال لا يلهمهم شراء ولا بيع عن ذكر الله سبحانه، والإتيان بالصلاة على أكمل وجه، وإعطاء الزكاة لمصارفها، يخافون يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تتقلب فيه القلوب بين الطمع في النجاة من العذاب والخوف منه، وتتقلب فيه الأبصار إلى أي ناحية تصير.

﴿٣٨﴾ عملوا ذلك ليثيبهم الله على أعمالهم أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله جزاء عليها، والله يرزق من يشاء بغير حساب على قدر أعمالهم، بل يعطيهم أضعاف ما عملوا.

﴿٣٩﴾ والذين كفروا بالله أعمالهم التي عملوها لا ثواب لها مثل السراب بمنخفض من الأرض يراه العطشان فيظنه ماءً، فيسير إليه حتى إذا جاءه ووقف عليه لم يجد ماءً، وكذا الكافر يظن أن أعماله تنفعه حتى إذا مات وُبِعث لم يجد ثوابها، ووجد ربه أمامه فوفاه حساب عمله كاملاً، والله سريع الحساب.

﴿٤٠﴾ أو أعمالهم مثل ظلمات في بحر عميق، يعلوه موج، من فوق ذلك الموج موج آخر، من فوقه سحب يستر ما يهتدي به من النجوم، ظلمات متراكب بعضها فوق بعض، إذا أخرج من وقع في هذه الظلمات يده لم يكد يبصرها من شدة الظلمة، وهكذا الكافر، فقد تراكت عليه ظلمات

رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَبِزَيْدِهِمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ وَفَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَخْرِجُ كُلَّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ لَهُ وَمِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَوْتٌ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَخْرِجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۚ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَصْرِفُهُ ۖ وَعَنْ مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَاطِرُ قُوَّةٍ يَدَهُبٌ بِأَلْبَصَرٍ ﴿٤٣﴾

الجهل والشك والحيرة والطبع على قلبه، ومن لم يرزقه الله هدى من الضلالة، وعلمًا بكتابه، فما له هدى يهتدي به. ولا كتاب يستنير به.

﴿٤١﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسبح له من في السماوات، ويسبح له من في الأرض من مخلوقاته، وتسبح له الطيور قد صُفّت أجنتها في الهواء، كل من تلك المخلوقات علم الله صلاة من يصلي منها كالإنسان، وتسبح من يسبح منها كالطير، والله عليم بما يفعلون، لا يخفى عليه من أفعالهم شيء.

﴿٤٢﴾ والله وحده ملك السماوات وملك الأرض، وإليه وحده الرجوع يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٤٣﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسوق سحباً، ثم يضم أجزاء بعضه إلى بعض، ثم يجعله متراكماً يركب بعضه بعضاً، فترى المطر يخرج من داخل السحاب، وينزل من جهة السماء من السحاب المتكاثفة فيها التي تشبه الجبال في عظمتها قطعاً متجمدة من الماء كالحصى، فيصيب بذلك البرد من يشاء من عباده، ويصرفه عمن يشاء منهم، يكاد ضوء برق السحاب من شدة لمعانه يذهب بالأبصار.

• مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

- موازنة المؤمن بين المشاغل الدنيوية والأعمال الأخروية أمر لازم.
- بطلان عمل الكافر لفقد شرط الإيمان.
- أن الكافر نشاز من مخلوقات الله المسبحة المطيعة.
- جميع مراحل المطر من خلق الله وتقديره.

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن
يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ
ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ
يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ
أَن يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَوْ يَبَلَ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا
كَانَ قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن
يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
﴿٥٢﴾ *وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِّرَتُهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ
لَا تَقْسِمُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

﴿٤٤﴾ يُعَاقِبُ اللَّهُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ طَوَّلًا
وقصرًا، ومجيئًا وذهابًا، إن في ذلك
المذكور من الآيات من دلائل الربوبية عظة
لأصحاب البصائر على قدرة الله ووحدانيته.
﴿٤٥﴾ واللَّهُ خلق كل ما يدب على وجه
الأرض من الحيوان من نطفة، فمنهم
من يمشي على بطنه زحفًا كالحيات،
ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان
والطير، ومنهم من يمشي على أربع
كالأنعام، يخلق الله ما يشاء مما ذكر
ومما لم يذكر، إن الله على كل شيء
قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٤٦﴾ لقد أنزلنا على محمد ﷺ آيات
واضحات لا لبس فيها، والله يوفق من
يشاء إلى طريق مستقيم لا اعوجاج
فيه، فيوصله ذلك الطريق إلى الجنة.

﴿٤٧﴾ ويقول المنافقون: آمنا بالله، وآمنا
بالرسول، وأطعنا الله، وأطعنا رسوله،
ثم تتولى طائفة منهم، فلا يطيعون الله
ورسوله في الأمر بالجهاد في سبيل الله
وغيره بعد ما زعموه من الإيمان بالله
ورسوله وطاعتهم، وما أولئك
المتوكلون عن طاعة الله ورسوله
بالمؤمنين وإن ادعوا أنهم مؤمنون.

﴿٤٨﴾ وإذا دعي هؤلاء المنافقون
إلى الله، وإلى الرسول ليحكم الرسول
بينهم فيما يختصمون فيه، إذا هم
معرضون عن حكمه لنفاقهم.

﴿٤٩﴾ وإن علموا أن الحق لهم، وأنه
سيحكم لصالحهم يأتوا إليه متقادين
خاضعين.

﴿٥٠﴾ أفي قلوب هؤلاء مرض لازم لها، أم شكوا في أنه رسول الله، أم يخافون أن يجور الله عليهم ورسوله في
الحكم؟ ليس ذلك لشيء مما ذكر، بل لعلة في أنفسهم بسبب إعراضهم عن حكمه وعنادهم له.

﴿٥١﴾ ولما ذكر موقف المنافقين الراضين لحكم الله ورسوله ذكر موقف المؤمنين الراضين به، فقال:
﴿٥١﴾ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله، وإلى الرسول ليحكم بينهم أن يقولوا: سمعنا قوله، وأطعنا أمره،
وأولئك المتصفون بتلك الصفات هم الفائزون في الدنيا والآخرة.

﴿٥٢﴾ ومن يطع الله ويطع رسوله، ويستسلم لحكمهما، ويتخف ما تجرّه المعاصي، ويتق عذاب الله بامثال أمره،
واجتناب نهيه، فأولئك وحدهم هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة.

﴿٥٣﴾ وحلف المنافقون بالله أقصى أيمانهم المغلظة التي يستطيعون الحلف بها: لئن أُمِّرْتُهُم بالخروج إلى الجهاد
ليخرجن، قل لهم - أيها الرسول -: لا تحلفوا، فكذبكم معروف، وطاعتكم المزعومة معروفة، والله خبير بما
تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم مهما أخفيتموها.

• من قواعد الآيات،

- تنوع المخلوقات دليل على قدرة الله.
- من صفات المنافقين الإعراض عن حكم الله إلا إن كان الحكم في صالحهم، ومن صفاتهم مرض القلب
والشك، وسوء الظن بالله.
- طاعة الله ورسوله والخوف من الله من أسباب الفوز في الدارين.
- الحلف على الكذب سلوك معروف عند المنافقين.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَمْعَاجِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمْ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْتَغْنِيَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

﴿٣٥٧﴾

﴿٥٥﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنافقين: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، في الظاهر والباطن، فإن تولوا عما أمرتم به من طاعتها فإنما عليه هو ما كلف به من التبليغ، وعليكم أنتم ما كلفتم به من الطاعة، والعمل بما جاء به، وإن تطيعوه بفعل ما أمركم بفعله وبالكف عما نهاكم عنه تهتدوا إلى الحق، وليس على الرسول إلا البلاغ الواضح، فليس عليه حملكم على الهداية، وإجباركم عليها.

﴿٥٦﴾ وعد الله الذين آمنوا منكم بالله وعملوا الأعمال الصالحات، أن ينصرهم على أعدائهم، ويجعلهم خلفاء في الأرض مثل ما جعل من قبلهم من المؤمنين خلفاء فيها، ووعدهم أن يجعل دينهم الذي ارتضاه لهم - وهو دين الإسلام - مكيثاً عزيزاً، ووعدهم أن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني وحدي، لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد تلك النعم فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

﴿٥٧﴾ وأدوا الصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأطيعوا الرسول بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه؛ رجاء أن تنالوا رحمة الله.

﴿٥٨﴾ لا تظنن - أيها الرسول - الذين كفروا بالله يفوتونني إذا أردت أن أنزل بهم العذاب، ومأواهم يوم القيامة جهنم، ولنساء مصير من جهنم مصيرهم.

ولما ذكر الله من قبل أحكام استئذان الأحرار البالغين، ذكر هنا أحكام استئذان العبيد والأحرار غير البالغين، والأطفال إذا بلغوا، فقال:

﴿٥٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرعه لهم، ليطلب منكم الإذن عبيدكم وإماءكم والأطفال الأحرار الذين لم يبلغوا سن الاحتلام في ثلاثة أوقات: من قبل صلاة الصبح وقت إبدال ثياب النوم بثياب اليقظة، وفي وقت الظهيرة حين تخلعون ثيابكم للقبولة، وبعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت نومكم وخلع ثياب اليقظة ولبس ثياب النوم، هذه ثلاثة أوقات عورات لكم، لا يدخلون فيها عليكم إلا بعد إذن منكم، ليس عليكم حرج في دخولهم دون استئذان، ولا عليهم هم حرج فيما عداها من الأوقات، هم كثيرو التطواف، بعضكم يطوف على بعض، فيتعذر منعهم من الدخول في كل وقت إلا باستئذان، كما بين الله لكم أحكام الاستئذان يبين لكم الآيات الدالة على ما شرعه لكم من أحكام، والله عليم بمصالح عباده، حكيم فيما يشرعه لهم من أحكام.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- اتباع الرسول ﷺ علامة الاهتداء.
- على الداعية بذل الجهد في الدعوة، والنتائج بيد الله.
- الإيمان والعمل الصالح سبب التمكين في الأرض والأمن.
- تأديب العبيد والأطفال على الاستئذان في أوقات ظهور عورات الناس.

﴿٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ سِنَ
الاحتلام فَلْيَطْلُبُوا الإِذْنَ عِنْدَ الدُّخُولِ
عَلَى الْبُيُوتِ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ مِثْلَ مَا
ذَكَرَ بِشَأْنِ الْكِبَارِ سَابِقًا، كَمَا بَيَّنَّ اللَّهُ
لَكُمْ أَحْكَامَ الاسْتِثْنَاءِ بَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمُصَالِحِ عِبَادِهِ،
حَكِيمٌ فِيمَا يَشْرَعُ لَهُمْ.

﴿٩﴾ وَالْعَجَائِزُ اللَّاتِي قَعَدْنَ عَنِ
الْحَيْضِ وَالْحَمْلِ لِكِبْرِهِنَّ، اللَّاتِي لَا
يُطْمَعْنَ فِي النِّكَاحِ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ إِثْمٌ أَنْ
يُضَعْنَ بَعْضُ ثِيَابِهِنَّ كَالرِّدَاءِ وَالْقِنَاعِ،
غَيْرَ مَظْهَرَاتٍ لِلزِّينَةِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي أُمِرْنَ
بِاسْتِرْهَا، وَأَنْ يَتْرَكْنَ وَضْعَ تِلْكَ الثِّيَابِ
خَيْرَ لَهُنَّ مِنْ وَضْعِهَا إِمْعَانًا فِي السُّتْرِ
وَالْتَعَفُّ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِقَوْلِكُمْ، عَلِيمٌ
بِأَفْعَالِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ
ذَلِكَ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿١٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى الَّذِي فَقَدَ بَصَرَهُ
إِثْمٌ؛ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ إِثْمٌ، وَلَا عَلَى
السَّرِيعِ إِثْمٌ؛ إِنْ تَرَكُوا مَا لَا
يَسْتَطِيعُونَ الْقِيَامَ بِهِ مِنَ التَّكْلِيفِ
كَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - إِثْمٌ فِي الْأَكْلِ مِنْ
بُيُوتِكُمْ، وَمِنْهَا بُيُوتُ أَبْنَانِكُمْ، وَلَا فِي
الْأَكْلِ مِنْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ
إِخْوَانِكُمْ أَوْ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ أَعْمَامِكُمْ أَوْ
عَمَّاتِكُمْ، أَوْ أَخْوَالِكُمْ أَوْ خَالَاتِكُمْ، أَوْ
مَا وَكَّلْتُمْ عَلَى حِفْظِهِ مِنَ الْبُيُوتِ مِثْلَ
حَارِسِ الْبُسْتَانِ، وَلَا حَرَجٌ فِي الْأَكْلِ
مِنْ بُيُوتِ صَدِيقِكُمْ لَطِيفٌ نَفْسُهُ عَادَةٌ

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلَيْسَتْ ذُنُوبُكُمْ
أَسْتَعَذَّنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ
الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ
ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ
لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا
عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ
مِمَّا تَحْتَهُ وَآوَصْدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ
تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا
عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

﴿٣٥٨﴾

بذلك، لَيْسَ عَلَيْكُمْ إِثْمٌ أَنْ تَأْكُلُوا مَجْتَمِعِينَ أَوْ فُرَادَى، فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا مِثْلَ الْبُيُوتِ الْمَذْكُورَةِ وَغَيْرِهَا فَسَلِّمُوا عَلَى
مَنْ فِيهَا بِأَنْ تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَحَدٌ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِأَنْ تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى
عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ شَرَعَهَا لَكُمْ مَبْرَكَةٌ؛ لِمَا تُنْشِرُهُ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالْأَلْفَةِ بَيْنَكُمْ، طَيِّبَةٌ تَطِيبُ بِهَا نَفْسُ
سَامِعِهَا، بِمِثْلِ هَذَا التَّبْيِينِ الْمَتَقَدِّمِ فِي السُّورَةِ يَبَيِّنُ اللَّهُ الْآيَاتِ رِجَاءً أَنْ تَعْقِلُوهَا، وَتَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا.

﴿١٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- جَوَّازُ وَضْعِ الْعَجَائِزِ بَعْضُ ثِيَابِهِنَّ لِانْتِفَاءِ الرِّبَةِ مِنْ ذَلِكَ.
- الْإِحْتِيَاظُ فِي الدِّينِ شَأْنُ الْمُتَّقِينَ.
- الْأَعْدَارُ سَبَبٌ فِي تَخْفِيفِ التَّكْلِيفِ.
- الْمَجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ مَجْتَمَعُ التَّكَافُلِ وَالتَّأَزُّرِ وَالتَّأَخِي.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ
عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوَ آذَنَّا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ أَلَا إِنَّ
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾

ولما ذكر الله الاستئذان عند الدخول
ذكر الاستئذان عند الانصراف، فقال:
﴿٣٦﴾ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، وإذا كانوا مع النبي ﷺ في أمرٍ جَامِعٍ لم يذهبوا حتى يستأذِنُوا من الذين يستأذِنُونَكَ، أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله، فإذا استأذَنُوكَ لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله، إن الله غفورٌ رحيمٌ. ﴿٣٧﴾ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا، قد يعلم الله الذين يستأذِنُونَ منكم، لو آذَنَّا فلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. ﴿٣٨﴾ ألا إنَّ للهِ ما في السموات والأرض، قد يعلم ما أنتم عليه، ويومَ يرجعون إليه، فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا، والله بكلِّ شيءٍ عليمٌ.

﴿٣٦﴾ شَرُّفُوا - أيها المؤمنون - رسول الله، فإذا ناديتُموه فلا تنادوه باسمه مثل: يا محمد، أو باسم أبيه مثل: يا ابن عبد الله، كما يفعل بعضكم مع بعض، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وإذا دعاكم لأمر عام فلا تجعلوا دعوتكم كدعوة بعضكم بعضًا في الأمور التافهة عادة، بل سارعوا إلى الاستجابة لها، قد يعلم الله الذين ينصرفون منكم خفية دون إذن، فليحذر الذين يخالفون أمر رسول الله ﷺ أن يصيبهم الله بعملة وبلاء، أو يصيبهم بعذاب موجه لا صبر لهم عليه.

﴿٣٧﴾ ألا إنَّ لله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقًا وملكًا وتدييرًا، يعلم ما أنتم - أيها الناس - عليه من الأحوال، لا يخفى عليه منها شيء، ويوم القيامة - حين يرجعون إليه بالبعث بعد الموت - يخبرهم بما عملوا من أعمال في الدنيا، والله بكلِّ شيءٍ عليم، لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

— مَكَّة —

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

الانتصار للرسول ﷺ بعد تطاول المشركين عليه.

● التَّفْصِيْرُ:

﴿١﴾ تعاليم وكثير خير الذي نزل القرآن فارقًا بين الحق والباطل على عبده ورسوله محمد ﷺ؛ ليكون رسولاً إلى الثقلين الإنس والجن، مخوفاً لهم من عذاب الله.

﴿٢﴾ الذي له وحده ملك السماوات وملك الأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في ملكه، وخلق جميع الأشياء، فقدّر خلقها وفق ما يقتضيه علمه وحكمته تقديراً، كل بما يناسبه.

● مِنْ قَوَائِدِ الْأَقَابِ:

● دين الإسلام دين النظام والآداب، وفي الالتزام بالآداب بركة وخير. ● منزلة رسول الله ﷺ تقتضي توقيره واحترامه أكثر من غيره. ● شؤم مخالفة سنة النبي ﷺ. ● إحاطة ملك الله وعلمه بكل شيء.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا سُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا
إِفْكٌ أَفْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا
وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأُولَىٰ أَكُنْتَبِهَا فِيهِ تُمَلَّى
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾
وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي
الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ وَنَذِيرًا ﴿٧﴾
أَوْ يُنَزِّلُ إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونَ لَهُ وَجْتَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

﴿٣﴾ واتخذ المشركون من دون الله
معبودات لا يخلقون شيئاً صغيراً أو
كبيراً وهم يُخلقون، فقد خلقهم الله من
عدم، ولا يستطيعون دفع ضرر عن
أنفسهم، ولا جلب نفع لها، ولا
يستطيعون إمانة حي، ولا إحياء ميت،
ولا يستطيعون بعث الموتى من
قبورهم.

ولما ذكّرهم شركهم بالله ذكر موقفهم
من كتابه ومن رسوله، فقال:

﴿٤﴾ وقال الذين كفروا بالله وبرسوله:
ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد
فنسبه بهتاناً إلى الله، وأعانه على
اختلاقه أناس آخرون، فقد افترى
هؤلاء الكافرون قولاً باطلاً، فالقرآن
كلام الله، لا يمكن أن يأتي البشر ولا
الجن بمثل.

﴿٥﴾ وقال هؤلاء المكذبون بالقرآن:
القرآن أحاديث الأولين وما يسطرونه
من الأباطيل، نستسخها محمد، فهي
نقرأ عليه أول النهار وآخره.

﴿٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء
المكذبين: أنزل القرآن الله الذي يعلم
كل شيء في السماوات والأرض،
وليس مُخْتَلَقًا كما زعمتم، ثم قال
مرغباً لهم بالتوبة: إن الله غفور لمن
تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٧﴾ وقال المشركون المكذبون
بالنبي ﷺ: ما لهذا الذي يزعم أنه
رسول من عند الله يأكل الطعام كما

يأكل غيره من الناس، ويسير في الأسواق بحثاً عن المعاش، هلاً أنزل الله معه ملكاً يكون رفيقه يصدقه ويساعده.
﴿٨﴾ أو ينزل عليه كنز من السماء، أو تكون له حديقة يأكل من ثمرها، فيستغني عن المشي في الأسواق وطلب
الرزق، وقال الظالمون: ما تتبعون - أيها المؤمنون - رسولاً، وإنما تتبعون رجلاً مغلوباً على عقله بسبب السحر.
﴿٩﴾ انظر - أيها الرسول - لتتعجب منهم كيف وصفوك بأوصاف باطلة، فقالوا: ساحر، وقالوا: مسحور، وقالوا:
مجنون، فضلوا بسبب ذلك عن الحق، فلا يستطيعون سلوك طريق للهداية، ولا يستطيعون سبيلاً إلى القدح في
صدقك وأمانتك.

﴿١٠﴾ تبارك الله الذي إن شاء جعل لك خيراً مما اقترحوه لك، بأن يجعل لك في الدنيا حدائق تجري الأنهار من
تحت قصورها وأشجارها تأكل من ثمارها، ويجعل لك قصوراً تسكن فيها مُتَعَمِّاً.
﴿١١﴾ ولم يصدر منهم ما صدر من الأقوال طلباً للحق وبحثاً عن البرهان، بل الحاصل أنهم كذبوا بيوم القيامة،
وأعدنا لمن كذب بيوم القيامة نارا عظيمة شديدة الاشتعال.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- اتصاف الإله الحق بالخلق والنفع والإماتة والإحياء، وعجز الأصنام عن كل ذلك.
- إثبات صفتي المغفرة والرحمة لله.
- الرسالة لا تستلزم انتفاء البشرية عن الرسول.
- تواضع النبي ﷺ حيث يعيش كما يعيش الناس.

﴿١٢﴾ إِذَا عَايَنْتِ النَّارَ الْكَفَارَ وَهُمْ يساقون إليها من مكان بعيد سمعوا لها غليانًا شديدًا، وصوتًا مزعجًا من شدة غضبها عليهم.

﴿١٣﴾ وَإِذَا رُمِيَ هَؤُلَاءِ الْكَفَارَ فِي جَهَنَّمَ فِي مَكَانٍ ضِيقٍ مِنْهَا مَقْرُونَةٌ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ بِالسَّلاسلِ دَعَاوًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْهَلَاكِ؛ رجاء الخلاص منها.

﴿١٤﴾ لَا تَدْعُوا - أَيُّهَا الْكَفَارَ - الْيَوْمَ هَلَاكًا وَاحِدًا، وادعوا هلاكًا كثيرًا، لكن لن تجابوا إلى ما تطلبون، بل ستبقون في العذاب الأليم خالدين.

﴿١٥﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ -: أَذَلِكَ الْمَذْكُورُ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي وُصِفَ لَكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي يَدُومُ نَعِيمُهَا، وَلَا يَنْقُطِعُ أَبَدًا؟ وَهِيَ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ ثَوَابًا، وَمَرْجَعًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿١٦﴾ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ مَا يَشَاءُونَ مِنَ النَّعِيمِ، كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ وَعْدًا، يَسْأَلُهُ إِيَّاهُ عِبَادُهُ الْمُتَّقُونَ، وَوَعَدَ اللَّهُ مُحَقِّقًا، فَهُوَ لَا يَخْلِفُ الْمِعَادَ.

﴿١٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ الْمَكْذِبِينَ، وَيُحْشَرُ مَا يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَيَقُولُ لِلْمُعْبُودِينَ تَقْرِيعًا لِعَابِدِيهِمْ: أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي بِأَمْرِكُمْ لَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوكُمْ، أَمْ هُمْ ضَلُّوا مِنْ تَلَقُّاءِ أَنْفُسِهِمْ؟

﴿١٨﴾ قَالَ الْمُعْبُودُونَ: تَنَزَّهَتْ رَبَّنَا أَنْ يَكُونَ لَكَ شَرِيكٌ، مَا يَلِيْقُ بِنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ أَوْلِيَاءَ نَتَّوَلَاهُمْ، فَكَيْفَ نَدْعُو عِبَادَكَ أَنْ يَعْبُدُونَا مِنْ دُونِكَ؟! وَلَكِنْ مَتَّعْتَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِمُلْكَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْتَ آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ حَتَّى نَسُوا ذِكْرَكَ، فَعْبَدُوا مَعَكَ غَيْرَكَ، وَكَانُوا قَوْمًا هَلَكًا بِسَبَبِ شِقَاقِهِمْ.

﴿١٩﴾ فَقَدْ كَذَّبَكُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - مِنْ عِبَادَتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيمَا تَدَّعَوْنَهُ عَلَيْهِمْ، فَمَا تَسْتَطِيعُونَ دَفْعَ الْعَذَابِ عَنْ أَنْفُسِكُمْ وَلَا نَصْرًا لِعِزِّكُمْ، وَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - بِالْشُرْكِ نَذَقَهُ عَذَابًا عَظِيمًا سَثَلُ مَا أَذَقْنَاهُ مِنْ ذُكْرِ.

ولما استنكر المشركون أن الرسول ﷺ يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ردَّ الله عليهم بقوله:

﴿٢٠﴾ وَمَا بَعَثْنَا قَبْلَكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا بَشَرًا كَانُوا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ، فَلَسْتُ بِدُعَا مِنَ الرُّسُلِ فِي ذَلِكَ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - لِبَعْضٍ اخْتِبَارًا فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَالصَّحَّةِ وَالْمَرَضِ بِسَبَبِ هَذَا الْاِخْتِلَافِ، أَنْصَبِرُونَ عَلَى مَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِ فَيُنِيبُكُمْ اللَّهُ عَلَى صَبْرِكُمْ؟! وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا بِمَنْ يَصْبِرُ وَمَنْ لَا يَصْبِرُ، وَبِمَنْ يَطِيعُهُ وَمَنْ يَعْصِيهِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الجمع بين الترهيب من عذاب الله والترغيب في ثوابه.
- متع الدنيا مُنْشِيةً لذكر الله.
- بشرية الرسل نعمة من الله للناس لسهولة التعامل معهم.
- تفاوت الناس في النعم والنقم اختبار إلهي لعباده.

* وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ
أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْهُنَّ عَثُورًا كَبِيرًا
﴿٢٧﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٨﴾ وَقَدْ مَنَّآ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ
هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٩﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٣٠﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَنَمِ وَنُزِلُ الْمَلَائِكَةُ
تَنْزِيلًا ﴿٣١﴾ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٣٢﴾ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ
يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٣٣﴾ يَوْمَ لَيْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ
أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٣٤﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٣٥﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ
إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٨﴾

٣٦٢

﴿٢٧﴾ وقال الكافرون الذين لا يؤمنون
لِقَاءَنَا، ولا يخشون عذابنا: هَلَّا
أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ، فتخبرنا عن
صدق محمد، أو نشاهد ربنا عيانًا،
فيخبرنا بذلك؟ لقد عظم الكبر في
نفوس هؤلاء حتى منعهم من الإيمان،
وتجاوزوا بقولهم هذا الحد في الكفر
والطغيان.

﴿٢٨﴾ يوم يعاين الكافرون الملائكة عند
موتهم، وفي البرزخ، وعند بعثهم،
وحين يُساقون للحساب، وحين
يدخلون في النار - لا بشارة لهم في
تلك المواقف، بخلاف المؤمنين،
وتقول لهم الملائكة: حرامًا محرَّمًا
عليكم البشرى من الله.

﴿٢٩﴾ وعمدنا إلى ما عمله الكفار في
الدنيا من عمل البر والخير فصورناه في
بطلانه وعدم نفعه بسبب كفرهم مثل
الغبار المفرق براه الناظر في شعاع
الشمس الداخل من النافذة.

﴿٣٠﴾ المؤمنون أصحاب الجنة في ذلك
اليوم أفضل مقامًا، وأحسن مكان راحة
وقت قاتلتهم في الدنيا من هؤلاء
الكفار؛ ذلك لإيمانهم بالله وعملهم
الصالح.

﴿٣١﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم تشقق
السماء عن سحب بيضاء رقيقة، ونُزِلَ
الملائكة إلى أرض المحشر تنزيلًا
كثيرًا لكثرتهم.

﴿٣٢﴾ المَلَكُ الذي هو المَلَكُ الحق

الثابت يوم القيامة للرحمن سبحانه، وكان ذلك اليوم على الكفار صعبًا بخلاف المؤمنين فإنه سهل عليهم.

﴿٣٣﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يعْضُ الظالم بسبب ترك اتباع الرسول ﷺ على يديه من شدة الندم قائلًا: يا ليتني
اتبعت الرسول فيما جاء به من عند ربه، واتخذت معه طريقًا إلى النجاة.

﴿٣٤﴾ ويقول من شدة الأسف داعيًا على نفسه بالويل: يا ويلي ليتني لم أتخذ الكافر فلانًا صديقًا.

﴿٣٥﴾ لقد أضلَّنِي هذا الصديق الكافر عن القرآن بعد أن بلغني عن طريق الرسول، وكان الشيطان للإنسان كثير
الخدلان، إذا نزل به كرب تبرأ منه.

﴿٣٦﴾ وقال الرسول في ذلك اليوم شاكيًا حال قومه: يا رب، إن قومي الذين بعثتني إليهم تركوا هذا القرآن وأعرضوا
عنه.

﴿٣٧﴾ ومثل ما لاقيت - أيها الرسول - من قومك من الإيذاء والصد عن سبيلك جعلنا لكل نبي من الأنبياء من قبلك
عدوًّا من مجرمي قومه، وكفى بربك هاديًا يهدي إلى الحق، وكفى به نصيرًا ينصرك على عدوك.

﴿٣٨﴾ وقال الذين كفروا بالله: هَلَّا نُزِّلَ عَلَى الرَّسُولِ هَذَا الْقُرْآنُ دَفْعَةً وَاحِدَةً، ولم يُنَزَّلْ عليه مفرقًا، نزلنا القرآن
كذلك مفرقًا لتثبيت قلبك - أيها الرسول - بنزوله مرة بعد مرة، وأنزلناه شيئًا بعد شيء لتسهيل فهمه وحفظه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الكفر مانع من قبول الأعمال الصالحة. • خطر قرناء السوء. • ضرر هجر القرآن. • من جِئِمَ تنزيل القرآن
مُفَرَّقًا طمأنة النبي ﷺ وتيسير فهمه وحفظه والعمل به.

﴿٣٣﴾ وَلَا يَأْتِيكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - الْمُشْرِكُونَ بِمَثَلٍ مِمَّا يَقْتَرِحُونَهُ إِلَّا جُنَّتْكَ بِالْجَوَابِ الْحَقُّ الثَّابِتُ عَلَيْهِ، وَجُنَّتْكَ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ بَيَانًا.

﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُسَاقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَسْحُوبِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا؛ لِأَن مَكَانَهُمْ جَهَنَّمَ، وَأَبْعَدُ طَرِيقًا عَنِ الْحَقِّ؛ لِأَن طَرِيقَهُمْ طَرِيقُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ.

﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَعْطَيْنَا مُوسَى التَّوْرَةَ، وَصَيَّرْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ رَسُولًا لِيَكُونَ لَهُ مُعِينًا.

﴿٣٦﴾ فَقُلْنَا لَهُمَا: اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا. فَاثْمَلَا أَمْرًا، وَذْهَبَا إِلَيْهِمْ فَذَعَّوَاهُم إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، فَكَذَّبُوهُمَا فَأَهْلَكْنَاهُمَا إِهْلَاكًا شَدِيدًا.

﴿٣٧﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ بِتَكْذِيبِهِمْ نُوحًا ﷺ أَهْلَكْنَاهُمْ بِالْعُرْقِ فِي الْبَحْرِ، وَصَيَّرْنَا إِهْلَاكَهُمْ دَلَالَةً عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى اسْتِنصَالِ الظَّالِمِينَ، وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا مُوجِعًا.

﴿٣٨﴾ وَأَهْلَكْنَا عَادًا قَوْمَ هُودٍ، وَثَمُودَ قَوْمَ صَالِحٍ، وَأَهْلَكْنَا أَصْحَابَ الْبَيْتِ، وَأَهْلَكْنَا أَمَّا كَثِيرَةً بَيْنَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثِ.

﴿٣٩﴾ وَكُلٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُهْلَكِينَ وَصَفْنَا لَهُ إِهْلَاكَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ وَأَسْبَابَهُ لِيَتَعَذَّبُوا، وَكُلًّا أَهْلَكْنَاهُ إِهْلَاكًا شَدِيدًا لِكُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ.

﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَتَى الْمَكْذُوبُونَ مِنْ قَوْمِكَ - فِي ذَهَابِهِمْ إِلَى الشَّامِ - إِلَى قَرْيَةِ قَوْمِ لُوطِ الَّتِي أَمْطَرْتَ بِالْحِجَارَةِ؛ عِقَابًا لَهَا عَلَى فِعْلِ الْفَاحِشَةِ لِيَعْتَبِرُوا، أَفَعَمُّوا عَنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ فَلَمْ يَكُونُوا يَشَاهِدُونَهَا؟ لَا، بَلْ كَانُوا لَا يَتَوَقَّعُونَ بَعْدًا يَحَاسِبُونَ بَعْدَهُ.

﴿٤١﴾ وَإِذَا قَابَلُوكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - هَؤُلَاءِ الْمَكْذُوبُونَ سَخَرُوا مِنْكَ قَائِلِينَ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِهْزَاءِ وَالْإِنْكَارِ: أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِلَيْنَا؟!

﴿٤٢﴾ لَقَدْ أَوْشَكَ أَنْ يَصْرِفْنَا عَنْ عِبَادَةِ آلِهَتِنَا، لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَى عِبَادَتِهَا لَصَرَفْنَا عَنْهَا بِحُجَّتِهِ وَبِرَاهِينِهِ، وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَعَانِيُونَ الْعَذَابَ فِي قُبُورِهِمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ أَضَلَّ طَرِيقًا أَهْمٌ أَمْ هُوَ؟ وَسَيَعْلَمُونَ أَيُّهُمْ الْأَضَلُّ.

﴿٤٣﴾ أَرَأَيْتَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - مَنْ جَعَلَ مِنْ هَوَاهُ إِلَهًا فَطَاعَهُ، أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ حَفِظًا تَرْدُهُ إِلَى الْإِيمَانِ، وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْكُفْرِ؟!

﴿٤٤﴾ مِنْ قَوْلِهَا: الْآيَاتِ،

- الْكُفْرُ بِاللَّهِ وَالتَّكْذِيبُ بِآيَاتِهِ سَبَبُ إِهْلَاكِ الْأُمَمِ.
- غِيَابُ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ سَبَبُ عَدَمِ الْإِتِّعَاضِ.
- السَّخَرِيَّةُ بِأَهْلِ الْحَقِّ شَأْنُ الْكَافِرِينَ.
- خَطَرُ اتِّبَاعِ الْهَوَى.

وَلَا يَأْتُونُوكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جُنَّتْكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا
 ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ
 شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا
 إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾
 وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
 آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا
 وَأَصْحَابَ الرَّيْسِ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا
 صَبَرْنَا لَهُ الْأَمَثَلُ وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا تَبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى
 الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها
 بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ
 إِلَّا هُزُؤًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ
 لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
 يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ
 مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُخْلِقَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْمَنًا وَنُنْفِیْهُ وَمِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَا سَيِّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَهَدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

٣٦٤

﴿٤٤﴾ بل أتَحَسِبُ - أيها الرسول - أن أكثر الذين تدعوهم إلى توحيد الله وطاعته يسمعون سماع قبول أو يعقلون الحجج والبراهين؟! ليسوا إلا مثل الأنعام في السماع والتعقل والفهم، بل هم أضل طريقًا من الأنعام.

﴿٤٥﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى آثار خلق الله حين بسط الظل على وجه الأرض، ولو شاء أن يجعله ساكنًا لا يتحرك لجعله كذلك، ثم صيّرنا الشمس دلالة عليه، يطول بها ويقصر.

﴿٤٦﴾ ثم قبضنا الظل بالنقص يتدرج شيئًا فشيئًا قبضًا قليلًا حسب ارتفاع الشمس.

﴿٤٧﴾ والله هو الذي صيّر لكم الليل بمنزلة لباس يستركم، ويستر الأشياء، وهو الذي صيّر لكم النوم راحة تستريحون به من أشغالكم، وهو الذي صيّر لكم النهار وقتًا تنطلقون فيه إلى أعمالكم.

﴿٤٨﴾ وهو الذي بعث الرياح مبشرة بنزول المطر الذي هو من رحمته بعباده، وأنزلنا من السماء ماء المطر طاهرًا يتطهرون به.

﴿٤٩﴾ لنحيي بذلك الماء النازل أرضًا قاحلة لا نبات فيها بإنباتها بأنواع النبات وبث الخضرة فيها، ولنسقي بذلك الماء مما خلقنا أنعامًا وبشرًا كثيرًا.

﴿٥٠﴾ ولقد بيّنا ونوعنا في القرآن

الحجج والبراهين ليعتبروا بها، فأبى معظم الناس إلا كفورًا بالحق وتنكرا له.

﴿٥١﴾ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية رسولًا ينذرهم ويخوفهم من عقاب الله، لكننا لم نشأ ذلك، وإنما بعثنا محمدًا ﷺ رسولًا إلى جميع الناس.

﴿٥٢﴾ فلا تطع الكفار فيما يطالبونك به من مداخلتهم، وفيما يقدمونه من اقتراحات، وجاهدكم بهذا القرآن المنزل عليك جهادًا عظيمًا بالصبر على أذاهم وتحمل المشاق في دعوتهم إلى الله.

﴿٥٣﴾ والله سبحانه هو الذي خلط ماء البحرين، خلط العذب منهما بالمالح، وصيّر بينهما حاجزًا وسترًا ساترًا يمنعهما من التمازج.

﴿٥٤﴾ وهو الذي خلق من مني الرجل والمرأة بشرًا، ومن خلق البشر أنشأ علاقة القرابة وعلاقة المصاهرة، وكان ربك - أيها الرسول - قديرًا لا يعجزه شيء، ومن قدرته خلق الإنسان من مني الذكر والمرأة.

﴿٥٥﴾ ويعبد الكفار من دون الله أصنامًا لا تنفعهم إن أطاعوها، ولا تضرهم إن عصوها، وكان الكافر تابعًا للشيطان على ما يسخط الله سبحانه.

﴿٥٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- انحطاط الكافر إلى مستوى دون مستوى الحيوان بسبب كفره بالله.
- ظاهرة الظل آية من آيات الله الدالة على قدرته.
- تنويع الحجج والبراهين أسلوب تربوي ناجح.
- الدعوة بالقرآن من صور الجهاد في سبيل الله.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْئَلُ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَّنْجِدُ لِمَآتَا أُمْرًا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

٣٦٥

﴿٥٦﴾ وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا مبشراً من أطاع الله بالإيمان والعمل الصالح، ومنذراً من عصاه بالكفر والعصيان.

﴿٥٧﴾ قل - أيها الرسول -: لا أسألكم على تبليغ الرسالة من أجر إلا من شاء منكم أن يتخذ طريقاً إلى مرضاة الله بالإنفاق فليفعل.

﴿٥٨﴾ وتوكل - أيها الرسول - في جميع أمورك على الله الحي الباقي الذي لا يموت أبداً، ونزهه مثنيًا عليه سبحانه، وكفى به بذنوب عباده خبيراً لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٥٩﴾ الذي خلق السماوات وخلق الأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم علا وارتفع على العرش علواً يليق بجلاله، وهو الرحمن، فاسأل - أيها الرسول - به خبيراً، وهو الله الذي يعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء.

﴿٦٠﴾ وإذا قيل للكفار: اسجدوا للرحمن، قالوا: لا نسجد للرحمن، وما الرحمن؟ لا نعرفه ولا نقر به، أنسجد لما تأمرنا بالسجود له ونحن لا نعرفه؟! وزادهم أمره لهم بالسجود له بُعداً عن الإيمان بالله.

﴿٦١﴾ تبارك الذي جعل في السماء منازل للكواكب والنجوم السيارة، وجعل في السماء شمساً تشع النور، وجعل فيها قمراً ينير الأرض بما يعكسه من ضوء الشمس.

﴿٦٢﴾ والله هو الذي صير الليل والنهار متعاقبين يعقب أحدهما الآخر ويخلفه، لمن أراد أن يعتبر بآيات الله فيهتدي، أو أراد شكر الله على نعمه. ولما ذكر الله في هذه السورة الكفار المعرضين عن الإيمان بالله وطاعته، ذكر صفات عباده الصالحين المقبلين على طاعته فقال:

﴿٦٣﴾ وعباد الرحمن المؤمنون الذين يمشون على الأرض بوقار متواضعين، وإذا خاطبهم الجاهل لم يقابلوهم بالمثل، بل يقولون لهم معروفاً لا يجهلون فيه عليهم.

﴿٦٤﴾ والذين يبيتون لربهم سجداً على جباههم، وقياماً على أقدامهم يصلون لله.

﴿٦٥﴾ والذين يقولون في دعائهم لربهم: ربنا، أبعد عنا عذاب جهنم، إن عذاب جهنم كان دائماً ملازماً لمن مات كافراً.

﴿٦٦﴾ إنها ساءت مكان استقرار لمن استقر فيها، وساءت مقاماً لمن يقيم فيها.

﴿٦٧﴾ والذين إذا بذلوا أموالهم لم يضلوا في بذلهم لها إلى حد التبذير، ولم يضيّقوا في بذلها على من تجب عليهم نفقته من أنفسهم أو غيرها، وكان إنفاقهم بين التبذير والتقتير عدلاً وسطاً.

• مِنْ قَوَائِدِ آيَاتِهِ،

• الداعي إلى الله لا يطلب الجزاء من الناس. • ثبوت صفة الاستواء لله بما يليق به ﷻ.

• أن الرحمن اسم من أسماء الله لا يشاركه فيه أحد قط، دال على صفة من صفاته وهي الرحمة.

• إعانة العبد بتعاقب الليل والنهار على تدارك ما فاتته من الطاعة في أحدهما.

• من صفات عباد الرحمن التواضع والحلم، وطاعة الله عند غفلة الناس، والخوف من الله، والتزام التوسط في الإنفاق وفي غيره من الأمور.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
يَلْقَ أَثَامًا ٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ
فِيهِ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ
إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ٧١ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا
بِالْغُمُورِ أُولَٰئِكَ كَرِهَ اللَّهُ ٧٢ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ٧٣ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا
وَيُلْقَوْنَ فِيهَا زَوْجًا بَاطِلًا ٧٥ خَالِدِينَ فِيهَا
حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٧٦ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ٧٧

سورة الفرقان

٣٦٦

٦٨) والذين لا يدعون مع الله سبحانه
معبوداً آخر، ولا يقتلون النفس التي
حرم الله قتلها إلا بما أذن الله به من
قتل القاتل أو المرتد أو الزاني
المحصن، ولا يزنون، ومن يفعل هذه
الكبائر يلقى يوم القيامة عقوبة ما ارتكبه
من الإثم.

٦٩) يضاعف له العذاب يوم القيامة،
ويخلد في العذاب ذليلاً حقيراً.

٧٠) لكن من تاب إلى الله وآمن،
وعمل عملاً صالحاً يدل على صدق
توبته، فأولئك يبدل الله ما عملوه من
السيئات حسنات، وكان الله غفوراً
لذنوب من تاب من عباده، رحيماً
بهم.

٧١) ومن تاب إلى الله، وبرهن على
صدق توبته بفعل الطاعات وترك
المعاصي فإن توبته توبة مقبولة.

٧٢) والذين لا يحضرون الباطل؛
كمواطن المعاصي والملاهي
المحرمة، وإذا مروا بالغمر من ساقط
الأقوال والأفعال مروا مروراً عابراً،
مكرمين أنفسهم بتنزيهاها عن مخالطته.

٧٣) والذين إذا ذكروا بآيات الله
المسموعة والمشهودة لم يصموا آذانهم
عن الآيات المسموعة، ولم يعموا عن
الآيات المشهودة.

٧٤) والذين يقولون في دعائهم لربهم:
ربنا، أعطنا من أزواجنا، ومن أولادنا
من يكون قرّة عين لنا لتقواه واستقامته

على الحق، وصيرنا للمتقين أئمة في الحق يُقتدى بنا.

٧٥) أولئك المتصفون بتلك الصفات يجزون الغرفات العالية في الفردوس الأعلى من الجنة بسبب صبرهم على
طاعة الله، ويلقون فيها من الملائكة بالتحية والسلام، ويسلمون فيها من الآفات.

٧٦) ماكين فيها أبداً، حسنت مكان استقرار يستقرون فيه، ومكان مقام يقيمون فيه.

٧٧) قل - أيها الرسول - للكفار المصيرين على كفرهم: ما يبالي بكم ربي لنفّع يعود إليه من طاعتكم، لولا أن له
عباداً يدعوهم دعاء عبادة ودعاء مسألة لما بالي بكم، فقد كذبتكم الرسول فيما جاءكم به من ربكم، فسوف يكون
جزاء الكذب ملازماً لكم.

• من قوايد الآيات،

- من صفات عباد الرحمن: البعد عن الشرك، وتجنب قتل الأنفس بغير حق، والبعد عن الزنى، والبعد عن
الباطل، والاعتبار بآيات الله، والدعاء.
- التوبة النصوح تقتضي ترك المعصية وفعل الطاعة.
- الصبر سبب في دخول الفردوس الأعلى من الجنة.
- غنى الله عن إيمان الكفار.

سورة الشعراء

— مكية —

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسِكَ ٣ لَا
يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٤ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٥ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ
إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٦ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٧ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ بَدَّلْنَاهَا مِنْ كُلِّ رَافِعٍ
كَرِيمٍ ٨ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ٩ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٠ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ١١ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ١٢ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ
أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٣ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
إِلَيَّ هَدًى ١٤ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٥ قَاتِلَا فِرْعَوْنَ
كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ١٦ فَآتَا فِرْعَوْنَ
فَقُولًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٧ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
١٨ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ
١٩ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٢٠

٣٦٧

• من مقاصد الشريعة:
مواجهة المصيرين على التكذيب
بالرسول ﷺ، الطاعنين برسالته،
وتوهمين شأنهم.

• التفسير:

١ طَسَمَ: تقدم الكلام على نظائرها
في بداية سورة البقرة.

٢ تلك آيات القرآن المبين للحق من
الباطل.

٣ لعلك - أيها الرسول - لحرصك
على هدايتهم قاتل نفسك حزناً وحرصاً
على هدايتهم.

٤ إِنْ نَشَأْ إنزال آية عليهم من السماء
أنزلناها عليهم، فظل أعناقهم خاضعة
لها ذليلة، لكننا لم نشأ ذلك ابتلاء لهم:
هل يؤمنون بالغيب؟

٥ وما يجيء هؤلاء المشركين من
تذكير مُحَدَّثٍ إنزاله من الرحمن
بحججه الدالة على توحيده وصدق نبية
إلا أعرضوا عن سماعه والتصديق به.

٦ فقد كذبوا بما جاءهم به رسولهم،
فسأيتهم تحقيق أنباء ما كانوا به
يسخرون، ويحل عليهم العذاب.

٧ أبقى هؤلاء مصيرين على كفرهم
فلم ينظروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها
من كل نوع من أنواع النبات حسن
المنظر كثير المنافع؟

٨ إن في إنبات الأرض بأنواع مختلفة
من النبات لدلالة واضحة على قدرة من أنبتنا على إحياء الموتى، وما كان معظمهم مؤمنين.

٩ وإن ربك - أيها الرسول - فهو الغالب الذي لا يغلبه أحد، الرحيم بعباده.

١٠ وأذكر - أيها الرسول - حين نادى ربك موسى أمراً إياه أن يأتي القوم الظالمين بكفرهم بالله واستعباد قوم موسى.

١١ وهم قوم فرعون، فيأمرهم برفق ولين بتقوى الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه.

١٢ قال موسى ﷺ: إني أخاف أن يكذبوني فيما أبلغهم به عنك.

١٣ ويضيق صدري لتكذيبهم إياي، وينحبس لساني عن الكلام، فأرسل جبريل ﷺ إلى أخي هارون ليكون معياني.

١٤ ولهم علي ذنب بسبب قتلي القبطي فأخاف أن يقتلوني.

١٥ قال الله لموسى ﷺ: كلا، لن يقتلك، فاذهب أنت وأخوك هارون بآياتنا الدالة على صدقكما، فإننا معكما

بالنصي والتأييد مستمعون لما تقولون ولما يقال لكم، لا يفوتنا من ذلك شيء.

١٦ قَاتِلَا فِرْعَوْنَ، فقولا له: إنا رسولان إليك من رب المخلوقات كلها.

١٧ أن ابعت معنا بني إسرائيل.

١٨ قال فرعون لموسى ﷺ: أَلَمْ نُرَبِّكَ لَدِينَا صَغِيرًا، ومكثت فينا من عمرِكَ سنين، فما الذي دعاك إلى ادعاء النبوة؟

١٩ وفعلت أمراً عظيماً حين قتلت القبطي انتصاراً لرجل من قومك، وأنت من الجاحدين لنعمي عليك.

• من قوائد الآيات،

• حرص الرسول ﷺ على هداية الناس. • إثبات صفة العزة والرحمة لله. • أهمية سعة الصدر والفصاحة للداعية.

• دعوات الأنبياء تحرير من العبودية لغير الله. • احتج فرعون على رسالة موسى بوقوع القتل منه ﷺ فأقر موسى

بالفعل، مما يشعر بأنها ليست حجة لفرعون بالتكذيب.

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ٣٠ فَفَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣١ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ
تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ٣٢ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ
٣٣ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ
٣٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ٣٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ
الْأَوَّلِينَ ٣٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ
٣٧ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ
٣٨ قَالَ لَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ
٣٩ قَالَ أُولُو حِجَّتِكَ بُنَىٰ مِثْنَيْنِ ٤٠ قَالَ فَأَيُّ بَيْتٍ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ٤١ قَالَ لَقِيَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ٤٢
وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ٤٣ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ
إِنَّ هَذَا السَّحَرُ عَلِيمٌ ٤٤ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ٤٥ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَتَعْثُ فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ ٤٦ يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ٤٧ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ
لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٤٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ٤٩

٣٦٨

٣٠ قال موسى ﷺ لفرعون معترفًا: قتلت ذلك الرجل وأنا من الجاهلين قبل أن يأتيني الوحي.
٣١ فهربت منكم بعد قتله إلى قرية مدين لما خفت من قتلكم إياي به، فأعطاني ربي علمًا، وصيرني من رسله الذين يرسلهم إلى الناس.
٣٢ وتربيتك إياي من غير أن تستعبدني مع استعبادك بني إسرائيل نعمة تمن بها علي بحق، لكن ذلك لا يمنعني من دعوتك

٣٣ قال فرعون لموسى ﷺ: وما رب المخلوقات الذي زعمت أنك رسوله؟!

٣٤ قال موسى مجيبًا فرعون: رب المخلوقات هو رب السماوات ورب الأرض، ورب ما بينهما إن كنتم موقنين أنه ربهم فأعبده وحده.

٣٥ قال فرعون لمن حوله من سادة قومه: ألا تستمعون إلى جواب موسى، وما فيه من زعم كاذب!

٣٦ قال لهم موسى: الله ربكم ورب آبائكم السابقين.

٣٧ قال فرعون: إن الذي يزعم أنه رسول إليكم لمجنون لا يعي كيف يجيب، ويقول ما لا يعقل.

٣٨ قال موسى: الله الذي أدعوكم إليه هو رب المشرق، ورب المغرب، ورب ما بينهما إن كانت لكم عقول تعقلون بها.

٣٩ قال فرعون لموسى بعد عجزه عن مخاطبته: لئن عبادت معبودًا غيري لأصيرنك من المسجونين.

٤٠ قال موسى ﷺ لفرعون: أتصيرني من المسجونين حتى لو جئتكم بما يبين صديقي فيما جئتكم به من عند الله؟

٤١ قال: فأنت بما ذكرت أنه يدل على صدقك إن كنت من الصادقين فيما تدعيه.

٤٢ فرمى موسى عصاه في الأرض فانقلبت فجأة ثعبانًا واضحًا للبيان.

٤٣ وأدخل يده في جيبه غير بيضاء، فأخرجها بيضاء نوريًا لا يبيض برص، يشاهده الناظرون كذلك.

٤٤ قال فرعون لسادة قومه من حوله: إن هذا الرجل لساحر عليم بالسحر.

٤٥ يريد بسحره أن يخرجكم من أرضكم، فما رأيكم فيما نتخذ فيه؟

٤٦ قالوا له: آخره وأخر أخاه، ولا تبادر بعقوبتهما، وأرسل في مدائن مصر من يجمعون السحرة.

٤٧ يأتيوك بكل سحار عليم بالسحر.

٤٨ فجمع فرعون سحرته لمباراة موسى في مكان وزمان محددين.

٤٩ وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون لتروا الغالب أهو موسى أم السحرة؟

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- أخطاء الداعية السابقة والنعم التي عليه لا تعني عدم دعوته لمن أخطأ بحقه أو أنعم عليه.
- اتخاذ الأسباب للحماية من العدو لا ينافي الإيمان والتوكل على الله.
- دلالة مخلوقات الله على ربوبيته ووحدانيته.
- ضعف الحجة سبب من أسباب ممارسة العنف.
- إثارة العامة ضد أهل الدين أسلوب الطغاة.

﴿٤٠﴾ رجاء أن تنج السحرة في دينهم إن كانت الغلبة لهم على موسى .
 ﴿٤١﴾ فلما جاء السحرة إلى فرعون ليغالبا موسى قالوا له : هل لنا جزاء مادي أو معنوي إن كانت الغلبة لنا على موسى ؟

﴿٤٢﴾ قال لهم فرعون : نعم لكم جزاء ، وإنكم في حال فوزكم عليه لمن المقربين عندي بإعطائكم المناصب الرفيعة .

﴿٤٣﴾ قال لهم موسى واثقاً بنصر الله ومبيناً أن ما عنده ليس سحراً : ألقوا ما أتم ملقوه من حبالكم وعصيكم .

﴿٤٤﴾ ألقوا حبالهم وعصيهم ، وقالوا عند إلقائها : بعظمة فرعون إنا لنحن الغالبون ، وموسى هو المغلوب .

﴿٤٥﴾ فألقى موسى عصاه فانقلبت حية ، فإذا هي تبتلع ما يَمْوَهُون به على الناس من السحر .

﴿٤٦﴾ فلما أبصر السحرة عصا موسى تبتلع ما ألقوه من سحرهم سقطوا ساجدين .

﴿٤٧﴾ قالوا : آمنا برب المخلوقات كلها .

﴿٤٨﴾ رب موسى ورب هارون .

﴿٤٩﴾ قال فرعون منكراً على السحرة إيمانهم : أنتم بموسى قبل أن آذن لكم بذلك ؟! إن موسى لهو كبيركم الذي علمكم السحر ، وقد تأمرتم جميعاً على إخراج أهل مصر منها ، فلسوف تعلمون ما أوقعه بكم من عقاب ، فلا قطعن رجل كل واحد ويده

مخالفاً بينهما بقطع الرجل اليماني مع اليد اليسرى أو العكس ، ولأصلبكم أجمعين على جذوع النخل ، لا أستبقي منكم أحداً .

﴿٥٠﴾ قال السحرة لفرعون : لا ضرر فيما تهددنا به من القطع والصلب في الدنيا ، فعذابك يزول ، ونحن إلى ربنا مقبلون ، وسيدخلنا في رحمته الدائمة .

﴿٥١﴾ إنا نرجو أن يمحو الله عنا خطايانا السابقة التي ارتكبناها لأجل أن كنا أول من آمن بموسى وصدق به .

﴿٥٢﴾ وأوحينا إلى موسى أمرين إياه أن يسري ببني إسرائيل ليلاً ، فإن فرعون ومن معه متبعوهم ليردوهم .

﴿٥٣﴾ فبعث فرعون بعض جنوده في المدائن جامعين يجمعون الجيوش ليردوا بني إسرائيل لما علم بمسيرهم من مصر .

﴿٥٤﴾ قال فرعون مقلداً من شأن بني إسرائيل : إن هؤلاء لطائفة قليلة .

﴿٥٥﴾ وإنهم لفاعلون ما يغيظنا عليهم .

﴿٥٦﴾ وإنا لمستعدون لهم متيقظون .

﴿٥٧﴾ فأخرجنا فرعون وقومه من أرض مصر ذات الحقائق الغناء ، والعيون الجارية بالماء .

﴿٥٨﴾ وذات خزائن المال ، والمسكن الحسنة .

﴿٥٩﴾ وكما أخرجنا فرعون وقومه من هذه النعم صيرنا جنس هذه النعم من بعدهم لبني إسرائيل في بلاد الشام .

﴿٦٠﴾ فسار فرعون وقومه في إثر بني إسرائيل في وقت شروق الشمس .

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ ،

• العلاقة بين أهل الباطل هي المصالح المادية . • ثقة موسى بالنصر على السحرة تصديقاً لوعده ربه . • إيمان السحرة برهان على أن الله هو مُصَرِّف القلوب يصرفها كيف يشاء . • الطغيان والظلم من أسباب زوال الملك .

لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُزُ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
 وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَى الْقَوْمَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ
 ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
 الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
 ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِجِّينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَمْ نَأْتِي رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾
 رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّهِ وَقَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمُ اللَّهُ
 لِكَيْ تَكُونَ الَّذِينَ عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قِطْعَ مِنْ أَيْدِيكُمْ
 وَأَنْتُمْ لَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَرَرَ إِيَّا
 نَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَضْمُعُ أَنْ يَعْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا
 أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي أَنْتُمْ
 مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ
 لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايِطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ
 ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
 كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾
 قَالِ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ
 اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَأُتُودٍ الْعَظِيمِ
 ﴿٦٣﴾ وَأَرْفَعْنَا ثَمَرَهُ الْأَخْرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وَأَجْمَعِينَ
 ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾
 وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ
 ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَافِيَةً ﴿٧١﴾ قَالِ هَلْ
 يَسْمَعُونَكُمْ إِذَا تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا
 بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ
 تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي
 إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ
 يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي
 يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي
 يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

٣٧٠

﴿٦١﴾ فلما تقابل فرعون وقومه مع موسى وقومه بحيث صار يرى كل فريق الفريق الآخر، قال أصحاب موسى: إن فرعون وقومه سيلحقوننا، ولا يقبل لنا بهم.

﴿٦٢﴾ قال موسى لقومه: ليس الأمر كما تصورت، فإن معي ربي بالتأييد والنصر، سيرشدني ويدلني إلى طريق النجاة.

﴿٦٣﴾ فأوحينا إلى موسى أمرين إياه أن يضرب البحر بعصاه، فضربه بها، فانشق البحر وتحول إلى اثني عشر مَسَلَكًا بعدد قبائل بني إسرائيل، فكانت كل قطعة منشقة من البحر مثل الجبل العظيم في العظم والثبات بحيث لا يسيل منها ماء.

﴿٦٤﴾ وقربنا فرعون وقومه حتى دخلوا البحر ظانين أن الطريق سالك.

﴿٦٥﴾ وأنقذنا موسى ومن معه من بني إسرائيل، فلم يهلك منهم أحد.

﴿٦٦﴾ ثم أهلكنا فرعون وقومه بالغرق في البحر.

﴿٦٧﴾ إن في انفلاق البحر لموسى ونجاته وهلاك فرعون وقومه آية دالة على صدق موسى، وما كان أكثر من مع فرعون بمؤمنين.

﴿٦٨﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب منهم.

﴿٦٩﴾ وأتل عليهم - أيها الرسول - قصة إبراهيم.

﴿٧٠﴾ حين قال لأبيه آزر وقومه: ما الذي تعبدونه من دون الله؟

﴿٧١﴾ قال له قومه: نعبد أصنامًا فنظل مقيمين على عبادتها ملازمين لها.

﴿٧٢﴾ قال لهم إبراهيم: هل تسمع الأصنام دعاءكم حين تدعونهم؟

﴿٧٣﴾ أو ينفعونكم إن أطعتموهم، أو يضرّونكم إن عصيتموهم؟

﴿٧٤﴾ قالوا: لا يسمعوننا إذا دعوناهم، ولا ينفعوننا إن أطعناهم، ولا يضرّوننا إن عصيناهم، بل الحاصل أنا وجدنا آباءنا يفعلون ذلك، فنحن نقلدهم.

﴿٧٥﴾ قال إبراهيم: أتأملتُم فرأيتم ما كنتم تعبدون من الأصنام من دون الله.

﴿٧٦﴾ وما كان يعبد آباؤكم الأولون.

﴿٧٧﴾ فإنهم كلهم أعداء لي؛ لأنهم باطل إلا الله رب المخلوقات كلها.

﴿٧٨﴾ الذي خلقتني، فهو يرشدني إلى خيري الدنيا والآخرة.

﴿٧٩﴾ والذي هو وحده يطعمني إذا جعت، ويسقيني إذا عطشت.

﴿٨٠﴾ وإذا مرضت فهو وحده الذي يشفيني من المرض لا شافي لي غيره.

﴿٨١﴾ والذي هو وحده يتوفاني إذا انقضى أجلي، ويحييني بعد موتي.

﴿٨٢﴾ والذي أرجوه وحده أن يغفر لي خطيئتي يوم الجزاء.

﴿٨٣﴾ قال إبراهيم داعيًا ربه: رب أعطني فقهاً في الدين، وألحقني بالصالحين من الأنبياء قبلي بأن تدخلني الجنة معهم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الله مع عباده المؤمنين بالنصر والتأييد والإنجاء من الشدائد. • ثبوت صفتي العزة والرحمة لله تعالى. • خطر التقليد الأعمى. • أمل المؤمن في ربه عظيم.

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ
النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاعْفُ عَنِّي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾
وَقِيلَ لَهُمْ أَئِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ
أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُجِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَافِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نَسُوا كُرْبَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا
الْمَجْرُمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صِدْقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ
أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْصِيَاءَهُمْ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا أَوْصِيَاءَهُمْ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَلَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي أَنَّ

﴿٨٤﴾ واجعل لي ذكراً جميلاً وثناء
حسناً فيمن يجيء من القرون بعدي .
﴿٨٥﴾ واجعلني ممن يرث منازل الجنة
التي يتنعم فيها عبادك المؤمنون ،
وأسكنني فيها .
﴿٨٦﴾ واعف عني ؛ إنه كان من الصالحين
عن الحق بسبب الشرك ، دعا إبراهيم
لأبيه قبل أن يتبين له أنه من أصحاب
الجنة ، فلما تبين له ذلك تبرأ منه
ولم يدع له .
﴿٨٧﴾ ولا تفضحني بالعذاب يوم يبعث
الناس للحساب .
﴿٨٨﴾ يوم لا ينفع فيه مال قد جمعه الإنسان
في دنياه ، ولا بنون كان يتصر بهم .
﴿٨٩﴾ إلا من جاء الله بقلب سليم ؛ لا
شرك فيه ولا نفاق ولا رياء ولا
عجب ، فإنه يتنفع بماله الذي أنفقه في
سبيل الله ، وبأبنائه الذين يدعون له .
﴿٩٠﴾ وقربت الجنة للمتقين لربهم
بامثال أوامره ، واجتنب نواهي .
﴿٩١﴾ وأظهرت النار في المحشر
للضالين الذين ضلوا عن دين الحق .
﴿٩٢﴾ وقيل لهم تقريباً لهم : أين ما كنتم
تعبدونه من الأصنام ؟
﴿٩٣﴾ تعبدونهم من دون الله ؟ هل
ينصرونكم بمنعكم من عذاب الله ، أو
يتنصرون هم لأنفسهم ؟
﴿٩٤﴾ فزمني بعضهم في الجحيم فوق
بعضهم ومن أضلهم .
﴿٩٥﴾ وأعوان إبليس من الشياطين
كلهم ، لا يستثنى منهم أحد .

﴿٩٦﴾ قال المشركون الذين كانوا يعبدون غير الله ، ويتخذونهم شركاء من دونه ، وهم يتخاصمون مع من كانوا
يعبدونهم من دونه : تالله لقد كنا في ضلال واضح عن الحق . ﴿٩٧﴾ إذ تعدلكم برب المخلوقات كلها ، فنعبدكم
كما نعبد . ﴿٩٨﴾ وما أضلنا عن طريق الحق إلا المجرمون الذين دعونا إلى عبادتهم من دون الله . ﴿٩٩﴾ فليس لنا
شافعون يشفعون لنا عند الله لينجيننا من عذابه . ﴿١٠٠﴾ وليس لنا صديق خالص المودة يدافع عنا ويشفع لنا . ﴿١٠١﴾ فلو
أن لنا رجعة إلى الحياة الدنيا فنكون من المؤمنين بالله . ﴿١٠٢﴾ إن في ذلك المذكور من قصة إبراهيم عليه السلام ، ومصير
المكذبين لعبرة للمعتبرين ، وما كان معظمهم مؤمنين . ﴿١٠٣﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من
أعدائه ، الرحيم بمن تاب منهم .

﴿١٠٤﴾ كذبت قوم نوح المرسلين حين كذبوا نوحاً عليه السلام . ﴿١٠٥﴾ إذ قال لهم نوح : ألا تتقون الله بترك عبادة غيره خوفاً
منه ؟ ﴿١٠٦﴾ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم ، أمين لا أزيد على ما أوحاه الله إلي ولا أنقص . ﴿١٠٧﴾ فاتقوا الله
بامثال أوامره واجتنب نواهي ، وأطيعوني فيما أمركم به ، وفيما نهاكم عنه . ﴿١٠٨﴾ وما أطلب منكم ثواباً على
ما أبلغكم من ربي ، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات لا على غيره . ﴿١٠٩﴾ فاتقوا الله بامثال أوامره واجتنب
نواهي ، وأطيعوني فيما أمركم به ، وفيما نهاكم عنه . ﴿١١٠﴾ قال له قومه : أنؤمن بك - يا نوح - ونتبع ما جئت به
ونعمل والحال أن أتباعك إنما هم السفلة من الناس ، فلا يوجد فيهم السادة والأشراف ؟ !

• أهمية سلامة القلب من الأمراض كالحسد والرياء والعجب . • تعليق المسؤولية عن الضلال
على المضلين لا تنفع الضالين . • التكذيب برسول الله تكذيب بجميع الرسل . • حسن التخلص في قصة إبراهيم
من الاستطراد في ذكر القيامة ثم الرجوع إلى خاتمة القصة .

قَالَ وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَيَّ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٣٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنْبُوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٣٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١٣٧﴾ فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٢﴾ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٤٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٤٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٤٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٥٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٥١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥٣﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٤﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٥٥﴾

٣٧٢

﴿١٣٢﴾ قال لهم نوح عليه السلام: وما علمي بما كان هؤلاء المؤمنون يعملون؟ فلست وكلاء عليهم أحصي أعمالهم.

﴿١٣٣﴾ ما حسابهم إلا على الله الذي يعلم سرائرهم وعلاياتهم وليس إلي، لو تشعرون لما قلت ما قلت.

﴿١٣٤﴾ ولست بطارد المؤمنين عن مجلسي استجابة لطلبكم كي تؤمنوا.

﴿١٣٥﴾ ما أنا إلا نذير واضح النذارة أحذركم عذاب الله.

﴿١٣٦﴾ قال له قومه: لئن لم تكف عما تدعوننا إليه لتكونن من المشتمين والمقتولين بالرمي بالحجارة.

﴿١٣٧﴾ قال نوح داعيًا ربه: رب إن قومي كذَّبوني، ولم يصدقوني فيما جئت به من عندك.

﴿١٣٨﴾ فاحكم بيني وبينهم حكمًا يهلكهم لإصرارهم على الباطل، وأنقذني ومن معي من المؤمنين مما تهلك به الكفار من قومي.

﴿١٣٩﴾ فاستجبت له دعاءه، وأنجيتنا معه من المؤمنين في السفينة المملوءة من الناس والحيوان.

﴿١٤٠﴾ ثم أغرقنا بعدهم الباقين، وهم قوم نوح.

﴿١٤١﴾ إن في ذلك المذكور من قصة نوح وقومه، ونجاة نوح ومن معه من المؤمنين، وهلاك الكافرين من قومه لعلهم للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين.

﴿١٤٢﴾ وإن ربك - أيها الرسول - هو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب منهم.

﴿١٣٢﴾ كذبت عاد المرسلين حين كذبوا رسولهم هودًا عليه السلام.

﴿١٣٣﴾ اذكر حين قال لهم نبيهم هود: ألا تتقون الله بترك عبادة غيره خوفًا منه؟

﴿١٣٤﴾ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، أمين لا أزيد على ما أمرني الله بتبليغه ولا أنقصه.

﴿١٣٥﴾ فاتقوا الله؛ بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، وفيما نهيتكم عنه.

﴿١٣٦﴾ وما أطلب منكم ثوابًا على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات، لا على غيره.

﴿١٣٧﴾ أتبنون بكل مكان مشرف مرتفع بنيانًا علمًا عيًا دون فائدة تعود عليكم في دنياكم أو آخرتكم؟

﴿١٣٨﴾ وتتخذون حصونًا وقصورًا كأنكم تخلدون في هذه الدنيا، ولا تتقون عنها؟

﴿١٣٩﴾ وإذا سطوتم بالقتل أو الضرب سطوتم جبارين من غير رافة ولا رحمة.

﴿١٤٠﴾ فاتقوا الله بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما أنهاكم عنه.

﴿١٤١﴾ وخافوا من سخط الله الذي أعطاكم من نعمه ما تعلمون.

﴿١٤٢﴾ أعطاكم أنعامًا، وأعطاكم أولادًا.

﴿١٤٣﴾ أعطاكم بساتين وعيونًا جارية.

﴿١٤٤﴾ إني أخاف عليكم - يا قومي - عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة.

﴿١٤٥﴾ قال له قومه: يستوي عندنا تذكيرك لنا وعدم تذكيرك، فلن نؤمن بك، ولن نرجع عما نحن عليه.

﴿١٤٦﴾ من قوايد الآيات.

• أفضلية أهل السبق للإيمان حتى لو كانوا فقراء أو ضعفاء. • إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية.

• خطر الركود إلى الدنيا. • تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه.

(١٣٧) ليس هذا إلا دين الأولين وعاداتهم وأخلاقهم.

(١٣٨) ولسنا بمُعَذِّبِينَ.

(١٣٩) فاستمروا على تكذيب نبيهم هود عليه السلام، فأهلكناهم بسبب تكذيبهم بالريح العقيم، إن في ذلك الإهلاك لعبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين.

(١٤٠) وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عباده.

(١٤١) كذبت ثمود الرسل بتكذيبهم نبيهم صالحاً عليه السلام.

(١٤٢) إذ قال لهم أخوهم في النسب صالح: ألا تتقون الله بترك عبادة غيره خوفاً منه؟!

(١٤٣) إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، آمين فيما أبلغه عنه لا أزيد عليه ولا أنقص منه.

(١٤٤) فاتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، ونهيكم عنه.

(١٤٥) وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات، لا على غيره.

(١٤٦) أنطمعون أن تُتركوا فيما أنتم فيه من الخيرات والنعم آمين لا تخافون؟!

(١٤٧) في بساتين وعيون جارية.

(١٤٨) وزروع ونخل ثمرها لين نضيج.

(١٤٩) وتقطعون الجبال لتصنعوا بيوتاً تسكنونها وأنتم ماهرون بنحتها.

(١٥٠) فاتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، وفيما نهيتكم عنه.

(١٥١) ولا تنقادوا لأمر المفسرين على أنفسهم بارتكاب المعاصي.

(١٥٢) الذين يفسدون في الأرض بما ينشرونه من المعاصي، ولا يصلحون أنفسهم بالتزام طاعة الله.

(١٥٣) قال له قومه: إنما أنت ممن سُجِّروا مراراً حتى غلب السحر على عقولهم فأذهبا.

(١٥٤) لست إلا بشراً مثلنا فلا مزية لك علينا حتى تكون رسولاً، فأنت بعلامة تدل على أنك رسول إن كنت صادقاً فيما تدعيه من أنك رسول.

(١٥٥) قال لهم صالح - وقد أعطاه الله علامة، وهي ناقة أخرجها الله من الصخرة -: هذه ناقة تُرى وتُلمس، لها نصيب من الماء، ولكم نصيب معلوم، لا تشرب في اليوم الذي هو نصيبكم، ولا تشربون أنتم في اليوم الذي هو نصيبها.

(١٥٦) ولا تمسوها بما يسوؤها من عُقْرِ أو ضَرْبٍ، فَيُنْزَلْ عَلَيْكُمُ الْمَاءُ بِمَوَازِينٍ كَاتِلٍ، فَيُغْرِقَكُمْ بِهِ يَوْمَ الْعَذَابِ، لَمَّا فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ النَّازِلِ عَلَيْكُمْ.

(١٥٧) فاتفقوا على عُقْرِهَا، فَعَقَرُوهَا أَشْقَاهُمْ، فأصبحوا نادمين على ما أقدموا عليه لَمَّا علموا أن العذاب نازل بهم لا محالة، لكن الندم عند معاناة العذاب لا ينفع.

(١٥٨) فأخذهم العذاب الذي وُعدوا به وهو الزلزلة والصيحة، إن في ذلك المذكور من قصة صالح وقومه لعبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين.

(١٥٩) وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عباده.

(١٦٠) مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • توالي النعم مع الكفر استدراج للهلاك. • التذكير بالنعم يترجى منه الإيمان والعودة إلى الله من العبد. • المعاصي هي سبب الفساد في الأرض.

إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلِقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَآهْلِكْنَاهُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴿١٣٩﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ بِأَمِينٍ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنَجُّونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْتَاقِرِهِمْ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا يُسْوَءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴿١٥٨﴾ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٩﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

﴿١٣٦﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لوط المرسلين لتكذيبهم نبيهم لوطاً ﷺ .
 ﴿١٣٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ : أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٣٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٣٩﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٤٠﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٤١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٤٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٤٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٤٥﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٤٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٤٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٤٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٤٩﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٥٠﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟

كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ
 ﴿١٣٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ
 أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٨﴾
 أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٩﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ
 مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٤٠﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ
 لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٤١﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٤٢﴾
 رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٣﴾ فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٤﴾
 إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَكْخَرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
 مَطَرًا مُسَوِّغًا ۖ فَتَذَكَّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١٤٧﴾ وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٤٨﴾
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٠﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ
 لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥٢﴾ إِنِّي لَكُمْ
 رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ
 مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٣﴾ *أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا
 تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٥٤﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٥٥﴾
 وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٥٦﴾

٣٧٤

﴿١٣٦﴾ ثم بعدما خرج لوط وأهله من قرية (سَدُوم) أهلكتنا قومه الباقين بعده أشد إهلاكاً .
 ﴿١٣٧﴾ وأنزلنا عليهم حجارة من السماء مثل إنزال المطر ، فقبح مطر هؤلاء الذين كان ينذرهم لوط ويحذرهم من عذاب الله إن هم استمروا على ما هم عليه من ارتكاب المنكر .
 ﴿١٣٨﴾ إن في ذلك المذكور من العذاب النازل على قوم لوط بسبب فعل الفاحشة ، لعبرة للمعتبرين ، وما كان معظمهم مؤمنين .

﴿١٣٩﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه ، الرحيم بمن تاب من عباده .
 ﴿١٤٠﴾ كذب أصحاب القرية ذات الشجر الملتف قرب مدين المرسلين حين كذبوا نبيهم شعيباً ﷺ .
 ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ نبيهم شعيب : أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۚ إِنِّي أَخَافُكُمْ وَأَتَّقِي اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ؟
 ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ بترك الشرك به خوفاً منه ، وأطيعوني فيما أمرتكم به ، وفيما نهيتكم عنه .
 ﴿١٤٤﴾ وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من ربي ، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات ، لا على غيره .
 ﴿١٤٥﴾ أتموا للناس الكيل عندما تبيعونهم ، ولا تكونوا ممن ينقص الكيل إذا باع الناس .
 ﴿١٤٦﴾ وزنوا إذا وزنتم لغيركم بالميزان المستقيم .
 ﴿١٤٧﴾ ولا تنقصوا الناس حقوقهم ، ولا تكثرُوا في الأرض الفساد بارتكاب المعاصي .

• من ثَوَابِ الْآيَاتِ ، • اللواط شذوذ عن الفطرة ومنكر عظيم . • من الابتلاء للداعية أن يكون أهل بيته من أصحاب الكفر أو المعاصي . • العلاقات الأرضية ما لم يصحبها الإيمان ، لا تنفع صاحبها إذا نزل العذاب . • وجوب وفاء الكيل وحرمة التطفيف .

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى ۖ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۖ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۖ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۖ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۖ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۖ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۖ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۖ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولَى ۖ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ وَعِلْمُؤُنَا بِإِسْرَائِيلَ ۖ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۖ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ۖ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۖ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۖ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ۖ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۖ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۖ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ۖ

(١٨٠) واتقوا الذي خلقكم، وخلق الأمم السابقة بالخوف منه أن ينزل بكم عقابه.

(١٨١) قال قوم شعيب لشعيب: إنما أنت من الذين أصابهم السحر مرارًا حتى غلب السحر على عقلك، فعنّيه.

(١٨٢) ولست إلا بشرًا مثلنا فلا مزية لك علينا، فكيف تكون رسولاً؟ ولا نظنك إلا كاذبًا فيما تدّعيه من أنك رسول.

(١٨٣) فأسقط علينا قطعًا من السماء إن كنت صادقًا فيما تدّعيه.

(١٨٤) قال لهم شعيب: ربي أعلم بما تعملون من الشرك والمعاصي لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

(١٨٥) فاستمروا على تكذيبه، فأصابهم عذاب عظيم حيث أظلمتهم سحابة بعد يوم شديد الحر، فأمرت عليهم نارًا فأحرقتهم، إن يوم إهلاكهم كان يومًا عظيم الهول.

(١٨٦) إن في ذلك المذكور من إهلاك قوم شعيب لعبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين.

(١٨٧) وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عباده.

(١٨٨) وإن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ منزل من رب المخلوقات.

(١٨٩) نزل به جبريل الأمين عليه السلام.

(١٩٠) نزل به على قلبك - أيها الرسول - لتكون من الرسل الذين ينزلون الناس، ويخوفونهم من عذاب الله.

(١٩١) نزل به بلسان عربي واضح.

(١٩٢) وإن هذا القرآن لمذكور في كتب الأولين، فقد بشرت به الكتب السماوية السابقة.

(١٩٣) أولم يكن لهؤلاء المكذبين بك علامة على صدقك أن يعلم حقيقة ما نزل عليك علماء بني إسرائيل، مثل عبد الله بن سلام.

(١٩٤) ولو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعاجم الذين لا يتكلمون باللسان العربي.

(١٩٥) فقراء عليهم ما صاروا به مؤمنين؛ لأنهم سيقولون: لا نفهمه، فليحمدوا الله أن نزل بلغتهم.

(١٩٦) كذلك أدخلنا التكذيب والكفر في قلوب المجرمين.

(١٩٧) لا يتغيرون عما هم عليه من الكفر ولا يؤمنون حتى يروا العذاب الموجع.

(١٩٨) فبأتيهم هذا العذاب فجأة، وهم لا يعلمون بمجيئه حتى يباغتهم.

(١٩٩) فيقولون حين ينزل بهم العذاب بغتة من شدة الحسرة: هل نحن مُمهلون فنتوب إلى الله؟!

(٢٠٠) أفبعذابنا يستعجل هؤلاء الكفار قائلين: لن نؤمن لك حتى تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً؟!

(٢٠١) فأخبرني - أيها الرسول - إن متعنا هؤلاء الكافرين المعرضين عن الإيمان بما جئت به، بالنعم زمانًا ممتدًا.

(٢٠٢) ثم جاءهم بعد ذلك الزمن الذي نالوا فيه تلك النعم ما كانوا يوعدون به من العذاب.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • كلما تعمّق المسلم في اللغة العربية، كان أقدر على فهم القرآن. • الاحتجاج على المشركين بما عند المنصفين من أهل الكتاب من الإقرار بأن القرآن من عند الله. • ما يناله الكفار من نعم الدنيا استدراج لا كرامة.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا
لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٣٨﴾ ذَكَرْنِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ
الشَّيَاطِينُ ﴿٤٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّهُمْ عَنْ
السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٤٤﴾ وَخَفِضْ
جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي
بِرَبِّي مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٤٧﴾ الَّذِي
يَرْبِكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَتَقْلِبُكَ فِي السَّجَدِينَ ﴿٤٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٥٠﴾ هَلْ أَنْتَ كَرِيمٌ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٥١﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٥٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٥٣﴾
وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٥٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٥٧﴾

سورة النمل

النمل ٢٩

نمل ٢٩

﴿٣٧﴾ ماذا ينفعهم ما كانوا عليه من نعم في الدنيا؟! فقد انقطعت تلك النعم، ولم تُجد شيئاً.

﴿٣٨﴾ وما أهلكنا من أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليها بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

﴿٣٩﴾ عظة وتذكيراً لهم، وما كنا ظالمين بتعذيبهم بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

﴿٤٠﴾ وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن على قلب الرسول ﷺ.

﴿٤١﴾ وما يصح أن يتنزلوا على قلبه، وما يستطيعون ذلك.

﴿٤٢﴾ ما يستطيعونه لأنهم معزولون عن مكانه من السماء، فكيف يصلون إليه، ويتنزلون به؟!.

﴿٤٣﴾ فلا تعبد مع الله معبوداً آخر تشركه معه، فتكون بسبب ذلك من المعذبين.

﴿٤٤﴾ وأنذر - أيها الرسول - الأقرب فالأقرب من قومك حتى لا يصيبهم عذاب الله إن بقوا على الشرك.

﴿٤٥﴾ وألن جانك فعلاً وقولاً لمن اتبعك من المؤمنين رحمة بهم ورفقاً.

﴿٤٦﴾ فإن عصوك، ولم يستجيبوا لما أمرتهم به من توحيد الله وطاعته، فقل لهم: إني بريء مما تعملون من الشرك والمعاصي.

﴿٤٧﴾ واعتمد في أمورك كلها على العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن أناب منهم إليه.

﴿٤٨﴾ الذي يراك سبحانه حين تقوم إلى الصلاة.

﴿٤٩﴾ ويرى سبحانه قلبك من حال إلى حال في المصلين، لا يخفى عليه شيء مما تقوم به، ولا مما يقوم به غيرك.

﴿٥٠﴾ إنه هو السميع لما تتلوه من قرآن وذكر في صلاتك، العليم بنيتك.

﴿٥١﴾ ولما زعموا أن الشياطين تنزل بالقرآن، وأن محمداً ﷺ شاعر رد الله عليهم زعمهم فقال:

﴿٥٢﴾ هل أخبركم على من تنزل الشياطين الذين زعمتم أنهم تنزلوا بهذا القرآن؟

﴿٥٣﴾ تنزل الشياطين على كل كذاب كثير الإثم والمعصية من الكهان.

﴿٥٤﴾ يسترق الشياطين السمع من الملأ الأعلى، فيلقونه إلى أوليائهم من الكهان، وأكثر الكهان كاذبون، إن صدقوا في كلمة كذبوا معها مئة كذبة.

﴿٥٥﴾ والشعراء الذين زعمتم أن محمداً ﷺ منهم يتبعهم المنحرفون عن طريق الهدى والاستقامة، فيروون ما يقولونه من شعر.

﴿٥٦﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن من مظاهر غوايتهم أنهم تائهون في كل وادٍ يمشون في المدح تارة، وفي الذم تارة، وفي غيرهما تارات.

﴿٥٧﴾ وأنهم يكذبون، فيقولون: فعلنا كذا، ولم يفعلوه.

﴿٥٨﴾ إلا الذين آمنوا من الشعراء وعملوا الأعمال الصالحات، وذكروا الله ذكراً كثيراً، وانتصروا من أعداء الله بعدما ظلموهم مثل حسان بن ثابت رضي الله عنه، وسيعلم الذين ظلموا بالشرك بالله والاعتداء على عباده أي مرجع يرجعون إليه، فيسرجعون إلى موقف عظيم، وحساب دقيق.

• من قوائد الآيات،

• إثبات العدل لله، ونفي الظلم عنه. • تنزيه القرآن عن قرب الشياطين منه. • أهمية اللين والرفق للدعاة إلى الله. • الشعر حسنُهُ حسن، وقبيحُهُ قبيح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● مِنْ مَقَاصِدِ الشُّوَرَةِ:
الامتنان على النبي ﷺ بالآية الكبرى - وهي القرآن - والحث على شكرها والصبر على تبليغها.

● التَّفْسِيرُ:
﴿طس﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. هذه الآيات المنزلة عليك هي آيات القرآن، وكتاب واضح لا لبس فيه، مَنْ تدبره عَليمٌ أنه من عند الله.

﴿١﴾ هذه الآيات هادية إلى الحق مرشدة إليه، ومبشرة للمؤمنين بالله ورسله.

﴿٢﴾ الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون زكاة أموالهم بصرفها إلى مصارفها، وهم موقنون بما في الآخرة من ثواب وعقاب.

﴿٣﴾ إن الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، حسناً لهم أعمالهم السيئة، فاستمروا على فعلها، فهم متحيرون لا يهتدون إلى صواب ولا رشد.

﴿٤﴾ أولئك الموصوفون بما ذُكر هم الذين لهم سوء العذاب في الدنيا بالقتل والأسر، وهم في الآخرة أكثر الناس خسراناً، حيث يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بتخليد هم في النار.

طسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ ۝ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ قَبْسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ۝ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْجُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝

٣٧٧

﴿١﴾ وإنك - أيها الرسول - لتلقى هذا القرآن المنزل عليك من عند حكيم في خلقه وتدبيره وشرعه، عليم لا يخفى عليه شيء من مصالح عباده.

﴿٢﴾ اذكر - أيها الرسول - حين قال موسى لأهله: إني أبصرت نارا، سأتيكم منها بخبر من موقدها يرشدنا إلى الطريق، أو أتيكم بشعلة نار مأخوذة منها رجاء أن تستدفئوا بها من البرد.

﴿٣﴾ فلما وصل إلى مكان النار التي أبصرها ناداه الله: أن قَدْسَ من في النار، ومن حولها من الملائكة، وتعظيمًا لرب العالمين وتنزيهاً له عما لا يليق به من الصفات التي يصفه بها الضالون.

﴿٤﴾ قال له الله: يا موسى، إنه أنا الله العزيز الذي لا يغالبني أحد، الحكيم في خلقي وتقديري وشرعي.

﴿٥﴾ وألق عصاك، فامتثل موسى، فلما رآها موسى تضطرب وتحرك كأنها حية ولَّى مدبراً عنها ولم يرجع، فقال له الله: لا تخف منها، فإني لا يخاف عندي المرسلون من حية ولا من سواها.

﴿٦﴾ لكن من ظلم نفسه بارتكاب ذنب، ثم تاب بعد ذلك فإني غفور له، رحيم به.

﴿٧﴾ وأدخل يدك في فتحة قميصك مما يلي الرقبة تخرج بعد إدخالك لها بيضاء مثل الثلج من غير برص، ضمن تسع آيات تشهد بصدقك - هي مع اليد: العصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم - إلى فرعون وقومه، إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله بالكفر به.

﴿٨﴾ فلما جاءتهم آياتنا هذه التي أيدنا بها موسى واضحة ظاهرة قالوا: هذا الذي جاء به موسى من الآيات سحر بين.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● القرآن هداية وبشرى للمؤمنين. ● الكفر بالله سبب في اتباع الباطل من الأعمال والأقوال، والحيرة، والاضطراب. ● تأمين الله لرسله وحفظه لهم سبحانه من كل سوء.

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
 وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ
 الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾
 وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ
 يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا
 النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي
 أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
 صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
 ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ
 مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
 أَوْ لِيَأْتِنِي سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
 أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

٣٧٨

﴿١٤﴾ وكفروا بهذه الآيات البينات ولم
 يقروا بها، واستيقنت أنفسهم أنها من
 عند الله؛ بسبب ظلمهم واستكبارهم
 عن الحق، فتأمل - أيها الرسول -
 كيف كانت عاقبة المفسدين في
 الأرض بكفرهم ومعاصيهم، فقد
 أهلكتناهم، ودمرناهم كلهم.

﴿١٥﴾ ولقد أعطينا داود وابنه سليمان
 علمًا، ومنه علم كلام الطير، وقال
 داود وسليمان شاكرين الله ﷻ:
 الحمد لله الذي فضلنا على كثير من
 عباده المؤمنين بالنبوة، وبتسخير الجن
 والشياطين.

﴿١٦﴾ وورث سليمان أباه داود في النبوة
 والعلم والملك، وقال متحدًا بنعمة الله
 عليه وعلى أبيه: يا أيها الناس،
 علّمنا الله فهم أصوات الطير، وأعطانا
 من كل شيء أعطاه الأنبياء والملوك،
 إن هذا الذي أعطانا الله سبحانه لهو
 الفضل الواضح البين.

﴿١٧﴾ وجميع سليمان جنوده من البشر
 والجن والطير، فهم يُساقون بنظام.

﴿١٨﴾ فلم يزالوا يُساقون حتى إذا جاؤوا
 إلى وادي النمل (موضع بالشام) قالت
 نملة من النمل: يا أيها النمل ادخلوا
 مساكنكم حتى لا يهلككم سليمان
 وجنوده وهم لا يعلمون بكم، إذ لو
 علموا بكم لما داسوكم.

﴿١٩﴾ فلما سمع سليمان كلامها تبسم
 ضاحكًا من قولها هذا، وقال داعيًا ربه

سبحانه: رب وفقني وألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي وعلى والدي، ووفقني أن أعمل عملًا صالحًا
 ترضيه، وأدخلني برحمتك في جملة عبادك الصالحين.

﴿٢٠﴾ وتعهّد سليمان الطير فلم ير الهدهد، فقال: ما لي لا أرى الهدهد؟ أمتعني من رؤيته مانع، أم كان من
 الغائبين؟

﴿٢١﴾ فقال لما تبين له غيابه: لأعذبه عذابًا شديدًا، أو لأذبحه عذابًا له على غيابه، أو ليأتيني بحجة واضحة تبين
 عذره في الغياب.

﴿٢٢﴾ فمكث الهدهد في غيابه زمانًا غير بعيد، فلما جاء قال لسليمان ﷺ: اطلعت على ما لم تطلع عليه، وجئتكم
 من أهل سبأ بخبر صادق لا شك فيه.

• من فوائد الآيات،

- التيسر ضحك أهل الوقار.
- شكر النعم أدب الأنبياء والصالحين مع ربهم.
- الاعتذار عن أهل الصلاح بظهور الغيب.
- سياسة الرعية بإيقاع العقاب على من يستحقه، وقبول عذر أصحاب الأعذار.
- قد يوجد من العلم عند الأصغر ما لا يوجد عند الأكبر.

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهْهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَأْتِيَنَّهَا الْمَلَأُ أَيُّ الْقِيِّ إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَأْتِيَنَّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

٣٧٩

﴿٢٣﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ تدير من عليه شؤون قومها .

﴿٢٤﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ وَحَسَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ الشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي، فَصَرَفَهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ .

﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ حَسَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالِ الشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي؛ لئَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ الَّذِي يُخْرِجُ مَا سَتَرَهُ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْمَطَرِ، وَفِي الْأَرْضِ مِنَ النَّبَاتِ، وَيَعْلَمُ مَا تَخْفُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَا تَظْهَرُونَهُ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ .

﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ الله لا معبود بحق غيره، رب العرش العظيم .

﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهْهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ قال سليمان ﷺ للهدد: سننظر أصدقت فيما تدعيه، أم كنت من الكاذبين .

﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَأْتِيَنَّهَا الْمَلَأُ أَيُّ الْقِيِّ إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ فَكُتِبَ سَلِيمَانُ كِتَابًا، وَسَلَّمَهُ لِلْهَدْدِ، وَقَالَ لَهُ: أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فارمه إلى أهل سبأ وسلمهم إياه، وتنتج عنهم جانبًا بحيث تسمع ما يرددون بشأنه .

﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ واستلمت الملكة الكتاب، وقالت: يا أيها الأشراف إني ألقى إلي كتاب كريم جليل .

﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ مضمون هذا الكتاب المرسل من سليمان المفتتح بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»:

﴿٣١﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ أوتوني منقادين مستسلمين لما أدعوكم إليه من توحيد الله وترك ما أنتم عليه من الشرك به، حيث عبدتم الشمس معه .

﴿٣٢﴾ قَالَتْ يَأْتِيَنَّهَا الْمَلَأُ أَيُّ الْقِيِّ إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ قالت الملكة: يا أيها الأشراف والسادة، بيّنوا لي وجه الصواب في أمري، ما كنت قاضية أمرًا حتى تحضروني، وتظهروا رأيكم فيه .

﴿٣٣﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ قال لها الأشراف من قومها: نحن أصحاب قوة عظيمة، وأصحاب بأس قوي في الحرب، والرأي ما تريه فانظري ماذا تأمريننا به فنحن قادرون على تنفيذه .

﴿٣٤﴾ قَالَتْ يَأْتِيَنَّهَا الْمَلَأُ أَيُّ الْقِيِّ إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ قالت الملكة: إن الملوك إذا دخلوا قرية من القرى أفسدوها بما يقومون به من القتل والسلب والنهب، وصيروا ساداتها وأشرافها أذلاء بعد ما كانوا فيه من العزة والمنعة، وكذلك يفعل الملوك دائمًا إذا تغلبوا على أهل قرية؛ ليزرعوا الهيبة والرعب في النفوس .

﴿٣٥﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ وإني مرسلّة إلى صاحب الكتاب وقومه هدية، وأنظر ماذا تأتي به الرسل بعد إرسال هذه الهدية .

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- إنكار الهدد على قوم سبأ ما هم عليه من الشرك والكفر دليل على أن الإيمان فطري عند الخلائق .
- التحقيق مع المتهم والتثبت من حججه . • مشروعية الكشف عن أخبار الأعداء .
- من آداب الرسائل افتتاحها بالبسملة .
- إظهار عزة المؤمن أمام أهل الباطل أمر مطلوب .

﴿٣٦﴾ فلما جاء رسولها ومن معه من أعوانه يحملون الهدية إلى سليمان أنكر عليهم سليمان إرسال الهدية قائلاً: أتمدونني بالأموال لتثنوني عنكم، فما أعطاني الله من النبوة والملك والمال خير مما أعطاكم، بل أنتم الذين تفرحون بما يُهدى إليكم من حطام الدنيا.

﴿٣٧﴾ قال سليمان ﷺ لرسولها: ارجع إليهم بما جئت من هدية، فلنأتينها وقومها بجنود لا طاقة لهم بمواجهتهم، ولنخرجهم من سبأ وهم أذلة مهانون بعد ما كانوا فيه من العزة إن لم يأتوني متقادين.

﴿٣٨﴾ قال سليمان ﷺ مخاطباً أعيان أهل ملكه: يا أيها الملأ، أيكم يأتيني بسرير ملكها قبل أن يأتوني متقادين؟ ﴿٣٩﴾ أجابه مارد من الجن قائلاً: أنا أتيك بسريرها قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي أنت فيه، وإني لقوي على حمله أمين على ما فيه، فلن أنقص منه شيئاً.

﴿٤٠﴾ قال رجل صالح عالم عند سليمان، عنده علم من الكتاب، ومن ضمنه اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب: أنا أتيك بسريرها قبل أن ترمش عينك؛ بأن أدعو الله فيأتي به، فدعا فاستجاب الله له دعاءه، فلما رأى سليمان سريرها مستقراً عنده قال: هذا من فضل ربي سبحانه؛

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمَدُّونَنِي بِمَالِ اللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِمَّا آذَلُّهُ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَأْتِيَنَّهَا أَلْمَلَأُ الْيُكُومُ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَاءَ إِتِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَـُٔشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَلْكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿٣٨٠﴾

ليختبرني أشكر نعمه أم أكفرها؟ ومن شكر الله فإنما نفع شكره عائد إليه، فالله غني لا يزيده شكر العباد، ومن جحد نعم الله فلم يشكرها له فإن ربي غني عن شكره كريم، ومن كرمه إفضاله على من يجحدها.

﴿٤١﴾ قال سليمان ﷺ: غَيِّرُوا لَهَا سَرِيرَ مَلِكِهَا عَنْ هَيْئَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا نَظَرٌ: هل تهتدي إلى معرفة أنه سريرها، أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفة أشياءهم؟

﴿٤٢﴾ فلما جاءت ملكة سبأ إلى سليمان قيل لها اختبراً لها: أهذا مثل عرشك؟ فأجابت طبق السؤال: كأنه هو، فقال سليمان: وَأَعْطَانَا اللَّهُ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا لِقُدْرَتِهِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَكُنَّا مُتَقَادِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ مُطِيعِينَ لَهُ.

﴿٤٣﴾ وصرفها عن توحيد الله ما كانت تعبد من دون الله اتباعاً لقومها، وتقليداً لهم، إنها كانت من قوم كافرين بالله، فكانت كافرة مثلهم.

﴿٤٤﴾ قيل لها: ادخلي الصرح وهو كهيئة السطح، فلما رأته ظننته ماءً فكشفت عن ساقها لتخوضه، قال سليمان ﷺ: إنه صرح مُمَكِّسٌ من زجاج، ودعاها إلى الإسلام، فأجابه إلى ما دعاها إليه قائلة: رب إنني ظلمت نفسي بعبادة غيرك معك، وانقدت مع سليمان لله رب المخلوقات جميعها.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • عزة الإيمان تحضن المؤمن من التأثير بحطام الدنيا.

• الفرح بالماديات والركون إليها صفة من صفات الكفار.

• يقظة شعور المؤمن تجاه نعم الله.

• اختبار ذكاء الخصم بغية التعامل معه بما يناسبه.

• إبراز التفوق على الخصم للتأثير فيه.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ
فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَدَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيعُوا نَارَكُمْ وَيَمْنُ مَعَكُمْ قَالُوا طَاعُوا
عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ
تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾
قَالُوا اتَّقُوا اللَّهَ يَا اللَّهُ لِنُبَيِّنْتَهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَّهِ
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا
مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عِقَابُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاكَ
فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
وَكُنَّا أَيْتَقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ طَإِذَ قَال لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ
الْفَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

﴿٣٨١﴾

﴿٤٥﴾ ولقد بعثنا إلى ثمود أخاهم في النسب صالحاً ﷺ أن اعبدوا الله وحده، فإذا هم بعد دعوته إياهم طائفتان: طائفة مؤمنة، وأخرى كافرة يتنازعون أيهم على الحق.

﴿٤٦﴾ قال لهم صالح ﷺ: لِمَ تطلبون تعجيل العذاب قبل الرحمة؟ هَلَا تطلبون المغفرة من الله لذنوبكم رجاء أن يرحمكم.

﴿٤٧﴾ قال له قومه في ثعنت عن الحق: تشاء منا بك وبمن معك من المؤمنين، قال لهم صالح ﷺ: ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره، عند الله علمه لا يخفى عليه منه شيء، بل أنتم قوم تُختبرون بما يبسط لكم من الخير وبما ينالكم من الشر.

﴿٤٨﴾ وكان في مدينة الحجر تسعة رجال يفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، ولا يصلحون فيها بالإيمان والعمل الصالح.

﴿٤٩﴾ قال بعضهم لبعض: ليحلف كل واحد منكم بالله لثأنته في بيته ليلاً، فلنقتلنهم، ثم لنقولن لولي دمه: ما حضرنا قتل صالح وأهله، وإنا لصادقون فيما قلنا.

﴿٥٠﴾ ودبروا مكيده خفية لإهلاك صالح وأتباعه من المؤمنين، ومكرنا مكرًا لنصره وإنجائه من مكرهم وإهلاك الكافرين من قومه، وهم لا يعلمون بذلك.

﴿٥١﴾ فتأمل - أيها الرسول - كيف كان مآل تدبيرهم ومكرهم؟ أنا استأصلناهم بعذاب من عندنا فهلخوا عن آخرهم. فتلك بيوتهم قد انهدمت جدرانها على سقوفها، وبقيت خالية من أهلها بسبب ظلمهم، إن فيما أصابهم من العذاب بسبب ظلمهم لعبرة لقوم يؤمنون، فهم الذين يعتبرون بالآيات.

﴿٥٢﴾ وأنقذنا الذين آمنوا بالله من قوم صالح ﷺ، وكانوا يتقون الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٥٣﴾ واذكر - أيها الرسول - لو طأ حين قال لقومه موبخاً إياهم ومنكراً عليهم: أنأتون الخصلة القبيحة - وهي اللواط - في أنديتكم جهاراً يبصر بعضكم بعضاً؟!

﴿٥٤﴾ أنتمكم لتأتون الرجال على سبيل الاشتواء دون النساء، لا تريدون إعفافاً ولا ولداً، وإنما قضاء شهوة بهيمية، بل أنتم قوم تجهلون ما يجب عليكم من الإيمان والطهر والبعد عن المعاصي.

﴿٥٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الاستغفار من المعاصي سبب لرحمة الله.
- التشاؤم بالأشخاص والأشياء ليس من صفات المؤمنين.
- عاقبة التمازل على الشر والمكر بأهل الحق سيئة.
- إعلان المنكر أفتح من الاستتار به.
- الإنكار على أهل الفسوق والفجور واجب.

﴿٥٦﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ وَقَدَّرْنَا بِهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ عَلَى الْبَشَرِ ۗ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ عَلَى الْبَشَرِ ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم خُلَفَاءَ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ عَلَى الْبَشَرِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ عَلَى الْبَشَرِ ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ عَلَى الْبَشَرِ ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾

٣٨٢

﴿٥٦﴾ فما كان لقومه من جواب إلا قولهم: أخرجوا آل لوط من قريبتكم، إنهم أناس يتنزهون عن الأقدار والأنجاس، قالوا ذلك استهزاء بآل لوط الذين لا يشاركونهم فيما يرتكبونه من الفواحش، بل ينكرون عليهم ارتكابها.

﴿٥٧﴾ فسلمناهم وسلمنا أهلنا، إلا امرأته حكمنا عليها أن تكون من الباقين في العذاب لتكون من الهالكين.

﴿٥٨﴾ وأمطرنا عليهم حجارة من السماء، فكان مطرًا سيئًا مهلكًا لمن خوفوا بالعذاب ولم يستجيبوا.

﴿٥٩﴾ قل - أيها الرسول -: الحمد لله على نعمه، وأمان منه من عذابه الذي عذب به قوم لوط وصالح لأصحاب النبي ﷺ، الله المعبود بحق الذي بيده ملكوت كل شيء خير أم ما يعبدونه المشركون من معبودات لا تملك نفعا ولا ضرا؟!

﴿٦٠﴾ أم من خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، وأنزل لكم - أيها الناس - من السماء ماء المطر، فأنبثنا لكم به حدائق ذات حسن وجمال، ما كان لكم أن تنبتوا شجر تلك الحدائق لعجزكم عن ذلك، فالله هو الذي أنبتنا، أمعبود فعل هذا مع الله؟! لا، بل هم قوم ينحرفون عن الحق فيسوءون الخالق بالمخلوقين ظلما.

﴿٦١﴾ أم من صير الأرض مستقرة ثابتة

لا تضطرب بمن عليها، وصير لها جبالا ثوابت، وصير لها جبالا تجري، وصير لها جبالا ثوابت، فاصلا يمنع اختلاط المالح بالعذب حتى لا يفسده، فلا يصلح للشرب، أمعبود فعل ذلك مع الله؟! لا، بل معظمهم لا يعلمون، ولو كانوا يعلمون لما أشركوا بالله أحدا من مخلوقاته.

﴿٦٢﴾ أم من يجيب من ضاق عليه أمره واشتد إذا دعاه، ويرفع ما يقع بالإنسان من مرض وفقر وغيرهما، ويصيركم خلفاء في الأرض يخلف بعضكم بعضا جيلا بعد جيل، أمعبود يفعل ذلك مع الله؟! لا، قليلا ما تتعظون وتعتبرون.

﴿٦٣﴾ أم من يهديكم في ظلمات البر وظلمات البحر بما ينصبه لكم من معالم ونجوم، ومن يبعث الرياح مبشرات بقرب نزول المطر الذي يرحم به عباده، أمعبود يفعل ذلك مع الله؟! تنزه الله، وتقصد عما يشركون به من مخلوقاته.

﴿٦٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم حجج الحق.
- رابطة الزوجية دون الإيمان لا تنفع في الآخرة.
- ترسيخ عقيدة التوحيد من خلال التذكير بنعم الله.
- كل مضطر من مؤمن أو كافر فإن الله قد وعده بالإجابة إذا دعاه.

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ قُلْ
 أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ
 لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
 أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي
 شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا
 كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَيَّامًا مُّخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا
 نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
 ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى
 أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
 لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
 يَقْضِي عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

٣٨٣

﴿٦٤﴾ أم من يبدأ الخلق في الأرحام مرحلة بعد مرحلة، ثم يحييه بعدما يميته. ومن يرزقكم من السماء بالمطر المنزل من جهته، ويرزقكم من الأرض بالنبات الذي ينبت فيها! أمعبود يفعل ذلك مع الله؟ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هاتوا حججكم على ما أنتم عليه من الشرك، إن كنتم صادقين فيما تدعونه من أنكم على حق.

﴿٦٥﴾ قل - أيها الرسول -: لا يعلم الغيب من في السماوات من الملائكة، ولا من في الأرض من الناس، لكن الله وحده هو الذي يعلمه، وما يعلم جميع من في السماوات ومن في الأرض متى يُبعثون للجزاء إلا الله.

﴿٦٦﴾ أم هل تتابع علمهم بالآخرة فأيقنوا بها؟ لا، بل هم في شك وحيرة من الآخرة، بل قد عميت بصائرهم عنها.

﴿٦٧﴾ وقال الذين كفروا مستكبرين: إذا متنا وكنا تراباً أيمكن أن نُبعث أحياء؟ ﴿٦٨﴾ لقد وعدنا نحن، ووعد آبائنا من قبل أننا نبعث جميعاً، فلم نر تحقيقاً لذلك الوعد، ما هذا الوعد الذي وعدناه جميعاً إلا أكاذيب الأولين التي دونوها في كتبهم.

﴿٦٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنكرين للبعث: سيروا في أي جهة

من الأرض فتأملوا كيف كانت نهاية المجرمين المكذبين بالبعث، فقد أهلكناهم لتكذيبهم به.

﴿٧٠﴾ ولا تحزن بسبب إعراض المشركين عن دعوتك، ولا يضق صدرك من كيدهم فالله ناصرك عليهم.

﴿٧١﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث من قومك: متى يتحقق ما تعدنا به أنت والمؤمنون من العذاب إن كنتم صادقين فيما تدعونه من ذلك؟

﴿٧٢﴾ قل لهم - أيها الرسول -: عسى أن يكون اقتراب لكم بعض ما تستعجلون به من العذاب.

﴿٧٣﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لذو فضل على الناس حيث يترك معاجلتهم بالعقوبة مع ما هم عليه من الكفر والمعاصي، ولكن معظم الناس لا يشكرون الله على ما ينعم به عليهم.

﴿٧٤﴾ وإن ربك ليعلم ما تضمّر قلوب عباده وما يظهرونه، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيهم عليه.

﴿٧٥﴾ وما من شيء غائب عن الناس في السماء، ولا غائب عنهم في الأرض إلا هو في كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ.

﴿٧٦﴾ إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ يقض على بني إسرائيل أكثر ما يختلفون فيه، ويكشف انحرافاتهم.

• من فوائد الآيات:

- علم الغيب مما اختص به الله، فادعاه كفر.
- الاعتبار بالأمم السابقة من حيث مصيرها وأحوالها طريق النجاة.
- إحاطة علم الله بأعمال عباده.
- تصحيح القرآن لانحرافات بني إسرائيل وتحريفهم لكتبهم.

وَأَنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُتَوَقِّينَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعَمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ وَقَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَالَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَ كُنُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۖ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلُّ أَتَوِّهِ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

٣٨٤

﴿٧٧﴾ وإنه لهداية ورحمة للمؤمنين العاملين بما جاء فيه.

﴿٧٨﴾ إن ربك - أيها الرسول - يقضي بين الناس مؤمنهم وكافرهم يوم القيامة بحكمه العدل، فيرحم المؤمن، ويعذب الكافر، وهو العزيز الذي يتقن من أعدائه. ولا يغالبه أحد، العليم الذي لا يلتبس عليه محقٌ بمُبطِل.

﴿٧٩﴾ فتوكل على الله. واعتمد عليه في جميع أمورك، إنك على الحق الواضح.

﴿٨٠﴾ إنك - أيها الرسول - لا تسمع الموتى الذين ماتت قلوبهم بسبب الكفر بالله، ولا تسمع فاقد السمع ما تدعوهم إليه إذا رجعوا معرضين عنك.

﴿٨١﴾ ولست بهادي من عميت بصائرهم عن الحق، فلا تحزن عليهم وتتعب نفسك، لا تسمع دعوتك إلا من يؤمن بآياتنا فهم منقادون لأوامر الله.

﴿٨٢﴾ وإذا وجب العذاب وثبت عليهم لإصرارهم على كفرهم ومعاصيهم، وبقي شرار الناس، أخرجنا لهم عند اقتراب الساعة علامة من علاماتها الكبرى، وهي دابة من الأرض تكلمهم بما يفهمون أن الناس كانوا بآياتنا المنزلة على نبينا لا يصدقون.

﴿٨٣﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم نحشر من كل أمة من الأمم جماعة من كبارهم ممن يكذب بآياتنا، يرد أولهم إلى آخرهم ثم يساقون إلى الحساب.

﴿٨٤﴾ ويستمر سوفهم، حتى إذا جاؤوا مكان حسابهم قال لهم الله توبيخاً لهم: أكذبتُم بآياتي الدالة على توحيدى والمشملة على شريعتي، ولم تحيطوا علماً بأنها باطلة فيسوغ لكم تكذيبها، أم ماذا كنتم تعملون بها من التصديق أو التكذيب؟!

﴿٨٥﴾ ووقع عليهم العذاب بسبب ظلمهم بالكفر بالله وتكذيب آياته، فهم لا يتكلمون للدفاع عن أنفسهم لعجزهم عن ذلك، وبطلان حججهم.

ولما كانوا ينكرون البعث نهبهم الله بما يدل عليه في حياتهم، وهو نومهم الذي هو بمنزلة الموت، واستيقاظهم الذي هو بمنزلة البعث، فقال:

﴿٨٦﴾ ألم ينظر هؤلاء المكذبون بالبعث أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم، وصبرنا النهار مضيقاً ليصبروا فيه، فبسعوا إلى أعمالهم، إن في ذلك الموت المتكرر والبعث بعده لعلامات واضحة لقوم يؤمنون.

﴿٨٧﴾ واذكر - أيها الرسول -: يوم ينفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن النفخة الثانية. ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من استثناه الله من الفزع؛ تفضلاً منه، وكل من مخلوقات الله يأتونه في ذلك اليوم مطيعين ذليين.

﴿٨٨﴾ وترى الجبال في ذلك اليوم تحسبها ثابتة لا تتحرك، وهي في واقع الأمر تسير بسرعة سير السحاب، صنع الله، فهو الذي يحركها، إنه خبير بما تفعلون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• أهمية التوكل على الله. • تزكية النبي ﷺ بأنه على الحق الواضح. • هداية التوفيق بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ. • دلالة النوم على الموت، والاستيقاظ على البعث.

﴿٨٩﴾ من جاء يوم القيامة بالإيمان والعمل الصالح فله الجنة، وهم آمنون بتأمين الله لهم من فزع يوم القيامة. ﴿٩٠﴾ ومن جاء بالكفر والمعاصي فله النار يلقيون فيها على وجوههم. ويقال لهم توبيخاً لهم وإهانة: هل تجزون إلا ما كنتم تعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي؟

﴿٩١﴾ قل لهم - أيها الرسول -: إنما أمرت أن أعبد رب مكة الذي حرّمها، فلا يُسفك فيها دم، ولا يُظلم فيها أحد، ولا يُقتل صيدها، ولا يُقطع شجرها، وله سبحانه ملك كل شيء، وأمرت أن أكون من المستسلمين لله المتقادين له بالطاعة.

﴿٩٢﴾ وأمرت أن أتلو القرآن على الناس، فمن اهتدى بهديه، وعمل بما فيه، فنفعت هدايته لنفسه، ومن ضل وانحرف عما فيه وأنكره، ولم يعمل بما فيه، فقل: إنما أنا من المُنذرين أنذركم من عذاب الله، وليس بيدي هدايتكم.

﴿٩٣﴾ وقل - أيها الرسول -: الحمد لله على نعمه التي لا تحصى، سيربكم الله آياته في أنفسكم وفي السماء والأرض والرزق، فتعرفونها معرفة ترشدكم إلى الإذعان للحق، وليس ربك بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيكم عليه.

سورة القصص

— مكة —

﴿١﴾ من مَقَاصِدِ الشُّورَى:

ذكر الموازين الحقيقية للقوى، من خلال إظهار قدرة الله وسُنَّته بنصرة المستضعفين وإهلاك المستكبرين.

﴿٢﴾ التَّفْصِيلُ:

﴿١﴾ ﴿طَسَمَ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ هذه آيات القرآن الواضح.

﴿٣﴾ نقرأ عليك من خبر موسى وفرعون بالحق الذي لا مرية فيه لقوم يؤمنون؛ لأنهم هم الذين يتفعون بما فيه.

﴿٤﴾ إن فرعون طغى في أرض مصر، وتسلط فيها، وصير أهلها طوائف مفرقة بينها، يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل، بقتل ذكور أولادهم واستبقاء نسائهم للخدمة إمعاناً في إزلالهم، إنه كان من المفسدين في الأرض بالظلم والطغيان والتكبر.

﴿٥﴾ ونريد أن نتفضل على بني إسرائيل الذين استضعفهم فرعون في أرض مصر؛ بإهلاك عدوهم، وإزالة الاستضعاف عنهم، وجعلهم أئمة يقتدى بهم في الحق، ونجعلهم يرثون أرض الشام المباركة بعد هلاك فرعون، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِكَ الْأَرْضِ وَمَعْرِبَهَا الَّتِي بَنَكْنَا فِيهَا...﴾.

﴿٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الإيمان والعمل الصالح سببا للنجاة من الفزع يوم القيامة. • الكفر والعصيان سبب في دخول النار. • تحريم القتل والظلم والصيد في الحرم. • النصر والتمكين عاقبة المؤمنين.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ أَمَنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَسَبُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سورة القصص

آياتها ٨٨

نسختها ١٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

﴿١﴾ ونريد أن نمكّن لهم في الأرض بجعلهم أصحاب السلطان فيها، ونُري فرعون ومسانده الأكبر في الملك هامان وجنودهما المعاوين لهما في ملكهما، ما كانوا يخافونه من ذهاب ملكهم، وانقضائه على يد مولود ذكر من بني إسرائيل.

ولما ذكر الله ما سيؤول إليه ملك فرعون، وما سيكون به موسى وقومه، ذكر نشأة موسى ﷺ إلى أن بعثه الله رسولاً، فقال:

﴿٢﴾ والهمنا أم موسى ﷺ أن أرضعيه حتى إذا خشيته عليه من فرعون وقومه أن يقتلوه فضعيه في صندوق، وارميه في نهر النيل، ولا تخافي عليه من الغرق ولا من فرعون، ولا تحزني بسبب فراقه، إنا مرجعوه إليك حيّاً، ومصيروه من رسل الله الذين يبعثهم إلى خلقه.

﴿٣﴾ فامتثلت ما ألهمناها من وضعه في صندوق، ورميه في النهر، فعثر عليه آل فرعون فأخذوه، ليتحقق ما أَرَادَ الله من أن موسى سيكون عدواً لفرعون يزيل الله ملكه على يده، جالباً لحزنهم، إن فرعون ووزيره هامان وأعوانهما كانوا آثمين بسبب كفرهم وطغيانهم، وإفسادهم في الأرض.

﴿٤﴾ ولما أراد فرعون قتله قالت له امرأته: هذا الولد مصدر سرور لي ولك، لا تقتلوه لعله يتفعنا بالخدمة،

وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيْهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَأَيْنَاهُ إِلَيْنَا ۖ وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢﴾ فَالْتَقَطَهُ ءِثَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۖ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٣﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي ۖ وَلَئِكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤﴾ وَأَصْبَحَ قُودًا لِّأُمِّ مُوسَىٰ ۖ فَلَرَا ۖ إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ لَا أَنَّ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ وَقَالَتِ لِأَخْتِهِ قُصِّيْهِ ۖ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ۚ فَأَرْوَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ ۖ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾

أو نتخذه ولداً بالنبي، وهم لا يعلمون ما سيؤول إليه ملكهم على يده.

﴿٨﴾ وأصبح قلب أم موسى ﷺ خالياً من أي أمر من أمور الدنيا إلا من أمر موسى فلم تعد تصبر، حتى قاربت أن تظهر أنه ولدها من شدة التعلق به، لولا أن ربطنا على قلبها بثبته، وتصييرها لتكون من المؤمنين المتوكلين على ربهم الصابرين على ما يقضي به.

﴿٩﴾ وقالت أم موسى ﷺ لأختها بعد إلقائها له في النهر: اتبعي أثره لتعرفي ما يفعل به، فأبصرت به عن بُعدٍ حتى لا يكشف أمرها، وفرعون وقومه لا يشعرون أنها أخته وأنها تنفق خبره.

﴿١٠﴾ وامتنع موسى بتدبير من الله عن الرضاع من النساء، فلما رأت أخته حرصهم على إرضاعه قالت لهم: هل أرشدكم إلى أهل بيت يقومون بإرضاعه ورعايته، وهم له ناصحون؟

﴿١١﴾ فرجعنا موسى إلى أمه رجاء أن تقر عينها برويته عن قرب، ولا تحزن بسبب فراقه، ولتعلم أن وعد الله بإرجاعه إليها حق لا مرية فيه، ولكن أكثرهم لا يعلمون بهذا الوعد، ولا أحد يعلم أنها هي أمه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تدبير الله لعباده الصالحين بما يسلمهم من مكر أعدائهم.
- تدبير الظالم يؤول إلى تدميره.
- قوة عاطفة الأمهات تجاه أبنائهن.
- جواز استخدام الحيلة المشروعة للتخلص من ظلم الظالم.
- تحقيق وعد الله واقع لا محالة.

ولما ذكر الله مبدأ موسى ذكر مرحلة شبابه، فقال:

﴿١٤﴾ ولما بلغ سن اشتداد البدن، واستحكم في قوته - أعطياه فهماً وعلماً في دين بني إسرائيل قبل نبوته، وكما جزينا موسى على طاعته نجزي المحسنين في كل زمان ومكان.

﴿١٥﴾ ودخل موسى المدينة في وقت راحة الناس في بيوتهم، فوجد فيها رجلين يتخاصمان ويتضاربان، أحدهما من بني إسرائيل قوم موسى ﷺ، والآخر من القبط قوم فرعون أعداء موسى، فطلب الذي هو من قومه أن يعينه على الذي هو من القبط أعدائه، فضرب موسى القبطي بقبضة يده، فقتله بتلك الضربة لقوتها، قال موسى ﷺ: هذا من تزيين الشيطان وإغرائه، إن الشيطان عدو مضل لمن اتبعه، واضح العداوة، فما حصل مني بسبب عداوته، وبسبب أنه مضل يريد إضلالي.

﴿١٦﴾ قال موسى داعياً ربه معترفاً بما حصل منه: رب إنني ظلمت نفسي بقتل هذا القبطي، فاغفر لي ذنبي، فبين الله لنا مغفرته لموسى، إنه هو الغفور لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿١٧﴾ ثم واصل الخبر عن دعاء موسى الذي قال فيه: رب بسبب ما أنعمت علي به من القوة والحكمة والعلم فلن أكون معيلاً للمجرمين على إجرامهم.

﴿١٨﴾ فلما حصل منه ما حصل من قتل القبطي أصبح في المدينة خائفاً يترقب ماذا يحدث، فإذا الذي طلب منه العون والنصر على عدوه القبطي بالأمس يستعين به على قبطي آخر، قال له موسى: إنك لندو غواية وضلال واضح.

﴿١٩﴾ فلما أن أراد موسى ﷺ أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له وللإسرائيلي، ظن الإسرائيلي أن موسى يريد البطش به لما سمعه يقول: ﴿إِنَّكَ لَمُوسَى مُبِينٌ﴾، فقال لموسى: أتريد أن تقتلني مثلما قتلت نفساً بالأمس، لا تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض تقتل الناس وتظلمهم، وما تريد أن تكون ممن يصلحون بين المتخاصمين.

﴿٢٠﴾ ولما انتشر الخبر وجاء رجل من أقصى المدينة مسرعاً شفقة على موسى من الملاحقة، فقال: يا موسى، إن الأشراف من قوم فرعون يتشاورون بقتلك فاخرج من البلد، إني لك من الناصحين شفقة عليك من أن يدرؤوك فيقتلوك.

﴿٢١﴾ فامتثل موسى أمر الرجل الناصح، فخرج من البلد خائفاً يترقب ماذا يحدث له، قال داعياً ربه: رب نجني من القوم الظالمين، فلا يصلوا إليّ بسوء.

﴿٢٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الاعتراف بالذنوب من آداب الدعاء.
- الشكر المحمود هو ما يحمل العبد على طاعة ربه، والبعد عن معصيته.
- أهمية المبادرة إلى النصيحة خاصة إذا ترتب عليه إنقاذ مؤمن من الهلاك.
- وجوب اتخاذ أسباب النجاة، والالتجاء إلى الله بالدعاء.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ يُجْرِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَةِ هَٰذَا وَهَٰذَا مِن عَدُوِّهِ
فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِّن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ
مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِن عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ وَإِنَّهُ
هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ
ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ وَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَمُعَوِّ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ
يَكُمُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ
إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ
﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَكُمُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ
يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَمَكٍ مِّنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿٤٤﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ
مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٤٥﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٤٦﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا
تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا
يَتَأَبَّى اسْتَجْرَهُ إِنَّ خَيْرَ مَن اسْتَعَجَزَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ
﴿٤٨﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نُكَحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ
تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجِجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٤٩﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٥٠﴾

٣٨٨

﴿٢٢﴾ ولما سار مقبلاً بوجهه جهة مدين
قال: عسى ربي أن يرشدني إلى خير
طريق، فلا أضل عنها.

﴿٢٣﴾ ولما وصل ماء مدين الذي
يستقون منه وجد جماعة من الناس
يسقون مواشيهم، ووجد من دونهم
امرأتين تحبسان أغنامهما عن الماء
حتى يسقي الناس، قال لهما
موسى ﷺ: ما شأنكما لا تسقيان مع
الناس؟ قالتا له: عادتنا أن نتأني فلا
نسقي حتى ينصرف الرعاة؛ حذراً من
مخالطتهم، وأبونا شيخ كبير السن، لا
يستطيع أن يسقي، فاضطررنا لسقي
غنمنا.

﴿٢٤﴾ فرحمهما فسقى لهما أغنامهما،
ثم انصرف إلى الظل فاستراح فيه،
ودعا ربه بالتعريض بحاجته، فقال:
رب إنني لما أنزلت إلي من أي خير
محتاج.

﴿٢٥﴾ فلما ذهبتا أخبرتيا أباهما به،
فأرسل إحدهما إليه تدعوه، فجاءته
تمشي في حياء، قالت: إن أبي يدعوك
أن تأتية قصد أن يجزيك أجرك على
سقيك لنا، فلما جاء موسى أباهما،
وأخبره بأخباره، قال له مطمئناً إياه:
لا تخف نجوت من القوم الظالمين
فرعون وملئه، فإنهم لا سلطان لهم
على مدين، فلا يستطيعون أن يصلوا
إليك بأذى.

﴿٢٦﴾ قالت إحدى ابنتيه: يا أبت

استأجره ليرعى غنمنا، فهو جدير بأن تستأجره؛ لجمعه بين القوة والأمانة، فبالقوة يؤدي ما كلف به، وبالأمانة
يحفظ ما ائتمن عليه.

﴿٢٧﴾ قال أبوهما مخاطباً موسى ﷺ: إنني أريد أن أزوجهك إحدى ابنتي هاتين، على أن يكون مهرها أن ترعى
غنمنا ثماني سنين، فإن أكملت المدة عشر سنين فهذا تفضل منك لا يلزمك؛ لأن التعاقد إنما هو على ثمان
سنين، فما فوقها تطوع، وما أريد أن ألزمك ما فيه مشقة عليك، ستجدني - إن شاء الله - من الصالحين الذين
يوفون بالعقود، ولا ينقضون العهود.

﴿٢٨﴾ قال موسى ﷺ: ذلك الذي بيني وبينك على ما تعاقدنا عليه، فأني الأمدن عملت لك: ثماني سنوات، أو
عشر سنوات، أكون قد وفيت بما علي، فلا تطالبني بزيادة، والله وكيل على ما تعاقدنا عليه، رقيب عليه.

﴿٢٩﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الالتجاء إلى الله طريق النجاة في الدنيا والآخرة.
- حياء المرأة المسلمة سبب كرامتها وعلو شأنها.
- مشاركة المرأة بالرأي، واعتماد رأيها إن كان صواباً أمر محمود.
- القوة والأمانة صفتا المسؤول الناجح.
- جواز أن يكون المهر منفعة.

* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا أَلَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢١﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَكُفَّ عَنْ آلِهَتِهِمْ إِنَّهُمْ أَتَّخَذُوا آلِهَتَهُمُ الْعِزَّةَ ۚ إِنَّكَ مِنْ السَّاعِثِينَ ﴿٢٢﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَكُفِّ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ ۚ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٢٣﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢٥﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنُنَصِّرُكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمُمُوكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ مَا اتَّخَذْنَا آلِهَتِنَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا ضَلَالًا ۚ وَاتَّقِ اللَّهَ ۚ إِنَّكَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَىٰ خَلْقٍ عَدِيدٍ ﴿٢٧﴾

﴿٢١﴾ فلما أكمل موسى أوفى الأجلين عشر سنين، وسار بأهله من مدين إلى مصر أبصر من جانب الطور نارا، قال لأهله: اثبتوا، إني أبصرت نارا، لعلي آتيكم منها بخبر، أو آتيكم بشعلة من النار توقدون بها نارا؛ لعلكم تستدفون من البرد.

﴿٢٢﴾ فلما جاء موسى النار التي أبصرها ناداه ربه ﷻ من جانب الوادي الأيمن في الموقع الذي باركه الله بتكليمه لموسى من الشجرة أن: يا موسى إني أنا الله رب المخلوقات كلها.

﴿٢٣﴾ وأن اطرح عصاك، فطرحها موسى امتثالا لأمر ربه، فلما رآها تتحرك وتضطرب كأنها حية في سرعتها ولَّى هاربا خوفا منها، ولم يرجع من هربه، فناده ربه: يا موسى أقبل، ولا تخف منها؛ فإنك من الأمنين منها ومن غيرها مما تخاف.

﴿٢٤﴾ أدخل يدك اليمنى في فتحة قميصك مما يلي الرقبة تخرج بيضاء من غير برص. فأدخلها موسى فخرجت بيضاء كالثلج. واضمم إليك يدك ليهذا خوفك. فضمها موسى إليه فذهب عنه الخوف، فهذان المذكوران - العصا واليد - حجتان مرسلتان من ربك إلى فرعون والأشراف من قومه، إنهم كانوا قوما خارجين عن طاعة الله بالكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٢٥﴾ قال موسى متوسلا إلى ربه: إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلوني به إن جئتهم لأبلغهم ما أرسلت به.

﴿٢٦﴾ وأخي هارون هو أبين مني كلاما فابعثه معي معينا يوافقني في كلامي، إن كذبت فرعون وقومه، إني أخاف أن يكذبوني كما هي عادة الأمم التي بُعثت إليها الرسل من قبلي فكذبوهم.

﴿٢٧﴾ قال الله مجيبا دعوة موسى: سنقويك - يا موسى - ببعث أخيك معك رسولا معينا، ونجعل لكما حجة وتأييدا، فلا يصلون إليكما بسوء تكرهانه، بسبب آياتنا التي أرسلناكم بها أنتما ومن اتبعكما من المؤمنين المنتصرون.

﴿٢٨﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الوفاء بالعقود شأن المؤمنين.
- تكليم الله لموسى ﷺ ثابت على الحقيقة.
- حاجة الداعي إلى الله إلى من يؤازره.
- أهمية الفصاحة بالنسبة للدعاة.

(٣٦) فلما جاءهم موسى ﷺ بآياتنا واضحات قالوا: ما هذا إلا كذب مختلق اختلقه موسى، وما سمعنا بهذا في آبائنا الأقدمين.

(٣٧) وقال موسى مخاطبًا فرعون: ربي يعلم المحق الذي جاء بالرشاد من عنده سبحانه، ويعلم من تكون له العاقبة المحمودة في الآخرة، إنه لا يفوز الظالمون بمطلوبهم، ولا ينجون من مهو بهم.

(٣٨) وقال فرعون مخاطبًا الأشراف من قومه: يا أيها الملأ ما علمت لكم من معبود غيري، فأشعل لي يا هامان على الطين حتى يشتد فابن لي به بناءً عاليًا رجاء أن أنظر إلى معبود موسى وأفف عليه، وإنني لأظن أن موسى كاذب فيما يدعيه أنه مرسل من الله إليّ وإلى قومي.

(٣٩) واشتد تكبر فرعون هو وجنوده واستعلوا في أرض مصر بغير موجب من الحق، وأنكروا البعث، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون يوم القيامة للحساب والعقاب.

(٤٠) فأخذنا وأخذنا جنوده فطرحناهم في البحر غرقى حتى هلكوا جميعًا، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان مآل الظالمين ونهايتهم، فقد كان مآلهم ونهايتهم الهلاك.

(٤١) وجعلناهم قدوة للطغاة والضلال يدعون إلى النار بما يشونه من كفر

وضلال، ويوم القيامة لا ينصرون بإنقاذهم من العذاب، بل يضاعف عليهم العذاب لما سنّوه من سنن سيئة، ودعوا إليه من ضلالة، يكتب عليهم وزر عملهم بها، ووزر عمل من اتبعهم في العمل بها.

(٤٢) وأتبعناهم زيادة على عقوبتهم في هذه الدنيا خزيًا وطردًا، ويوم القيامة هم من المذمومين المبعدين عن رحمة الله.

(٤٣) ولقد أعطينا موسى التوراة من بعد ما أرسلنا إلى الأمم السابقة رسلنا فكذبوهم. فأهلكناهم بسبب تكذيبهم لهم، فيها ما يُبصّر الناصر بما ينبغي فعله، وما يضرهم فيتركونه، وفيها إرشادهم إلى الخير، ورحمة لما فيها من خير في الدنيا والآخرة لعلهم يتذكرون نعم الله عليهم فيشكرونها ويؤمنون بها.

• من فوائد الآيات،

- ردّ الحق بالشبه الواهية شأن أهل الطغيان.
- التكبر مانع من اتباع الحق.
- سوء نهاية المتكبرين من سنن رب العالمين.
- للباطل أثمته ودعائه وصوره ومظاهره.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾
وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَهُ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْكَمُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا أَعْلَى أَطْلُعْ إِلَيَّ إِلَهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾
وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْضُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَابِتًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمْنَا مَن رَّبِّكَ لِشُدْرِ قَوْمًا مَّا آتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُّصِيبَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمَّا يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ مِّنْ هَٰؤُلَاءِ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيَرٍ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنْ لَّا يَهْدِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٩﴾

٣٩١

﴿٤٤﴾ وما كنت - أيها الرسول - حاضراً بجانب الجبل الغربي إذ قضينا إلى موسى لموسى ﷺ حين أنهينا إلى موسى الأمر بإرساله إلى فرعون وملئه، وما كنت من الحاضرين حتى تعلم خبر ذلك فتقصه على الناس، فما تخبرهم به هو من وحي الله إليك.

﴿٤٥﴾ ولكننا أنشأنا أمماً وخلقنا من بعد موسى، فتباعد عليهم الزمن حتى نسوا عهد الله، وما كنت مقيماً في أهل مدين تقرأ عليهم آياتنا، ولكننا أرسلناك من عندنا، فأوحينا إليك خبر موسى وإقامته في مدين، فأخبرت الناس بما أوحى الله إليك من ذلك.

﴿٤٦﴾ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ما أوحينا حتى تخبر بذلك، ولكن أرسلناك رحمة من ربك للناس، فأوحينا إليك خبر ذلك لتنذر قوماً ما جاءهم رسول من قبلك ينذروهم لعلهم يتعظون، فيؤمنون بما جئتهم به من عند الله سبحانه.

﴿٤٧﴾ ولولا أن تنالهم عقوبة إلّهم بسبب ما هم عليه من الكفر والمعاصي، فيقولوا محتجين بعدم إرسال رسول إليهم: هلاً بعثت إلينا رسولاً فتتبع آياتك ونعمل بها، ونكون من المؤمنين العاملين بأمر ربهم، لولا ذلك لعاجلناهم بالعقاب، لكننا أخرناهم عنهم حتى نعذر إليهم ببعث رسول إليهم.

﴿٤٨﴾ فلما جاء قريشاً محمد بالرسالة من ربه سألوا يهود عنه فلقنوهم هذه الحجة فقالوا: هلاً أعطي محمد مثل ما أعطي موسى من الآيات الدالة على أنه رسول من ربه: كالمعصاة، قل - أيها الرسول - ردّاً عليهم: ألم يكفر اليهود بما أعطي موسى من قبل، وقالوا في التوراة والقرآن: إنهما سحران بعضهما الآخر، وقالوا: إنا بكل من التوراة والقرآن كافرون!

﴿٤٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء: جيتوا بكتاب منزل من عند الله أهدى سبيلاً من التوراة والقرآن، فإن أتيتم به أتبعه إن كنتم صادقين فيما تدعون من أن التوراة والقرآن سحران.

﴿٥٠﴾ فإن لم تستجب قريش لما دعوتهم إليه من الإتيان بكتاب أهدى من التوراة والقرآن فأيقن أن تكذيبهم بهما ليس عن دليل، وإنما هو عن اتباع للهوى، ولا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله سبحانه، إن الله لا يوفق للهداية والرشاد القوم الظالمين لأنفسهم بكفرهم بالله.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- نفى علم الغيب عن رسول الله ﷺ إلا ما أطلعه الله عليه.
- اندراس العلم بتطاول الزمن.
- تحذير الكفار بالإتيان بما هو أهدى من وحي الله إلى رسله.
- ضلال الكفار بسبب اتباع الهوى، لا بسبب اتباع الدليل.

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنَادَىٰ
 عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ
 مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا اسْمِعُوا
 لِلْعَوَاغِرِ ضَوَاعَهُ وَقَالُوا لَئِنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمُ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ
 عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
 وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
 وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَّخِطُفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ
 نُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا
 مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ
 قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فِتْلَةً مَّسَكْنَهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِّنْ
 بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَتْ رُبُكَ
 مُهْلِكِ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَارِ سُورًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ
 ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

٣٩٢

﴿٥١﴾ ولقد وصلنا للمشركين واليهود من بني إسرائيل القول بقصص الأمم السابقة، وما أحلنا عليهم من العذاب لما كذبوا رسلنا؛ رجاء أن يتعظوا بذلك فيؤمنوا حتى لا يصيبهم ما أصابهم.

﴿٥٢﴾ الذين ثبتوا على الإيمان بالتوراة من قبل نزول القرآن هم بالقرآن يؤمنون لما يجدونه في كتبهم من الإخبار به ومن نعت.

﴿٥٣﴾ وإذا يقرأ عليهم قالوا: آمنا به إنه الحق الذي لا مزية فيه، المنزل من ربنا، إنا كنا من قبل هذا القرآن مسلمين لإيماننا بما جاء به الرسل من قبله.

﴿٥٤﴾ أولئك الموصوفون بما ذكر يعطيهم الله ثواب عملهم مرتين بسبب صبرهم على الإيمان بكتابهم، وإيمانهم بمحمد ﷺ حين بُعث، ويدفعون بحسنات أعمالهم الصالحة ما اكتسبوه من الآثام، ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير.

﴿٥٥﴾ وإذا سمع هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب الباطل من القول أعرضوا عنه غير ملتفتين إليه، وقالوا مخاطبين أصحابه: لنا جزاء أعمالنا، ولكم جزاء أعمالكم، سلمتم منا من الشتم والأذى، لا نبتغي مصاحبة أصحاب الجهل لما فيها من الضرر والأذى على الدين والدنيا.

﴿٥٦﴾ إنك - أيها الرسول - لا تهدي من أحببت مثل أبي طالب وغيره بتوفيقه للإيمان، ولكن الله وحده هو الذي يوفق من يشاء للهداية، وهو أعلم بمن سبق في علمه أنه من المهتدين إلى الصراط المستقيم.

﴿٥٧﴾ وقال المشركون من أهل مكة معتذرين عن اتباع الإسلام والإيمان به: إن نتبع هذا الإسلام الذي جئت به ينتزعنا أعداؤنا من أرضنا بسرعة، أو لم نمكن لهؤلاء المشركين حرماً يحرم فيه سفك الدماء والظلم، يأمنون فيه من إغارة غيرهم عليهم، تجلب إليه ثمار كل شيء رزقاً من لدنا سقناه إليهم؟! ولكن معظمهم لا يعلمون ما أنعم الله به عليهم فيشكروه له.

﴿٥٨﴾ وما أكثر القرى التي كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب والمعاصي، فأرسلنا عليها عذاباً فأهلكناها به، فنلك مساكنهم مندثرة يمر الناس عليها لم تسكن من بعد أهلها إلا قليلاً من بعض العابرين، وكنا نحن الوارثين الذين نرث السماوات والأرض ومن فيها.

﴿٥٩﴾ ولم يكن ربك - أيها الرسول - مهلك القرى حتى يعذر إلى أهلها ببعث رسول في القرية الكبرى منها كما بعثك أنت في أم القرى، وهي مكة، وما كنا لنهلك أهل القرى وهم مستقيمون على الحق، إنما نهلكهم إن كانوا ظالمين بالكفر وارتكاب المعاصي.

• من فوائد الآيات،

• فضل من آمن من أهل الكتاب بالنبي محمد ﷺ، وأن له أجرين. • هداية التوفيق بيد الله لا بيد غيره من الرسل وغيرهم. • اتباع الحق وسيلة للأمن لا مبعث على الخوف كما يدعي المشركون. • خطر الترف على الفرد والمجتمع. • من رحمة الله أنه لا يهلك الناس إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل.

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ
 اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا
 فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٦﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي
 الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا
 هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ
 مَا كَانُوا إِلَّا تَابِعُودُونَ ﴿٦٨﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ
 فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ
 ﴿٦٩﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٠﴾
 فَعِمِيتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَ ذِي الْقُرْآنِ لَا يَسْأَلُونَ ﴿٧١﴾ فَأَمَّا
 مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَغَسَّيْنَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ
 ﴿٧٢﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ
 اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
 صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
 الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٥﴾

٣٩٣

ولما اعتذر المشركون عن اتباع الحق بما يلاقونه من مصاعب الحرب وانقطاع التجارة أجابهم الله بقوله:

﴿٦٥﴾ وما أعطاكم ربكم من شيء فهو مما تتمتعون به وتترزنون في الحياة الدنيا ثم يفنى، وما عند الله من الثواب العظيم في الآخرة خير وأبقى مما في الدنيا من متاع وزينة، أفلا تعقلون ذلك، فتؤثروا ما هو باق على ما هو فان؟! ﴿٦٦﴾

﴿٦٧﴾ أفمن وعدناه في الآخرة الجنة وما فيها من نعيم مقيم كمن أعطيناه ما يتمتع به من مال وزينة في الحياة الدنيا، ثم يكون يوم القيامة من المحضرين إلى نار جهنم؟! ﴿٦٨﴾

﴿٦٩﴾ ويوم يناديهم ربهم بكلاماً قائلاً: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني وتزعمون أنهم شركائي؟ ﴿٧٠﴾

﴿٧١﴾ قال الذين وجب عليهم العذاب من الدعاة إلى الكفر: ربنا هؤلاء الذين أضللناهم كما ضللنا، تبرأ إليك منهم، ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون الشياطين. ﴿٧٢﴾

﴿٧٣﴾ وقيل لهم: نادوا شركاءكم لينقذوكم مما أنتم فيه من الخزي، فنادوا شركاءهم فلم يستجيبوا لندائهم، وشاهدوا العذاب المعد لهم، فودوا لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق. ﴿٧٤﴾

﴿٧٥﴾ ويوم يناديهم ربهم قائلاً: ماذا أجبتكم به رسلي الذين بعثتهم إليكم؟ ﴿٧٦﴾

﴿٧٧﴾ فخفي عليهم ما يحتاجون به فلم يذكروا شيئاً، ولا يسأل بعضهم بعضاً؛ لما هم فيه من هول الصدمة بسبب ما أيقنوا أنهم صاترون إليه من العذاب. ﴿٧٨﴾

﴿٧٩﴾ فأما من تاب وآمن بالله ورسوله، وعمل عملاً صالحاً؛ فعسى أن يكون من الفائزين بما يطلبونه، الناجين مما يرهبونه. ﴿٨٠﴾

﴿٨١﴾ وربك - أيها الرسول - يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويصطفي من يشاء لطاعته ونبوته، ليس للمشركين الاختيار حتى يعترضوا على الله، تنزه سبحانه وتقدس عما يعبدون معه من الشركاء. ﴿٨٢﴾

﴿٨٣﴾ وربك يعلم ما تخفي صدورهم وما يعلنونه، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيهم عليه. ﴿٨٤﴾ وهو الله سبحانه لا معبود بحق غيره، له وحده الحمد في الدنيا، وله الحمد في الآخرة، وله القضاء النافذ الذي لا مرد له، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء. ﴿٨٥﴾

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● العاقل من يؤثر الباقي على الفاني.

● التوبة تجب ما قبلها.

● الاختيار لله لا لعباده، فليس لعباده أن يعترضوا عليه.

● إحاطة علم الله بما ظهر وما خفي من أعمال عباده.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَاسَمْعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ وَلَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

٣٩٤

كانوا يختلفونه من الشركاء له سبحانه.

ولما ذكر الله أن فرعون علا في الأرض بسبب السلطان ذكر طغيان قارون بسبب المال، فقال:

﴿٧١﴾ إن قارون كان من قوم موسى عليه السلام فكبر عليهم، وأعطيناه من كنوز الأموال ما إن مفاتيح خزائنه ليثقل حملها على الجماعة القوية، إذ قال له قومه: لا تفرح فرح البطر، إن الله لا يحب الفرحين فرح البطر، بل يبغضهم ويعذبهم على ذلك.

﴿٧٢﴾ واطلب فيما أعطاك الله من الأموال الثواب في الدار الآخرة؛ بأن تفقه في وجوه الخير، ولا تنس نصيبك من الأكل والشرب واللباس وغير ذلك من النعم، في غير إسراف ولا مخيلة، وأحسن التعامل مع ربك ومع عباده كما أحسن سبحانه إليك، ولا تطلب الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي وترك الطاعات، إن الله لا يحب المفسدين في الأرض بذلك، بل يبغضهم.

﴿٧٣﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تعاقب الليل والنهار نعمة من نعم الله يجب شكرها له.
- الطغيان كما يكون بالرتاسة والملك يكون بالمال.
- الفرح بطراً معصية يمقتها الله.
- ضرورة النصيح لمن يُخاف عليه من الفتنة.
- بغض الله للمفسدين في الأرض.

﴿٧١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن صير الله عليكم الليل دائماً مستمراً، لا انقطاع له إلى يوم القيامة، من معبود غير الله يأتاكم بضياء مثل ضياء النهار؟! أفلا تسمعون هذه الحجج، وتعلمون أن لا إله إلا الله يأتاكم بذلك؟!!

﴿٧٢﴾ قل لهم - أيها الرسول -: أخبروني إن صير الله عليكم النهار دائماً مستمراً إلى يوم القيامة، من معبود غير الله يأتاكم بليل تسكنون فيه لتستريحوا من عناء العمل في النهار؟! أفلا تبصرون هذه الآيات، وتعلمون أن لا إله إلا الله يأتكم بذلك كله؟!!

﴿٧٣﴾ ومن رحمته سبحانه أن جعل لكم - أيها الناس - الليل مظلماً؛ لتسكنوا فيه بعدما عانيتم من عمل في النهار، وجعل لكم النهار مضيئاً؛ لتسعوا إلى طلب الرزق فيه، ولعلكم تشكرون نعم الله عليكم ولا تكفرونها.

﴿٧٤﴾ ويوم يناديهم ربهم سبحانه قائلاً: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني، وتزعمون أنهم شركائي؟

﴿٧٥﴾ وأحضرنا من كل أمة نبياً يشهد عليها بما كانت عليه من الكفر والتكذيب، فقلنا للمكذبين من تلك الأمم: أعطوا حججكم وأدلتكم على ما كنتم عليه من الكفر والتكذيب، فانقطعت حججهم وأيقنوا أن الحق الذي لا مزية فيه لله، وغاب عنهم ما

﴿٧٨﴾ قال قارون: إنما أعطيت هذه الأموال لعلمي عندي وعلى علمي، فأنما أستحقها لذلك. أولم يعلم قارون أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هم أشد قوة وأكثر جمعاً لأموالهم؟! فما نفعهم قوتهم ولا أموالهم، ولا يسأل يوم القيامة المجرمون عن ذنوبهم لعلم الله بها، فسؤالهم سؤال تبكيت وتوبيخ.

﴿٧٩﴾ فخرج قارون في زينته مظهرًا أُنْهَتْهُ، قال الذين يطعمون في زينته الحياة الدنيا من أصحاب قارون: يا ليتنا أعطينا من زينة الدنيا مثل ما أعطي قارون، إن قارون لذو نصيب وافر كبير.

﴿٨٠﴾ وقال الذين أعطوا العلم حين رأوا قارون في زينته وسمعوا ما تمناه أصحابه: ويلكم! ثواب الله في الآخرة، وما أعدّه من النعيم لمن آمن به وعمل عملاً صالحاً، خير مما أعطي قارون من زهرة الدنيا، ولا يوفق لقول هذه الكلمة والعمل بما تقتضيه إلا الصابرون الذين يصبرون على إظهار ما عند الله من ثواب على ما في الدنيا من متاع زائل.

﴿٨١﴾ فخشفنا الأرض به وبيداره ومن فيها انتقاماً منه على بغيه، فما كان له من جماعة ينصرونه من دون الله، وما كان من المتصصرين بنفسه.

﴿٨٢﴾ وأصبح الذين تمنوا ما كان فيه من

المال والزينة قبل الخسف به يقولون متحسرين معتبرين: ألم نعلم أن الله يسطر الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقة على من يشاء منهم؟! لولا أن من الله علينا فلم يعاقبنا بما قلنا؛ لخسف بنا مثل ما خسف بقارون، إنه لا يفوز الكافرون، لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل إن مصيرهم ومآلهم الخسران فيها.

﴿٨٣﴾ تلك الدار الآخرة نجعلها دار نعيم وتكريم للذين لا يريدون تكبراً في الأرض عن الإيمان بالحق واتباعه، ولا يريدون فساداً فيها، والعاقبة المحمودة هي بما في الجنة من نعيم، وما يحل فيها من رضا الله للمتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٨٤﴾ من جاء بالحسنة يوم القيامة - من صلاة وزكاة وصيام وغيره - فله جزاء خير من تلك الحسنة حيث تضاعف له الحسنة إلى عشر أمثالها، ومن جاء يوم القيامة بالسيئة - من كفر وأكل ربا وزنى وغير ذلك - فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا مثل ما عملوا دون زيادة.

﴿٨٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- كل ما في الإنسان من خير ونعم، فهو من الله خلقاً وتقديراً.
- أهل العلم هم أهل الحكمة والنجاة من الفتن؛ لأن العلم يوجه صاحبه إلى الصواب.
- العلو والكبر في الأرض ونشر الفساد عاقبته الهلاك والخسران.
- سعة رحمة الله وعدله بمضاعفة الحسنات للمؤمن وعدم مضاعفة السيئات للكافر.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ وَعَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيْلَتٍ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُونَ وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَاذِبُونَ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

﴿٨٥﴾ إن الذي أنزل عليك القرآن وفرض عليك تبليغه والعمل بما فيه لمرجعك إلى مكة فاتحاً، قل - أيها الرسول - للمشركين: ربي أعلم بمن جاء بالهدى، ومن هو في ضلال واضح عن الهدى والحق.

﴿٨٦﴾ وما كنت - أيها الرسول - تأمل - قبل البعثة - أن يلقي إليك القرآن وحياً من الله، لكن رحمة منه سبحانه اقتضت إنزاله عليك، فلا تكونن معيئاً للكافرين على ما هم فيه من الضلال.

﴿٨٧﴾ ولا يصرفنك هؤلاء المشركون عن آيات الله بعد إنزالها عليك فتترك تلاوتها وتبليغها، وادع الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده والعمل بشرعه، ولا تكونن من المشركين الذين يعبدون مع الله غيره، بل كن من الموحدين الذين لا يعبدون إلا الله وحده.

﴿٨٨﴾ ولا تعبد مع الله معبوداً غيره، لا معبود بحق غيره، كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه، له وحده الحكم يحكم بما يشاء، واليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

سورة العنكبوت

— مكة —

﴿١﴾ من مقاصد السورة:

تركز على قضية الثبات والصبر حال الابتلاء والفتن وعاقبته.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بِعَدَاذِ أَنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَنكبُوتُ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

٣٩٦

﴿١﴾ التفسير:

﴿١﴾ سبق الكلام عن نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ أَظُنُّ النَّاسَ أَنَّهُمْ يَقُولُهُمْ: آمنا بالله، يُتركون دون اختبار يبين حقيقة ما قالوا: هل هم مؤمنون حقاً؟ ليس الأمر كما ظنوا.

﴿٣﴾ ولقد اخترنا الذين كانوا قبلهم، فليعلمن الله علم ظهور ويكشف لكم صدق الصادقين في إيمانهم وكذب الكاذبين فيه. ﴿٤﴾ بل أَظُنُّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْمَعَاصِي مِنَ الشُّرْكِ وَغَيْرِهِ أَنْ يَعْجِزُونَا، وينجوا من عقابنا؟ فَبُحِّحَ حكمهم الذي يحكمون به، فهم لا يعجزون الله، ولا ينجون من عقابه إن ماتوا على كفرهم.

﴿٥﴾ من كان يأمل لقاء الله يوم القيامة ليشبهه فليعلم أن الأجل الذي ضربه الله لذلك لآت قريباً، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بأفعالهم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٦﴾ ومن جاهد نفسه بحملها على الطاعة والبعد عن المعصية، وجاهد في سبيل الله فإنما يجاهد لنفسه؛ لأن نفع ذلك عائد إليها، والله غني عن المخلوقات كلها، فلا تزيده طاعتهم، ولا تنقصه معصيتهم.

﴿٧﴾ من فوائد الآيات:

- النهي عن إعانة أهل الضلال.
- الأمر بالتمسك بتوحيد الله والبعد عن الشرك به.
- ابتلاء المؤمنين واختبارهم سُنَّةَ إلهية.
- غنى الله عن طاعة عباده.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَاُنْتَكَرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِمَحْمِلِينَ مِّنْ خَطِيئَتِهِمْ مَّنْ
شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنفَالَا مَعَ
أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

٣٩٧

﴿٧﴾ والذين آمنوا وصبروا على امتحاننا لهم. وعملوا الأعمال الصالحات لنمحو ذنوبهم بما عملوه من الأعمال الصالحة، ولنثيبهم في الآخرة أحسن الذي كانوا يعملون في الدنيا.

﴿٨﴾ ووصينا الإنسان بوالديه أن يبرهما ويحسن إليهما، وإن جاهدك والداك - أيها الإنسان - لتشرك بي ما ليس لك بإشراكه علم - كما وقع لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من أمه - فلا تطعهما في ذلك لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إلي وحدي رجوعكم يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، وأجازيكم عليه.

﴿٩﴾ والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لندخلنهم يوم القيامة في الصالحين، فنحشرهم معهم، ونثيبهم ثوابهم.

﴿١٠﴾ ومن الناس من يقول: آمنا بالله، فإذا أذاه الكفار على إيمانه جعل عذابهم له كعذاب الله فارتد عن الإيمان موافقة للكفار، ولئن حصل نصر من ربك لك - أيها الرسول - ليقولن: إنا كنا معكم - أيها المؤمنون - على الإيمان، أوليس الله بأعلم بما صدور الناس؟! لا يخفى عليه ما فيها من الكفر والإيمان، فكيف يثبتون الله بما في قلوبهم وهو أعلم بما فيها منهم؟!

﴿١١﴾ وليعلمن الله الذين آمنوا به حقًا، وليعلمن المنافقين الذين يظهرون الإيمان، ويضمرون الكفر. ﴿١٢﴾ وقال الذين كفروا للذين آمنوا بالله وحده: اتبعوا ديننا وما نحن عليه، ونحمل نحن عنكم ذنوبكم، فنجازي عليها دونكم، وليسوا بحاملين شيئًا من ذنوبهم، وإنهم لكاذبون في قولهم هذا. ولما كان نفي حملهم لخطايا غيرهم قد يفهم منه أن الكفار الداعين إلى ضلالتهم لا يأثمون إثمًا زائدًا بسبب ذلك رفع ذلك الإيهام بقوله:

﴿١٣﴾ وليحملن هؤلاء المشركون الداعون إلى باطلهم ذنوبهم التي اقترفوها، وليحملن ذنوب من اتبع دعوتهم دون أن ينقص من ذنوب التابعين لهم شيء، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يختلفونه في الدنيا من الأباطيل.

﴿١٤﴾ ولقد بعثنا نوحًا رسولًا إلى قومه، فمكث فيهم مدة تسع مئة وخمسين عامًا يدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوه واستمروا على كفرهم، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم لرسله، فهلكوا بالغرق.

● مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الأعمال الصالحة تُكَفِّرُ الله بها الذنوب.
- تأكد وجوب البر بالأبوين.
- الإيمان بالله يقتضي الصبر على الأذى في سبيله.
- من سنَّ سيئة فعلية وزرعا ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَانْتَفُوا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٢٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٣﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٤﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٧﴾

٣٩٨

﴿١٩﴾ فَأَنقَذْنَا نوحًا وَمَن مَّعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي السَّفِينَةِ مِنَ الْهَلَاكِ بِالْعُرْقِ، وَجَعَلْنَا السَّفِينَةَ عِبْرَةً لِلنَّاسِ يَعْتَبِرُونَ بِهَا.

﴿٢٠﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة إبراهيم حين قال لقومه: اعبدوا الله وحده، واتقوا عقابه بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، ذلكم المأمور به خير لكم إن كنتم تعلمون.

﴿٢١﴾ إنما تعبدون - أيها المشركون - أصنامًا لا تنفع ولا تضر، وتختلقون الكذب حين تزعمون استحقاقها للعبادة، إن الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم رزقًا فيرزقوكم، فاطلبوا عند الله الرزق فهو الرزاق، واعبدوه وحده، واشكروا له ما أنعم به عليكم من الرزق، إليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء لا إلى أصنامكم.

﴿٢٢﴾ وإن تكذبوا - أيها المشركون - بما جاء به محمد ﷺ، فقد كذبت أمم من قبلكم كقوم نوح وعاد وثمود، وما على الرسول إلا البلاغ الواضح، وقد بلغكم ما أمره ربه بتبليغه إليكم.

﴿٢٣﴾ أولم ير هؤلاء المكذبون كيف يخلق الله الخلق ابتداء، ثم يعيده بعد فنائه؟! إن ذلك على الله سهل، فهو قادر لا يعجزه شيء.

﴿٢٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين بالبعث: سيروا في الأرض

فتأملوا كيف بدأ الله الخلق، ثم الله يحيي الناس بعد موتهم الحياة الثانية للبعث والحساب، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فلا يعجز عن بعث الناس كما لم يعجز عن خلقهم أولاً.

﴿٢٥﴾ يعذب من يشاء من خلقه بعدله، ويرحم من يشاء من خلقه بفضله، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب حين يبعثكم من قبوركم أحياء.

﴿٢٦﴾ ولستم بفائزين ربكم، ولا متفوتين من عقابه في الأرض ولا في السماء، وليس لكم من دون الله ولي يتولى أمركم، وليس لكم من دون الله نصير يرفع عنكم عذابه.

﴿٢٧﴾ والذين كفروا بآيات الله سبحانه وبلغائه يوم القيامة، أولئك قنطوا من رحمتي، فلن يدخلوا الجنة أبدًا لكفرهم، وأولئك لهم عذاب موجه ينتظرون في الآخرة.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الأصنام لا تملك رزقًا، فلا تستحق العبادة.

• طلب الرزق إنما يكون من الله الذي يملك الرزق.

• بدء الخلق دليل على البعث.

• دخول الجنة محرم على من مات على كفره.

﴿٢١﴾ فما كان جواب قوم إبراهيم له - بعد ما أمرهم به من عبادة الله وحده وترك عبادة غيره من الأوثان - إلا أن قالوا: اقتلوه أو ارموه في النار انتصاراً لألهتكم، فسلمه الله من النار، إن في تسليمه من النار بعد رميه فيها لعبيراً لقوم يؤمنون؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالعبر.

﴿٢٢﴾ وقال إبراهيم ﷺ لقومه: إنما اتخذتم أصداناً آلهة تعبدونها للتعارف والتواؤ على عبادتها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة ينقطع ذلك التواؤ بينكم، فيتبرأ بعضكم من بعض عند معاناة العذاب، ويلعن بعضكم بعضاً، ومقرّكم الذي تأوون إليه النار، وليس لكم من ناصرين يمنعونكم من عذاب الله، لا من أصنامكم التي كنتم تعبدونها من دون الله، ولا من غيرها. ﴿٢٣﴾ فآمن له لوط ﷺ، وقال إبراهيم ﷺ: إني مهاجر إلى ربي إلى أرض الشام المباركة، إنه هو العزيز الذي لا يغالب، ولا يذل من هاجر إليه، الحكيم في تقديره وتدبيره.

﴿٢٤﴾ وأعطينا إبراهيم إسحاق وابنه يعقوب، وصيرنا في أولاده النبوة، والكتب المنزلة من عند الله، وأعطيناه ثواب صبره على الحق في الدنيا بصلاح الأولاد والثناء الحسن، وإنه في الآخرة ليُجزى جزاء الصالحين، لا ينقص ما أعطي في الدنيا ما أعد له من الجزاء الكريم في الآخرة.

﴿٢٥﴾ واذكر - أيها الرسول - لوطاً حين قال لقومه: إنكم لتأتون الذنب القبيح ما سبقكم إلى الإتيان به أحد من العالمين قبلكم، فأنتم أول من ابتدئ هذا الذنب الذي تأباه الفطر السليمة.

﴿٢٦﴾ أنكم لتأتون الذكران في أديارهم لقضاء شهوتكم، وتقطعون الطريق على المسافرين فلا يمرون بكم خشية ما ترتكبونه من الفاحشة، وتأتون في مجالسكم الأفعال المنكرة كالعري وإيذاء من يمرّ بكم بالقول والفعل؟ فما كان جواب قومه له بعد نهيه لهم عن فعل المنكرات إلا أن قالوا له: اتتنا بعداب الله الذي تهددنا به إن كنت صادقاً فيما تدعيه.

﴿٢٧﴾ قال لوط ﷺ داعياً ربه بعد تعنت قومه وطلبهم إنزال العذاب عليهم استخفافاً به: ربّ انصرني على القوم المفسدين في الأرض بما ينشرونه من الكفر والمعاصي المستقبحة.

﴿٢٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- عناية الله بعباده الصالحين حيث ينجيهم من مكر أعدائهم.
- فضل الهجرة إلى الله.
- عظم منزلة إبراهيم وآله عند الله تعالى.
- تعجيل بعض الأجر في الدنيا لا يعني نقص الثواب في الآخرة.
- قبح تعاطي المنكرات في المجالس العامة.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم مِّبَعْضٍ وَبَلَعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن تَنْصِيرٍ ﴿٢٣﴾ * فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٥﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ أَتَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّنَابِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٨﴾

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا
 أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣٦﴾
 قَالَ إِنَّا فِيهَا لُوْطًا قَالُوا أَنْحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ
 وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَلَمَّا
 أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
 وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا
 أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٨﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
 ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ﴿٤٠﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
 وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
 ﴿٤١﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
 جِثِيمِينَ ﴿٤٢﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ أَوْ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ
 مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَرَبِّنَا لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ
 فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٤٣﴾

٤٠٠

﴿٣٦﴾ ولما جاءت الملائكة الذين بعثناهم يبشرون إبراهيم بإسحاق ومن بعده ابنه يعقوب قالوا له: إنا مهلكو أهل قرية سدوم قرية قوم لوط؛ إن أهلها كانوا ظالمين بما يقومون به من فعل الفاحشة.

﴿٣٧﴾ قال إبراهيم ﷺ للملائكة: إن في هذه القرية التي تريدون إهلاك أهلها لوطًا، وليس هو من الظالمين، قالت الملائكة: نحن أعلم بمن فيها، لننقذته وأهله من الهلاك المنزل على أهل القرية إلا امرأته كانت من الباقيين الهالكين، فسنهلكها معهم.

﴿٣٨﴾ ولما أتت الملائكة الذين بعثناهم لإهلاك قوم لوط لوطًا ساء وأحزنه مجيئهم خوفًا عليهم من خبث قومه، فقد جاءت الملائكة في شكل رجال، وقومه يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وقال له الملائكة: لا تخف، فلن يصل إليك قومك بسوء، ولا تحزن على ما أخبرناك من إهلاكهم، إنا منقذوك وأهلك من الهلاك، إلا امرأتك كانت من الباقيين الهالكين، فسنهلكها معهم.

﴿٣٩﴾ إنا منزلون على أهل هذه القرية التي كانت تعمل الخبائث عذابًا من السماء، وهو حجارة من سجيل؛ عقابًا لهم على خروجهم عن طاعة الله بما يرتكبون من الفاحشة القبيحة، وهي إتيان الرجال شهوة دون النساء.

﴿٤٠﴾ ولقد تركنا من هذه القرية التي أهلكناها آية واضحة لقوم يعقلون؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات. وأرسلنا إلى مدين أخاهم في النسب شعيبًا ﷺ، فقال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، وارجوا بعبادتكم إياه الجزاء في اليوم الآخر، ولا تفسدوا في الأرض بفعل المعاصي ونشرها.

﴿٤١﴾ فكذبوه قومه، فأصابتهم الزلزلة، فأصبحوا في دارهم ساقطين على وجوههم قد لصقت وجوههم بالتراب، لا حراك بهم.

﴿٤٢﴾ وأهلكنا كذلك عادًا قوم هود، وثمود قوم صالح، وقد تبين لكم - يا أهل مكة - من مساكنهم بالجحر والشحر من حضرموت ما يدلكم على إهلاكهم، فمساكنهم الخاوية شاهدة على ذلك، وحسن لهم الشيطان أعمالهم التي كانوا عليها من الكفر وغيره من المعاصي، فصرفهم عن الطريق المستقيم، وكانوا ذوي إصرار بالحق والضلال والرشد والغي بما علمتهم رسلهم، لكن اختاروا اتباع الهوى على اتباع الهدى.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- قوله تعالى: ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ...﴾ تدل على معرفة العرب بمساكنهم وأخبارهم.
- العلائق البشرية لا تنفع إلا مع الإيمان.
- الحرص على أمن الضيوف وسلامتهم من الاعتداء عليهم.
- منازل المهلكين بالعذاب عبرة للمعتبرين.
- العلم بالحق لا ينفع مع اتباع الهوى وإثاره على الهدى.

وَقَرُّونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ
فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيْنَ ﴿٤٩﴾
فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٢﴾ وَتِلْكَ
الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٥٣﴾
خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾ أَتُلُّ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٥٥﴾

٤٠١

﴿٤٩﴾ وأهلكنا قارون - لما بغى على قوم موسى - بالخسف به وبداره، وأهلكنا فرعون ووزيره هامان بالغرق في البحر، ولقد جاءهم موسى بالآيات الواضحات الدالة على صدقه، فاستكبروا في أرض مصر عن الإيمان به، وما كانوا ليسلموا من عذابنا بغوتهم لنا.

﴿٥٠﴾ فأخذنا كلًّا من المذكورين سابقًا بعذابنا المُهْلِك، فمنهم قوم لوط الذين أرسلنا عليهم حجارة من سجيل مَظْهُود، ومنهم قوم صالح وقوم شعيب الذين أخذتهم الصيحة، ومنهم قارون الذي خسفنا به وبداره الأرض، ومنهم قوم نوح وفرعون وهامان الذين أهلكناهم بالغرق، وما كان الله ليظلمهم بإهلاكهم بغير ذنب، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بارتكاب المعاصي، فاستحقوا العذاب.

﴿٥١﴾ مثل المشركين الذين اتخذوا من دون الله أصنامًا يعبدونها رجاء نفعهم أو شفاعتهم كمثال العنكبوت اتخذت بيتًا يحميها من الاعتداء عليها، وإن أضعف البيوت لبیت العنكبوت، فهو لا يدفع عنها عدوًّا، وكذلك أصنامهم لا تنفع ولا تضر ولا تشفع، لو كان المشركون يعلمون ذلك لما اتخذوا أصنامًا يعبدونها من دون الله.

﴿٥٢﴾ إن الله ﷻ يعلم ما يعبدونه من دونه، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو العزيز الذي لا يُغَالَب، الحكيم في خلقه وتقديره وتدبيره.

﴿٥٣﴾ وهذه الأمثال التي نضربها للناس لتوقظهم وتبصرهم بالحق، وتهديهم إليه، ما يدركها على الوجه المطلوب إلا العالمون بشرع الله وحكمه.

﴿٥٤﴾ خلق الله ﷻ السماوات وخلق الأرض بالحق، ولم يخلقها بالباطل ولم يخلقها عبثًا، إن في ذلك الخلق لدلالة واضحة على قدرة الله للمؤمنين؛ لأنهم هم الذين يستدلون بخلق الله على الخالق سبحانه، وأما الكافرون فإنهم يَمُرُّون على الآيات في الآفاق والأنفس دون أن تلفت انتباههم إلى عظمة الخالق وقدرته سبحانه.

﴿٥٥﴾ اقرأ - أيها الرسول - على الناس ما أوحى به الله إليك من القرآن، واثب بالصلاة على أكمل وجه، إن الصلاة المؤداة بصفحتها الكاملة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات؛ لما تحدثه من نور في القلوب يمنع من اقتراف المعاصي، ويرشد إلى عمل الصالحات، ولذكر الله أكبر وأعظم من كل شيء، والله يعلم ما تصنعونه، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم على أعمالكم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ :

- أهمية ضرب المثل : «مثل العنكبوت» .
- تعدد أنواع العذاب في الدنيا .
- تنزُّه الله عن الظلم .
- التعلُّق بغير الله تعلق بأضعف الأسباب .
- أهمية الصلاة في تقويم سلوك المؤمن .

﴿٤٦﴾ وَلَا تَجِدْ لَوْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَأَمْنَا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَنَاءُ وَالْهَكْمُ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ وَبِمِيزِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْتَطِلُونَ ﴿٤٩﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيْنَكُمُ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٣﴾

٤٠٢

﴿٤٦﴾ ولا تحاوروا - أيها المؤمنون - ولا تخاصموا اليهود والنصارى إلا بالأسلوب الأحسن والطريقة المثلى وهي الدعوة بالموعظة والحجج البينة، إلا الذين ظلموا منهم بالعناد والمكابرة، وأعلنوا الحرب عليكم، فقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وقولوا لليهود والنصارى: آمنا بالذي أنزل الله إلينا من القرآن، وآمنا بالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل، والهناء والهناء واحد لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وكماله، ونحن له وحده منقادون متذللون.

﴿٤٧﴾ وكما أنزلنا الكتب على من قبلك أنزلنا عليك القرآن، فبعض هؤلاء الذين يقرؤون التوراة - مثل عبد الله بن سلام - يؤمنون به؛ لما يجدونه من نفعه في كتبهم، ومن هؤلاء المشركين من يؤمن به، وما يكفر بآياتنا إلا الكافرون الذين دأبهم الكفر والنجود للحق مع ظهوره.

﴿٤٨﴾ وما كنت - أيها الرسول - تقرأ قبل القرآن أي كتاب، وما كنت تكتب شيئاً بسمينك؛ لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولو كنت تقرأ وتكتب لشك الجهلة من الناس في نبوتك، وتذرعوا بأنك كنت تكتب عن الكتب السابقة.

﴿٤٩﴾ بل القرآن المنزل عليك آيات واضحة في صدور الذين أعطوا

العلم من المؤمنين، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون لأنفسهم بالكفر بالله والشرك به.

﴿٥٠﴾ وقال المشركون: هلاً أنزل على محمد آيات من ربه مثل ما أنزل على الرسل من قبله، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المقترحين: إنما الآيات بيد الله سبحانه، ينزلها متى شاء، وليس إليّ إنزالها، وإنما أنا نذير لكم من عقاب الله، واضح النذارة.

﴿٥١﴾ أولم يكف هؤلاء المقترحين للآيات أنا أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن يقرأ عليهم، إن في القرآن المنزل عليهم لرحمة وعظة لقوم يؤمنون، فهم الذين ينتفعون بما فيه، فما أنزل عليهم خير مما اقترحوه من نظير ما أنزل على الرسل سابقاً.

﴿٥٢﴾ قل - أيها الرسول - كفى بالله سبحانه شاهداً على صدقي فيما جئت به، وعلى تكذيبكم به، يعلم ما في السماوات ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء فيهما، والذين آمنوا بالباطل من كل ما يعبد من دون الله، وكفروا بالله المستحق وحده للعبادة، أولئك هم الخاسرون؛ لاستبدالهم الكفر بالإيمان.

﴿٥٣﴾ من قَوَايِدِ الْآيَاتِ.

- مجادلة أهل الكتاب تكون بالتي هي أحسن.
- الإيمان بجميع الرسل والكتب دون تفريق شرط لصحة الإيمان.
- القرآن الكريم الآية الخالدة والحجة الدائمة على صدق النبي ﷺ.

﴿٥٣﴾ يستعجلك - أيها الرسول - المشركون بالعذاب الذي أنذرتهم إياه، ولولا أن الله قدر لعذابهم وقتاً لا يتقدم عنه ولا يتأخر لجاءهم ما طلبوا من العذاب، وليأتينهم فجأة وهم لا يتوقعونه.

﴿٥٤﴾ يستعجلونك بالعذاب الذي وعدتهم إياه، وإن جهنم التي وعدها الله الكافرين لمحيطه بهم، لا يستطيعون الفرار من عذابها.

﴿٥٥﴾ يوم يُعْطِيهِم العذاب من فوقهم، ويكون فراشاً لهم من تحت أرجلهم، ويقول لهم الله توبيخاً لهم: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من الشرك والمعاصي.

﴿٥٦﴾ يا عبادي الذين آمنوا بي، هاجروا من أرض لا تتمكنون فيها من عبادتي، إن أرضي واسعة فاعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي أحداً.

﴿٥٧﴾ ولا يمنعكم من الهجرة خوف الموت، كل نفس ذائقة الموت، ثم إلينا وحدنا ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٥٨﴾ والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات التي تقرب إليه لنزلتهم من الجنة غرفاً تجري الأنهار من تحتها مائكين فيها أبداً، لا يلحقهم فيها فناء، نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذا الجزاء.

﴿٥٩﴾ نعم جزاء العاملين بطاعة الله

الذين صبروا على طاعته وعن معصيته، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أمورهم.

﴿٦٠﴾ كل الدواب - على كثرتها - التي لا تستطيع جمع رزقها ولا حمله الله يرزقها ويرزقكم، فلا عذر لكم في ترك الهجرة خوفاً من الجوع، وهو السميع لأقوالكم، العليم بنياتكم وأفعالكم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وسيجازيكم عليه.

﴿٦١﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات؟ ومن خلق الأرض؟ ومن سخر الشمس والقمر وهما بتعاقبان؟ ليقولن: خلقهن الله، فكيف يَصْرَفُونَ عن الإيمان بالله وحده، ويعبدون من دونه آلهة لا تنفع ولا تضر؟

﴿٦٢﴾ الله يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء؛ لحكمة يعلمها هو، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، فلا يخفى عليه ما يصلح لعباده من تدبير.

﴿٦٣﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - المشركين: من نزل من السماء ماء فأنبث به الأرض بعد أن كانت قاحلة؟ ليقولن: أنزل المطر من السماء وأنبث به الأرض الله، قل - أيها الرسول -: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل الحاصل أن معظمهم لا يعقلون؛ إذ لو كانوا يعقلون لما أشركوا مع الله أصناماً لا تنفع ولا تضر.

﴿٦٤﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

● استعجال الكافر بالعذاب دليل على حمقه. ● باب الهجرة من أجل سلامة الدين مفتوح. ● فضل الصبر والتوكل على الله. ● الإقرار بالربوبية دون الإقرار بالآلوهية لا يحقق لصاحبه النجاة والإيمان.

وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة هي
الحيوان لو كانوا يعلمون ﴿٦٥﴾ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الذين فلما تجتهدهم إلى البر إذا هم يشركون ﴿٦٦﴾
ليكفروا بماء آتيتهم وليمتنعوا فسوف يعلمون ﴿٦٧﴾
أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من
حوлиهم أفبالبطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴿٦٨﴾
ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه
اليس في جهنم مثوى للكافرين ﴿٦٩﴾ والذين جهدوا
فينا لنهديتهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴿٧٠﴾

ولما سجل الله على المشركين
تناقضهم؛ بإيمانهم بربوبية الله عندما
يسألون عن خلق السماوات
والأرض. وكفرهم بألوهيته عندما
يعبدون غيره، سجل عليهم تناقضاً آخر
هو إخلاصهم التوحيد عند الخوف من
الغرق وعودتهم للشرك عند أمنهم منه،
فقال:

﴿٧١﴾ وإذا ركب المشركون في السفن في
البحر دعوا الله وحده مخلصين له
الدعاء أن ينجيهم من الغرق، فلما
نجاهم من الغرق انقلبوا مشركين
يدعون معه آلهتهم.

﴿٧٢﴾ انقلبوا مشركين ليكفروا بما
أعطيناهم من النعم، وليمتنعوا بما
أعطوا من زهرة الحياة الدنيا، فسوف
يعلمون عاقبتهم السيئة عندما يموتون.

﴿٧٣﴾ أولم ير هؤلاء الجاحدون لنعمة الله
عليهم حين نجاهم من الغرق لنعمة الله
أخرى؛ هي أنا جعلنا لهم حرماً يأمنون
فيه على دماءهم وأموالهم. على حين
أن غيرهم تُشن عليهم الغارات،
فيقتلون ويؤسرون وتُسبى نساؤهم
وذرايهم، وتُنهَب أموالهم، أفبالباطل
من آلهتهم المزعومة يؤمنون، وبنعمة الله
عليهم يكفرون، فلا يشكرونها لله؟! ﴿٧٤﴾

﴿٧٥﴾ لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بأن نسب إليه شريكاً، أو كذب بالحق الذي جاء به رسوله، لا شك أن في

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ
بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

٤٠٤

﴿٧٦﴾ والذين جاهدوا أنفسهم ابتغاء مرضاتنا لنوفقهم لإصابة الطريق المستقيم، وإن الله مع المحسنين بالعون والنصر
والهداية.

سُورَةُ الرُّومِ

— مكية —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّوَرِ:

بيان الحقيقة الكونية في أن تصريف الأمور والأحوال والأحداث لله وحده؛ كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ
بَعْدُ﴾.

• التَّفْسِيرُ:

﴿١﴾ سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. ﴿٢﴾ غَلَبَتِ فارِسُ الروم. ﴿٣﴾ في زمن لا يقل عن ثلاث سنوات، ولا يزيد على
عشر، لله الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون. ﴿٤﴾ يفرحون بنصر الله للروم
لأنهم أهل كتاب، ينصر الله من يشاء على من يشاء، وهو العزيز الذي لا يُغالب، الرحيم بعباده المؤمنين.

• مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ: • لجوء المشركين إلى الله في الشدة ونسيانهم لأصنامهم. وإشراكهم به في الرخاء؛ دليل على
تخبطهم. • الجهاد في سبيل الله سبب للتوفيق إلى الحق. • إخبار القرآن بالغيبات دليل على أنه من عند الله.

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا السَّوْءَ إِنَّ كَذِبَ أُولَئِكَ أَنَّ اللَّهَ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَخُونَ أَصْفَادُهُمْ فَيُتَنَفَّسُونَ ﴿١٤﴾ فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَئِن سَأَلْتُمُ النَّاسَ عَنِ النَّارِ لَقَالُوا الْمَوْتُ الَّذِي فَلَّحْنَاهُم بِهِمْ وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَن يَمُوتُوا فَنَسُوا حَتَّى إِذَا فُتِقَتْ سَدَاتُ السَّمَاءِ وَوُضِعَ الْمَوْزِنُ يُظْهَرُ لِنَاسٍ أَلَهُمْ خَزَائِرُ عَذَابٍ بَلَىٰ ذَٰلِكُمْ أَكْبَرُ مِمَّا نَسُوا حَتَّىٰ تَخْرُجُوا فِيهَا كَالْفُتَاتِ يُسْتَعْتَبُونَ فِيهَا وَلَهُمْ فِيهَا مَنَازِلُ مُتَتَابِعَةٌ أُولَئِكَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّتَزَوِّجَةٌ فِيهَا تَجَافَىٰ لِمَنِ اسْمُهُمْ فَهُمْ فِيهَا مُّقْنَصُونَ وَلَا يَخْرُجُ فِيهَا وَالْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِّ وَلَئِن سَأَلْتُمُ النَّاسَ عَنِ النَّارِ لَقَالُوا الْمَوْتُ الَّذِي فَلَّحْنَاهُم بِهِمْ وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَن يَمُوتُوا فَنَسُوا حَتَّىٰ إِذَا فُتِقَتْ سَدَاتُ السَّمَاءِ وَوُضِعَ الْمَوْزِنُ يُظْهَرُ لِنَاسٍ أَلَهُمْ خَزَائِرُ عَذَابٍ بَلَىٰ ذَٰلِكُمْ أَكْبَرُ مِمَّا نَسُوا حَتَّىٰ تَخْرُجُوا فِيهَا كَالْفُتَاتِ يُسْتَعْتَبُونَ فِيهَا وَلَهُمْ فِيهَا مَنَازِلُ مُتَتَابِعَةٌ أُولَئِكَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّتَزَوِّجَةٌ فِيهَا تَجَافَىٰ لِمَنِ اسْمُهُمْ فَهُمْ فِيهَا مُّقْنَصُونَ وَلَا يَخْرُجُ فِيهَا وَالْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِّ

٤٠٥

﴿١٤﴾ هذا النصر كان وعدًا من الله تعالى، ويتحققه يزداد المؤمنون يقينًا بوعد الله بالنصر، أما أكثر الناس فلا يفقهون هذا لكفرهم.

﴿١٥﴾ لا يعلمون الإيمان وأحكام الشرع، وإنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا يتعلق بكسب المعاش وبناء الحضارة المادية، وهم عن الآخرة التي هي دار الحياة الحقيقية معرضون، لا يلتفتون إليها.

﴿١٦﴾ أولم يتفكر هؤلاء المشركون المكذبون في أنفسهم كيف خلقها الله وسواها.

ما خلق الله السماوات وما خلق الأرض إلا بالحق، فلم يخلقهما عبثاً، وجعل لهما أجلاً محدداً لبقائهما في الدنيا، وإن كثيراً من الناس بقاء ربهم يوم القيامة لكافرون، لذلك فهم لا يستعدون للبعث بالعمل الصالح المرضي عند ربهم.

﴿١٧﴾ أولم يسر هؤلاء في الأرض ليتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، كانت هذه الأمم أشد منهم قوة، وقلوب الأرض للزراعة والتعمير، وعمروها أكثر مما عمرها هؤلاء، وجاءتهم رسلهم بالبراهين والحجج الواضحة على توحيد الله فكذبوا، فما ظلمهم الله حين أهلكهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم.

﴿١٨﴾ ثم كانت نهاية الذين ساءت أعمالهم بالشرك بالله وعمل السيئات، النهاية البالغة في السوء؛ لأنهم كذبوا بآيات الله، وكانوا يستهزئون بها، ويسخرون منها.

﴿١٩﴾ الله يبدأ الخلق على غير مثال سابق، ثم يقنيه، ثم يعيده، ثم إليه وحده ترجعون للحساب والجزاء يوم القيامة.

﴿٢٠﴾ ويوم تقوم الساعة يبئس المجرمون من رحمة الله، وينقطع أملهم فيه؛ لانقطاع حجتهم على الكفر بالله.

﴿٢١﴾ ولم يكن لهم من شركائهم - الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا - من يشفعون لإنقاذهم من العذاب، وكانوا بشركائهم كافرين، فقد خذلوهم حين كانوا بحاجة إليهم لأنهم كلهم سواء في الهلاك.

﴿٢٢﴾ ويوم تقوم الساعة في ذلك اليوم يفرق الناس في الجزاء حسب أعمالهم في الدنيا، بين مرفوع إلى عليين، ومخفض إلى أسفل سافلين.

﴿٢٣﴾ فأما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات المرضية عنده، فهم في جنة يُسَرَّون بما ينالون فيها من النعيم الدائم الذي لا ينقطع أبداً.

• مِنْ هَوَايَا الْآيَاتِ،

- العلم بما يصلح الدنيا مع الغفلة عما يصلح الآخرة لا ينفع.
- آيات الله في الأنفس وفي الآفاق كافية للدلالة على توحيدة.
- الظلم سبب هلاك الأمم السابقة.
- يوم القيامة يرفع الله المؤمنين، ويخفض الكافرين.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ
قَالُوا لَيْتَكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿٦٦﴾ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ نُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿٦٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ
﴿٦٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
تَنْتَشِرُونَ ﴿٧٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ
بَالَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧٤﴾

٤٠٦

﴿٦٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِنَا، وَكَذَّبُوا
بِالْبَيْتِ وَالْحَسَابِ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ
أُحْضِرُوا لِلْعَذَابِ فَهُمْ مُلَازِمُونَ لَهُ.

﴿٦٧﴾ فَسَبِّحُوا اللَّهَ حِينَ تَدْخُلُونَ فِي
وَقْتُ الْمَسَاءِ؛ وَهُوَ وَقْتُ صَلَاتِي:
الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ. وَسَبِّحُوهُ حِينَ
تَدْخُلُونَ فِي وَقْتُ الصَّبَاحِ، وَهُوَ وَقْتُ
صَلَاةِ الْفَجْرِ.

﴿٦٨﴾ وَلَهُ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ الثَّنَاءُ؛ فِي
السَّمَاوَاتِ يَحْمَدُهُ مَلَائِكَتُهُ، وَفِي
الْأَرْضِ تَحْمَدُهُ خَلْقُهُ، وَسَبِّحُوهُ حِينَ
تَدْخُلُونَ فِي الْعِشِيِّ وَهُوَ وَقْتُ صَلَاةِ
الْعَصْرِ، وَسَبِّحُوهُ حِينَ تَدْخُلُونَ فِي
وَقْتُ الظُّهْرِ.

﴿٦٩﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، مِثْلَ
إِخْرَاجِهِ الْإِنْسَانَ مِنَ النُّطْفَةِ، وَالْفَرْخَ
مِنَ الْبَيْضَةِ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ،
مِثْلَ إِخْرَاجِهِ النُّطْفَةَ مِنَ الْإِنْسَانِ،
وَالْبَيْضَةَ مِنَ الدَّجَاجَةِ، وَيُحْيِي الْأَرْضَ
بَعْدَ جَفَافِهَا بِإِنْزَالِ الْمَطَرِ وَإِنْبَاتِهَا،
وَمِثْلَ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِإِنْبَاتِهَا تَخْرُجُونَ
مِنْ قُبُورِكُمْ لِلْحَسَابِ وَالْجَزَاءِ.

﴿٧٠﴾ وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةُ عَلَى
قُدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ: أَنْ خَلَقَكُمْ - أَيُّهَا
النَّاسُ - مِنْ تُرَابٍ حِينَ خَلَقَ أَبَاكُمْ مِنْ
طِينٍ، ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بِبَشَرٍ تَتَكَاثَرُونَ
بِالتَّوَسُّلِ، وَتَنْتَشِرُونَ فِي مَشَارِقِ
الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا.

﴿٧١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ كَذَلِكَ الدَّالَّةُ

عَلَى قُدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ أَنْ خَلَقَ لِأَجْلِكُمْ - أَيُّهَا الرِّجَالُ - مِنْ جَنْسِكُمْ أَزْوَاجًا لِطَمَئِنِّ أَنْفُسُكُمُ الْبَهْنِ لِلتَّجَانُّسِ بَيْنَكُمْ،
وَصَيَّرَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ مَحَبَّةً وَشَفَقَةً، إِنَّ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ لِبَرَاهِينٍ وَدَلَالَاتٍ وَاضِحَةٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ؛ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ
يَسْتَفِيدُونَ مِنْ إِعْمَالِ عَقُولِهِمْ.

﴿٧٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَخَلَقَ الْأَرْضَ، وَمِنْهَا اخْتِلَافُ لُغَاتِكُمْ،
وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ لِبَرَاهِينٍ وَدَلَالَاتٍ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْبَصِيرَةِ.

﴿٧٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ: نَوْمُكُمْ بِاللَّيْلِ، وَمَنَاكُمْ بِالنَّهَارِ لِتَسْتَرِيحُوا مِنْ عَنَاءِ أَعْمَالِكُمْ،
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ النَّهَارَ لِتَنْتَشِرُوا فِيهِ مُبْتَغِينَ الرِّزْقَ مِنْ رَبِّكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ لِبَرَاهِينٍ وَدَلَالَاتٍ لِقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ سَمَاعَ تَدَبُّرٍ وَسَمَاعَ قَبُولٍ.

﴿٧٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ: أَنْ يَرِيكُمْ الْبَرْقَ فِي السَّمَاءِ، وَيَجْمَعُ لَكُمْ فِيهِ بَيْنَ الْخَوْفِ مِنَ
الصَّوَاعِقِ، وَالطَّمَعِ فِي الْمَطَرِ، وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً الْمَطَرِ، فَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ جَفَافِهَا بِمَا يَنْبَغُ فِيهَا مِنْ
نَبَاتٍ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لِبَرَاهِينٍ وَدَلَالَاتٍ وَاضِحَةٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، فَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى الْبَيْتِ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْحَسَابِ
وَالْجَزَاءِ.

﴿٧٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• إعمار العبد أوقاته بالصلاة والتسبيح علامة على حسن العاقبة. • الاستدلال على البعث بتجدد الحياة، حيث
يخلق الله الحي من الميت والميت من الحي. • آيات الله في الأنفس والآفاق لا يستفيد منها إلا من يُعْمِلُ وسائل
إدراكه الحسية والمعنوية التي أنعم الله بها عليه.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَلِيلُونَ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٩﴾ فَأَقْرَرْنَا وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ *مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٤١﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَعُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٤٢﴾

٤٠٧

﴿٣٥﴾ ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته قيام السماء دون سقوط، والأرض دون انهدام؛ بأمره سبحانه، ثم إذا دعاكم سبحانه دعوة من الأرض بنفخ الملك في الصور إذا أنتم تخرجون من قبوركم للحساب والجزاء.

﴿٣٦﴾ وله وحده من في السماوات، وله من في الأرض ملكاً وخلقاً وتقديراً، كل من في السماوات وكل من في الأرض من مخلوقاته منقادون له مستسلمون لأمره.

﴿٣٧﴾ وهو سبحانه الذي يبدأ الخلق على غير مثال سابق، ثم يعيده بعد إفناؤه، والإعادة أيسر من الابتداء، وكلاهما سهل عليه لأنه إذا أراد شيئاً قال له: (كن) فيكون، وله الوصف الأعلى في كل ما يوصف به من صفات الجلال والكمال، وهو العزيز الذي لا يُغَالَب، الحكيم في خلقه وتدبيره.

﴿٣٨﴾ ضرب الله لكم - أيها المشركون - مثلاً مأخوذاً من أنفسكم: هل لكم من عبيدكم ومماليككم شريك يشارككم في أموالكم بالسوية، تخافون أن يقتسموا أموالكم معكم كما يخاف بعضكم من شريكه الحر أن يقسم معه المال؟ هل ترضون لأنفسكم من عبيدكم بهذا؟ لا شك أنكم لا ترضون بذلك، قاله أولى بألا يكون له شريك

في ملكه من مخلوقاته وعبيده، بمثل ذلك من ضرب الأمثال وغيره تبين الحجج والبراهين بتنوعها لقوم يعقلون، لأنهم هم الذين يتنفعون بذلك.

﴿٣٩﴾ ليس سبب ضلالهم قصوراً في الأدلة، ولا عدم بيان لها، وإنما هو اتباع الهوى وتقليد آبائهم، فمن يوفق للهداية من أضله الله؟! لا أحد يوفقه، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم عذاب الله.

﴿٤٠﴾ فتوجه - أيها الرسول - أنت ومن معك للدين الذي وجهك الله إليه؛ مثلاً عن جميع الأديان إليه، دين الإسلام الذي فطر الناس عليه، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الدين الحق هو هذا الدين.

﴿٤١﴾ وارجعوا إليه سبحانه بالتوبة من ذنوبكم، واتقوه بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وأتموا الصلاة على أكمل وجه، ولا تكونوا من المشركين الذين يناقضون الفطرة فيشركون مع الله غيره في عبادتهم.

﴿٤٢﴾ ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم، وآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، وكانوا فرقاً وأحزاباً، كل حزب منهم بما هم عليه من الباطل مسرورون، يرون أنهم وحدهم على الحق، وأن غيرهم على الباطل.

• من فوائد الآيات،

- خضوع جميع الخلق لله سبحانه قهراً واختياراً.
- دلالة النشأة الأولى على البعث واضحة المعالم.
- اتباع الهوى يضل ويظني.
- دين الإسلام دين الفطرة السليمة.

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ
مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا آذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَارْحَبُوا بِهَا وَإِنْ نَضْبَهُمْ سَيْفَةً يُمَارِقَ مَتِّ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَكَاتِ ذَا الْقُرْبَى
حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَاءَ آتَيْنَاهُمْ مِنْ رَبِّا
لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءَ آتَيْنَاهُمْ مِنْ
زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعْمِسُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّصُكُمْ هَلْ مِنْ
شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

٤٠٨

﴿٣٣﴾ وإذا أصاب المشركين شدة من مرض أو فقر أو قحط دعوا ربهم سبحانه وحده راجعين إليه بالتضرع والالتجاء أن يصرف عنهم ما أصابهم، ثم إذا رحمهم بكشف ما أصابهم، إذا جماعة منهم يرجعون إلى إشراكهم مع الله غيره في الدعاء.

﴿٣٤﴾ إذا كفروا بنعم الله - ومنها نعمة كشف الضر - وتمتعوا بما بين أيديهم في هذه الحياة فسوف يرون يوم القيامة بأعينهم أنهم كانوا في ضلال واضح.

﴿٣٥﴾ ما الذي دعاهم إلى الشرك بالله ولا حجة لهم؟! فما أنزلنا عليهم حجة من كتاب يحتجون بها على شركهم بالله، وليس معهم كتاب يتكلم بشركهم. ويقرر لهم صحة ما هم عليه من الكفر.

﴿٣٦﴾ وإذا آذقنا الناس نعمة من نعمنا كالصحة والغنى فرحوا بها فرح بطر وتكبروا، وإن ينلهم ما يسوؤهم من مرض وفقر بما كسبته أيديهم من المعاصي، إذا هم يتسئون من رحمة الله، ويقنطون من زوال ما يسوؤهم.

﴿٣٧﴾ أولم يروا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحاناً له أشكر أم يكفر؟ ويضيقه على من يشاء منهم ابتلاء له أبصير أم يتسخط؟! إن في توسيع الرزق لبعض، وتضييقه على بعض، لدلالات للمؤمنين على لطف الله ورحمته.

﴿٣٨﴾ فأعط - أيها المسلم - صاحب القرابة ما يستحقه من البر والصلة، وأعط المحتاج ما يدفع به حاجته، وأعط الغريب الذي انقطعت به السبيل عن بلده، ذلك الإعطاء في تلك الوجوه خير للذين يريدون به وجه الله، الذين يقدمون هذه المعونة والحقوق هم الفائزون بنيلهم ما يطلبونه من الجنة، وبسلامتهم مما يرهبونه من العذاب. ولما بين ما يتقرب به إلى الله من العمل بين ما يُراد به غير وجهه، وإنما يُراد به مقصد دنيوي رخيص، فقال:

﴿٣٩﴾ وما دفعتم من أموال إلى أحد من الناس بغية أن يردها إليكم بزيادة فلا ينمو أجره عند الله، وما أعطيتكم من أموالكم إلى من يدفع بها حاجة تريدون بذلك وجه الله، لا تريدون منزلة ولا مثوبة من الناس، فأولئك هم الذين يضاعف لهم الأجر عند الله.

﴿٤٠﴾ الله وحده هو الذي انفراد بخلقكم، ثم رزقكم، ثم إيمانكم ثم إحيائكم للبعث، هل من أصنامكم التي تعبدونها من دونه من يفعل شيئاً من ذلك؟! تنزه سبحانه وتقدس عما يقول ويعتقد المشركون.

﴿٤١﴾ ظهر الفساد في البر والبحر في معاش الناس بنقصها، وفي أنفسهم بحدوث الأمراض والأوبئة، بسبب ما عملوه من المعاصي، ظهر ذلك ليديقهم الله جزاء بعض أعمالهم السيئة في الحياة الدنيا رجاء أن يرجعوا إليه بالتوبة.

﴿٤٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- فرح البطر عند النعمة، والقنوط من الرحمة عند النعمة؛ صفتان من صفات الكفار.
- إعطاء الحقوق لأهلها سبب للفلاح.
- محو الربا، ومضاعفة أجر الإنفاق في سبيل الله.
- أثر الذنوب في انتشار الأوبئة وخراب البيئة مشاهد.

﴿٤٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: سيروا في الأرض، فتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلكم؟ فقد كانت عاقبة سيئة، كان معظمهم مشركين بالله، يعبدون معه غيره، فأهلكوا بسبب إشراكهم بالله.

﴿٤٣﴾ فاقم - أيها الرسول - وجهك لدين الإسلام المستقيم الذي لا اعوجاج فيه من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا راد له، في ذلك اليوم يتفرق الناس: فريق في الجنة مُتَعَمِّون، وفريق في النار معذبون.

﴿٤٤﴾ من كفر بالله فضرر كفره - وهو الخلود في النار - عائد عليه، ومن عمل عملاً صالحاً يبتغي به وجه الله فلاأنفسهم يَهْتُمُونَ دخول الجنة والتنعيم بما فيها خالدين فيها أبداً.

﴿٤٥﴾ ليجزي الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات التي ترضي ربهم، إنه سبحانه لا يحب الكافرين به وبرسله، بل يمتقنهم أشد المقت، وسيعذبهم يوم القيامة.

﴿٤٦﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: أن يبعث الرياح تبشر العباد بقرب نزول المطر، وليذيقكم - أيها الناس - من رحمته بما يحصل بعد المطر من خضب وورخاء، ولتجري السفن في البحر بمشيئته، ولتطلبوا من فضله بالتجارة في البحر، ولعلكم تشكرون نعم الله عليكم فيزيدكم منها.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَذِيُصَدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ
كَفَرَ فَلَعَنَ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ
مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَاتَّقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِسُ حَابًا فَيَبْسُطُهُ
فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

﴿٤٨﴾ ولقد بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً إلى أممهم، فجاءوهم بالحجج والبراهين الدالة على صدقهم، فكذبوا بما جاءتهم به رسلهم، فانتقمنا من الذين ارتكبوا السيئات، فأهلكناهم بعدابناء، وأنجينا الرسل والمؤمنين بهم من الهلاك، وإنجاء المؤمنين ونصرهم حق أوجبناه علينا.

﴿٤٩﴾ الله سبحانه هو الذي يسوق الرياح ويبعثها، فتثير تلك الرياح السحاب وتحركه، فيمده في السماء كيف يشاء من قلة أو كثرة، ويصيره قطعاً. فترى - أيها الناظر - المطر يخرج من وسطه، فإذا أصاب بالمطر من يشاء من عباده إذا هم به يسرون برحمة الله لهم بإنزال المطر الذي يعقبه إنبات الأرض بما يحتاجونه لأنفسهم ولدوابهم.

﴿٥٠﴾ وقد كانوا من قبل أن ينزل عليهم الله المطر لايسين من نزوله عليهم.

﴿٥١﴾ فانظر - أيها الرسول - إلى آثار المطر الذي ينزله الله رحمة لعباده، كيف يحيي الله الأرض بما ينبت عليها من أنواع النبات بعد جفافها ويبسها، إن الذي أحيا تلك الأرض الجافة لهو باعث الأموات أحياء. وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٥٢﴾ مِنْ قَوْلِهَا لَا يَأْتِي

- إرسال الرياح، وإنزال المطر، وجريان السفن في البحر: نعم تستدعي أن تشكر الله عليها.
- إهلاك المجرمين ونصر المؤمنين سنة إلهية.
- إنبات الأرض بعد جفافها دليل على البعث.

وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِجَالًا مِّنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ
 ٥١ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الضَّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا
 مُدْبِرِينَ ٥٢ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا
 مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ٥٣ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
 مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ
 قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ
 ٥٤ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُسَوِّعَنِي
 سَاعَةً كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ٥٥ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ
 فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٥٦ فَيَوْمَئِذٍ
 لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعَذَّرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
 ٥٧ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ
 وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
 مُبْطِلُونَ ٥٨ كَذَلِكَ يَطَّعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
 ٥٩ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠

٤١٠ هـ

٥١) ولكن بعثنا على ذروعهم ونباتهم
 ريشًا تفسده عليهم، فأروا ذروعهم
 مُضْفَرَّة الألوان بعد أن كانت مُخْضَرَّة
 لظُلُومًا بعد مشاهدتهم لها يكفرون
 بنعم الله السابقة على كثرتها .

٥٢) فكما أنك لا تستطيع إسماع
 الموتى ولا تستطيع إسماع الصم، وقد
 ابتعدوا عنك ليتأكد عدم سماعهم،
 فكذلك لا تستطيع أن تهدي من أشبه
 هؤلاء بالإعراض وعدم الانتفاع .

٥٣) وما أنت بموفق من ضل عن
 الطريق المستقيم إلى سلوك سبيل
 الرشاد، لا تُسمع سماعًا يُنتفع به إلا
 من يؤمن بآياتنا؛ لأنه هو الذي ينتفع
 بما تقوله، فهم منقادون لأمرنا،
 خاضعون له .

٥٤) الله هو الذي خلقكم - أيها الناس -
 من ماء صهين، ثم جعل من بعد ضعف
 طفولتكم قوة الرجولة، ثم جعل من
 بعد قوة الرجولة ضعف الشيخوخة
 والهرم، يخلق الله ما يشاء من ضعف
 وقوة، وهو العليم بكل شيء، لا
 يخفى عليه شيء، القدير الذي لا
 يعجزه شيء .

٥٥) ويوم تقوم القيامة يحلف
 المجرمون ما مكثوا في قبورهم إلا
 ساعة، كما صُرفوا عن معرفة قدر ما
 لبثوا في قبورهم كانوا يصرفون في
 الدنيا عن الحق .

٥٦) وقال الذين أعطاهم الله العلم من
 الأنبياء والملائكة: لقد مكثتم فيما كتبه الله في سابق علمه من يوم خلقكم إلى يوم بعثكم الذي أنكرتموه، ولكنكم

كنتم لا تعلمون أن البعث واقع، فكفرتم به .

٥٧) فيوم يبعث الله الخلائق للحساب والجزاء لا ينفع الظالمين ما يخلقونه من أعداء، ولا يطلب منهم إرضاء الله
 بالتوبة والإنابة إليه؛ لفوات وقت ذلك .

٥٨) ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن - عناية بهم - من كل مثل؛ ليتضح لهم الحق من الباطل، ولئن جئتهم - أيها
 الرسول - بحجة على صدقك ليقولن الذين كفروا بالله: ما أنتم إلا مبطلون فيما جئتم به .

٥٩) مثل هذا الختم على قلوب هؤلاء الذين إذا جئتهم بآية لا يؤمنون بها، يختم الله على قلوب كل الذين لا
 يعلمون أن ما جئتهم به حق .

٦٠) فاصبر - أيها الرسول - على تكذيب قومك لك، إن وعد الله لك بالنصر والتمكين ثابت لا مرية فيه، ولا
 يدفعك الذين لا يوقنون بأنهم مبعوثون، إلى الاستعجال وترك النصير .

١٠ من قَوَائِدِ الْإِيمَانِ ،

• يأس الكافرين من رحمة الله عند نزول البلاء .

• هداية التوفيق بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ .

• مراحل العمر عبرة لمن يعتبر .

• الختم على القلوب سببه الذنوب .

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

إبراز الحكمة الموافقة للشرع، وتذكر لقمان مثلاً لذلك.

• التفسير:

① ﴿الْم﴾ سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

② هذه الآيات المنزلة عليك - أيها الرسول - آيات الكتاب الذي ينطق بالحكمة.

③ وهو هداية ورحمة للذين يحسنون العمل، بقيامهم بحقوق ربهم وحقوق عباده.

④ الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون زكاة أموالهم، وهم موقنون بما في الآخرة من بعث وحساب وثواب وعقاب.

⑤ أولئك المتصفون بتلك الصفات على هدى من ربهم، وأولئك هم الفائزون بنيل ما يطلبونه، والبعد عما يرهبونه.

ولما ذكر الله صفات المحسنين ذكر صفات المسينين فقال:

⑥ ومن الناس - مثل النضر بن الحارث - من يختار الأحاديث الملهية ليصرف الناس إليها عن دين الله بغير علم، ويتخذ آيات الله هزواً يسخر منها، وأولئك الموصوفون بتلك الصفات لهم عذاب مُلِدٌ في الآخرة.

⑦ وإذا تقرأ عليه آياتنا أدبر مستكبراً عن سماعها كأنه لم يسمعها، كأن في أذنيه صمماً عن سماع الأصوات، فبشره - أيها الرسول - بعذاب موجه ينتظره.

⑧ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات النعيم، يتمتعون فيما أعد الله لهم فيها.

⑨ ماكنين فيها، وعدهم الله بذلك وعداً حقاً لا شك فيه، وهو سبحانه العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وشرعه.

⑩ خلق الله ﷻ السماوات مرفوعة بغير أعمدة، ونصب في الأرض جبالاً ثوابت حتى لا تضطرب بكم، وبث فوق الأرض أنواع الحيوان، وأنزلنا من السماء ماء المطر، فأنبثنا في الأرض من كل صنف بهيج المنظر ينتفع به الناس والدواب.

⑪ هذا المذكور خلق الله، فأروني - أيها المشركون - ماذا خلق الذين تعبدونهم من دون الله؟! بل الظالمون في ضلال واضح عن الحق، حيث يشركون مع ربهم من لا يخلق شيئاً وهم يُخلَقون.

• مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- طاعة الله تقود إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.
- تحريم كل ما يصد عن الصراط المستقيم من قول أو فعل.
- التكبر مانع من اتباع الحق.
- انفراد الله بالخلق، وتحذّي الكفار أن تخلق ألهمهم شيئاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ① تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ② هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ③ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑤ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ⑥ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ⑦
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ⑧
خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑨ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوًى أَن يَقِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَثْنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ⑩ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ⑪ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ⑫

⑦ وإذا تقرأ عليه آياتنا أدبر مستكبراً عن سماعها كأنه لم يسمعها، كأن في أذنيه صمماً عن سماع الأصوات، فبشره - أيها الرسول - بعذاب موجه ينتظره.

⑧ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات النعيم، يتمتعون فيما أعد الله لهم فيها.

⑨ ماكنين فيها، وعدهم الله بذلك وعداً حقاً لا شك فيه، وهو سبحانه العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وشرعه.

⑩ خلق الله ﷻ السماوات مرفوعة بغير أعمدة، ونصب في الأرض جبالاً ثوابت حتى لا تضطرب بكم، وبث فوق الأرض أنواع الحيوان، وأنزلنا من السماء ماء المطر، فأنبثنا في الأرض من كل صنف بهيج المنظر ينتفع به الناس والدواب.

⑪ هذا المذكور خلق الله، فأروني - أيها المشركون - ماذا خلق الذين تعبدونهم من دون الله؟! بل الظالمون في ضلال واضح عن الحق، حيث يشركون مع ربهم من لا يخلق شيئاً وهم يُخلَقون.

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ١٢ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ وَفِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ١٤ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مَثْقَلَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦ يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ١٧ وَلَا تَصْعَقْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمُشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٨ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١٩

٤١٢

١٢ ولقد أعطينا لقمان الفقه في الدين والإصابة في الأمور، وقلنا له: اشكر - يا لقمان - لربك ما أنعم به عليك من التوفيق لطاعته، ومن يشكر ربه فإنما نفع شكره عائد إلى نفسه، فالله غني عن شكره، ومن جحد نعمة الله عليه فكفر به سبحانه فإنما ضرر كفره عليه ولا يضر الله شيئاً فهو غني عن خلقه جميعاً، محمود على كل حال.

١٣ واذكر - أيها الرسول - إذ قال لقمان لابنه وهو يرعّبه في الخير، ويحذره من الشر: يا بني، لا تعبد مع الله غيره، إن عبادة معبود مع الله ظلم عظيم للنفس بارتكاب أعظم ذنب يؤدي إلى خلودها في النار.

١٤ ووصينا الإنسان بطاعة أبويه وبرهما فيما لا معصية فيه لله، حملته أمه في بطنها ملاقية مشقة بعد مشقة، وقطعته عن الرضاعة في عامين، وقلنا له: اشكر الله ما أنعم به عليك من نعم، ثم اشكر لوالديك ما قاما به من تربيته ورعايته، إليّ وحدي المرجع فأجازي كلا بما يستحقه.

١٥ وإن بذل الوالدان جهداً ليحملاك على أن تشرك بالله غيره تحكماً منهما، فلا تطعهما في ذلك؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وصاحبهما في الدنيا بالبر والصلة والإحسان، واتبع طريق من أناب إليّ بالتوحيد والطاعة، ثم إليّ وحدي يوم

القيامة مرجعكم جميعاً، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من عمل، وأجازيكم عليه.

١٦ يا بني، إن السيئة أو الحسنة مهما كانت صغيرة مثل وزن حبة من خردل وكانت في بطن صخرة لا يطلع عليها أحد، أو كانت في أي مكان في السماوات أو في الأرض؛ - فإن الله يأتي بها يوم القيامة، فيجازي العبد عليها، إن الله لطيف لا تخفى عليه دقائق الأشياء، خبير بحقائقها وموضعها.

١٧ يا بني، أقم الصلاة بأدائها على أكمل وجه، وأمر بالمعروف، وانته عن المنكر، واصبر على ما نالك من مكروه في ذلك، إن ما أمرت به من ذلك مما عزم الله به عليك أن تفعله، فلا خيرة لك فيه.

١٨ ولا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً، ولا تمش فوق الأرض فرحاً معجباً بنفسك، إن الله لا يحب كل مختال في مشيته، فخور بما أوتي من نعم يتكبر بها على الناس ولا يشكر الله عليها.

١٩ وتوسط في مشيك بين الإسراع والذبّيب مشياً يظهر الوقار، واخفض من صوتك، لا ترفعه رفعاً يؤدي، إن أقم الأصوات لصوت الحمير لارتفاع أصواتها.

٢٠ من قوائد الآيات:

- لما فضل سبحانه ما يصيب الأم من جهد الحمل والوضع دلّ على مزيد برّها.
- نفع الطاعة وضرر المعصية عائد على العبد.
- وجوب تعاهد الأبناء بالتربية والتعليم.
- شمول الآداب في الإسلام للسلوك الفردي والجماعي.

﴿١﴾ ألم تروا وتشهدوا - أيها الناس - أن الله يَسِّرُ لكم الانتفاع بما في السماوات؛ من شمس وقمر وكواكب، وَيَسِّرُ لكم أيضًا ما في الأرض من دواب وشجر ونبات، وأكمل عليكم نعمه ظاهرة للعيان؛ كجمال الصورة وحسن الهيئة، وباطنة خفية كالعقل والعلم، ومع وجود هذه النعم فمن الناس من يجادل في توحيد الله بغير علم مستند إلى وحي من الله، أو عقل مستنير، ولا كتاب واضح منزل من الله.

﴿٢﴾ وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في توحيد الله: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من الوحي، قالوا: لا نتبعه، بل نتبع ما وجدنا عليه أسلافنا من عبادة آلهتنا، أتبعون أسلافهم ولو كان الشيطان يدعوهم - بما يضلهم به من عبادة الأوثان - إلى عذاب السعير يوم القيامة؟!

﴿٣﴾ ومن يُقبل على الله مخلصًا له عبادته ومحسنًا في عمله، فقد أمسك بأوثق ما يتعلق به من يرجو النجاة حيث لا يخاف انقطاع ما أمسك به، وإلى الله وحده مصير الأمور، ومرجعها، فيجازي كلًا بما يستحق.

﴿٤﴾ ومن كفر بالله فلا يحزنك - أيها الرسول - كفره، إلينا وحدنا مرجعهم يوم القيامة، فنخبرهم بما عملوا من سيئات في الدنيا، ونجازيهم عليها،

إن الله عليم بما في الصدور، لا يخفى عليه شيء مما فيها.

﴿٥﴾ نمتعهم بما نعطيهم من الملذات في الدنيا زمانًا قليلًا، ثم نلجئهم يوم القيامة إلى عذاب شديد هو عذاب النار.

﴿٦﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: مَنْ خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولن: خلقهن الله، قل لهم: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل معظمهم لا يعلمون من يستحق الحمد لجهلهم.

﴿٧﴾ لله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقًا وملكًا وتديرًا، إن الله هو الغني عن جميع مخلوقاته، المحمود في الدنيا والآخرة.

﴿٨﴾ ولو أن ما في الأرض من شجر قُطِعَ وبُري أكلًا، وجُعِلَ البحر حبرًا لها ولو مده سبعة أبحر، ما فئت كلمات الله لعدم تناهيها، إن الله عزيز لا يغالبه أحد، حكيم في خلقه وتديره.

﴿٩﴾ ما خلقتكم - أيها الناس - ولا بئثكم يوم القيامة للحساب والجزاء، إلا كخلق نفس واحدة وبعثها في السهولة، إن الله سميع لا يشغله سماع صوت عن سماع صوت آخر، بصير لا يشغله إبطار شيء عن إبطار شيء آخر، وهكذا لا يشغله خلق نفس أو بعثها عن خلق أخرى وبعثها.

﴿١٠﴾ مِنْ هَوَايَا الْإِنْسَانِ،

• نعم الله وسيلة لشكره والإيمان به، لا وسيلة للكفر به. • خطر التقليد الأعمى، وخاصة في أمور الاعتقاد. • أهمية الاستسلام لله والالتقياد له وإحسان العمل من أجل مرضاته. • عدم تناهي كلمات الله.

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ وظَّاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ يَغْيِرْ عِلْمَ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابَ مُنِيرٍ ﴿١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٣﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهَا إِنَّا مَرْجِعُهَا فَنُنَبِّئُهَا بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ ثُمَّ نَمَتَّعُهَا قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ لِلَّهِ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٧﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٩﴾

﴿٢١﴾ ألم تر أن الله ينقص من الليل ليزيد النهار، وينقص من النهار ليزيد الليل، وقدّر مسار الشمس والقمر؛ إذ يجريان كل في مداره إلى أمدٍ محدّد، وأن الله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٢﴾ ذلك التدبير والتقدير يشهدان بأن الله وحده هو الحق، فهو حق في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن ما يعبده المشركون من دونه هو الباطل الذي لا أساس له، وأن الله هو العلي بذاته وقهره وقدره على جميع مخلوقاته، الذي لا أعلى منه، الذي هو أكبر من كل شيء.

﴿٢٣﴾ ألم تر أن السفن تجري في البحر بلطفه وتسخره؛ ليريكـم - أيها الناس - من آياته الدالة على قدرته سبحانه ولطفه، إن في ذلك لدلالات على قدرته لكل صَبَّارٍ على ما يصيبه من ضراء، شكور لما يناله من نعماء.

﴿٢٤﴾ وإذا أحاط بهم من كل جانب موج مثل الجبال والغمام، دعوا الله وحده مخلصين له الدعاء والعبادة، فلما استجاب الله لهم، وأنقذهم إلى البر، وسلمهم من الغرق، فمنهم مقتصد لم يقم بما وجب عليه من الشكر على وجه الكمال، ومنهم جاحد لنعمة الله، وما يجحد بآياتنا إلا كل غَدَّار - مثل هذا الذي عاهد الله

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ إِذَا ظَلَلِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٢٢﴾ يَأْيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا وَاعْتَدُوا يَوْمَ لَا يُجْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٤﴾

سورة لقمان
٤١٤

لئن أنجاه ليكونن من الشاكرين له - كفور بنعم الله لا يشكر ربه الذي أنعم بها عليه.

﴿٢١﴾ يا أيها الناس، اتقوا ربكم؛ بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وخافوا عذاب يوم لا يغني فيه والد عن ولده، ولا يغني مولود عن والده شيئاً، إن وعد الله بالجزاء يوم القيامة ثابت وواقع لا محالة، فلا تخدعكم الحياة الدنيا بما فيها من شهوات وملهيات، ولا يخدعنكم الشيطان بحلم الله عليكم وتأخير العذاب عنكم.

﴿٢٢﴾ إن الله عنده وحده علم الساعة؛ فيعلم متى تقع، وينزل المطر متى شاء، ويعلم ما في الأرحام أذكر هو أم أنثى؟! شقي أم سعيد؟! وما تعلم نفس ما تكسب غداً من خير أو شر، وما تعلم نفس بأي أرض تموت، بل الله هو الذي يعلم ذلك كله، إن الله عليم خبير بكل ذلك، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿٢٣﴾ من تَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- نقص الليل والنهار وزيادتهما وتسخير الشمس والقمر: آيات دالة على قدرة الله سبحانه، ونعم تستحق الشكر.
- الصبر والشكر وسبلتان للاعتبار بآيات الله.
- الخوف من القيامة بقي من الاغترار بالدنيا، ومن الخضوع لوساوس الشياطين.
- إحاطة علم الله بالغيب كله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ٢ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
 مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٣ اللَّهُ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ
 أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٤ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
 إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥ ذَلِكَ
 عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٦ الَّذِي أَحْسَنَ
 كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ٧ ثُمَّ جَعَلَ
 نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن
 رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا
 مَّا تَشْكُرُونَ ٩ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي
 خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ١٠ قُلْ يَتَوَقَّعُ
 مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ١١

٤١٥

• من مقاصد السورة:

بيان دلائل الحق ومشاهده التي نزل بها القرآن، ومنها حقيقة الخلق وأحوال الإنسان.

• التفسير:

١ ﴿الْم﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ منزل عليه من رب العالمين لا شك في ذلك.

٣ ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ﴾ يقولون: إن محمدًا اختلقه على ربه، ليس الأمر كما قالوا، بل هو الحق الذي لا مربة فيه، المنزل من ربك - أيها الرسول - عليك لتخوف قومًا ما جاءهم رسول من قبلك يخوفهم من عذاب الله - لعلمهم يهتدون إلى الحق فيتبعوه ويعملوا به.

٤ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الله هو الذي خلق السماوات، وخلق الأرض، وخلق ما بينهما في ستة أيام، وهو قادر على خلقها في أقل من طرفة عين، ثم علا وارتفع على العرش علواً يليق بجلاله، ما لكم - أيها الناس - من دونه من ولي يتولى أمركم، أو شفيع يشفع لكم عند ربكم، أفلا تتفكرون، وتعبدون الله الذي خلقكم ولا تعبدون معه غيره؟!

٥ ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ يدبر الله ﷻ أمر جميع المخلوقات في السماوات وفي الأرض، ثم يصعد إليه ذلك الأمر في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون أنتم - أيها الناس - في الدنيا.

٦ ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الذي لا يخفى عليه منهما شيء، العزيز الذي لا يغالبه أحد الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بعباده المؤمنين.

٧ ﴿طِينٍ﴾ الذي اتقن كل شيء خلقه، وبدأ خلق آدم من طين على غير مثال سابق.

٨ ﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ ثم جعل ذريته من بعده من الماء الذي أنسل فخرج منه (المني).

٩ ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ثم أنم خلق الإنسان سوياً، ونفخ فيه من روحه بأمر الملك الموكل بنفخ الروح، وجعل لكم - أيها الناس - الأسماع لتسمعوا بها، والأبصار لتبصروا بها، والأفئدة لتتعلقوا بها. قليلاً ما تشكرون هذه النعم الله التي أنعم بها عليكم.

١٠ ﴿إِنَّا لَنَعْلَمُ الْغُفَارَ﴾ وقال المشركون المكذبون بالبعث: إذا متنا وغننا في الأرض، وصارت أجسامنا تراباً، فهل تُبعث أحياء من جديد؟! لا يعقل ذلك، بل هم في واقع أمرهم كافرون بالبعث لا يؤمنون به.

١١ ﴿قُلْ يَتَوَقَّعُ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي فُوضَ إليه﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: يتوفاكم ملك الموت الذي فوضه الله بقبض أرواحكم، ثم إلينا وحدنا يوم القيامة ترجعون للحساب والجزاء.

• من فوائد الآيات:

• الحكمة من بعثة الرسل أن يهدوا أقوامهم إلى الصراط المستقيم. • ثبوت صفة الاستواء لله من غير تشبيه ولا تمثيل. • استبعاد المشركين للبعث مع وضوح الأدلة عليه.

﴿١١﴾ سوف يظهر المجرمون يوم القيامة وهم أذلاء يخفضون رؤوسهم بسبب كفرهم بالبعث، يشعرون بالخزي ويقولون: ربنا أبْصَرْنَا ما كنا نكذب به من البعث، وسمعنا مصداق ما جاءت به الرسل من عندك، فارجعنا إلى الحياة الدنيا نعمل عملاً صالحاً يرضيك عنا، إنا موقنون الآن بالبعث وبصدق ما جاءت به الرسل، لو رأيت المجرمين على تلك الحال رأيت أمراً عظيماً.

﴿١٢﴾ ولو شئنا إعطاء كل نفس رشدها وتوفيقها لحملناها على هذا، ولكن وجب القول مني حكمة وعدلاً: لأملأن جهنم يوم القيامة من أهل الكفر من الثقلين: الجن والإنس؛ لا خيارهم طريق الكفر والضلال على طريق الإيمان والاستقامة.

﴿١٣﴾ ويقال لهم يوم القيامة تَبَكَّيْنَا لهم وتوبَّيْنَا: فذوقوا العذاب بسبب غفلتكم في الحياة الدنيا عن لقاء الله يوم القيامة لحسابكم، إنا تركناكم في العذاب غير مبالين بما تقاسونه منه، وذوقوا عذاب النار الدائم الذي لا ينقطع بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من المعاصي.

ولما ذكر الله حال المجرمين ذكر حال المؤمنين فقال:

﴿١٤﴾ إنما يؤمن بآياتنا المنزلة على رسولنا الذين إذا وعظوا بها سجدوا لله

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمَجْرُمُونَ نَاصُوا سُورَةً وَسُورَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيتُكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٤﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٥﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٧﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿١٩﴾

٤١٦

مسبحين بحمده، وهم لا يستكبرون عن عبادة الله ولا عن السجود له بأي حال.

﴿١١﴾ تتباعد جنوبهم عن قُرُوبِهِم التي كانوا عليها في نومهم يتركونها ويتوجهون إلى الله، يدعونه في صلاتهم وغيرها خوفاً من عذابه، وطمعاً في رحمته، ويذلون الأموال التي أعطيتهم إياها في سبيل الله.

﴿١٢﴾ فلا تعلم أي نفس ما أعدّه الله لهم مما تقرّ به أعينهم، جزاءً منه لهم على ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحات، فهو جزاء لا يحيط به إلا الله لعظمته.

﴿١٣﴾ من كان مؤمناً بالله عاملاً بأوامره مجتنباً لنواهيه، ليس كمن كان خارجاً عن طاعته؛ لا يستوي الفريقان عند الله في الجزاء.

﴿١٤﴾ أما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، فجزاؤهم المعدّ لهم جنات يستقرون فيها كرامة من الله لهم، جزاءً على ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحات.

﴿١٥﴾ وأما الذين خرجوا عن طاعة الله بالكفر وارتكاب المعاصي، فمستقرّهم الذي أعدّ لهم يوم القيامة النار، ماكثين فيها أبداً، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وقيل لهم تَبَكَّيْنَا لهم: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم تكذبون به في الدنيا عندما كانت رسلكم تخوفكم منه.

﴿١٦﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• إيمان الكفار يوم القيامة لا ينفعهم؛ لأنها دار جزاء لا دار عمل.

• خطر الغفلة عن لقاء الله يوم القيامة.

• من هدى المؤمنين قيام الليل.

وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٣٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ أَتَى فِي ذَلِكَ آيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ
﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْظَرُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

الْبَقَرَةِ

الْبَقَرَةِ

٤١٧

بحالهم، إن فيما حدث لتلك الأمم من الإهلاك بسبب كفرهم ومعاصيهم لغيرًا يُستدل بها على صدق رسلهم الذين جاؤوهم من عند الله، أفلا يسمع هؤلاء المكذبون آيات الله سماع قبول واطعًا؟!

﴿٣٧﴾ أولم ير هؤلاء المكذبون بالبعث أنا ترسل ماء المطر إلى الأرض القاحلة التي لا نبات فيها، فنخرج بذلك الماء زرعًا تأكل منه إبلهم وبقرةم وغنمهم، ويأكلون هم منه؟! أفلا يبصرون ذلك، ويدركون أن من أنبت الأرض القاحلة قادر على إحياء الموتى؟!!

﴿٣٨﴾ ويقول المكذبون بالبعث مستعجلين العذاب: متى هذا الحكم الذي تزعمون أنه سيفصل بيننا وبينكم يوم القيامة، فيكون مصيرنا النار ومصيركم الجنة؟!

﴿٣٩﴾ قل لهم - أيها الرسول -: هذا الوعد هو يوم القيامة، إنه يوم الفصل بين العباد حين لا ينفع الذين كفروا بالله في الدنيا تصديقهم بعد معاينة يوم القيامة، ولا هم يؤخرون حتى يتوبوا إلى ربهم وينبوا إليه.

﴿٤٠﴾ فأعرض - أيها الرسول - عن هؤلاء بعد تماديهم في ضلالهم، وانتظر ما يحل بهم، إنهم ينتظرون ما تعدهم من العذاب.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- عذاب الكافر في الدنيا وسيلة لتوبته.
- ثبوت اللقاء بين نبينا ﷺ وموسى ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.
- الصبر واليقين صفتا أهل الإمامة في الدين.

﴿٣١﴾ ولنذيقن هؤلاء المكذبين الخارجين عن طاعة ربهم من المحن والبلاء في الدنيا، قبل العذاب الأكبر المعد لهم في الآخرة إن لم يتوبوا؛ لعلهم يعودون إلى طاعة ربهم.

﴿٣٢﴾ ولا أحد أظلم ممن وعظ بآيات الله فلم يتعظ بها، وأعرض عنها غير مُبالٍ بها، إنا من المجرمين - بارتكاب الكفر والمعاصي الذين يعرضون عن آيات الله - منتقمون لا محالة.

﴿٣٣﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة، فلا تكن - أيها الرسول - في شك من لقائك موسى ليلة الإسراء والمعراج، وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هاديًا لبني إسرائيل من الضلال.

﴿٣٤﴾ وجعلنا من بني إسرائيل أئمة يقتدي بهم الناس في الحق، يرشدون إلى الحق، لما صبروا على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وعلى الأذى في سبيل الدعوة، وكانوا بآيات الله المنزلة على رسولهم يصدقون بها تصديقًا جازمًا.

﴿٣٥﴾ إن ربك - أيها الرسول - هو الذي يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا، فيبين المحق والمبطل، ويجازي كلًا بما يستحقه.

﴿٣٦﴾ أعلمي هؤلاء فلم يتبين لهم كم أهلكنا قبلهم من الأمم السالفة؟! فهاهم يمشون في مساكنهم التي كانوا يسكنونها قبل إهلاكهم، فلم يتعظوا

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ اللَّائِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ وَأُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝

٤١٨

• من مَقَاصِدِ السُّورَةِ: تركز على عناية الله بنبيه ﷺ وحماية جنباه وأهل بيته.

• التَّضْيِيرُ:

① يا أيها النبي، اثبت ومن معك على تقوى الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، وحفّه وحده. ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما تهوى نفوسهم، إن الله كان عليماً بما يكيده الكفار والمنافقون، حكيمًا في خلقه وتديبه.

② واتبع ما ينزله عليك ربك من الوحي، إن الله كان بما تعملون خبيرًا، لا يفوته من ذلك شيء، وسيجازيكم على أعمالكم.

③ واعتمد على الله وحده في أمورك كلها، وكفى به سبحانه حافظًا لمن توكل عليه من عباده.

④ كما لم يجعل الله قلوبين في صدر رجل واحد وكذلك لم يجعل الزوجات بمنزلة الأمهات في التحريم، ولم يجعل كذلك الأبناء بالتبني بمنزلة الأبناء من الضلْب، فإن الظهار - وهو تحريم الرجل زوجته عليه - وكذلك التبني: من العادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام، ذلك الظهار والتبني، قول ترددونه

بأفواهكم، ولا حقيقة له، فليست الزوجة أمًا، ولا الدعي ابنًا لمن ادعاه، والله سبحانه يقول الحق ليعمل به عباده، وهو يرشد إلى طريق الحق.

⑤ انسوا من تزعمون أنهم أبناؤكم إلى آبائهم الحقيقيين، فنسبتهم إليهم هو العدل عند الله، فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم إليهم فهم إخوانكم في الدين ومحرموكم من الرق، فنادوا أحدهم بيا أخي ويا ابن عمي، ولا إثم عليكم إذا أخطأ أحدكم فنسب دعياً إلى مدعيه، ولكن تأمنون عند تعمد النطق بذلك، وكان الله غفورًا لمن تاب من عباده، رحيمًا بهم حيث لم يؤاخذهم بالخطأ.

⑥ النبي محمد ﷺ أحق بالمؤمنين من أنفسهم في كل ما دعاهم إليه، ولو كانت أنفسهم تميل إلى غيره، وزوجاته ﷺ بمنزلة أمهات لجميع المؤمنين، فيحرم على أي مؤمن أن يتزوج إحداهن بعد موته ﷺ، وذوو القرابة بعضهم أحق ببعض في الإرث في حكم الله من أهل الإيمان والهجرة في سبيل الله، الذين كانوا يتوارثون فيما بينهم في صدر الإسلام، ثم نسخ توارثهم بعد ذلك، إلا أن تفعلوا - أيها المؤمنون - إلى أوليائكم من غير الورثة معروفاً من إيصاء لهم وإحسان إليهم فلکم ذلك، كان ذلك الحكم في اللوح المحفوظ مسطوراً فيجب العمل به.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- لا أحد أكبر من أن يؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر.
- رفع المؤاخذه بالخطأ عن هذه الأمة.
- وجوب تقديم مراد النبي ﷺ على مراد الأنفس.
- بيان علو مكانة أزواج النبي ﷺ، وحرمة نكاحهن من بعده؛ لأنهن أمهات للمؤمنين.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنْكُمْ وَإِذَا زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زُلُزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ
مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَذِينَ فَرِيقٌ
مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ
إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ
لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَاسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا
اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ إِلَّا الذُّبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

٤١٩

﴿٧﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ أخذنا من الأنبياء عهدًا مؤكدًا أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئًا، وأن يُبلِّغُوا ما أنزل إليهم من الوحي، وأخذناه على وجه الخصوص منك، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم؛ أخذنا منهم عهدًا مؤكدًا على الوفاء بما ائتمنوا عليه من تبليغ رسالات الله.

﴿٨﴾ أخذ الله هذا العهد المؤكد من الأنبياء ليسأل الصادقين من الرسل عن صدقهم تَبَكِّيًّا للكافرين، وأعد الله للكافرين به وبرسله يوم القيامة عذابًا موجعًا هو نار جهنم.

﴿٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، اذكروا نعمة الله عليكم، حين جاءت المدينة جنود الكفار متحزبين على قتالكم، وساندهم المنافقون واليهود، فبعثنا عليهم ريحًا هي ريح الصبا التي نُصِرَ بها النبي ﷺ، وبعثنا جنودًا من الملائكة لم تروها، فولى الكفار هاربين لا يقدرُونَ على شيء، وكان الله بما تعملون بصيرًا لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم على أعمالكم.

﴿١٠﴾ وذلك حين جاءكم الكفار من أعلى الوادي ومن أسفل من جهتي المشرق والمغرب، حينها مالت الأبصار عن كل شيء إلا عن نظر عدوها، ووصلت القلوب إلى الحناجر

من شدة الخوف، وتظنون بالله الظنون المختلفة؛ فتارة تظنون اليأس منه.

﴿١١﴾ في ذلك الموقف في غزوة الخندق اختبر المؤمنون بما لا قوه من تكالب أعدائهم عليهم، واضطربوا اضطرابًا شديدًا من شدة الخوف، وتبين بهذا الاختبار المؤمن والمنافق.

﴿١٢﴾ يومئذ قال المنافقون وضعاف الإيمان الذين في قلوبهم شك: ما وعدنا الله ورسوله من النصر على عدونا والتمكين لنا في الأرض إلا باطلاً لا أساس له.

﴿١٣﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال فريق من المنافقين لأهل المدينة: يا أهل يثرب (اسم المدينة قبل الإسلام)، لا إقامة لكم عند سفح سلع قرب الخندق فارجعوا إلى منازلكم، ويطلب فريق منهم الإذن من النبي ﷺ أن ينصرفوا إلى بيوتهم بدعوى أن بيوتهم مكشوفة للعدو، وليست بمكشوفة كما زعموا، وإنما يريدون بهذا الاعتذار الكاذب الفرار من العدو.

﴿١٤﴾ ولو دخل العدو عليهم المدينة من جميع نواحيها، وسألهم العودة إلى الكفر والشرك بالله لأعطوا عدوهم ذلك، وما احتسبوا عن الردة والنكوص إلى الكفر إلا قليلًا.

﴿١٥﴾ ولقد كان هؤلاء المنافقون عاهدوا الله بعد فراهم يوم أحد من القتال؛ لأن أشهدهم الله قتالًا آخر ليقاتلن عدوهم، ولا يفرؤا خوفًا منهم، ولكنهم نكثوا، وكان العبد مسؤولًا عما عاهد الله عليه، وسوف يُسأل عنه.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- منزلة أولى العزم من الرسل. • تأييد الله لعباده المؤمنين عند نزول الشدائد.
- خذلان المنافقين للمؤمنين في المحن.

﴿٦٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء: لن ينفعكم الفرار إن فررتم من القتال خوفاً من الموت أو من القتل؛ لأن الآجال مقدرة، وإذا فررتم ولم يحنْ أجلكم فإنكم لا تستمتعون في الحياة إلا زمناً قليلاً.

﴿٦٧﴾ قل لهم - أيها الرسول -: من ذا الذي يمنعكم من الله إن أراد بكم ما تكرهونه من الموت أو القتل، أو أراد بكم ما ترجونه من السلامة والخير، لا أحد يمنعكم من ذلك، ولا يجد هؤلاء المنافقون لهم من دون الله ولياً يتولى أمرهم، ولا نصيراً يمنعهم من عقاب الله لهم.

﴿٦٨﴾ يعلم الله المثبطين منكم لغيرهم عن القتال مع رسول الله ﷺ والقائلين لإخوانهم: تعالوا إلينا ولا تقاتلوا معه حتى لا تُقتلوا، فإننا نخاف عليكم القتل، وهؤلاء المُخَذَّلُونَ لا يأتون الحرب ولا يشاركون فيها إلا نادراً؛ ليدفعوا عن أنفسهم العار، لا لينصروا الله ورسوله.

﴿٦٩﴾ بُخلاء عليكم - معشر المؤمنين - بأموالهم فلا يعينونكم ببذلها، وبخلاء بأنفسهم فلا يقاتلون معكم، وبخلاء بمودتهم فلا يوادونكم، فإذا جاء الخوف عند ملاقات العدو رأيتهم ينظرون إليك - أيها الرسول - تدور أعينهم من الجبن مثل دوران عيني من يعاني سكرات الموت، فإذا ذهب

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَسْتَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٦٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُؤُوا وَهُمْ لَا يَأْتُونَ الْبَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٧١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٧٢﴾

٤٢٠

عنهم الخوف واطمأنوا أذوكم بالكلام بالسنّة سليطة، أشحّة على الغنائم يبحثون عنها، أولئك المتصفون بهذه الصفات لم يؤمنوا حقاً، فأبطل الله ثواب أعمالهم، وكان ذلك الإبطال يسيراً على الله.

﴿٧٠﴾ يظنّ هؤلاء الجبناء أن الأحزاب المتألفة لقتال رسول الله ﷺ وقاتل المؤمنين لن يذهبوا حتى يستأصلوا المؤمنين، وإن قدر أن جاء الأحزاب مرة أخرى يودّ هؤلاء المنافقون أنهم خارجون من المدينة مع الأعراب، يسألون عن أخباركم: ماذا حدث لكم بعد قتال عدوكم لكم؟ ولو كانوا فيكم - أيها المؤمنون - ما قاتلوا معكم إلا قليلاً، فلا تبالوا بهم، ولا تأسوا عليهم.

﴿٧١﴾ لقد كان لكم فيما قاله رسول الله وقام به فعله، قدوة حسنة، فقد حضر بنفسه الكريمة، وياشر الحرب، فكيف تبخلون بعد ذلك بأنفسكم عن نفسه؟ ولا يتأسى برسول الله ﷺ إلا من كان يرجو اليوم الآخر، ويعمل له، وذكر الله ذكراً كثيراً، وأما الذي لا يرجو اليوم الآخر ولا يذكر الله كثيراً فإنه لا يتأسى برسوله ﷺ.

﴿٧٢﴾ ولما عين المؤمنون الأحزاب المجتمعة لقتالهم قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والمحن والنصر، وصدق الله ورسوله في هذا، فقد تحقق، وما زادتهم معانيتهم للأحزاب إلا إيماناً بالله واتباعاً له.

﴿٧٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الآجال محددة؛ لا يُقرَّبها قتال، ولا يُبعِّدها هروب منه.
- التثبيط عن الجهاد في سبيل الله شأن المنافقين دائماً.
- الرسول ﷺ قدوة المؤمنين في أقواله وأفعاله.
- الثقة بالله والاتباع له من صفات المؤمنين.

مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا أَتْدِيلًا ﴿٢٧﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٨﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٩﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٣٠﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْوُحُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٣١﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٣٢﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٣﴾ يٰ نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضْلَعْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٤﴾

﴿٢٧﴾ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات والصبر على الجهاد في سبيل الله، فمنهم من مات أو قتل في سبيل الله، ومنهم من ينتظر الشهادة في سبيله، وما غير هؤلاء المؤمنون ما عاهدوا الله عليه مثل ما فعله المنافقون بعهودهم.

﴿٢٨﴾ ليجزي الله الصادقين الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه بصدقهم ووفائهم بعهودهم، ويعذب المنافقين الناقضين لعهودهم إن شاء، بأن يميتهم قبل التوبة من كفرهم، أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة، وكان الله غفورًا لمن تاب من ذنوبه، رحيمًا به.

﴿٢٩﴾ ورد الله قريشًا وغطفان والذين معهم بكربهم وغتهم لغوتهم ما أملوا، لم يظفروا بما أرادوا من استئصال المؤمنين، وكفى الله المؤمنين القتال معهم؛ بما أرسله من الريح وأنزله من الملائكة، وكان الله قويًا عزيزًا لا يغالبه أحد إلا غلبه وخذله.

﴿٣٠﴾ وأنزل الله الذين أعانوهم من اليهود من حصونهم التي كانوا يتحصنون فيها من عدوهم، وألقى الخوف في نفوسهم، فريقًا تقتلونهم - أيها المؤمنون - وفريقًا تأسرونهم.

﴿٣١﴾ وملئكم الله بعد هلاكهم أرضهم بما فيها من زروع ونخيل، وملئكم منازلهم وأموالهم الأخرى، وملئكم أرض خيبر التي لم تطووها بعد،

لكنكم ستطوونها، وهذا وعد وبشرى للمؤمنين، وكان الله على كل شيء قديرًا، لا يعجزه شيء.

﴿٣٢﴾ يا أيها النبي، قل لأزواجك حين طلين منك التوسعة في النفقة ولم يكن عندك ما توسع به عليهن: إن كنتم تردن الحياة الدنيا وما فيها من زينة، فتعالين إلي أمتعكن بما تمتع به المطلقات، وأطلقكن طلاقًا لا إضرار فيه ولا إيذاء.

﴿٣٣﴾ وإن كنتم تردن رضا الله ورضا رسوله، وتردن الجنة في الدار الآخرة، فاصبرن على حالكن، فإن الله أعد لمن أحسن منكن بالصبر وحسن العشرة أجرًا عظيمًا.

﴿٣٤﴾ يا نساء النبي، من يأت منكن بمعضية ظاهرة يضاعف لها العذاب يوم القيامة ضعفين لمكانتها ومنزلتها، ولصيانة جناب النبي ﷺ. وكانت تلك المضاعفة على الله سهلة.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تركية الله لأصحاب رسول الله ﷺ، وهو شرف عظيم لهم.
- عون الله ونصره لعباده من حيث لا يحتسبون إذا اتقوا الله.
- سوء عاقبة الغدر على اليهود الذين ساعدوا الأحزاب.
- اختيار أزواج النبي ﷺ رضا الله ورسوله دليل على قوة إيمانهم.

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُفِثَ بِهَا
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٢٦﴾ يَنْسَاءُ الَّتِي
لَسَتْنَ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اْتَقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٢٧﴾ وَقَرْنَ
فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ
الصَّلَاةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٢٨﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُبْتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٢٩﴾
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فُرُوجَهُمُ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

٤٢٢

﴿٣١﴾ ومن تَذمَّ على طاعة الله ورسوله منكراً، وتعمل عملاً صالحاً مرضياً عند الله - نعطها من الثواب ضعف غيرها من سائر النساء، وأعدنا لها في الآخرة أجراً كريماً وهو الجنة.

﴿٣٢﴾ يا نساء النبي محمد ﷺ، لستنَّ في الفضل واشرف مثل سائر النساء، بل أنتنَّ في الفضل والشرف بالمنزلة التي لا يصل إليها غيركنَّ إن امتثلتنَّ أوامر الله واجتنبتنَّ نواهيه، فلا تُلبِسنَّ القول وترقنَّ الصوت إذا تكلمتنَّ مع الأجانب من الرجال، فيطمع بسبب ذلك من في قلبه مرض النفاق وشهوة الحرام، وقُلْنَ قولاً بعيداً من الريبة بأن يكون جدلاً لا هزلاً بقدر الحاجة.

﴿٣٣﴾ والبستنَّ في بيوتكنَّ، فلا تخرجن منها لغير حاجة، ولا تُظهرن محاسنكنَّ صنيع من كنَّ قبل الإسلام من النساء حيث كنَّ يبدن ذلك استمالة للرجال، وأذبن الصلاة على أكمل وجه، وأعطين زكاة أموالكنَّ، وأطعن الله ورسوله، إنما يريد الله سبحانه أن يذهب عنكم الأذى والسوء، يا أزواج رسول الله ويا أهل بيته، ويريد أن يطهر نفوسكم؛ بتحليتها بفصائل الأخلاق، وتخليتها عن رذائلها تطهيراً كاملاً، لا يبقى بعده دَس.

﴿٣٤﴾ واذكرن ما يُقرأ في بيوتكنَّ من آيات الله المنزلة على رسوله، ومن سُنَّة رسوله المطهرة، إن الله كان لطيفاً

بكنَّ حين امتنَّ عليكنَّ بأن جعلكنَّ في بيوت نبيّه، خبيراً بكنَّ حين اصطفاكنَّ أزواجاً لرسوله، واختاركنَّ أمهات لجميع المؤمنين من أمته.

﴿٣٥﴾ إن المتذللين لله بالطاعة والمتذللات، والمصدقين بالله والمصدقات، والمطيعين والمطيعات لله، والصادقين والصادقات في إيمانهم وقولهم، والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء، والمتصدقين بالمصدقات بأموالهم في الفرض والنفل، والصائمين والصائمات في الفرض والنفل، والحافظين والحافظات فروجهم بسترها عن الكشف أمام من لا يحلّ له النظر إليها، وبالبعد عن فاحشة الزنى ومقدماتها، والذاكرين والذاكرات الله بقلوبهم وألسنتهم كثيراً سرّاً وعلانية - أعدَّ الله لهم مغفرة منه لذنوبهم، وأعدَّ لهم ثواباً عظيماً يوم القيامة وهو الجنة.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من توجيهات القرآن للمرأة المسلمة: النهي عن الخضوع بالقول، والأمر بالمكث في البيوت إلا لحاجة، والنهي عن التبرج.
- فضل أهل بيت رسول الله ﷺ، وأزواجه من أهل بيته.
- مبدأ التساوي بين الرجال والنساء قائم في العمل والجزاء إلا ما استثناه الشرع لكل منهما.

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا مُؤْمِنَةً إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ وَسُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَانُوا بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَيَحْمِلُهُمْ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٤٢٣

﴿٣٦﴾ وَلَا يَصْخَرُ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا حَكَّمَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فِيهِمْ بِأَمْرٍ، أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْاِخْتِيَارُ فِي قَوْلِهِ أَوْ رَفْضِهِ، وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ضَلَالًا وَاضِحًا.

﴿٣٧﴾ وَإِذْ تَقُولُ - أَيُّهَا الرَسُولُ - لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ بِالْعَتَقِ - وَالْمَقْصُودُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ جَاءَكَ مُشَاوِرًا فِي شَأْنِ طَلَاقِ زَوْجَتِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ - تَقُولُ لَهُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَتَكَ وَلَا تَطْلُقْهَا، وَاتَّقِ اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَتَكْتُمُ فِي نَفْسِكَ - أَيُّهَا الرَسُولُ - مَا أَوْحَى إِلَيْكَ اللَّهُ بِهِ لَكَ مِنْ زَوَاجِكَ بِزَيْنَبَ خَشْيَةً مِنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَيُظْهِرُ طَلَاقَ زَيْدٍ لَهَا ثُمَّ زَوَاجَكَ مِنْهَا وَاللَّهُ أَوْلَى أَنْ تَخْشَاهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمَّا طَابَتْ نَفْسُ زَيْدٍ وَرَغِبَ عَنْهَا وَطَلَقَهَا زَوْجَانِهَا؛ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِثْمٌ فِي التَّزْوُجِ بِزَوَاجَاتِ أَبْنَائِهِمُ بِالنِّسْبَةِ إِذَا طَلَقُوهُنَّ وَانْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا لَا مَانِعَ مِنْهُ، وَلَا حَائِلَ دُونِهِ.

﴿٣٨﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ إِثْمٍ أَوْ تَضْيِيقٍ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ نِكَاحِ زَوْجَةِ ابْنِهِ بِالنِّسْبَةِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَتَّبِعُ سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ، فَلَيْسَ هُوَ ﷺ بِدَّعَا مِنَ الرِّسَالَةِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ مَا يَقْضِي اللَّهُ بِهِ - مِنْ إِمْتَامِ هَذَا الزَّوَاجِ وَإِبْطَالِ النَّبِيِّ وَلَيْسَ لِلنَّبِيِّ فِيهِ رَأْيٌ أَوْ خِيَارٌ - قَضَاءً نَافِذًا لَا مَرَدَ لَهُ.

﴿٣٩﴾ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ الْمُنْزَلَةَ عَلَيْهِمْ إِلَى أُمَّمِهِمْ، وَلَا يَخَافُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﷻ، فَلَا يُلْتَفَتُونَ إِلَى مَا يَقُولُهُ غَيْرُهُمْ عِنْدَمَا يَقْعِلُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَافِظًا لِأَعْمَالِ عِبَادِهِ لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَجَازِيَهُمْ بِهَا؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

﴿٤٠﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ، فَلَيْسَ هُوَ وَالِدُ زَيْدٍ حَتَّى يَحْرُمَ عَلَيْهِ نِكَاحُ زَوْجَتِهِ إِذَا طَلَقَهَا، وَلَكِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ عِبَادِهِ.

﴿٤١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، اذْكُرُوا اللَّهَ بِقُلُوبِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ وَجَوَارِحِكُمْ ذِكْرًا كَثِيرًا.

﴿٤٢﴾ وَنَزْهَوهُ سَبْحَانَهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ؛ لِفَضْلِهِمَا.

﴿٤٣﴾ هُوَ الَّذِي يَرْحَمُكُمْ وَيُنْثِي عَلَيْكُمْ، وَتَدْعُو لَكُمْ مَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا؛ فَلَا يَعْذِبُهُمْ إِذَا هُمْ أَطَاعُوهُ فَامْتَثَلُوا أَمْرَهُ وَاجْتَنِبُوا نَهْيَهُ.

﴿٤٤﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ:

- وجوب استسلام المؤمن لحكم الله والانقياد له.
- اطلاع الله على ما في النفوس.
- من مناقب أم المؤمنين زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: أَنْ زَوَّجَهَا اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.
- فضل ذكر الله، خاصة وقت الصباح والمساء.

﴿٤١﴾ تحية المؤمنين يوم يلقون ربهم سلام وأمان من كل سوء، وأعد الله لهم أجرًا كريمًا - وهو جنته - جزاء لهم على طاعتهم له، وبعدهم عن معصيته.

﴿٤٢﴾ يا أيها النبي، إنا بعثناك إلى الناس شاهدًا عليهم بأن بلغتهم ما أرسلت به إليهم، ومبشرًا للمؤمنين منهم بما أعد الله لهم من الجنة، ومخوفًا للكافرين مما أعد لهم من عذابه.

﴿٤٣﴾ وبعثناك داعيًا إلى توحيد الله وطاعته بأمره، وبعثناك مصباحًا منيرًا يستنير به كل من يريد الهداية.

﴿٤٤﴾ وأخير المؤمنين بالله الذين يعملون بما شرعه لهم، بما يسرهم أن لهم من الله سبحانه فضلًا عظيمًا يشمل نصرهم في الدنيا وفوزهم في الآخرة بدخول الجنة.

﴿٤٥﴾ ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يدعون إليه من الصد عن دين الله، وأعرض عنهم، فلعل ذلك يكون أدعى لأن يؤمنوا بما جئتكم به، واعتمد على الله في كل أموركم؛ ومنها النصر على أعدائكم، وكفى بالله وكيلًا يعتمد عليه العباد في جميع أمورهم في الدنيا والآخرة.

﴿٤٦﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، إذا عقدتم على المؤمنات عقد نكاح، ثم طلقتموهن

من قبل الدخول بهنّ فما لكم عليهن من عدة، سواء كانت بالأقراء أو الشهور؛ للعلم ببراءة أرحامهن بعدم البناء بهنّ، ومتعهنّ بأموالكم حسب وسعكم؛ جبرًا لخواطرهنّ المنكسرة بالطلاق، وخلّوا سبيلهنّ ينطلقن إلى أهلهنّ دون إيداء لهنّ.

﴿٤٧﴾ يا أيها النبي، إنا أبحنّا لك أزواجك اللاتي أعطيتهنّ مهورهنّ، وأحللنا لك ما ملكت من الإمامة مما أفاء الله به عليك من السبايا، وأحللنا لك نكاح بنات عمك، ونكاح بنات عماتك، ونكاح بنات خالاتك اللاتي هاجرن معك من مكة إلى المدينة، وأحللنا لك أن تنكح امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك من غير مهر إن أردت أن تنكحها، ونكاح الهبة خاص به ﷺ لا يجوز لغيره من الأمة، قد علمنا ما أوجبناه على المؤمنين في شأن زوجاتهم حيث لا يجوز لهم أن يتجاوزوا أربع نسوة، وما شرعناه لهم في شأن إمانتهم حيث إن لهم أن يستمتعوا بمن شاؤوا منهنّ دون تقييد بعدد، وأبحنّا لك ما أبحنّا مما ذكر مما لم نبهه لغيرك؛ لئلا يكون عليك ضيق ومشقة، وكان الله غفورًا لمن تاب من عباده، رحيماً بهم.

﴿٤٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الصبر على الأذى من صفات الداعية الناجح.
- يُنْدَبُ للزوج أن يعطي مطلقته قبل الدخول بها بعض المال جبرًا لخاطرها.
- خصوصية النبي ﷺ بجواز نكاح الهبة، وإن لم يحدث منه.

﴿٤٢﴾ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَقُوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْغَيْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ عَنِهَا
وَلَا يَحْزَنْكَ وَبَرِّضِينَ بِمَاءٍ أَنْتَ تَهْتِكُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٤٣﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ
النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدًا رَقِيبًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ
إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِذٍ إِنَّهُ وَلَئِنْ كُنْ
إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْتَضِينَ
لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ
وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ
مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ
وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ
مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كُنَّ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٤٥﴾
إِنْ تَبَدَّلُوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٦﴾

﴿٤٢﴾ تؤخر - أيها الرسول - من تشاء تأخير قسمة من نسائك فلا تبئت معها، وتضمم إليك من تشاء منهم فبئت معها، ومن طلبت أن تضمها ممن أخرتهن فلا إثم عليك في ذلك، ذلك التخيير والتوسيع لك أقرب أن تقر به أعين نسائك، وأن يرضين بما أعطيتهن جميعهن؛ لعلمهن أنك لم تترك واجبا، ولم تبخل بحق، والله يعلم ما في قلوبكم - أيها الرجال - من الميل إلى بعض النساء دون بعض، وكان الله عليما بأعمال عباده، لا يخفى عليه منها شيء، حليما لا يعاجلهم بالعقوبة لعلهم يتوبون إليه.

﴿٤٣﴾ لا يجوز لك - أيها الرسول - أن تتزوج بنساء غير زوجاتك اللاتي هن في عصمتك، ولا يحل لك أن تطلقهن، أو تطلق بعضهن لتأخذ غيرهن من النساء، ولو أعجبك حسن من تريد أن تتزوج بها من النساء غيرهن، لكن يجوز لك أن تنسرى بما ملكت يمينك من الإماء دون حصر في عدد محدد، وكان الله على كل شيء حفيظا. وهذا الحكم يدل على فضل أمهات المؤمنين، فقد منع طلاقهن والزواج عليهن.

﴿٤٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرع لهم، لا تدخلوا بيوت النبي إلا بعد أن يأذن لكم بدخولها بدعوتكم إلى طعام، ولا تطيلوا الجلوس

تنتظرون نضج الطعام، ولكن إذا دعيت إلى طعام فادخلوا، فإذا أكلتم فانصرفوا، ولا تمكثوا بعده يستأنس بعضكم بحديث بعض، إن ذلك المكث كان يؤذي النبي ﷺ فيستحي أن يطلب منكم الانصراف، والله لا يستحي أن يأمر بالحق، فأمركم بالانصراف عنه حتى لا تؤذوه ﷺ بالمكث، وإذا طلبتم من زوجات النبي ﷺ حاجة مثل آنية ونحوها فاطلبوها حاجتكم تلك من وراء ستر، ولا تطلبوها منهن مواجهة حتى لا تراهن أعينكم؛ صونا لهن؛ لمكانة رسول الله ﷺ، ذلكم الطلب من وراء ستر أظهر لقلوبكم وأظهر لقلوبهن؛ حتى لا يتطرق الشيطان إلى قلوبكم وقلوبهن بالسوسة وتزيين المنكر، وما ينبغي لكم - أيها المؤمنون - أن تؤذوا رسول الله ﷺ بالمكث للحديث، ولا أن تزوجوا نساءه من بعد موته، فهن أمهات المؤمنين، ولا يجوز لأحد أن يتزوج أمه، إن ذلكم الإيذاء - ومن صورته نكاحكم نساءه من بعد موته - حرام ويعد عند الله إثما عظيما.

﴿٤٥﴾ إن تظهروا شيئا من أعمالكم أو تستروه في أنفسكم، فلن يخفى على الله منه شيء، إن الله كان بكل شيء عليما، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ولا من غيرها، وسيجازيكم على أعمالكم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

● من فوائد الآيات،

- عظم مقام النبي ﷺ عند ربه حتى عاتب الصحابة في المكث في بيته الذي كان يؤذيه.
- ثبوت صفتي العلم والحلم لله تعالى.
- الحياء من أخلاق النبي ﷺ.
- صيانة مقام أمهات المؤمنين من زوجات النبي ﷺ.

﴿٥٤﴾ لَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرَاهُمْ وَيُكَلِّمَهُمْ
دُونَ حِجَابٍ: أَبَاؤُهُمْ، وَأَوْلَادُهُمْ،
وَإِخْوَانُهُمْ، وَأَبْنَاءُ إِخْوَانِهِمْ، وَأَبْنَاءُ
أَخَوَاتِهِمْ مِنَ النِّسْبِ أَوْ الرِّضَاعَةِ، وَلَا
إِثْمَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكَلِّمَهُمْ دُونَ حِجَابٍ:
النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ، وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ، وَاتَّقِينَ اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنَاتُ -
فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ
مُشَاهِدٌ لِمَا يَظْهَرُ مِنْكُمْ وَيُضْطَرُّ عَنْكُمْ.

﴿٥٥﴾ إِنْ اللَّهُ يَشْنِي عِنْدَ مَلَائِكَتِهِ عَلَى
الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَلَائِكَتُهُ يَدْعُونَ
لَهُ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا
شَرَعَ لِعِبَادِهِ، صَلُّوا عَلَى الرَّسُولِ
وَسَلِّمُوا عَلَيْهِ تَسْلِيمًا.

ولما أمر الله بتعظيم الرسول ﷺ
والصلاة عليه نهى عن إيذائه فقال:
﴿٥٦﴾ إِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ أَعَدَّ لَهُمُ اللَّهُ وَطَرْدَهُمْ
مِنْ رَحَابِ رَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ، وَأَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا
مَذْلًا جَزَاءً لَهُمْ عَلَى مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ
إِيْذَاءِ رَسُولِهِ.

﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ بَغِيرَ ذَنْبٍ
اِكْتَسَبُوهُ مِنْ جَنَائِهِ تَوْجِبُ ذَلِكَ الْإِيْذَاءَ،
فَقَدْ احْتَمَلُوا كَذِبًا وَإِثْمًا ظَاهِرًا.

﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ، وَقُلْ
لِّبَنَاتِكَ، وَقُلْ لِّلنِّسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ: يُرْخِصْنَ
عَلَيْهِنَّ مِنَ الْجَلَابِيبِ الَّتِي يَلْبَسْنَهَا حَتَّى
لَا تُنْكَشِفَ مِنْهُنَّ عَوْرَةَ أَمَامِ الْأَجَانِبِ

من الرجال؛ ذلك أقرب أن يُعرف أُنْهَرَ حُرَائِرُ فلا يُتَعَرَّضُ لَهُنَّ أَحَدٌ بِالْإِيْذَاءِ كَمَا يُتَعَرَّضُ بِهِ لِلْإِمَاءِ، وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا لِلذُّنُوبِ مِنْ تَابِ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمًا بِهِ.

﴿٥٩﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ عَنْ نِفَاقِهِمْ؛ بِإِضْمَارِهِمُ الْكُفْرَ وَإِظْهَارِهِمُ الْإِسْلَامَ، وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ فَجُورٌ بِتَعَلُّقِهِمْ
بِشَهَوَاتِهِمْ، وَالَّذِينَ يَأْتُونَ بِالْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ فِي الْمَدِينَةِ لِيُفَرِّقُوا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ -: لِنَأْمُرَنَّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِمَعَاذَتِهِمْ،
وَلِنَسْلُطَنَّكَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ لَا يُسَاقُونَكَ فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الزَّمَنِ؛ لِإِهْلَاكِهِمْ أَوْ طَرْدِهِمْ عَنْهَا بِسَبَبِ إِفْسَادِهِمْ فِي
الْأَرْضِ.

﴿٦٠﴾ مَطْرُودِينَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فِي أَيِّ مَكَانٍ لُقُوا أُجْذَوْا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا؛ لِنَفَاقِهِمْ وَنَشْرِهِمُ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ.

﴿٦١﴾ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ الْجَارِيَةُ فِي الْمُنَافِقِينَ إِذَا أَظْهَرُوا النِّفَاقَ، وَسُنَّةُ اللَّهِ ثَابِتَةٌ لَنْ تَجِدَ لَهَا أَبَدًا تَغْيِيرًا.

﴿٦٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- علو منزلة النبي ﷺ عند الله وملائكته.
- حرمة إيذاء المؤمنين دون سبب.
- النفاق سبب لنزول العذاب بصاحبه.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَمَلُهُا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ
وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا
فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ
وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فُزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

٤٢٧

﴿٦٣﴾ يسألك المشركون - أيها الرسول - سؤال إنكار وتكذيب، ويسألك اليهود أيضًا؛ عن الساعة: متى وقتها؟ قل لهؤلاء: علم الساعة عند الله ليس عندي منه شيء، وما يشعرك - أيها الرسول - أن الساعة تكون قريبة؟

﴿٦٤﴾ إن الله سبحانه طرد الكافرين من رحمته، وهباً لهم يوم القيامة نازراً ملتهبة تنتظرهم.

﴿٦٥﴾ ماكثون في عذاب تلك النار المعدة لهم أبداً، لا يجدون فيها ولياً ينفعهم، ولا نصيراً يدفع عنهم عذابها.

﴿٦٦﴾ يوم القيامة تقلب وجوههم في نار جهنم، يقولون من شدة التحسر والندم: يا ليتنا في حياتنا الدنيا كنا أطعنا الله بامتثال ما أمرونا به، واجتناب ما نهانا عنه، وأطعنا الرسول فيما جاء به من ربه.

﴿٦٧﴾ جاء هؤلاء بحجة واهية باطلة فقالوا: ربنا إنا أطعنا رؤساءنا وكبراء أقوامنا، فأضلونا عن الصراط المستقيم.

﴿٦٨﴾ ربنا، اجعل لهؤلاء الرؤساء والكبراء الذين أضلونا عن الصراط المستقيم ضغفئ ما جعلت لنا من العذاب لإضلالهم إيانا، واطردهم من رحمتك طرداً عظيماً.

﴿٦٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تؤذوا رسولكم فتكونوا مثل الذين آذوا موسى كعبيهم له في جسده فبرّاه الله مما قالوا فيه، وكان موسى عند الله وجيهاً، لا يردّ طلبه، ولا يخيب سماعه.

﴿٧٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرعه لهم، اتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وقولوا قولاً صواباً صدقاً.

﴿٧١﴾ إنكم إن اتقيتم الله وقلتم قولاً صواباً، أصحح لكم أعمالكم، وتقبلها منكم، ومَحَا عَنْكُمْ ذُنُوبَكُمْ فلا يؤاخذكم بها، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً لا يذانيه أي فوز، وهو الفوز برضا الله ودخول الجنة.

﴿٧٢﴾ إنا عرضنا التكليف الشرعية، وما يحفظ من أموال وأسرار، على السماوات وعلى الأرض وعلى الجبال، فامتنعن من حملها، وخفن من عاقبتها، وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً لنفسه، جهولاً بعاقبة حملها.

﴿٧٣﴾ حملها الإنسان بقدر من الله؛ ليعذب الله المنافقين من الرجال والمنافقات من النساء، والمشركين من الرجال والمشركات من النساء؛ على نفاقهم وشركهم بالله، وليتوب الله على المؤمنين والمؤمنات الذين أحسنوا حمل أمانة التكليف، وكان الله غفوراً للذنوب من تاب من عباده رحيماً بهم.

● من قَوَائِدِ آيَاتِ،

- اختصاص الله بعلم الساعة.
- تحميل الأتباع كِبَرَاءَتِهِمْ مسؤولية إضلالهم لا يعفيهم هم من المسؤولية.
- شدة التحريم لإيذاء الأنبياء بالقول أو الفعل.
- عظم الأمانة التي تحملها الإنسان.

• من مقاصد السورة:

بيان مظاهر القدرة الإلهية على تبديل الأحوال، وأحوال الخلق في النعم بين الشكر والكفر.

• التفسير:

① الحمد لله الذي له كل ما في السموات وكل ما في الأرض، خلقاً وملئاً وتديراً، وله سبحانه الشئ في الآخرة، وهو الحكيم في خلقه وتديريه، الخبير بأحوال عباده، لا يخفى عليه منها شيء.

② يعلم ما يدخل في الأرض من ماء ونبات، ويعلم ما يخرج منها من نبات وغيره، ويعلم ما ينزل من السماء من المطر والملائكة والرزق، ويعلم ما يصعد في السماء من الملائكة وأعمال عباده وأرواحهم، وهو الرحيم بعباده المؤمنين، الغفور لذنوب من تاب إليه.

③ وقال الذين كفروا بالله: لا تأتينا الساعة أبداً، قل لهم - أيها الرسول -: بلى والله، لتأتينكم الساعة التي تكذبون بها، لكن لا يعلم وقت ذلك إلا الله، فهو سبحانه عالم ما غاب من الساعة وغيرها، لا يغيب عن علمه سبحانه وزن أصغر نملة في السموات ولا في الأرض، ولا يغيب عنه أصغر من ذلك المذكور ولا أكبر، إلا هو مكتوب في كتاب واضح، وهو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل شيء كائن إلى يوم القيامة.

④ أثبت الله ما أثبت في اللوح المحفوظ ليجزي الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، أولئك المتصفون بتلك الصفات لهم من الله مغفرة لذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، ولهم رزق كريم؛ وهو جنته يوم القيامة.

⑤ والذين عملوا جاهدين لإبطال ما أنزل الله من آيات، فقالوا عنها: سحر، وقالوا عن رسولنا: كاهن، ساحر، شاعر، أولئك المتصفون بتلك الصفات لهم يوم القيامة أسوأ عذاب وأشدّه.

⑥ ويشهد علماء الصحابة ومن آمن من علماء أهل الكتاب أن الذي أنزله الله إليك من الوحي هو الحق الذي لا مرية فيه، ويرشد إلى طريق العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في الدنيا والآخرة.

⑦ وقال الذين كفروا بالله لبعضهم؛ تعجباً وسخرية مما جاء به الرسول ﷺ: هل ندلكم على رجل يخبركم أنكم إذا متم وقطعتم تقطعاً أنكم ستبعثون بعد موتكم أحياء؟!

• من فوائد الآيات:

- سعة علم الله سبحانه المحيط بكل شيء.
- فضل أهل العلم.
- إنكار المشركين لبعث الأجساد تنكراً لقدرة الله الذي خلقهم.

﴿٨﴾ وقالوا: هل اختلف هذا الرجل على الله كذباً فزعم ما زعم من بعثنا بعد موتنا، أم هو مجنون يهذي بما لا حقيقة له؟ ليس الأمر كما زعم هؤلاء، بل الحاصل أن الذين لا يؤمنون بالآخرة هم في العذاب الشديد يوم القيامة، وفي الضلال البعيد عن الحق في الدنيا.

﴿٩﴾ أفلم ير هؤلاء المكذبون بالبعث ما بين أيديهم من الأرض، ويروا ما خلفهم من السماء؟ إن نشأ خُشف الأرض من تحت أقدامهم خُشفناها من تحتهم، وإن نشأ أن نسقط عليهم قِطْعاً من السماء لأسقطناها عليهم، إن في ذلك لعلامة قاطعة لكل عبد كثير الرجوع إلى طاعة ربه يستدل بها على قدرة الله، فالقادر على ذلك قادر على بعثكم بعد موتكم وتمزيق أجسامكم.

﴿١٠﴾ ولقد أعطينا داود عليه السلام منا نبوة وملكاً، وقلنا للجبال: يا جبال، رُجعي مع داود التسبيح، وهكذا قلنا للطير، وصيرنا له الحديد ليتنا ليصنع منه ما يشاء من أدوات.

﴿١١﴾ أن اعمل - يا داود - دروعاً واسعة تقي مقاتليك بأس عدوهم، وصير المسامير مناسبة للخلق فلا تجعلها دقيقة بحيث لا تستقر فيها، ولا غليظة بحيث لا تدخل فيها، واعملوا عملاً صالحاً، إني بما تعملون بصير، لا يخفى عليّ من أعمالكم شيء، وسأجازيكم عليها.

أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ لَنَا خُشْفًا بِهِمُ الْأَرْضِ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا لَّيْجِبَالُ أُورِى مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَبِغًا وَفَدَّرِ فِي السَّيِّدِ وَاعْمَلُوا صَاحِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَلِمْنَا مِنَ الرِّيحِ غُدُوهاً شَهْرٌ وَرَوْحاً شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مَنَّهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقُهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ اعْمَلُوا أَلْ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّلَهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ وَقَلَّمَ آخَرَ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبِ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

٤٢٩

﴿١٢﴾ وسخرنا سليمان بن داود عليه السلام الريح، تسير في الصباح مسافة شهر، وتسير في المساء مسافة شهر، وسئلنا له عين النحاس ليصنع من النحاس ما يشاء، وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه بأمر ربه، والذي يميل من الجن عما أمرناه به من العمل يُذيقه من عذاب النار الملتهبة.

﴿١٣﴾ يعمل هؤلاء الجن سليمان ما أراد من مساجد للصلاة ومن قصور، وما يشاء من صور، وما يشاء من قصاع مثل حياض الماء الكبيرة، وقدر الطبخ الثابتات فلا يُحرَّكْنَ لِغَظْمِهِنَّ، وقلنا لهم: اعملوا - يا آل داود - شكرًا لله على ما أنعم به عليكم، وقليل من عبادي الشكور لي على ما أنعمت عليه.

﴿١٤﴾ فلما حكمنا على سليمان بالموت ما أرشد الجن إلى أنه قد مات إلا حشرة الأرضة تأكل عصاه التي كان متكئاً عليها، فلما سقط تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبِ؛ إِذْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَهُ لَمَا مَكَثُوا فِي الْعَذَابِ الْمَذِلِّ لَهُمْ، وَهُوَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ التي يعملونها سليمان عليه السلام ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ حَيٌّ يَرَاهُمْ.

﴿١٥﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- تكريم الله لنبيه داود بالنبوة والملك، وبتسخير الجبال والطير يسبحن بتسبيحه، وإلانة الحديد له.
- تكريم الله لنبيه سليمان عليه السلام بالنبوة والملك.
- اقتضاء النعم لشكر الله عليها.
- اختصاص الله بعلم الغيب، فلا أساس لما يُدعى من أن للجن أو غيرهم اطلاعاً على الغيب.

ولما ذكر الله ما أنعم به على داود وابنه سليمان ﷺ، ذكر ما أنعم به على أهل سبأ، إلا أن داود وسليمان ﷺ شكرا الله وأهل سبأ كفروه، فقال:

﴿١٥﴾ لقد كان لقبيلة سبأ في مسكنهم الذي كانوا يسكنون فيه علامة ظاهرة على قدرة الله وإنعامه عليهم؛ وهي جنتان: إحداهما عن اليمين، والثانية عن الشمال، وقلنا لهم: كلوا من رزق ربكم، واشكروه على نعمه؛ هذه بلدة طيبة، وهذا الله رب غفور يغفر ذنوب من تاب إليه.

﴿١٦﴾ فأعرضوا عن شكر الله والإيمان برسله، فعاقبناهم بتبديل نعمهم نقمًا، فأرسلنا عليهم سيلًا جارفًا خرب سدوم وأغرق مزارعهم، وبدلناهم ببُستانتهم بُستانين مُثمرين بالشمر المر، وفيهما شجر الأثل غير المثمر، وشيء قليل من السدر.

﴿١٧﴾ ذلك التبديل - الحاصل لما كانوا عليه من النعم - بسبب كفرهم وإعراضهم عن شكر النعم، ولا نعاقب هذا العقاب الشديد إلا الجحود لنعم الله الكفور به سبحانه.

﴿١٨﴾ وجعلنا بين أهل سبأ في اليمن وبين قرى الشام التي باركنا فيها قرى متقاربة، وقدرنا فيها السير بحيث يسرون من قرية إلى قرية دون مشقة حتى يصلوا الشام، وقلنا لهم: سيروا فيها ما شئتم من ليل أو نهار في أمن من العدو والجوع والعطش.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَيْبَ الْقَرِيَّ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةَ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ وَقَاتَبُوهُ الْإِلَّاهَ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَوْمَئِذٍ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شَرْكٍ وَمَا لَكُم مِّنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

٤٣٠

﴿١٩﴾ فبطروا نعمة الله عليهم بتقريب المسافات، وقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا بإزالة تلك القرى حتى نذوق تعب الأسفار، وتظهر مزية ركائبنا، وظلموا أنفسهم ببطرهم نعمة الله وإعراضهم عن شكره وحسدهم للفقراء منهم، فصبرناهم أحاديث يتحدث بها من بعدهم، وفرقتهم في البلاد كل فريق، بحيث لا يتواصلون فيما بينهم، إن في ذلك المذكور - من الإنعام على أهل سبأ ثم الانتقام منهم لكفرهم وبطرهم - لعبرة لكل صَبَّارٍ على طاعة الله وعن معصيته وعلى البلاء، شكور لنعم الله عليه.

﴿٢٠﴾ ولقد حَقَّقَ عليهم إبليس ما ظنه من أنه يستطيع إغواءهم وإضلالهم عن الحق، فاتبعوه في الكفر والضلال إلا طائفة من المؤمنين فإنهم خيبروا رجاءه بعدم اتباعهم له.

﴿٢١﴾ وما كان لإبليس عليهم من سلطان يقهرهم به على أن يضلوا، وإنما كان يزين لهم ويغويهم، إلا أنا أَدْنَا لَهُ فِي إغوائهم لنعلم من يؤمن بالآخرة وما فيها من جزاء، ممن هو من الآخرة في شك، وربك - أيها الرسول - على كل شيء حفيظ، يحفظ أعمال عباده، ويجازيهم عليها.

﴿٢٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: نادوا الذين زعمتم أنهم آلهة لكم من دون الله ليجلبوا لكم النفع أو يكشفوا عنكم الضر، فهم لا يملكون وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض، وليس لهم شرك فيها مع الله، وليس لله من معين يعينه، فهو غني عن الشركاء وعن المعينين.

﴿٢٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الشكر يحفظ النعم، والجحود يسبب سلبها. • الأمن من أعظم النعم التي يمتن الله بها على العباد. • الإيمان الصحيح يعصم من اتباع إغواء الشيطان بإذن الله. • ظهور إبطال أسباب الشرك ومداخله كالزعم بأن للأصنام مُلْكًا أو مشاركة لله، أو إعانة أو شفاعة عند الله.

(٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ وَحَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣) * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ (٢٤) وَإِنَّا أَوَّلَآئِكَ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ (٢٥) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٦) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَاحُ الْعَلِيمُ (٢٧) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٨) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صٰدِقِينَ (٣٠) قُلْ لَّكُمْ مِّيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَحْضِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ (٣١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضْعِفُوا لِّلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ لَنَا مَوْمِنٌ (٣٢)

(٢٣) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: من يرزقكم من السماوات والارض المطر، ومن الارض بالنبات الثمرات والزرع والفواكه؟ قل: الله هو الذي يرزقكم منها، وإننا أو إياكم - أيها المشركون - لعلی هداية أو في ضلال واضح عن الطريق، فأحدنا لا محالة كذلك، ولا شك أن أهل الهدى هم المؤمنون، وأن أهل الضلال هم المشركون.

(٢٤) قل لهم - أيها الرسول -: لا تسألون يوم القيامة، عن ذنوبنا التي ارتكبناها، ولا نسأل نحن عما كنتم تعملون.

(٢٥) قل لهم: يجمع الله بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يقضي بيننا وبينكم بالعدل، فيبين المَحَقَّ مِنَ الْمُبْطَل وهو الحاكم الذي يحكم بالعدل، العليم بما يحكم به.

(٢٦) قل لهم - أيها الرسول -: أروني الذين جعلتموهم لله شركاء تشركونهم

معه في العبادة، كلا، ليس الأمر كما تصورتهم من أن له شركاء، بل هو الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وقدره وتدبيره.

(٢٧) وما بعثناك - أيها الرسول - إلا للناس عامة مبشراً أهل التقوى بأن لهم الجنة، ومُخَوِّفًا أهل الكفر والفجور من النار، ولكن معظم الناس لا يعلمون ذلك، فلو علموه لما كذبوك.

(٢٨) ويقول المشركون مستعجلين بالعذاب الذي يخوفون منه: متى هذا الوعد بالعذاب إن كنتم صادقين فيما تدعونه من أنه حق؟

(٢٩) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: لكم ميعاد يوم محدد؛ لا تتأخرون عنه ساعة، ولا تتقدمون عنه ساعة، وهذا اليوم هو يوم القيامة.

(٣٠) وقال الذين كفروا بالله: لن نؤمن بهذا القرآن الذي يزعم محمد أنه منزل عليه، ولن نؤمن بالكتب السماوية السابقة، ولو ترى - أيها الرسول - إذ الظالمون محبوسون عند ربهم يوم القيامة للحساب، يراجعون الكلام بينهم، يُلقِي كل منهم المسؤولية واللوم على الآخر، يقول الأتباع الذين استضعفوا لسادتهم الذين استضعفوه في الدنيا: لولا أنكم أضللتُمونا، لكانا مؤمنين بالله وبرسوله.

• مِنَ قَوَائِدِ آيَاتِهِ.

• التلطف بالمدعو حتى لا يلوذ بالعناد والمكابرة.

• صاحب الهدى مُسْتَعْلٍ بالهدى مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محقر.

• شمول رسالة النبي ﷺ للبشرية جمعاء، والجن كذلك.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدُكُمْ
عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِلْ كُنْتُمْ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرٌ آلِيلٌ وَالنَّهَارُ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْطَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُّتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ
عِنْدَنَا لَفِي إِلَّا مَنَاءٍ أَمِنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ
الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ؕ آمَنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُّجْرِمِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُّحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

٤٣٢

﴿٣٢﴾ قال المتبوعون الذين استكبروا
عن الحق للتابعين الذين استضعفوه:
أنحن منعناكم عن الهدى الذي جاءكم
به محمد؟! لا، بل كنتم ظلمة
وأصحاب فساد وإفساد.

﴿٣٣﴾ وقال المتبوعون الذين استضعفهم
سادتهم لمتبوعيههم المستكبرين عن
الحق: بل صدنا عن الهدى مكرهم بنا
بالليل والنهار حين كنتم تأمروننا
بالكفر بالله، وعبادة مخلوقين من
دونه. وأخفوا الندامة على ما كانوا
عليه من الكفر في الدنيا حين شاهدوا
العذاب، وعلموا أنهم معذبون،
وجعلنا الأصفاد في أعناق الكافرين،
لا يجزون هذا الجزاء إلا بما كانوا
يعملونه في الدنيا من عبادة غير الله
وارتكاب المعاصي.

ولتسلي الرسول ﷺ حين كذبه قومه
ذكره الله بأن التكذيب هو ذنبن الأمم
من قبله، فقال:

﴿٣٤﴾ وما بعنا في قرية من القرى من
رسول يخوفهم عذاب الله إلا قال
الْمُتَكَبِّرُونَ فيها من أصحاب السلطان
والجاء والمال: إنا بما بُعِثْتُمْ به - أيها
الرسل - كافرون.

﴿٣٥﴾ وقال أصحاب الجاه هؤلاء
مُتَبَجِّحِينَ مفتخرين: نحن أكثر أموالاً
وأكثر أولاداً، وما زعمت من أننا
مُعَذَّبُونَ كذب، فلسنا بمُعَذَّبِينَ في
الدنيا ولا في الآخرة.

﴿٣٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المغرورين بما أوتوا من النعم: ربي ﷻ يوسع الرزق لمن يشاء اختياراً له أشكر
أم يكفر، ويضيقه على من يشاء ابتلاءً له أيصبر أم يتسخط؟ ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الله حكيم؛ لا يقدر
أمراً إلا لحكمة بالغة؛ عِلْمُهَا مَن عِلْمُهَا وَجْهَلُهَا مَن جْهَلُهَا.

﴿٣٧﴾ وليست أموالكم ولا أولادكم التي تفتخرون بها هي التي تقودكم إلى رضوان الله، لكن من آمن بالله وعمل
عملاً صالحاً حاز الأجر المُضَاعَفَ؛ فالأموال تقربه بإنفاقها في سبيل الله، والأولاد بدعائهم له، فأولئك المؤمنون
العاملون للمصالحات لهم ثواب مضاعف لما عملوه من حسنات؛ وهم في المنازل العليا من الجنة آمنون من كل ما
يخافونه من العذاب والموت وانقطاع النعيم.

﴿٣٨﴾ والكفار الذين يبذلون غاية جهدهم في صرف الناس عن آياتنا ويسعون في تحقيق أهدافهم هؤلاء خاسرون في
الدنيا مُعَذَّبُونَ في الآخرة.

﴿٣٩﴾ قل - أيها الرسول -: إن ربي ﷻ يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم، وما أنفقتُم
من شيء في سبيل الله، فانه ﷻ يخلفه عليكم في الدنيا بإعطائكم ما هو خير منه، وفي الآخرة بالثواب الجزيل،
والله سبحانه هو خير الرازقين، فمن طلب الرزق فليجأ إليه سبحانه.

• من قَوَائِلِ الْآيَاتِ

- تبرؤ الأنباع والمتبوعين بعضهم من بعض، لا يُعْنِي كلاً من مسؤوليته.
- الترف مُبْعَدٌ عن الإذعان للحق والانقياد له. • المؤمن ينفقه ماله وولده، والكافر لا يتنفع بهما.
- الاتفاق في سبيل الله يؤدي إلى إخلاف المال في الدنيا، والجزاء الحسن في الآخرة.

﴿٤١﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يحشرهم الله جميعاً، ثم يقول سبحانه للملائكة تقريباً للمشركين وتوبيخاً لهم: أهؤلاء كانوا يعبدونكم في الحياة الدنيا من دون الله؟

﴿٤٢﴾ قال الملائكة: تنزهت وتقدس! أنت ولينا من دونهم، فلا موالاة بيننا وبينهم، بل كان هؤلاء المشركون يعبدون الشياطين؛ يتمثلون لهم أنهم ملائكة فيعبدونهم من دون الله، معظمهم بهم مؤمنون.

﴿٤٣﴾ يوم الحشر والحساب لا يملك المعبدون لمن عبدوهم في الدنيا من دون الله نفعاً، ولا يملكون لهم ضرراً، ونقول للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي: ذوقوا عذاب النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا.

﴿٤٤﴾ وإذا تقرأ على هؤلاء المشركين المكذبين آياتنا المنزلة على رسولنا واضحة لا لبس فيها قالوا: ما هذا الرجل الذي جاء بها إلا رجل يريد أن يصدفكم عما كان عليه آبائكم، وقالوا: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه على الله، وقال الذين كفروا بالله للقرآن لما جاءهم من عند الله: ليس هذا إلا سحرٌ واضحٌ لتفريقه بين المرء وزوجه، والابن وأبيه.

﴿٤٥﴾ وما أعطيناهم من كتب يقرؤونها حتى ترشداهم أن هذا القرآن كذب اختلقه محمد، وما أرسلنا إليهم قبل

إرسالك - أيها الرسول - من رسول يخوفهم من عذاب الله.

﴿٤٦﴾ وكذبت الأمم السابقة مثل عاد وثمود وقوم لوط، وما وصل المشركون من قومك إلى معشار ما وصلت إليه الأمم السابقة من القوة والمنعة والمال والعدد، فكذب كل منهم رسوله، فما نفعهم ما أوتوا من المال والقوة والعدد، فوقع بهم عذابي، فانظر - أيها الرسول - كيف كان إنكاري عليهم، وكيف كان عقابي لهم.

﴿٤٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إنما أشير إليكم وأنصحكم ببخلة واحدة؛ هي أن تقوموا متجردين من الهوى لله سبحانه، اثنين اثنين أو منفردين، ثم تفكروا في سيرة صاحبكم، وما علمتم من عقله وصدقه وأمانته؛ لتبينوا أنه ﷺ ليس به جنون، ما هو إلا محذر لكم بين يدي عذاب شديد إن لم تتوبوا إلى الله من الشرك به.

﴿٤٨﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: ما سألتكم من ثواب أو أجر على ما جئتكم به من الهدى والخير - على تقدير وجوده -، فهو لكم، ليس ثوابي إلا على الله وحده، وهو سبحانه على كل شيء شهيد، فهو يشهد على أني بلغتكم، ويشهد على أعمالكم، فيوفيكم جزاءها.

ولما بين سبحانه الحجج على أهل الباطل والشرك بين أن ذلك سُتّه فقال:

﴿٤٩﴾ قل - أيها الرسول -: إن ربي يسلط الحق على الباطل فيبطله، وهو علام الغيوب، لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه أعمال عباده.

﴿٥٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْإِيمَانِ، • التقليد الأعمى للأبناء صارف عن الهداية. • التفكر مع التجرد من الهوى وسيلة للوصول إلى القرار الصحيح، والفكر الصائب. • الداعية إلى الله لا ينتظر الأجر من الناس، وإنما ينتظره من رب الناس.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا يَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِذَا نُنَادِي عَلَىٰ عِلِّيِّهِمْ آيَتُنَا بِئْسَ تِلْكَ قَالَُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَاكُ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤَمَّنٌ ﴿٤٤﴾ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٥﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٦﴾ * قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِيَ وَفُرْدَى ثُمَّ تَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٧﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمِ الْغُيُوبِ ﴿٤٩﴾

وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا لَكُمْ يَمِيدُ عَوَاكِجَ رِيحٍ مُلَوَّنَةٍ وَلَيْكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ
أَلَّهِ يَضِلْ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِ مِنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَمُقَنَّاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ
بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الشُّعُورُ ﴿٦﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ
﴿٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ
وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨﴾

٤٣٥

﴿١﴾ وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - فاصبر، فليست أول رسول كذبه قومه، فقد كذبت أمم من قبلك رسلكم مثل عاد وثمود وقوم لوط، وإلى الله وحده ترجع الأمور كلها، فيهلك المكذبين، وينصر رسله والمؤمنين.

﴿٢﴾ يا أيها الناس، إن ما وعد الله به - من البعث والجزاء يوم القيامة - حق لا شك فيه، فلا تخدعنكم لذات الحياة الدنيا وشهواتها عن الاستعداد لهذا اليوم بالعمل الصالح، ولا يخدعنكم الشيطان بتزيينه للباطل، والركون إلى الحياة الدنيا.

﴿٣﴾ إن الشيطان لكم - أيها الناس - عدو دائم العداوة، فاتخذوه عدوًّا بالتزام محاربتة، إنما يدعو الشيطان أتباعه إلى الكفر بالله لتكون عاقبتهم دخول النار الملتهمة يوم القيامة.

﴿٤﴾ الذين كفروا بالله أتباعا للشيطان، لهم عذاب قوي، والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لهم مغفرة من الله لذنوبهم، ولهم أجر عظيم وهو الجنة.

﴿٥﴾ إن من حسن له الشيطان عمله السيئ فاعتقده هو حسنًا، ليس كمن زين له الله الحق فاعتقده حقًا، فإن الله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، لا مكروه له، فلا تهلك - أيها الرسول - نفسك حزنًا على ضلال الضالين، إن الله سبحانه عليم بما يصنعون، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

﴿٦﴾ والله الذي بعث الرياح فتحرك هذه الرياح سحابًا، فسقنا السحاب إلى بلد لا نبات فيه، فأحيينا بمائه الأرض بعد جفافها بما أنبتاه فيها من النبات، فكما أحيينا هذه الأرض بعد موتها بما أودعناه فيها من النبات، يكون بعث الأموات يوم القيامة.

﴿٧﴾ من كان يريد العزة في الدنيا أو في الآخرة فلا يطلبها إلا من الله، فلله وحده العزة فيهما، إليه يصعد ذكره الطيب، وعمل العباد الصالح يرفعه إليه، والذين يدبرون المكائد السيئة - كمحاولة قتل الرسول ﷺ - لهم عذاب شديد، ومكر أولئك الكفار بطل ويفسد، ولا يحقق لهم مقصدًا.

﴿٨﴾ والله هو الذي خلق أبائكم آدم من تراب، ثم خلقكم من نطفة، ثم جعلكم ذكورا وإناثًا تتزاجون بينكم، وما تحمل من أنثى جنينًا، ولا تضع ولدها إلا بعلمه سبحانه، لا يغيب عنه من ذلك شيء، وما يزداد في عمر أحد من خلقه ولا ينقص منه إلا كان ذلك مسطورًا في اللوح المحفوظ، إن ذلك المذكور - من خلقكم من تراب وخلقكم أطوارًا وكتابة أعماركم في اللوح المحفوظ - على الله سهل.

• مِنْ قَوْلَيْهِ الْآيَاتِ،

- تسليمة الرسول ﷺ بذكر أخبار الرسل مع أقوامهم. • الاغترار بالدنيا سبب الإعراض عن الحق.
- اتخاذ الشيطان عدوًّا باتخاذ الأسباب المعينة على التحرز منه؛ من ذكر الله، وتلاوة القرآن، وفعل الطاعة، وترك المعاصي.
- ثبوت صفة العلو لله تعالى.

﴿١٧﴾ ولا يتساوى البحران: أحدهما عذب شديد العذوبة، سهل شربه لعذوبته، والثاني ملح مر لا يمكن شربه لشدة ملوحته، ومن كل من البحرين المذكورين تأكلون لحمًا طريًا هو السمك، وتستخرجون منهما اللؤلؤ والمرجان تلبسونهما زينة، وترى السفن - أيها الناظر - تشقُّ بخزيتها البحر مُقبلة ومدبرة، لتطلبوا من فضل الله بالتجارة، ولعلكم تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من نعمه الكثيرة.

﴿١٨﴾ يُدْخِلُ الله الليل في النهار فيزيده طولًا، ويدخل النهار في الليل فيزيده طولًا، وسخر سبحانه الشمس، وسخر القمر، كل منهما يجري لموعدهٍ مقدر يعلمه الله، وهو يوم القيامة، ذلك الذي يقدر ذلك كله ويجريه هو الله ربكم؛ له وحده الملك، والذين تعبدونهم من دونه من الأوثان ما يملكون قدر لفافة نواة تمر، فكيف تعبدونهم من دوني؟!

﴿١٩﴾ إن تدعوا معبوديكم لا يسمعوا دعاءكم، فهم جمادات لا حياة فيها ولا سمع لها، ولو سمعوا دعاءكم - على سبيل التقدير - لما استجابوا لكم، ويوم القيامة يتبرؤون من شرككم وعبادتكم إياهم، فلا أحد يخبرك - أيها الرسول - أصدق من الله سبحانه.

﴿٢٠﴾ يا أيها الناس، أنتم المحتاجون إلى الله في كل شؤونكم، وفي كل أحوالكم، والله هو الغني الذي لا يحتاج إليكم في شيء، المحمود في الدنيا والآخرة على ما يقدره لعباده.

﴿٢١﴾ إن يشأ سبحانه أن يزيلكم بهلاك يهلككم به أزالكم، ويأت بخلق جديد بدلکم، لا يشركون به شيئًا. ﴿٢٢﴾ وما إزالكم بإهلاككم، وإتيان بخلق جديد بدلکم؛ بمرتب على الله ﷻ. ﴿٢٣﴾ ولا تحمل نفس مذنب ذنب نفس مذنب أخرى، بل كل نفس مذنبه تحمل ذنبها، وإن تدع نفس مُثْقَلَةٌ بحمل ذنوبها مَنْ يحمل عنها شيئًا من ذنوبها لا يُحْمَلُ عنها من ذنوبها شيء، ولو كان المدعو قريبًا لها، إنما تخوف - أيها الرسول - من عذاب الله الذين يخافون ربهم بالغيب، وأتموا الصلاة على أكمل وجوها، فهم الذين ينتفعون بتخويفك، ومن تطهر من المعاصي - وأعظمها الشرك - فإنما يتطهر لنفسه؛ لأن نفع ذلك عائد إليه، فالله غني عن طاعته، وإلى الله الرجوع يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٢٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تسخير البحر، وتعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر: من نعم الله على الناس، لكن الناس تعتاد هذه النعم فتغفل عنها.
- سفه عقول المشركين حين يدعون أصنامًا لا تسمع ولا تعقل.
- الافتقار إلى الله صفة لازمة للبشر، والغنى صفة كمال لله.
- تزكية النفس عائدة إلى العبد؛ فهو يحفظها إن شاء أو يضيعها.

﴿١﴾ وما يستوي الكافر والمؤمن في المنزلة، كما لا يستوي الأعمى والبصير.

﴿٢﴾ ولا يستوي الكفر والإيمان، كما لا تستوي الظلمات والنور.

﴿٣﴾ ولا تستوي الجنة والنار في آثارهما، كما لا يستوي الظل والريح الحارة.

﴿٤﴾ وما يستوي المؤمنون والكفار، كما لا يستوي الأحياء والأموات، إن الله يُسمع من يشاء هدايته، وما أنت - أيها الرسول - بمُسمع الكفار الذين هم مثل الموتى في القبور.

﴿٥﴾ ما أنت إلا منذر لهم من عذاب الله.

﴿٦﴾ إنا بعثناك - أيها الرسول - بالحق الذي لا مرية فيه، مبشراً للمؤمنين بما أعد الله لهم من الثواب الكريم، ومنذراً للكافرين بما أعد لهم من العذاب الأليم، وما من أمة من الأمم السابقة إلا سلف فيها رسول من عند الله ينذرهم من عذابه.

﴿٧﴾ وإن يكذب قومك - أيها الرسول - فاصبر، فلست أول رسول كذبه قومه، فقد كذبت الأمم السابقة لهؤلاء رسلهم مثل عاد وثمود وقوم لوط، جاءتهم رسلهم من عند الله بالحجج الواضحة الدالة على صدقهم، وجاءتهم رسلهم بالصحف، وبالكتاب المنير لمن تدبره وتأمله.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٣﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٤﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٥﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٦﴾ وَإِن يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٧﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَكَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿١١﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٢﴾

﴿١٠﴾ ومع ذلك كفروا بالله ورسله ولم يصدقوهم فيما جاؤوا به من عنده، فأهلكنا الذين كفروا، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان إنكاري عليهم حيث أهلكتهم.

﴿١١﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله سبحانه أنزل من السماء ماء المطر، فأخرجنا بذلك الماء ثمرات مختلفاً ألوانها فيها الأحمر والأخضر والأصفر وغيرها بعد أن سقينا أشجارها منه، ومن الجبال طرائق بيض وطرائق حمراء وطرائق حالكة السواد.

﴿١٢﴾ ومن الناس، ومن الدواب، ومن الأنعام (الإبل، والبقر، والغنم) مختلف ألوانه مثل ذلك المذكور، إنما يعظم مقام الله تعالى ويخشاه العالمون به سبحانه؛ لأنهم عرفوا صفاته وشرعه ودلائل قدرته، إن الله عزيز لا يغالبه أحد، غفور لذنوب من تاب من عباده.

﴿١٣﴾ إن الذين يقرؤون كتاب الله الذي أنزلناه على رسولنا ويعملون بما فيه، وأتموا الصلاة على أحسن وجه، وأنفقوا مما رزقناهم على سبيل الزكاة وغيرها خفيةً وجهراً، يرجون تلك الأعمال تجارة عند الله لن تكسد.

﴿١٤﴾ ليوفّيهم الله ثواب أعمالهم كاملة، ويزيدهم من فضله، فهو أهل لذلك، إنه سبحانه غفور لذنوب المتصفين بهذه الصفات، شكور لأعمالهم الحسنة.

• مِن قَوَائِدِ الْإِيمَانِ،

• نفي التساوي بين الحق وأهله من جهة، وبين الباطل وأهله من جهة أخرى. • كثرة عدد الرسل ﷺ قبل رسولنا ﷺ دليل على رحمة الله وعناد الخلق. • إهلاك المكذبين سُنَّةٌ إلهية. • صفات الإيمان تجارة رابحة، وصفات الكفر تجارة خاسرة.

﴿٣١﴾ والذي أوحيناه إليك - أيها الرسول - من الكتاب هو الحق الذي لا شك فيه، الذي أنزله الله تصديقًا للكتب السابقة، إن الله لخبير بعباده بصير، فهو يوحى إلى رسول كل أمة ما تحتاج إليه في زمانها.

﴿٣٢﴾ ثم أعطينا أمة محمد ﷺ الذين اخترناهم على الاسم القرآن، فمنهم ظالم لنفسه بفعل المحرمات وترك الواجبات، ومنهم مقتصد بفعل الواجبات وترك المحرمات، مع ترك بعض المستحبات وفعل بعض المكروهات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، وذلك بفعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات، ذلك المذكور - من الاختيار لهذه الأمة وإعطائها القرآن - هو الفضل الكبير الذي لا يدانيه فضل.

﴿٣٣﴾ جنات إقامة يدخلها هؤلاء المصطفون، يلبسون فيها لؤلؤًا وأساور من ذهب، ولباسهم فيها حرير.

﴿٣٤﴾ وقالوا بعد دخولهم الجنة: الحمد لله الذي أزال عنا الحزن بسبب ما كنا نخافه من دخول النار، إن ربنا لغفور لذنوب من تاب من عباده، شكور لهم على طاعتهم.

﴿٣٥﴾ الذي أنزلنا دار الإقامة - التي لا نقلة بعدها - من فضله، لا بحول منا ولا قوة، لا يصيبنا فيها تعب ولا عناء.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ الْتَذَكُّرُ فَذُقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَنِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

٤٣٨

ولما ذكر الله جزاء الْمُصْطَفَيْنَ من عباده ذكر جزاء الأذلين منهم وهم الكفار، فقال:

﴿٣١﴾ والذين كفروا بالله لهم نار جهنم خالدين فيها، لا يُقْضَىٰ عليهم بالموت فيموتوا ويستريحوا من العذاب، ولا يُخَفَّفُ عنهم من عذاب جهنم شيء، مثل هذا الجزاء نجزي يوم القيامة كل جحود لنعم ربه.

﴿٣٢﴾ وهم يصيحون فيها بأعلى أصواتهم يستغيثون قائلين: ربنا أخرجنا من النار نعمل عملاً صالحاً مغايراً لما كنا نعمل في الدنيا لننال رضاك، ونسلم من عذابك، فيجيبهم الله: أَوَلَمْ نجعلكم تعيشون عمراً يتذكر فيه من يريد أن يتذكر، فيتوب إلى الله ويعمل عملاً صالحاً، وجاءكم الرسول منذراً لكم من عذاب الله؟! فلا حجة لكم، ولا عذر بعد هذا كله، فذوقوا عذاب النار، فما للظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي من نصير ينقذهم من عذاب الله أو يخففه عنهم.

﴿٣٨﴾ إن الله عالم غيب السماوات والأرض، لا يفوته شيء منه، إنه عليم بما يخفيه عباده في صدورهم من الخير والشر.

﴿٣٩﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- فضل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم.
- تفاوت إيمان المؤمنين يعني تفاوت منزلتهم في الدنيا والآخرة.
- الوقت أمانة يجب حفظها، فمن ضيعها ندم حين لا يرفع الندم.
- إحاطة علم الله بكل شيء.

هو الذي جعل بعضكم - أيها الناس - يخلف في الأرض بعضاً ليختبركم كيف تعملون، فمن كفر بالله وبما جاءت به الرسل فإثم كفره وعقابه عائد عليه، ولا يضر كفره ربه، ولا يزيد الكفار كفرهم عند ربهم سبحانه إلا بغضاً شديداً، ولا يزيد الكفار كفرهم إلا خساراً، حيث إنهم يخسرون ما كان أعد الله لهم في الجنة لو آمنوا.

قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني عن شركائكم الذين تعبّدونهم من دون الله، ماذا خلقوا من الأرض؟ أخلقوا جبالها؟ أخلقوا أنهارها؟ أخلقوا دوابها؟ أم أنهم شركاء مع الله في خلق السماوات؟ أم أعطيناهم كتاباً فيه حجة على صحة عبادتهم لشركائهم؟ لا شيء من ذلك حاصل، بل لا يعدّ الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي بعضهم بعضاً إلا خدعاً.

إن الله سبحانه يمسك السماوات والأرض مانعاً إياهما من الزوال، ولئن زالتا - على سبيل الفرض - فلا أحد يمسكهما عن الزوال من بعده سبحانه، إنه كان حليماً لا يعاجل بالعقوبة، غفوراً للذنوب من تاب من عباده.

وأقسم هؤلاء الكفار المكذبون قسماً مؤكداً مغلفاً: لئن جاءهم رسول

من الله ينذرهم من عذابه ليكون أكثر استقامة واتباعاً للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد ﷺ مرسلًا من ربه يخوفهم عذاب الله ما زادهم مجيئه إلا بُغْداً عن الحق وتعلّقاً بالباطل، فلم يوفوا بما أقسموا عليه الأيمان المؤكدة من أن يكونوا أهدى ممن سبقوهم.

وقسمهم بالله على ما أقسموا عليه ليس عن حسن نية وقصد سليم، بل للاستكبار في الأرض والخداع للناس، ولا يحيط المكر السيئ إلا بأصحابه الماكرين، فهل ينتظر هؤلاء المستكبرون الماكرون إلا سنة الله الثابتة؟ وهي إهلاكهم كما أهلك أمثالهم من أسلافهم؟! فلن تجد لسنة الله في إهلاك المستكبرين تبديلاً بالآ تقع عليهم، ولا تحويلاً بأن تقع على غيرهم؛ لأنها سنة إلهية ثابتة.

أفلم يَسِرْ مكذبوك من قريش في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية الذين كذبوا من الأمم قبلهم؟ ألم تكن نهايتهم نهاية سوء حيث أهلكهم الله، وكانوا أشد قوة من قريش؟! وما كان الله ليفوته شيء في السماوات ولا في الأرض، إنه كان عليماً بأعمال هؤلاء المكذبين، لا يغيب عنه من أعمالهم شيء ولا يفوته، قديراً على إهلاكهم متى شاء.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الكفر سبب لمقت الله، وطريق للخسارة والشقاء.

• المشركون لا دليل لهم على شركهم من عقل ولا نقل.

• تدبير الظالم في تدميره عاجلاً أو آجلاً.

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَرِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْآعُرُورِ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٣٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا رَادُّهُمْ إِلَّا نِفُورًا ﴿٣٩﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤١﴾

من الله ينذرهم من عذابه ليكون أكثر استقامة واتباعاً للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد ﷺ مرسلًا من ربه يخوفهم عذاب الله ما زادهم مجيئه إلا بُغْداً عن الحق وتعلّقاً بالباطل، فلم يوفوا بما أقسموا عليه الأيمان المؤكدة من أن يكونوا أهدى ممن سبقوهم.

وقسمهم بالله على ما أقسموا عليه ليس عن حسن نية وقصد سليم، بل للاستكبار في الأرض والخداع للناس، ولا يحيط المكر السيئ إلا بأصحابه الماكرين، فهل ينتظر هؤلاء المستكبرون الماكرون إلا سنة الله الثابتة؟ وهي إهلاكهم كما أهلك أمثالهم من أسلافهم؟! فلن تجد لسنة الله في إهلاك المستكبرين تبديلاً بالآ تقع عليهم، ولا تحويلاً بأن تقع على غيرهم؛ لأنها سنة إلهية ثابتة.

أفلم يَسِرْ مكذبوك من قريش في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية الذين كذبوا من الأمم قبلهم؟ ألم تكن نهايتهم نهاية سوء حيث أهلكهم الله، وكانوا أشد قوة من قريش؟! وما كان الله ليفوته شيء في السماوات ولا في الأرض، إنه كان عليماً بأعمال هؤلاء المكذبين، لا يغيب عنه من أعمالهم شيء ولا يفوته، قديراً على إهلاكهم متى شاء.

﴿١٥﴾ ولو يعجل الله العقوبة للناس بما عملوه من المعاصي، وما ارتكبه من الآثام، لأهلك جميع أهل الأرض في الحال وما يملكون من دواب وأموال، ولكنه سبحانه يؤخرهم إلى أجل محدد في علمه وهو يوم القيامة، فإذا جاء يوم القيامة فإن الله كان بعباده بصيرًا لا يخفى عليه منهم شيء، فيجازيهم على أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

سُورَةُ يَس

— مَكِّيَّة —

• من مقاصد السُّورَةِ: إثبات الرسالة والبعث ودلائلها.

• التفسير:

﴿١﴾ يس - سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ يقسم الله بالقرآن الذي أحكمت آياته، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

﴿٣﴾ إنك - أيها الرسول - لمن الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده؛ ليأمرهم بتوحيده وعبادته وحده.

﴿٤﴾ على منهج مستقيم وشرع قويم. وهذا المنهج المستقيم والشرع القويم منزل من ربك العزيز الذي لا يغالبه أحد، الرحيم بعباده المؤمنين.

﴿٥﴾ أنزلنا إليك ذلك لتخوف قومًا وتذرعهم، وهم العرب الذين لم يأتهم رسول ينذرهم، فهم لاهون عن الإيمان والتوحيد، وكذلك شأن كل

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

سُورَةُ يَس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ الْحَيُّ الْمَوْتُ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾

﴿٤٤٠﴾

أمة انقطع عنها الإنذار، نحتاج إلى من يذكرها من الرسل.

- ﴿١﴾ لقد وجب العذاب من الله لأكثر هؤلاء، بعد أن بلغهم الحق من الله على لسان رسوله فلم يؤمنوا به، وبقوا على كفرهم، فهم لا يؤمنون بالله ولا برسوله، ولا يعملون بما جاءهم من الحق.
- ﴿٢﴾ ومثلهم في ذلك مثل من جعلت أصفاد في أعناقهم، وجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت مجامع لحاهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فلا يستطيعون خفضها، فهؤلاء مغلولون عن الإيمان بالله فلا يدعون له، ولا يخفضون رؤوسهم من أجله.
- ﴿٣﴾ وجعلنا من بين أيديهم حاجزًا عن الحق، ومن خلفهم حاجزًا، وأغشينا أبصارهم عن الحق فهم لا يبصرون إبصارًا ينتفعون به، حصل ذلك لهم بعد أن ظهر عنادهم وإصرارهم على الكفر.
- ﴿٤﴾ سواء عند هؤلاء الكفار المعاندين للحق أخوتهم - يا محمد - أم لم تخوفهم، فهم لا يؤمنون بما جئت به من عند الله.
- ﴿٥﴾ إن الذي ينتفع حقًا بإنذارك من صدق بهذا القرآن واتبع ما جاء فيه، وخاف من ربه في الخلوة، حيث لا يراه غيره، فأخبر من هذه صفاته بما يشهده من محو الله لذنوبه ومغفرته لها، ومن ثواب عظيم ينتظره في الآخرة وهو دخول الجنة.
- ﴿٦﴾ إنا نحن نحيي الموتى بيعثهم للحساب يوم القيامة، ونكتب ما قدموه في حياتهم الدنيا من الأعمال الصالحة والسيئة، ونكتب ما كان لهم من أثر باق بعد مماتهم صالحًا كان كالصدقة الجارية أو سيئًا كالكفر، وقد أحصينا كل شيء في كتاب واضح؛ وهو اللوح المحفوظ.
- من فوائد الآيات: • العناد مانع من الهداية إلى الحق. • العمل بالقرآن وخشية الله من أسباب دخول الجنة. • فضل الولد الصالح والصدقة الجارية وما شابههما على العبد المؤمن.

﴿٣٠﴾ واجعل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين المعاندين مثلاً يكون لهم عبرة، وهو قصة أهل القرية حين جاءتهم رسلهم.

﴿٣١﴾ حين أرسلنا إليهم أولاً رسولين ليدعواهم إلى توحيد الله وعبادته، فكذبوا هذين الرسولين، فقويناهما بإرسال رسول ثالث معهم، فقال الرسل الثلاثة لأهل القرية: إنا - نحن الثلاثة - إليكم مرسلون؛ ندعوكم إلى توحيد الله واتباع شرعه.

﴿٣٢﴾ قال أهل القرية للمرسلين: لستم إلا بشرًا مثلنا، فلا مزية لكم علينا، وما أنزل الرحمن عليكم من وحي، ولستم إلا تكذبون على الله في دعواكم هذه.

﴿٣٣﴾ قال الرسل الثلاثة ردًا على تكذيب أهل القرية: ربنا يعلم إنا إليكم - يا أهل القرية - لمرسلون من عنده، وكفى بذلك حجة لنا.

﴿٣٤﴾ وليس علينا إلا تبليغ ما أمرنا بتبليغه إليكم بوضوح، ولا نملك هدايتكم.

﴿٣٥﴾ قال أهل القرية للرسل: إنا نشاءمنا بكم، وإن لم تنتهوا عن دعوتنا إلى التوحيد لنعاقتكم بالرمي بالحجارة حتى الموت، ولينا أنكم منا عذاب موجه.

﴿٣٦﴾ قال الرسل ردًا عليهم: شؤمكم ملازم لكم بسبب كفركم بالله وترككم اتباع رسله، أتنشأمون إن ذكرناكم بالله؟ بل أنتم قوم تسرفون في ارتكاب الكفر والمعاصي.

﴿٣٧﴾ وجاء من مكان بعيد من القرية رجل مسرع خوفًا على قومه من تكذيب

الرسل وتهديدهم بالقتل والإيذاء، قال: يا قوم، اتبعوا ما جاء به هؤلاء المرسلون.

﴿٣٨﴾ اتبعوا - يا قوم - من لا يطلب منكم على إبلاغ ما جاء به فوائدا منكم، وهم مهتدون فيما يبلغونه عن الله من وحيه، فمن كان كذلك فجدير بأن يتبع.

﴿٣٩﴾ وقال هذا الرجل الناصح: وأي مانع يمنعني من عبادة الله الذي خلقني؟! وأي مانع يمنعكم من عبادة ربكم الذي خلقكم، وإليه وحده ترجعون بالبعث للجزاء؟! أأتخذ من دون الله الذي خلقني معبودات بغير حق؟! إن يردني الرحمن بسوء لا تغن عني شفاعة هذه المعبودات شيئًا فلا تملك لي نفعًا ولا ضرًا، ولا تستطيع أن تنقذني من السوء الذي أراد الله بي إن مت على الكفر.

﴿٤٠﴾ إني إذا اتخذتهم معبودات من دون الله لفي خطأ واضح حيث عبدت من لا يستحق العبادة، وتركت عبادة من يستحقها.

﴿٤١﴾ إني - يا قوم - آمنت بربي وربكم جميعًا فاسمعوني، فلا أبالي بما تهددونني به من القتل. فما كان من قومه إلا أن قتلوه، فأدخله الله الجنة.

﴿٤٢﴾ قيل تكريمًا له بعد استشهاد: ادخل الجنة، فلما دخلها وشاهد ما فيها من النعيم قال متمنيًا: يا ليت قومي الذين كذبوني وقتلوني يعلمون بما حصل لي من مغفرة الذنوب، وبما أكرمني به ربي؛ ليؤمنوا مثلما آمنت، وينالوا جزاء مثل جزائي.

﴿٤٣﴾ من فَوَائِدِ آيَاتِ:

• أهمية القصص في الدعوة إلى الله. • الطيرة والتشاؤم من أعمال الكفر.

• النصيحة لأهل الحق واجب. • حب الخير للناس صفة من صفات أهل الإيمان.

وَأَصْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَبَ الْقَرْيَةَ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٠﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِالثَّالثِ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٤﴾ قَالُوا إِنَّا نَطِّيرُكَ يَا بَكْرَ بْنَ لَهَيْئَةَ لَمْ تَنْتَهُوا لَتَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٣٦﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْتَهِمُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَالِيَ لَأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْعًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٤٠﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤١﴾ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٤٢﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿٢٨﴾ وَمَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٣٠﴾ يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣١﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٤﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٥﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٨﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٩﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٤٠﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤١﴾

٤٤٢

﴿٢٨﴾ وما احتجنا في إهلاك قومه الذين كذبوه وقتلوه إلى جند من الملائكة ننزلهم من السماء، فأمرهم أيسر عندنا من ذلك، فقد قدرنا أن يكون هلاكهم بصيحة من السماء، وليس بإنزال ملائكة العذاب.

﴿٢٩﴾ فما كانت قصة إهلاك قومه إلا صيحة واحدة أرسلناها عليهم فإذا هم صرعى لم تبق منهم باقية، مثلهم كنار كانت مشتعلة فانطفأت، فلم يبق لها أثر.

﴿٣٠﴾ يا ندامة العباد المكذبين وحسرتهم يوم القيامة حين يشاهدون العذاب؛ ذلك أنهم كانوا في الدنيا ما يأتيهم من رسول من عند الله إلا كانوا يسخرون منه ويستهزئون به، فكان عاقبتهم الندامة يوم القيامة على ما فرطوا في جنب الله.

﴿٣١﴾ ألم ير هؤلاء المكذبون المستهزئون بالرسول عبدة فيمن سبقهم من الأمم؟ فقد ماتوا، ولن يرجعوا إلى الدنيا مرة أخرى، بل أفضوا إلى ما قدموا من أعمال، وسيجازيهم الله عليها.

﴿٣٢﴾ وليس جميع الأمم دون استثناء إلا مُحْضَرِينَ عندنا يوم القيامة بعد بعثهم لنجازيهم على أعمالهم.

﴿٣٣﴾ وعلامة للمكذبين بالبعث أن البعث حق: هذه الأرض اليابسة المجدية أنزلنا عليها المطر من السماء، فأنبثنا فيها من أصناف النبات وأخرجنا فيها من أصناف الحبوب ليأكلها الناس، فالذي أحيا هذه الأرض بإنزال المطر وإخراج النباتات قادر على إحياء الموتى وبعثهم.

﴿٣٤﴾ وصبرنا في هذه الأرض التي أنزلنا عليها المطر بساتين من النخيل والعنب، وفجرنا فيها من عيون الماء ما يسقيها. ﴿٣٥﴾ ليأكل الناس من ثمار تلك البساتين ما أنعم الله به عليهم، ولم يكن لهم سعي فيه، أفلا يشكرون الله على نعمه هذه بعبادته وحده والإيمان برسوله؟

﴿٣٦﴾ تقديس الله وتعالى الذي أنشأ الأصناف من النبات والأشجار، ومن أنفس الناس حيث أنشأ الذكور والإناث، وما لا يعلم الناس من مخلوقات الله الأخرى في البر والبحر وغيرهما.

﴿٣٧﴾ ودلالة للناس على توحيد الله أنا نذهب الضياء بذهاب النهار ومجيء الليل حين ننزع النهار منه، ونأتي بالظلمة بعد ذهاب النهار، فإذا الناس داخلون في ظلام.

﴿٣٨﴾ وعلامة لهم على وحدانية الله هذه الشمس التي تجري لمستقر يعلم الله قدره لا تتجاوز، ذلك التقدير تقدير العزيز الذي لا يغالب أحد، العليم الذي لا يخفى عليه شيء من أمر مخلوقاته.

﴿٣٩﴾ وآية لهم دالة على توحيد سبحانه هذا القمر الذي قدرناه منازل كل ليلة؛ يبدأ صغيراً ثم يكبر ثم يصغر حتى يصير مثل عذق النخلة المتعرج المتدور في رفته وانحنائه وصفوته وقدمه.

﴿٤٠﴾ وآيات الشمس والقمر والليل والنهار مقدرة بتقدير الله، فلا تتجاوز ما قدر لها، فلا الشمس يمكن أن تلحق بالقمر لتغيير مساره أو إذهاب نوره، ولا الليل يمكنه أن يسبق النهار ويدخل عليه قبل انقضاء وقته، وكل هذه المخلوقات المسخرة وغيرها من الكواكب والمجرات لها مساراتها الخاصة بها بتقدير الله وحفظه.

• من قَوَائِدِ الْإِكْبَاتِ، • ما أهون الخلق على الله إذا عصوه، وما أكرمهم عليه إن أطاعوه. • من الأدلة على البعث إحياء الأرض الهامدة بالنبات الأخضر، وإخراج الحب منه. • من أدلة التوحيد: خلق المخلوقات في السماء والأرض وتسييرها بقدر.

وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَاءُ نَغْرِقْهُمْ فَلَاصِرِخٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ قِيلَ لَهُمْ لَا تَتْلُوا لَكُمْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَوَافُلًا وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْإِسْلَامَ فَاسْتَضِئُوا بِالنُّورِ الْبَاطِنِ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَوَافُلًا وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْإِسْلَامَ فَاسْتَضِئُوا بِالنُّورِ الْبَاطِنِ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا أَأَتُونَا بِعِشَّةٍ مِّن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

٤٤٣

﴿٤١﴾ وعلامة لهم على وحدانية الله كذلك وإنعامه على عباده أنا حملنا من نجا من الطوفان من ذرية آدم زمن نوح، في السفينة المملوءة بمخلوقات الله، فقد حمل الله فيها من كل جنس زوجين.

﴿٤٢﴾ وعلامة لهم على توحيده وإنعامه على عباده أنا خلقنا لهم من مثل سفينة نوح مراكب.

﴿٤٣﴾ ولو أردنا إغراقهم أغرقناهم، فلا مغيب يغيبهم إن أردنا إغراقهم، ولا منقذ ينقذهم إذا غرقوا بأمرنا وقضائنا.

﴿٤٤﴾ إلا أن نرحمهم بإنجائهم من الغرق وإعادتهم ليمتعوا إلى أجل محدد لا يتجاوزونه، لعلهم يعتبرون فيؤمنوا.

﴿٤٥﴾ وإذا قيل لهؤلاء المشركين المعرضين عن الإيمان: احذروا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة وشدايدها، واحذروا الدنيا المؤبدية رجاء أن يمن الله عليكم برحمته؛ لم يمتثلوا لذلك، بل أعرضوا عنه غير مبالين به.

﴿٤٦﴾ وكلما جاءت هؤلاء المشركين المعاندين آيات الله الدالة على توحيده واستحقاقه للأفراد بالعبادة، كانوا معرضين عنها غير معتبرين بها.

﴿٤٧﴾ وإذا قيل لهؤلاء المعاندين: ساعدوا الفقراء والمساكين من الأموال التي رزقكم الله إياها، ردوا مستنكرين قائلين للذين آمنوا: أنطعم من لو يشاء الله إطعامه لأطعمه؟! فنحن لا نخالف مشيئته، ما أنتم - أيها المؤمنون - إلا في خطأ واضح وبُعد عن الحق.

﴿٤٨﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث مكذبين به مستبعدين له: متى هذا البعث إن كنتم - أيها المؤمنون - صادقين في دعوى أنه واقع؟!

﴿٤٩﴾ ما ينتظر هؤلاء المكذبون بالبعث المستبعدون له إلا النفخة الأولى حين ينفخ في الصور، فتبغتهم هذه الصيحة وهم في مشاغلهم الدنيوية من بيع وشراء وسقي وغيرها من مشاغل الدنيا.

﴿٥٠﴾ فلا يستطيعون عندما تُفجَّوهم هذه الصيحة أن يوصي بعضهم بعضًا، ولا يستطيعون الرجوع إلى منازلهم وأهليهم، بل يموتون وهم في مشاغلهم هذه.

﴿٥١﴾ ونُفِخَ في الصور النفخة الثانية للبعث، فإذا هم يخرجون جميعًا من قبورهم إلى ربهم يسرعون للحساب والجزاء.

﴿٥٢﴾ قال هؤلاء الكافرون المكذبون بالبعث نادمين: يا خسارتنا، مَنْ الذي بعثنا من قبورنا؟! فيجابون عن سؤالهم: هذا ما وعد الله به فإنه لا يد واقِع، وصدق المرسلون فيما بلغوه عن ربهم من ذلك.

﴿٥٣﴾ ما كان أمر البعث من القبور إلا أثرًا عن نفخة ثانية في الصور، فإذا جميع المخلوقات مُحْضَرَةً عندنا يوم القيامة للحساب.

﴿٥٤﴾ يكون الحكم بالعدل في ذلك اليوم، فلا تظلمون - أيها العباد - شيئًا بزيادة سيئاتكم أو نقصان حسناتكم، وإنما توفون جزاء ما كنتم تعملون في الحياة الدنيا.

﴿٥٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • من أساليب تربية الله لعباده أنه جعل بين أيديهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم. • الله تعالى مكن العباد، وأعطاهم من القوة ما يقدر به على فعل الأمر واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختيارًا منهم. • في يوم القيامة يتجلى لأهل الإيمان من رحمة ربهم ما لا يخطر على بالهم.

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكُهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنِيءَ أَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا أَسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ تُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

٤٤٤

﴿٥٥﴾ إن أصحاب الجنة في يوم القيامة مشغولون عن التفكير في غيرهم؛ لما شاهدوه من النعيم المقيم، والنفوس العظيمة، فهم يتفكهون في ذلك مسرورين. ﴿٥٦﴾ هم وأزواجهم يتمتعون على الأسرة تحت ظلال الجنة الوارفة.

﴿٥٧﴾ لهم في هذه الجنة أنواع من الفواكه الطيبة من العنب والتين والرمان، ولهم كل ما يطلبون من الملائكة وأنواع النعيم، فما طلبوه من ذلك حاصل لهم.

﴿٥٨﴾ ولهم فوق هذا النعيم سلام حاصل لهم، قولاً من رب رحيم بهم، فإذا سلم عليهم حصلت لهم السلامة من كل الوجوه، وحصلت لهم التحية التي لا تحية أعلى منها.

﴿٥٩﴾ ويقال للمشركون يوم القيامة: تميزوا عن المؤمنين، فلا يليق بهم أن يكونوا معكم؛ لتباين جزائكم مع جزائهم وصفاتكم مع صفاتهم.

﴿٦٠﴾ ألم أوصيكم وأمركم على السنة رسلي وأقل لكم: يا بني آدم، لا تطيعوا الشيطان بارتكاب أنواع الكفر والمعاصي، إن الشيطان لكم عدو واضح العداوة، فكيف لعاقل أن يطيع عدوه الذي تظهر له عداوته؟! ﴿٦١﴾ وأمرتكم - يا بني آدم - أن تعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي شيئاً؛ فعبادتي وحدي وطاعتي طريق مستقيم يؤدي إلى رضاي ودخول الجنة، لكنكم لم تمتثلوا ما أوصيتكم وأمرت به.

﴿٦٢﴾ ولقد أضل الشيطان منكم خلقاً كثيراً، أفلم تكن لكم عقول تأمركم بطاعة ربكم وعبادته وحده سبحانه، وتحذركم من طاعة الشيطان الذي هو عدو واضح العداوة لكم؟! ﴿٦٣﴾ هذه هي جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم، وكانت غيباً عنكم، وأما اليوم فما أنتم ترونها رأي العين.

﴿٦٤﴾ ادخلوها اليوم، وعانوا من حرها بسبب كفركم بالله في حياتكم الدنيا.

﴿٦٥﴾ اليوم نطبع على أفواههم فيصرون خرساً لا يتكلمون بإنكار ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي، وتكلمنا أيديهم بما عملت به في الدنيا، وتشهد أرجلهم بما كانوا يرتكبون من المعاصي ويمشون إليها.

﴿٦٦﴾ ولو نشاء إذهاب أبصارهم لأذهبناها فلم يبصروا، فاستبقوا إلى الصراط ليعبروا منه إلى الجنة، فبعد أن يعبروا وقد ذهبت أبصارهم.

﴿٦٧﴾ ولو نشاء تغيير خلقهم وإبعادهم على أرجلهم لغيرنا خلقهم وأبعدناهم على أرجلهم، فلا يستطيعون أن يبرحوا مكانهم، ولا يستطيعون الذهاباً إلى أمام، ولا رجوعاً إلى وراء.

﴿٦٨﴾ ومن نمذ في حياته من الناس بإطالة عمره نرجعه إلى مرحلة الضعف، أفلا يتفكرون بعقولهم، ويدركون أن هذه الدار ليست دار بقاء ولا خلود، وأن الدار الباقية هي دار الآخرة.

﴿٦٩﴾ وما علمنا محمداً ﷺ الشعر، وما ينبغي له ذلك؛ لأنه ليس من طبعه، ولا تقتضيه جليلته، حتى يصح لكم ادعاء أنه شاعر، ليس الذي علمناه إلا ذكراً وقرآناً واضحاً لمن تأمله.

﴿٧٠﴾ لينذر من كان حي القلب مستنير البصيرة، فهو الذي يتفتح به، ويحق العذاب على الكافرين، لما قامت عليهم الحجة بإذنه وبلوغ دعوته إليهم، فلم يبق لهم عذر يعتذرون به.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • أهل الجنة مسرورون بكل ما تهواه النفوس وتلذه العيون ويتمناه المتمنون. • ذو القلب هو الذي يزكو بالقرآن، ويزداد من العلم منه والعمل. • أعضاء الإنسان تشهد عليه يوم القيامة.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
 مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ
 ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
 نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِيكَ فَعْدُهُمْ
 إِنَّا نَنْعَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا
 خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
 مَثَلًا وَلَيْسَ خَلْقُهُ أَقَالٍ مِنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
 قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
 ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ
 مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
 إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
 فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿٧١﴾ أولم يروا أنا خلقنا لهم أنعاماً، فهم لأمر تلك الأنعام مالكون؛ يتصرفون فيها بما تقتضيه مصالحهم.

﴿٧٢﴾ وسخرناها لهم وجعلناها منقاداً لهم، فعلى ظهور بعضها يركبون ويحملون أثقالهم، ومن لحوم بعضها يأكلون.

﴿٧٣﴾ ولهم فيها منافع غير ركوب ظهورها والأكل من لحومها؛ مثل أصوافها وأوبارها وأشعارها وأثمانها؛ فمنها يصنعون فرشاً ولباساً، ولهم فيها مشارب حيث يشربون من ألبانها، أفلا يشكرون الله الذي منّ عليهم بهذه النعم وغيرها؟!

﴿٧٤﴾ واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها رجاء أن تنصرهم فتقذهم من عذاب الله.

﴿٧٥﴾ تلك الآلهة التي اتخذوها لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا نصر من يعبدونهم من دون الله، وهم وأصنامهم جميعاً مُحَضَّرُونَ في العذاب يتبرأ كل منهم من الآخر.

﴿٧٦﴾ فلا يحزنك - أيها الرسول - قولهم: إنك لست مرسلًا، أو إنك شاعر، وغير ذلك من بُهتانهم. إنا نعلم ما يخفون من ذلك وما يظهرون، لا يخفى علينا منه شيء، وسنجازيهم عليه.

﴿٧٧﴾ أولم يفكر الإنسان الذي ينكر البعث بعد الموت أنا خلقناه من مني،

ثم مر بأطوار حتى ولد وتربى، ثم صار كثير الخصام والجدال؛ ألم ير ذلك ليستدل به على إمكان وقوع البعث؟!

﴿٧٨﴾ غفل هذا الكافر وجهل حين استدل بالعظام البالية على استحالة البعث، فقال: من يعيدها؟ وغاب عنه خلقه هو من العدم.

﴿٧٩﴾ قل - يا محمد - مجيباً إياه: يحيي هذه العظام البالية من خلقها أول مرة، فمن خلقها أول مرة لا يعجز عن إعادة الحياة إليها، وهو سبحانه بكل خلق عليم، لا يخفى عليه منه شيء.

﴿٨٠﴾ الذي جعل لكم - أيها الناس - من الشجر الأخضر الرطب ناراً تستخرجونها منه فإذا أنتم توقدون منه ناراً، فمن جمع بين ضدين - بين رطوبة ماء الشجر الأخضر، والنار المشتعلة فيه - قادر على إحياء الموتى.

﴿٨١﴾ أليس الذي خلق السماوات والأرض على ما فيهما من عظم بقدار على إحياء الموتى بعد إماتتهم؟ بلى، إنه لقادر عليه، وهو الخلاق الذي خلق جميع المخلوقات، العليم بها، فلا يخفى عليه منها شيء.

﴿٨٢﴾ إنما أمر الله وشأنه سبحانه أنه إذا أراد إيجاد شيء أن يقول له: كن، فيكون ذلك الشيء الذي يريده، ومن ذلك ما يريده من الإحياء والإماتة والبعث وغيرها.

﴿٨٣﴾ فتزهره الله وتقّددس عما ينسبه إليه المشركون من العجز، فهو الذي له ملك الأشياء كلها يتصرف فيها بما يشاء، ويبدع مفاتيح كل شيء، وإليه وحده ترجعون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم.

• من قَوَائِدِ الْإِيمَانِ: • من فضل الله ونعمته على الناس تذليل الأنعام لهم، وتسخيرها لمنافعهم المختلفة. • وفرة الأدلة العقلية على يوم القيامة وإعراض المشركين عنها. • من صفات الله تعالى أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

الْبَاقِي

مَبْنِي

٤٤٥

سورة الصافات

مكة —

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

وتنزيه الله عما نسب إليه المشركون، وإبطال مزاعمهم في الملائكة والجن.

● التفسير:

﴿١﴾ أَقْسَمُ بِالْمَلَانِكَةِ الَّتِي تَصُفُّ فِي عِبَادَتِهَا مُتَرَاتِبَةً. ﴿٢﴾ وَأَقْسَمُ بِالْمَلَانِكَةِ الَّتِي تَزْجُرُ السَّحَابَ، وَتُسَوِّقُهُ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَنْزِلَ. ﴿٣﴾ وَأَقْسَمُ بِالْمَلَانِكَةِ الَّتِي يَتْلُونَ كَلَامَ اللَّهِ. ﴿٤﴾ إِنْ مَعْبُودَكُمْ بَحَقٍّ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَوَاحِدٍ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ اللَّهُ. ﴿٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ مَا بَيْنَهُمَا، وَرَبُّ الشَّمْسِ فِي مَطَالِعِهَا وَمَغَارِبِهَا طُولَ السَّنَةِ. ﴿٦﴾ إِنَّا جَمَلْنَا أَقْرَبَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ بِزِينَةٍ جَمِيلَةٍ هِيَ الْكَوَاكِبُ الَّتِي هِيَ فِي النَّظَرِ كَالْجَوَاهِرِ الْمُتَالِئَةِ. ﴿٧﴾ وَحَفَظْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالنَّجْمِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مُتَمَرِّدٍ خَارِجٍ عَنِ الطَّاعَةِ؛ فَيُرْمَى بِهَا. ﴿٨﴾ لَا يَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ أَنْ يَسْمَعُوا الْمَلَانِكَةَ فِي السَّمَاءِ إِذَا تَكَلَّمُوا بِمَا يُوحِيهِ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ مِنْ شَرْعِهِ وَلَا مِنْ قُدْرِهِ، وَيُرْمُونَ بِالشَّهْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. ﴿٩﴾ طَرْدًا لَهُمْ وَإِعَادًا عَنِ الْإِسْتِمَاعِ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ مُؤَلِّمٌ دَائِمٌ لَا يَنْقُطِعُ. ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ اخْتِطَفَ مِنَ الشَّيَاطِينِ خُطْفَةً، وَهِيَ كَلِمَةٌ مِمَّا يَتَفَاوَضُ فِيهِ الْمَلَانِكَةُ وَيَدُورُ بَيْنَهُمْ مِمَّا لَمْ يَصِلْ عِلْمُهُ إِلَى أَهْلِ

• **تزيين السماء الدنيا بالكواكب** لمنافع؛ منها: **تحصيل الزينة**، والحفظ من الشيطان المارد.

• **إثبات الصراط**؛ وهو جسر ممدود على متن جهنم يعبره أهل الجنة، وتزل به أقدام أهل النار.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٥٥﴾ بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مُتَسَلِّمُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْهُمْ تَأْتُونَنَا عَنْ الْيَمِينِ ﴿٥٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٥٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغَيْنَ ﴿٦٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٦١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٦٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٦٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٦٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ تِنَا لَشَاعِرٍ مُّجْنُونٍ ﴿٦٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّا كُنْهُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٦٨﴾ وَمَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٧١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٧٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٧٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٧٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿٧٥﴾ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٧٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٧٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٧٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْمُورٌ ﴿٧٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٨٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٨١﴾

٤٤٧

﴿٥٥﴾ ويقال لهم توبيحاً لهم: ما بالكم لا ينصر بعضهم بعضاً كما كنتم في الدنيا تتناصرون، وتزعمون أن أصنامكم تنصركم؟! ﴿٥٦﴾ بل هم اليوم منقادون لأمر الله ذليلون، لا ينصر بعضهم بعضاً لعجزهم وقلة حيلتهم. ﴿٥٧﴾ وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون حين لا ينفع التلاوم والشخاصم. ﴿٥٨﴾ قال الاتباع للمتبوعين: إنكم - يا كبراءنا - كنتم تأتوننا من جهة الدين والحق فتزبنون لنا الكفر والشرك بالله وارتكاب المعاصي، وتنفروننا من الحق الذي جاءت به الرسل من عند الله. ﴿٥٩﴾ قال المتبوعون للاتباع: ليس الأمر - كما زعمتم - بل كنتم على الكفر ولم تكونوا مؤمنين، بل كنتم منكبين. ﴿٦٠﴾ وما كان لنا عليكم أيها الاتباع من تسلط بقره أو غلبة حتى نوقعكم في الكفر والشرك وارتكاب المعاصي، بل كنتم قوماً متجاوزين الحد في الكفر والضلال. ﴿٦١﴾ فوجب علينا وعليكم وعيد الله في قوله: ﴿لَا تَلَذُّوا بِهِمْ﴾ ومن ثم فإنا ذائقون - لا محالة - ما توعده ربنا. ﴿٦٢﴾ فدعوناكم إلى الضلال والكفر، إنا كنا ضالين عن طريق الهدى. ﴿٦٣﴾ فإن الاتباع والمتبوعين في العذاب يوم القيامة مشتركون. ﴿٦٤﴾ إنا كما فعلنا هؤلاء من إذافتهم العذاب، نفعل بالمجرمين من غيرهم. ﴿٦٥﴾ إن هؤلاء المشركين كانوا إذا قيل لهم في الدنيا: لا إله إلا الله للعمل بمقتضاها وترك ما يخالفها، رفضوا الاستجابة لذلك والإذعان له تكبراً عن الحق وترفعاً عليه. ﴿٦٦﴾ ويقولون محتجين لكفرهم: أنترك عبادة أللهتنا لقول شاعر مجنون؟! يعنون بقولهم هذا رسول الله ﷺ. ﴿٦٧﴾ لقد أعظموا الفرية، فما كان رسول الله ﷺ مجنوناً ولا شاعراً، بل جاء بالقرآن الداعي إلى توحيد الله واتباع رسوله، وصدق المرسلين فيما جاؤوا به من عند الله من التوحيد وإثبات المعاد، ولم يخالفهم في شيء. ﴿٦٨﴾ إنكم - أيها المشركون - لذائقو العذاب الموجه يوم القيامة بسبب كفركم وتكذيبكم للرسل. ﴿٦٩﴾ وما تجزون - أيها المشركون - إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر بالله وارتكاب المعاصي. ﴿٧٠﴾ لكن عباد الله المؤمنين الذين أخلصهم الله لعبادته، وأخلصوا له العبادة، هم بمنجاة من هذا العذاب. ﴿٧١﴾ أولئك العباد المخلصون لهم رزق يرزقهم الله إياه، معلوم في طيبه وحسنه ودوامه. ﴿٧٢﴾ ومن هذا الرزق أنهم يرزقون فواكه أطيب ما يأكلونه ويشتهونه، وهم فوق ذلك مكرمون برفع الدرجات وبالنظر إلى وجه الله الكريم. ﴿٧٣﴾ كل ذلك ينالونه في جنات النعيم المقيم الثابت الذي لا ينقطع ولا يزول. ﴿٧٤﴾ يتكئون على أسرة متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض. ﴿٧٥﴾ يدار عليهم بكؤوس الخمر التي هي في صفائها كالماء الجاري. ﴿٧٦﴾ بيضاء اللون يلتذ بشربها من يشربها لذة كاملة. ﴿٧٧﴾ ليست كخمر الدنيا، فليس فيها ما يذهب العقول من السكر، ولا يتاب متعاطيها صداع، يسلم لشاربها جسمه وعقله. ﴿٧٨﴾ وعندهم في الجنة نساء عفيفات، لا تمتد أبصارهن إلى غير أزواجهن، حسان العيون. ﴿٧٩﴾ كأنهن في بياض ألوانهن المشوبة بصفرة بيض طائر مصون لم تمسه الأيدي. ﴿٨٠﴾ فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون عن ماضيهم وما حدث لهم في الدنيا. ﴿٨١﴾ قال قائل من هؤلاء المؤمنين: إني كان لي

• من فوايد الآيات، • سبب عذاب الكافرين: العمل المنكر؛ وهو الشرك والمعاصي. • من نعيم أهل الجنة أنهم نعموا باجتماع بعضهم مع بعض، ومقابلة بعضهم مع بعض، وهذا من كمال السرور.

﴿٥٢﴾ يقول لي منكراً وساخراً: هل أنت - أيها الصديق - من المصدقين ببعث الأمرات؟

﴿٥٣﴾ أإذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً نخرة إنا لمبعوثون ومجازون على أعمالنا التي عملناها في الدنيا؟

﴿٥٤﴾ قال قرينه المؤمن لأصحابه من أهل الجنة: اطلعوا معي لنرى مصير ذلك القرين الذي كان ينكر البعث؟

﴿٥٥﴾ فاطلع هو فرأى قرينه في وسط جهنم.

﴿٥٦﴾ قال: تالله لقد قاربت - أيها القرين - أن تهلكني بدخول النار بدعوتك لي إلى الكفر وإنكار البعث.

﴿٥٧﴾ ولولا إنعام الله علي بالهداية للإيمان والتوفيق له، لكنت من المحضرين إلى العذاب مثلك.

ولما أنهى كلامه مع قرينه من أهل النار توجه إلى خطاب قرنائه من أهل الجنة فقال:

﴿٥٨﴾ فلسنا نحن - أصحاب الجنة - بميتين.

﴿٥٩﴾ غير موتتنا الأولى في الحياة الدنيا، بل نحن مخلدون في الجنة، ولنا بمعذنين كما يعذب الكفار.

﴿٦٠﴾ إن هذا الذي جازانا به ربنا - من دخول الجنة والخلود فيها والسلامة من النار - لهو الظفر العظيم الذي لا ظفر يساويه.

﴿٦١﴾ لمثل هذا الجزء العظيم يجب أن يعمل العاملون، فإن هذا هو التجارة الرباحة. ﴿٦٢﴾ أذلك النعيم المذكور

الذي أعده الله لعباده الذين أخلصهم لطاعته، خير وأفضل مقاماً وكرامة، أم شجرة الزقوم الملعونة في القرآن التي هي طعام الكفار الذي لا يسمن ولا يغني من جوع؟! ﴿٦٣﴾ إنا صيّرنا هذه الشجرة فتنة يفتتن بها الظالمون بالكفر والمعاصي، حيث قالوا: إن النار تأكل الشجر، فلا يمكن أن ينبت فيها. ﴿٦٤﴾ إن شجرة الزقوم شجرة خبيثة الممتن، فهي شجرة تخرج في قعر الجحيم. ﴿٦٥﴾ ثمرها الخارج منها كربه المنظر كأنه رؤوس الشياطين، وقبح المنظر دليل على قبح المخبر، وهذا يعني أن ثمرها خبيث الطعم. ﴿٦٦﴾ فإن الكفار لآكلون من ثمرها المر القبيح، ومالتون منه بطونهم الخاوية. ﴿٦٧﴾ ثم إنهم بعد أكلهم منها لهم شراب خليط قبيح حار. ﴿٦٨﴾ ثم إن رجوعهم بعد ذلك إلى عذاب الجحيم، فهم يتنقلون من عذاب إلى عذاب. ﴿٦٩﴾ إن هؤلاء الكفار وجدوا آباءهم ضالين عن طريق الهداية، فأتسوا بهم تقليداً لا عن حجة. ﴿٧٠﴾ فهم يتبعون آثار آبائهم في الضلالة مسرعين. ﴿٧١﴾ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين، فليس قومك - أيها الرسول - أول من ضل من الأمم. ﴿٧٢﴾ ولقد أرسلنا في تلك الأمم الأولى رسلاً يخوفونهم من عذاب الله، فكفروا. ﴿٧٣﴾ فانظر - أيها الرسول - كيف كانت نهاية الأقسام الذين أنذرتهم رسلهم فلم يستجيبوا لهم، إن نهايتهم كانت دخول النار خالدين فيها بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسلهم. ﴿٧٤﴾ إلا من أخلصهم الله للإيمان به، فإنهم ناجون من العذاب الذي كان نهاية أولئك المكذبين الكافرين. ﴿٧٥﴾ ولقد دعانا نبينا نوح عليه السلام حين دعا على قومه الذين كذبوه، فلنعم المحييون نحن، فقد سارعنا في إجابة دعائه عليهم. ﴿٧٦﴾ ولقد سلمناه وأهل بيته والمؤمنين معه من أذى قومه ومن الغرق بالطوفان العظيم المرسل على الكافرين من قومه.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الظفر بنعيم الجنان هو الفوز الأعظم، ولمثل هذا العطاء والفضل ينبغي أن يعمل العاملون. • إن طعام أهل النار هو الزقوم ذو الثمر المر الكريه الطعم والرائحة، العسير البلع، المؤلم الأكل. • أجاب الله تعالى دعاء نوح عليه السلام بإهلاك قومه، والله نعم المقصود المحي. •

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ * وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لَأَبْرِهيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَبِكَاءِ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَتَنَظَّرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى اللَّهِ إِلَهُ الْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَطِيقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزُفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا آبَاؤُنَا لَهُ بَنِيكَانَا فَاَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرِي فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَكَابُتْ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٣﴾

٤٤٩

﴿٧٧﴾ ونجيناه أهلكه وأتباعه المؤمنين وحدهم، فقد أغرقنا غيرهم من قومه الكافرين. ﴿٧٨﴾ وأبقينا له في الأمم اللاحقة نساء حسناً يشنون به عليه. ﴿٧٩﴾ أمان وسلام لنوح من أن يقال فيه سوء في الأمم اللاحقة، بل سبق له الثناء والذكر الحسن. ﴿٨٠﴾ إن مثل هذا الجزاء الذي جازينا به نوحاً ﷺ نجزي المحسنين بعبادتهم وطاعتهم لله وحده. ﴿٨١﴾ إن نوحاً من عبادنا المؤمنين العاملين بطاعة الله. ﴿٨٢﴾ ثم أغرقنا الباقين بالطوفان الذي أرسلناه عليهم، فلم يبق منهم أحد. ﴿٨٣﴾ وإن إبراهيم من أهل دينه الذين وافقوه في الدعوة إلى توحيد الله. ﴿٨٤﴾ فاذكر حين جاء ربه بقلب سليم من الشرك ناصح لله في خلقه. ﴿٨٥﴾ حين قال لأبيه وقومه المشركين موبخاً لهم: ما الذي تعبدونه من دون الله؟! ﴿٨٦﴾ آلهة مكذوبة تعبدونها من دون الله؟ ﴿٨٧﴾ فما ظنكم - يا قوم - برب العالمين إذا لقيتموه وأنتم تعبدون غيره؟! وماذا ترونه صانعاً بكم؟! ﴿٨٨﴾ فنظر إبراهيم نظرة في النجوم يدبر مكيدة للتخلص من الخروج مع قومه. ﴿٨٩﴾ فقال متعللاً عن الخروج مع قومه إلى عيدهم: إني مريض. ﴿٩٠﴾ فتركوه وراءهم وذهبوا. ﴿٩١﴾ فقال إلى آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، فقال ساخراً من آلهتهم: ألا تأكلون من الطعام الذي يصنعه المشركون لكم؟! ﴿٩٢﴾ ما شأنكم لا تتكلمون، ولا تجيبون من يسألكم؟! أمثل هذا يُعبد من دون الله؟! ﴿٩٣﴾ فقال عليهم إبراهيم يضربهم بيده اليمنى ليكسرهم. ﴿٩٤﴾ فأقبل إليه عباد هذه الأصنام يسرعون. ﴿٩٥﴾ فقابلهم إبراهيم ببات، وقال لهم موبخاً إياهم: أتعبدون من دون الله آلهة أنتم الذين تنحتونها بأيديكم؟! ﴿٩٦﴾ والله سبحانه خلقكم أنتم، وخلق عملكم، ومن عملكم هذه الأصنام، فهو المستحق لأن يعبد وحده، ولا يشرك به غيره. ﴿٩٧﴾ فلما عجزوا عن مقارعة بالحجة لجؤوا إلى القوة، فتشاوروا فيما بينهم فيما يفعلونه بإبراهيم، قالوا: ابنوا له بنيانا، واملؤوه حطباً وأضرموه، ثم ارموه فيه. ﴿٩٨﴾ فأراد قوم إبراهيم بإبراهيم سوءاً بأن يهلكوه فيستريحوا منه، فصيرناهم الخاسرين حين جعلنا النار عليه برداً وسلاماً. ﴿٩٩﴾ وقال إبراهيم: إني مهاجر إلى ربي تاركاً بلد قومي لأتمكن من عبادته، سيدلني ربي على ما فيه الخير لي في الدنيا والآخرة. ﴿١٠٠﴾ يا رب، ارزقني ولداً صالحاً يكون لي عوناً وعوضاً عن قومي في الغربة. ﴿١٠١﴾ فاستجبنا له دعوته فأخبرناه بما يسره، حيث بشرناه بولد يكبر، ويصير حليماً، وهذا الولد هو إسماعيل عليه السلام. ﴿١٠٢﴾ فلما شب إسماعيل، وأدرك سعيه أبيه رأى أبوه إبراهيم رؤيا، ورؤيا الأنبياء وحى، قال إبراهيم مخبراً ابنه عن فحوى هذه الرؤيا: يا بني، إني رأيت في النوم أنني أذبحك، فانظر ما ترى في ذلك، فاجاب إسماعيل أباه قائلاً: يا أبي، افعل ما أمرك الله به من ذبحي، ستجدني من الصابرين الراضين بحكم الله. ﴿١٠٣﴾ من قوايد الآيات، من مظاهر الإنعام على نوح: نجا نوح ومن آمن معه، وجعل ذريته أصول البشر والأعراق والأجناس، وإبقاء الذكر الجميل والثناء الحسن. من أفعال الإنسان يخلقها الله ويفعلها العبد باختياره. من الذبيح بحسب دلالة هذه الآيات وترتيبها هو إسماعيل عليه السلام؛ لأنه هو المُبَشَّر به أولاً، وأما إسحاق عليه السلام فبُشِّر به بعد إسماعيل عليه السلام. من قول إسماعيل: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ سبب لتوفيق الله له بالصبر؛ لأنه جعل الأمر لله.

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهِ الدَّجِينَ ﴿١٧٣﴾ وَنَدَيْنَهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٧٤﴾
 قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧٥﴾ إِنَّ
 هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُئِمِّنُ ﴿١٧٦﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٧﴾ وَتَرَكْنَا
 عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٧٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٨٠﴾ إِنَّهُ وَمِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ
 بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٨٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ
 وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١٨٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٨٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
 الْعَظِيمِ ﴿١٨٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١٨٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا
 الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١٨٧﴾ وَهَدَيْتَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٨٨﴾
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٨٩﴾ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى
 وَهَارُونَ ﴿١٩٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩١﴾ إِنَّهُمَا
 مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٩٣﴾
 إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٩٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
 الْخَالِقِينَ ﴿١٩٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾

٤٥٠

﴿١٧٣﴾ فلما خضعا لله وانقادا له، وضع إبراهيم ابنه على جانب جبهته لينفذ ما أمر به من ذبحه.

﴿١٧٤﴾ ونادينا إبراهيم وهو يهيم بتنفيذ أمر الله بذبح ابنه: أن يا إبراهيم.

﴿١٧٥﴾ قد حققت الرؤيا التي رأيتها في منامك بعزمك على ذبح ابنك، إنا - العظيمة - نجزي المحسنين فنخلصهم من المحن والشدائد.

﴿١٧٦﴾ إن هذا لهو الاختبار الواضح، وقد نجح إبراهيم فيه.

﴿١٧٧﴾ وفدينا إسماعيل بكبش عظيم بدلا منه بذبح عنه.

﴿١٧٨﴾ وأبقينا على إبراهيم ثناء حسنا في الأمم اللاحقة.

﴿١٧٩﴾ تحية من الله له، ودعاء بالسلامة من كل ضرر وأفة.

﴿١٨٠﴾ كما جازينا إبراهيم هذا الجزاء على طاعته نجازي المحسنين.

﴿١٨١﴾ إن إبراهيم من عبادنا المؤمنين الذين يفون بما تقتضيه العبودية لله.

﴿١٨٢﴾ وبشرناه بولد آخر يصير نبيا وعبدا صالحا وهو إسحاق؛ جزاء على طاعته لله في ذبح إسماعيل ولده الوحيد.

﴿١٨٣﴾ وأنزلنا عليه وعلى ابنه إسحاق بركة منا، فأكثرنا لهما النعم، ومنها تكثير ولدهما، ومن ذريتهما محسن بطاعته لربه، ومنهم ظالم لنفسه بالكفر وارتكاب المعاصي واضح الظلم.

﴿١٩٤﴾ ولقد مَنَّا على موسى وأخيه هارون بالنبوة.

﴿١٩٥﴾ وسلمناهما وقومهما بني إسرائيل من استعباد فرعون لهم ومن الفرق.

﴿١٩٦﴾ ونصرناهم على فرعون وجنوده، فكانت الغلبة لهم على عدوهم.

﴿١٩٧﴾ وأعطينا موسى وأخاه هارون التوراة كتابا من عند الله واضحا لا لبس فيه.

﴿١٩٨﴾ وهديناهما إلى الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو طريق دين الإسلام الموصلة إلى مرضاة الخالق سبحانه.

﴿١٩٩﴾ وأبقينا عليهما ثناء حسنا وذكرًا طيبًا في الأمم اللاحقة.

﴿٢٠٠﴾ تحية من الله طيبة لهما وثناء عليهما ودعاء بالسلامة من كل مكروه.

﴿٢٠١﴾ إنا كما جازينا موسى وهارون هذا الجزاء الحسن نجزي المحسنين بطاعتهم لربهم.

﴿٢٠٢﴾ إن موسى وهارون من عبادنا المؤمنين بالله العاملين بما شرع لهم.

﴿٢٠٣﴾ وإن إلياس لمن المرسلين من ربه، أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة.

﴿٢٠٤﴾ إذ قال لقومه الذين أرسل إليهم من بني إسرائيل: يا قوم، ألا تتقون الله؟ بامتثال أوامره، ومنها التوحيد،

وباجتناب نواهيه، ومنها الشرك؟!

﴿٢٠٥﴾ أنعبدون من دون الله صنمكم بعلًا، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين؟!

﴿٢٠٦﴾ والله هو ربكم الذي خلقكم، وخلق آباءكم من قبل، فهو المستحق للعبادة، لا غيره من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

﴿٢٠٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ دليل على أن إبراهيم وإسماعيل ؑ كانا في غاية التسليم لأمر الله تعالى. • من مقاصد الشرع تحرير العباد من عبودية البشر. • الثناء الحسن والذكر الطيب من النعيم المعجل في الدنيا.

(١٣٧) فما كان من قومه إلا أن كذبوه،
وبسبب تكذيبهم فهم مُحَضَّرُونَ في
العذاب.
(١٣٨) إلا من كان من قومه مؤمناً
مخلصاً لله في عبادته؛ فإنه نجا من
الإحضار إلى العذاب.
(١٣٩) وأيقننا عليه ثناءً حسناً وذكرًا طيباً
في الأمم اللاحقة.
(١٤٠) تحية من الله وثناء على إلياس.
(١٤١) إنا كما جازينا إلياس هذا الجزاء
الحسن نجزي المحسنين من عبادنا
المؤمنين.
(١٤٢) إن إلياس من عبادنا المؤمنين حقاً
الصادقين في إيمانهم بربهم.
(١٤٣) وإن لوطاً لمن رسل الله الذين
أرسلهم إلى أقوامهم مبشرين ومنذرين.
(١٤٤) فاذكر حين سلمناه وأهله كلهم من
العذاب المرسل على قومه.
(١٤٥) إلا زوجته، فقد كانت امرأة شملها
عذاب قومها؛ لكونها كانت كافرة
مثلهم.
(١٤٦) ثم أهلكنا الباقين من قومه ممن
كذبوا به، ولم يصدقوا بما جاء به.
(١٤٧) وإنكم - يا أهل مكة - تلمرون على
منازلهم في أسفاركم إلى الشام في
وقت الصباح.
(١٤٨) وتمرون عليها كذلك ليلاً، أفلا
تعقلون، وتعظون بما آت إليهم أمرهم
بعد تكذيبهم وكفرهم وارتكابهم
الفاحشة التي لم يسبقوا إليها؟
(١٤٩) وإن عبدنا يونس لمن رسل الله
الذين أرسلهم إلى أقوامهم مبشرين
ومنذرين.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٣٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ ﴿١٣٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٩﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَأْسِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّا
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤١﴾ إِنَّهُ وَمَنْ عِبَادُنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٢﴾
وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٣﴾ إِذْ جَعَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٤﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَايِينَ ﴿١٤٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَانْكُمُ
لَتَمُرُّنَّ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٤٧﴾ وَبِالْأَيْلَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَإِنَّ
يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٩﴾ إِذْ أَتَى إِلَى الْفَلَكِ الْمَشْهُودِ ﴿١٥٠﴾
فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٥١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٥٢﴾
فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٥٣﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ
يُغْشَوْنَ ﴿١٥٤﴾ فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٥٥﴾ وَأَنْبَتْنَا
عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٥٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ
يَزِيدُونَ ﴿١٥٧﴾ فَتَأَمَّلُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٥٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ
الرَّيِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُيُوتُ ﴿١٥٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا
وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٦٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكِهَمَ يَفْقَهُونَ ﴿١٦١﴾ وَلَدَّ
اللَّهُ وَانَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٦٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٦٣﴾

(١٦٤) حين فر من قومه من غير إذن ربه، وركب سفينة مملوءة من الركاب والامتنعة.
(١٦٥) فأوشكت السفينة أن تغرق لامتلائها، فافتزع الركاب ليُلْقُوا بعضهم؛ خوفاً من غرق السفينة بسبب كثرة الركاب،
فكان يونس من هؤلاء المغلوبين، فألقوه في البحر.
(١٦٦) فلما ألقوه في البحر أخذته الحوت، وابتلعه، وهو آت بما يُلام عليه؛ لذهابه إلى البحر بغير إذن ربه.
(١٦٧) فلولا أن يونس كان من الذاكرين الله كثيراً قبل ما حل به، ولولا تسييحه في بطن الحوت.
(١٦٨) لمكث في بطن الحوت إلى يوم القيامة بحيث يصير له قبراً.
(١٦٩) فألقيناه من بطن الحوت بأرض خالية من الشجر والبناء، وهو ضعيف البدن لمكثه مدة في بطن الحوت.
(١٧٠) وأنبتنا عليه في تلك الأرض الخالية شجرة من القرع يستظل بها ويأكل منها.
(١٧١) وأرسلناه إلى قومه وعددهم مئة ألف، بل يزيدون. (١٧٢) فأمنوا وصدقوا بما جاء به، فمتعهم الله في حياتهم الدنيا
إلى أن انقضت أجلهم المحددة لهم. (١٧٣) فاسأل - يا محمد - المشركين سؤال إنكار: أتجعلون لله البنات اللاتي
تكروهن، وتجعلون لكم البنين الذين تحبونهم؟ أي قسمة هذه؟ (١٧٤) كيف زعموا أن الملائكة إناث، وهم لم
يحضروا خلقهم، وما شاهدوه؟ (١٧٥) ألا إن المشركين من كذبهم على الله وافتراءهم عليه. (١٧٦) لينسبون له الولد،
وإنهم لكاذبون في دعواهم هذه. (١٧٧) هل اختار الله لنفسه البنات اللاتي تكروهن على البنين الذين تحبونهم؟ كلا.
(١٧٨) من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،
• سُئِلَ اللهُ التَّيَّ لَا تَبْدُلُ وَلَا تَتَغَيَّرُ: إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين. • ضرورة العظة والاعتبار بمصير الذين
كذبوا الرسل حتى لا يحل بهم ما حل بغيرهم. • جواز القرعة شرعاً لقوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾.

﴿١٥٦﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٦﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٧﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٨﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٩﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٦٠﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٦١﴾ الْإِعْبَادَ لِلَّهِ الْأُمُخْلِصِينَ ﴿١٦٢﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦٣﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَلْتِينَ ﴿١٦٤﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٥﴾ وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ وَمَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٧﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٨﴾ وَإِن كَانُوا يَقُولُونَ ﴿١٦٩﴾ لَوْنًا عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧٠﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْأُمُخْلِصِينَ ﴿١٧١﴾ فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٢﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٤﴾ وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٥﴾ فَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٦﴾ وَأَنْصُرُهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٧﴾ أَفَعِدْنَا لِلْمَسْتَغْجِلُونَ ﴿١٧٨﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٩﴾ وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٨٠﴾ وَأَبْصُرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٢﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٣﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٤﴾

﴿١٥٦﴾ أفلا تتذكرون بطلان ما أنتم عليه من هذا الاعتقاد الفاسد؟ فإنكم لو تذكروتم لما قلتم هذا القول.

﴿١٥٧﴾ أم لكم سلطان جلية وبرهان واضح من كتاب بذلك أو رسول؟!

﴿١٥٨﴾ فأتوا بكتابكم الذي يحمل لكم الحجة على هذا إن كنتم صادقين فيما تدعونه.

﴿١٥٩﴾ وجعل المشركون بين الله وبين الملائكة المستورين عنهم نسبًا حين زعموا أن الملائكة بنات الله، ولقد علمت الملائكة أن الله سيحضر المشركين للحساب.

﴿١٦٠﴾ تنزه الله وتقدس عما يصفه به المشركون مما لا يليق به سبحانه من الولد والشريك وغير ذلك.

﴿١٦١﴾ إلا عباد الله المخلصين؛ فإنهم لا يصفون الله إلا بما يليق به سبحانه من صفات الجلال والكمال.

﴿١٦٢﴾ فإنكم أنتم - أيها المشركون - وما تعبدون من دون الله.

﴿١٦٣﴾ لستم بمضلين من أحد عن دين الحق.

﴿١٦٤﴾ إلا من قضى الله عليه أنه من أصحاب النار، فإن الله ينفذ فيه قضاءه فيكفر، ويدخل النار، أما أنتم ومعبوداتكم فلا قدرة لكم على ذلك.

﴿١٦٥﴾ وقالت الملائكة مينة عبوديتها لله،

وبراءتها مما زعمه المشركون: وليس منا أحد إلا له مقام معلوم في عبادة الله وطاعته. ﴿١٦٦﴾ وإنا - نحن الملائكة - لواقفون صفوفًا في عبادة الله وطاعته، وإنا لمنزهون الله عما لا يليق به من الصفات والتعوت.

﴿١٦٧﴾ - وإن المشركين من أهل مكة كانوا يقولون قبل بعثة محمد ﷺ: لو كان عندنا كتاب من كتب الأولين كالتوراة مثلاً؛ لأخلصنا لله العبادة، وهم كاذبون في ذلك، فقد جاءهم محمد ﷺ بالقرآن فكفروا به، فسوف يعلمون ما ينتظرهم من العذاب الشديد يوم القيامة.

﴿١٦٨﴾ - ولقد سبقت كلمتنا لرسلنا أنهم منصورون على أعدائهم بما مرَّ الله عليهم به من الحجة والقوة، وأن الغلبة لجنودنا الذين يقاتلون في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا.

﴿١٦٩﴾ فأعرض - أيها الرسول - عن هؤلاء المشركين المعاندين إلى مدة يعلمها الله حتى يأتي وقت عذابهم.

﴿١٧٠﴾ وانظرهم حين ينزل بهم العذاب، فسيبصرون هم حين لا يفقههم إبطار. ﴿١٧١﴾ أفستعجل هؤلاء المشركون بعذاب الله؟ فإذا نزل عذاب الله بهم فبئس الصباح صباحهم. ﴿١٧٢﴾ وأعرض - أيها الرسول - عنهم حتى يقضي الله بعذابهم. ﴿١٧٣﴾ وانظر فسينظر هؤلاء ما يحل بهم من عذاب الله وعقابه. ﴿١٧٤﴾ تنزه ربك - يا محمد - رب القوة، وتقدس عما يصفه به المشركون من صفات النقص. ﴿١٧٥﴾ وتحية الله وثناؤه على رسله الكرام. ﴿١٧٦﴾ والثناء كله لله ﷻ، فهو المستحق له، وهو رب العالمين جميعًا، لا رب لهم سواه.

﴿١٧٧﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ • سُنَّةُ اللَّهِ نصر المرسلين وورثتهم بالحجة والغلبة، وفي الآيات بشارة عظيمة؛ لمن اتصف بأنه من جند الله، أنه غالب منصور. • في الآيات دليل على بيان عجز المشركين وعجز آلهم عن إضلال أحد، وبشارة لعباد الله المخلصين بأن الله بقدرته ينجيهم من إضلال الضالين المضلين.

﴿١٧٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ • سُنَّةُ اللَّهِ نصر المرسلين وورثتهم بالحجة والغلبة، وفي الآيات بشارة عظيمة؛ لمن اتصف بأنه من جند الله، أنه غالب منصور. • في الآيات دليل على بيان عجز المشركين وعجز آلهم عن إضلال أحد، وبشارة لعباد الله المخلصين بأن الله بقدرته ينجيهم من إضلال الضالين المضلين.

﴿١٧٩﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ • سُنَّةُ اللَّهِ نصر المرسلين وورثتهم بالحجة والغلبة، وفي الآيات بشارة عظيمة؛ لمن اتصف بأنه من جند الله، أنه غالب منصور. • في الآيات دليل على بيان عجز المشركين وعجز آلهم عن إضلال أحد، وبشارة لعباد الله المخلصين بأن الله بقدرته ينجيهم من إضلال الضالين المضلين.

﴿١٨٠﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ • سُنَّةُ اللَّهِ نصر المرسلين وورثتهم بالحجة والغلبة، وفي الآيات بشارة عظيمة؛ لمن اتصف بأنه من جند الله، أنه غالب منصور. • في الآيات دليل على بيان عجز المشركين وعجز آلهم عن إضلال أحد، وبشارة لعباد الله المخلصين بأن الله بقدرته ينجيهم من إضلال الضالين المضلين.

● من مقاصد الشورى:

ذكر المخاصمة بالباطل وعاقبتها.

● التفسير:

١ ﴿ص﴾ تقدم الكلام على نظائرها من الحروف المقطعة في بداية سورة البقرة. أقسم بالقرآن المشتمل على تذكير الناس بما ينفعهم في دنياهم وأخرتهم، ليس الأمر كما يظنه المشركون من وجود شركاء مع الله. ٢ ﴿لكن الكافرين في حمية وتكبر عن توحيد الله، وفي خلاف مع محمد ﷺ وعداؤه له. ٣ ﴿كم أهلكنا من قبلهم من القرون التي كذبت برسلكم فنادوا مستغيثين عند نزول العذاب عليهم، وليس الوقت وقت خلاص لهم من العذاب فتنبههم الاستغاثة منه. ٤ ﴿وتعجبوا حين جاءهم رسول من أنفسهم يخوفهم من عذاب الله إن استمروا على كفرهم، وقال الكافرون حين شاهدوا البراهين على صدق ما جاء به محمد ﷺ: هذا رجل ساحر يسحر الناس، كذاب فيما يدعيه من أنه رسول من الله يوحى إليه. ٥ ﴿أجعل هذا الرجل الآلهة المتعددة إلها واحدا لا إله غيره؟ إن صنيعه هذا لغاية في العجب. ٦ ﴿وانطلق أشرفهم وكبرائهم قائلين لأتابعهم: امضوا على ما كنتم عليه، ولا تدخلوا في دين محمد، وابتنوا على عبادة آلهتكم، إن ما دعاكم إليه محمد من عبادة إله واحد شيء مُدْبِرٌ يريد أن يعلو علينا ونكون له أتباعا. ٧ ﴿ما سمعنا بما يدعونا إليه محمد من توحيد الله فيما وجدنا عليه آباءنا، ولا في ملة عيسى ﷺ، وما ذلك الذي سمعناه منه إلا كذب واقتراء. ٨ ﴿أصبح أن ينزل عليه القرآن من بيننا، ويخص به، ولا ينزل علينا ونحن السادة الكبراء، بل هؤلاء المشركون في شك مما ينزل عليك من الوحي، ولما يدعوا عذاب الله، فاعتروا بإمهمالهم، ولو ذاقوه لما تجاسروا على الكفر والشرك بالله والشك فيما يوحى إليك. ٩ ﴿أم عند هؤلاء المشركين المكذبين خزائن فضل ربك العزيز الذي لا يغالبه أحد، الذي يعطي ما يريد لمن يريد، ومن خزائن فضله النبوة، فيعطيهما من يشاء، وليست هي لهم هم حتى يمنحوها من شأوا ويمنعوها من أرادوا. ١٠ ﴿أم لهم ملك السماوات وملك الأرض وملك ما فيهما؟ فيحق لهم أن يعطوا ويمنعوا؟ إن كان هذا زعمهم فليأخذوا بالأسباب الموصلة إلى السماء ليتمكنوا من الحكم بما أرادوا من منع أو إعطاء، ولن يستطيعوا ذلك. ١١ ﴿هؤلاء المكذبون بمحمد ﷺ جند مهزوم مثل من سبقه من الجنود التي كذبت رسلها. ١٢ ﴿ليس هؤلاء المكذبون أول مكذب؛ فقد كذب قبلهم قوم نوح، وكذبت عاد، وكذب فرعون الذي كانت له أوتاد يعذب بها الناس. ١٣ ﴿وكذبت ثمود، وكذب قوم لوط، وكذب قوم شعيب، وأولئك هم الأحزاب الذين تحزبوا على تكذيب رسلهم والكفر بما جاؤوا به. ١٤ ﴿ما كل أحد من هذه الأحزاب إلا وقع منه تكذيب الرسل، فحق عليهم عذاب الله وحل عليهم عقابه وإن تأخر إلى حين. ١٥ ﴿وما ينتظر هؤلاء المكذبون بمحمد ﷺ إلا أن ينفخ في الصور النفخة الثانية التي لا رجوع فيها، فيقع عليهم العذاب إن ماتوا على تكذيبهم به. ١٦ ﴿وقالوا مستهزئين: يا ربنا، عجل لنا نصيبنا من العذاب في الحياة الدنيا قبل يوم القيامة.

٤٥٣

● من قوايد الآيات: ● أقسم الله ﷻ بالقرآن العظيم، فالواجب تلقّيه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج معانيه. ● غلبت المقاييس المادية في أذهان المشركين برغبتهم نزول الوحي على السادة والكبراء. ● سبب إعراض الكفار عن الإيمان: التكبر والتجبر والاستعلاء عن اتباع الحق.

● من قوايد الآيات: ● أقسم الله ﷻ بالقرآن العظيم، فالواجب تلقّيه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج معانيه. ● غلبت المقاييس المادية في أذهان المشركين برغبتهم نزول الوحي على السادة والكبراء. ● سبب إعراض الكفار عن الإيمان: التكبر والتجبر والاستعلاء عن اتباع الحق.

(٧) اصبر - أيها الرسول - على ما يقوله هؤلاء المكذبون مما لا يرضيك، واذكر عبدنا داود صاحب القوة على مقارعة أعدائه والصبر على طاعة الله، إنه كثير الرجوع إلى الله بالثوبة، والعمل بما يرضيه.

(٨) إنا سخرنا الجبال مع داود يسبحن بتسبيحه إذا سبح آخر النهار وأوله عند الإشراق.

(٩) وسخرنا الطير محبوسة في الهواء، كل مطيع يسبح تبعاً له.

(١٠) وقوينا ملكه بما وهبناه من الهيبة والقوة والنصر على أعدائه، وأعطيناه النبوة والصواب في أموره، وأعطيناه البيان الشافي في كل قصد، والفصل في الكلام والحكم.

(١١) وهل جاءك - أيها الرسول - خبر المتخاصمين حين علّوا على داود ﷺ مكان عبادته.

(١٢) إذ دخلا على داود فجأة، فارتاع من دخولهما عليه فجأة بهذه الطريقة غير المألوفة للدخول عليه، فلما تبين لهما ارتباعه قال: لا تخف؛ فنحن خصمان ظلم أحدهما الآخر، فاحكم بيننا بالعدل، ولا تجزّ علينا إذا حكمت بيننا، وأرشدنا إلى سواء السبيل الذي هو سبيل الصواب.

(١٣) قال أحد الخصمين لداود ﷺ: إن هذا الرجل أخي، له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، فطلب مني

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ وَأَوَّابٌ ﴿٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ وَأَوَّابٌ ﴿٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَوَعَّائْتُنْهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴿١٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿١١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿١٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿١٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسُوَالِ نَعْجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿١٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَافٍ ﴿١٥﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

٤٥٤

أن أعطينه إياها، وغلبني في الحجة.

(١٤) فحكم داود بينهما وقال مخاطباً صاحب الدعوى: لقد ظلمك أخوك حين سألك ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيراً من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض بأخذ حقه وعدم الإنصاف، إلا المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحات فإنهم ينصفون شركاءهم ولا يظلمونهم، والمتصفون بذلك قليل، وأيقن داود ﷺ أنما أوقعناه في فتنة بهذه الخصومة، فطلب المغفرة من ربه وسجد تقرباً إلى الله، وتاب إليه.

(١٥) فاستجبنا له فغفرنا له ذلك، وإنه عندنا لمن المقربين، وله حسن مصير في الآخرة.

(١٦) يا داود، إنا صيّرتك خليفة في الأرض تنفذ الأحكام والقضايا الدينية والدنيوية، فاقض بين الناس بالعدل، ولا تتبع الهوى في حكمك بين الناس؛ بأن تميل مع أحد الخصمين لقربة أو صداقة أو تميل عنه لعداوة، فيضلك الهوى عن صراط الله المستقيم، إن الذين يضلون عن صراط الله المستقيم لهم عذاب قوري بسبب نسيانهم يوم الحساب؛ إذ لو كانوا يذكرونه ويخافون منه لما مالوا مع أهوائهم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• بيان فضائل نبي الله داود وما اختصه الله به من الآيات. • الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى؛ لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، ولكن قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة بنسيان أو غفلة عن حكم، ولكن الله يتداركهم ويأدرهم بلطفه. • استدلل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ على مشروعية الشركة بين اثنين وأكثر. • ينبغي التزام الأدب في الدخول على أهل الفضل والمكانة.

(١٧) وما خلقنا السماء والأرض عبثاً، ذلك ظن الذين كفروا، فويل لهؤلاء الكافرين الذين يظنون هذا الظن من عذاب النار يوم القيامة إذا ماتوا على ما هم عليه من الكفر وظن السوء بالله. (١٨) لن نجعل الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله وعملوا الأعمال الصالحات مثل المفسدين في الأرض بالكفر والمعاصي، ولا نجعل المتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيه مثل الكافرين والمنافقين المنغمسين في المعاصي، إن التسوية بينهما جور لا يليق بالله ﷻ، بل يجازي الله المؤمنين الاتقياء بدخول الجنة، ويعاقب الكافرين الأشقياء بدخول النار؛ لأنهم لا يستون عند الله، فلا يستوي جزاؤهم عنده.

(١٩) إن هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك كثير الخير والنفع، ليتدبر الناس آياته ويتفكروا في معانيها، وليتعتظ به أصحاب العقول الراجحة النيرة.

(٢٠) ووهبنا لداود ابنه سليمان إنعاماً منا عليه وتفضلاً لتقر عينه به، نعم العبد سليمان، إنه كثير التوبة والرجوع إلى الله والإجابة إليه.

(٢١) اذكر حين عرضت عليه عصراً الخيول الأصيلة السريعة، تقف على ثلاث قوائم، وترفع الرابعة، فلم تزل تُعرض عليه تلك الخيول الأصيلة حتى غربت الشمس.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كَتَبْنَا نُزْلَهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ وَأَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّفِيفَتُ الْجَبَّادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْتَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا وَمَنْ أَكْثَرُ مِمَّا بَدَّلَ (٣٩) وَإِنَّا لَهُ وَعَدْنَا الرَّحْمَنَ وَحَسَنَ مَقَابٍ (٤٠) وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَآتَى مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢)

٤٥٥

(٢٧) فقال سليمان: إني آثرت حب المال - ومنه هذه الخيل - على ذكر ربي حتى غابت الشمس وتأخرت عن صلاة العصر.

(٢٨) ردوا علي هذه الخيل، فردوها عليه، فبدأ يضرب بالسيف سوقها وأعناقها.

(٢٩) ولقد اختبرنا سليمان وألقينا على كرسي ملكه شيطاناً، متمثلاً بإنسان تصرف في ملكه مدة قصيرة ثم رجع لسليمان ملكه وسلطه على الشياطين.

(٣٠) قال سليمان: يا رب، اغفر لي ذنوبي، وأعطني ملكاً خاصاً بي، لا يكون لأحد من الناس بعدي، إنك - يا رب - كثير العطاء، عظيم الجود. (٣١) فاستجبتنا له وذللنا له الريح تنقاد بأمره لينة، لا زعزعة فيها مع قوتها وسرعة جريها، تحمله حيث أراد. (٣٢) وذللنا له الشياطين يأتون بأمره، فمنهم البناؤون، ومنهم الغواصون الذين يغوصون في البحار، فيستخرجون الدُّر منها. (٣٣) ومن الشياطين مردة سُخَّروا له، فهم موثقون في الأغلال لا يستطيعون التحرك. (٣٤) يا سليمان، هذا عطاؤنا الذي أعطيناك استجابة لما طلبت منا، فأعط من شئت، وامنع من شئت، فلن نحاسب في إعطاء أو منع. (٣٥) وإن سليمان عندنا لمن المقربين، وله حُسن مرجع يرجع إليه وهو الجنة. (٣٦) واذكر - أيها الرسول - عبدنا أيوب حين دعا الله ربه: أني أصابني الشيطان بأمر متعب معذب. (٣٧) فقلنا له: اضرب برجلك الأرض، فضرِب برجله الأرض، فنبع له منها ماء يشرب منه ويعتسل، فيذهب ما به من الضر والأذى.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • الحث على تدبر القرآن. • في الآيات دليل على أنه بحسب سلامة القلب وفطنة الإنسان يحصل له التذكر والانتفاع بالقرآن الكريم. • في الآيات دليل على صحة القاعدة المشهورة: «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه».

﴿١٣﴾ فاستجبنا له، فكشفنا ما به من ضرر، وأعطيناه أهله، وزدناه عليهم مثلهم من البتين والحفدة رحمة منا به، وجزاء له على صبره، وليتذكر أصحاب العقول الراجحة أن عاقبة الصبر الفرج والثواب. ﴿١٤﴾ حين غضب أيوب على زوجته، فأقسم ليضربنها مئة جلدة، قلنا له: خذ - يا أيوب - بيدك حزمة شماريح فاضربها بها إبراراً لقسمك، ولا تحنث في قسمك الذي أقسمته، فأخذ بحزمة شماريح فاضربها بها، إنا وجدناه صابراً على ما ابتليناه به، نعم العبد هو، إنه كثير الرجوع والإجابة إلى الله. ﴿١٥﴾ واذكر - أيها الرسول - عبادنا الذين اصطفيناهم ورسلنا الذين أرسلناهم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقد كانوا أصحاب قوة في طاعة الله وتلمس مرضاته، وكانوا أصحاب بصيرة في الحق صادقة. ﴿١٦﴾ إنا مننا عليهم بخاصة اختصاصناهم بها، وهي إعمار قلوبهم بذكر الدار الآخرة والاستعداد لها بالعمل الصالح ودعوة الناس إلى العمل لها. ﴿١٧﴾ وإنهم عندنا لمنن اصطفيناهم لطاعتنا وعبادتنا، واخترناهم لحمل رسالتنا وتبليغها للناس. ﴿١٨﴾ واذكر - أيها النبي - إسماعيل بن إبراهيم، واذكر اليسع، واذكر ذا الكفل، وأثن عليهم بأحسن ثناء، فهم أهل له، وكل هؤلاء من المختارين عند الله المصطفين. ﴿١٩﴾ هذا ذكر لهؤلاء بالثناء الجميل في القرآن، وإن للمتقين بامثال أوامر الله

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٣﴾ وَحُذِّبْتُكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٤﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿١٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿١٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ ﴿١٧﴾ وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكُفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْآخِيَارِ ﴿١٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَّكَابٍ ﴿١٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَنْبُوبُ ﴿٢٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٢١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصَصْتُ الْأُظْفَرِ أَثَرٌ ﴿٢٢﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٢٤﴾ هَذَا وَإِنَّا لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَاءٍ ﴿٢٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْشَأُ الْمُهَاذِلُونَ ﴿٢٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٢٧﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٢٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٢٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمَرْجَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَتَأْفِكُنَّ الْقُرَارُ ﴿٣٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٣١﴾

واجتناب نواهيهم لمرجعاً حسناً في الدار الآخرة. ﴿٢٠﴾ هذا المرجع الحسن هو جنات إقامة يدخلونها يوم القيامة، وقد فتحت لهم أبوابها احتفاء بهم. ﴿٢١﴾ متكئين على الأرائك المزينة لهم، يطلبون من خدامهم أن يقدموا لهم ما يشتهونه من الفواكه الكثيرة المتنوعة، ومن الشراب مما يشتهونه من خمر وغيرها. ﴿٢٢﴾ وعندهم نساء قاصرات أطرافهن على أزواجهن، لا تتجاوزهم إلى غيرهم، وهن مستويات في السن. ﴿٢٣﴾ هذا ما توعدون - أيها المتقون - من الجزاء الطيب يوم القيامة على أعمالكم الصالحة التي كنتم تعملونها في الدنيا. ﴿٢٤﴾ إن هذا الذي ذكرنا من الجزاء لرزقنا نرزق به المتقين يوم القيامة، وهو رزق مستمر، لا ينقطع ولا ينتهي. ﴿٢٥﴾ هذا الذي ذكرنا جزاء المتقين، وإن للمتجاوزين لحدود الله بالكفر والمعاصي لجزاء مغايراً لجزاء المتقين، فلهم شر مرجع يرجعون إليه يوم القيامة. ﴿٢٦﴾ هذا الجزاء هو جهنم تحيط بهم، ويعانون حرها ولهيبها، لهم منها فراش، فبئس الفراش فراشهم. ﴿٢٧﴾ هذا العذاب ماء متناهي الحرارة، وصديد سائل من أجساد أصحاب النار المعذبين فيها، فليشربوه، فهو شرابهم الذي لا يروي من عطش. ﴿٢٨﴾ ولهم عذاب آخر من شكل هذا العذاب، فلهم عدة أصناف من العذاب يُعذبون بها في الآخرة. ﴿٢٩﴾ وإذا دخل أهل النار وقع بينهم ما يقع بين الخصوم من الشتم، وتبرأ بعضهم من بعض، فيقول بعضهم: هذه طائفة من أهل النار داخلية النار معكم، فيجيبونهم: لا مرحباً بهم إنهم مقاسون من عذاب النار مثل ما نقاسيه. ﴿٣٠﴾ قال فوج الأتباع لساداته المتبوعين: بل أنتم - أيها السادة المتبوعون - لا مرحباً بكم، فأنتم من تسببتم لنا بهذا العذاب الأليم بإضلالكم لنا وإغوائكم، فبئس القرار هذا القرار، قرار الجميع الذي هو نار جهنم. ﴿٣١﴾ قال الأتباع: يا ربنا، من أضلنا عن الهدى بعد إذ جاءنا فاجعل عذابه في النار عذاباً مضاعفاً.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • من صبر على الضر فالله تعالى يثيبه ثواباً عاجلاً وآجلاً، ويستجيب دعاءه إذا دعاه. • في الآيات دليل على أن للزوج أن يضرب امرأته تأديباً ضرباً غير مبرح؛ فأيوب عليه السلام حلف على ضرب امرأته ففعل.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَنَرِي رَجُلًا كَذَّابًا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ٦٦ أَخَذْنَاهُمْ
 سِحْرِيًّا أَمْ رَغَبْتَ عَنْهُمْ أَلْبَصَرُ ٦٧ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
 النَّارِ ٦٨ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ٦٩
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ٧٠ قُلْ هُوَ نَبَوُّ
 عَظِيمٌ ٧١ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ٧٢ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى
 إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٧٣ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنْتَ أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٧٤ إِذْ قَالَ
 رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ٧٥ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ
 فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ٧٦ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ ٧٧ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٧٨ قَالَ
 يَبَايِعُكَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ
 مِنَ الْعَالِينَ ٧٩ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ
 ٨٠ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ٨١ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
 ٨٢ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ٨٣ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
 الْمُنْظَرِينَ ٨٤ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ٨٥ قَالَ فَبِعَرَّتِكَ
 لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٦ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ٨٧

٤٥٧

٦٦ وقال المتكبرون الطغاة: ما لنا لا نرى معنا في النار رجلاً كنا نحسبهم في الدنيا من الأشقياء الذين يستحقون العذاب.

٦٧ أكانت سحريتنا واستهزاؤنا بهم خطأ فلم يستحقوا العذاب، أم أن استهزاءنا بهم كان صواباً، وقد دخلوا النار، ولم تقع عليهم أبصارنا؟!

٦٨ إن ذلك الذي ذكرنا لكم من تخاصم الكفار بينهم يوم القيامة لحق لا مرية فيه ولا ريب.

٦٩ قل - يا محمد - للكفار من قومك: إنما أنا منذر لكم من عذاب الله أن يوقعه عليكم بسبب كفركم به وتكذيبكم لرسله، وليس يوجد إله يستحق العبادة إلا الله سبحانه، فهو المنفرد في عظمته وصفاته وأسمائه، وهو القهار الذي قهر كل شيء، فكل شيء خاضع له.

٧٠ وهو رب السموات ورب الأرض ورب ما بينهما، وهو العزيز في ملكه الذي لا يغالبه أحد، وهو الغفار للذنوب التائبين من عباده.

٧١ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: إن القرآن خبر ذو شأن عظيم.

٧٢ أنتم عن هذا الخبر العظيم الشأن معرضون، لا تلتفتون إليه.

٧٣ ليس لي من علم بما كان يدور من حديث بين الملائكة بشأن خلق آدم، لولا أن الله أوحى إليّ وعلمني.

٧٤ إنما يوحى الله إليّ ما يوحى لأنبياء نذير لكم من عذابه بين النذارة.

٧٥ اذكر حين قال ربك للملائكة: إني خالق بشراً من طين وهو آدم.

٧٦ فإذا سويته وعدلت صورته، ونفخت فيه من روحي، فاسجدوا له.

٧٧ فامتثل الملائكة أمر ربهم، فسجدوا جميعهم سجود تكريم، ولم يبق منهم أحد إلا سجد لآدم.

٧٨ إلا إبليس تكبر عن السجود، وكان بتكبره على أمر ربه من الكافرين.

٧٩ قال الله: يا إبليس، أي شيء منعك من السجود لآدم الذي خلقتك بيدي؟! أمتنع من السجود التكبر، أم كنت من قبل ذا تكبر وعلو على ربك؟!

٨٠ قال إبليس: أنا خير من آدم، فقد خلقتني من نار وخلقته من طين، وبزعمه أن النار أشرف عنصراً من الطين.

٨١ قال الله لإبليس: فاخرج من الجنة فإنك ملعون مشتموم.

٨٢ وإن عليك الطرد من الجنة إلى يوم الجزاء، وهو يوم القيامة.

٨٣ قال إبليس: فأمهلني ولا تمنني إلى يوم تبعث عبادك.

٨٤ قال الله: فإنك من الممهّلين.

٨٥ إلى يوم الوقت المعلوم المحدد لإهلاكك.

٨٦ قال إبليس: فأقسم بقدرتك وقهرك، لأضلّ بني آدم أجمعين.

٨٧ إلا من عصمت أنت من إضلائي وأخلصته لعبادتك وحدي.

٨٨ من قوايدي والآيات،

• القياس والاجتهاد مع وجود النص الواضح مسلك باطل. • كفر إبليس كفر عناد وتكبر. • من أخلصهم الله لعبادته من الخلق لا سبيل للشيطان عليهم.

﴿٨٦﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَالْحَقُّ مِنِّي،
والحق أقوله، لا أقول غيره.

﴿٨٥﴾ لَأَمْلَأَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمَ مِنْكَ
وَمِمَّنْ تَبِعَكَ فِي كُفْرِكَ مِنْ بَنِي آدَمَ
أَجْمَعِينَ.

﴿٨٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء
المشركين: ما أسألكم على ما أبلغكم
من النصح من جزاء، وما أنا من
المتكلفين بالإتيان بزيادة على ما أمرت
به.

﴿٨٧﴾ ليس القرآن إلا تذكيرًا للمكلفين
من الإنس والجن.

﴿٨٨﴾ ولتعلمن خير هذا القرآن، وأنه
صادق بعد وقت قريب حين تموتون.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

— مكية —

﴿١﴾ مِن مَّقَاصِدِ الشُّوَرِ:
الدعوة للتوحيد والإخلاص، ونبذ
الشرك، وعاقبة كل في الآخرة.

﴿٢﴾ التفسير:
﴿١﴾ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي
لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه
وتدبيره وشرعه، ليس مُنزلاً من غيره
سبحانه.

﴿٢﴾ إنا أنزلنا إليك - أيها الرسول -
القرآن مشتملاً على الحق، فأخبره
كلها صادقة وأحكامه جميعها عادلة،
فاعبد الله موحداً له، مخلصاً له
التوحيد من الشرك.

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٦﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلِتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ
كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى
مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى
النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

٤٥٨

﴿١﴾ أَلَا لله الدين الخالي من الشرك، والذين اتخذوا من دون الله أولياء من الأوثان والطواغيت يعبدونهم من
دون الله معتذرين عن عبادتهم لهم بقولهم: ما نعبد هؤلاء إلا ليقربونا إلى الله منزلة، ويرفعوا حوائجنا إليه،
ويشفعوا لنا عنده؛ إن الله يحكم بين المؤمنين الموحدين وبين الكافرين المشركين يوم القيامة، فيما كانوا فيه
يختلفون من التوحيد، إن الله لا يوفق للهداية إلى الحق من هو كاذب على الله ينسب له الشريك، كفور بنعم الله
عليه.

﴿٢﴾ لو أراد الله اتخاذ ولد لاختار من خلقه ما يشاء، فجعله بمنزلة الولد، تنزهه وتقدس عما يقوله هؤلاء المشركون،
هو الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له فيها، القهار لجميع خلقه.

﴿٣﴾ خلق السماوات والأرض لحكمة بالغة، لا عبثاً كما يقول الظالمون، يدخل الليل على النهار، ويدخل النهار
على الليل، فإذا جاء أحدهما غاب الآخر، وذلل الشمس، وذلل القمر، كل منهما يجري لوقت مُّقدَّر هو انقضاء
هذه الحياة، ألا هو سبحانه العزيز الذي يتقم من أعدائه، ولا يغالبه أحد، الغفار للذنوب من تاب من عباده.

﴿٤﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الداعي إلى الله يحتسب الأجر من عنده، لا يريد من الناس أجراً على ما يدعوهم إليه من الحق.
- التكلف ليس من الدين.
- التوسل إلى الله يكون بأسمائه وصفاته وبالإيمان وبالعمل الصالح لا غير.

﴿١﴾ خَلَقَكُمْ رَبِّكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هِيَ آدَمُ، ثُمَّ خَلَقَ مِنْ آدَمَ زَوْجَهُ حَوَاءَ، وَخَلَقَ لَكُمْ مِنَ الْإِبْلِ وَالْبَقَرِ وَالضَّأْنِ وَالْمِعْزِ ثَمَانِيَةَ أَنْوَاعٍ مِنْ كُلِّ صَنْفٍ خَلَقَ ذَكَرًا وَأُنْثَى، يَنْشِئُكُمْ سَبْحَانَهُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ فِي ظِلْمَاتِ الْبُطْنِ وَالرَّحِمِ وَالْمَشِيمَةِ، ذَلِكَ الَّذِي يَخْلُقُ ذَلِكَ كُلَّهُ هُوَ اللَّهُ رَبُّكُمْ، لَهُ وَحْدَهُ الْمُلْكُ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ، فَكَيْفَ تَصْرِفُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ مَنْ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ؟!

﴿٢﴾ إِنْ تَكْفُرُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - بِرَبِّكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ إِيْمَانِكُمْ، وَلَا يُضِرُّهُ كُفْرُكُمْ، وَإِنَّمَا ضُرَّرَ كُفْرُكُمْ عَائِدٌ إِلَيْكُمْ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَلَا يَأْمُرُهُمُ بِالْكَفْرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَإِنْ تَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى نِعْمِهِ وَتُؤْمِنُوا بِهِ يُرْضَ شُكْرُكُمْ، وَيُثَبِّتْكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا تَحْمِلْ نَفْسُ ذَنْبِ نَفْسٍ أُخْرَى، بَلْ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ وَحْدَهُ مَرْجِعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُخْبِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا، وَيَجْزِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، إِنَّهُ سَبْحَانَهُ عَلِيمٌ بِمَا فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا فِيهَا.

﴿٣﴾ وَإِذَا أَصَابَ الْكَافِرَ ضُرٌّ مِنْ مَرَضٍ وَقَفَّدَ مَالًا وَخُوفَ غُرُقٍ دَعَا رَبَّهُ سَبْحَانَهُ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ رَاجِعًا

إِلَيْهِ وَحْدَهُ، ثُمَّ إِذَا أَعْطَاهُ نِعْمَةً بَانَ كَشَفَ عَنْهُ الضَّرَّ الَّذِي أَصَابَهُ تَرَكَ مَنْ كَانَ يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ وَهُوَ اللَّهُ، وَجَعَلَ اللَّهُ شُرَكَاءَ يَعْبُدُهُمْ مِنْ دُونِهِ لِيَحْرِفَ غَيْرُهُ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ الْمَوْصِلِ إِلَيْهِ، قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِمَنْ هَذِهِ حَالُهُ: اسْتَمْتَعَ بِكَفْرِكَ بَقِيَّةَ عَمْرِكَ، وَهُوَ زَمَنٌ قَلِيلٌ، فَإِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ الْمَلَازِمِينَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَلَازِمَةُ الصَّاحِبِ صَاحِبِهِ.

﴿٤﴾ أَمْ مِنْ هُوَ مَطِيعٌ لِلَّهِ يَقْضِي أَوْقَاتَ اللَّيْلِ سَاجِدًا لِرَبِّهِ وَقَائِمًا لَهُ، يَخَافُ عَذَابَ الْآخِرَةِ، وَيَأْمُلُ رَحْمَةَ رَبِّهِ خَيْرٌ، أَمْ ذَلِكَ الْكَافِرُ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ فِي الشَّدَةِ وَيَكْفُرُ بِهِ فِي الرِّخَاءِ، وَيَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ شُرَكَاءَ؟! قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ -: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَبَبَ مَعْرِفَتِهِمْ بِاللَّهِ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ هَذَا؟! إِنَّمَا يَعْرِفُ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْقَرِيقَيْنِ أَصْحَابُ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ.

﴿٥﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَبِرُسُلِي: اتَّقُوا رَبَّكُمْ بِأَمْثَالِ أَوْامِرِهِ، وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْكُمْ الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً فِي الدُّنْيَا بِالنَّصْرِ وَالصَّحَّةِ وَالْمَالِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْجَنَّةِ، وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ، فَهَاجِرُوا فِيهَا حَتَّى تَجِدُوا مَكَانًا تَعْبُدُونَ اللَّهَ فِيهِ، لَا يَمْنَعُكُمْ مَانِعٌ، إِنَّمَا يُعْطَى الصَّابِرُونَ ثَوَابَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُونَ عَذَابِهَا وَلَا مَقْدَارَ لِكُثْرَتِهِ وَتَنَوُّعِهِ.

﴿٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

• رِعَايَةُ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ فِي بُطْنِ أُمِّهِ.

• ثُبُوتُ صِفَةِ الْغِنَى وَصِفَةِ الرِّضَا لِلَّهِ.

• تَعَرُّفُ الْكَافِرِ إِلَى اللَّهِ فِي الشَّدَةِ وَتَنَكُّرُهُ لَهُ فِي الرِّخَاءِ، دَلِيلٌ عَلَى تَخْبِطِهِ وَاضْطِرَابِهِ.

• الْخُوفُ وَالرَّجَاءُ صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْإِيْمَانِ.

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَنَزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَنْوَاعٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِمَّنْ بَعْدَ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ تَكْفُرًا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

﴿٨﴾ وَإِذَا مَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ عَارِبُهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٩﴾ أَمْ مَنْ هُوَ قَوْلُ أَتَأْتِئُ اللَّيْلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾ قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١﴾

إِلَيْهِ وَحْدَهُ، ثُمَّ إِذَا أَعْطَاهُ نِعْمَةً بَانَ كَشَفَ عَنْهُ الضَّرَّ الَّذِي أَصَابَهُ تَرَكَ مَنْ كَانَ يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ وَهُوَ اللَّهُ، وَجَعَلَ اللَّهُ شُرَكَاءَ يَعْبُدُهُمْ مِنْ دُونِهِ لِيَحْرِفَ غَيْرُهُ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ الْمَوْصِلِ إِلَيْهِ، قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِمَنْ هَذِهِ حَالُهُ: اسْتَمْتَعَ بِكَفْرِكَ بَقِيَّةَ عَمْرِكَ، وَهُوَ زَمَنٌ قَلِيلٌ، فَإِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ الْمَلَازِمِينَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَلَازِمَةُ الصَّاحِبِ صَاحِبِهِ.

﴿١٢﴾ أَمْ مِنْ هُوَ مَطِيعٌ لِلَّهِ يَقْضِي أَوْقَاتَ اللَّيْلِ سَاجِدًا لِرَبِّهِ وَقَائِمًا لَهُ، يَخَافُ عَذَابَ الْآخِرَةِ، وَيَأْمُلُ رَحْمَةَ رَبِّهِ خَيْرٌ، أَمْ ذَلِكَ الْكَافِرُ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ فِي الشَّدَةِ وَيَكْفُرُ بِهِ فِي الرِّخَاءِ، وَيَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ شُرَكَاءَ؟! قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ -: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَبَبَ مَعْرِفَتِهِمْ بِاللَّهِ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ هَذَا؟! إِنَّمَا يَعْرِفُ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْقَرِيقَيْنِ أَصْحَابُ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ.

﴿١٣﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَبِرُسُلِي: اتَّقُوا رَبَّكُمْ بِأَمْثَالِ أَوْامِرِهِ، وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْكُمْ الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً فِي الدُّنْيَا بِالنَّصْرِ وَالصَّحَّةِ وَالْمَالِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْجَنَّةِ، وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ، فَهَاجِرُوا فِيهَا حَتَّى تَجِدُوا مَكَانًا تَعْبُدُونَ اللَّهَ فِيهِ، لَا يَمْنَعُكُمْ مَانِعٌ، إِنَّمَا يُعْطَى الصَّابِرُونَ ثَوَابَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُونَ عَذَابِهَا وَلَا مَقْدَارَ لِكُثْرَتِهِ وَتَنَوُّعِهِ.

﴿١٤﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

• رِعَايَةُ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ فِي بُطْنِ أُمِّهِ.

• ثُبُوتُ صِفَةِ الْغِنَى وَصِفَةِ الرِّضَا لِلَّهِ.

• تَعَرُّفُ الْكَافِرِ إِلَى اللَّهِ فِي الشَّدَةِ وَتَنَكُّرُهُ لَهُ فِي الرِّخَاءِ، دَلِيلٌ عَلَى تَخْبِطِهِ وَاضْطِرَابِهِ.

• الْخُوفُ وَالرَّجَاءُ صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْإِيْمَانِ.

﴿١١﴾ قل - أيها الرسول -: إني أمرني الله

أن أعبد وحده مخلصاً له العباد.

﴿١٢﴾ وأمرني أن أكون أول من أسلم له وانقاد من هذه الأمة.

﴿١٣﴾ قل - أيها الرسول -: إني أخاف

إن عصيت الله ولم أطعه عذاب يوم عظيم، وهو يوم القيامة.

﴿١٤﴾ قل - أيها الرسول -: إني أعبد الله

وحده مخلصاً له العباد، لا أعبد معه غيره.

﴿١٥﴾ فاعبدوا أئتم - أيها المشركون -

ما شئتم من دونه من الأوثان (والأمر

للتهديد)، قل - أيها الرسول -: إن

الخاسرين حقاً هم الذين خسروا

أنفسهم، وخسروا أهلهم، فلم

يلقوهم لمفارقتهم لهم بانفرادهم

يدخل الجنة، أو بدخولهم معهم

النار، فلن يلتقوا أبداً، ألا ذلك حقاً

هو الخسران الواضح الذي لا لبس فيه.

﴿١٦﴾ لهم من فوقهم دخان ولهب وحر،

ومن تحتهم دخان ولهب وحر، ذلك

المذكور من العذاب يخوف الله به

عباده، يا عبادي، فاتقوني بامتنال

أوامري واجتنب نواهي.

ولما ذكر الله أحوال المجرمين، ذكر

أحوال عباده الصالحين فقال:

﴿١٧﴾ والذين اجتنبوا عبادة الأوثان،

وكل ما يُعبد من دون الله، ورجعوا

إلى الله بالتوبة؛ لهم البشري بالجنة

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدْ وَأَمَّا شَيْئُكُمْ مِنْ دُونِهِ
قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ
وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبُدُونَ فَاتَّقُوا ﴿١٦﴾
وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الظَّلْغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوا مَا آتَاهُمُ الْإِلَهُ اللَّهُ لَهُمُ الْبُشْرَى
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرُوفٌ مِنْ فَوْقِهِمْ غُرُوفٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
يَخْرُجُ بِهِ زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُ حُطَلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

٤٦٠

عند الموت، وفي القبر، ويوم القيامة، فبشر - أيها الرسول - عبادي.

﴿١٨﴾ الذين يستمعون القول ويميزون بين الحسن منه والقبیح، فيتبعون أحسن القول لما فيه من النفع، أولئك

المتصفون بتلك الصفات هم الذين وفقهم الله للهداية، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة.

﴿١٩﴾ من وجبت عليه كلمة العذاب لاستمراره في كفره وضلاله، فلا حيلة لك - أيها الرسول - في هدايته، وتوقيفه،

أفأنت - أيها الرسول - تستطيع إنقاذ من هذه صفته من النار؟!

﴿٢٠﴾ لكن الذين اتقوا ربهم؛ بامتنال أوامره واجتنب نواهي، لهم منازل عالية، بعضها فوق بعض، تجري من

تحتها الأنهار، وعدهم الله بذلك وعداً، والله لا يخلف الميعاد.

﴿٢١﴾ إنكم تعلمون بالمشاهدة أن الله أنزل من السماء ماء المطر، فأدخله في عيون ومجار، ثم يخرج بهذا الماء

زرعاً مختلف الألوان، ثم يبس الزرع، فتراه - أيها المشاهد - مُضْفَرًّا اللون بعد أن كان مُخْضَرًّا، ثم يجعله بعد

يبسه متكسراً متهشماً، إن في ذلك المذكور لتذكيراً لأصحاب القلوب الحية.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• إخلاص العبادة لله شرط في قبولها.

• المعاصي توجب عذاب الله وغضبه.

• هداية التوفيق إلى الإيمان بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ.

﴿٣١﴾ أفمن شرح الله صدره للإسلام، فاهتدى إليه، فهو على بصيرة من ربه، مثل من قسا قلبه عن ذكر الله؟! لا يستويان أبدًا، فالنجاة للمهتدين، والخسران لمن قست قلوبهم عن ذكر الله، أولئك في ضلال واضح عن الحق.

﴿٣٢﴾ الله نزل على رسوله محمد ﷺ القرآن الذي هو أحسن حديث، أنزله متشابهًا يشبه بعضه بعضًا في الصدق والحسن والائتلاف وعدم الخلاف، تتعدد فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الحق، وصفات أهل الباطل وغير ذلك، تقشع من جلود الذين يخشون ربهم إذا سمعوا ما فيه من الوعيد والتهديد، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله إذا سمعوا ما فيه من الرجاء والبيارات، ذلك المذكور من القرآن وتأثيره هداية الله يهدي بها من يشاء، ومن يخذله الله، ولم يوفقه للهداية، فليس له من هاد يهديه.

﴿٣٣﴾ أيستوى هذا الذي هداه الله، ووقفه في الدنيا وأدخله الجنة في الآخرة، ومن كفر ومات على كفره فأدخله النار مغلول اليدين والرجلين، لا يستطيع أن يتقي النار إلا بوجهه المكب عليه؟! وقيل للظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي على سبيل التوبيخ: ذوقوا ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي، فهذا جزاؤكم.

﴿٣٤﴾ كذبت الأمم التي كانت قبل هؤلاء المشركين، فجاءهم العذاب فجأة من حيث لا يحسبون به فيستعدون له بالتوبة. ﴿٣٥﴾ فأذاقهم الله بذلك العذاب الخزي والعار والفضيحة في الحياة الدنيا، وإن عذاب الآخرة الذي ينتظرم أعظم وأشد لو كانوا يعلمون.

﴿٣٦﴾ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ أنواع الأمثال في الخير والشر، والحق والباطل، والإيمان والكفر وغير ذلك؛ رجاء أن يعتبروا بما ضربناه منها، فيعملوا بالحق، ويتروكوا الباطل.

﴿٣٧﴾ جعلناه قرآنًا بلسان عربي، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، رجاء أن يتقوا الله؛ باتباع أوامره واجتناب نواهيه. ﴿٣٨﴾ ضرب الله مثلًا للمشرك والموحد رجلًا مملوكًا لشركاء متنازعين؛ إن أرضى بعضهم أغضب بعضًا، فهو في حيرة واضطراب، ورجلًا خالصًا لرجل، وحده يملكه، ويعرف مراده فهو في طمأنينة وهدوء بال، لا يستوي هذان الرجلان. الحمد لله، بل معظمهم لا يعلمون، فلذلك يشركون مع الله غيره.

﴿٣٩﴾ إنك - أيها الرسول - ميت، وإنهم ميتون لا محالة.

﴿٤٠﴾ ثم إنكم - أيها الناس - يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيما تنازعون فيه، فيتبين المحق من المبطّل.

﴿٤١﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• أهل الإيمان والتقوى هم الذين يخشعون لسماع القرآن، وأهل المعاصي والخلدان هم الذين لا ينتفعون به.
• التكذيب بما جاءت به الرسل سبب نزول العذاب إما في الدنيا أو الآخرة أو فيهما معًا. • لم يترك القرآن شيئًا من أمر الدنيا والآخرة إلا بيّنه، إما إجمالًا أو تفصيلًا، وضرب له الأمثال.

﴿٣٣﴾ ولا أحد أظلم ممن نسب إلى الله ما لا يليق به؛ من الشريك والزوجة والولد، ولا أحد أظلم ممن كذب بالوحي الذي جاء به رسول الله ﷺ. أليس في النار مأوى ومسكن للكافرين بالله، وبما جاء به رسوله؟! بلى، إن لهم لمأوى ومسكنًا فيها.

ولما ذكر الله الكاذب المكذب ذكر الصادق المصدق، فقال:

﴿٣٤﴾ والذي جاء بالصدق في أقواله وأفعاله من الأنبياء وغيرهم، وصدق به مؤمنًا، وعمل بمقتضاه، وأولئك هم المتقون حقًا، الذين يمثلون أمر ربهم، ويعتبنون نهي.

﴿٣٥﴾ لهم ما يشاؤون عند ربهم من الملذات الدائمة، ذلك جزاء المحسنين أعمالهم مع خالقهم ومع عبده.

﴿٣٦﴾ ليمحو الله عنهم أسوأ الذي كانوا يعملونه من المعاصي في الدنيا؛ لنوبتهم منها، وإنابتهم إلى ربهم، ويجزيهم ثوابهم بأحسن ما كانوا يعملون من الصالحات.

﴿٣٧﴾ أليس الله بكافي عبده محمدًا ﷺ أمر دينه ودنياه، ودافع عدوه عنه؟! بلى، إنه لكافي، ويخوفونك - أيها الرسول - من جهلهم وسفاهتهم، من الأصنام التي يعبدونها من دون الله أن تنالك بسوء، ومن يخذله الله ولم يوفقه للهداية فما له من هاد يهديه ويوفقه.

﴿٣٨﴾ ومن يوفقه الله للهداية فلا مضلّ يستطيع إضلاله، أليس الله بعزيز لا يغالبه أحد، ذي انتقام ممن يكفر به ويعصيه؟! بلى إنه لعزيز ذو انتقام.

﴿٣٩﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات والأرض؟ ليقولن: خلقهن الله، قل لهم إظهارًا لعجز آلهتهم: أخبروني عن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله، إن أراد الله أن يصيبني بضر هل تملك إزالة ضره عني؟! أو إن أراد ربي أن يمنحني رحمة منه هل تستطيع منع رحمته عني؟! قل لهم: حسبي الله وحده، عليه اعتمدت في أموري كلها، وعليه وحده يعتمد المتوكلون.

﴿٤٠﴾ قل - أيها الرسول -: يا قومي، اعملوا على الحالة التي ارتضيتوها من الشرك بالله، إني عامل على ما أمرني ربي به؛ من الدعوة إلى توحده، وإخلاص العبادة له، فسوف تعلمون عاقبة كل مسلك.

﴿٤١﴾ سوف تعلمون من يأتيه عذاب في الدنيا بذله ويهيئه، وينزل عليه في الآخرة عذاب مقيم، لا ينقطع، ولا يزول.

• من قوائد الآيات:

- عظم خطورة الافتراء على الله ونسبة ما لا يليق به أو بشرعه له سبحانه.
- ثبوت حفظ الله للرسول ﷺ أن يصيبه أعداؤه بسوء.
- الإقرار بتوحيد الربوبية فقط بغير توحيد الألوهية، لا ينجي صاحبه من عذاب النار.

﴿٤٣﴾ إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق للناس بالحق لتتذكرهم، فمن اهتدى فإنما ينفذ هدايته لنفسه، فالله لا تنفعه هدايته؛ لأنه غني عنها، ومن ضل فإنما ضرر ضلاله على نفسه، فالله سبحانه لا يضره ضلاله، ولست عليهم موكلاً لتجبرهم على الهداية، فما عليك إلا تبليغهم ما أمرت بتبليغه.

﴿٤٤﴾ الله الذي يقبض الأرواح عند نهاية آجالها، ويقبض الأرواح التي لم تنقُض آجالها عند النوم، فيمسك التي حكم عليها بالموت، ويرسل التي لم يحكم عليها به إلى أمَدٍ محدد في علمه سبحانه، إن في ذلك القبض والإرسال والإماتة والإحياء لدلائل لقوم يتفكرون على أن الذي يفعل ذلك قادر على بعث الناس بعد موتهم للحساب والجزاء.

﴿٤٥﴾ لقد اتخذ المشركون من أصنامهم شفعاء يرجون عندهم النفع من دون الله، قل لهم - أيها الرسول -: أتخذونهم شفعاء حتى لو كانوا لا يملكون لكم ولا لأنفسهم شيئاً، ولا يعقلون؛ فهم جمادات صماء لا تتكلم، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضر؟!!

﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: الله وحده الشفاعة كلها، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤٣﴾ اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ أَوْلَوْكَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُ الشَّافِعَةُ جَمِيعًا ۖ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِّرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٧﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا فِتْنَةً لَهُمْ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٩﴾

٤٦٣

يشفع إلا لمن ارتضى، له وحده ملك السماوات والارض، ثم إليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٤٥﴾ وإذا ذكر الله وحده نفرت قلوب المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من بعث وحساب وجزاء، وإذا ذكرت الأصنام التي يعبدونها من دون الله إذا هم مسرورون فرحون.

﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول -: اللهم خالق السماوات والارض على غير مثال سابق، عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليك شيء من ذلك، أنت وحدك تفصل بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا، فتبين المحق والمبطل، والسعيد والشقي.

﴿٤٧﴾ ولو أن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي ما في الأرض من نفائس وأموال؛ لا فتنوا به من العذاب الشديد الذي شاهدوه بعد بعثهم، لكن ليس لهم ذلك، ولو فرض أنه لهم لم يقبل منهم، وظهر لهم من الله من صنوف العذاب ما لم يكونوا يتوقعونه.

﴿٤٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- النوم والاستيقاظ درسان يوسيان للتعريف بالموت والبعث.
- إذا ذكر الله وحده عند الكفار أصابهم ضيق وهم؛ لأنهم يتذكرون ما أمر به وما نهى عنه وهم معرضون عن هذا كله.
- افتداء الكافر يوم القيامة نفسه بكل ما يملك مع بخله به في الدنيا، ولن يُقبل منه.

وَيَذَاهُمُ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِن
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا
أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَا يَكْتَلِفُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٥٢﴾ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أُسْرِفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ وَمِنْ
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثَمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ
مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَتَنْتَهُرُوا لَهَا تَشْعُرُونَّ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي
عَلَىٰ مَا قَرَّرْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

الحق

﴿٤٨﴾ وظهر لهم سيئات ما كسبوه من
الشرك والمعاصي، وأحاط بهم
العذاب الذي كانوا إذا خوفوا منه في
الدنيا يستهزئون به.

﴿٤٩﴾ فإذا أصاب الإنسان الكافر مرض
أو فقر ونحوه دعانا لنكشف عنه ما
أصابه من ذلك، ثم إذا أعطيناه نعمة
من صحة أو مال قال الكافر: إنما
أعطاني الله ذلك لعلمه بأنني أستحقه،
والصحيح أنه ابتلاء واستدراج،
ولكن معظم الكافرين لا يعلمون
ذلك؛ فيغترون بما أنعم الله به
عليهم.

﴿٥٠﴾ قد قال هذا القول الكفار من
قبلهم، فما أغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من الأموال والمنزلة شيئاً.

﴿٥١﴾ فأصابهم جزاء سيئات ما كسبوا
من الشرك والمعاصي، والذين ظلموا
أنفسهم بالشرك والمعاصي من هؤلاء
الحاضرين سيصيبهم جزاء سيئات ما
كسبوا مثل الماضين، ولن يفوتوا الله
ولن يغلّبوه.

﴿٥٢﴾ أقال هؤلاء المشركون ما قالوا،
ولم يعلموا أن الله يوسع الرزق على
من يشاء ابتلاء له: أيشكر أم يكفر؟!
ويضيقه على من يشاء اختباراً له:
أيصبر أم يتسخط على قدر الله؟! إن
في ذلك المذكور من توسيع الرزق
وتضييقه لدلالات على تدبير الله لقوم
يؤمنون؛ لأنهم هم الذين ينتفعون

بالدلالات، وأما الكفار فهم يمرون عليها وهم معرضون.

﴿٥٣﴾ قل - أيها الرسول - لعبادي الذين تجاوزوا الحد على أنفسهم بالشرك بالله وارتكاب المعاصي: لا تَيْئَسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَمِنْ مَغْفِرَتِهِ لَذُنُوبِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

﴿٥٤﴾ وارجعوا إلى ربكم بالتوبة والأعمال الصالحة، وانقادوا له، من قبل أن يأتيكم العذاب يوم القيامة ثم لا تجدون من أصنامكم أو أهليكم من يتصرّكم بإنقاذكم من العذاب.

﴿٥٥﴾ واتبعوا القرآن الذي هو أحسن ما أنزله ربكم على رسوله، فاعملوا بأوامره، واجتنبوا نواهيه، من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة وأنتم لا تحسّون به فتستعدّوا له بالتوبة.

﴿٥٦﴾ افعلوا ذلك حذر أن تقول نفس من شدة الندم يوم القيامة: يا ندمها على تفريطها في جنب الله بما كانت عليه من الكفر والمعاصي، وعلى أنها كانت تسخر من أهل الإيمان والطاعة.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• النعمة على الكافر استدراج.

• سعة رحمة الله بخلقه.

• الندم النافع هو ما كان في الدنيا، وتبعته توبة نصوح.

﴿٥٧﴾ أو تحتجّ بالقدر، فنقول: لو أن الله وفقني لكنت من المتقين له؛ أمثل أوامره، وأجتنب نواهيه.

﴿٥٨﴾ أو تقول حين تشاهد العذاب مُثْمِنَةً: لو أن لي رجعة إلى الدنيا فأتوب إلى الله، وأكون من المحسنين في أعمالهم.

﴿٥٩﴾ ليس الأمر كما زعمت من تمنى الهداية، فقد جاءتك آياتي فكذبت بها وتكبرت، وكنت من الكافرين بالله وبآياته ورسله.

﴿٦٠﴾ ويوم القيامة تشاهد الذين كذبوا على الله بنسبة الشريك والولد إليه وجوههم مسودة؛ علامة على شقاوتهم، أليس في جهنم مقرًا للمتكبرين على الإيمان بالله ورسله؟! بلى، إن فيها لمقرًا لهم.

﴿٦١﴾ ويُسلم الله الذين اتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتنب نواهيه من العذاب بإدخالهم مكان فوزهم وهو الجنة، لا يمسهم العذاب، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الحظوظ الدنيوية.

﴿٦٢﴾ الله خالق كل شيء، فلا خالق غيره، وهو على كل شيء حفيظ، يدبر أمره، ويصرفه كيف يشاء.

﴿٦٣﴾ له وحده مفاتيح خزائن الخيرات في السماوات والأرض، يمنحها من يشاء، ويمنعها ممن يشاء، والذين كسفروا بآيات الله أولئك هم

أَوْتَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْتَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي رَجْعَةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلَىٰ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِقَضَرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

الخاسرون؛ لحرمانهم من الإيمان في حياتهم الدنيا، ولدخلهم النار خالدين فيها في الآخرة.

﴿٦٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يراودونك أن تعبد أوثانهم: أتأمروني - أيها الجاهلون بربكم - أن أعبد غير الله؟! لا يستحق العبادة إلا الله وحده، فلن أعبد غيره.

﴿٦٥﴾ ولقد أوحى الله إليك - أيها الرسول - وأوحى إلى الرسل من قبلك: لئن عبدت مع الله غيره ليبطلن ثواب عملك الصالح، ولتكوننَّ من الخاسرين في الدنيا بخسران دينك، وفي الآخرة بالعذاب.

﴿٦٦﴾ بل أعبد الله وحده، ولا تشرك به أحدًا، وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ له على نعمه التي أنعم بها عليك.

﴿٦٧﴾ وما عظم المشركون الله حق تعظيمه حين أشركوا به غيره من مخلوقاته الضعيفة العاجزة، وغفلوا عن قدرة الله التي من مظاهرها أن الأرض بما فيها من جبال وأشجار وأنهار وبحار يوم القيامة في قبضته، وأن السماوات السبع كلها مطويات بيمينه، تنزه وتقدس وتعالى عما يقوله ويعتقده المشركون.

﴿٦٨﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الكبير خلق مقيم مشؤوم يمنع من الوصول إلى الحق.
- سواد الوجه يوم القيامة علامة شقاء أصحابها.
- الشرك محبط لكل الأعمال الصالحة.
- ثبوت القبضة واليمين لله سبحانه دون تشبيه ولا تمثيل.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ أُفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ ۖ هَذَا قَالُوا بُلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ أُفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

٤٦٦

﴿٦٨﴾ يوم ينفخ المَلَكُ الموكِل بالنفخ في القرن، يموت كل من في السماوات ومن في الأرض، ثم ينفخ فيه المَلَكُ مرة ثانية للبعث، فإذا جميع الأحياء قائمون ينظرون ما الله فاعل بهم.

﴿٦٩﴾ وأضاءت الأرض لما تجلّى رب العزة للفصل بين العباد، ونُشِرت صحف أعمال الناس، وجرى بالأنبياء، وجرى بأمة محمد ﷺ لتشهد للأنبياء على أقوامهم، وحكم الله بين جميعهم بالعدل، وهم لا يُظلمون في ذلك اليوم، فلا يزداد إنسان سيئة، ولا ينقص حسنة.

﴿٧٠﴾ وأكمل الله جزء كل نفس، خيرًا كان عملها أو شرًا، والله أعلم بما يفعلون، لا يخفى عليه من أفعالهم خيرها وشرها شيء، وسيجازيهم في هذا اليوم على أعمالهم.

﴿٧١﴾ وساق الملائكة الكافرين بالله إلى جهنم جماعات ذليلة، حتى إذا جاؤوا جهنم فتحت لهم خزنتها من الملائكة الموكلين بها أبوابها، واستقبلوهم بالتوبيخ قائلين لهم: ألم يأتكم رسل المنزللة عليهم، ويخوفونكم لقاء يوم القيامة؛ لما فيه من عذاب شديد؟! قال الذين كفروا مُقِرِّين على أنفسهم: بلى، قد حصل كل ذلك، ولكن وجبت كلمة العذاب على الكافرين، ونحن كنا كافرين.

﴿٧٢﴾ قيل لهم إهانة لهم وبئسًا من رحمة الله، ومن الخروج من النار: ادخلوا أبواب جهنم ماكثين فيها أبدًا، فساء وقبح مقر المتكبرين المتعاليين على الحق.

﴿٧٣﴾ وساق الملائكة برقي المؤمنين الذين اتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه إلى الجنة جماعات مكرمة، حتى إذا جاؤوا الجنة فتحت لهم أبوابها، وقال لهم الملائكة الموكلون بها: سلام عليكم من كل ضر ومن كل ما تكرهونه، طابت قلوبكم وأعمالكم، فادخلوا الجنة ماكثين فيها أبدًا.

﴿٧٤﴾ وقال المؤمنون لما دخلوا الجنة: الحمد لله الذي صدقنا وعده الذي وعدناه على ألسنة رسله، فقد وعدنا بأن يدخلنا الجنة، وأورثنا أرض الجنة، ننزل منها المكان الذي نشاء أن ننزله، فنعم أجر العاملين الذين يعملون الأعمال الصالحة ابتغاء وجه ربهم.

﴿٧٥﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- ثبوت النفختين.
- بيان الإهانة التي يتلقاها الكفار، والإكرام الذي يُستقبل به المؤمنون.
- ثبوت خلود الكفار في الجحيم، وخلود المؤمنين في النعيم.
- طيب العمل يورث طيب الجزاء.

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۝ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ مَا يُجَدَّلُ فِيءَ آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝

٤٦٧

﴿٥٥﴾ ويكون الملائكة في هذا اليوم المشهود محيطين بالعرش، ينزهون الله عما لا يليق به مما يقوله الكفار، وقضى الله بين جميع الخلائق بالعدل، فأكرم من أكرم، وعذب من عذب، وقيل: الحمد لله رب المخلوقات على حكمه بما حكم به من رحمة لعباده المؤمنين، ومن عذاب لعباده الكافرين.

سُورَةُ غَافِرٍ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

معالجة المجادلين في آيات الله بمحاورتهم ودعوتهم للرجوع إلى الحق.

• التَّفْسِيرُ:

﴿١﴾ حَمْدٌ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ تنزيل القرآن المنزل على رسوله محمد ﷺ من الله العزيز الذي لا يغلبه أحد، العليم بمصالح عباده.

﴿٣﴾ غافر ذنوب المذنبين، قابل توبة من تاب إليه من عباده، شديد العقاب لمن لم يتب من ذنوبه، ذي الإحسان والتفضل، لا معبود بحق غيره، إليه وحده مرجع العباد يوم القيامة، فيجازيهم بما يستحقون.

﴿٤﴾ ما يخاصم في آيات الله الدالة على توحيده وصدق رسله إلا الذين

كفروا بالله لفساد عقولهم، فلا تحزن عليهم، ولا يغرك ما هم فيه من بسط الرزق والنعم، فإمهالهم استدراج لهم ومكر بهم.

﴿٥﴾ كذب قبل هؤلاء قوم نوح، وكذبت قبلهم الأحزاب بعد قوم نوح، فكذبت عاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وكذب فرعون، وهمت كل أمة من الأمم برسولها لتأخذه فقتله، وجادلوا بما عندهم من الباطل ليزيلوا به الحق، فأخذت تلك الأمم كلها، فئاتل كيف كان عقابي لهم، فقد كان عقاباً شديداً.

﴿٦﴾ وكما حكم الله بإهلاك تلك الأمم المكذبة، وجبت كلمة ربك - أيها الرسول - على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.

﴿٧﴾ الملائكة الذين يحملون عرش ربك - أيها الرسول - والذين هم من حوله، ينزهون ربهم عما لا يليق به، ويؤمنون به، ويطلبون المغفرة للذين آمنوا بالله، قائلين في دعائهم: ربنا، وسع علمك ورحمتك كل شيء، فاعفر للذين تابوا من ذنوبهم، واتبعوا دينك، واحفظهم من النار أن تمسهم.

• مِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الجمع بين الترغيب في رحمة الله، والترهيب من شدة عقابه: مسلك حسن.
- الثناء على الله بتوحيده والتسبيح بحمده أدب من آداب الدعاء.
- كرامة المؤمن عند الله؛ حيث سخر له الملائكة يستغفرون له.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٨ وَفِيهِمُ السَّيِّعَاتِ وَمَنْ قَبِيَ السَّيِّعَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِنْ تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ١٠ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ١١ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَلَّيْتُمْ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ١٢ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ١٣ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ١٤ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ١٥ يَوْمَ هُمْ بَدْرُؤٌ لَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ١٦

٤٦٨

٨) وتقول الملائكة: ربنا، وأدخل المؤمنين جنات الخلد التي وعدتهم أن تدخلهم فيها، وأدخل معهم من صلح عمله من آبائهم وأزواجهم وأولادهم، إنك أنت العزيز الذي لا يغلبك أحد، الحكيم في تقديرك وتديرك.

٩) واحفظهم من سيئات أعمالهم فلا تعذبهم بها، ومن تحفظه يوم القيامة من العقاب على سيئات أعماله فقد رحمته، تلك الوقاية من العذاب، والرحمة بدخول الجنة؛ هي الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.

١٠) إن الذين كفروا بالله وبرسوله ينادون يوم القيامة عندما يدخلون النار ويمقتون أنفسهم ويلعنونها: لشدة بغض الله لكم أعظم من شدة بغضكم لأنفسكم حين كنتم تدعون في الدنيا إلى الإيمان بالله فتكفرون به، وتتخذون معه آلهة.

١١) وقال الكفار مقرين بذنوبهم حين لا ينفع إقرارهم ولا توبتهم: ربنا، أمتنا مرتين حيث كنا عدماً فأوجدتنا، ثم أمتنا بعد ذلك الإيجاد، وأحييتنا مرتين بإيجادنا من العدم، وبإحيائنا للبعث، فاعترفنا بذنوبنا التي اكتسبناها، فهل من طريق نسلكه إلى خروج من النار فنعود إلى الحياة لنصلح أعمالنا، فترض عنا؟!

١٢) ذلكم العذاب الذي عذبتم به هو بسبب أنكم كنتم إذا دعي الله وحده

ولم يشرك به أحد كفرتم به وجعلتم له شركاء، وإذا عبد مع الله شريك آمتم، فالحكم لله وحده، العلي بذاته وقدره وقهره، الكبير الذي كل شيء دونه.

١٣) الله هو الذي يريكم آياته في الآفاق والأنفس؛ لتدلّكم على قدرته ووحدانيته، وينزل لكم من السماء ماء المطر ليكون سبباً لما ترزقون به من النبات والزروع وغيرهما، وما يتعظّ بآيات الله إلا من يرجع إليه تائباً مخلصاً.

١٤) فادعوا الله - أيها المؤمنون - مخلصين له في الطاعة والدعاء، غير مشركين به، ولو كره الكافرون ذلك وأغضبهم. فهو أهل لأن يُخلص له الدعاء والطاعة، فهو رفيع الدرجات مبين لجميع خلقه، وهو رب العرش العظيم، ينزل الوحي على من يشاء من عباده ليُحيوا هم ويُحيوا غيرهم، وليخوفوا الناس من يوم القيامة الذي يتلاقى فيه الأولون والآخرون.

١٥) يوم هم ظاهرون قد اجتمعوا في صعيد واحد، لا يخفى على الله منهم شيء، لا من ذواتهم ولا أعمالهم ولا جزائهم، يسأل: لمن الملك اليوم؟! ليس الآن إلا جواب واحد؛ الملك لله الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، القهار الذي قهر كل شيء، وخضع له كل شيء.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- مَحَلُّ قَبُولِ التَّوْبَةِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا.
- نَفْعُ الْمَوْعِظَةِ خَاصٌّ بِالْمُنِيبِينَ إِلَى رَبِّهِمْ.
- اسْتِقَامَةُ الْمُؤْمِنِ لَا تَوَثِّرُ فِيهَا مَوَاقِفُ الْكُفَّارِ الرَّافِضَةِ لِدِينِهِ.
- خُضُوعُ الْجَبَابِرَةِ وَالظُّلْمَةِ مِنَ الْمُلُوكِ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٧) اليوم تُجْزَى كل نفس بما كسبت من عمل، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، لا ظلم في هذا اليوم؛ لأن الحاكم هو الله العدل، إن الله سريع الحساب لعباده؛ لإحاطة علمه بهم.

(٨) وخوفهم - أيها الرسول - يوم القيامة، هذه القيامة التي اقتربت، فهي آتية، وكل ما هو آت قريب، في ذلك اليوم تكون القلوب من شدة هولها مرتفعة حتى تصل إلى حناجر أصحابها، الذين يكونون صامتين لا يتكلم أحد منهم إلا من أذن له الرحمن، وليس للظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي من صديق ولا قريب، ولا شفيع يطاع إذا قُدر له أن يشفع.

(٩) الله يعلم ما تختلسه أعين الناظرين خفية، ويعلم ما تكتمه الصدور، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

(١٠) والله يحكم بالعدل، فلا يظلم أحدًا بنقص من حسناته، ولا بزيادة في سيئاته، والذين يعبدهم المشركون من دون الله لا يحكمون بشيء؛ لأنهم لا يملكون شيئًا، إن الله هو السميع لأقوال عباده، البصير بنياتهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

(١١) أولم يسر هؤلاء المشركون في الأرض؛ فيتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، فقد كانت نهاية سيئة، كانت تلك الأمم أشد من هؤلاء قوة، وأثروا في الأرض بالبناء ما لم يؤثر فيها هؤلاء، فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وما كان لهم مانع يمنعهم من عقاب الله.

(١٢) ذلك العذاب الذي أصابهم إنما أصابهم لأنهم كانت تأتيهم رسلهم من الله بالأدلة الواضحة، والحجج الباهرة، فكفروا بالله وكذبوا رسله، ومع ما هم عليه من القوة فقد أخذهم الله فأهلكهم، إنه سبحانه قوي شديد العقاب لمن كفر به، وكذب رسله.

ولما واجه ﷺ تكذيب قومه له ذكر الله قصة موسى مع فرعون؛ تبشيرًا له بأن عاقبة أمره النصر، فقال:

(١٣) ولقد بعثنا موسى بآياتنا الواضحات، وبرهان قاطع.

(١٤) إلى فرعون ووزيره هامان وإلى قارون، فقالوا: موسى ساحر كذاب فيما يدعيه من أنه رسول.

(١٥) فلما جاءهم موسى بالبرهان الدال على صدقه قال فرعون: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم إهانة لهم، وما مكر الكافرين بالأمر بتقليل عدد المؤمنين إلا هالك ذاهب، لا أثر له.

(١٦) من قوايد الآيات،

• التذكير بيوم القيامة من أعظم الروادع عن المعاصي.

• إحاطة علم الله بأعمال عباده؛ خفية كانت أم ظاهرة.

• الأمر بالسير في الأرض للاتعاط بحال المشركين الذين أهلكوا.

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٧) وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ
لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ (٨) يَعْلَمُ خَائِطَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (٩) وَاللَّهُ
يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١٠) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
كَانُواهُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (١١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا
وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ
فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (١٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآلِ حَقٍّ مِنْ
عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٥)

ولما واجه ﷺ تكذيب قومه له ذكر الله قصة موسى مع فرعون؛ تبشيرًا له بأن عاقبة أمره النصر، فقال:

(١٣) ولقد بعثنا موسى بآياتنا الواضحات، وبرهان قاطع.

(١٤) إلى فرعون ووزيره هامان وإلى قارون، فقالوا: موسى ساحر كذاب فيما يدعيه من أنه رسول.

(١٥) فلما جاءهم موسى بالبرهان الدال على صدقه قال فرعون: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم إهانة لهم، وما مكر الكافرين بالأمر بتقليل عدد المؤمنين إلا هالك ذاهب، لا أثر له.

(١٦) من قوايد الآيات،

• التذكير بيوم القيامة من أعظم الروادع عن المعاصي.

• إحاطة علم الله بأعمال عباده؛ خفية كانت أم ظاهرة.

• الأمر بالسير في الأرض للاتعاط بحال المشركين الذين أهلكوا.

﴿٦٦﴾ وقال فرعون: اتركوني أقتل موسى عقاباً له، وليدع ربه أن يمنعه مني، فانا لا أبالي أن يدعو ربه، إني أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل والتخريب.

﴿٦٧﴾ وقال موسى ﷺ: لئلا علم بتهديد فرعون له: إني التجأت واعتصمت بربي وربيكم من كل متكبر عن الحق والإيمان به، لا يؤمن بيوم القيامة، وما فيه من حساب وعقاب.

﴿٦٨﴾ وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون يكتنم إيمانه عن قومه منكراً عليهم عزمهم على قتل موسى: أتقتلون رجلاً دون جرم غير أنه قال: ربي الله، وقد جاءكم بالحجج والبراهين الدالة على صدقه في دعواه أنه مرسل من ربه؟! وإن قدر أنه كاذب فضرر كذبه عائد عليه، وإن يكن صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم به من العذاب عاجلاً، إن الله لا يوفق للحق من هو متجاوز لحدوده، مفترٍ عليه وعلى رسله.

﴿٦٩﴾ يا قوم، لكم الملك اليوم غالبين في أرض مصر، فمن ينصرونا من عذاب الله إن جاءنا بسبب قتل موسى؟! قال فرعون: الرأي رأيي والحكم حكمي، وقد رأيت أن أقتل موسى؛ دفعاً للشر والفساد، وما أرشدكم إلا إلى الصواب والسداد.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٦٦﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ
بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٦٨﴾ يَنْقُومُ لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٦٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٧٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ ﴿٧١﴾ وَيَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٧٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مَدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٧٣﴾

﴿٧٠﴾ وقال الذي آمن ناصحاً قومه: إني أخاف عليكم - إن قتلتم موسى ظلماً وعدواناً - عذاباً مثل عذاب الأحزاب الذين تحزبوا على رسلهم من السابقين فأهلكهم الله.

﴿٧١﴾ كمادة من كفر وكذب الرسل مثل قوم نوح وعاد وثمود والذين جاؤوا من بعدهم، فقد أهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم لرسله، وما الله يريد ظلماً للعباد، وإنما يعذبهم بذنوبهم؛ جزاءً وفاً.

﴿٧٢﴾ ويا قوم، إني أخاف عليكم يوم القيامة، ذلك اليوم الذي ينادي فيه الناس بعضهم بعضاً بسبب قرابة أو جاه ظناً منهم أن هذا المسلك ينفعهم في هذا الموقف الرهيب.

﴿٧٣﴾ يوم تولون هاربين خوفاً من النار، ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله، ومن يخذله الله ولا يوفقه للإيمان فما له من هادٍ يهديه؛ لأن هداية التوفيق بيد الله وحده.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- لجوء المؤمن إلى ربه ليحميه من كيد أعدائه.
- جواز كتم الإيمان للمصلحة الراجحة أو لدرء المفسدة.
- تقديم النصيح للناس من صفات أهل الإيمان.

﴿٢١﴾ ولقد جاءكم يوسف من قبل موسى بالبراهين الواضحة على توحيد الله، فما زلتم في شك وتكذيب لما جاءكم به، حتى إذا توفي ازددتم شكًا وارتبابًا، وقتلتم: لن يبعث الله من بعده رسولًا. مثل ضلالكم هذا عن الحق يضل الله كل من هو متجاوز لحدود الله، شك في وحدانيته.

﴿٢٢﴾ الذين يخاصمون في آيات الله ليطلوها بغير حجة ولا برهان أناتهم، كبر جدالهم مقتًا عند الله وعند الذين آمنوا به وبرسله. كما ختم الله على قلوب هؤلاء المخاصمين في آياتنا لإبطالها يختم الله على كل قلب مستكبر عن الحق متجبر، فلا يهتدي إلى صواب، ولا يرشد إلى خير.

﴿٢٣﴾ وقال فرعون لوزيره هامان: يا هامان، ابن لي بناءً عاليًا؛ رجاء أن أبلغ الطرق.

﴿٢٤﴾ رجاء أن أبلغ طرق السماوات الموصلة إليها، فانظر إلى معبود موسى الذي يزعم أنه المعبود بحق، وإنني لأظن أن موسى كاذب فيما يدعيه. وهكذا حسن فرعون قبح عمله حين طلب ما طلب من هامان، وصرف عن طريق الحق إلى طرق الضلال، وما مكر فرعون - لإظهار باطله الذي هو عليه، وإبطال الحق الذي جاء به موسى - إلا في خسار؛ لأن ماله الخيبة والإخفاق في سعيه، والشقاء الذي لا ينقطع أبدًا.

﴿٢٥﴾ وقال الرجل الذي آمن من آل فرعون ناصحًا قومه ومرشدًا إياهم إلى طريق الحق: يا قوم، اتبعوني أدلكم وأرشدكم إلى طريق الصواب، والهداية إلى الحق.

﴿٢٦﴾ يا قوم، إنما هذه الحياة الدنيا تمتع بملذات منقطعة، فلا تغرنكم بما فيها من متاع زائل، وإن الدار الآخرة بما فيها من نعيم دائم لا ينقطع هي دار الاستقرار والإقامة، فاعملوا لها بطاعة الله، واحذروا من الانشغال بحياتكم الدنيا عن العمل للآخرة.

﴿٢٧﴾ من عمل عملًا سيئًا فلن يُعاقب إلا بمثل ما عمل، لا يزداد عليه عقاب. ومن عمل عملًا صالحًا يتغني به وجه الله، ذكرًا كان العامل أو أنثى، وهو مؤمن بالله ورسله - فأولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة يدخلون الجنة يوم القيامة، يرزقهم الله مما أودعه فيها من الثمرات والنعيم المقيم الذي لا ينقطع أبدًا بغير حساب.

﴿٢٨﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الجدل لإبطال الحق وإحقاق الباطل خصلة ذميمة، وهي من صفات أهل الضلال.
- التكبر مانع من الهداية إلى الحق.
- إخفاق حيل الكفار ومكرهم لإبطال الحق.
- وجوب الاستعداد للآخرة، وعدم الانشغال عنها بالدنيا.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي لِي صَرَخًا عَلَيَّ أَبْلُغِ الْأَسْبَابَ ﴿٢٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيَّنْ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقَوْمِ أَتَتَّبِعُونَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٢٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٠﴾

وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ
 ٤١ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ
 عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا
 تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ
 وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ
 ٤٣ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ
 إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ٤٤ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا
 وَحَاقَ بِقَالٍ فِرْعَوْنُ سُوءَ الْعَذَابِ ٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ
 عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ
 فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ٤٦ وَإِذْ يَتَحَاجَّوْنَ فِي النَّارِ
 فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ
 تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ٤٧ قَالَ
 الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ
 بَيْنَ الْعِبَادِ ٤٨ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ
 ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ٤٩

٤٧٢

٤١) ويا قوم، ما لي أدعوكم إلى النجاة من الخسران في الحياة الدنيا والآخرة بالإيمان بالله والعمل الصالح، وتدعونني إلى دخول النار بما تدعونني إليه من الكفر بالله وعصيانه؟!

٤٢) تدعونني إلى باطلكم رجاء أن أكفر بالله، وأعبد معه غيره مما لا علم لي بصحة عبادته مع الله، وأنا أدعوكم إلى الإيمان بالله العزيز الذي لا يغلبه أحد، الغفار عظيم المغفرة لعباده.

٤٣) حقاً إن ما تدعونني إلى الإيمان به وإلى طاعته؛ ليس له دعوة يُدعى بها بحق في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يستجيب لمن دعاه، وأن مرجعنا جميعاً إلى الله وحده، وأن المسرفين في الكفر والمعاصي هم أصحاب النار الذين يلازمون دخولها يوم القيامة.

٤٤) فرفضوا نصحه، فقال: ستذكرون ما قدمت لكم من نصح، وتتحسرون على عدم قبوله، وأفوض أموري كلها إلى الله وحده، إن الله لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء.

٤٥) فحفظه الله من سوء مكرهم حين أرادوا قتله، وأحاط بأل فرعون عذاب النفاق، فقد أغرقه الله هو وجنوده كلهم في الدنيا.

٤٦) وبعد موتهم يعرضون على النار في قبورهم أول النهار وآخره، ويوم القيامة يقال: أدخلوا أتباع فرعون أشد

العذاب وأعظمه؛ لما كانوا عليه من الكفر والتكذيب والصد عن سبيل الله.

٤٧) واذكر - أيها الرسول - حين يتخاصم الأتباع والمتبعون من أصحاب النار، فيقول الأتباع المستضعفون للمتبعين المتكبرين: إنا كنا لكم أتباعاً في الضلال في الدنيا، فهل أنتم مغنون عنا جزءاً من عذاب الله بتحمله عنا؟!

٤٨) قال المتبعون المستكبرون: إنا - سواء كنّا أتباعاً أو متبعين - في النار، ولا يتحمل أحد منا جزءاً من عذاب الآخر، إن الله قد حكم بين العباد، فأعطى كل ما يستحقه من العذاب.

٤٩) وقال المعذبون في النار من الأتباع والمتبعين للملائكة الموكلين بالنار لما يشؤوا من الخروج من النار والعودة إلى الحياة الدنيا ليتوبوا: ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً واحداً من هذا العذاب الدائم.

● من فوائد الآيات،

- أهمية التوكل على الله.
- نجاة الداعي إلى الحق من مكر أعدائه.
- ثبوت عذاب البرزخ.
- تعلق الكافرين بأي سبب يريحهم من النار ولو لمدة محدودة، وهذا لن يحصل أبداً.

﴿٥١﴾ قَالَ خُزْنَةُ جَهَنَّمَ رَدًّا عَلَى الْكَفَّارِ: أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبُرَاهِينِ وَالْأَدْلَةِ الْوَاضِحَةِ؟ قَالَ الْكَفَّارُ: بَلَى، كَانُوا يَأْتُونَنَا بِالْبُرَاهِينِ وَالْأَدْلَةِ الْوَاضِحَةِ، قَالَ الْخُزْنَةُ تَهَكُّمًا بِهِمْ: فَادْعُوا أَنْتُمْ، فَنَحْنُ لَا نَسْفَعُ لِلْكَفَّارِ، وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي بَطْلَانٍ وَضِياعٍ؛ لَعَدَمَ قَبُولِهِ مِنْهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

ولما ذكر الله قصة فرعون وما آل إليه أمره وأمر أتباعه في الدنيا والآخرة، ذكر أمر الرسل والمؤمنين، وما يصيرون إليه من نصر في الدنيا والآخرة فقال:

﴿٥٢﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ فِي الدُّنْيَا بِإِظْهَارِ حُجَّتِهِمْ وَتَأْيِيدِهِمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَنَنْصُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِإِدْخَالِهِمْ الْجَنَّةَ، وَبِعِقَابِ خُصُومِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِإِدْخَالِهِمْ النَّارَ بَعْدَ أَنْ يَشْهَدَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَى حُصُولِ التَّبْلِيغِ وَتَكْذِيبِ الْأُمَمِ.

﴿٥٣﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ أَنْفُسُهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي اعْتِدَائِهِمْ عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الطُّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ فِي الْآخِرَةِ بِمَا يَلَاقُونَهُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ أَعْطَيْنَا مُوسَى الْعِلْمَ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الْحَقِّ، وَجَعَلْنَا التَّوْرَةَ كِتَابًا مُتَوَارِثًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَرِثُونَهُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ.

﴿٥٥﴾ هِدَايَةً إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَتَذْكِيرًا لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ.

﴿٥٦﴾ فَاصْبِرْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - عَلَى مَا تَلَاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِكَ وَإِثْبَاتِهِمْ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ لَكَ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ حَقٌّ لَا مَرِيَةَ فِيهِ. وَاطْلُبِ الْمَغْفِرَةَ لَدُنْكَ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ.

﴿٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخَاصِمُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ سَعْيًا لِإِبْطَالِهَا بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ، لَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا إِرَادَةُ الْاِسْتِعْلَاءِ وَالتَّكْبِيرِ عَلَى الْحَقِّ، وَلَنْ يَصْلُوا إِلَى مَا يَرِيدُونَهُ مِنَ الْاِسْتِعْلَاءِ عَلَيْهِ، فَاعْتَصِمْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - بِاللَّهِ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ، الْبَصِيرُ بِأَعْمَالِهِمْ، لَا يَفُوتُهُ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

﴿٥٨﴾ لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِمُخَاصَمَتِهِمَا وَاتِّسَاعِهِمَا أَعْظَمَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، فَالَّذِي خَلَقَهُمَا مَعَ عَظَمَتِهِمَا قَادِرٌ عَلَى بَعْثِ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءً لِيَحْأَسِبَهُمْ وَيَجَازِيَهُمْ، وَلَكِنْ مَعْظَمُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، فَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهِ، وَلَا يَجْعَلُونَهُ دَلِيلًا عَلَى الْبَعْثِ مَعَ وَضُوحِهِ.

﴿٥٩﴾ وَلَا يَسْتَوِي الَّذِي لَا يَبْصُرُ وَالَّذِي يَبْصُرُ، وَلَا يَسْتَوِي الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ وَأَحْسَنُوا أَعْمَالَهُمْ، لَا يَسْتَوُونَ مَعَ مَنْ يَسِيءُ عَمَلُهُ بِالْاِعْتِقَادِ الْفَاسِدِ وَالْمَعَاصِي، لَا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا قَلِيلًا؛ إِذْ لَوْ تَذَكَّرْتُمْ لَعَلَّمْتُمْ الْفَرْقَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ لَسَعَوْا إِلَى أَنْ تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ رَغْبَةً فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ.

﴿٦٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• نصر الله لرسوله وللمؤمنين سُنةً إلهيةً ثابتة. • اعتذار الظالم يوم القيامة لا ينفعه.

• أهمية الصبر في مواجهة الباطل.

• دلالة خلق السماوات والأرض على البعث؛ لأن من خلق ما هو عظيم قادر على إعادة الحياة إلى ما دونه.

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥١﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥٢﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْنَا لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥٥﴾ فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَعْفِرْ لَدُنْكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَعْرِضُونَ سُلْطَانًا أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٧﴾ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّأَرِيبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَن تَوَفَّكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِعِبَادَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْخَلْقُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهُيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

٤٧٤

﴿٥٩﴾ إن الساعة التي يبعث الله فيها الموتى للحساب والجزاء آتية لا محالة، لا شك فيها، ولكن معظم الناس لا يؤمنون بمجيئها، ولذلك لا يستعدون لها.

﴿٦٠﴾ وقال ربكم - أيها الناس -: وخذوني في العباداة والمسألة، أجب دعاءكم وأعف عنكم وأرحمكم، إن الذين يتعظمون عن إفرادي بالعبادة سيدخلون يوم القيامة جهنم صاغرين ذليلين.

﴿٦١﴾ الله هو الذي صير لكم الليل مظلمًا لتسكنوا فيه وتستريحوا، وصير النهار مضيئًا منيرًا لتعملوا فيه، إن الله لذو فضل عظيم على الناس حين أسبغ عليهم من ظاهر نعمه وباطنها، ولكن معظم الناس لا يشكرونه سبحانه على ما أنعم به عليهم منها.

﴿٦٢﴾ ذلكم الله الذي تفضل عليكم بنعمه هو خالق كل شيء، فلا خالق غيره، لا معبود بحق إلا هو، فكيف تنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ممن لا يملك نفعًا ولا ضرًا.

﴿٦٣﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان بالله وعبادته وحده يصرف عنه من يجحد بآيات الله الدالة على توحيده في كل زمان ومكان، فلا يهتدي إلى حق، ولا يُوفَّق لرشد.

﴿٦٤﴾ الله الذي صير لكم - أيها الناس - الأرض قارة مهيأة لاستقراركم عليها،

وصير السماء محكمة البناء فوقكم ممنوعة من السقوط، وصوّركم في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم، ورزقكم من حلال الأطعمة ومستطابها، ذلكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو الله ربكم، فتبارك الله رب المخلوقات كلها، فلا رب لها غيره سبحانه.

﴿٦٥﴾ هو الحي الذي لا يموت، لا معبود بحق غيره، فادعوه دعاء عبادة ومسألة؛ قاصدين وجهه وحده، ولا تشركوا معه غيره من مخلوقاته، الحمد لله رب المخلوقات.

﴿٦٦﴾ قل - أيها الرسول -: إني نهاني الله أن أعبد الذين تعبدونهم من دون الله من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر حين جاءني البراهين والأدلة الواضحة على بطلان عبادتها، وأمرني الله أن أنقاد له وحده بالعبادة، فهو رب الخلائق كلها، لا رب لها غيره.

• من قوايد الآيات.

• دخول الدعاء في مفهوم العبادة التي لا تصرف إلا إلى الله؛ لأن الدعاء هو عين العبادة.

• نعم الله تقتضي من العباد الشكر.

• ثبوت صفة الحياة لله.

• أهمية الإخلاص في العمل.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَاكُن فَيَكُونُ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَزْفًا يُصْرَفُونَ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٨١﴾ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٨٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٨٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ تَكُن تَدْعُوهُمْ مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٨٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٨٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٨٧﴾

٤٧٥

﴿٧٧﴾ هو الذي خلق أباكم آدم من تراب، ثم جعل خلقكم من بعده من نطفة، ثم بعد النطفة من دم متجمد، ثم بعد ذلك يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً صغاراً، ثم لتصلوا سن اشتداد البدن، ثم لتكبروا حتى تصيروا شيوخاً، ومنكم من يموت قبل ذلك، ولتبلغوا أملاً محدداً في علم الله، لا تنقصون عنه، ولا تزيدون عليه، ولعلكم تنتفعون بهذه الحجج والبراهين على قدرته و وحدانيته.

﴿٧٨﴾ هو وحده سبحانه الذي بيده الإحياء، وهو وحده الذي بيده الإماتة، فإذا قضى أمراً فإنما يقول لذلك الأمر: (كن)، فيكون.

﴿٧٩﴾ ألم تر - أيها الرسول - الذين يخاصمون في آيات الله مكذبين بها مع وضوحها؛ لتعجب من حالهم وهم يعرضون عن الحق مع وضوحه.

﴿٨٠﴾ الذين كذبوا بالقرآن، وبما بعثنا به رسلنا من الحق، سوف يعلم هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم، ويرون سوء الخاتمة.

﴿٨١﴾ يعلمون عاقبته حين تكون الأصفاد في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، تجرهم زبانية العذاب.

﴿٨٢﴾ يسحبونهم في الماء الحار الذي اشتد غليانه، ثم في النار يوقدون.

﴿٨٣﴾ ثم قيل لهم تَبَكَّيْنَا لَهُمْ وَتَوَبَّيْنَا: أين الآلهة المزعومة التي أشركتم بعبادتها؟!

﴿٨٤﴾ من دون الله من أصنامكم التي لا تنفع ولا تضر؟! قال الكفار: غابوا عنا فلنسنا نراهم، بل ما كنا نعبد في الدنيا شيئاً يستحق العبادة. مثل إضلال هؤلاء يضل الله الكافرين عن الحق في كل زمان ومكان.

﴿٨٥﴾ ويقال لهم: ذلك العذاب الذي تقاسونه بسبب فرحكم بما كنتم عليه من الشرك، وتوسّعكم في الفرح.

﴿٨٦﴾ ادخلوا أبواب جهنم ماكنين فيها أبداً، ففجح مستقر المتكبرين عن الحق.

ولما عانى رسول الله ﷺ من قومه ما عانى، أمره الله بالصبر، وسأله بما وعده به من النصر، فقال:

﴿٨٧﴾ فاصبر - أيها الرسول - على أذى قومك وتكذيبهم، إن وعد الله بنصرك حق لا يرؤية فيه، فإما نرينك في حياتك بعض الذي نعدهم به من العذاب كما حصل يوم بدر، أو نتوفيتك قبل ذلك، فإلينا وحدنا يرجعون يوم القيامة فتجازيهم على أعمالهم، فندخلهم النار خالدين فيها أبداً.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• التدرج في الخلق سنة إلهية يتعلم منها الناس التدرج في حياتهم.

• قبح الفرح بالباطل.

• أهمية الصبر في حياة الناس، وبخاصة الدعاة منهم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

٤٧٦

﴿٧٨﴾ ولقد بعثنا رسلاً كثيرين من قبلك - أيها الرسول - إلى أممهم، فكذبوهم وأذوهم فصبروا على تكذيبهم وإيذائهم، من هؤلاء الرسل من قصصنا عليك خبرهم، ومنهم من لم نقصص عليك خبرهم، وما يصح لرسول أن يأتي قومه بآية من ربه إلا بمشيئته سبحانه، فاقترح الكفار على أممهم الإتيان بالآيات ظلم، فإذا جاء أمر الله بالفتح أو الفصل بين الرسل وأقوامهم فصل بينهم بالعدل، فأهلك الكفار ونجى الرسل، وخسر - في ذلك الموقف الذي يفصل فيه بين العباد - أصحاب الباطل أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم.

﴿٧٩﴾ الله هو الذي جعل لكم الإبل والبقر والغنم؛ لتركبوا بعضها، وتأكلوا لحوم بعضها.

﴿٨٠﴾ لكم في هذه المخلوقات منافع متعددة تتجدد في كل عصر، ويحصل لكم من خلالها ما ترغبون به مما في أنفسكم من حاجات، وأبرزها التنقل في البر والبحر.

﴿٨١﴾ ويريكُم سبحانه من آياته الدالة على قدرته ووحدانيته، فأَيَّ آياتِ الله لا تعترفون بها بعد أن تقرر لديكم أنها آياته؟!

﴿٨٢﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم فيعتبروا بها؟!

فقد كانت تلك الأمم أكثر منهم أموالاً، وأعظم قوة، وأشدَّ آثاراً في الأرض، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من القوة لما جاءهم عذاب الله المهلك.

﴿٨٣﴾ فلما جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة كذبوا بها، ورضوا بالتمسك بما عندهم من العلم المنافي لما جاءتهم به رسلهم، ونزل بهم ما كانوا يسخرون منه من العذاب الذي كانت تخوفهم رسلهم منه.

﴿٨٤﴾ فلما رأوا عذابنا قالوا مقررين حين لا ينفعهم إقرار: آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا نعبد من دونه من شركاء وأصنام.

﴿٨٥﴾ فلم يكن إيمانهم حين عاينوا عذابنا ينزل بهم نافعاً لهم، سُنَّةُ الله التي مضت في عباده أنه لا ينفعهم إيمانهم عندما يعاينون العذاب، وخسر الكافرون حين نزول العذاب أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم بالله، وعدم التوبة منها قبل معاينة العذاب.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- لله رسل غير الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم يؤمن بهم إجمالاً.
- من نعم الله تبيينه الآيات الدالة على توحيده.
- خطر الفرح بالباطل وسوء عاقبته على صاحبه.
- بطلان الإيمان عند معاينة العذاب المهلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَ قُرْءَانٌ أَعْرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا أَلْقُونَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حَبَابٌ فَاغْمِلْ إِنَّا عَلِمُونَ ٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوْكَبِ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٧ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨ * قُلْ آيَتُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ وَأَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَانَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لَيْلٌ أَوْ نَهَارٌ ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١٠

٤٧٧

هو الله، فاسلكوا الطريق الموصل إليه، واطلبوا منه المغفرة لذنوبكم، وهلاك وعذاب للمشركين الذين يعبدون غير الله أو يشركون معه أحدًا.

- ١٧) الذين لا يعطون زكاة أموالهم، وهم بالآخرة - وما فيها من نعيم مقيم وعذاب أليم - كافرون.
- ١٨) إن الذين آمنوا بالله وبرسله، وعملوا الأعمال الصالحات لهم ثواب خالد غير مقطوع وهو الجنة.
- ١٩) قل - أيها الرسول - موبخًا المشركين: لماذا أنتم تكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين: يوم الأحد والاثنين، وتجعلون له نظراء تعبدونهم من دونه؟! ذلك رب المخلوقات كلهم.
- ٢٠) وجعل فيها جبالاً ثوابت من فوقها تثبتها لئلا تضطرب، وقدر فيها أقوات الناس والبهائم في أربعة أيام متممة للربيعين السابقين هما: يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء سواء لمن أراد أن يسأل عنها.
- ٢١) ثم قصد سبحانه إلى خلق السماء، وهي يومئذ دخان فقال لها وللأرض: انقادا لأمرى مختارتين، أو مكرهتين، لا مَحيِدَ لكما عن ذلك، قالتا: أتينا طائعتين، فلا إرادة لنا دون إرادتك يا ربنا.

٢٢) مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تعطيل الكافرين لوسائل الهداية عندهم يعني بقاءهم على الكفر.
- بيان منزلة الزكاة، وأنها ركن من أركان الإسلام.
- استسلام الكون لله وانقياده لأمره سبحانه بكل ما فيه.

٢٣) مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُفِ:

بيان كيفية معالجة المعرضين عن القرآن برفق، ببيان أن القرآن هو الحق، وعاقبة الإعراض.

٢٤) التفسير:

١) حَمِّ: تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢) هذا القرآن تنزيل من الله الرحمن الرحيم.

٣) كتاب بُيِّنَتْ آيَاتُهُ أتم تبیین وأكملها، وجُعِلَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ؛ لأنهم الذين ينتفون بمعانيه، وبما فيه من الهداية إلى الحق.

٤) مبشراً المؤمنين بما أعد الله لهم من الجزاء الجزيل، ومخوفاً الكافرين من عذاب الله الأليم، فأعرض معظمهم عنه، فهم لا يسمعون ما فيه من الهدى سماع قبول.

٥) وقالوا: قلوبنا مغطاة بأغلفة فلا تعقل ما تدعوننا إليه، وفي آذاننا صمم فلا تسمعه، ومن بيننا وبينك ستر فلا يصل إلينا شيء مما تقول، فاعمل أنت على طريقتك، إنا عاملون على طريقتنا، ولن نتبعك.

٦) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المعاندين: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الله أنما معبودكم بحق معبود واحد هو الله، فاسلكوا الطريق الموصل إليه،

فَقَضَيْنَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
 وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
 الْعَلِيمِ ﴿٣٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ
 عَادٍ وَثَمُودَ ﴿٣٣﴾ إِذْ جَاءَ تَهُمُّ الرُّسُلِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
 خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
 فَأَنَّا بَمَاءٍ أَرْسَلْنَا بِهِ كُفْرُوتَ ﴿٣٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
 الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مَقَافِقَةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
 ﴿٣٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ
 عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ
 لَا يُنصَرُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
 الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
 ﴿٣٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ
 إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
 سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾

٤٧٨

﴿٣٢﴾ فَأَتَمَّ اللَّهُ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ فِي
 يومين: يوم الخميس ويوم الجمعة،
 وبهما تم خلق السماوات والأرض في
 ستة أيام، وأوحى الله في كل سماء ما
 يقدره فيها، وما يأمر به من طاعة
 وعبادة، وزينا السماء الدنيا بالنجوم،
 وحفظنا بها السماء من استراق
 الشياطين السمع، ذلك المذكور كله
 تقدير العزيز الذي لا يغلبه أحد،
 العليم بخلقه.

﴿٣٣﴾ فَإِنْ أَعْرَضَ هَؤُلَاءِ عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا
 جِئَتْ بِهِ فَقُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -:
 خَوَفْتُمْ عَذَابًا يَقَعُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ الْعَذَابِ
 الَّذِي وَقَعَ عَلَى عَادٍ قَوْمِ هُودَ، وَثَمُودَ
 قَوْمِ صَالِحٍ لَمَّا كَذَّبُوهُمَا.

﴿٣٤﴾ حِينَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا بِدَعْوَةٍ وَاحِدَةٍ يَأْمُرُونَهُمْ أَلَّا
 يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، قَالَ الْكُفَّارُ
 مِنْهُمْ: لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً إِلَيْنَا
 رُسُلًا لَأَنْزَلَهُمْ، فَإِنَّا كَافِرُونَ بِمَا أَرْسَلْتُمْ
 بِهِ؛ لَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا.

﴿٣٥﴾ فَأَمَّا عَادُ قَوْمِ هُودٍ فَمَعَ كُفْرُهُمْ بِاللَّهِ
 تَكَبَّرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَظَلَمُوا
 مِنْ حَوْلِهِمْ، وَقَالُوا وَهُمْ مَخْدُوعُونَ
 بِقُوَّتِهِمْ: مَنْ أَشَدُّ مَقَافِقَةً؟! لَا أَحَدَ أَشَدَّ
 مِنْهُمْ قُوَّةً بِزَعْمِهِمْ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: أَفَلَا
 يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ وَيُشَاهِدُونَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي
 خَلَقَهُمْ وَأَوْدَعَ فِيهِمُ الْقُوَّةَ الَّتِي أَطْغَتْهُمْ
 هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً؟! وَكَانُوا يَكْفُرُونَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا هُودٌ ﷺ.

﴿٣٦﴾ فَبِعِزَّتِهِمْ رِيحًا ذَاتَ صَوْتٍ مَزْعَجٍ فِي أَيَّامٍ مَشْهُومَاتٍ عَلَيْهِمْ لَمَّا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ؛ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الذِّلِّ
 وَالْمَهَانَةِ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُمْ أَشَدُّ إِذْلالًا لَهُمْ، وَهُمْ لَا يَجِدُونَ مِنْ أَنْصَرِهِمْ
 بِإِنْقَادِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿٣٧﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ قَوْمِ صَالِحٍ فَقَدْ هَدَيْنَاهُمْ بِتَبْيِينِ طَرِيقِ الْحَقِّ لَهُمْ، فَفَضَّلُوا الضَّلَالَ عَلَى الْهُدَايَةِ إِلَى الْحَقِّ، فَأَخَذَهُمُ
 الْعَذَابُ الْمَذِلُّ بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

﴿٣٨﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَكَانُوا يَتَّقُونَ اللَّهَ بِامْتِنَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، أَنْجَيْنَاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي
 حُلَّ بِقَوْمِهِمْ.

﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ إِلَى النَّارِ، تَرَدُّ الزَّبَانِيَةُ أَوْلَهُمْ إِلَى آخِرِهِمْ، لَا يَسْتَطِيعُونَ الْهَرَبَ مِنَ النَّارِ.

﴿٤٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوا النَّارَ الَّتِي سَبَقُوا إِلَيْهَا، وَتَنَكَّرُوا لَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا، شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ أَسْمَاعُهُمْ
 وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الإِعْرَاضُ عَنِ الْحَقِّ سَبَبُ الْمَهَالِكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
- التَّكْبِيرُ وَالْإِغْتِرَارُ بِالْقُوَّةِ مَنَاعَانِ مِنَ الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ.
- الْكُفَّارُ يُجْتَمَعُ لَهُمْ بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.
- شَهَادَةُ الْجَوَارِحِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَصْحَابِهَا.

وَقَالُوا الْجُلُودُ هِيَ لِمَ شَهِدَتْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴿٥١﴾
وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعْتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾
وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَلَنَارُ مَتَوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٥٤﴾ * وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ
مَآبِينَ أَيْدِيَهُمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٥﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ يَجْعَلُهُمُ تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٥٩﴾

﴿٥١﴾ وقال الكفار لجلودهم: لِمَ شَهِدَتْ عَلَيْنَا بما كنا نعمل في الدنيا؟! قالت الجلود جوابًا لأصحابها: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو خلقكم أول مرة عندما كنتم في الدنيا، وإليه وحده ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء.

﴿٥٢﴾ وما كنتم تستعطفون حين ترتكبون المعاصي حتى لا تشهد عليكم أسماعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم؛ لأنكم لا تؤمنون بحساب ولا عقاب ولا ثواب بعد الموت، ولكن ظننتم أن الله سبحانه لا يعلم كثيرًا مما تعملونه، بل يخفى عليه، فافتررت.

﴿٥٣﴾ وذلك الظن السيئ الذي ظننتم بربكم أهلككم، فأصبحتم بسبب ذلك من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والآخرة.

﴿٥٤﴾ فإن يصبر هؤلاء الذين شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم، فالنار مستقر لهم، وماوى يأوون إليه، وإن يطلبوا رفع العذاب ورضا الله عنهم، فما هم بنائلين رضاه ولا داخلين الجنة أبدًا.

﴿٥٥﴾ وهيانا لهؤلاء الكفار قرناء من الشياطين يلازمونهم، فحسّنوا لهم سوء أعمالهم في الدنيا، وحسّنوا لهم ما خلفهم من أمر الآخرة فأنسوهم تذكرها والعمل لها، ووجب عليهم العذاب في جملة أُمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين حيث خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بدخولهم النار.

﴿٥٦﴾ وقال الكفار متواصين فيما بينهم لما عجزوا عن مواجهة الحجة بالحجة: لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرؤه عليكم محمد، ولا تنقادوا لما فيه، وصيحوا وارتفعوا أصواتكم عند قراءته له؛ لعلكم بذلك تنتصرون عليه، فتركوا تلاوته والدعوة إليه، فاستريح منه.

﴿٥٧﴾ فلنذيقن الذين كفروا بالله وكذبوا رسله عذابًا شديدًا يوم القيامة، ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون من الشرك والمعاصي عقابًا لهم عليها.

﴿٥٨﴾ ذلك الجزاء المذكور جزاء أعداء الله الذين كفروا به وكذبوا رسله: النار، لهم فيها خلود لا يتقطع أبدًا، جزاء على جحدهم آيات الله، وعدم إيمانهم بها مع وضوحها وقوة حجتها.

﴿٥٩﴾ وقال الذين كفروا بالله وكذبوا رسله: ربنا، أرنا اللذين أضلّنا من الجن والإنس: إبليس الذي سنّ الكفر والدعوة إليه، وابن آدم الذي سنّ سفك الدماء، نجعلهما في النار تحت أقدامنا؛ ليكونا من الأسفلين الذين هم أشد أهل النار عذابًا.

• من فوائد الآيات،

- سوء الظن بالله صفة من صفات الكفر.
- الكفر والمعاصي سبب تسليط الشياطين على الإنسان.
- تمنّي الأتباع أن ينال متبوعوهم أشد العذاب يوم القيامة.

ولمَّا ذَكَرَ اللَّهُ جِزَاءَ أَعْدَائِهِ ذَكَرَ جِزَاءَ
أَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ:

﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا: رَبُّنَا اللَّهُ، لَا رَبَّ
لَنَا غَيْرَهُ، وَاسْتَقَامُوا عَلَى امْتِثَالِ
أَوَامِرِهِ، وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ، تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ احْتِضَارِهِمْ قَائِلِينَ لَهُمْ:
لَا تَخَافُوا مِنَ الْمَوْتِ وَلَا مِمَّا بَعْدَهُ،
وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا خَلَفْتُمْ فِي الدُّنْيَا،
وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تَعِدُونَ بِهَا
فِي الدُّنْيَا عَلَى إِيمَانِكُمْ بِاللَّهِ وَعَمَلِكُمْ
الصَّالِحِ.

﴿٢١﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،
فَقَدْ كُنَّا نَسُدُّكُمْ وَنَحْفَظُكُمْ، وَنَحْنُ
أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَوَلَايَتُنَا لَكُمْ
مُسْتَمِرَّةٌ، وَلَكُمْ فِي الْجَنَّةِ مَا تَشْتَهُيهِ
أَنْفُسُكُمْ مِنَ الْمَلَذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ،
وَلَكُمْ فِيهَا كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ مِمَّا تَشْتَهُونَهُ.
﴿٢٢﴾ رِزْقًا مُهِئًا لِمُضِيفَتِكُمْ مِنْ رَبِّ غُفُورٍ
لِلذُّنُوبِ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٍ

﴿٢٣﴾. وَلَا أَحَدٌ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا
إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْعَمَلِ بِشَرْعِهِ، وَعَمِلَ
عَمَلًا صَالِحًا يَرْضَى رَبَّهُ، وَقَالَ: إِنِّي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُنْقَادِينَ لِلَّهِ، فَمَنْ
فَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ فَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ قَوْلًا.

﴿٢٤﴾ وَلَا يَسْتَوِي فِعْلُ الْحَسَنَاتِ
وَالطَّاعَاتِ الَّتِي تَرْضَى اللَّهُ، وَلَا فِعْلُ
السَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي تَسْخَطُهَا،
ادْفَعْ بِالْخُصْلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِسَاءَةٍ
مِنْ أَسْأَاءِ إِلَيْكَ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا الَّذِي

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٢١﴾ نَزَّلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ
قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا
إِلَّا دُوحٌ عَظِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ
الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٢٨﴾

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ سَابِقَةٌ - إِذَا دَفَعْتَ إِسَاءَتَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ - كَأَنَّهُ قَرِيبٌ شَفِيقٌ.

﴿٢٥﴾ وَلَا يُوقَفُ لِهَذِهِ الْخُصْلَةِ الْحَمِيدَةِ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى الْإِذَاءِ، وَمَا يَلْقَوْنَهُ مِنَ النَّاسِ مِنَ السُّوءِ، وَلَا يُوقَفُ
لَهَا إِلَّا ذُو نَصِيبٍ عَظِيمٍ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ، وَالنَّفْعِ الْوَفِيرِ.
﴿٢٦﴾ وَإِنْ وَسَّوسَ لَكَ الشَّيْطَانُ فِي أَيِّ وَقْتٍ بَشَرٌ فَاعْتَصِمْ بِاللَّهِ وَالْجَأْ إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لِمَا تَقُولُ، الْعَلِيمُ بِحَالِكَ.
﴿٢٧﴾ وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي تَعَاقُبِهِمَا، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، لَا تَسْجُدُوا
- أَبْهَى النَّاسِ - لِلشَّمْسِ، وَلَا تَسْجُدُوا لِلْقَمَرِ، وَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُ حَقًّا.
﴿٢٨﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا وَأَعْرَضُوا، وَلَمْ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الْخَالِقِ، فَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ اللَّهِ يُسَبِّحُونَهُ وَيُحَمِّدُونَهُ سُبْحَانَهُ فِي
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَعًا، وَهُمْ لَا يَمَلُّونَ مِنْ عِبَادَتِهِ.

﴿٢٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- منزلة الاستقامة عند الله عظيمة.
- كرامة الله لعباده المؤمنين وتوليهِ شؤونهم وشؤون مَنْ خلفهم.
- مكانة الدعوة إلى الله، وأنها أفضل الأعمال.
- الصبر على الإيذاء والدفع بالتي هي أحسن لحُلقان لا غنى للداعي إلى الله عنهما.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
 اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَن
 يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آيَاتِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
 وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٣٧﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
 خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٣٨﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
 لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ
 ﴿٣٩﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
 ءَ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَلِلَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُفْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ
 يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 فَأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤١﴾ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا
 فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٢﴾

﴿٣٥﴾ ومن آياته الدالة على عظمته وتوحيده وعلى قدرته على البعث أنك تعين الأرض لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر تحركت بسبب نمو المخبوء فيها من بذور، وارتفعت، إن الذي أحيا هذه الأرض الميتة بالنبات، لمحيي الموتى وباعثهم للحساب والجزاء، إنه على كل شيء قدير، ولا يعجزه إحياء أرض بعد موتها، ولا إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم.

﴿٣٦﴾ إن الذين يميلون في آيات الله عن الصواب بإنكارها والتكذيب بها وتحريفها لا يخفى حالهم علينا، فنحن نعلمهم، أفمن يُلقى في النار أفضل أم من يأتي يوم القيامة آمناً من العذاب؟ اعملوا - أيها الناس - ما شئتم من خير وشر، فقد بينا لكم الخير والشر، إن الله بما تعملون منهما بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

﴿٣٧﴾ إن الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم من عند الله لمعذبون يوم القيامة، وإنه لكتاب عزيز منيع، لا يستطيع مُحرّف أن يحرفه، ولا مُبدّل أن يبدله.

﴿٣٨﴾ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بنقص أو زيادة أو تبديل أو تحريف، تنزيل من حكيم في خلقه وتقديره وتشريعه، محمود على كل حال.

ولما ذكر الله حال المكذبين بالكتاب

صبر رسوله وسأله بما كان يلقيه من قبله إخوانه من الرسل من التكذيب والسخرية والافتراء، فقال:

﴿٣٩﴾ ما يقال لك - أيها الرسول - من التكذيب إلا ما قد قيل للرسل من قبلك فاصبر، فإن ربك لذو مغفرة لمن تاب إليه من عباده، وذو عقاب موجه لمن أصر على ذنوبه ولم يتب.

﴿٤٠﴾ ولو أنزلنا هذا القرآن بغير لغة العرب لقال الكفار منهم: لولا بُيِّنَتْ آياته حتى نفهمها، أليكون القرآن أعجمياً، والذي جاء به عربي؟ قل - أيها الرسول - لهؤلاء: القرآن - للذين آمنوا بالله وصدقوا رسله - هداية من الضلال وشفاء لما في الصدور من الجهل وما يتبعه، والذين لا يؤمنون بالله في آذانهم صمم، وهو عليهم عمى لا يفهمونه، أولئك الموصوفون بتلك الصفات كمن ينادون من مكان بعيد، فكيف لهم أن يسمعوا صوت المنادي!

﴿٤١﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة فاختلف فيها؛ فمنهم من آمن بها، ومنهم من كفر بها، ولولا وعد من الله أن يفصل بين العباد يوم القيامة فيما اختلفوا فيه لحكم بين المختلفين في التوراة، فيبين المحق والمبطل، فأكرم المحق وأهان المبطل، وإن الكفار لفي شك من أمر القرآن مريب.

﴿٤٢﴾ من عمل عملاً صالحاً فنفع عمله الصالح عائد إليه، فالله لا ينفعه العمل الصالح من أحد، ومن عمل عملاً سيئاً فضرر ذلك راجع إليه، فالله لا تضره معصية أحد من خلقه، وسيجازي كلًا بما يستحقه، وما ربك - أيها الرسول - بظلام لعبيده، فلن ينقصهم حسنة، ولن يزيدهم سيئة.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- حفظ الله القرآن من التبديل والتحريف، وتكفل سبحانه بهذا الحفظ، بخلاف الكتب السابقة له.
- قطع الحجة على مشركي العرب بنزول القرآن بلغتهم. • نفي الظلم عن الله، وإثبات العدل له.

﴿١﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٢﴾ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣﴾ لَا يُسْمِعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوُسْ فَنُفُوثُ ﴿٤﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا إِلَىٰ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ وَلَاحُسْبَىٰ فَلَنُتَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثَمَرٌ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٧﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٩﴾

٤٨٢

﴿١﴾ إلى الله وحده يُرَدُّ علم الساعة؛ فهو وحده يعلم متى تقع، فلا يعلم ذلك غيره، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها التي تحفظها، وما تحمل من أنثى ولا تلد إلا بعلمه، لا يفوته من ذلك شيء، ويوم ينادي الله المشركين الذين كانوا يعبدون معه الأصنام؛ مُوبِّخًا إياهم على عبادتهم لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء؟ قال المشركون: اعترفنا أمامك، لا أحد منا يشهد الآن أن لك شريكًا.

﴿٢﴾ وغاب عنهم ما كانوا يدعونه من الأصنام، وأيقنوا أنهم لا مهرب لهم من عذاب الله ولا مُجِدِّ.

﴿٣﴾ لا يمل الإنسان من طلب الصحة والمال والولد وغير ذلك من النعم، وإن أصابه فقر أو مرض ونحو ذلك فهو كثير اليأس والقنوط من رحمة الله.

﴿٤﴾ ولئن أذقناه منا صحة وغنى وعافية بعد بلاء ومرض أصابه ليقولن: هذا لي؛ لأنني أهل له ومستحق، وما أظن الساعة قائمة، ولئن فُرض أن الساعة قائمة فإن لي عند الله الغنى والمال، فكما أنعم علي في الدنيا لاستحقاقي ذلك ينعم علي في الآخرة، فلنخبرن الذين كفروا بالله بما عملوا من الكفر والمعاصي، ولنذيقنهم من عذاب بالغ في الشدة.

﴿٥﴾ وإذا أنعمنا على الإنسان بنعمة

الصحة والعافية ونحوها غفل عن ذكر الله وطاعته، وأعرض بجانبه تكبرًا، وإذا مسه مرض وفقر ونحوه فهو ذو دعاء لله كثير، يشكو إليه ما مسه منه ليكشفه عنه، فهو لا يشكر ربه إذا أنعم عليه، ولا يصبر على بلائه إذا ابتلاه.

﴿٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذابين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، ثم كفرتم به وكذبتموه، فكيف سيكون حالكم؟! ومن أضل ممن هو في عناد للحق مع ظهوره ووضوح حجته وقوته؟!!

﴿٧﴾ سنري كفار قريش آياتنا في آفاق الأرض مما يفتح الله للمسلمين، ونريهم آياتنا في أنفسهم بفتح مكة؛ حتى يتضح لهم بما يرفع الشك أن هذا القرآن هو الحق الذي لا مزية فيه، أولم يكف هؤلاء المشركين أن القرآن حق شهادة الله أنه من عنده؟! ومن أعظم شهادة من الله؟! فلو كانوا يريدون الحق لاكتفوا بشهادة ربهم.

﴿٨﴾ ألا إن المشركين في شك من لقاء ربهم يوم القيامة لإنكارهم البعث، فهم لا يؤمنون بالآخرة؛ لذلك لا يستعدون لها بالعمل الصالح، ألا إن الله بكل شيء محيط علمًا وقدرة.

﴿٩﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- علم الساعة عند الله وحده.
- تعامل الكافر مع نعم الله ونقمه فيه تخبط واضطراب.
- إحاطة الله بكل شيء علمًا وقدرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۚ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْبَبٍ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ
يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّا اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝

٤٨٣

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّورَى:

بيان حقيقة الوحي والرسالة المحمدية،
وأنها امتداد للوحي إلى الأنبياء.

• التفسير:

① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١

فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُرُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ * شَرَعَ
لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ
يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا
الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ
فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ وَقُلْ
ءَاَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ
اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

٤٨٤

﴿١١﴾ الله خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، جعل لكم من أنفسكم أزواجًا، وجعل لكم من الإبل والبقر والغنم أزواجًا، حتى تتكاثر من أجلكم، يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم بالتزاوج، ويعيشكم فيما جعل لكم من أنعامكم من لحومها وألبانها، لا يماثله شيء من مخلوقاته، هو السميع لأقوال عباده، البصير بأفعالهم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم على أعمالهم؛ إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

﴿١٢﴾ له وحده مفاتيح خزائن السماوات والأرض، يوسع الرزق لمن يشاء من عباده؛ اختيارًا له أيشكر أم يكفر؟ ويضيقه على من يشاء؛ ابتلاءً له أيبصر أم يتسخط على قدر الله؟ إنه بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء مما فيه مصالح عباده.

﴿١٣﴾ شرع لكم من الدين مثل ما أمرنا نوحًا بتبليغه والعمل به، والذي أوحينا إليك - أيها الرسول - وشرع لكم مثل الذي أمرنا إبراهيم وموسى وعيسى بتبليغه والعمل به، وخلاصته: أن أقيموا الدين، واتركوا التفرق فيه، عظم على المشركين ما تدعوهم إليه من توحيد الله، وترك عبادة غيره، الله يصطفي من شاء من عباده، فيوفقه لعبادته وطاعته، ويهدي إليه من يرجع إليه منهم بالتوبة من ذنوبه.

﴿١٤﴾ وما تفرق الكفار والمشركون إلا من بعد ما قامت عليهم الحجة ببعثة محمد ﷺ إليهم، وما كان تفرقهم إلا بسبب البغي والظلم، ولولا ما سبق في علم الله من أنه يؤخر عنهم العذاب إلى أمدٍ محدد في علمه هو يوم القيامة لحكم الله بينهم، فعجل لهم العذاب بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم لرسله، وإن الذين أورثوا التوراة من اليهود والإنجيل من النصارى من بعد أسلافهم، ومن بعد هؤلاء المشركين، لفى شك من هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ ومكذبون به.

﴿١٥﴾ ادع لهذا الدين المستقيم، واثبت عليه وفق ما أمرك الله، ولا تتبع أهواءهم الباطلة، وقل عند مجادلهم: أمنت بالله وبالكتب التي أنزلها الله على رسله، وأمرني الله أن أحكم بينكم بالعدل، الله الذي أعبدته ربنا وربكم جميعًا، لنا أعمالنا خيرًا كانت أو شرًا، ولكم أعمالكم خيرًا كانت أو شرًا، لا جدال بيننا وبينكم بعد أن تبينت الحجة، واتضح المحجة، الله يجمع بيننا جميعًا، وإليه المرجع يوم القيامة، فيجازي كلًا منا بما يستحقه، فيتبين عندئذ الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل.

• مِنْ قَوْلَيْهِ الْآيَاتِ،

- دين الأنبياء في أصوله دين واحد.
- أهمية وحدة الكلمة، وخطر الاختلاف فيها.
- من مقومات نجاح الدعوة إلى الله: صحة المبدأ، والاستقامة عليه، والبعد عن اتباع الأهواء، والعدل، والتركيز على المشترك، وترك الجدال العقيم، والتذكير بالمصير المشترك.

وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ وَحَبَّتْ لَهُمُ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٦٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿٦٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٧٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُتِنَ بِهِمْ سَبْعَ نَضَائِجٍ أُولَئِكَ يَلْمِزُونَ الْمُؤَفِّقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقِعُ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٧٣﴾

٤٨٥

﴿٦٦﴾ والذين يجادلون بالحجج الباطلة في هذا الدين المنزل على محمد ﷺ بعدما استجاب الناس له، هؤلاء المجادلون حجتهم ذاهية وساقطة عند ربهم وعند المؤمنين، لا أثر لها، وعليهم غضب من الله لكفرهم ورفضهم الحق، ولهم عذاب شديد ينتظرهم يوم القيامة.

ولما بين بطلان حجج الكافرين بين أصل الحجج الصحيحة التي يحتج بها المسلم وهي القرآن، فقال:

﴿٦٧﴾ الله الذي أنزل القرآن بالحق الذي لا مرية فيه، وأنزل العدل ليحكم بين الناس بالإنصاف، وقد تكون الساعة التي يكذب بها هؤلاء قريبة، ومعلوم أن كل آت قريب.

﴿٦٨﴾ يطلب الذين لا يؤمنون بها تعجيلها؛ لأنهم لا يؤمنون بحساب ولا ثواب ولا عقاب، والذين آمنوا بالله خائفون منها لخوفهم من مصيرهم فيها، ويعلمون علم اليقين أنها الحق الذي لا مرية فيه، ألا إن الذين يجادلون في الساعة ويخاصمون فيها، ويشككون في وقوعها، لفي ضلال بعيد عن الحق.

﴿٦٩﴾ الله ذو لطف بعباده، يرزق من يشاء، فيوسع له الرزق، ويضيق على من يشاء رحمة به، وإن بدا غير ذلك، وهو القوي الذي لا يغلبه أحد، العزيز الذي ينتقم من أعدائه.

﴿٧٠﴾ من كان يريد ثواب الآخرة عاملاً لها عملها، نضاعف له ثوابه، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن كان يريد الدنيا وحدها أعطيناه نصيبه المقدر له فيها، وليس له في الآخرة من حظ لا يثارة الدنيا عليها.

﴿٧١﴾ أم لهؤلاء المشركين آلهة من دون الله، وقد شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن لهم الله بشرعه من الشرك به وتحريم ما أحل، وتحليل ما حرم؟ ولولا ما ضربه الله من أجل محدد للفصل بين المختلفين، وأنه يؤخرهم إليه لفصل بينهم، وإن الظالمين لأنفسهم بالشرك بالله والمعاصي لهم موعج عذاب موعج ينتظرهم يوم القيامة.

﴿٧٢﴾ ترى - أيها الرسول - الظالمين أنفسهم بالشرك والمعاصي خائفين من العقاب بما كسبوا من الإثم، والعقاب واقع بهم لا محالة، فلا ينفعهم الخوف المجرد عن توبة، والذين آمنوا بالله وبرسله وعملوا الأعمال الصالحات على النقيض منهم؛ فهم في بساطين الجنات ينتعمون، لهم ما يشاؤون عند ربهم من أنواع النعيم الذي لا ينقطع أبداً، ذلك هو الفضل الكبير الذي لا يدانيه فضل.

﴿٧٣﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- خوف المؤمن من أهوال يوم القيامة يعين على الاستعداد لها.
- لطف الله بعباده حيث يوسع الرزق على من يكون خيراً له، ويضيق التضييق خيراً له.
- خطر إيثارة الدنيا على الآخرة.

(٣٢) ذلك التبشير العظيم الذي يبشر الله به على يد رسوله الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحات، قل - أيها الرسول -: لا أطلب منكم على تبليغ الحق ثواباً إلا ثواباً واحداً عائداً نفعه إليكم، وهو أن تحبوني لقرابتي فيكم، ومن يكسب حسنة نضاعف له أجره؛ الحسنة بعشر أمثالها، إن الله غفور لذنوب من تاب إليه من عباده، شكور لأعمالهم الصالحة التي يعملونها ابتغاء وجهه.

(٣٣) من زعم المشركين أن محمداً ﷺ قد اختلق هذا القرآن ونسبه لربه، ويقول الله ردّاً عليهم: لو حدثت نفسك أن تفتري كذباً لطبعْتُ على قلبك، ومحوت الباطل المفترى، وأبقيت الحق، ولما لم يكن الأمر كذلك دلّ على صدق النبي ﷺ أنه موحي له من ربه، إنه عليم بما في قلوب عباده لا يخفى عليه شيء منه.

(٣٤) وهو سبحانه الذي يقبل توبة عباده من الكفر والمعاصي إذا تابوا إليه، ويتجاوز عن سيئاتهم التي ارتكبوها، ويعلم ما تفعلون من شيء، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

(٣٥) ويجيب دعاء الذين آمنوا بالله وبرسله وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله على ما لم يسألوه،

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نِّزِدْنَاهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٣) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٣٤) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٣٥) * وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣٦) وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَطَرُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۖ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٣٧) وَمِنَ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَينَ فِيهِمَا مِن دَآئِبَةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٣٨) وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٩) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٤٠)

والكافرون بالله وبرسله لهم عذاب قوي ينتظرهم يوم القيامة.

(٣٧) ولو وسع الله الرزق لجميع عباده لطفوا في الأرض بالظلم، ولكنه سبحانه ينزل من الرزق بقدر ما يشاء من توسيع وتضييق، إنه خير بأحوال عباده بصير بها، فيعطي لحكمة، ويمنع لحكمة أيضاً.

(٣٨) وهو الذي ينزل المطر على عباده من بعد ما يسوا من نزوله، وينشر هذا المطر فتنبت الأرض، وهو المتولي شؤون عباده، المحمود على كل حال.

(٣٩) ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته خلق السماوات وخلق الأرض، وما نشر فيهما من مخلوقات عجيبة، وهو على جمعهم للحرش والجزء متى شاء قدير، لا يعجزه ذلك كما لم يعجزه خلقهم أول مرة.

(٤٠) وما أصابكم - أيها الناس - من مصيبة في أنفسكم أو أموالكم فيما كسبته أيديكم من المعاصي، ويتجاوز الله لكم عن كثير منها، فلا يؤاخذكم به.

(٤١) ولستم بقادرين على النجاة من ربكم هرباً إذا أراد عقابكم، وليس لكم من دونه ولي يتولى أموركم، ولا نصير يرفع عنكم العذاب إن أَرَادَهُ بكم.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ .

• الداعي إلى الله لا يبتغي الأجر عند الناس .

• التوسيع في الرزق والتضييق فيه خاضع لحكمة إلهية قد تخفى على كثير من الناس .

• الذنوب والمعاصي من أسباب المصائب .

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٦﴾ إِنَّ يَشَأُ يُسْكِنُ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٧﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ وَأَيْعَفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٨﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ ﴿٣٩﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٤٣﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٥﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٦﴾ وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٧﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤٨﴾

٤٨٧

﴿٣٦﴾ ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته السفن التي تجري في البحر مثل الجبال في ارتفاعها وعلوها.

﴿٣٧﴾ إن يشأ الله إسكان الريح تسيهر من أسكنها، فيظللن ثوابت في البحر لا يتحركن، إن في ذلك المذكور من خلق السفن وتسخير الرياح لدلالات واضحة على قدرة الله لكل صبار على البلاء والمحن، شكور لنعم الله عليه.

﴿٣٨﴾ أو إن يشأ سبحانه إهلاك تلك السفن بإرسال الريح العاصفة عليها أهلكتها بسبب ما كسب الناس من الإثم، ويتجاوز عن كثير من ذنوب عباده فلا يعاقبهم عليها.

﴿٣٩﴾ ويعلم عند إهلاك تلك السفن بإرسال الريح العاصفة الذين يجادلون في آيات الله لإبطالها ما لهم من مهرب عن الهلاك، فلا يدعون إلا الله، ويرتكبون من عباده.

﴿٤٠﴾ فما أعطيتهم - أيها الناس - من مال أو جاه أو ولد، فمتاع الحياة الدنيا وهو زائل منقطع، والنعيم الدائم هو نعيم الجنة الذي أعدّه الله للذين آمنوا بالله ورسله، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أمورهم.

﴿٤١﴾ والذين يبتعدون عن كبائر الذنوب وقبائحها، وإذا غضبوا ممن أساء إليهم بالقول أو الفعل يغفرون له زلته، ولا يعاقبونه عليها، وهذا العفو تفضل منهم إذا كان فيه خير ومصلحة.

﴿٤٢﴾ والذين استجابوا لربهم؛ بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، وأتموا الصلاة على أكمل وجه، والذين يتشاورون في الأمور التي تهمهم، ومما رزقناهم ينفقون ابتغاء وجه الله.

﴿٤٣﴾ والذين إذا أصابهم الظلم ينتصرون إكراماً لأنفسهم وإعزازاً لها، إذا كان الظالم غير أهل للعفو، وهذا الانتصار حق، بخاصة إذا لم يكن في العفو مصلحة.

﴿٤٤﴾ ومن أراد أن يأخذ حقه فله ذلك، لكن بالمثل دون زيادة أو تجاوز، ومن عفا عمن أساء إليه ولم يؤاخذه على إساءته، وأصلح ما بينه وبين أخيه فتوابه عند الله، إنه لا يحب الظالمين الذين يظلمون الناس في أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم، بل يغضهم.

﴿٤٥﴾ ومن انتصر لنفسه فأولئك ما عليهم من مؤاخذه لأخذهم بحقهم.

﴿٤٦﴾ إنما المؤاخذه والعقاب للذين يظلمون الناس، ويعملون في الأرض بالمعاصي، أولئك لهم عذاب موجه في الآخرة. وأما من صبر على إيذاء غيره له، وتجاوز عنه، فإن ذلك الصبر مما يعود بالخير عليه وعلى المجتمع؛ وذلك أمر محمود، ولا يوقف له إلا ذو حظ عظيم.

﴿٤٧﴾ ومن خذله الله عن الهداية فأصله عن الحق فليس له ولي من بعده يتولى أمره، وترى الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي لما عاينوا العذاب يوم القيامة يقولون متمنين: هل للعودة إلى الدنيا طريق فتتوب إلى الله؟

• مِنْ قَوَائِدِ آيَاتِ

• الصبر والشكر سببان للتوفيق للاعتبار بآيات الله. • مكانة الشورى في الإسلام عظيمة.

• جواز مؤاخذه الظالم بمثل ظلمه، والعفو خير من ذلك.

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَتٍ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ
 مِنْ ظُرْفٍ خِيفٍ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
 فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا
 لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمُ
 مِنْ مَدْجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمُ مِنْ تَكْبِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا
 فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا
 أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبًا وَانْصَبَتْهُمْ سَيِّئَةٌ
 بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا
 وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ ذُرِّيَةً ذَكَرًا وَانثًا
 وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ
 لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
 رَسُولًا فَيُوحِيَ بِأَذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ

﴿٤٥﴾ وترى - أيها الرسول - هؤلاء الظالمين حين يُعْرَضُونَ على النار وهم أذلاء وخزايا ينظرون إلى الناس خلسة من شدة خوفهم منها، وقال الذين آمنوا بالله وبرسله: إن الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بسبب ما لاقوه من عذاب الله، ألا إن الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي في عذاب دائم لا ينقطع أبداً.

﴿٤٦﴾ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم بإنقاذهم من عذاب الله يوم القيامة، ومن يخذله الله عن الحق فيضله فليس له أبداً من طريق توديه إلى الهداية إلى الحق.

﴿٤٧﴾ استجبوا - أيها الناس - لربكم بالمسارعة إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وترك التسويف، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا دافع له، ما لكم من ملجأ تلجؤون إليه، وما لكم من إنكار تنكرون به ذنوبكم التي اكتسبتموها في الدنيا.

﴿٤٨﴾ فإن أعرضوا عما أمرتهم به فما بعثناك - أيها الرسول - عليهم حفيظاً تحفظ أعمالهم، ليس عليك إلا تبليغ ما أمرت بتبليغه، وحسابهم على الله، وإننا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة من غنى وصحة ونحوهما فرح بها، وإن يصب البشر بلاء بمكرهه بسبب ذنوبهم؛ فإن طبيعتهم كفر نعم الله،

وعدم شكرها، والتسخط مما قدره الله بحكمته.

﴿٤٩﴾ لله ملك السماوات وملك الأرض، يخلق ما يشاء من ذكر أو أنثى أو غير ذلك، يعطي لمن يشاء إناثاً ويحرمه الذكور، ويعطي لمن يشاء الذكور ويحرمه الإناث، أو يجعل لمن يشاء الذكور والإناث معاً، ويجعل من يشاء عقيماً لا يولد له، إنه عليم بما هو كائن وبما سيكون في المستقبل، وهذا من تمام علمه وكمال حكمته، لا يخفى عليه شيء، ولا يعجزه شيء.

﴿٥٠﴾ ما يصح لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً بالإنشاد أو غيره، أو يكلمه، بحيث يسمع كلامه ولا يراه، أو يرسل إليه ملكاً رسولاً مثل جبريل، فيوحي إلى الرسول البشري بإذن الله ما يشاء الله أن يوحيه، إنه سبحانه عليّ في ذاته وصفاته، حكيم في خلقه وقدره وشرعه.

﴿٥١﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- وجوب المسارعة إلى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.
- مهمة الرسول البلاغ، والنتائج بيد الله.
- هبة الذكور أو الإناث أو جمعهما معاً هو على مقتضى علم الله بما يصلح لعباده، وليس فيها مزية للذكور دون الإناث.
- يوحى الله تعالى إلى أنبيائه بطرق شتى؛ لِيَحْكُمَ بِعِلْمِهَا سبحانه.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَلَئِكَ نَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ الْآلِ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّحُرُفِ

آيَاتُهَا ٨٩

نُزِيلُهَا ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلِي حَكِيمٌ ۝ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيِّ
الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ
۝ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ
۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝

٤٨٩

﴿٥٢﴾ وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك - أيها الرسول - أوحينا إليك قرآنًا من عندنا، ما كنت تعلم قبله ما الكتاب السماوية المنزلة على الرسل، وما كنت تعلم ما الإيمان؟ ولكن أنزلنا هذا القرآن ضياءً نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لندل الناس إلى طريق مستقيم هو دين الإسلام.

﴿٥٣﴾ طريق الله الذي له ما في السموات، وله ما في الأرض، خلقًا وملكا وتدبيرًا، حتمًا إلى الله وحده ترجع الأمور في تقديرها وتدبيرها.

سُورَةُ الزُّحُرُفِ

— مكية —

• من مقاصد السُّورَةِ:
بيان المبادئ القرآنية الصحيحة، ونقض التصورات الجاهلية الزائفة.

• التفسير:
﴿حَمْدٌ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿١﴾ أقسم الله بالقرآن الموضح لطريق الهداية إلى الحق.

﴿٢﴾ إنا جعلناه قرآنًا بلسان العرب؛ رجاء أن تعقلوا - يا معشر من نزل بلسانكم - معانيه، وتفهموها لتتقوها إلى الأمم الأخرى.

﴿٣﴾ وإن هذا القرآن في اللوح المحفوظ ل ذو علو ورفعة، وذو حكمة، قد أحكمت آياته في أوامره ونواهيه.

﴿٤﴾ أفترك إنزال القرآن عليكم إعراضًا لأجل إكثاركم من الشرك والمعاصي؟ لا نفعل ذلك، بل الرحمة بكم تقتضي عكس هذا.

﴿٥﴾ وكم بعثنا من نبي في الأمم السابقة.

﴿٦﴾ وما يأتي تلك الأمم السابقة من نبي من عند الله إلا كانوا منه يسخرون.

﴿٧﴾ فأهلكنا من هم أشدَّ بطشًا من تلك الأمم، فلا نعجز عن إهلاك من هم أضعف منهم، ومضى في القرآن صفة إهلاك الأمم السابقة، مثل عاد وثمود وقرم لوط وأصحاب مدين.

﴿٨﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين المكذبين: من خلق السموات، ومن خلق الأرض؟ ليقولنَّ جوابًا لسؤالك: خلقهنَّ العزيز الذي لا يغلبه أحد، العليم بكل شيء.

﴿٩﴾ الله الذي مهد لكم الأرض فجعلها لكم وطاءً تطؤونها بأقدامكم، وصير لكم فيها طرقًا في جبالها وأوديتها؛ رجاء أن تسترشدوا بها في سيركم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- سمي الوحي روحًا لأهمية الوحي في هداية الناس، فهو بمنزلة الروح للجسد.
- الهداية المسندة إلى الرسول ﷺ هي هداية الإرشاد لا هداية التوفيق.
- ما عند المشركين من توحيد الربوبية لا ينفعهم يوم القيامة.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتَةً
كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٤﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا
لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٦﴾ وَجَعَلُوا اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا لِلْإِسْنِ
لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَادَكُمْ
يَالْبَنِينَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوَّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٩﴾ أَوْ مِنْ يَنْشُرُوهُ فِي
الْحُلِيِّهِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴿٢١﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ
مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ أَتَيْنَاهُمُ
كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢٣﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا
وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

٤٩٠

﴿١٣﴾ والذي نزل من السماء ماءً بقدر ما يكفيكم، ويكفي بهائكم وزروعكم، فأحيينا به بلدة قاحلة لا نبات بها، وكما أحيأ الله تلك الأرض القاحلة بالنبات يحييكم للبعث.

﴿١٤﴾ والذي خلق الأصناف جميعها، كالليل والنهار، والذكر والأنثى وغيرها، وصير لكم من السفن والأنعام ما تركبونه في أسفاركم، فتركبون السفن في البحر، وتركبون أنعامكم في البر.

﴿١٥﴾ صير لكم ذلك كله؛ رجاء أن تستقروا على ظهور ما تركبون منه في أسفاركم، ثم تذكروا نعمة ربكم بتسخيرها لكم إذا استقرتم على ظهورها، وتقولوا بالستكم: تنزه وتقدس الذي هيا وذلل لنا هذا المركوب فصرنا نتحكم فيه، وما كنا له مطيعين لولا تسخير الله له.

﴿١٦﴾ وإنا إلى ربنا وحده لراجعون بعد موتنا للحساب والجزاء.

﴿١٧﴾ وزعم المشركون أن بعض المخلوقات متولدة عن الخالق سبحانه حين قالوا: الملائكة بنات الله، إن الإنسان الذي يقول مثل هذا القول لكفور بين الكفر والضلال.

﴿١٨﴾ أتقولون - أيها المشركون -: اتخذ الله مما يخلق بنات لنفسه، وأخلصكم بالذكر من الأولاد؟ فأي قسمة هذه القسمة التي زعمتم؟!

﴿١٩﴾ وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى التي ينسبها إلى ربه ظل وجهه مسوداً من شدة الهم والحزن، وظل هو ممتلئاً غيظاً، فكيف ينسب إلى ربه ما يغتم هو به إذا بُشِّرَ به؟

﴿٢٠﴾ أينسون إلى ربهم من يُرَبَّى في الزينة وهو في الجدل غير مبين الكلام لأنوثته؟ وسَمُوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن سبحانه: إِنثًا، هل حضروا حين خلقهم الله، فتبينوا أنهم إِنثٌ؟ ستكتب الملائكة شهادتهم هذه، ويسألون عنها يوم القيامة، ويعذبون بها لكذبهم.

﴿٢١﴾ وقالوا محتجين بالقدر: لو شاء الله ألا نعبد الملائكة ما عبدناهم، فكونه شاء ذلك منا يدل على رضاه، ليس لهم بقولهم هذا من علم، إن هم إلا يكذبون.

﴿٢٢﴾ أم أعطينا هؤلاء المشركين كتاباً من قبل القرآن يبيح لهم عبادة غير الله؟! فهم متمسكون بذلك الكتاب، محتجون به.

﴿٢٣﴾ لا، لم يقع ذلك، بل قالوا محتجين بالتقليد: إنا وجدنا آبائنا من قبلنا على دين وملة، وقد كانوا يعبدون الأصنام، وإنا ماضون على آثارهم في عبادتها.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

- كل نعمة تقتضي شكرًا.
- جور المشركين في تصوراتهم عن ربهم حين نسبوا الإناث إليه، وكبرهون لأنفسهم.
- بطلان الاحتجاج على المعاصي بالقدر.
- المشاهدة أحد الأسس لإثبات الحقائق.

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا
إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٣٢﴾
* قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ ۖ
قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٣﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنزَلْنَا
كَيْفَ كَانَ عَقِيبَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٥﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ
﴿٣٦﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٧﴾ بَلْ
مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٣٨﴾
وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَقَالُوا
لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٤٠﴾ أَهَمْ
يَقْسِمُونَ رَحِمَتَ رَبِّكَ ۖ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سَخِرَآءً وَرَحِمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٤١﴾ وَلَوْلَا
أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
لِيُيَوِّتَهُمْ سَفْهًُا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٤٢﴾

﴿٣٢﴾ وكما كَذَبَ هَؤُلَاءِ، واحتجوا بتقليدهم لأبائهم، لم نبعث من قبلك - أيها الرسول - في قرية من رسول ينذر قومه إلا قال رؤسائهم وكبرائهم من أهل الثراء فيهم: إنا وجدنا آبائنا على دين وملة، وإنا متبعون لأئثارهم. فليس قومك يدعَا في ذلك.

﴿٣٣﴾ قال لهم رسولهم: أتتبعون آباءكم ولو جئتمكم بما هو خير من ملتهم التي كانوا عليها؟ قالوا: إنا كافرون بالذي أرسلت به أنت ومن سبقك من الرسل.

﴿٣٤﴾ فانتقمنا من الأمم التي كذبت بالرسول من قبلك فأهلكناهم، فتأمل كيف كانت نهاية المكذبين برسولهم، فقد كانت نهاية الأئمة.

﴿٣٥﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم لأبيه وقومه: إنني بريء مما تعبدون من الأصنام من دون الله.

﴿٣٦﴾ إلا الله الذي خلقتني فإنه سيرشدني إلى ما فيه نفعي من اتباع دينه القويم.

﴿٣٧﴾ وصبر إبراهيم كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) باقية في ذريته من بعده، فلا يزال فيهم من يوحد الله لا يشرك به شيئاً؛ رجاء أن يرجعوا إلى الله بالتوبة إليه من الشرك والمعاصي.

﴿٣٨﴾ لم أعاجل بالهلاك هَؤُلَاءِ المشركين المكذبين، بل متعتهم بالبقاء في الدنيا، ومتعت آباءهم من قبلهم حتى جاءهم القرآن، ورسول مبين هو محمد ﷺ.

﴿٣٩﴾ ولما جاءهم هذا القرآن الذي هو الحق الذي لا مَرِيَّةَ فيه قالوا: هذا سحر يسحرنا به محمد، وإنا به كافرون فلن نؤمن به.

﴿٤٠﴾ وقال المشركون المكذبون: هَلَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ أَحَدِ رَجُلَيْنِ عَظِيمَيْنِ مِنْ مَكَّةَ أَوْ الطَّائِفِ، بدلاً من إنزاله على محمد الفقير اليتيم.

﴿٤١﴾ أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ - أيها الرسول - فيعطونها من يشاؤون ويمنعونها من يشاؤون أم الله؟ نحن قسمنا بينهم أرزاقهم في الدنيا، وجعلنا منهم الغني والفقير؛ لبصير بعضهم مُسَخَّرًا لِبَعْضٍ، ورحمة ربك لعباده في الآخرة خير مما يجمعه هَؤُلَاءِ من حطام الدنيا الفاني.

﴿٤٢﴾ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة في الكفر لجعلنا لبيوت من يكفر بالله سقوفاً من الفضة، وجعلنا لهم درجاً عليه يصعدون.

﴿٤٣﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- التقليد من أسباب ضلال الأمم السابقة.
- البراءة من الكفر والكافرين لازمة.
- تقسيم الأرزاق خاضع لحكمة الله.
- حقارة الدنيا عند الله، فلو كانت تزن عنده جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء.

﴿٣٤﴾ وجعلنا لبيوتهم أبواباً، وجعلنا لهم أسرةً عليها يتكئون استدراجاً لهم وفتنه.

﴿٣٥﴾ ولجعلنا لهم ذهباً، وليس كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، فنفعه قليل لعدم بقاءه، وما في الآخرة من النعيم خير عند ربك - أيها الرسول - للمتقين لله بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٣٦﴾ ومن ينظر نظر غير متمكن في القرآن يوصله إلى الإعراض يعاقب بتسليط شيطان ملازم له يزيده في الغواية.

﴿٣٧﴾ وإن هؤلاء القراء الذين يُسلطون على المعرضين عن القرآن ليصدونهم عن دين الله؛ فلا يمتثلون أوامره، ولا يجتنبون نواهيه، ويظنون أنهم مهتدون إلى الحق، ومن ثم فهم لا يتوبون من ضلالهم.

﴿٣٨﴾ حتى إذا جاءنا المُعْرِض عن ذكر الله يوم القيامة قال متمنياً: يا ليت بيني وبينك - أيها القرين - مسافة ما بين المشرق والمغرب، فُقبِضت من قرين.

﴿٣٩﴾ قال الله للكافرين يوم القيامة: ولن ينفعكم اليوم - وقد ظلمتم أنفسكم بالشرك والمعاصي - اشتراككم في العذاب فلن يحمل شركاؤكم عنكم شيئاً من عذابكم.

﴿٤٠﴾ إن هؤلاء ضُفُّ من سماع الحق، غُمِّي عن إبصاره، أفانت - أيها

وَلَبِیُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَرُحْرُقَ أَوْانٌ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَنْظُرْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنبَسُ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَأَمَّا نَذَبْنِ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ لَرَبِّنَا الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

٤٩٢

الرسول - تستطيع إسماع الصم، أو هداية العمي، أو هداية من كان في ضلال واضح عن الطريق المستقيم؟!

﴿٤١﴾ فإن ذهبنا بك - بأن أمثالك قبل أن نعذبهم - فإننا منتقمون منهم بتعذيبهم في الدنيا والآخرة.

﴿٤٢﴾ أو نرينك بعض ما نعدهم من العذاب، فإننا عليهم مقتدرون، لا يستطيعون مغالبتنا في شيء.

﴿٤٣﴾ فتمسك - أيها الرسول - بما أوحى إليك ربك، واعمل به، إنك على طريق حق لا كبس فيه.

﴿٤٤﴾ وإن هذا القرآن لشرف لك، وشرف لقومك، وسوف تسألون يوم القيامة عن الإيمان به، واتباع هديه، والدعوة إليه.

﴿٤٥﴾ واسأل - أيها الرسول - من بعثنا من قبلك من الرسل: أجعلنا من دون الرحمن معبودات تُعبد؟!

﴿٤٦﴾ ولقد بعثنا موسى بآياتنا إلى فرعون والأشرف من قومه فقال لهم: إني رسول رب المخلوقات كلها.

﴿٤٧﴾ فلما جاءهم بآياتنا صاروا منها يضحكون؛ سخرية واستهزاء.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• خطر الإعراض عن القرآن.

• القرآن شرف لرسول الله ﷺ ولأمته.

• اتفاق الرسالات كلها على نيل الشرك.

• السخرية من الحق صفة من صفات الكفر.

وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الدَّجَالُ لَنَا رَبُّكَ بِمَا عَمِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْتَبِهُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورُ آلِيسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَٰذِهِ آلُتْهُمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مِثْلُي وَلَا يُكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ وَجَعَلْنَا هُمُ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا أَلِٰهِنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

٤٩٣

﴿٤٨﴾ وما نري فرعون والأشرف من قومه من حجة على صحة ما جاء به موسى ﷺ إلا كانت أعظم من الحجة التي قبلها، وأخذناهم بالعذاب في الدنيا؛ رجاء أن يرجعوا عما هم عليه من الكفر، ولكن دونما فائدة.

﴿٤٩﴾ فقالوا لما نالهم بعض العذاب لموسى ﷺ: يا أيها الساحر، ادع لنا ربك بما ذكر لك من كشف العذاب إن آمنا، إنا لمهتدون إليه إن كشفه عنا.

﴿٥٠﴾ فلما صرفنا عنهم العذاب إذا هم ينقضون عهدهم، ولا يفون به.

﴿٥١﴾ ونادى فرعون في قومه قائلاً في تبجح بملكه: يا قوم، أليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار من النيل تجري تحت قصوري؟ أفلا تبصرون ملكي وتعرفون عظمتي؟

﴿٥٢﴾ فأنا خير من موسى الطريد الضعيف الذي لا يحسن الكلام.

﴿٥٣﴾ فهلاً ألقى الله الذي أرسله أسورة من ذهب عليه؛ لتبين أنه رسوله، أو جاء معه الملائكة يتبع بعضهم بعضاً.

﴿٥٤﴾ فأغرى فرعون قومه، فأطاعوه في ضلاله، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله.

﴿٥٥﴾ فلما أغضبونا باستمرارهم على الكفر انتقمنا منهم، فأغرقناهم كلهم.

﴿٥٦﴾ فصيرنا فرعون وملائه مقدمة يتقدمون للناس وكفار قومك لهم بالأثر، وصيرناهم عبرة لمن يعتبر؛ لئلا يعمل بعملهم فيصيبه ما أصابهم.

﴿٥٧﴾ ولما حسب المشركون أن عيسى الذي عبده النصارى داخل في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرَدُّوكُمْ﴾ ﴿٩٨﴾ وقد نهى الله عن عبادته كما نهى عن عبادة الأصنام إذا قومك - أيها الرسول - يضيئون ويصخبون في الخصومة قائلين: رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى، فأنزل الله رداً عليهم: ﴿إِنَّ الَّذِيكَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْبَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَذَّوْنَ﴾ ﴿١٠٠﴾.

﴿٥٨﴾ وقالوا: أمعبوداتنا خير أم عيسى؟! ما ضرب لك ابن الرُّبْعَرَى وأمثاله هذا المثل حباً للتوصل إلى الحق، ولكن حباً للجدل، فهم قوم مجبولون على الخصومة.

﴿٥٩﴾ ما عيسى بن مريم إلا عبد من عباد الله أنعمنا عليه بالنبوة والرسالة، وصيرناه مثلاً لبني إسرائيل يستدلون به على قدرة الله حين خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أبوين.

﴿٦٠﴾ ولو نشاء إهلاككم - يا بني آدم - لأهلكناكم، وجعلنا بذككم ملائكة يخلفونكم في الأرض، يعبدون الله لا يشركون به شيئاً.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ

- نَكَّتِ الْعُيُودَ مِنْ صِفَاتِ الْكُفَّارِ.
- الْفَاسِقُ خَفِيفُ الْعَقْلِ يَسْتَخَفُّهُ مَنْ أَرَادَ اسْتِخْفَافَهُ.
- غَضِبَ اللَّهُ يَوْجِبُ الْخُسْرَانَ.
- أَهْلُ الضَّلَالِ يَسْمَعُونَ إِلَى تَحْرِيفِ دَلَالَاتِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ حَسَبَ أَهْوَائِهِمْ.

وَأَنَّهُ وَلِعِلَّكُمْ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْنَ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأَيِّنْ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٣﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٦٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ يَعْبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٩﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٠﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾

٤٩٤

﴿٦١﴾ وإن عيسى لعلامة من علامات الساعة الكبرى حين ينزل آخر الزمان، فلا تشكوا أن الساعة واقعة، واتبعوني فيما جئتكم به من عند الله، هذا الذي جئتكم به هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

﴿٦٢﴾ ولا يصرفنكم الشيطان عن الصراط المستقيم بإغوائه وإغرائه، إنه لكم عدو بين العداوة.

﴿٦٣﴾ ولما جاء عيسى ﷺ قومه بالأدلة الواضحة على أنه رسول، قال لهم: قد جئتكم من عند الله بالحكمة، ولأوضح لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور دينكم، فاتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه.

﴿٦٤﴾ إن الله هو ربي وربكم، لا رب لنا غيره، فأخلصوا له وحده العبادة، وهذا التوحيد هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

﴿٦٥﴾ فاختلفت طوائف النصارى في شأن عيسى؛ فمنهم من يقول: هو إله، ومن يقول: هو ابن الله، ومنهم من يقول: هو وأمه إلهان، فويل للذين ظلموا أنفسهم - بما وصفوا به عيسى من الألوهية، أو البُتُوَّة، أو أنه ثالث ثلاثة - من عذاب موجه ينتظرهم يوم القيامة.

﴿٦٦﴾ هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في شأن عيسى إلا الساعة

أن تأتيهم فجأة وهم لا يحسبون ليأتيناها؟! فإن جاءتهم وهم على كفرهم فإن مصيرهم العذاب الموجه.

﴿٦٧﴾ المتخالون والمتصادقون على الكفر والضلال بعضهم لبعض أعداء يوم القيامة إلا المتقين لله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، فخلتكم دائرة لا تنقطع.

﴿٦٨﴾ ويقول لهم الله: يا عبادي، لا خوف عليكم اليوم فيما تستقبلونه، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

﴿٦٩﴾ الذين آمنوا بالقرآن المنزل على رسولهم، وكانوا متقادين للقرآن؛ يأتمرون بأوامره، ويتهون عن نواهيه.

﴿٧٠﴾ ادخلوا الجنة أنتم وأمثالكم في الإيمان، تسرون بما تلفونه من النعيم المقيم الذي لا ينفد ولا ينقطع.

﴿٧١﴾ يطوف عليهم خدامهم بآنية من ذهب وبأكواب لا غرأ لها، وفي الجنة ما تشتهيهِ الأنفس، وتلذذ الأعين برويته، وأنتم فيها ماكنون، لا تخرجون منها أبداً.

﴿٧٢﴾ تلك الجنة التي وصفت لكم هي التي أورثكم الله إياها بأعمالكم فضلاً منه.

﴿٧٣﴾ لكم فيها فاكهة كثيرة لا تنقطع، منها تأكلون.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- نزول عيسى من علامات الساعة الكبرى.
- انقطاع حُلَّةِ الفساق يوم القيامة، ودوام حُلَّةِ المتقين.
- بشارة الله للمؤمنين وتطمينه لهم عما خلفوا وراءهم من الدنيا وعما يستقبلونه في الآخرة.

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٥﴾ لَا يَفْتَرِعْنَهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَىٰ أَيْمَانُكَ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّا هَنَّا قَوْمٌ لَا يَوْمُنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

٤٩٥

ولما ذكر الله جزاء المتقين ذكر جزاء من هم ضدهم وهم المجرمون فقال: ﴿٧٥﴾ إن المجرمين بالكفر والمعاصي في عذاب جهنم يوم القيامة ما كانوا فيه أبدًا. ﴿٧٥﴾ لا يُخَفِّفُ عنهم العذاب، وهم فيه آيسون من رحمة الله. ﴿٧٦﴾ وما ظلمناهم حين أدخلناهم النار، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم بالكفر. ﴿٧٧﴾ ونادوا خازن النار مالكًا قائلين: يا مالك، ليُثَبِّتْنا ربك فنستريح من العذاب، فيجيبهم مالك بقوله: إنكم ما كنتم في العذاب دائمين لا تموتون، ولا ينقطع عنكم العذاب. ﴿٧٨﴾ لقد جئناكم في الدنيا بالحق الذي لا مِرَّةَ فيه، ولكن معظمكم للحق كارهون. ﴿٧٩﴾ فإن مكروا بالنبي ﷺ وأعدوا له كيدًا فإننا مُحْكِمُونَ لهم تدبيرًا يفوق كيدهم. ﴿٨٠﴾ أم يظنون أنا لا نسمع سرهم الذي أضمره في قلوبهم، أو سرهم الذي يتناجون به خفية، بلَىٰ إنا نسمع ذلك كله، والملائكة لديهم يكتبون كل ما عملوه. ﴿٨١﴾ قل - أيها الرسول - للذين ينسبون البنات لله، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا: ما كان لله ولد؛ تنزه عن ذلك وتقدس، فإنا أول العابدين لله تعالى المتهزئين له.

﴿٨١﴾ تنزه رب السماوات والأرض ورب العرش عما يقوله هؤلاء المشركون من نسبة الشريك والصاحبة والولد إليه. ﴿٨٢﴾ فانركهم - أيها الرسول - يخوضوا فيما هم عليه من الباطل، ويلعبوا، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون، وهو يوم القيامة. ﴿٨٣﴾ وهو سبحانه المعبود في السماء بحق، وهو المعبود في الأرض بحق، وهو الحكيم في خلقه وتقديره وتدبيره، العليم بأحوال عباده، لا يخفى عليه منها شيء. ﴿٨٤﴾ وتزايد خير الله وبركته سبحانه، الذي له وحده ملك السماوات وملك الأرض وملك ما بينهما، وعنده وحده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، لا يعلمها غيره، وإليه وحده ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء. ﴿٨٥﴾ ولا يملك الذين يعبدونهم المشركون من دون الله الشفاعة عند الله، إلا من شهد أن لا إله إلا الله، وهو يعلم ما شهد به؛ مثل عيسى وعزير والملائكة. ﴿٨٦﴾ ولئن سألتهم: من خلقهم؟ ليقولنَّ: خلقنا الله، فكيف يُصَرِّفون عن عبادته بعد هذا الاعتراف؟! ﴿٨٧﴾ وعنده سبحانه علم شكوى رسوله من تكذيب قومه، وقوله فيها: يا رب، إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم. ﴿٨٨﴾ فأعرض عنهم، وقل لهم ما تدفع به شرهم - وكان هذا في مكة - فسوف يعلمون ما يلاقونه من العقاب.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

• كراهة الحق خطر عظيم. • مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد حين. • كلما ازداد علم العبد بربه، ازداد ثقة بربه وتسليمًا لشرعه. • اختصاص الله بعلم وقت الساعة.

سورة الشحان

مكية

سورة الشحان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ٣
 إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٤ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ كَرِيمٍ ٥ أَمَّا
 مَنْ عِنْدَنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٦ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٧ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٨
 إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٩ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
 وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ١٠ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ١١
 فَأَرْسَلْنَا يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ١٢ يَعْشَى النَّاسُ
 هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٣ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٤
 أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ١٥ ثُمَّ
 تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ١٦ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا
 إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ١٧ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٨
 وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ١٩
 أَنْ أَدْوَأْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ رَسُولًا أَمِينًا ٢٠

٤٩٦

• من مقاصد السورة:
 الإنذار بالعذاب المرتقب، من خلال
 تخويف المكذبين من عذاب الدنيا
 والآخرة.

• التفسير:
 ١ حم ٢ تقدم الكلام على نظائرها
 في بداية سورة البقرة.

٣ أقسم الله بالقرآن الموضح لطريق
 الهداية إلى الحق.

٤ إنا أنزلنا القرآن في ليلة القدر،
 وهي ليلة كثيرة الخيرات، إنا كنا
 مخوفين بهذا القرآن.

٥ في هذه الليلة يفصل كل أمر
 محكم يتعلق بالأزاق والأجال
 وغيرهما مما يحدثه الله تلك السنة.

٦ تفصل كل أمر محكم من عندنا،
 إنا كنا باعئين الرسل.

٧ نبعث الرسل رحمة من ربك - أيها
 الرسول - لمن أرسلوا إليهم، إنه
 سبحانه هو السميع لأقوال عباده،
 العليم بأفعالهم ونياتهم، لا يخفى عليه
 شيء من ذلك.

٨ رب السماوات ورب الأرض
 ورب ما بينهما إن كنتم موقنين بذلك
 فآمنوا برسولي.

٩ لا معبود بحق غيره، يحيي
 ويميت، لا محيي ولا مميت غيره،
 ربكم ورب آبائكم المتقدمين.

١٠ ليس هؤلاء المشركون بموقنين بذلك، بل هم في شك منه يلهون عنه بما هم فيه من الباطل.
 ١١ فانظر - أيها الرسول - عذاب قومك القريب يوم تأتي السماء بدخان واضح يروونه بأعينهم من شدة الوجع.
 ١٢ يعم قومك، ويقال لهم: هذا العذاب الذي أصابكم عذاب موجه.
 ١٣ فيتضرعون إلى ربهم سائلين: ربنا اصرف عنا العذاب الذي أرسلته علينا، إنا مؤمنون بك وبرسولك إن صرفته عنا.

١٤ كيف لهم أن يذكروا وينبؤا إلى ربهم وقد جاءهم رسول بين الرسالة، وعرفوا صدقه وأمانته؟!
 ١٥ ثم أعرضوا عن التصديق به، وقالوا عنه: هو معلم يعلمه غيره وليس برسول، وقالوا عنه: هو مجنون.
 ١٦ إنا حين نصرف عنكم العذاب قليلاً، إنكم عائدون إلى كفركم وتكذيبكم.
 ١٧ وانتظرهم - أيها الرسول - يوم نبطش بكفار قومك البطشة الكبرى يوم بدر، إنا منتقمون منهم لكفرهم بالله
 وتكذيبهم رسوله.

١٨ ولقد اختبرنا قبلهم قوم فرعون، وجاءهم رسول من الله كريم يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، وهو
 موسى عليه السلام.

١٩ قال موسى لفرعون وقومه: اتركوا لي بني إسرائيل، فهم عباد الله، ليس لكم حق أن تستعبدوهم، إني لكم
 رسول من الله، أمين على ما أمرني أن أبلغكم، لا أنقص منه شيئاً ولا أزيده.

• من فوائد الآيات:
 • نزول القرآن في ليلة القدر التي هي كثيرة الخيرات دلالة على عظم قدره. • بعثة الرسل ونزول القرآن من مظاهر
 رحمة الله بعباده. • رسالات الأنبياء تحرير للمستضعفين من قبضة المتكبرين.

وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣١﴾ وَإِنِّي عَذْتُ
 بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٣٢﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴿٣٣﴾
 فَدَعَا رَبَّهُ وَأَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَسْرِعْ بَعَادِي لِئَلَّا أَكْفُرَ
 مُتَّبِعُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَتْرُكَ الْبَحْرَ هَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرِفُونَ ﴿٣٦﴾ كَمْ
 تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٣٧﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٣٨﴾ وَنَعْمَةٍ
 كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٣٩﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٤٠﴾ فَمَا
 بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ
 نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٤٢﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
 كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ أَخَّرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمِنَا عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٤٥﴾
 إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٤٦﴾ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
 بِمُنْشَرِينَ ﴿٤٧﴾ فَأَنؤُا بِكَ آيَاتِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ أَهْمُ
 خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
 مُجْرِمِينَ ﴿٤٩﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَئِبِلِينَ
 ﴿٥٠﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾

٤٩٧

﴿٣١﴾ وألا تتكبروا على الله بترك عبادته، والاستعلاء على عباده، إني آتيكم بحجة واضحة.

﴿٣٢﴾ وإني اعتصمت بربي وربكم من أن تقتلوني بالرجم بالحجارة.

﴿٣٣﴾ وإن لم تصدقوا بما جئت به فاعزلوني، ولا تقربوني بسوء.

﴿٣٤﴾ فدعا موسى ﷺ ربه: أن هؤلاء القوم - فرعون وملاؤه - قوم مجرمون يستحقون تعجيل العقاب.

﴿٣٥﴾ فأمر الله موسى أن يسري بقومه ليلاً، وأخبره أن فرعون وقومه سينبئونهم.

﴿٣٦﴾ وأمره إذا اجتاز البحر هو وبني إسرائيل أن يتركه ساكناً كما كان، إن فرعون وجنده مهلكون بالغرق في البحر.

﴿٣٧﴾ كم خلف فرعون وقومه وراءهم من بساتين وعيون جارية!

﴿٣٨﴾ وكم خلفوا وراءهم من زروع ومجلس حسن!

﴿٣٩﴾ وكم خلفوا وراءهم من عيشة كانوا فيها متنعمين!

﴿٤٠﴾ هكذا حدث لهم ما وُصف لكم، وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم قوماً آخرين هم بنو إسرائيل.

﴿٤١﴾ فما بكّت على فرعون وقومه السماء والأرض حين غرقوا، وما كانوا مُنْهَلِينَ حتى يتوبوا.

﴿٤٢﴾ ولقد أنقذنا بني إسرائيل من العذاب المُذِل، حيث كان فرعون وقومه يقتلون أبناءهم، ويستحيون نساءهم.

﴿٤٣﴾ أنقذناهم من عذاب فرعون، إنه كان مستكبراً من المتجاوزين لأمر الله ودينه.

﴿٤٤﴾ ولقد اخترنا بني إسرائيل على علم منا على عالمي زمانهم لكثرة أنبيائهم.

﴿٤٥﴾ وأعطيناهم من الدلائل والبراهين التي أيدنا بها موسى ما فيه نعمة ظاهرة لهم كالمن والسلوى وغيرهما.

﴿٤٦﴾ إن هؤلاء المشركين المكذبين ليقولون منكبين للبعث:

﴿٤٧﴾ ما هي إلا موتتنا الأولى فلا حياة بعدها، وما نحن بمبعوثين بعد هذه الموتة.

﴿٤٨﴾ فأت يا محمد - أنت ومن معك من أتباعك بآبائنا الذين ماتوا أحياء إن كنتم صادقين فيما تدعونه من أن الله يبعث الموتى أحياء للحساب والجزاء.

﴿٤٩﴾ أهؤلاء المشركون المكذبون بك - أيها الرسول - خير في القوة والمنعة، أم قوم تُبَّع والذين من قبلهم مثل عاد وثمود، أهلكناهم جميعاً، إنهم كانوا مجرمين.

﴿٥٠﴾ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لآعين بخلقها.

﴿٥١﴾ ما خلقنا السماوات والأرض إلا لحكمة بالغة، ولكن معظم المشركين لا يعلمون ذلك.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ •

- وجوب لجوء المؤمن إلى ربه أن يحفظه من كيد عدوه.
- مشروعية الدعاء على الكفار عندما لا يستجيبون للدعوة، وعندما يحاربون أهلها. • الكون لا يحزن لموت الكافر لهوانه على الله. • خلق السماوات والأرض لحكمة بالغة يجهلها الملحدون.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى
عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ
الْأَلِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ
الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَكْسِبُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَلِكَ وَرَوَّجْتَهُمْ بَحُورَيْنِ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَلَكْهَةٍ أَمِينٍ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا
الْمَوْتَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِنْ
رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الْحَاشِيَةِ

٢٧ آيات

١٥ آيات

٤٩٨

﴿٤٠﴾ إن يوم القيامة الذي يفصل الله به
بين العباد ميعاد للخلائق جميعًا
يجمعهم الله فيه .
﴿٤١﴾ يوم لا ينفع قريب قريبه، ولا
صديق صديقه، ولا هم يمتعون من
عذاب الله؛ لأن الملك يومئذ الله، لا
أحد يستطيع ادعاءه .
﴿٤٢﴾ إلا من رحمه الله من الناس، فإنه
ينتفع بما قدم من عمل صالح، إن الله
هو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الرحيم
بمن تاب من عباده .
ولما ذكر الله القيامة ذكر افتراق الناس
فيها حسب الجزاء، فقال:
﴿٤٣﴾ إن شجرة الزقوم التي أنبتها الله
في أصل الجحيم .
﴿٤٤﴾ طعام ذي الإنم العظيم وهو
الكافر يأكل من ثمرها الخيث .
﴿٤٥﴾ هذا الثمر مثل الزيت الأسود،
يغلي في بطونهم من شدة حرارته .
﴿٤٦﴾ كغلي الماء المتناهي في الحرارة .
﴿٤٧﴾ ويقال لزبانية النار: خذوه فجزوه
بعنف وغلظة إلى وسط الجحيم .
﴿٤٨﴾ ثم صبوا فوق رأس هذا المُعَذَّب
الماء الحار فلا يفارقه العذاب .
﴿٤٩﴾ ويقال له تهكمًا: ذق هذا العذاب
الآليم؛ إنك أنت العزيز الذي لا يُضام
جناحك الكريم في قومك .
﴿٥٠﴾ إن هذا العذاب هو الذي كنتم
تشكون في وقوعه يوم القيامة، فقد
زال عنكم الشك بمعابته .

﴿٥١﴾ إن المتقين لربهم بامثال أوامرهم واجتناب نواهيهم في موضع إقامة آمنون من كل مكروه يصيبهم .
﴿٥٢﴾ في بساتين وعيون جارية .
﴿٥٣﴾ يلبسون في الجنة رقيق الديباج وغلظه، يقابل بعضهم بعضًا، ولا ينظر أحدهم قفا الآخر .
﴿٥٤﴾ كما أكرمناهم بذلك المذكور زوجناهم في الجنة بالحسان من النساء واسعات الأعين مع شدة بياض بياضها
وشدة سواد سوادها .
﴿٥٥﴾ يدعون خدمهم فيها ليأتوهم بكل فاكهة أرادوها آمين من انقطاعها، ومن مضارها .
﴿٥٦﴾ خالدين فيها، لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى في الحياة الدنيا، ووقاهم ربهم عذاب النار .
﴿٥٧﴾ فضلاً وإحساناً من ربك بهم، ذلك المذكور - من إدخالهم الجنة، ووقايتهم من النار - هو الفوز العظيم الذي
لا يدانيه فوز .
﴿٥٨﴾ فإنما يسرنا هذا القرآن وسهّلناه بإنزاله بلسانك العربي - أيها الرسول - لعلهم يتعظون .
﴿٥٩﴾ فانتظر نصرك وهلاكهم، إنهم منتظرون هلاكك .

• من قوائد الآيات:

- الجمع بين العذاب الجسمي والنفسي للكافر .
- الفوز العظيم هو النجاة من النار ودخول الجنة .
- تيسير الله لفظ القرآن ومعانيه لعباده .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَخِتَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ۝ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ۝ نَلَاكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ قِبَآئِي حَدِيثٌ بَعْدَ
اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَقِيلَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ آيَاتِ
اللَّهِ تَتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
۝ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَ هَٰزُؤًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ۝ مِّنْ وَرَآيِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۝ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ هَٰذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٍ ۝
* اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ ۝ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝

٤٩٩

وبحججه، فبأي حديث بعده يؤمنون، وبأي حجج بعده يصدقون؟! ۝ عذاب من الله وهلاك لكل كذاب كثير الأثام. ۝ يسمع هذا الكافر آيات الله في القرآن تقرأ عليه، ثم يستمر على ما كان عليه من الكفر والمعاصي؛ متعالياً في نفسه عن اتباع الحق، كأنه لم يسمع تلك الآيات المقروءة عليه، فأخبره - أيها الرسول - بما يسوؤه في آخرته، وهو عذاب موجه ينتظره فيها. ۝ وإذا بلغه شيء من القرآن اتخذهُ سخريه يسخر منه، أولئك المتصفون بصفة السخريه من القرآن لهم عذاب مذل يوم القيامة.

۝ من أمامهم نار جهنم تنظرهم في الآخرة، ولا يغني عنهم ما كسبوا من الأموال من الله شيئاً، ولا يدفع عنهم شيئاً ما اتخذوه من دونه من الأصنام التي يعبدونها من دونه، ولهم يوم القيامة عذاب عظيم. ۝ هذا الكتاب الذي أنزلناه على رسولنا محمد هاد إلى طريق الحق، والذين كفروا بآيات ربهم المنزل على رسوله لهم عذاب سيئ موجه.

۝ الله وحده هو الذي سخر لكم - أيها الناس - البحر لتجري السفن فيه بأمره، ولتطلبوا من فضله بأنواع المكاسب المباحة، ولعلكم تشكرون نعمة الله عليكم.

۝ وسخر لكم سبحانه ما في السماوات من شمس وقمر ونجوم، وما في الأرض من أنهار وأشجار وجبال وغيرها، إن في تسخير ذلك لكم لدلائل على قدرة الله ووحدانيته، لقوم يتفكرون في آياته، فيعتبرون بها.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• الكذب والإصرار على الذنب والكبر والاستهزاء بآيات الله: صفات أهل الضلال، وقد توعد الله المتصف بها.
• نعم الله على عباده كثيرة، ومنها تسخير ما في الكون لهم. • النعم تقتضي من العباد شكر المعبود الذي منحهم إياها.

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوحِ:

معالجة أصحاب الهوى المستكبرين عن الحق، من خلال عرض الآيات والتذكير بالآخرة.

• التفسير:

① ﴿حَمْدٌ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

② تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وقدره وتدبيره.

③ إن في السماوات والأرض لدلائل على قدرة الله ووحدانيته للمؤمنين؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات.

④ وفي خلقكم - أيها الناس - من نطفة، ثم من مضغة، ثم من علققة، وفي خلق ما يبشه الله من دابة تدب على وجه الأرض دلائل على وحدانيته لقوم يوقنون بأن الله هو الخالق.

⑤ وفي تعاقب الليل والنهار، وفيما أنزل الله من السماء من المطر فأحيا به الأرض بإنباتها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها، وفي تصريف الرياح بالإتيان بها مرة من جهة، ومرة من أخرى لمنافعكم؛ دلائل لقوم يعقلون، فيستدلون بها على وحدانية الله وقدرته على البعث، وقدرته على كل شيء.

⑥ هذه الآيات والبراهين نتلوها عليكم - أيها الرسول - بالحق، فإن لم يؤمنوا بحديث الله المنزل على عبده

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ يَسِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٢﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٣﴾

٥٠٠

﴿١٥﴾ قل - أيها الرسول - للذين آمنوا بالله، وصدقوا رسوله: تجاوزوا عمن أساء إليكم من الكفار الذين لا يبالون بنعم الله أو نقمه، فإن الله سيجزي كلًّا من المؤمنين الصابرين، والكفار المعتدين، بما كانوا يكسبون من الأعمال في الدنيا.

﴿١٦﴾ من عمل عملاً صالحاً فنتيجة عمله الصالح له، والله غني عن عمله، ومن أساء عمله فنتيجة عمله السيئ عقابه عليه، والله لا تضره إساءته، ثم إلينا وحدنا ترجعون في الآخرة لنجازي كلًّا بما يستحقه.

﴿١٧﴾ ولقد أعطينا بني إسرائيل التوراة والفصل بين الناس بحكمها، وجعلنا معظم الأنبياء منهم من ذرية إبراهيم ﷺ، ورزقناهم من أنواع الطيبات، وفضلناهم على عالمي زمانهم.

﴿١٨﴾ وأعطيناهم دلائل توضح الحق من الباطل، فما اختلفوا إلا من بعد ما قامت عليهم الحجج ببيعة نبينا محمد ﷺ، وما جرهم إلى هذا الاختلاف إلا بني بعضهم على بعض حرصاً على الرئاسة والجاه، إن ربك - أيها الرسول - يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا، فيبين من كان محققاً، ومن كان مبطلاً.

﴿١٩﴾ ثم جعلناك على طريقة وسنة

ومناهج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا تدعو إلى الإيمان والعمل الصالح، فاتبع هذه الشريعة، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون الحق؛ فأهواؤهم مضلة عن الحق.

﴿٢٠﴾ إن الذين لا يعلمون الحق لن يكفوا عنك من عذاب الله شيئاً إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين من جميع الملئك والتخل بعضهم ناصر بعض، ومؤيده على المؤمنين، والله ناصر المتقين له بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٢١﴾ هذا القرآن المنزل على رسولنا بصائر يبصر بها الناس الحق من الباطل، وهداية إلى الحق، ورحمة لقوم يوقنون؛ لأنهم هم الذين يهتدون به إلى الصراط المستقيم ليرضى عنهم ربهم، فيدخلهم الجنة، ويزحزحهم عن النار.

﴿٢٢﴾ هل يظن الذين اكتسبوا بجوارحهم الكفر والمعاصي أن نجعلهم في الجزاء مثل الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، بحيث يستون في الدنيا والآخرة؟! قبح حكمهم هذا.

﴿٢٣﴾ وخلق الله السماوات والأرض لحكمة بالغة، ولم يخلقهما عبثاً، ولتجزي كل نفس بما كسبته من خير أو شر، والله لا يظلمهم بنقص في حسناتهم، ولا زيادة في سيئاتهم.

﴿٢٤﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- العفو والتجاوز عن الظالم إذا لم يُظهر الفساد في الأرض، وَيَعْتَدِ على حدود الله؛ خلق فاضل أمر الله به المؤمنين إن غلب على ظنهم العاقبة الحسنة.
- وجوب اتباع الشرع والبعد عن اتباع أهواء البشر.
- كما لا يستوي المؤمنون والكافرون في الصفات، فلا يستون في الجزاء.
- خلق الله السماوات وفق حكمة بالغة يجهلها الماديون الملحدون.

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمِهِ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ
وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاةً فَنَ يَبْصُرُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَفَلَا يَذْكُرُونَ ﴿٣٦﴾
وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا اللَّهُ هُوَ وَمَا لَهُمْ
بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٣٧﴾ وَإِذْ أَتَى عَلَى
عَالِيهِمْ عِلْمُهُمْ بِبَيْتِكُمْ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَابَنَا إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٠﴾
وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَانِثَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كَيْبِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٤٣﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِي تَتْلَى عَلَيْهِمْ فَاَسْتَكْبَرُوا وَكُنْتُمْ قَوْمًا
مُجْرِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا
قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٤٥﴾

٥٠١

﴿٣٦﴾ انظر - أيها الرسول - إلى من اتبع هواه وجعله بمنزلة المعبود له الذي لا يخالفه، فقد أضله الله على علم منه؛ لأنه يستحق الإضلال، وختم على قلبه فلا يسمع سماعًا ينتفع به، وجعل الله على بصره غطاء يمنع من إِبصار الحق، فمن الذي يوفقه للحق بعد أن أضله الله؟! أفلا تتذكرون ضرر اتباع الهوى، ونفع اتباع شرع الله؟!

﴿٣٧﴾ وقال الكافرون المنكرون للبعث: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا هذه فقط، فلا حياة بعدها، تموت أجيال فلا تعود وتحيا أجيال، وما يميتنا إلا تعاقب الليل والنهار، وليس لهم على إنكارهم للبعث من علم، إن هم إلا يظنون، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا.

﴿٣٨﴾ وإذا تقرأ على المشركين المنكرين للبعث آياتنا واضحات ما كان لهم من حجة يحتجون بها إلا قولهم للرسول ﷺ وأصحابه: أحيوا لنا آباءنا الذين ماتوا إن كنتم صادقين في دعوى أننا نبعث بعد موتنا.

﴿٣٩﴾ قل لهم - أيها الرسول -: الله يحييكم بخلفكم ثم يميتكم، ثم يجمعكم بعد موتكم إلى يوم القيامة للحساب والجزاء، ذلك اليوم الذي لا شك فيه أنه آتٍ، ولكن معظم الناس لا يعلمون؛ لذلك لا يستعدون له بالعمل الصالح.

﴿٤٠﴾ والله وحده ملك السماوات وملك الأرض، فلا يُعبد بحق غيره فيهما، ويوم تقوم الساعة التي يبعث الله فيها الموتى للحساب والجزاء يخسر أصحاب الباطل الذين كانوا يعبدون غير الله، ويسعون لإبطال الحق، وإحقاق الباطل.

﴿٤١﴾ وترى - أيها الرسول - في ذلك اليوم كل أمة باركة على ركبها تنتظر ما يفعل بها، كل أمة تدعى إلى كتاب أعمالها الذي كتبه الحفظة من الملائكة، اليوم تجزون - أيها الناس - ما كنتم تعملون في الدنيا من خير وشر.

﴿٤٢﴾ هذا كتابنا - الذي كانت ملائكتنا تكتب فيه أعمالكم - يشهد عليكم بالحق فأقرؤوه، إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب ما كنتم تعملون في الدنيا.

﴿٤٣﴾ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم سبحانه في جنته برحمته؛ ذلك الجزاء الذي أعطاهم الله إياه هو الفوز الواضح الذي لا يدانيه فوز.

﴿٤٤﴾ وأما الذين كفروا بالله فيقال لهم تَبَيَّنَّا لهم: ألم تكن آياتي تقرأ عليكم فتعاليتم على الإيمان بها، وكنتم قَوْمًا مجرمين، تكسون الكفر والأثام؟!

﴿٤٥﴾ وإذا قيل لكم: إن وعد الله - الذي وعد به عباده أنه سيبعثهم ويجازيهم - حق لا مَرِيَةَ فيه، والساعة حق لا شك فيها فاعملوا لها، قلتم: ما ندري ما هذه الساعة، إن نظن إلا ظنًّا ضعيفًا أنها آتية، وما نحن بمستيقنين أنها ستأتي.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• اتباع الهوى يهلك صاحبه، ويحجب عنه أسباب التوفيق.

• هول يوم القيامة.

• الظن لا يغني من الحق شيئًا، خاصة في مجال الاعتقاد.

﴿٣٣﴾ وظهر لهم سيئات ما عملوه في الدنيا من الكفر والمعاصي، ونزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به عندما يُحذرون منه.

﴿٣٤﴾ وقال لهم الله: اليوم نترككم في النار كما أنكم نسيتم لقاء يومكم هذا وما أولئك المارون فلم تستعدوا له بالإيمان والعمل الصالح، ومستقركم الذي تأوون إليه هو النار، وليس لكم من ناصرين يدفعون عنكم عذاب الله.

﴿٣٥﴾ ذلكم العذاب الذي عذبتم به بسبب أنكم اتخذتم آيات الله هزواً تسخرون منها، وخدعتمكم الحياة بلذاتها وشهواتها، فاليوم لا يخرج هؤلاء الكفار المستهزئون بآيات الله من النار، بل يقون فيها خالدين أبداً، ولا يردون إلى الحياة الدنيا ليعملوا عملاً صالحاً، ولا يرضى عنهم ربهم.

﴿٣٦﴾ فله وحده الحمد، رب السماوات ورب الأرض، ورب جميع المخلوقات. وله الجلال والعظمة في السماوات وفي الأرض، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وتدبيره وشرعه.

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

— مكية —

﴿٣٧﴾ من مقاصد السورة: إقامة الحجة على المكذبين وإنذارهم بالعذاب، ولذا تكرر فيها لفظ الإنذار.

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَا وَلَكُمْ مِنَ النَّارِ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَتَّخِذُونَ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَنْتَكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَوِّى بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفُولُونَ ﴿٥﴾

٥٠٢

التفسير:

- ﴿١﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.
- ﴿٢﴾ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وشرعه.
- ﴿٣﴾ ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما عبثاً، بل خلقنا ذلك كله بالحق لحكم بالغة، منها أن يعرفه العباد من خلalها فيعبده وحده، ولا يشركوا به شيئاً، وليقوموا بمقتضيات استخلافهم في الأرض إلى أمد محدد يعلمه الله وحده، والذين كفروا بالله معرضون عما أُنذروا به في كتاب الله، لا يبالون به.
- ﴿٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المعرضين عن الحق: أخبروني عن أصنامكم التي تعبدونها من دون الله ماذا خلقوا من أجزاء الأرض؟ هل خلقوا جبلاً؟ هل خلقوا نهراً؟ أم لهم شرك ونصيب مع الله في خلق السماوات؟ جيئوني بكتاب منزل من عند الله من قبل القرآن، أو ببقية علم مما تركه الأولون إن كنتم صادقين في دعواكم أن أصنامكم تستحق العبادة.
- ﴿٥﴾ ولا أحد أضلُّ ممن يعبد من دون الله صنماً لا يستجيب لدعائه إلى يوم القيامة، وهذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله غافلة عن دعاء عبّادها لها؛ فضلاً أن تنفعهم أو تضرهم.

• من قوايد الآيات:

- الاستهزاء بآيات الله كفر.
- خطر الاغترار بلذات الدنيا وشهواتها.
- ثبوت صفة الكبرياء لله تعالى.
- إجابة الدعاء من أظهر أدلة وجود الله ﷻ واستحقاقه العبادة.

﴿٦﴾ ومع كونها لا تنفعهم في الدنيا فإنهم إذا حُشِرُوا يوم القيامة يكونون أعداء لمن كانوا يعبدونهم، ويثبرون منهم، وينكرون أنهم كانوا على علم بعبادتهم إياهم.

﴿٧﴾ وإذا تُقِرُّوا عليهم آياتنا المنزلة على رسولنا قال الذين كفروا للقرآن لما جاءهم على يد رسولهم: هذا سحر واضح، وليس وحياً من الله.

﴿٨﴾ هل يقول هؤلاء المشركون: إن محمداً اختلق هذا القرآن، ونسبه إلى الله؟! قل لهم - أيها الرسول -: إن اختلقته من تلقاء نفسي فلا تملكون لي حيلة إن أراد الله أن يعذبني، فكيف أعرض نفسي للعذاب بالاختلاق عليه؟! الله أعلم بما تخوضون فيه من الطعن في قرآنه والقدح في، كفى به سبحانه شهيداً بيني وبينكم، وهو الغفور لذنوب من تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين بنبوتك: ما كنت أول رسول يبعثه الله فتستغربوا دعوتي لكم، فقد سبقني رسل كثيرون، ولا أعلم ما يفعله الله بي، ولا ما يفعله بكم في الدنيا، إن أتبع إلا ما يوحى الله إليّ، فلا أقول ولا أفعل إلا وفق ما يوحى به، وما أنا إلا نذير أندركم عذاب الله، بين النذارة.

﴿١٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء

المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، وشهد شاهد من بني إسرائيل على أنه من عند الله؛ اعتماداً على ما جاء في التوراة بشأنه، فأمن هو به، واستكبرتم عن الإيمان به - أستم حينئذ ظالمين؟! إن الله لا يوفق القوم الظالمين للحق.

﴿١١﴾ وقال الذين كفروا بالقرآن وبما جاءهم به رسولهم للذين آمنوا: لو كان ما جاء به محمد حقاً يهدي إلى الخير ما سبقنا إليه هؤلاء الفقراء والعبيد والضعفاء. ولأنهم لم يهتدوا بما جاءهم به رسولهم فيقولون: هذا الذي جاءنا به كذب قديم، ونحن لا نتبع الكذب.

﴿١٢﴾ ومن قبل هذا القرآن التوراة الكتاب الذي أنزله الله على موسى ﷺ إماماً يُتَدَيُّ به في الحق، ورحمة لمن آمن به واتبعه من بني إسرائيل، وهذا القرآن المنزل على محمد ﷺ كتاب مصدق لما سبقه من الكتب بلسان عربي؛ لينذر به الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله ويفعل المعاصي، وهو بشارة للمحسنين الذين أحسنوا علاقتهم مع خالقهم وعلاقتهم مع خلقه.

﴿١٣﴾ إن الذين قالوا: ربنا الله لا رب لنا غيره، ثم استقاموا على الإيمان والعمل الصالح، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا، ولا على ما خلفوه وراءهم.

﴿١٤﴾ أولئك الموصوفون بتلك الصفات أصحاب الجنة ماكثون فيها أبداً؛ جزاء لهم على أعمالهم الصالحة التي قدموها في الدنيا.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ • كل من عُبد من دون الله ينكر على من عبده من الكافرين • عدم معرفة النبي ﷺ بالغيب إلا ما أطلعه الله عليه منه • وجود ما يثبت نبوة نبينا ﷺ في الكتب السابقة • بيان فضل الاستقامة وجزاء أصحابها •

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنسُوْنَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلُوبًا إِنَّا فْتَرَيْنَاهُ وَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ مَنْ وَاسْتَكْبَرَتْهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا أَفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
 كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
 أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ
 عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي
 إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ
 عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
 الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يَعْدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ
 لَوْلَا إِلَهِي أَفْ لَكُمْ مَا اتَّعَدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ
 قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
 مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ
 فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ
 ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ
 ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْ طَبِئَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ
 الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ
 تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

٥٠٤

﴿١٥﴾ وأمرنا الإنسان أمراً مؤكداً أن يحسن إلى والديه، بأن يبرهما في حياتهما، وبعد موتهما بما لا مخالفة فيه للشرع، وعلى وجه الخصوص أمه التي حملته بمشقة ووضعته بمشقة، ومدة حملها التي مكثها وبدء فطامه: ثلاثون شهراً، حتى إذا بلغ اكتمال قوته العقلية والبدنية وبلغ أربعين سنة قال: رب، ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ وعلى والديّ، وألهمني أن أعمل عملاً صالحاً ترضاه، وتقبله مني، وأصلح لي أولادي، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من المنقادين لطاعتك، المستسلمين لأوامرك.

﴿١٦﴾ أولئك الذين تقبل عنهم أحسن ما عملوا من الأعمال الصالحات، وتتجاوز عن سيئاتهم، فلا نؤاخذهم بها، وهم في جملة أهل الجنة، هذا الوعد الذي وعدوا به وعد صدق، سيتحقق لا محالة.

ولما ذكر مثلاً للبار بأبويه ترغيباً في البر، ذكر مثلاً للعاق تنفيراً من العقوق، فقال:

﴿١٧﴾ والذي قال لوالديه: تباً لكما، أتعداني أن أخرج من قبري حياً بعد موتي، وقد مضت القرون الكثيرة، ومات الناس فيها فلم يبعث أحد منهم حياً؟! والذاه يطلبان الغوث من الله أن يهدي ابنهما للإيمان، ويقولان

لابنهما: هلاك لك إن لم تؤمن بالبعث فأمن به، إن وعد الله بالبعث حق لا مزية فيه، فيقول هو مجدداً إنكاره للبعث: ما هذا الذي يقال عن البعث إلا منقول من كتب المتقدمين وما سطره، لا يثبت عن الله.

﴿١٨﴾ أولئك الذين وجب لهم العذاب في جملة أمم من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين؛ حيث خسروا أنفسهم وأهلهم بدخولهم النار.

﴿١٩﴾ ولكلا الفريقين - فريق الجنة، وفريق السعير - مراتب حسب أعمالهم، فمراتب أهل الجنة درجات عالية، ومراتب أهل النار درجات سافلة، وليوفيهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون يوم القيامة بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم.

﴿٢٠﴾ ويوم يعرض الذين كفروا بالله وكذبوا رسله على النار ليعذبوا فيها، ويقال لهم توبيخاً لهم وتقريعاً: أذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا، واستمتعتم بما فيها من الملذات، أما في هذا اليوم فتجزون العذاب الذي يهينكم وبذلكم بسبب تكبركم في الأرض بغير الحق، وبسبب خروجكم عن طاعة الله بالكفر والمعاصي.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- بيان مكانة برّ الوالدين في الإسلام، بخاصة في حق الأم، والتحذير من العقوق.
- بيان خطر التوسع في ملاذ الدنيا؛ لأنها تشغل عن الآخرة.
- بيان الوعيد الشديد لأصحاب الكبر والفسوق.

وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذَا أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٦﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
 بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ
 وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَى كُفْرَكُمْ فَوَجَّهْتُ لَكُمْ فَأْتِنَا
 رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطْرٌ نَأْتِي
 بِهِ هَوْمًا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رَجِ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ تَدْمِرُ كُلَّ
 شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ
 وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَآبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
 وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ
 اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
 مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾
 فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
 بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٤٢﴾

٥٠٥

﴿٣٦﴾ واذكر - أيها الرسول - هودًا أخا عاد في النسب حين أنذر قومه من وقوع عذاب الله عليهم، وهم بمنازلهم بالأحقاف جنوب الجزيرة العربية، وقد مضت الرسل منذرين قومهم قبل هود وبعده، قائلين لأقوامهم: لا تعبدوا إلا الله وحده، فلا تعبدوا معه غيره، إني أخاف عليكم - يا قوم - عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة.

﴿٣٧﴾ قال له قومه: أجيئنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا؟! لن يكون لك ذلك، فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت صادقًا فيما تدعيه.

﴿٣٨﴾ قال: إنما علم وقت العذاب عند الله، وأنا لا أعلم لي به، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أُرسلت به إليكم، ولكني أراكم قَوْمًا تجهلون ما فيه نفعكم فتتركونه، وما فيه ضرركم فتأتونه.

﴿٣٩﴾ فلما جاءهم ما استعجلوا به من العذاب، فراوه سبحانه معترضًا في جهة من السماء متجهًا لأوديتهم قالوا: هذا عارض مصيبنا بالمطر، قال لهم هود: ليس الأمر كما ظننتم من أنه سحب ممطركم، بل هو العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم.

﴿٤٠﴾ تدمر كل شيء مرت عليه مما أمرها الله بإهلاكه، فأصبحوا هلكي، لا يرى إلا بيوتهم التي كانوا يسكنونها

شاهدة على وجودهم فيها من قبل، مثل هذا الجزاء المؤلم المجزي المصيرين على كفرهم ومعاصيهم.

﴿٤١﴾ ولقد أعطينا قوم هود من أسباب التمكين ما لم نعطكم إياه، وجعلنا لهم أسماعًا يسمعون بها، وأبصارًا يبصرون بها، وقلوبًا يعقلون بها، فما أغنت عنهم أسماعهم ولا أبصارهم ولا عقولهم من شيء، فلم تدفع عنهم عذاب الله لما جاءهم، إذ كانوا يكفرون بآيات الله، ونزل بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب الذي خوفهم منه نبيهم هود.

﴿٤٢﴾ ولقد أهلكنا ما حولكم - يا أهل مكة - من القرى، فقد أهلكنا عَادًا وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، ونوعنا لهم الحجج والبراهين؛ رجاء أن يرجعوا عن كفرهم.

﴿٤٣﴾ فهل أنصرتهم الأصنام التي اتخذوها آلهة من دون الله يتقربون إليها بالعبادة والذبح؟! لم تنصركم قطعًا، بل غابت عنهم أحوج ما كانوا إليها، وذلك كذبهم وافترائهم الذي متوا به أنفسهم أن هذه الأصنام تنفعهم وتشفع لهم عند الله.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- لا علم للرسل بالغيب إلا ما أطلعهم ربهم عليه منه.
- اغترار قوم هود حين ظنوا العذاب النازل بهم مطرًا، فلم يتوبوا قبل مباغتته لهم.
- قوة قوم عاد فوق قوة قريش، ومع ذلك أهلكهم الله.
- العاقل من يتعظ بغيره، والجاهل من يتعظ بنفسه.

﴿٢١﴾ واذكر - أيها الرسول - حين أرسلنا إليك فريقاً من الجن يستمعون القرآن المنزل عليك، فلما حضروا لسماعه قال بعضهم لبعض: أنصتوا حتى نتمكن من سماعه، فلما أنهى الرسول ﷺ قراءته رجعوا إلى قومهم يندرونهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا بهذا القرآن.

﴿٢٢﴾ قالوا لهم: يا قومنا، إنا سمعنا كتاباً أنزله الله من بعد موسى مصداً لما سبقه من الكتب المنزلة من عند الله، هذا الكتاب الذي سمعناه يرشد إلى الحق، ويهدي إلى طريق مستقيم، وهو طريق الإسلام.

﴿٢٣﴾ يا قومنا، أجبوا محمداً إلى ما دعاكم إليه من الحق، وآمنوا أنه رسول من ربه، يغفر لكم الله ذنوبكم، ويسلمكم من عذاب موحج يتظركم إذا لم تجيئوه إلى ما دعاكم إليه من الحق، ولم تؤمنوا أنه رسول من ربه.

﴿٢٤﴾ ومن لا يجب محمداً ﷺ إلى ما يدعوه إليه من الحق فلن يفوت الله بالهرب في الأرض، وليس له من دون الله من أولياء ينقذونه من العذاب، أولئك في ضلال عن الحق واضح.

﴿٢٥﴾ أولم ير هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعجز عن خلقهن مع ضخامتهن واتساعهن

قادر على أن يحيي الموتى للحساب والجزاء؟! بلى، إنه لقادر على إحيائهم، إنه سبحانه على كل شيء قدير، فلا يعجز عن إحياء الموتى.

﴿٢٦﴾ ويوم يعرض الذين كفروا بالله وبرسله على النار ليعذبوا فيها، ويقال توبيخاً لهم: أليس هذا الذي تشاهدونه من العذاب حقاً؟! أم أنه كذب كما كنتم تقولون في الدنيا؟! قالوا: بلى وربنا إنه لحق، فيقال لهم: ذوقوا العذاب بسبب كفركم بالله.

﴿٢٧﴾ فاصبر - أيها الرسول - على تكذيب قومك لك مثل ما صبر أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ، ولا تستعجل لهم العذاب، كأن المكذبين من قومك يوم يرون ما يوعدون من العذاب في الآخرة لم يمتكنوا في الدنيا إلا ساعة من نهار لطول عذابهم، هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ بلاغ وكفاية للإنس والجن، فإنه لا يهلك بالعذاب إلا القوم الخارجون عن طاعة الله بالكفر والمعاصي.

﴿٢٨﴾ مِنَ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- من حسن الأدب الاستماع إلى المتكلم والإنصات له.
- سرعة استجابة المهتدين من الجن إلى الحق رسالة ترغيب إلى الإنس.
- الاستجابة إلى الحق تقتضي المسارعة في الدعوة إليه.
- الصبر خلق الأنبياء ﷺ.

سُورَةُ الْمُحْتَمَلِ

آيَاتُهَا ٢٨

مُزْمَلَةُ ١٧

٥٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ۝ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ كَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۝ فَإِذَا الْقِيَمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضْرِبَ الرِّقَابِ حَتَّى
إِذَا أَفْتَحْنَاهُمْ فُشِدُوا وَالْوُثَاقُ فَمَا مَتَابَعْدُ وَمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ
أُوزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ
بِبَعْضٍ ۝ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِن تَضَرُّوا أَلَا اللَّهُ يَتَصَدَّقُ وَيُغْنِيكُمْ أَفَدَّ أَمْكُمْ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعَسَىٰ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ۝ ذَلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝

٥٠٧

١٠ من مقاصد الشورى: تحريض المؤمنين على القتال، تقوية لهم وتوهميتا للكافرين.

١١ التفسير:

١٢ الذين كفروا بالله وصرفوا الناس عن دين الله، أبطل الله أعمالهم.

١٣ والذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، وآمنوا بما نزله الله على رسوله محمد ﷺ - وهو الحق من ربهم - كفر عنهم سيئاتهم فلا يؤاخذهم بها، وأصلح لهم شؤونهم الدنيوية والأخروية.

١٤ ذلك الجزاء المذكور للفريقين هو بسبب أن الذين كفروا بالله اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا بالله وبرسوله اتبعوا الحق من ربهم، فاختلف جزاؤهما لاختلاف سعيهما، كما بين الله حكمه في الفريقين: فريق المؤمنين، وفريق الكافرين، يضرب الله للناس أمثالهم، فيلحق النظر بالنظر.

١٥ فإذا لقيتم - أيها المؤمنون - المحاربين من الذين كفروا فاضربوا رقابهم بسيفوكم، واستمروا في قتالهم حتى تكثروا فيهم القتل، فتستأصلوا شوكتهم، فإذا أكثرتم فيهم القتل فشدوا قيود الأسرى، فإذا أسرتهم فلكم الخيار حسب ما تقتضيه المصلحة؛ بين الممن عليهم بإطلاق سراحهم دون مقابل، أو مفاداتهم بمال أو غيره، وأصلحوا قتالهم وأسروهم حتى تنتهي الحرب بإسلام الكفار أو معادلتهم. ذلك المذكور من ابتلاء المؤمنين بالكافرين ومدولة الأيام وانتصار بعضهم على بعض، هو حكم الله، ولو يشاء الله الانتصار من الكفار دون قتال لانتصر منهم، لكنه شرع الجهاد ليختبر بعضكم ببعض، فيختبر من يقاتل من المؤمنين ومن لا يقاتل، ويختبر الكافر بالمؤمن، فإن قتل المؤمن دخل الجنة، وإن قتله المؤمن دخل هو النار، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يبطل الله أعمالهم.

١٦ سيدخلهم الجنة يوم القيامة، يتيها لهم بأوصافها في الدنيا فعرفوها، وعرفهم منازلهم فيها في الآخرة.

١٧ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع لهم، إن تنصروا الله بنصر نبيه ودينه، وبقتال الكفار، ينصركم بمنحكم الغلبة عليهم، ويثبت أقدامكم في الحرب عند لقاءهم.

١٨ والذين كفروا بالله وبرسوله فلهم الخسران والهلاك، وأبطل الله ثواب أعمالهم.

١٩ ذلك العقاب الواقع بهم بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله على رسوله من القرآن لما فيه من توحيد الله، فأحبط الله أعمالهم، فخسروا في الدنيا والآخرة.

٢٠ أفلم يسر هؤلاء المكذوبون في الأرض، فيتأملوا كيف كانت نهاية الذين كذبوا من قبلهم، فقد كانت نهاية مؤلمة، دمر الله عليهم مساكنهم، فأهلكهم وأهلك أولادهم وأموالهم، وللکافرين في كل زمان ومكان أمثال تلك العقوبات.

٢١ ذلك الجزاء المذكور للفريقين؛ لأن الله ناصر الذين آمنوا به، وأن الكافرين لا ناصر لهم.

٢٢ من فوائد الآيات: • النكاية في العدو بالقتل وسيلة مثلى لإخضاعه. • المن والفداء والقتل والاسترقاق خيارات في الإسلام للتعامل مع الأسير الكافر، يؤخذ منها ما يحقق المصلحة. • عظم فضل الشهادة في سبيل الله. • نصر الله للمؤمنين مشروط بنصرهم لدينه.

﴿١١﴾ إِنْ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ يَمْتَعُونَ فِي الدُّنْيَا بِاتِّبَاعِ شَهْوَاهِهِمْ، وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ، لَا هُمْ لَهُمْ إِلَّا بَطُونُهُمْ وَفُرُوجُهُمْ، وَالنَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هِيَ مُسْتَقَرُّهُمْ الَّذِي يَأْوِنُونَ إِلَيْهِ.

﴿١٢﴾ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا مِنْ مَكَّةَ الَّتِي أَخْرَجَكَ أَهْلُهَا مِنْهَا، أَهْلُكُنَاهُمْ لَمَّا كَذَبُوا رُسُلَهُمْ، فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ يَنْقُذُهُمْ مِنَ عَذَابِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَهُمْ، فَلَا يَعْجِزُنَا إِهْلَاكُ أَهْلِ مَكَّةَ إِذَا أُرْدِنَاهُ.

﴿١٣﴾ هَلْ مِنْ كَانَ لَهُ بَرَهَانٌ بَيْنٌ وَحُجَّةٌ وَاضِحَةٌ مِنْ رَبِّهِ، فَهُوَ يَعْبُدُهُ عَلَى بَصِيرَةٍ، كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ الشَّيْطَانُ سُوءَ عَمَلِهِ، وَاتَّبَعُوا مَا تَمْلِيهِ عَلَيْهِمْ أَهْوَاؤُهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَارْتِكَابِ الْإِثْمِ، وَالتَّكْذِيبِ بِالرُّسُلِ؟

﴿١٤﴾ صِفَةُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ لَهُ - بِأَمْثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ - أَنْ يَدْخُلُوهَا فِيهَا: فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ مُتَغَيَّرٍ رِيحًا وَلَا طَعْمًا لَطُولَ مُحْكُثٍ، وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرِ طَعْمُهُ، وَفِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذَةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ قَدْ صُفِّيَ مِنَ الشَّوَابِ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ أَنْوَعِ

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَمْتَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١١﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكَ بِهَا فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٢﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوهُ أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٣﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرِ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنْفَا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٦﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ثُمَّ ذَكَرَهُمْ ﴿١٧﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٨﴾

٥٠٨

الثمار ما يشاؤون، ولهم فوق ذلك كله محو من الله لذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، هل يستوي من كان هذا جزاءه مع من هو مأكث في النار لا يخرج منها أبدًا، وسقوا ماءً شديد الحرارة، فقطع أمعاء بطونهم من شدة حره؟! ومن المنافقين من يستمع إليك - أيها الرسول - سماعًا لا يقبل معه، بل مع إعراض، حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أعطاهم الله علمًا: ماذا قال في حديثه قريبًا؟ تجاهلاً منهم وإعراضًا، أولئك هم الذين ختم الله على قلوبهم فلا يصل إليها خير، واتبعوا أهواءهم فأعمتهم عن الحق. والذين اهتدوا إلى طريق الحق، واتباع ما جاء به الرسول ﷺ، زادهم ربهم هداية وتوفيقًا للخير، وألهمهم العمل بما يقيهم من النار.

﴿١٧﴾ فهل ينتظر الكفار إلا أن تأتيهم الساعة فجأة من غير سابق علم لهم بها؟! فقد جاءت علاماتها، ومنها بعثته ﷺ، وانشقاق القمر، فكيف لهم أن يتذكروا إذا جاءت الساعة؟ ﴿١٨﴾ فأيقن - أيها الرسول - أنه لا معبود بحق غير الله، واطلب من الله المغفرة للذنوب، واطلب المغفرة منه لذنوب المؤمنين وذنوب المؤمنات، والله يعلم تصرفكم في نهاركم، ومستقركم ليلكم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- اقتصار هم الكافر على التمتع في الدنيا بالمتع الزائلة.
- المقابلة بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين تبين الفرق الشاسع بينهما؛ ليختار العاقل أن يكون مؤمنًا، ويختار الأحق أن يكون كافرًا.
- بيان سوء أدب المنافقين مع رسول الله ﷺ. • العلم قبل القول والعمل.

﴿١٠﴾ ويقول الذين آمنوا بالله - متمنين أن ينزل الله على رسوله سورة تشتمل على حكم القتال -: هلاً أنزل الله سورة فيها ذكر القتال، فإذا أنزل الله سورة محكمة في بيانها وأحكامها شاملة على ذكر القتال، رأيت - أيها الرسول - الذين في قلوبهم شك من المنافقين ينظرون إليك نظر من غشي عليه من شدة الخوف والرعب، فتوعدهم الله بأن عذابهم قد وليهم وقرب منهم بسبب النكوص عن القتال والخوف منه :

﴿١١﴾ أن يطيعوا أمر الله، وأن يقولوا قولاً معروفاً لا نكر فيه خير لهم، فإذا فرض القتال وجد الجد، فلو صدقوا الله في إيمانهم به، وطاعتهم له لكان خيراً لهم من النفاق وعصيان أوامر الله .

﴿١٢﴾ ويغلب على حالكم إن أعرضتم عن الإيمان بالله وطاعته أنكم تفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، وتقطعون أواصر الرحم؛ كما كانت حالكم في الجاهلية .

﴿١٣﴾ أولئك المتصفون بالإفساد في الأرض وتقطع الأرحام هم الذين أبعدهم الله عن رحمته، وأصم أذانهم عن سماع الحق سماع قبول وإذعان، وأعمى أبصارهم عن إبطاره إبطار اعتبار .

﴿١٤﴾ فهلاً تدبر هؤلاء المعرضون القرآن وتأملوا ما فيه؟! فلو تدبروه لدلهم على كل خير، وأبعدهم عن كل شر، أم على قلوب هؤلاء أقفالها قد أحكم إغلاقها، فلا تصل إليها موعظة، ولا تنفعها ذكرى؟!

﴿١٥﴾ إن الذين ارتدوا عن إيمانهم إلى الكفر والنفاق، من بعد ما قامت عليهم الحجة، وتبين لهم صدق النبي ﷺ، الشيطان هو الذي زين لهم الكفر والنفاق وسَّله لهم، ومناهم بطول الأمل .

﴿١٦﴾ ذلك الإضلال الحاصل لهم بسبب أنهم قالوا سرّاً للمشركين الذين كرهوا ما نزل على رسوله من الوحي : سطيعكم في بعض الأمر كالنسيط عن القتال . والله يعلم ما يسرونه ويخفونه، لا يخفى عليه شيء، فيظهر ما شاء منه لرسوله ﷺ .

﴿١٧﴾ فكيف ترى ما هم فيه من العذاب والحال الشنيعة التي هم عليها إذا قبضت أرواحهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم، يضرّبون وجوههم وأدبارهم بمقامع الحديد .

﴿١٨﴾ ذلك العذاب بسبب أنهم اتبعوا كل ما أغضب الله عليهم؛ من الكفر والنفاق ومحادة الله ورسوله، وكرهوا ما يقربهم من ربهم، ويحلّ عليهم رضوانه؛ من الإيمان بالله واتباع رسوله، فأبطل أعمالهم .

﴿١٩﴾ هل يظنّ الذين في قلوبهم شك من المنافقين أن لن يخرج الله أحقادهم ويظهرها؟! ليخرجتها بالابتلاء بالمحن؛ لتمييز صادق الإيمان من الكاذب، ويتضح المؤمن، ويتضح المنافق .

﴿٢٠﴾ من قوايد الآيات .

• التكليف بالجهاد في سبيل الله يميّز المنافقين من صف المؤمنين .

• أهمية تدبر كتاب الله، وخطر الإعراض عنه .

• الإفساد في الأرض وقطع الأرحام من أسباب قلة التوفيق والبعد عن رحمة الله .

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ طَٰعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿١١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿١٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿١٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ آتَيْنَا عَهْدَ أَنْتَدَّوْا عَلَيَّ أَدْبَرَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿١٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يُضْرَبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَشْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَخَبَّطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿١٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ﴿١٩﴾

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَ كَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي
لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣١﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَىٰ لَنَ يَصْرِوْا وَاللَّهُ شَهِيدٌ وَسَيَحْطِ أَعْمَالُهُمْ
﴿٣٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٥﴾ فَلَا تَهْوَ
وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكَ
أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ إِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا
يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٧﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ هَا
فِيْ حِفْظِكُمْ تَبْخُلُوا أَوْ يُخْرِجْ أَصْغَرَ كُمْ ﴿٣٨﴾ هَآؤُنْ هَؤُلَاءِ
تُدْعُونَ لِتُبْخَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ
فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ
تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٩﴾

٥١٠

﴿٣١﴾ ولو نشاء لعرفناكم بسماتهم ولنعرفهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم

﴿٣٢﴾ ولنجبرتكم - أيها المؤمنون - بالجهاد وقتال الأعداء والقتل حتى نعلم المجاهدين منكم في سبيل الله، والصابرين منكم على قتال أعدائهم، ونختبركم فنعرف الصادق منكم والكاذب.

﴿٣٣﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسوله، وصدوا عن دين الله بأنفسهم، وصدوا عنه غيرهم، وخالفوا رسوله وعادوه من بعد ما تبين أنه نبي - لن يضرروا الله، وإنما يضررون أنفسهم، وسيطل الله أعمالهم.

﴿٣٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول بأن تمثلوا أمرهم، وتجنبوا نهيهما، ولا تبطلوا أعمالكم بالكفر والرياء.

﴿٣٥﴾ إن الذين كفروا بالله، وصرفوا أنفسهم وصرفوا الناس عن دين الله، ثم ماتوا على كفرهم قبل التوبة - فلن يتجاوز الله عن ذنوبهم بسترها، بل سيؤاخذهم بها، ويدخلهم النار خالدون فيها أبداً.

﴿٣٦﴾ فلا تضعفوا - أيها المؤمنون - عن

مواجهة عدوكم، وتدعوهم إلى الصلح قبل أن يدعوكم إليه، وأنتم القاهرون الغالبون لهم، والله معكم بنصره وتأييده، ولن ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً، بل يزيدهم مثلاً منه وتفضلاً.

﴿٣٧﴾ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو، فلا يشغل بها عاقل عن العمل لآخرته، وإن تؤمنوا بالله ورسوله، وتتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، يعطكم ثواب أعمالكم كاملاً غير منقوص، ولا يطلب منكم أموالكم كلها، وإنما يطلب منكم الواجب من الزكاة.

﴿٣٨﴾ إن يطلب منكم جميع أموالكم ويلج في طلبها منكم، تبخلوا بها، ويخرج ما في قلوبكم من كراهية الإنفاق في سبيله، فترك طلبها منكم رفقاً بكم.

﴿٣٩﴾ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا جزءاً من أموالكم في سبيل الله، ولا يطلب منكم إنفاق أموالكم كلها، فمنكم من يمنع الإنفاق المطلوب بخلاً منه، ومن يبخل بإنفاق جزء من ماله في سبيل الله، فإنما يبخل في الواقع على نفسه؛ بحرمانها ثواب الإنفاق، والله الغني فلا يحتاج إلى إنفاقكم، وأنتم الفقراء إليه، وإن ترجعوا عن الإسلام إلى الكفر يهلككم، ويأت بقوم غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم، بل يكونون مطيعين له.

﴿٤٠﴾ من قَوَائِدِ آيَاتِ

- سرائر المنافقين وخبثهم يظهر على قسماط وجوههم وأسلوب كلامهم.
- الاختبار سُنَّةُ إلهية لتمييز المؤمنين من المنافقين.
- تأييد الله لعباده المؤمنين بالنصر والتسديد.
- من رفق الله بعباده أنه لا يطلب منهم إنفاق كل أموالهم في سبيل الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝
وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۝ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۝ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَكَفَّرَ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ ۝ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ
بِاللَّهِ ظَنِّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۝ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝

٥١١

١٠ من مقاصد الشورى:

ذكر الوعد الإلهي بالفتح والتمكين لنييهِ
وللمؤمنين الصادقين في نصره الدين .

١١ التفسير:

١١ إنا فتحنا لك - أيها الرسول - فتحًا
مبينًا بصلح الحديبية .

١٢ ليغفر لك الله ما تقدم قبل هذا
الفتح من ذنبك، وما تأخر بعده،
ويكمل نعمته عليك بنصر دينك،
ويهديك طريقًا مستقيمًا، لا اعوجاج
فيه، وهو طريق الإسلام المستقيم .

١٣ وينصرك الله على أعدائك نصرًا
عزيرًا، لا يدفعه أحد .

١٤ الله هو الذي أنزل الشبات
والطمأنينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا
إيمانًا على إيمانهم، والله وحده جنود
السموات والأرض، يؤيد بها من
يشاء من عباده، وكان الله عليماً
بمصالح عباده، حكيمًا فيما يجريه من
نصر وتأييد .

١٥ ليدخل المؤمنين بالله وبرسوله
والمؤمنات جنات تجري الأنهار من
تحت قصورها وأشجارها، ويمحو
عنهم سيئاتهم، فلا يؤاخذهم بها،
وكان ذلك المذكور - من نيل المطلوب
وهو الجنة، وإبعاد المرهوب وهو
المؤاخذة بالسيئات - عند الله فوزًا
عظيمًا لا يدانيه فوز .

١٦ ويعذب المنافقين والمنافقات، ويعذب المشركين بالله والمشركات، الظالمين بالله أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي
كلمته، فعادت دائرة العذاب عليهم، وغضب الله عليهم بسبب كفرهم وظنهم السيئ، وطردهم من رحمته، وأعد
لهم في الآخرة جهنم يدخلونها خالدون فيها أبدًا، وساءت جهنم مصيرًا يرجعون إليه .

١٧ والله جنود السموات والأرض يؤيد بها من يشاء من عباده، وكان الله عزيرًا لا يغالبه أحد، حكيمًا في خلقه
وتقديره وتدبيره .

١٨ إنا بعثناك - أيها الرسول - شاهدًا تشهد على أمتك يوم القيامة، ومبشرًا للمؤمنين بما أعد لهم في الدنيا من
النصر والتمكين، وبما أعد لهم في الآخرة من النعيم، ومخوفًا للكافرين بما أعد لهم في الدنيا من الذلة والهزيمة
على أيدي المؤمنين، وبما أعد في الآخرة من العذاب الأليم الذي ينتظرهم .

١٩ رجاء أن تؤمنوا بالله، وتؤمنوا برسوله، وتعظموا رسوله وتجلوه، وتسبحوا الله أول النهار وآخره .

٢٠ من فوائد الآيات:

- صلح الحديبية بداية فتح عظيم على الإسلام والمسلمين .
- السكينة أثر من آثار الإيمان تبعث على الطمأنينة والثبات .
- خطر ظن السوء بالله، فإن الله يعامل الناس حسب ظنهم به سبحانه .
- وجوب تعظيم وتوقير رسول الله ﷺ .

﴿١٦﴾ إِنْ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - بِيَعَةِ الرِّضْوَانِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ مَكَّةَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ الَّذِي يُجَازِيهِمْ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ عِنْدَ الْبَيْعَةِ، وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ، فَمَنْ نَقَضَ بَيْعَتَهُ، وَلَمْ يَفِ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ نَصْرَةٍ دِينِهِ، فَإِنَّمَا ضَرَرَ نَفْسَهُ لِبَيْعَتِهِ وَنَفَضَهُ لِعَهْدِهِ، عَائِدٌ عَلَيْهِ، فَاللَّهُ لَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ نَصْرَةِ دِينِهِ، فَسَيُعْطِيهِ جِزَاءً عَظِيمًا وَهُوَ الْجَنَّةُ.

﴿١٧﴾ سَيَقُولُ لَكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - الَّذِينَ خَلَفَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَعْرَابِ عَنْ مِرَافِقَتِكَ فِي سَفَرِكَ إِلَى مَكَّةَ إِذَا عَاتَبْتَهُمْ: شَغَلْنَا رِعَايَةَ أَمْوَالِنَا وَرِعَايَةَ أَوْلَادِنَا عَنْ الْمَسِيرِ مَعَكَ، فَاطْلُبْ لَنَا الْمَغْفِرَةَ مِنْ اللَّهِ لَذُنُوبِنَا، يَقُولُونَ بِالسُّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ طَلَبِ اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتُوبُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، قُلْ لَهُمْ: لَا أَحَدٌ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ خَيْرًا، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ شَرًّا، بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ مَهْمَا أَخْفَيْتُمُوهَا.

﴿١٨﴾ لَيْسَ مَا اعْتَذَرْتُمْ بِهِ مِنَ الْإِنْشِغَالِ بِرِعَايَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ سَبَبَ تَخْلُفِكُمْ عَنِ الْمَسِيرِ مَعَهُ، بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ الرُّسُولَ وَأَصْحَابَهُ سَيَهْلِكُونَ جَمِيعًا، وَلَا

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسُّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٧﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٩﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْظُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٠﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَأْخُذْ وَهَازِرُونََا تَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَوْنَا لِإِفْقَهُونَ إِفْقِيلًا ﴿٢١﴾

٥١٢

يَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ فِي الْمَدِينَةِ، حَسَنَةُ الشَّيْطَانِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَيِّئًا بِرَبِّكُمْ أَنَّهُ لَنْ يَنْصُرَ نَبِيَّهُ، وَكُنتُمْ قَوْمًا هَلَكًا بِسَبَبِ مَا أَقْدَمْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ ظَنِّ السَّوءِ بِاللَّهِ وَالتَّخَلُّفِ عَنْ رَسُولِهِ.

﴿١٩﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَدْ أَعْدَدْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ نَارًا مُسْتَعْرَةً يَعَذِّبُونَ فِيهَا.

﴿٢٠﴾ وَلِلَّهِ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَغْفِرُ ذُنُوبَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَيَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِعَذَابِهِ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا لِلذُّنُوبِ مِنْ تَابِ مَنْ عَابَدَهُ، رَحِيمًا بِهِمْ.

﴿٢١﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ خَلَفَهُمُ اللَّهُ إِذَا انْطَلَقْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - إِلَى غَنَائِمٍ خَيْرٍ الَّتِي وَعَدَكُمْ اللَّهُ إِيَّاهَا بَعْدَ صَلَاحِ الْحَدِيثِ لِنَأْخُذْهَا -: أَتَرَكُونَا نَخْرُجُ مَعَكُمْ لِنَصِيبَ مِنْهَا؟ يَرِيدُ هَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفُونَ أَنْ يَدْلُوا بِطَلَبِهِمْ هَذَا وَعَدَ اللَّهُ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ صَلَاحِ الْحَدِيثِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ وَحْدَهُمْ غَنَائِمَ خَيْرٍ، قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ -: لَنْ تَتَّبِعُونَا إِلَى تِلْكَ الْغَنَائِمِ، فَقَدْ وَعَدَنَا اللَّهُ أَنْ غَنَائِمَ خَيْرٍ خَاصَّةٍ بِمَنْ شَهِدَ الْحَدِيثَ، فَسَيَقُولُونَ: مَنَعَكُمْ لَنَا مِنْ اتِّبَاعِكُمْ إِلَى خَيْرٍ لَيْسَ بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ، بَلْ بِسَبَبِ حَسَدِكُمْ لَنَا. وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفُونَ، بَلْ هُمْ لَا يَفْقَهُونَ أَوَامِرَ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ إِلَّا قَلِيلًا؛ لِذَلِكَ وَقَعُوا فِي مَعْصِيَتِهِ.

﴿٢٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- مكانة بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ، وَأَهْلُهَا مِنْ خَيْرِ النَّاسِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.
- سَوْءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ أَسْبَابِ الْوُقُوعِ فِي الْمَعْصِيَةِ وَقَدْ يُوَصِّلُ إِلَى الْكُفْرِ.
- ضَعْفُ الْإِيمَانِ قَلِيلُونَ عِنْدَ الْفَرْعِ، كَثِيرُونَ عِنْدَ الطَّمْعِ.

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول - للذين تخلفوا من الأعراب عن المسير معك إلى مكة مختبراً إياهم: ستدعون إلى قتال قوم أصحاب بأس قوي في القتال، تقاتلونهم في سبيل الله، أو يدخلون في الإسلام من غير قتال، فإن طيعوا الله فيما دعاكم إليه من قتالهم يعطكم أجراً حسناً هو الجنة، وإن تولوا عن طاعته - كتوليكم عنها حين تخلفتم عن السير معه إلى مكة - يعذبكم عذاباً موجعاً.

﴿١٧﴾ ليس على المعذور بعثى أو عرج أو مرض إثم إذا تخلف عن القتال في سبيل الله، ومن يطع الله ويطع رسوله يدخله جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ومن يعرض عن طاعتها يعذبه الله عذاباً موجعاً.

﴿١٨﴾ لقد رضي الله عن المؤمنين وهم يبايعونك في الحديبية ببيعة الرضوان تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم من الإيمان والإخلاص والصدق، فأنزل الطمانينة على قلوبهم، وجزاهم على ذلك فتحاً قريباً هو فتح خيبر؛ تعويضاً لهم عما فاتهم من دخول مكة.

﴿١٩﴾ وأعطاهم مغنم كثيرة يأخذونها من أهل خيبر، وكان الله عزيزاً لا يغالبه أحد، حكيماً في خلقه وتقديره وتديبه.

﴿٢٠﴾ وعدكم الله - أيها المؤمنون - مغنم كثيرة تأخذونها في الفتوحات

قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَامُونَ ۖ إِن تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۚ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونََهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُوهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ ۚ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَّمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْوَثَ لَمَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

الإسلامية في المستقبل، فعجل لكم مغنم خيبر، ومنع أيدي اليهود لما هموا أن يصيبوا عيالكم بعدكم، ولتكون هذه المغنم المعجلة علامة لكم على نصر الله وتأييده لكم، ويهديكم الله طريقاً مستقيماً لا اعوجاج فيه.

﴿٢١﴾ ووعدكم الله مغنم أخرى لم تقدرُوا عليها في هذا الوقت، الله وحده هو القادر عليها، وهي في علمه وتديبه، وكان الله على كل شيء قديراً، لا يعجزه شيء.

﴿٢٢﴾ ولو قاتلكم - أيها المؤمنون - الذين كفروا بالله ورسوله لولوا هاربين منهزمين أمامكم، ثم لا يجدون ولياً يتولى أمرهم، ولا يجدون نصيراً ينصرهم على قتالكم.

﴿٢٣﴾ وغلبة المؤمنين وهزيمة الكافرين، ثابتة في كل زمان ومكان، فهي سنة الله في الأمم التي مضت قبل هؤلاء المكذبين، ولن تجد - أيها الرسول - لسنة الله تبديلاً.

﴿٢٤﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- إخبار القرآن بمغيبات تحققت فيما بعد - مثل الفتوح الإسلامية - دليل قاطع على أن القرآن الكريم من عند الله.
- تقوم أحكام الشريعة على الرفق واليسر.
- جزاء أهل بيعة الرضوان منه ما هو معجل، ومنه ما هو مدّخر لهم في الآخرة.
- غلبة الحق وأهله على الباطل وأهله سنة إلهية.

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ
 بَعْدَ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾
 هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلُّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ
 مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فُتْصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ
 بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٤٦﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
 عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى
 وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٧﴾
 لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
 الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
 لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ
 فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٤٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
 الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٤٩﴾

٥١٤

﴿٤٥﴾ وهو الذي منع أيدي المشركين
 عنكم حين جاء نحو ثمانين رجلاً منهم
 يريدون إصابتكم بسوء بالحديبية،
 وكف أيديكم عنهم فلم تقتلوه ولم
 تؤذوهم، بل أطلقتم سراحهم بعد أن
 أقدركم على أسرهم، وكان الله بما
 تعملون بصيراً، لا يخفى عليه من
 أعمالكم شيء.

﴿٤٦﴾ هم الذين كفروا بالله ورسوله،
 ومنعوكم عن المسجد الحرام، ومنعوا
 الهدي فبقي محبوساً عن الوصول إلى
 الحرم محل ذبحه، ولولا وجود رجال
 مؤمنين بالله ونساء مؤمنات به لا
 تعرفونهم أن تقتلوه مع الكفار،
 فيصيبكم من قتلهم إثم وديات بغير علم
 منكم؛ لأذن لكم في فتح مكة
 ليدخل الله في رحمته من يشاء مثل
 المؤمنين في مكة، لو تميز الذين
 كفروا عن المؤمنين في مكة لعذبنا
 الذين كفروا بالله ورسوله عذاباً
 موجعاً.

﴿٤٧﴾ إذ جعل الذين كفروا بالله ورسوله
 في قلوبهم الأنفة الأنفة الجاهلية التي لا
 ترتبط بإحقاق الحق وإنما ترتبط
 بالهوى، فأنفوا من دخول رسول الله ﷺ
 عليهم عام الحديبية؛ خوفاً من تعييرهم
 بأنه غلبهم عليها، فأنزل الله الطمأنينة
 من عنده على رسوله وأنزلها على
 المؤمنين، فلم يؤذ بهم الغضب إلى
 مقابلة المشركين بمثل فعلهم، وألزم الله

المؤمنين كلمة الحق وهي لا إله إلا الله، وأن يقوموا بحققها فقاموا به، وكان المؤمنون أحق بهذه الكلمة من
 غيرهم، وكانوا أهلها المستأهلين لها لما علم الله في قلوبهم من الخير، وكان الله بكل شيء عليماً، لا يخفى عليه
 شيء.

﴿٤٨﴾ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق حين أراه إياها في منامه وأخبر بها أصحابه، وهي أنه هو وأصحابه يدخلون
 بيت الله الحرام آمنين من عدوهم، منهم المحلقون رؤوسهم، ومنهم المقصرون إيذاناً بنهاية النشك. فعلم الله من
 مصلحتكم - أيها المؤمنون - ما لم تعلموا أنتم، فجعل من دون تحقيق الرؤيا بدخول مكة تلك السنة فتحة قريباً،
 وهو ما أجراه الله من صلح الحديبية، وما تبعه من فتح خيبر على أيدي المؤمنين الذين حضروا الحديبية.

﴿٤٩﴾ الله هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالبيان الواضح ودين الحق الذي هو دين الإسلام؛ ليعليه على الأديان
 المخالفة له كلها، وقد شهد الله على ذلك، وكفى بالله شاهداً.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- الصد عن سبيل الله جريمة يستحق أصحابها العذاب الأليم.
- تدبير الله لمصالح عباده فوق مستوى علمهم المحدود.
- التحذير من استبدال رابطة الدين بحمية النسب أو الجاهلية.
- ظهور دين الإسلام سنة ووعد إلهي تحقق.

﴿٩﴾ محمد رسول الله وصحابته الذين هم معه، أشدّاء على الكفار المحاربين، رحماء بينهم متعاطفون متوادّون، تراهم - أيها الناظر - رُكعًا سُجّدًا لله سبحانه، يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالمغفرة والثواب الكريم، وأن يرضى عنهم، علامتهم في وجوههم من آثار السجود ما يظهر من الهدى والسمت ونور الصلاة في وجوههم، ذلك وصفهم الذي وصفتهم به التوراة الكتاب المنزل على موسى ﷺ، وأما مثلهم في الإنجيل الكتاب المنزل على عيسى ﷺ فهو أنهم في تعاونهم وكمالهم كزرع أخرج صغاره، فقوي فغلظ فاستوى على سيقانه، يعجب الزراع قوته وكماله؛ ليعطي بهم الله الكفار لما يروونه فيهم من القوة والتماسك والكمال، وعد الله الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات من الصحابة مغفرة لذنوبهم، فلا يؤاخذون بها، وثوابًا عظيمًا من عنده وهو الجنة.

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

— مَدِينَة —

● مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوفِ:

تقرير أخلاق المجتمع الإسلامي والتحذير من الأخلاق السيئة.

● التَّشْبِيرُ:

﴿١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، واتبعوا

ما شرع، لا تتقدموا بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل، واتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، واتبعوا ما شرع، تأدبوا مع رسوله، ولا تجعلوا أصواتكم تعلو على صوت النبي ﷺ عند مخاطبته، ولا تعلنوا له باسمه كما ينادي بعضكم بعضًا، بل نادوه بالنبوة والرسالة بخطاب لين؛ خوف أن يبطل ثواب أعمالكم بسبب ذلك وأنتم لا تحسبون بطلان ثوابها.

﴿٣﴾ إن الذين يخفون أصواتهم عند رسول الله ﷺ، أولئك هم الذين امتحن الله قلوبهم لتقواه، وأخلصهم لها، لهم مغفرة لذنوبهم فلا يؤاخذهم، ولهم ثواب عظيم يوم القيامة، وهو أن يدخلهم الله الجنة.

﴿٤﴾ إن الذين ينادونك - أيها الرسول - من الأعراب من وراء الحجرات نساك معظمهم لا يعقلون.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تشريع الرحمة مع المؤمن، والشدة مع الكافر المحارب.
- التماسك والتعاون من أخلاق أصحابه ﷺ.
- من يجد في قلبه كرهًا للصحابة الكرام يُخشى عليه من الكفر.
- وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ، ومع سُنَّته، ومع ورثته (العلماء).

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ وَقَاتَلَهُ فَقُتِلَ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩﴾

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

الْأَيُّهَا

الْأَيُّهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

﴿٦﴾ ولو أن هؤلاء الذين ينادونك - أيها الرسول - من وراء حجرات نساءك، صبروا فلم ينادوك حتى تخرج إليهم، فيخاطبك مخفوضة أصواتهم؛ لكان ذلك خيراً لهم من ندائك من وراءها؛ لما فيه من التوقير والتعظيم، والله غفور لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم، وغفور لهم لجهلهم، رحيم بهم.

﴿٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، إن جاءكم فاسق بखبر عن قوم، فتثبتوا من صحة خبره، ولا تبادروا إلى تصديقه؛ خوف أن تصيبوا - إذا صدقتم خبره دون تثبت - قوماً بجنابة وأنتم جاهلون حقيقة أمرهم، فتصبحوا بعد إصابتكم لهم نادمين عندما يتبين لكم كذب خبره.

﴿٨﴾ واعلموا - أيها المؤمنون - أن فيكم رسول الله ينزل عليه الوحي، فاحذروا أن تكذبوا فينزل عليه الوحي يخبره بكذبكم، وهو أعلم بما فيه مصلحتكم، لو يطيعكم في كثير مما تقترحونه لوقعتم في المشقة التي لا يرضاها لكم، ولكن الله من فضله حبب إليكم الإيمان، وحسنه في قلوبكم فآمنتم، وكره إليكم الكفر، والخروج عن طاعته، وكره إليكم معصيته، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم السالكون طريق الرشد والصواب.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَعَلَّمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّاهُم مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَنِي إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا يَقْتُلُوا أَخِيَّهُمْ وَلَا نِسَاءَهُمْ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُونَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

﴿١١﴾ وما حصل لكم - من تحسين الخير في قلوبكم، وتكريه الشر - إنما هو فضل من الله، تفضل به عليكم، ونعمة أنعمها عليكم، والله عليم بمن يشكره من عباده فيوفقه، وحكيم إذ يضع كل شيء في محله المناسب له.

﴿١٢﴾ وإن فرقان من المؤمنين تقاتلنا فأصلحوا - أيها المؤمنون - بينهما بدعوتهما إلى تحكيم شرع الله في خلافهما، فإن أبت إحداهما الصلح واعتدت فقاتلوا المعتدية حتى ترجع إلى حكم الله، فإن رجعت إلى حكم الله فأصلحوا بينهما بالعدل والإنصاف، واعدلوا في حكمكم بينهما، إن الله يحب العادلين في حكمهم.

﴿١٣﴾ إنما المؤمنون إخوة في الإسلام، والأخوة في الإسلام تقتضي أن تصلحوا - أيها المؤمنون - بين أخويكم المتنازعين، واتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه؛ رجاء أن ترحموا.

﴿١٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، لا يستهزئ قوم منكم بقوم، عسى أن يكون المستهزأ بهم خيراً عند الله، والعبرة بما عند الله، ولا يستهزئ نساء من نساء عسى أن يكون المستهزأ بهن خيراً عند الله، ولا تعيبوا إخوانكم فهم بمنزلة أنفسكم، ولا يُعَيَّرُ بعضكم بعضاً بقلب يكرهه، كما كان حال بعض الأنصار قبل مجيء رسول الله ﷺ، ومن فعل ذلك منكم فهو فاسق، بئس الصفوة صفة الفسق بعد الإيمان، ومن لم يتب من هذه المعاصي فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب ما فعلوه من المعاصي.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• وجوب التثبت من صحة الأخبار، خاصة التي ينقلها من يُتهم بالفسق. • وجوب الإصلاح بين من يتقاتل من المسلمين، ومشروعية قتال الطائفة التي تصر على الاعتداء وترفض الصلح. • من حقوق الأخوة الإيمانية: الصلح بين المتنازعين والبعد عما يجرح المشاعر من السخرية والعبث والتنازع بالألقاب.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَإِذَا قُتِلْتُمْ تَمُوتُونَ وَلَكِن قُولُوا أَسَآءْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيْمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

٥١٧

﴿١٢﴾ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن لما يستند من أسباب وقرائن، إن بعض الظن إثم، كسوء الظن بمن ظاهره الصلاح، ولا تتبعوا عورات المؤمنين من ورائهم، ولا يذكر أحدكم أخاه بما يكره، فإن ذكره بما يكره مثل أكل لحمه ميتا، يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟! فأكروها اغتياها فهو مثله، واتقوا الله بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، إن الله تواب على من تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٣﴾ يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر واحد وهو أبوكم آدم، وأنثى واحدة وهي أمكم حواء، فنسبكم واحد، فلا يفخر بعضكم على بعض في النسب، وصيرناكم بعد ذلك شعوبا كثيرة وقبائل منتشرة؛ ليعرف بعضكم بعضا، لا ليفخر عليه؛ لأن التمايز لا يكون إلا بالتقوى، لذا قال: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم بأحوالكم، خبير بما تكونون عليه من كمال ونقص، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿١٤﴾ قال بعض أهل البادية لما قدموا على النبي ﷺ: آمنا بالله وبرسوله. قل لهم - أيها الرسول -: لم تؤمنوا، ولكن قولوا: استسلمنا وانقذنا، ولم يدخل الإيمان في قلوبكم بعد، ويتوقع

له أن يدخلها، وإن تطيعوا - أيها الأعراب - الله ورسوله في الإيمان والعمل الصالح، واجتناب المحرمات، لا ينقصكم الله شيئا من ثواب أعمالكم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٥﴾ إنما المؤمنون هم الذين آمنوا بالله وبرسوله، ثم لم يخالط إيمانهم شك، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لم يخلوا بشيء منها، أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الصادقون في إيمانهم.

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء الأعراب: أتعلمون الله، وتُشعرونه بدينكم؟! والله يعلم ما في السماوات، ويعلم ما في الأرض، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، فلا يحتاج إلى إعلامكم إياه بدينكم.

﴿١٧﴾ يمتن عليكم - أيها الرسول - هؤلاء الأعراب بإسلامهم، قل لهم: لا تمنوا عليّ بدخولكم في دين الله، فنفع ذلك - إن حصل - عائد عليكم، بل الله هو الذي يمتن عليكم بأن وفقكم للإيمان به إن كنتم صادقين في دعوكم أنكم دخلتم فيه.

﴿١٨﴾ إن الله يعلم غيب السماوات، ويعلم غيب الأرض، لا يخفى عليه شيء منه، والله بصير بما تعملون، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم على حسنها وسيئها.

• من قَوَائِدِ الْأَلْبَابِ،

• سوء الظن بأهل الخير معصية، ويجوز الحذر من أهل الشر بسوء الظن بهم. • وحدة أصل بني البشر تقتضي نبذ التفاخر بالأنساب. • الإيمان ليس مجرد نطق لا يوافقه اعتقاد، بل هو اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان. • هداية التوفيق بيد الله وحده، وهي فضل منه سبحانه ليست حقًا لأحد.

● من مقاصد السورة:
إيقاظ القلوب الغافلة، لإدراك حقائق
البعث والجزاء وبراهينه ومشاهدته.

● التفسير:

● ق: تقدم الكلام على نظائرها
في بداية سورة البقرة. أقسم الله بالقرآن
الكريم لما فيه من المعاني وكثرة الخير
والبركة؛ لتبعثن يوم القيامة للحساب
والجزاء.

● ١: لم يكن سبب رفضهم توفعهم أن
تكذب فهم يعرفون صدقك، بل تجبوا
أن يأتيهم رسول منذر من جنسهم،
وليس من جنس الملائكة، وقالوا بين
تعجبهم: مجيء رسول من البشر إلينا
شيء عجيب!

● ٢: أنبئت إذا متنا وصرنا تراباً؟!
ذلك البعث والرجوع الحياة إلى
أجسامنا بعدما بليت شيء مستبعد، لا
يمكن أن يقع.

● ٣: قد علمنا ما تأكل الأرض من
أجسامهم بعد موتهم وتفنيه، لم يخف
علينا منه شيء، وعندنا كتاب حافظ
لكل ما يقدره الله عليهم في حياتهم
وبعد موتهم.

● ٤: بل كذب هؤلاء المشركون بالقرآن
لما جاءهم به الرسول، فهم في أمر
مضطرب، لا يثبتون على شيء بشأنه.
ولما ذكر إنكار المشركين للبعث ذكروهم
بالأدلة على وقوعه فقال:

١ أفلم يتأمل هؤلاء المكذبون بالبعث السماء فوقهم؛ كيف خلقناها وبنيناها وزيناها بما وضعنا فيها من نجوم،
وليس لها شقوق تعيبها؟! فالذي خلق هذه السماء لا يعجز عن بعث الموتى أحياء.

٢ والأرض بسطانها صالحة للسكنى عليها، وألقينا فيها جبلاً ثوابت حتى لا تضطرب، وأنبتنا فيها من كل صنف
من النبات والشجر حسن المنظر.

٣ خلقنا ذلك كله ليكون تبصرة وتذكيراً لكل عبد راجع إلى ربه بالطاعة.

٤ ونزلنا من السماء ماءً كثير النفع والخير، فأنبتنا بذلك الماء بساتين، وأنبتنا ما تحصدهونه من حب الشعير وغيره.

٥ وأنبتنا به النخل طوالاً عاليات، لها طلع متراكب بعضه فوق بعض.

٦ أنبتنا ما أنبتنا من ذلك رزقاً للعباد يأكلون منه، وأحيينا به بلدة لا نبات فيها، كما أحيينا بهذا المطر بلدة لا نبات
فيها نحيا الموتى، فيخرجون أحياء.

٧ كذبت قبل هؤلاء المكذبين بك - أيها الرسول - أقوام بأنبيائهم، فكذبت قوم نوح وأصحاب البشر، وكذبت ثمود.

٨ وكذبت عاد وفرعون، وقوم لوط.

٩ وكذب قوم شعيب أصحاب الأيكة وقوم تبع ملك اليمن، فثبت عليهم ما وعدهم الله من العذاب.

١٠ أفعجزنا عن خلقكم أول مرة حتى نعجز عن بعثكم؟! بل هم في حيرة من خلق جديد بعد خلقهم الأول.

● من فوائد الآيات: ● المشركون يستعظمون النبوة على البشر، ويمنحون صفة الألوهية للحجر! ● خلق السماوات،
وخلق الأرض، وإنزال المطر، وإنبات الأرض القاحلة، والخلق الأول: كلها أدلة على البعث. ● التكذيب
بالرسل عادة الأمم السابقة، وعقاب المكذبين سنة إلهية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١ بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ
فَقَالَ الْكُفْرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢ إِنْ دَامَتْنا وَكُنَّا تَرَابًا ذَلِكَ
رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ
حَفِیْظٌ ٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِیْجٍ ٥
أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا
وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ٦ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِیْسًا
وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِیْجٍ ٧ تَبْصِرَةٌ وَتَذَكُّرٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ
مُّنِیْبٍ ٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْدِرًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَبَلٍ
وَحَبَّ الْحَصِيدِ ٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ١٠ رِزْقًا
لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّیْسِ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ
لُوطٍ ١٣ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
١٤ أَفَعِیْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ١٥

﴿١١﴾ ولقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما تحدث به نفسه من خواطر وأفكار، ونحن أقرب إليه من العرق الموجود في العنق المتصل بالقلب.

﴿١٢﴾ إذ يتلقى الملكان المتلقيان عمله، أحدهما فعيد عن يمينه، والثاني فعيد عن شماله.

﴿١٣﴾ ما يقول من قول إلا لديه ملك رقيب على ما يقوله حاضر.

﴿١٤﴾ وجاءت شدة الموت بالحق الذي لا مهرب منه، ذلك ما كنت - أيها الإنسان الغافل - تأخر عنه، وتفر.

﴿١٥﴾ ونفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن النفضة الثانية، ذلك يوم القيامة، يوم الوعيد للكفار والعصاة بالعذاب.

﴿١٦﴾ وجاءت كل نفس معها ملك يسوقها، وملك يشهد عليها بأعمالها.

﴿١٧﴾ ويقال لهذا الإنسان المأسوف: لقد كنت في الدنيا في غفلة عن هذا اليوم بسبب اعتراك بشهواتك ولذاتك، فكشفنا عنك غفلتك بما تعابنه من العذاب والكره، فصررك اليوم حاد تدرك به ما كنت في غفلة عنه.

﴿١٨﴾ وقال قريبه الموكل به من الملائكة: هذا ما لدي من عمله حاضر دون نقص ولا زيادة.

﴿١٩﴾ ويقول الله للملكين السائق والشاهد: ألقيا في جهنم كل كفور للحق، معاند له.

﴿٢٠﴾ كثير المنع لما أوجب الله عليه من حق، متجاوز لحدود الله، شاك فيما يخبر به من وعد أو وعيد.

﴿٢١﴾ الذي جعل مع الله معبوداً آخر يشركه معه في العبادة، فألقياه في العذاب الشديد.

﴿٢٢﴾ قال قريبه من الشياطين متبرئاً منه: ربنا ما أضللت، ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق.

﴿٢٣﴾ قال الله: لا تختصموا لدي، فلا فائدة من ذلك، فقد قدمت لكم في الدنيا ما جاءت به رسلي من الوعيد الشديد لمن كفر بي وعصاني.

﴿٢٤﴾ ما يغير القول لدي، ولا يخلف وعدي، ولا أظلم العبيد بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم، بل أجزيهم بما عملوا.

﴿٢٥﴾ يوم نقول لجهنم: هل امتلأت وتقول هل من مزيد؟ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد، هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ.

﴿٢٦﴾ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب، أدخلوها.

﴿٢٧﴾ يسلم ذلك يوم الخلود، لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد.

﴿٢٨﴾ من قوايد الآيات،

• علم الله بما يخطر في النفوس من خير وشر. • خطورة الغفلة عن الدار الآخرة.

• ثبوت صفة العدل لله تعالى.

﴿٣٦﴾ وما أكثر الأمم التي أهلكناها من قبل هؤلاء المشركين المكذبين من أهل مكة، ففتشوا في البلاد لعلمهم يجدون مهرباً من العذاب فلم يجدوه.

﴿٣٧﴾ إن في ذلك المذكور من إهلاك الأمم السابقة لتذكيراً وموعظة لمن كان له قلب يعقل به، أو أنصت بسمعه حاضر القلب، غير غافل.

﴿٣٨﴾ ولقد خلقنا السماوات، وخلقنا الأرض، وما بين السماوات والأرض؛ في ستة أيام مع قدرتنا على خلقها في لحظة، وما أصابنا من تعب كما تقول اليهود.

﴿٣٩﴾ فاصبر - أيها الرسول - على ما يقوله اليهود وغيرهم، وصل لربك حامداً إياه صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وصل العصر قبل غروبها.

﴿٤٠﴾ ومن الليل فصل له، وسبحه بعد الصلوات.

﴿٤١﴾ واستمع - أيها الرسول - يوم ينادي الملك الموكل بالنفخ في الصور النفخة الثانية، من مكان قريب.

﴿٤٢﴾ يوم يسمع الخلائق صيحة البعث بالحق الذي لا مزية فيه، ذلك اليوم الذي يسمعونها فيه هو يوم خروج الأموات من قبورهم للحساب والجزاء.

﴿٤٣﴾ إنا نحن نحيي ونميت، لا محيي غيرنا ولا مميت، وإلينا وحدنا رجوع العباد يوم القيامة للحساب والجزاء.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّوُا الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدَ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الدَّارِ الْآخِرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿١﴾ فَالْحَمْلِكِ وَقُرْ ﴿٢﴾ فَالْجَرِيدِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَلِلَّيْلِ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

٥٢٠

﴿١﴾ يوم تشقق عنهم الأرض فيخرجون مسرعين، ذلك حشر علينا سهل.

﴿٢﴾ نحن أعلم بما يقوله هؤلاء المكذبون، وما أنت - أيها الرسول - بمسلط عليهم فتجبرهم على الإيمان، وإنما أنت مبلغ ما أمرك الله بتبليغه، فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي للكافرين والعصاة؛ لأن الخائف هو الذي يتعظ، ويتذكر إذا ذكر.

سُورَةُ الدَّارِ الْآخِرَةِ

— مَكِّيَّة —

﴿١﴾ مِن مَّقَاصِدِ السُّورَةِ:

تعريف المخلوقين بمصدر رزقهم وهو الله تعالى؛ لكي يفروا إليه ويحققوا العبودية له.

﴿٢﴾ التَّقْصِيرُ:

﴿١﴾ يقسم الله بالرياح التي تذر التراب.

﴿٢﴾ وبالسُّحْبِ التي تحمل الماء الغزير.

﴿٣﴾ وبالسفن التي تجري في البحر بسهولة ويسر. ﴿٤﴾ وبالملائكة التي تقسم ما أمرها الله بتقسيمه من أمور العباد.

﴿٥﴾ إن ما يعدكم ربكم به من الحساب والجزاء لَحَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ. ﴿٦﴾ وإن حساب العباد لواقع يوم القيامة لا محالة.

﴿٧﴾ مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الاعتبار بوقائع التاريخ من شأن ذوي القلوب الواعية. • خلق الله الكون في ستة أيام لإحكام يعلمها الله، لعل منها بيان سُنَّةِ التدرج. • سوء أدب اليهود في وصفهم الله تعالى بالتعب بعد خلقه السماوات والأرض، وهذا كفر بالله.

٧) ويقسم الله بالسماء الحسنة الخلق ذات الطرق.

٨) إنكم - يا أهل مكة - لفي قول متناقض متضارب، تارة تقولون: القرآن سحر، وتارة شعر، وتقولون: محمد ساحر تارة، وتارة شاعر.

٩) يُصْرَفُ عن الإيمان بالقرآن وبالنبي ﷺ من صُرِفَ عنه في علم الله؛ لعلهم أنه لا يؤمن، فلا يوفق للهداية.

١٠) لعن هؤلاء الكذابين الذين قالوا في القرآن وفي نبينهم ما قالوا.

١١) الذين هم في جهل غافلون عن الدار الآخرة، لا يبالون بها.

١٢) يسألون: متى يوم الجزاء؟ وهم لا يعملون له.

١٣) فيجيبهم الله عن سؤالهم: يوم هم على النار يعذبون.

١٤) يقال لهم: ذوقوا عذابكم، هذا هو الذي كنتم تسألون تعجيله عندما تذكرون به؛ استهزاء.

١٥) إن المتقين لربهم بامثال أوامره، واجتناب نواهيه يوم القيامة في بساتين وعيون جارية.

١٦) آخذين ما أعطاهم ربهم من الجزاء الكريم، إنهم كانوا قبل هذا الجزاء الكريم محسنين في الدنيا.

١٧) كانوا يصلون من الليل، لا ينامون إلا زمناً قليلاً.

١٨) وفي وقت الأسحار يطلبون المغفرة من الله لذنوبهم.

١٩) وفي أموالهم حق - يطوعون به - للسائل من الناس، وللذي لا يسألهم، ممن حرم الرزق لأي سبب كان.

٢٠) وفي الأرض وما وضع الله فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار ونبات وحيوان، دلالات على قدرة الله للموقنين أن الله هو الخالق المصور.

٢١) وفي أنفسكم - أيها الناس - دلالات على قدرة الله، أفلا تبصرون لتعبروا؟!

٢٢) وفي السماء رزقكم الدينوي والديني، وفيها ما توعدون من خير أو شر.

٢٣) فارب السماء والأرض إن البعث لحق لا شك فيه، كما أنه لا شك في نطقكم حين تنطقون.

٢٤) هل أتاك - أيها الرسول - حديث ضيوف إبراهيم الذين أكرمهم ﷺ؟ ٢٥) حين دخلوا عليه فقالوا له: سلاماً، قال إبراهيم رداً عليهم: سلام، وقال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم. ٢٦) فقال إلى أهله خفية، فجاء من عندهم بعجل كامل سمين؛ ظناً منه أنهم بشر. ٢٧) فغرب العجل إليهم، وخطبهم برفق: ألا تأكلون ما قُدم لكم من طعام؟ ٢٨) فلما لم يأكلوا أضمر في نفسه الخوف منهم ففطنوا له، فقالوا مطمئنين إياه: لا تخف، إنا رسل من عند الله، وأخبروه بما يسره من أنه يولد له غلام له علم كثير، والمُبَشِّرُ به هو إسحاق ﷺ. ٢٩) فلما سمعت امرأته البشارة أقبلت تصيح من الفرح، فلطمت وجهها، وقالت متعجبة: أتلد عجوز، وهي في الأصل عقيم! ٣٠) قال لها الملائكة: ما أخبرناك به قاله ربك، وما قاله لا رادَّ له؛ إنه هو الحكيم في خلقه وتقديره، العليم بخلقهم وما يصلح لهم.

٣١) مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • إحسان العمل وإخلاصه لله سبب لدخول الجنة. • فضل قيام الليل وأنه من أفضل القربات.

• من آداب الضيافة: رد التحية بأحسن منها، وتحضير المائدة خفية، والاستعداد للضيوف قبل نزولهم، وعدم استثناء شيء من المائدة، والإشراف على تحضيرها، والإسراع فيه، وتقريبها للضيوف، وخطابهم برفق.

وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ ٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ٩) قُتِلَ الْفَرَّصُونَ ١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَقٍ سَاهُونَ ١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ ١٢) يَوْمَهُمْ عَلَى النَّارِ يُقَتَّلُونَ ١٣) ذُوقُوا فَتَنَّتْكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ١٤) إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَأَهُمَّ كَانُوا أَقْبَلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ١٩) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢) قُورَيْبٍ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ٢٣) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ٢٥) فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٣٠)

﴿٢٧﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٢٩﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٠﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَيْكَ لِلْمُؤْسِرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَنٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٤﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٥﴾ فَقَتَلَ بِرْكَيْهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣٨﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٣٩﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٠﴾ فَتَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤١﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِّن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَصِرِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٣﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٤﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٥﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ فَفَرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٧﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٨﴾

٥٢٢

﴿٢٧﴾ قال إبراهيم عليه السلام للملائكة: ما شأنكم؟ وما الذي تقصدونه؟
 ﴿٢٨﴾ قال الملائكة جواباً له: إنا بعثنا الله إلى قوم مجرمين يرثكون قبائح الذنوب.
 ﴿٢٩﴾ لنبعث عليهم حجارة من طين متصّلب.
 ﴿٣٠﴾ معلّمة عند ربك - يا إبراهيم - تُبعث على المتجاوزين لحدود الله المبالغين في الكفر والمعاصي.
 ﴿٣١﴾ فأخرجنا من كان في قرية قوم لوط من المؤمنين حتى لا يصيبهم ما يصب المجرمين من العذاب.
 ﴿٣٢﴾ فما وجدنا في قريتهم هذه غير بيت واحد من المسلمين، هم أهل بيت لوط عليه السلام.
 ﴿٣٣﴾ وتركنا في قرية قوم لوط من آثار العذاب ما يدل على وقوع العذاب عليهم ليعتبر به من يخاف العذاب الموجع الذي أصابهم، فلا يعمل بعملهم لينجو منه.
 ﴿٣٤﴾ وفي موسى حين بعثناه إلى فرعون بالحجج الواضحة، آية لمن يخاف العذاب الموجع.
 ﴿٣٥﴾ فأعرض فرعون معتدّاً بقوته وجنده عن الحق، وقال عن موسى عليه السلام: هو ساحر يسحر الناس، أو مجنون يقول ما لا يعقله.
 ﴿٣٦﴾ فأخذناه هو وجنوده كلهم فطرحناهم في البحر، فغرقوا وهلكوا،

وفرعون أتى بما يلام عليه من التكذيب وادعاء أنه إله.

﴿٣٧﴾ وفي عاد قوم هود آية لمن يخاف العذاب الموجع حين بعثنا عليهم الريح التي لا تحمل مطراً ولا تفتح شجراً، ولا بركة فيها. ﴿٣٨﴾ ما ترك من نفس أو مال أو غيرهما أتت عليه إلا دمرته، وتركته كالبالى المتفتت.

﴿٣٩﴾ وفي ثمود قوم صالح عليه السلام آية لمن يخاف العذاب الموجع حين قيل لهم: استمتعوا بحياتكم قبل انقضاء أجالكم. ﴿٤٠﴾ فتكبروا عن أمر ربهم وعلموا استكباراً على الإيمان والطاعة، فأخذتهم صاعقة العذاب وهم ينتظرون نزوله، إذ كانوا وعدوا بالعذاب قبل نزوله بثلاثة أيام. ﴿٤١﴾ فما استطاعوا أن يدفعوا عنهم ما نزل بهم من العذاب، ولم تكن لهم قوة يمتنعون بها. ﴿٤٢﴾ وقد أهلكنا قوم نوح بالغرق من قبل هؤلاء المذكورين، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله، فاستحقوا عقابه.

﴿٤٣﴾ والسماء بنيناها، وأنقنا بنائها بقوة، وإنا لموسعون لأطرافها. ﴿٤٤﴾ والأرض جعلناها مهيأة للسالكين عليها كالفرش لهم، فنعم الماهدون نحن إذ مهدناها لهم. ﴿٤٥﴾ ومن كل شيء خلقنا صنفين، كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والبر والبحر؛ لعلكم تذكرون وحدانية الله الذي خلق من كل شيء صنفين، وتذكرون قدرته.

﴿٤٦﴾ ففرّوا من عقاب الله إلى ثوابه، بطاعته وعدم معصيته، إني لكم - أيها الناس - نذير من عقابه بين النذارة. ﴿٤٧﴾ ولا تجعلوا مع الله معبوداً آخر تعبدونه من دونه، إني لكم نذير منه بين النذارة.

﴿٤٨﴾ من قواید آیات. • الإيمان أعلى درجة من الإسلام. • إهلاك الله للأمم المكذبة درس للناس جميعاً. • الخوف من الله يقتضي الفرار إليه سبحانه بالعمل الصالح، وليس الفرار منه.

﴿٥٦﴾ مثل ذلك التكذيب الذي كذب به أهل مكة كذبت الأمم السابقة، فما جاءهم من رسول من عند الله إلا قالوا عنه: هو ساحر، أو مجنون. ﴿٥٧﴾ أتواصي المتقدمون من الكفار والمتأخرون منهم على تكذيب الرسل؟! لا، بل جمعهم على هذا طغيانهم.

﴿٥٨﴾ فأعرض - أيها الرسول - عن هؤلاء المكذبين، فما أنت بملوم، فقد بلغتهم ما أرسلت به إليهم.

﴿٥٩﴾ ولا يمنعك إعراضك عنهم من وعظهم، وتذكيرهم، فعضهم وذكرهم، فإن التذكير ينفع أهل الإيمان بالله.

﴿٦٠﴾ وما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتي وحدي، ما خلقتهم ليجعلوا لي شريكاً.

﴿٦١﴾ ما أريد منهم رزقاً، ولا أريد منهم أن يطعموني.

﴿٦٢﴾ إن الله هو الرزاق لعباده، فالجميع محتاجون إلى رزقه، ذو القوة المتين الذي لا يغلبه شيء، وجميع الجن والإنس خاضعون لقوته سبحانه.

﴿٦٣﴾ فإن للذين ظلموا أنفسهم بتكذيبك - أيها الرسول - نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم السابقين، له أجل محدد، فلا يطلبوا مني تعجيله قبل أجله.

﴿٦٤﴾ فهلاك وخسار للذين كفروا بالله، وكذبوا رسولهم من يوم القيامة الذي يوعدون فيه بإزالة العذاب عنهم.

سُورَةُ الطُّنُجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍ مَنشُورٍ ٣ وَالْبَيْتِ ٤ الْمُعْمُورِ ٥ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٦ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٨ مَّالَهُ مِنْ دَافِعٍ ٩ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ١٠ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١١ قَوْلٌ لَّيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٢ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٣ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٤ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٥

سُورَةُ الطُّنُجِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّوَرَةِ:

دحض شبهات المكذبين من خلال عرض الحجج والبراهين، إرغاماً على الإذعان والتسليم.

• التَّشْيِيرُ:

﴿١﴾ أقسم الله بالجبل الذي كلم عليه موسى ﷺ. ﴿٢﴾ وأقسم بالكتاب الذي هو مَسْطَر. ﴿٣﴾ في ورق مبسوط مفتوح كالكتب المنزلة. ﴿٤﴾ وأقسم بالبيت الذي تعمده الملائكة في السماء لعبادة الله. ﴿٥﴾ وأقسم بالسماة المرفوعة التي هي سقف الأرض. ﴿٦﴾ وأقسم بالبحر المملوء ماء. ﴿٧﴾ إن عذاب ربك - أيها الرسول - لواقع لا محالة على الكافرين. ﴿٨﴾ ليس له من دافع يدفعه عنهم، ويمنعهم من وقوعه بهم. ﴿٩﴾ يوم تنحرك السماء تحركاً، وتضطرب إندائاً بالقيامة. ﴿١٠﴾ وتسير الجبال من مواقعها سيراً. ﴿١١﴾ فهلاك وخسار في ذلك اليوم للمكذبين بما وعد الله الكافرين به من العذاب. ﴿١٢﴾ الذين هم في خوض في الباطل يلعبون، لا يبالون بيعت ولا نشور. ﴿١٣﴾ يوم يُدْفَعُونَ بشدة وعنف إلى نار جهنم دفْعاً. ﴿١٤﴾ ويقال توبيخاً لهم: هذه النار التي كنتم بها تكذبون عندما تخوفكم رسلكم منها.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الكفر ملة واحدة وإن اختلفت وسائله وتنوع أهله ومكانه وزمانه. • شهادة الله لرسوله ﷺ بتبليغ الرسالة. • الحكمة من خلق الجن والإنس تحقيق عبادة الله بكل مظاهرها. • سوف تتغير أحوال الكون يوم القيامة.

أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاَصْبِرُوا
أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿٥٧﴾ فَكِهِينَ بِمَاءٍ أُنْزِلَتْهُمْ رُفُفُهُمْ
وَوَقْلُهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥٨﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا
كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٦١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيكَهَّةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٦٢﴾
يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ
غُلَامَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٦٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ
﴿٦٦﴾ فَمَنْ أَلَّاهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٦٧﴾ إِنَّا كُنَّا
مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ
الْمُنُونِ ﴿٧٠﴾ قُلْ تَرَصُّوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٧١﴾

٥٢٤

﴿٥٥﴾ أفسح هذا الذي عاينتموه من العذاب؟! أم أنتم لا تعينونه؟!
﴿٥٦﴾ ذوقوا حرَّ هذه النار وعانوها، فاصبروا على معاناة حرِّها، أو لا تصبروا عليه، سواء صبركم وعدم صبركم، لا تجزون اليوم إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي.

ولما ذكر الله جزاء المكذبين، ذكر جزاء المصدقين المتقين، فقال:

﴿٥٧﴾ إن المتقين لربهم - بامثال أوامره، واجتناب نواهيهِ - في جنات ونعيم عظيم لا ينقطع.

﴿٥٨﴾ يتفكهون بما أعطاهم الله من لذائذ المأكَل والمشرب والمنكح، ووقاهم ربهم سبحانه عذاب الجحيم؛ فجازوا بحصول مطلوبهم من الملذات، وبوقايتهم من المكدرات.

﴿٥٩﴾ ويقال لهم: كلوا واشربوا مما اشتتهه أنفسكم، هنيئًا، لا تخافون ضررًا ولا أذى مما تآكلون أو تشربون؛ جزاء لكم على أعمالكم الطيبة في الدنيا.

﴿٦٠﴾ متكونون على الأرائك المزينة قد جعلت متقابلة بعضها إلى جانب بعض، وزوجناهم بنساء بيض واسعات العيون.

﴿٦١﴾ والذين آمنوا واتبعهم أولادهم في الإيمان، ألحقنا بهم أولادهم لتقر أعينهم بهم، ولو لم يبلغوا أعمالهم،

وما نقصناهم شيئًا من ثواب أعمالهم، كل إنسان محبوب بما كسبه من عمل سيئ لا يحمل عنه غيره من عمله شيئًا.

﴿٦٢﴾ وأمددنا أهل الجنة هؤلاء بصنوف من الفاكهة، وأمددناهم بكل ما اشتتهوه من لحم.

﴿٦٣﴾ يتعاطون في الجنة كأسًا لا يترتب على شربها ما يترتب عليها في الدنيا، من الكلام الباطل والإثم بسبب السكر.

﴿٦٤﴾ ويدور عليهم غلمان سخروا لخدمتهم كأنهم في صفاء بشرتهم وبياضها لؤلؤ محفوظ في أصدافه.

﴿٦٥﴾ وأقبل بعض أهل الجنة على بعض، يسأل بعضهم بعضًا عن حالهم في الدنيا.

﴿٦٦﴾ فيجيبونهم: إنا كنا في الدنيا بين أهلينا خائفين من عذاب الله.

﴿٦٧﴾ فمَنْ أَلَّاهُ عَلَيْنَا بالهداية إلى الإسلام، ووقانا العذاب البالغ في الحرارة.

﴿٦٨﴾ إنا كنا في حياتنا الدنيا نعبده، وندعوه أن يقينا عذاب النار، إنه هو المحسن الصادق في وعده لعباده، الرحيم بهم، ومن برّه ورحمته بنا أن هداانا للإيمان، وأدخلنا الجنة، وأبعدنا عن النار.

﴿٦٩﴾ فذكر - أيها الرسول - بالقرآن، فلست بما أنعم الله عليك به من الإيمان والعقل بكاهن لك رَيْبٍ من الجن، ولست بمجنون.

﴿٧٠﴾ أم يقول هؤلاء المكذبون: إن محمدًا ليس رسولًا، بل هو شاعر نتظر به أن يتخطفه الموت، فنستريح منه.

﴿٧١﴾ قل لهم - أيها الرسول -: انظروا موتي، وأنا أنتظر ما يحلّ بكم من عذاب بسبب تكذيبكم إياي.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الجمع بين الآباء والأبناء في الجنة في منزلة واحدة وإن قصر عمل بعضهم إكرامًا لهم جميعًا حتى تتم الفرحة.

• خمر الآخرة لا يترتب على شربها مكروه. • من خاف من ربه في دنياه أَمَنَهُ في آخرته.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُوا بِهِدًا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٢٣ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ
 بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٤ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ
 ٢٥ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ٢٦ أَمْ خَلَقُوا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَتَّقُونَ ٢٧ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ
 أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ٢٨ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ
 مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٢٩ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ٣٠
 أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ٣١ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ
 فَهُمْ يَكْمُنُونَ ٣٢ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ٣٣
 أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣٤ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا
 مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ٣٥ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا
 يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ٣٦ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
 وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٣٧ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ
 أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٣٨ وَأَصْبَرَ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
 بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٣٩ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ٤٠

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

الْبَاقِي

الْبَاقِي

٥٢٥

٢٣) بل أتأمرهم عقولهم بقولهم: إنه كاهن ومجنون؟! فيجتمعون بين ما لا يجمعون في شخص، بل هم قوم متجاوزون للحدود، فلا يرجعون إلى شرع ولا عقل.

٢٤) أم يقولون: إن محمدًا اختلق هذا القرآن، ولم يوح إليه به؟! لم يخلقه، بل هم يستكبرون عن الإيمان به، فيقولون: اختلقه.

٢٥) فلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ولو كان مُخْتَلَفًا إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ في دعواهم أنه اختلقه.

٢٦) أم خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ يخلقهم؟! أم هم الخالقون لأنفسهم؟! لا يمكن وجود مخلوق دون خالق، ولا مخلوق يخلق، فلم لا يعبدون خالقهم؟! لا يمكن

٢٧) أم خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟! بل لا يوقنون أن الله هو خالقهم، إذ لو أيقنوا ذلك لوحدوه، ولأمنوا برسوله.

٢٨) أم عندهم خزائن ربك من الرزق فيمنحوه من يشاؤون، ومن النبوة فيعطوها ويمنعوها من أرادوا؟! أم هم المُتَسَلِّطُونَ المتصرفون حسب مشيئتهم؟! لا يمكن

٢٩) أم لهم مِرْقَاة يرقون بها إلى السماء يستمعون فيها إلى وحي الله بوحيه أنهم على حق؟! فلْيَأْتِ مَنْ استمع منهم إلى ذلك الوحي بحجة واضحة تصدقكم فيما تدعونه من أنكم على حق.

٣٠) أم له بَنَاتٌ التي تكرهونها، ولكم البنون الذين تحبونهم؟! لا يمكن

٣١) أم تطلب منهم - أيها الرسول -

أَجْرًا على ما تبلغهم عن ربك؟! فهم بسبب ذلك مكلفون جميلًا لا يقدرين على حمله.

٣٢) أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون للناس ما يظنون عليه من الغيوب، فيخبرونهم بما شاؤوا منها؟! لا يمكن

٣٣) أم يريد هؤلاء المكذبون كَيْدًا بك وبدينك؟! فتق بالله، فالذين كفروا بالله وبرسوله هم الممكرون بهم، لا أنت.

٣٤) أم لهم معبود بحق غير الله؟! تنزه الله وتقدس عما ينسبونه إليه من الشريك. كل ما تقدم لم يكن ولا يتصور بحال.

٣٥) وَإِنْ يَرَوْا قُطْعًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطَةً يَقُولُوا عَنْهُ: هذا سحاب متراكم بعضه على بعض كالعادة، فلا يتعظون، ولا يؤمنون.

٣٦) فَاتْرَكْهُمْ - أيها الرسول - في عنادهم وجحودهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يعذبون، وهو يوم القيامة.

٣٧) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، ولا هم ينصرون بإنقاذهم من العذاب.

٣٨) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْشُرْكِ وَالْمَعَاصِي عَذَابًا قَبْلَ عَذَابِ الْآخِرَةِ؛ في الدنيا بالقتل والسبي، وفي الْبَرَزْخِ بعذاب القبر، ولكنَّ معظمهم لا يعلمون ذلك، فلذلك يقيمون على كفرهم.

ولما بين الله بطلان ما عليه المشركون أمر رسوله بعدم المبالاة بهم، وبالصبر على تكذيبهم فقال:

٣٩) وَأَصْبِرْ - أيها الرسول - لقضاء ربك، ولحكمه الشرعي، فإنك بمرأى منا وحفظ، وسبح بحمد ربك حين تقوم من نومك.

٤٠) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ رَبَّكَ، وصلِّ له، وصل صلاة الفجر حين إدبار النجوم بأقولها بضوء النهار.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الطغيان سبب من أسباب الضلال. • أهمية الجدال العقلي في إثبات حقائق الدين. • ثبوت عذاب البرزخ.

سورة النجم

— مكية —

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ
 الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥
 ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨
 فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠
 مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَمْرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ
 نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥
 إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ
 مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨ أَفَرَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنْوَةَ
 الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذْ أَسْمَتُهُ
 ضِيْرَىٰ ۝٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
 وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ۝٢٣ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ
 الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝٢٥ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي
 شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ۝٢٦

٥٢٦

- من قاصداً الشَّوْرَة:
- بيان صدق الوحي وعلو مصدره، إثباتاً لعقيدة التوحيد، وإبطالاً لعقيدة الشرك.
- التفسير:
- ١ أقسم سبحانه بالنجم إذا سقط.
- ٢ ما انحرف محمد رسول الله ﷺ عن طريق الهداية، وما صار غوياً، ولكنه رشيد.
- ٣ وما يتكلم بهذا القرآن تبعاً لهواه.
- ٤ ليس هذا القرآن إلا وحياً يوحى الله إليه عن طريق جبريل ﷺ.
- ٥ علمه إياه ملك شديد القوة هو جبريل ﷺ.
- ٦ وجبريل ﷺ ذو هيئة حسنة، فاستوى ﷺ ظاهراً للنبي ﷺ على هيئته التي خلقه الله عليها.
- ٧ وجبريل بالافق الأعلى من السماء.
- ٨ ثم اقترب جبريل ﷺ من النبي ﷺ، ثم ازداد قرباً منه.
- ٩ فكان قربه منه بمقدار قوسين أو هو أقرب.
- ١٠ فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ﷺ ما أوحى.
- ١١ ما كذب قلب محمد ﷺ ما رآه بصره.
- ١٢ أفتجادلونه - أيها المشركون - فيما أراه الله ليلة أسرى به؟!

- ١٣ ولقد رأى محمد ﷺ جبريل على صورته مرة أخرى ليلة أسرى به. ١٤ عند سدره المنتهى وهي شجرة عظيمة جداً في السماء السابعة. ١٥ عند هذه الشجرة جنة المأوى. ١٦ إذ يغشى السدره من أمر الله شيء عظيم، لا يعرف كنهه إلا الله. ١٧ ما مال بصره ﷺ يميناً ولا شمالاً، ولا تجاوز ما حد له.
- ١٨ لقد رأى محمد ﷺ ليلة عرج به من آيات ربه العظمى الدالة على قدرته، فرأى الجنة، ورأى النار، وغيرهما.
- ١٩ أفرأيتم - أيها المشركون - هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله: اللات والعزى. ٢٠ ومناة الثالثة الأخرى من أصنامكم. أخبروني هل تملك لكم نفعاً أو ضرراً؟! ٢١ ألكم - أيها المشركون - الذكر الذي تحبونه، وله سبحانه الأنثى التي تكرهونها؟! ٢٢ تلك القسمة التي قسمتموها بأهوائكم قسمة جائرة. ٢٣ ليست هذه الأصنام إلا أسماء فارغة من المعنى، فلا حظ لها في صفات الألوهية، سميتموها أنتم وآبائكم من تلقاء أنفسكم، ما أنزل الله بها من برهان، لا يتبع المشركون في اعتقادهم إلا الظن وما تهواه أنفسهم مما زينه الشيطان في قلوبهم، ولقد جاءهم من ربهم الهدى على لسان نبيه ﷺ، فما اهتموا به.
- ٢٤ أم للإنسان ما تمنى من شفاعاة الأصنام إلى الله؟!
- ٢٥ لا، ليس له ما تمنى، فله وحده الآخرة والأولى، يعطي منهما ما يشاء ويمنع ما يشاء.
- ٢٦ وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً لو أرادوا أن يشفعوا لأحد إلا بعد أن يأذن الله في الشفاعاة لمن يشاء منهم، ويرضى عن المشفوع له، فلن يأذن الله لمن جعل شريكاً أن يشفع، ولن يرضى عن مشفوعه الذي يعبده من دون الله.
- من قوايد الآيات: • كمال أدب النبي ﷺ حيث لم يزغ بصره وهو في السماء السابعة. • سفاهة عقل المشركين حيث عبدوا شيئاً لا يضر ولا ينفع، ونسبوا لله ما يكرهون واصطفوا لهم ما يحبون. • الشفاعاة لا تقع إلا بشرطين: الإذن للشافع، والرضا عن المشفوع له.

١٧) إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأَنْثَى
 وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ
 الْحَقِّ شَيْئًا ١٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا ١٩) ذَلِكَ مَبْغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
 سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ٢٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا مَاعْمَلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
 بِالْحُسْنَى ٢١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرًا مِنَ الْأَشْيَاءِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ
 إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 وَإِذَا أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
 بِمَنِ اتَّقَى ٢٢) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ٢٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ٢٤)
 ٢٥) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوَّيَرَى ٢٦) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ
 مُوسَى ٢٧) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ٢٨) أَلَا تَرَى وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ٢٩)
 ٣٠) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ٣١) وَأَنْ سَعَاهُ سَوْفَ يُرَى ٣٢)
 ٣٣) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ٣٤) وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ٣٥)
 ٣٦) وَأَنْهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ٣٧) وَأَنْهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ٣٨)

٥٢٧

١٧) إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً
 الْأَنْثَى بِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ،
 تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

١٨) وليس لهم بتسميتها إناثاً من علم
 يستندون إليه، لا يتبعون في ذلك إلا
 التخرف والوهم، وإن الظن لا يغني
 من الحق شيئاً حتى يقوم مقامه.

١٩) فأعرض - أيها الرسول - عمن
 أدبر عن ذكر الله ولم يعبا به، ولم يرد
 إلا الحياة الدنيا، فهو لا يعمل
 لآخرته؛ لأنه لا يؤمن بها.

٢٠) ذلك الذي يقوله هؤلاء المشركون
 - من تسمية الملائكة تسمية الأنثى -
 هو حدهم الذي يصلون إليه من العلم
 لأنهم جاهلون، لم يصلوا إلى يقين،
 إن ربك - أيها الرسول - هو أعلم بمن
 حاد عن سبيل الحق، وهو أعلم بمن
 اهتدى إلى طريقه، لا يخفى عليه شيء
 من ذلك.

٢١) والله وحده ما في السماوات، وله
 ما في الأرض ملكاً وخلقاً وتدبيراً،
 ليجزي الذين أساءوا أعمالهم في
 الدنيا بما يستحقون من العذاب،
 ويجزي المؤمنين الذين أحسنوا
 أعمالهم بالجنة.

٢٢) الذين يتعدون عن كبائر الذنوب،
 وقبائح المعاصي إلا صغائر الذنوب،
 فهذه تغفر بترك الكبائر، والإكثار من
 الطاعات، إن ربك - أيها الرسول -

واسع المغفرة، يغفر ذنوب عباده متى تابوا منها، هو سبحانه أعلم بأحوالكم وشؤونكم حين خلق أباكم آدم من
 تراب، وحين كنتم حملاً في بطون أمهاتكم تُحلقون خلقاً من بعد خلق، لا يخفى عليه شيء من ذلك، فلا تمدحوا
 أنفسكم بالثناء عليها بالتقوى، فهو سبحانه أعلم بمن اتقاها؛ بامثال أوامره، واجتناب نواهيه.

٢٣) أفرأيت قبح حال الذي أعرض عن الإسلام بعد اقترابه منه.

٢٤) وأعطى قليلاً من المال ثم منع؛ لأن البخل سجيته، ومع ذلك هو يزكي نفسه.

٢٥) أعنده علم الغيب فهو يرى ويُحدث بالغيب؟!

٢٦) أم هو مفتر على الله؟! أم لم يُخبر هذا المتقول على الله بما في الصحف الأولى التي أنزلها الله على موسى؟

٢٧) وصحف إبراهيم الذي أدى كل ما كلفه ربه به وأتمه.

٢٨) أنه لا يحمل إنسان إثم غيره.

٢٩) وأنه ليس للإنسان إلا ثواب عمله الذي عمله.

٣٠) وأن عمله سوف يرى يوم القيامة عياناً.

٣١) ثم يُعطى جزاء عمله تائماً غير منقوص.

٣٢) وأن إلى ربك - أيها الرسول - مرجع العباد ومصيرهم بعد موتهم.

٣٣) وأنه هو أفرح من يشاء فأضحكه، وأحزن من يشاء فأبكاها.

٣٤) وأنه أَمَاتَ الأحياء في الدنيا، وأحيا الموتى بالبعث.

٣٥) مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ. • انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر. • خطورة التفوق على الله بغير علم. • النهي عن تركية النفس.

﴿٦٥﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٦٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ
وَالْأُنثَىٰ .

﴿٦٦﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا وَضَعَتْ فِي الرَّحِمِ .

﴿٦٧﴾ وَأَن عَلَيْهِ النُّشْأَةُ الْآخَرَىٰ ﴿٦٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَنَّهُ
لِلْبَعثِ .

﴿٦٨﴾ وَأَنَّهُ أَغْنَىٰ مِن شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ
بِمَمْلِكَةِ الْمَالِ، وَأَعْطَىٰ مِنَ الْمَالِ مَا
يَتَخَذُهُ النَّاسُ قَنِيَةً يَتَّقُونَهُ .

﴿٦٩﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ النَّجْمِ الَّذِي
يَعْبُدُهُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ مَعَ اللَّهِ .

﴿٧٠﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ؛ وَهُمْ قَوْمُ
هُودَ لَمَّا أَصْرُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ .

﴿٧١﴾ وَأَهْلَكَ ثَمُودَ قَوْمَ صَالِحٍ ، فَلَمْ يَبْقَ
مِنْهُمْ أَحَدًا .

﴿٧٢﴾ وَأَهْلَكَ قَوْمَ نُوحٍ مِن قَبْلِ عَادٍ
وَتَمُودَ ، إِنَّ قَوْمَ نُوحٍ كَانُوا أَشَدَّ ظُلْمًا ،

وَأَعْظَمَ طُغْيَانًا مِنْ عَادٍ وَتَمُودَ ؛ لِأَنَّهُ
نُوحًا مَكَثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ

عَامًا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللَّهِ ، فَلَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَهُ .

﴿٧٣﴾ وَفَرَىٰ قَوْمٌ لُّوطٌ رَفَعَهَا إِلَى السَّمَاءِ ،
ثُمَّ قَلْبَهَا ، ثُمَّ أَسْقَطَهَا إِلَى الْأَرْضِ .

﴿٧٤﴾ فَغَطَّاهَا وَأَصَابَهَا مِنَ الْحِجَارَةِ مَا
غَطَّاهَا بَعْدَ رَفْعِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَإِسْقَاطِهَا

عَلَى الْأَرْضِ .

﴿٧٥﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكَ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ
تُجَادَلُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فَلَا تَتَعَطَّ بِهَا ؟ !

﴿٧٦﴾ هَذَا الرُّسُولُ الْمُرْسَلُ إِلَيْكُمْ مِنَ
جَنَسِ الرُّسُلِ الْأُولَى .

﴿٧٧﴾ اقْتَرَبَتِ الْقِيَامَةُ الْقَرِيبَةُ .

﴿٧٨﴾ لَيْسَ لَهَا دَافِعٌ يَدْفَعُهَا ، وَلَا مَطْلَعٌ
يُطْلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ .

﴿٧٩﴾ أَفَمَن هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي يُنَادِي بِكُمْ تَعْبِيدُونَ أَن يَكُونَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؟ ! ﴿٨٠﴾ وَتَضْحَكُونَ مِنْهُ اسْتِهْزَاءً بِهِ ، وَلَا تَكُونُونَ
عِنْدَ سَمَاعِ مَوَاعِظِهِ ؟ ! ﴿٨١﴾ وَأَنْتُمْ لَا هُمْ عَنْهُ ، لَا تَبَالُونَ بِهِ ؟ ! ﴿٨٢﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ .

سُورَةُ الْقَمَرِ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿١﴾ مِنَ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: التذكير بالآيات والنذر، وبيان مصير المكذبين بها؛ ولذا تكرر فيها: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ .

• التَّحْمِيصُ :

﴿١﴾ اقترَبَ مَجِيءُ السَّاعَةِ ، وَانْشَقَّ الْقَمَرُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَكَانَ انْشِقَاقُهُ مِنْ آيَاتِهِ ﷺ الْحَسِيَّةِ . ﴿٢﴾ وَإِنْ يَرِ
الْمُشْرِكُونَ دَلِيلًا وَبُرْهَانًا عَلَىٰ صِدْقِهِ ﷺ يُعْرَضُوا عَنْ قَبُولِهِ ، وَيَقُولُوا: مَا شَاهَدْنَاهُ مِنَ الْحُجَجِ وَالْبُرَاهِينِ سِحْرٌ بَاطِلٌ .

﴿٣﴾ وَكَذَبُوا بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْحَقِّ ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ فِي التَّكْذِيبِ ، وَكُلُّ أَمْرٍ خَيْرٌ كَانَ أَوْ شَرًّا - وَاقِعٌ بِمُسْتَحَقِّهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ . ﴿٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ بِكُفْرِهَا وَظُلْمِهَا مَا يَكْفِيهِمْ لِرُدْعِهِمْ عَنْ كُفْرِهِمْ وَظُلْمِهِمْ .

﴿٥﴾ وَالَّذِي جَاءَهُمْ حُكْمٌ تَامَةٌ لَتَقُومَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ ، فَمَا تَنْفَعُ النَّذَرَ قَوْمًا لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ .

﴿٦﴾ فَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوا فَاتْرَكَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ مُنْتَظِرًا يَوْمَ يَدْعُو الْمَلِكُ الْمُوَكَّلَ بِالتَّنْفِخِ فِي الصُّورِ إِلَى أَمْرِ
فَطَيْعٍ لَمْ تَعْرِفِ الْخِلَافَ مِثْلَهُ مِنْ قَبْلِ .

• مِنْ تَوَالِيدِ الْآيَاتِ ، • عَدَمُ التَّأَثُّرِ بِالْقُرْآنِ نَذِيرٌ شَدِيدٌ . • خَطَرُ اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ عَلَى النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . • عَدَمُ
الِاتِّعَاضِ بِهَلَاكِ الْأُمَمِ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ الْكُفَّارِ .

٧ ذليلة أبصارهم، يخرجون من القبور كأنهم في سعيهم إلى موقف الحساب جراد منتشر.

٨ مسرعين إلى الداعي إلى ذلك الموقف، يقول الكافرون: هذا اليوم يوم عسير؛ لما فيه من الشدة والأهوال.

ولما ذكر الله إعراض الكفار عن دعوة رسولنا ﷺ، أخبره بأن الأمم السابقة كذبت رسلها؛ تسلياً له، فقال:

٩ كذبت قبل هؤلاء المكذبين بدعوتك - أيها الرسول - قوم نوح، فكذبوا عبدنا نوحاً ﷺ لما بعثناه إليهم، وقالوا عنه: هو مجنون، وانتهروه بأنواع السب والشتم والتهديد إذا لم يترك دعوتهم.

١٠ فدعا نوح ربه قائلاً: إن قومي غلبوني، ولم يستجيبوا لي، فانتصر منهم بعقاب تنزله عليهم.

١١ ففتحنا أبواب السماء بماء متدفق متتابع.

١٢ وفجرنا الأرض فصارت عيوناً ينبع منها الماء، فالتقى الماء النازل من السماء مع الماء النابع من الأرض على أمر من الله قدره في الأزل، فأغرق الجميع إلا من نجاه الله.

١٣ وحملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح ومسامير، فنجيناه ومن معه من الغرق.

١٤ تجري هذه السفينة في أمواج الماء المتلاطمة بمرأى منا وحفظ، انتصاراً لنوح الذي كذبه قومه، وكفروا بما جاءهم به من عند الله.

١٥ ولقد تركنا هذا العقاب الذي عاقبناهم به؛ عبرة وعظة، فهل من معتبر يعتبر بذلك؟!

١٦ فكيف كان عذابي للمكذبين؟ وكيف كان إنذاري بإهلاكهم؟!

١٧ ولقد سهلنا القرآن للتذكر والاعتاظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟!

١٨ كذبت عاد نبياها هوداً ﷺ، فتأملوا - يا أهل مكة - كيف كان عذابي لهم؟ وكيف كان إنذاري لغيرهم بعذابهم؟!

١٩ إنا بعثنا عليهم ريحاً شديدة باردة في يوم شرّ وشؤم مستمرّ معهم إلى ورودهم جهنم.

٢٠ تقتلع الناس من الأرض، وترمي بهم على رؤوسهم كأنهم أصول نخل منقطع من مغرسه.

٢١ فتأملوا - يا أهل مكة - كيف كان عذابي لهم؟ وكيف كان إنذاري لغيرهم بعذابهم؟!

٢٢ ولقد سهلنا القرآن للتذكر والاعتاظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟!

٢٣ كذبت ثمود بما أنذرهم به رسولهم صالح ﷺ.

٢٤ فقالوا مستنكرين: أنتع بشراً من جنسنا واحداً؟ إنا إن اتبعناه في هذه الحالة لفي بعد عن الصواب وانحراف عنه، وفي عناء. ٢٥ أنزل عليه الوحي وهو واحد، واختص به دوننا جميعاً؟ لا، بل هو كذاب متجبر.

٢٦ سيعلمون يوم القيامة من الكذاب المتجبر أصالح أم هم؟

٢٧ إنا مخرجو الناقة من الصخرة وباعثوها اختباراً لهم، فانتظر - يا صالح - وراقب ما يصنعون بها وما يُضنع بهم، واصبر على أذاهم.

٢٨ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• مشروعية الدعاء على الكافر المصّر على كفره. • إهلاك المكذبين وإنجاء المؤمنين سنّة إلهية. • تيسير القرآن للحفظ والتذكر والاعتاظ.

خُسْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ٧
مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ٨ * كَذَبَتْ
قَبَائِلُهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ٩
رَبِّهِ وَأَنَّى مَعْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ
١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ١٢
وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ
كُفْرٌ ١٤ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ١٥ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِي وَنُذْرِي ١٦ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ١٧
كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ١٨ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ١٩ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُنْقَعِرٍ ٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ٢١ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٢٢ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ ٢٣ فَقَالُوا أَبَشَرًا
مِثَّنَا وَحِدًا نَدَّبَعُهُ وَإِنَّا إِذَا لَفِئَتِ صَلَالٍ وَسُعُرٍ ٢٤ أَهْلَيْ الذِّكْرِ عَلَيْهِ
مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ٢٥ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْآثِرُ
٢٦ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ٢٧

وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخْتَصِرٌ ﴿٣٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَى فَقَعَرٌ ﴿٣٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْمُحَطَّرِ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٤٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٤٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ
﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيفِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنُذْرِي ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٤٨﴾ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٥٠﴾
وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذْرُ ﴿٥١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٢﴾ أَكْفَارَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ
فِي الزُّبُرِ ﴿٥٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٥٤﴾ سَيَهْمُهُمُ الْجَمْعُ
وَيَوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٥٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ وَآمُرٌ ﴿٥٦﴾
إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٥٧﴾ قَوْمٌ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ
وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٥٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٥٩﴾

٥٣٠

﴿٣٨﴾ وأخبرهم أن ماء بينهم مقسوم بينهم وبين الناقة؛ يوم لها، ويوم لهم، كل نصيب يحضره صاحبه وحده في يومه المختص به.

﴿٣٩﴾ فنادوا صاحبهم ليقتل الناقة، فنالوا السيف وقتلها؛ امتثالاً لأمر قومه.

﴿٤٠﴾ فأنملوا - يا أهل مكة - كيف كان عذابي لهم؟! وكيف كان إنذاري لغيرهم بعذابهم؟!!

﴿٤١﴾ إنا بعثنا عليهم صيحة واحدة فأهلكتهم، فكانوا كالشجر اليابس يتخذ منه المخطّط حظيرة لغنمه.

﴿٤٢﴾ ولقد سهّلنا القرآن للتذكر والاتعاظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟!!

﴿٤٣﴾ كذبت قوم لوط بما أنذرهم به رسولهم لوط ﷺ.

﴿٤٤﴾ إنا بعثنا عليهم ريحاً ترميهم بالحجارة إلا آل لوط ﷺ، لم يصبهم العذاب، فقد أنقذناهم منه؛ إذ سري بهم قبل وقوع العذاب من آخر الليل.

﴿٤٥﴾ أنقذناهم من العذاب إنعاماً منا عليهم، مثل هذا الجزاء الذي جزينا به لوطاً نجزي من شكر الله على نعمه.

﴿٤٦﴾ ولقد خوفهم لوط عذابنا فتجادلوا بإنذاره، وكذبوه.

﴿٤٧﴾ ولقد راود لوطاً قومه أن يخلي بينهم وبين ضيوفه من الملائكة قصد فعل الفاحشة، فطمسنا أعينهم فلم تبصرهم، وقلنا لهم: ذوقوا عذابي، ونتيجة إنذاري لكم.

﴿٤٨﴾ ولقد جاءهم في وقت الصباح عذاب مستمر معهم حتى يردوا الآخرة فيأتيهم عذابنا.

﴿٤٩﴾ وقيل لهم: ذوقوا عذابي الذي أنزلته بكم، ونتيجة إنذار لوط لكم.

﴿٥٠﴾ ولقد سهّلنا القرآن للتذكر والاتعاظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟!!

﴿٥١﴾ ولقد جاء آل - فرعون إنذارنا على لسان موسى وهارون ﷺ.

﴿٥٢﴾ كذبوا بالبراهين والحجج التي جاءتهم من عندنا، فعاقبناهم على تكذيبهم بها عقوبة عزيز لا يغلبه أحد، مقتدر لا يعجز عن شيء.

﴿٥٣﴾ أكفاركم - يا أهل مكة - خير من أولئك الكفار المذكورين: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وقومه؟! أم لكم براءة من عذاب الله جاءت بها الكتب السماوية؟!!

﴿٥٤﴾ بل أيقول هؤلاء الكفار من أهل مكة: نحن جميع منتصر ممن يريدنا بسوء، ويريد تفريق جَمْعنا؟!!

﴿٥٥﴾ سيَهْمُ جَمْعُ هؤلاء الكفار ويولون الأدبار أمام المؤمنين، وقد حدث هذا يوم بدر.

﴿٥٦﴾ بل الساعة التي يكذبون بها موعدهم الذي يعذبون فيه، والساعة أعظم وأقسى مما لقوه من عذاب الدنيا يوم بدر.

﴿٥٧﴾ إن المجرمين بالكفر والمعاصي في ضلال عن الحق، وعذاب وعناء.

﴿٥٨﴾ يوم يجزون في النار على وجوههم، ويقال لهم توبيخاً: ذوقوا عذاب النار.

﴿٥٩﴾ إنا كل شيء في الكون خلقناه بتقدير سابق متنا، ووفق علمنا ومشيتنا، وما كتبناه في اللوح المحفوظ.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• شمول العذاب للمباشر للجريمة والمُتَمَالِي معه عليها. • شُكْرُ الله على نعمه سبب السلامة من العذاب. • إخبار القرآن بهزيمة المشركين يوم بدر قبل وقوعها من الإخبار بالغيب الدال على صدق القرآن. • وجوب الإيمان بالقدر.

(٥٠) وما أَمَرْنَا إِذَا أَرَدْنَا شَيْئًا إِلَّا أَنْ
نَقُولَ كَلِمَةً وَاحِدَةً هِيَ: كُنْ، فَيَكُونُ مَا
نُرِيدُ سَرِيعًا مِثْلَ لَمَحِ الْبَصَرِ.
(٥١) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أََمْثَالَكُمْ فِي الْكُفْرِ مِنْ
الْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ، فَهَلْ مِنْ مُعْتَبَرٍ يُعْتَبِرُ
بِذَلِكَ فَيَنْزَجِرَ عَنْ كُفْرِهِ؟
(٥٢) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلَهُ الْعِبَادُ فَهُوَ مَكْتُوبٌ
فِي كِتَابِ الْحِفْظَةِ لَا يَفُوتُهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ.
(٥٣) وَكُلُّ صَغِيرٍ مِنَ الْأَعْمَالِ
وَالْأَقْوَالِ، وَكُلُّ كَبِيرٍ مِنْهَا؛ مَكْتُوبٌ فِي
صَحَائِفِ الْأَعْمَالِ وَفِي اللُّوحِ
الْمَحْفُوظِ، وَسَيَجَازُونَ عَلَيْهِ.

(٥٤) إِنْ الْمُتَّقِينَ لِرَبِّهِمْ بِأَمْثَالِ أَوْامِرِهِ
وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، فِي جَنَّاتٍ يَتَنَعَّمُونَ
فِيهَا، وَفِي أَنْهَارٍ جَارِيَةٍ.
(٥٥) فِي مَجْلِسٍ حَقٌّ لَا لُغْوٍ فِيهِ وَلَا
إِثْمٌ، عِنْدَ مَلِكٍ يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، مُقْتَدِرٌ
لَا يَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ، فَلَا تَسْأَلُ عَمَّا
يُنَالُونَ مِنْهُ مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ.

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

— مَدَنِيَّةٌ —

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
الإعلام بآلاء الله الباهرة وآثار رحمته
الظاهرة في الدنيا والآخرة، ترغيباً في
الإيمان، وتحذيراً من الكفران.

● التفسير:
(١) الرحمن ذو الرحمة الواسعة.
(٢) علم الناس القرآن بتسهيل حفظه،
وتيسير فهم معانيه.

(٣) خلق الإنسان سوياً، وأحسن
تصويره. (٤) علمه كيف يبين عمماً في ضميره نطقاً وكتابة.

(٥) الشمس والقمر قَدَرَهُمَا؛ يسيران بحساب متقن؛ ليعلم الناس عدد السنين والحساب.
(٦) وما لا ساق له من النبات والشجر يسجدان لله سبحانه مفقدين مستسلمين له.
(٧) والسماء رفعها فوق الأرض سقفاً لها، وأثبت العدل في الأرض، وأمر به عباده.
(٨) أثبت العدل لثلاث تجوروا - أيها الناس - وتخونوا في الوزن والكيل.
(٩) وأقيموا الوزن بينكم بالعدل، ولا تنقصوا الوزن أو الكيل إذا كلتم أو وزنتم لغيركم.
(١٠) والأرض وضعها مَهَيَّأة لاستقرار الخلق عليها.

(١١) فيها الأشجار التي تثمر الفواكه، وفيها النخل ذات الأوعية التي يكون منها التمر.

(١٢) وفيها الحب ذو التبن كالتبر والشعير، وفيها النباتات التي تستطيبون رائحتها.

(١٣) فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبون؟!

(١٤) خلق آدم ﷺ من طين يابس تسمع له صلصلة، مثل الطين المطبوع.

(١٥) وخلق أبا الجن من لهب خالص من الدخان.

(١٦) فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبون؟! (١٧) رب مشرق الشمس ومغربها شتاءً

وصيفاً. (١٨) فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبون؟!

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● كتابة الأعمال صغيرها وكبيرها في صحائف الأعمال. ● ابتداء الرحمن بذكر نعمه بالقرآن
دلالة على شرف القرآن وعظم منته على الخلق به. ● مكانة العدل في الإسلام. ● نعم الله تقتضي منا العرفان بها
وشكرها، لا التكذيب بها وكفرها.

وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ
(٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ (٥٣) إِنْ الْأَمْتَقِينَ
فِي جَنَّتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦)
وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨)
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) وَالْأَرْضَ
وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ (١٠) فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَمَامِ (١١)
وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آيَةِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ
مَارِجٍ مِّن نَّارٍ (١٥) فَبِأَيِّ آيَةِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ
الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ آيَةِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨)

٥٣١

- ﴿١﴾ خلط الله البحرين المالح والعذب يلتقيان فيما تراه العين.
- ﴿٢﴾ بينهما حاجز يمنع كلا منهما أن يطغى على الآخر حتى يبقى العذب عذباً والمالح مالحاً.
- ﴿٣﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟!
- ﴿٤﴾ يخرج من مجموع البحرين كبار الدر وصغاره.
- ﴿٥﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟!
- ﴿٦﴾ وله تعالى وحده التصرف في السفن الجارية في البحار مثل الجبال.
- ﴿٧﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟!
- ﴿٨﴾ كل من على وجه الأرض من الخلائق هالك لا محالة.
- ﴿٩﴾ ويبقى وجه ربك - أيها الرسول - ذو العظمة والإحسان والتفضل على عباده، فلا يلحقه فناء أبداً.
- ﴿١٠﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟!
- ﴿١١﴾ يسأله كل من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من الجن والإنس؛ حاجاتهم، كل يوم هو في شأن من شؤون عباده؛ من إحياء وإماتة ورزق وغير ذلك.
- ﴿١٢﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟!
- ﴿١٣﴾ ستفرغ لحسابكم - أيها الإنس والجن - فنجازي كلا بما يستحقه من ثواب أو عقاب.

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١﴾ بَيْنَهُمَا بَرْحٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٣﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٥﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٧﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٨﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿١٠﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿١١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿١٢﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿١٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿١٤﴾ يَمْعَشِرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا وَلَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿١٥﴾ يَرْسُلُ عَلَيْكُمَا سُوَّاطٍ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَّاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿١٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿١٧﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿١٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿١٩﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْعَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٢١﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٢٢﴾

٥٣٢

- ﴿١﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟!
- ﴿٢﴾ ويقول الله يوم القيامة إذا جمع الجن والإنس: يا معشر الجن والإنس، إن استطعتم أن تجدوا لكم مخرجاً من ناحية من نواحي السماوات والأرض فافعلوا، ولن تستطيعوا أن تفعلوا ذلك إلا بقوة وبينة، وأنتى لكم ذلك؟
- ﴿٣﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟!
- ﴿٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا - أيها الإنس والجن - لهب من النار خالٍ من الدخان، ودخان لا لهب فيه، فلا تستطيعان الامتناع من ذلك.
- ﴿٥﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟!
- ﴿٦﴾ فإذا تشققت السماء لتزول الملائكة منها فكانت حمراء مثل الدهن في إشراق لونه.
- ﴿٧﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟!
- ﴿٨﴾ ففي ذلك اليوم العظيم لا يُسأل إنس ولا جن عن ذنوبهم؛ لعلم الله بأعمالهم.
- ﴿٩﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟!
- ﴿١٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ يوم القيامة بعلامتهم وهي سواد الوجوه وزرقة العيون، فُتَضَمَّ نواصيهم إلى أقدامهم فيرمون في جهنم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الجمع بين البحر المالح والعذب دون أن يختلطا من مظاهر قدرة الله تعالى. • ثبوت الفناء لجميع الخلائق، وبيان أن البقاء لله وحده حضاً للعباد على التعلق بالباطني - سبحانه - دون من سواه. • إثبات صفة الوجه لله على ما يليق به سبحانه دون تشبيه أو تمثيل. • تنويع عذاب الكافر.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤١﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٢﴾ يَطْوِفُونَ فِيهَا وَيَبْنَوْنَ حَمِيمًا ۖ إِن ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٣﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فَبِأَيِّ
 آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٤﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٤٦﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٤٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٤٨﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٠﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۖ وَحَنَىٰ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ
 ﴿٥١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٢﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْغُرُفِ
 لَمْ يُطْمِئْضُنَّ ۖ إِنْسُ قِبَلُهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٤﴾ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٥٦﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٥٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٥٨﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٥٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٦٠﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٦٢﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٦٤﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٦﴾

٥٣٣

﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا
 معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٤٢﴾
 ﴿٤٣﴾ ويقال لهم توبخاً: هذه جهنم
 التي يكذب بها المجرمون في الدنيا
 أمام أعينهم لا يستطيعون إنكارها.
 ﴿٤٤﴾ يترددون بينها وبين ماء حارٍّ شديد
 الحرارة.
 ﴿٤٥﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا
 معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٤٦﴾
 ﴿٤٧﴾ وللذي خاف القيام بين يدي ربه
 في الآخرة فأمن وعمل صالحاً،
 جنتان.
 ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا
 معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٤٩﴾
 ﴿٥٠﴾ وهاتان الجنتان ذواتا أغصان
 عظيمة نضرة مثمرة.
 ﴿٥١﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا
 معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٥٢﴾
 ﴿٥٣﴾ في الجنتين عينان تجريان
 خللهما بالماء.
 ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا
 معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٥٥﴾
 ﴿٥٦﴾ فيهما من كل فاكهة يُتَفَكَّهُ بها
 صنفان.
 ﴿٥٧﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا
 معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٥٨﴾
 ﴿٥٩﴾ متكئين على فرش بطائنها من
 الديباج الغليظ، وما يُحَنَى من الشمار
 والفواكه من الجنتين قريب يتناوله
 القائم والجالس والمتكى.
 ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا
 معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٦١﴾
 ﴿٦٢﴾ فيهن نساء قصرون نظهن على أزواجهن، لم يفتَضِضْنَ بكارتهن قبل أزواجهن إنس ولا جان.

﴿٦٣﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٦٤﴾

﴿٦٥﴾ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ جَمَالاً وَصَفَاءً.

﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٦٧﴾

﴿٦٨﴾ ما جزاء من أحسن بطاعة ربه إلا أن يحسن الله جزاءه؟! ﴿٦٩﴾

﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٧١﴾

﴿٧٢﴾ ومن دون هاتين الجنتين المذكورتين جنتان أخريان.

﴿٧٣﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٧٤﴾

﴿٧٥﴾ قد اشتدت خضرتهما.

﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٧٧﴾

﴿٧٨﴾ في هاتين الجنتين عينان شديدتا الفُورَانِ بالماء، لا يقطع فُورَانِ مائهما.

﴿٧٩﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٨٠﴾

﴿٨١﴾ في هاتين الجنتين فاكهة كثيرة ونخل عظيم ورُمَّان.

﴿٨٢﴾ فَبِأَيِّ نِعَمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟! ﴿٨٣﴾

• مِنْ قَوْلِهَا الْآيَاتِ،

• أهمية الخوف من الله واستحضار رهبة الوقوف بين يديه. • مدح نساء الجنة بالعفاف دلالة على فضيلة هذه
 الصفة في المرأة. • الجزء من جنس العمل.

- (٧١) في هذه الجنان نساء طبيبات الأخلاق حسان الوجوه.
- (٧٢) فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟! حور مستورات في الخيام صونا لهن.
- (٧٣) فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟! لم يقترب منهم قبل أزواجهن إنس ولا جان.
- (٧٤) فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟! متكئين على وسائل مغطاة بأغطية خضر، وفرش حسان.
- (٧٥) فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟! تعظم وكثر خير اسم ربك ذي العظمة والإحسان والتفضل على عباده.

سورة الواقعة

— مكية —

• من مقاصد الشورى: التخويف بيوم القيامة، وتحقيق وقوعه وأصناف الناس فيه وبيان جزاء كل منهم.

• التفسير:

- (١) إذا قامت القيامة لا محالة.
- (٢) لن توجد نفس تكذب بها كما كانت تكذب في الدنيا.

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٢﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٤﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٦﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٨﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٩﴾

سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّفُونَ السَّيِّفُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

٥٣٤

- (١) خافضة للكفار الفجار بإدخالهم في النار، رافعة للمؤمنين المتقين بإدخالهم في الجنة.
- (٢) إذا حركت الأرض تحريكًا عظيمًا.
- (٣) فكانت من التفتت غبارًا منتشرًا لا ثبات لها.
- (٤) فاصحاب اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم، ما أعلى وأعظم منزلتهم!
- (٥) واصحاب الشمال الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم، ما أخسر وأسوأ منزلتهم!
- (٦) والسابقون بفعل الخيرات في الدنيا هم السابقون في الآخرة لدخول الجنة.
- (٧) أولئك هم المقربون عند الله.
- (٨) في جنات النعيم، يتمتعون بأصناف النعيم.
- (٩) جماعة من هذه الأمة ومن الأمم السابقة.
- (١٠) وقليل من الناس في آخر الزمان هم السابقون المقربون.
- (١١) على أسيرة منسوجة بالذهب.
- (١٢) متكئين على هذه الأسيرة متقابلين بوجوههم، لا ينظر أحدهم قفا غيره.

• من فوائد الآيات:

- دوام تذكر نعم الله وآياته سبحانه موجب لتعظيم الله وحسن طاعته.
- انقطاع تكذيب الكفار بمعاينة مشاهد القيامة.
- تفاوت درجات أهل الجنة بتفاوت أعمالهم.

(٧) يدور عليهم لخدمتهم ولدان لا ينالهم حرّ ولا فناء.
 (٨) يدورون عليهم بأقداح لا غرأ لها، وأباريق لها غرأ، وكأس من خمر جارية في الجنة لا تنقطع.
 (٩) ليست كخمر الدنيا، فلا يلحق شاربها صداع، ولا ذهاب عقل.
 (١٠) ويدور عليهم هؤلاء الولدان بفاكهة مما يختارون.
 (١١) ويدورون بلحم طير مما تشتهي أنفسهم.
 (١٢) ولهم في الجنة نساء واسعات العيون في جمال.
 (١٣) كأمثال اللؤلؤ المصون في صدقه.
 (١٤) ثواباً لهم على ما كانوا يعملونه من الأعمال الصالحات في الدنيا.
 (١٥) لا يسمعون في الجنة فاحش كلام، ولا ما يلحق صاحبه إثم.
 (١٦) لا يسمعون إلا سلام الملائكة عليهم، وسلام بعضهم على بعض.
 (١٧) وأصحاب اليمين، ما أصحاب اليمين؟ بالعظمة مكانتهم وشأنهم عند الله.
 (١٨) في سدر مقطوع الشوك، لا أذى فيه.
 (١٩) وفي موز متراكم مصفوف بعضه إلى بعض.
 (٢٠) وظل ممدود مستمر لا يزول.
 (٢١) وماء جار لا يتوقف.
 (٢٢) وفاكهة كثيرة لا تنحصر.
 (٢٣) لا تنقطع عنهم أبداً، فليس لها موسم، ولا يحول دونها مانع في أي وقت أرادوها.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿٩﴾ وَفَلَكَهَاتٍ مِّمَّا يَتَخَبَّزُونَ ﴿١٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿١٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿١٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿١٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿١٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿١٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿١٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿١٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٢٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٢١﴾ وَفَلَكَهَاتٍ كَثِيرَةٍ ﴿٢٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٢٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٢٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٢٥﴾ فَعَلَّاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٢٦﴾ غُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٢٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٣١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٣٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٣٥﴾ وَكَانُوا يُقُولُونَ إِذَا امْتَنَّا وَكَانَّا فِئْرَابًا وَعِظْمَاءَ تَالِبُوعُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَّابًا أَوْنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٣٨﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٩﴾

(٣١) وفرش مرفوعة عالية توضع على الأسرة.
 (٣٢) إنا أنشأنا الحور المذكورات إنشاء غير مألوف.
 (٣٣) فصبرناهن أبكاراً لم يلمسن من قبل. (٣٤) مُتَحَبَّاتٍ إلى أزواجهن، مستويات في السن.
 (٣٥) أنشأناهن لأصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم ذات اليمين علامة على سعادتهم.
 (٣٦) هم جماعة من أمم الأنبياء السابقين. (٣٧) وجماعة من أمة محمد ﷺ وهي آخر الأمم.
 (٣٨) وأصحاب الشمال، ما أصحاب الشمال؟ يا لسوء حالهم ومصيرهم.
 (٣٩) في رياح شديدة الحرارة، وفي ماء شديد الحرارة. (٤٠) وفي ظل دخان مُسَوَّد.
 (٤١) لا طيب الهبوب، ولا حسن المنظر.
 (٤٢) إنهم كانوا قبل ما صاروا إليه من العذاب مُتَنَعِّمين في الدنيا، لا همّ لهم إلا شهواتهم.
 (٤٣) وكانوا يصرمون على الكفر بالله وعبادة الأصنام من دونه.
 (٤٤) وكانوا ينكرون البعث فيقولون استهزاء واستبعاداً له: إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً نَجْرة أبعث بعد ذلك؟!
 (٤٥) أو يبعث آباؤنا الأولون الذين ماتوا قبلنا؟!
 (٤٦) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنكرين للبعث: إن الأولين من الناس والمتأخرين منهم.
 (٤٧) سيُجمعون يوم القيامة لا محالة للحساب والجزاء.

• من قوائد الآيات، العمل الصالح سبب لنيل النعيم في الآخرة. • الترف والتنعم من أسباب الوقوع في المعاصي. • خطر الإصرار على الذنب.

ثُمَّ إِنَّكُمْ إِيَّهَا الضَّالُّونَ الْمَكِيدُونَ ﴿٥١﴾ لَا كُؤُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفُومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَا لَوْ أَنَّ مَتَاهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ
شُرْبَ الْهَبِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ءَأَمْ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَابِيتَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمْ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾
ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطَمًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُوتَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ
مِنَ الْمُزْنِ ءَأَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ
شَجَرَتَهَا ءَأَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا
لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَا أَقْسَمُ
بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعَّالِمُونَ عَظِيمٍ ﴿٧٦﴾

٥٣٦

﴿٥١﴾ ثم إنكم - أيها المكذبون بالبعث،
الضالون عن الصراط المستقيم -
﴿٥٢﴾ لآكلون يوم القيامة من ثمر شجر
الزفوم، وهو شجر ثمر وأخبطه.
﴿٥٣﴾ فمالئون من ذلك الشجر المر
بطونكم الخاوية.
﴿٥٤﴾ فشاربون عليه من الماء الحار
الشديد الحرارة.
﴿٥٥﴾ فمكترون من شربه كما تكثر الإبل
من الشرب بسبب داء الهيام.
﴿٥٦﴾ هذا المذكور من الطعام المر
والماء الحار هو ضيافتهم التي
يُسْتَقْبَلون بها يوم الجزاء.
﴿٥٧﴾ نحن خلقناكم - أيها المكذبون -
بعد أن كنتم عدماً، فهلاً صدقتم بأننا
سنعينكم أحياء بعد موتكم؟!
﴿٥٨﴾ أفرأيتم - أيها الناس - ما تقذفونه
من المني في أرحام نساكنكم؟!
﴿٥٩﴾ أنتم تخلقون ذلك المني، أم
نحن الذين نخلقه؟!
﴿٦٠﴾ نحن قدرنا بينكم الموت، فلكل
واحد منكم أجل لا يتقدم عليه ولا
يتأخر، وما نحن بعاجزين.
﴿٦١﴾ على أن تبدل ما أنتم عليه من الخلق
والتصوير مما علمتموه، وننشئكم فيما
لا تعلمونه من الخلق والتصوير.
﴿٦٢﴾ ولقد علمتم كيف خلقناكم الخلق
الأول، أفلا تعتبرون وتعلمون أن الذي
خلقكم أول مرة قادر على بعثكم بعد
موتكم؟!
﴿٦٣﴾ أفرأيتم ما تلقونه من البذر في الأرض؟!
﴿٦٤﴾ أنتم الذين تنبتون ذلك البذر، أم نحن الذين ننبئه؟!
﴿٦٥﴾ لو نشاء جعل ذلك الزرع حطاماً لجعلناه حطاماً بعد أن أوشك على النضج والإدراك، فظللتم بعد ذلك
تتعجبون مما أصابه.
﴿٦٦﴾ تقولون: إنا لمعذبون بخسارة ما أنفقناه. ﴿٦٧﴾ بل نحن محرومون من الرزق.
﴿٦٨﴾ أفرأيتم الماء الذي تشربون منه إذا عطشتم؟! ﴿٦٩﴾ أنتم أنزلتموه من السحاب في السماء، أم نحن الذين أنزلناه؟!
﴿٧٠﴾ لو نشاء جعل ذلك الماء شديد الملوحة لا يُنتفع به شرباً ولا سقياً لجعلناه شديد الملوحة، فلولا تشكرون الله
على إنزاله غذياً رحمة بكم.
﴿٧١﴾ أفرأيتم النار التي توقدونها لمنافعكم؟!
﴿٧٢﴾ أنتم الذين أنشأتم الشجرة التي توقد منها، أم نحن الذين أنشأناها رفقا بكم؟!
﴿٧٣﴾ نحن صيرنا هذه النار تذكراً لكم تذكركم بنار الآخرة، وصيرناها منفعة للمسافرين منكم.
﴿٧٤﴾ فتزه - أيها الرسول - ربك العظيم عما لا يليق به. ﴿٧٥﴾ أقسم الله بأماكن النجوم ومواقعها.
﴿٧٦﴾ وإن القسم بهذه المواقع - لو تعلمون عظمه - لعظيم؛ لما فيه من الآيات والعبر التي لا تنحصر.
• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ • دلالة الخلق الأول على سهولة البعث ظاهرة. • إنزال الماء وإنبات الأرض والنار التي ينتفع
بها الناس نعم تقتضي من الناس شكرها لله، فالله قادر على سلبها متى شاء. • الاعتقاد بأن للكواكب أثراً في
نزول المطر كفر وهو من عادات الجاهلية.

إِنَّهُ لَقَرُءٌ أُنْزِلَ فِي كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفِي هَذَا الْحَدِيثِ
أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا
إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِنْ حَرِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَصَلِيلَةٌ جَعِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا الْهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سورة الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

٥٣٧

الميت من المكذبين بما جاء به الرسول ﷺ الضالين عن الصراط المستقيم. ﴿٣﴾ فضيافته التي يستقبل بها ماء حارّ شديد الحرارة. ﴿٤﴾ وله احتراق بنار الجحيم. ﴿٥﴾ إن هذا الذي قصصناه عليك - أيها الرسول - لهو حق اليقين الذي لا مزية فيه. ﴿٦﴾ فتزّه اسم ربك العظيم، وقُدّسه عن النقائص.

سورة الحديد

— مَدِينَةٌ —

● من قفاصل السور:

بناء القوة الإيمانية والمادية الباعثة على الدعوة والجهاد، وتخليص النفوس من عوائقها؛ ولذا تكرر فيها ذكر الإنفاق والإيمان.

● التفسير:

﴿١﴾ نزّه الله وقُدّسه ما في السماوات والأرض من مخلوقاته، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره. ﴿٢﴾ له وحده ملك السماوات والأرض، يحيي من يشاء أن يحييه، ويميت من يشاء أن يميت، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء. ﴿٣﴾ هو الأول الذي لا شيء قبله، وهو الآخر الذي لا شيء بعده، وهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، وهو بكل شيء عليم، لا يفوته شيء.

● من قوايد الآيات: ● شدة سكرات الموت وعجز الإنسان عن دفعها. ● الأصل أن البشر لا يرون اسملائكة إلا إن أراد الله لحكمة. ● أسماء الله (الأول، الآخر، الظاهر، الباطن) تقتضي تعظيم الله ومراقبته في الأعمال الظاهرة والباطنة.

﴿٧٧﴾ إن القرآن المقروء عليكم - أيها الناس - قرآن كريم؛ لما فيه من المنافع العظيمة. ﴿٧٨﴾ في كتاب مَكْنُونٍ عن أعين الناس، وهو اللوح المحفوظ. ﴿٧٩﴾ لا يمسّه إلا الملائكة المطهرون من الذنوب والعيوب. ﴿٨٠﴾ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّ الْخَلَائِقِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ. ﴿٨١﴾ أفهنا الحديث أنتم - أيها المشركون - مكذبون غير مصدقين؟! ﴿٨٢﴾ وتجعلون شكركم لله على ما رزقكم به من النعم أنكم تكذبون به، فتنسبون المطر إلى الثَّوء، فتقولون: مطرنا بثَّوء كذا وثَّوء كذا؟! لما ذكر بعض أدلة البعث أراد أن يبيّن على قدرته على الإعادة بالإشارة إلى عجزهم عن دفع الموت، فالذي أمات قادر على أن يحيي. ﴿٨٣﴾ فهنا إذا وصلت الروح الحلقوم، ﴿٨٤﴾ وأنتم في ذلك الوقت تنظرون المُخْضِر بين أيديكم، ﴿٨٥﴾ ونحن بعلمنا وقدرتنا وملائكتنا أقرب إلى ميتكم منكم، ولكن لا تشاهدون هؤلاء الملائكة. ﴿٨٦﴾ فهنا - إن كنتم، كما تزعمون، غير مبعوثين لمجازاتكم على أعمالكم - ﴿٨٧﴾ ترجعون هذه الروح التي تخرج من ميتكم إن كنتم صادقين؟! ولا تستطيعون ذلك. ﴿٨٨﴾ فأما إن كان الميت من السابقين إلى الخيرات، ﴿٨٩﴾ فله راحة لا تعب بعدها، ورزق طيب، ورحمة، وله جنة يتنعم فيها بما تشهيه نفسه. ﴿٩٠﴾ وأما إن كان الميت من أصحاب اليمين فلا تهتم لشأنهم، فلهم السلامة والأمن. ﴿٩١﴾ وأما إن كان

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ ۚ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكِ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهَا وَكُلًّا وََعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٧﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ وَلَهُ ۖ وَلَهُ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٨﴾

٥٣٨

﴿١﴾ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام بدأت بيوم الأحد، وانتهت بيوم الجمعة، وهو قادر على خلقها في أقل من طرفة عين، ثم علا وارتفع سبحانه على العرش علواً يليق به سبحانه، يعلم ما يدخل في الأرض من مطر وبذر وغيرهما، وما يخرج منها من نبات ومعادن وغيرهما، وما ينزل من السماء من المطر والوحي وغيرهما، وما يعرج فيها من الملائكة ومن أعمال العباد وأرواحهم، وهو معكم أينما كنتم - أيها الناس - بعلمه، لا يخفى عليه منكم شيء، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٢﴾ له وحده ملك السماوات وملك الأرض، وإليه وحده ترجع الأمور، فيحاسب الخلائق يوم القيامة، ويجازيهم على أعمالهم.

﴿٣﴾ يدخل الليل على النهار فتأتي الظلمة، وينام الناس، ويدخل النهار على الليل فيأتي الضياء، فينطلق الناس إلى أعمالهم، وهو عليم بما في صدور عباده، لا يخفى عليه شيء منه.

﴿٤﴾ آمنوا بالله، وآمنوا برسوله، وأنفقوا من المال الذي جعلكم مستحلفين فيه، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا فيه، تتصرفون فيه وفق ما شرع لكم، فالذين آمنوا منكم بالله، وبذلوا أموالهم في سبيل الله، لهم ثواب عظيم عنده، وهو الجنة.

﴿٥﴾ وأي شيء يمنعكم من الإيمان بالله؟! والرسول يدعوكم إلى الله رجاء أن تؤمنوا بربكم سبحانه، وقد أخذ الله منكم العهد أن تؤمنوا به حين أخرجكم من ظهور آبائكم، إن كنتم مؤمنين.

﴿٦﴾ هو الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آيات واضحات؛ ليخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وإن الله بكم لرؤوف رحيم حين أرسل إليكم نبيه هادياً وبشيراً.

﴿٧﴾ وأي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟! والله ميراث السماوات والأرض، لا يستوي منكم - أيها المؤمنون - من أنفق ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاته من قبل فتح مكة، وقاتل الكفار لنصرة الإسلام، مع من أنفق بعد الفتح وقاتلوا الكفار؛ أولئك المنفقون من قبل الفتح والمقاتلون في سبيل الله، أعظم منزلة عند الله وأرفع درجة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيله بعد فتحها وقاتلوا الكفار؛ وقد وعد الله كلا الفريقين الجنة، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٨﴾ من ذا الذي يبذل ماله طيبة به نفسه لوجه الله، فيعطيه الله ثواب ما بذله من ماله مضاعفاً، وله يوم القيامة ثواب كريم، وهو الجنة؟!

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ .

• المال مال الله، والإنسان مُسْتَحْلَفٌ فيه .

• تفاوتت درجات المؤمنين بحسب السبق إلى الإيمان وأعمال البر .

• الإنفاق في سبيل الله سبب في بركة المال ونمائه .

(١٢) يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يقدمهم نورهم بين أيديهم وبإيمانهم، ويقال لهم في ذلك اليوم: بُشْرَاكُم اليوم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ما كثر فيها أبدًا، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم الذي لا يدايه فوز.

ولما ذكر الله حال المؤمنين في ذلك اليوم ذكر حال المنافقين، فقال:

(١٣) يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا: انظرونا رجاء أن نقبس من نوركم ما يعيننا على عبور الصراط، ويقال للمنافقين استهزاء بهم: ارجعوا وراءكم، فاطلبوا نورًا تستتيرون به، فَضُرِبَ بينهم بسور، لذلك السور باب، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره مما يلي المنافقين فيه العذاب.

(١٤) ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم على الإسلام والطاعة؟! قال لهم لمسلمون: بلى، كنتم معنا، لكنكم فتنتم أنفسكم بالإنفاق فأهلكتموها، وتربصتم بالمؤمنين أن يغلبوا فتغلبوا كفركم، وشككتكم في نصر الله للمؤمنين، وفي البعث بعد الموت، وخدعتكم الأطماع الكاذبة حتى جاءكم الموت وأنتم على ذلك، وغرركم بالله الشيطان.

(١٥) فاليوم لا تؤخذ منكم - أيها المنافقون - فدية من الذين كفروا بالله علنا، ولا

تؤخذ فدية من الذين كفروا بالله علنا، ومصيركم ومصير الكافرين النار، هي أولى بكم، وأنتم أولى بها، وبئس

المصير. (١٦) ألم يحزن للذين آمنوا بالله ورسوله أن تلين قلوبهم وتطمئن لذكر الله سبحانه، وما نزل من القرآن من وعد أو وعيد، ولا يكونوا مثل الذين أعطوا التوراة من اليهود، والذين أعطوا الإنجيل من النصارى، في قسوة القلوب. فطال الزمن بينهم وبين بعثة أنبيائهم فقسى ذلك قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله إلى معصيته؟! (١٧) اعلموا أن الله يحيي الأرض بانياتها بعد جفافها، قد بينا لكم - أيها الناس - الأدلة والبراهين على قدرة الله ووحدانيته رجاء أن تعقلوها؛ فتعلموا أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على بعثكم بعد موتكم، وقادر على جعل قلوبكم لينة بعد قسوتها.

(١٨) إن المتصدقين ببعض أموالهم، والمتصدقات ببعض أموالهن، الذين ينفقونها طيبة بها نفوسهم دون من ولا أذى، يُضَاعَفُ لهم ثواب أعمالهم: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ولهم مع ذلك ثواب كريم عند الله وهو الجنة.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- امتنان الله على المؤمنين بإعطائهم نورًا يسعى أمامهم وعن إيمانهم.
- المعاصي والنفاق سبب للظلمة والهلاك يوم القيامة.
- التربص بالمؤمنين والشك في البعث، والانخداع بالأمانى، والاعتزاز بالشيطان: من صفات المنافقين.
- خطر الغفلة المؤدية لقسوة القلوب.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَيَتَّبِعُهُمْ الْبُشْرَىٰ كُلُّهُم مَّا جَاءَتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْ نُوْا أَنْظَرُوا نَافِقَتَيْسَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ
كَمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بُابٌ بِاطْنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ
وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٤﴾ ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى
ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتببتم وعزَّيْتُمْ الْأَمَانِيُّ
حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٥﴾ قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ
فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّ الْمَصْدَقِينَ وَالْمَصْدَقَاتِ
وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٩﴾

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ ۚ
عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِعَايِنَتْنَا ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝١١١ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَكَثْرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۚ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْغُرُورِ ۝١١٢
سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝١١٣ مَا أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن
قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١٤ لَّكِن لَّا
تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۚ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١١٥ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١١٦

٥٤٠

١١١) والذين آمنوا بالله وآمنوا برسله دون تفریق بينهم، أولئك هم الصديقون، والشهداء عند ربهم لهم ثوابهم الكريم المعد لهم، ولهم نورهم الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يوم القيامة، والذين كفروا بالله وبرسله، وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا أولئك أصحاب الجحيم، يدخلونها يوم القيامة خالدين فيها أبداً، لا يخرجون منها.

١١٢) اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب تلعب به الأبدان، ولهو تلهو به القلوب، وزينة تتجملون بها، وتفاخر بينكم بما فيها من ملك ومتاع، وتباه بكثرة الأموال وكثرة الأولاد، كمثل مطر أعجب الزُّرَّاع نباته، ثم لا يلبث هذا النبات المخضر أن يببس، فتراه - أيها الرائي - بعد اخضراره مصفراً، ثم يجعله الله فتاتاً يتكسر، وفي الآخرة عذاب شديد للكفار والمنافقين، ومغفرة من الله للذنوب عباده المؤمنين، ورضوان منه، وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل لا ثبات له، فمن أثر متاعها الزائل على نعيم الآخرة فهو خاسر مغبون.

١١٣) سابقوا - أيها الناس - إلى الأعمال الصالحات التي تتالون بها مغفرة ذنوبكم؛ من توبة وغيرها من القربات، ولتتالوا بها جنة عرضها مثل عرض السماء والأرض، هذه الجنة مغبون.

أعدها الله للذين آمنوا به وآمنوا برسله، ذلك الجزاء فضل الله يعطيه من يشاء من عباده، والله سبحانه ذو الفضل العظيم على عباده المؤمنين.

١١٤) ما أصاب الناس من مصيبة في الأرض من الجذب وغيره، ولا أصابهم من مصيبة في أنفسهم إلا وهي مثبتة في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الخليقة، إن ذلك على الله سهل.

١١٥) وذلك لكي لا تحزنوا - أيها الناس - على ما فاتكم، ولكي لا تفرحوا بما أعطاكم من النعم فرح بقر، إن الله لا يحب كل متكبر فخور على الناس بما أعطاه الله.

١١٦) الذين يبخلون بما يجب عليهم بذله، ويأمرون غيرهم بالبخل خاسرون، ومن يتولّى عن طاعة الله فلن يضر الله وإنما يضر نفسه، إن الله هو الغني، فلا يفتر إلى طاعة عبده، الم محمود على كل حال.

١١٧) من قَوْلِهَا آيَاتٍ،

- الزهد في الدنيا وما فيها من شهوات، والترغيب في الآخرة وما فيها من نعيم دائم يُعينان على سلوك الصراط المستقيم.
- وجوب الإيمان بالقدر.
- من فوائد الإيمان بالقدر عدم الحزن على ما فات من حظوظ الدنيا.
- البخل والأمر به خصلتان ذميتان لا يتصف بهما المؤمن.

﴿٥٥﴾ لقد أرسلنا رسلنا بالحق والواضحة والبراهين الجلية، وأنزلنا معهم الكتب، وأنزلنا معهم الميزان؛ ليقوم الناس بالعدل، وأنزلنا الحديد فيه بأس قوي، فمنه يُصنع السلاح، وفيه منافع للناس في صناعاتهم وحرفهم، وليعلم الله علماً يظهر للعباد من ينصره من عباده بالغيب، إن الله قوي عزيز لا يغلبه شيء، ولا يعجز عن شيء.

﴿٥٦﴾ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم عليهما السلام، وجعلنا في ذريتهما النبوة، والكتب المنزلة، فمن ذريتهما مهتدي إلى الصراط المستقيم، موقف، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله.

﴿٥٧﴾ ثم أتبعنا رسلنا، فبعثناهم تثنى إلى أممهم، وأتبعناهم بعبسى بن مريم وأعطيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين آمنوا به واتبعوه رافة ورحمة، فكانوا متواذنين متراحمين فيما بينهم، وابتدعوا الغلو في دينهم، فتركوا بعض ما أحل الله لهم من النكاح والملاذ، ولم تطلب منهم ذلك، وإنما ألزموا به أنفسهم؛ ابتداءً منهم في الدين، وإنما طلبنا اتباع مرضاة الله فلم يفعلوا، فأعطينا الذين آمنوا منهم ثوابهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله بالتكذيب بما جاءهم به رسوله محمد ﷺ.

﴿٥٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا

بما شرعه لهم، اتقوا الله بامثال أوامره، واجتنبوا نواهيه، وآمنوا برسوله، يعطكم نصيبين من الثواب والأجر على إيمانكم بمحمد ﷺ، وإيمانكم بالرسل السابقين، ويجعل لكم نوراً تهتدون به في حياتكم الدنيا، وتستنيرون به على الصراط يوم القيامة، ويغفر لكم ذنوبكم فيسترها ولا يؤاخذكم بها، والله سبحانه غفورٌ لعباده رحيمٌ بهم.

﴿٥٩﴾ وقد بينا لكم فضلنا العظيم بما أعدناه لكم - أيها المؤمنون - من الثواب المضاعف؛ ليعلم أهل الكتاب السابقون من يهود ونصارى أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله بحيث يمنحونه مَنْ يشاؤون، ويمنعونه مَنْ يشاؤون، وليعلموا أن الفضل بيد الله سبحانه يعطيه من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم الذي يختص به من يشاء من عباده.

﴿٦٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ :

- الحق لا بد له من قوة تحميه وتشره.
- بيان مكانة العدل في الشرائع السماوية.
- صلة النسب بأهل الإيمان والصلاح لا تُغني شيئاً عن الإنسان ما لم يكن هو مؤمناً.
- بيان تحريم الابتداع في الدين.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَنْ رَعَاهَا فِي رِغَابِهَا فَقَاتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٨﴾ لَعَلَّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ لَا يَغْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٥٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ١ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ٢ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ كُمْ تَوْعُطُونَ
بِهِ وَاللَّهُ يَمَاتُكُمْ لَوْ خَيْرٌ ٣ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
كَيْتُوكُمْ كَمَا كُنْتُمْ مِنَ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ
بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٦

الجزء ٢٨
الجزء ٥٥

٥٤٢

١ من مَقَاصِدِ الشُّرُفِ:
إظهار علم الله الشامل وإحاطته
البالغة، تربية لمراقبته، وتحذيرًا من
مخالفته.

٢ التفسير:

١ قد سمع الله كلام المرأة (وهي
خولة بنت ثعلبة) التي تراجعتك - أيها
الرسول - في شأن زوجها (وهو
أوس بن الصامت) لما ظاهر منها،
وتشتكي إلى الله ما صنع بها زوجها،
والله يسمع تراجعتكما في الكلام، لا
يخفى عليه منه شيء، إن الله سميع
لأقوال عباده، بصير بأفعالهم، لا
يخفى عليه منها شيء.

٢ الذين يُظَاهِرُونَ من نسائهم؛ بأن
يقول أحدهم لزوجته: أنت علي كظهر
أمي، كذبوا في قولهم هذا، فليست
زوجاتهم بأمهاتهم، إنما أمهاتهم
اللائي وَلَدْنَهُمْ، وإنهم إذ يقولون ذلك
القول ليقولون قولاً فظيلاً، وكذباً،
وإن الله لعفوٌ غفور، فقد شرع لهم
الكفارة؛ تخليصاً لهم من الإثم.

٣ والذين يقولون هذا القول
الفظيع، ثم يريدون جَمَاعَ من ظاهروا
منهن فعليهم أن يَكْفُرُوا بعتق رقية من
قبل أن يجامعوهن، ذلكم الحكم
المذكور تؤمرون به زجراً لكم عن

الظَّهَار، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

٤ فمن لم يجد رقية يعتقها فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يجامع زوجته التي ظاهر منها، فمن لم
يستطع صيام شهرين متتابعين فعليه إطعام سِتِّينَ مِسْكِينًا، ذلك الحكم الذي حكمنا به لتؤمنوا بأن الله أمر به،
فتمثلوا أمره، وتلك الأحكام التي شرعناها لكم حدود الله التي حدَّها لعباده فلا تتجاوزوها، وللكافرين بأحكام الله
وحدوده التي حدَّها عذاب مَوْجِع.

٥ إن الذين يعادون الله ورسوله أَذِلُّوا وأُخْزُوا كما أَذِلَّ الذين عادوه من الأمم السابقة وأُخْزُوا، وقد أنزلنا آيات
واضحات، وللكافرين بالله وبرسوله وآياته عذاب مُذِل.

٦ يوم يبعثهم الله جميعاً لا يغادر منهم أحداً، فيخبرهم بما عملوا في الدنيا من الأعمال القبيحة، أحصاه الله
عليهم، فلم يفته من أعمالهم شيء، ونسوه هم فوجدوه مكتوباً في صحائفهم التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا
أحصتها، والله على كل شيء مُطَّلِع لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

٧ من فوائد الآيات:

- لُظْفُ الله بالاستضعفين من عباده من حيث إجابة دعائهم ونصرتهم.
- من رحمة الله بعباده تنوع كفارة الظهار حسب الاستطاعة ليخرج العبد من الحرج.
- في ختم آيات الظهار يذكر الكافرين؛ إشارة إلى أنه من أعمالهم، ثم ناسب أن يورد بعض أحوال الكافرين.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ
 نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى
 مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا
 عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَبَّجُونَ بِالْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
 بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ
 جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فِيْئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
 تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَبَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ
 وَتَتَنَبَّجُوا بِالْبَرِّ وَالْتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا
 النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ
 شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ
 اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
 وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

٥٤٣

﴿٧﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله يعلم ما في السماوات ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء مما فيهما، ما يكون من حديث ثلاثة سراً إلا هو سبحانه رابعهم بعلمه، ولا يكون من حديث خمسة سراً إلا هو سبحانه سادسهم بعلمه، ولا أقل من ذلك العدد، ولا أكثر منه إلا كان معهم بعلمه أينما كانوا، لا يخفى عليه من حديثهم شيء، ثم يخبرهم الله بما عملوا يوم القيامة، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

﴿٨﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى اليهود الذين كانوا يتناجون إذا رأوا مؤمناً، فنهاهم الله عن النجوى، ثم هم يرجعون إلى ما نهاهم الله عنه، ويتناجون فيما بينهم بما فيه إثم مثل اغتيال المؤمنين، وبما فيه عدوان عليهم، وبما فيه معصية للرسول، وإذا جاؤوك - أيها الرسول - حيّوك بتحية لم يُحيك الله بها؛ وهي قولهم: السّام عليك يقصدون الموت، ويقولون تكذيباً للنبي ﷺ: هلاً يعذبنا الله بما نقول، إذ لو كان صادقاً في دعواه أنه نبي لعذبنا الله بما نقول فيه! كافهم جهنم عقاباً على ما قالوه، يعانون حرماً، فقبح المصير مصيرهم.

﴿٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرع لهم، لا تتناجوا بما فيه إثم أو عدوان أو معصية للرسول حتى لا

تكونوا مثل اليهود، وتناجوا بما فيه طاعة لله وكف عن معصيته، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، فهو الذي إليه وحده تحشرون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿١٠﴾ إنما النجوى - المشتعلة على الإثم والعدوان ومعصية الرسول - من تزيين الشيطان ووسوسته لأوليائه؛ ليدخل الحزن على المؤمنين أنهم يكاد لهم، وليس الشيطان ولا تزيينه بضار المؤمنين شيئاً إلا بمشيئة الله وإرادته، وعلى الله فليعتمد المؤمنون في جميع شؤونهم.

ولما ذكر الله الأدب في الأقوال ذكر الأدب في المجالس فقال:

﴿١١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرع لهم، إذا قيل لكم: توسّعوا في المجالس فأوسعوا فيها، يوسع الله لكم في حياتكم الدنيا وفي الآخرة، وإذا قيل لكم: ارفعوا من بعض المجالس ليجلس فيها أهل الفضل فارفعوا عنها، يرفع الله سبحانه الذين آمنوا منكم والذين أعطوا العلم درجات عظيمة، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿١٢﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- مع أن الله عالٍ بذاته على خلقه؛ إلا أنه مطلع عليهم بعلمه لا يخفى عليه أي شيء.
- لما كان كثير من الخلق ياثمون بالنجوى يأمر الله المؤمنين أن تكون نجواهم بالبر والتقوى.
- من آداب المجالس التوسيع فيها للآخرين.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمْوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُودِكُمْ
 صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
 ١٣ ءَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُحُودِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا
 وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٤ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا
 قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٥ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ١٦ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَاهْمٌ
 عَذَابٌ مُهِينٌ ١٧ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
 شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١٨ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
 اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
 عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ١٩ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ
 فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ
 هُمُ الْخَاسِرُونَ ٢٠ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ
 ٢١ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢٢

٥٤٤

١٣) لما أكثر الصحابة من مناجاة النبي ﷺ؛ قال الله: يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم مُسَارَّةَ الرسول فقدموا بين يدي مُسَارَّتكم صدقة، ذلك التقديم للصدقة خير لكم وأظهر؛ لما فيه من طاعة الله التي تزيك القلوب، فإن لم تجدوا ما تتصدقون به فلا حرج عليكم في مُسَارَّته، فإن الله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم حيث لم يكلفهم إلا ما في وسعهم.

١٤) أخفتم الفقر بسبب تقديم الصدقة إذا ناجيتم الرسول؟! فإذا لم تفعلوا ما أمر الله به منها، وتاب عليكم حيث رخص لكم في تركها فأتوا بالصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأطيعوا الله ورسوله، والله خير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

١٥) ألم تر - أيها الرسول - إلى المنافقين الذين والوا اليهود الذين غضب الله عليهم بسبب كفرهم ومعاصيهم، هؤلاء المنافقون ليسوا من المؤمنين ولا من اليهود، بل هم مُذْذَبُونَ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ويحلفون بأنهم مسلمون وبأنهم ما نقلوا أخبار المسلمين لليهود، وهم كاذبون في حلفهم.

١٦) أعد الله لهم عذاباً شديداً في الآخرة، حيث يدخلهم الدرك الأسفل من النار، إنهم قبح ما كانوا عليه من أعمال الكفر في الدنيا.

١٧) اتخذوا أيمانهم التي كانوا يحلفونها وقاية من القتل بسبب الكفر،

حيث أظهروا بها الإسلام ليعصموا دماءهم وأموالهم، فصرفوا الناس عن الحق لما كانوا فيه من التوهين والتشيط للمسلمين، فلمهم عذاب مثل بذلهم وبخزهم.

١٨) لن تغني عنهم أموالهم، ولا أولادهم من الله شيئاً، أولئك أصحاب النار الذين يدخلونها ماكثين فيها أبداً لا ينقطع عنهم العذاب.

١٩) يوم يبعثهم الله جميعاً لا يترك منهم أحداً إلا بعثه للجزاء، فيحلفون لله ما كانوا على الكفر والنفاق، وإنما كانوا مؤمنين عاملين بما يرضي الله، يحلفون له في الآخرة كما كانوا يحلفون لكم - أيها المؤمنون - في الدنيا أنهم مسلمون، ويظنون أنهم بهذه الأيمان التي يحلفونها لله على شيء مما يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرراً، ألا إنهم هم الكاذبون حقاً في أيمانهم في الدنيا، وفي أيمانهم في الآخرة.

٢٠) استولى عليهم الشيطان فأنساهم بوسوسته ذكر الله، فلم يعملوا بما يرضيه، وإنما عملوا بما يغضبه، أولئك المتصفون بتلك الصفات هم جنود إبليس وأتباعه، ألا إن جنود إبليس وأتباعه هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، فقد باعوا الهدى بالضلالة، والجنة بالنار.

٢١) إن الذين يعادون الله ويعادون رسوله أولئك في جملة من أذلهم الله في الدنيا والآخرة وأخزاهم من الأمم الكافرة.

٢٢) قضى الله في سابق علمه لأن تصرنا أنا ورسلي على أعدائنا بالحجة والقوة، إن الله قوي على نصر رسله، عزيز يتقم من أعدائهم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- لطف الله بنبية ﷺ؛ حيث أدب صحابته بعدم المشقة عليه بكثرة المناجاة. • ولاية اليهود من شأن المنافقين.
- خسران أهل الكفر وغلبة أهل الإيمان سنة إلهية قد تأخر، لكنها لا تتخلف.

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ
أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ
بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ
اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَرِبُوا نِيتًا أُولَى الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

٥٤٥

﴿٥٣﴾ لا تجد - أيها الرسول - قوماً يؤمنون بالله ويؤمنون بيوم القيامة يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله، ولو كان هؤلاء الأعداء لله ورسوله آباءهم، أو كانوا أبناءهم، أو كانوا إخوانهم، أو عشيرتهم التي ينتمون إليها؛ لأن الإيمان يمنع من موالة أعداء الله ورسوله، ولأن رابطة الإيمان أعلى من جميع الروابط، فهي مُقدَّمة عليها عند التعارض، أولئك الذين لا يوالون من عادى الله ورسوله - ولو كانوا أقرباء - هم الذين أثبت الله الإيمان في قلوبهم فلا يتغير، وقواهم ببرهان منه ونور، ويدخلهم يوم القيامة في جنات عدن تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، لا ينقطع عنهم نعيمها ولا يفنون عنه، رضي الله عنهم رضا لا يسخط بعده أبداً، ورضوا هم عنه لما أعطاهم من النعيم الذي لا ينفد، ومنه رؤيته سبحانه، أولئك الموصوفون بما ذكر جند الله الذين يمثلون ما أمر به، ويكفون عما نهى عنه، ألا إن جند الله هم الفائزون بما ينالونه من مطلوبهم، وبما يفوتهم من مرهوبهم في الدنيا والآخرة.

سُورَةُ الْحَشْرِ

مَدِينَةٌ

● من مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

إظهار قوة الله وعزته في توهين اليهود والمنافقين، وإظهار تفرقهم، في مقابل إظهار تآلف المؤمنين.

● التَّضْيِيرُ:

﴿١﴾ عَظَّمَ اللَّهُ وَنَزَّهَهُ عما لا يليق به كلُّ ما في السماوات وما في الأرض من المخلوقات، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه وقدره.

﴿٢﴾ هو الذي أخرج بني النَّضِير الذين كفروا بالله، وكذبوا رسوله محمداً ﷺ، من ديارهم بالمدينة لأول إخراج لهم من المدينة إلى الشام، وهم من اليهود أصحاب التوراة، بعد نقضهم لعهدهم وصيروتهم مع المشركين عليه؛ أخرجهم إلى أرض الشام، ما ظننتم - أيها المؤمنون - أن يخرجوا من ديارهم لما هم عليه من العزة والمنعة، وظنوا هم أن حصونهم التي شيدوها مانعتهم من بأس الله وعقابه، فجاءهم بأس الله من حيث لم يَتَقَدَّرُوا مجيئه حين أمر رسوله بقتالهم وإجلانهم من ديارهم، وأدخل الله في قلوبهم الخوف الشديد، يدمرون بيوتهم بأيديهم من داخلها لئلا ينتفع بها المسلمون، ويدمرها المسلمون من خارجها، فانتعظوا يا أصحاب الأبصار بما حل بهم بسبب كفرهم، فلا تكونوا مثلهم، فتنالوا جزاءهم وعقابهم الذي عوقبوا به.

﴿٣﴾ ولولا أن الله كتب عليهم إخراجهم من ديارهم، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، كما فعل بإخوانهم من بني قُرَيْظَةَ، ولهم في الآخرة عذاب النار ينتظروهم خالدين فيه أبداً.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● المحبة التي لا تجعل المسلم يتبرأ من دين الكافر ويكرهه، فإنها محرمة، أما المحبة الفطرية؛ كمحبة المسلم لقريبه الكافر، فإنها جائزة. ● رابطة الإيمان أوثق الروابط بين أهل الإيمان. ● قد يعلو أهل الباطل حتى يُظن أنهم لن ينهزموا، فتأتي هزيمتهم من حيث لا يتوقعون. ● من قدر الله في الناس دفع المصائب بوقوع ما دونها من المصائب.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ أَوْ نَضَعْتُمْهَا قَاطِعَةً عَلَى أَصُولِهَا فَإِنْ دَنِ اللَّهُ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ٢ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٣ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولُهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَتاكمُ الرُّسُلُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٤ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ٥ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ٦ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ٧ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٨

٥٤٦

١ ذلك الذي حصل لهم حصل لأنهم عَادُوا الله وعَادُوا رسوله بكفرهم ونقضهم للعهود، ومن يعاد الله فإن الله شديد العقاب، فسيناله عقابه الشديد.

٢ ما قطعتم - معشر المؤمنين - من نخلة لتغيظوا أعداء الله في غزوة بني النضير أو تركتموها قائمة على جذوعها لتنتفعوا بها - فبأمر الله، وليس من الفساد في الأرض كما زعموا، وليذل الله به الخارجين عن طاعته من اليهود الذين نقضوا العهد، واختاروا سبيل الغدر على طريق الوفاء.

٣ والذي رده الله على رسوله من أموال بني النضير فما أسرعت في طلبه مما تركبونه خيلاً ولا إبلًا، ولا أصابتكم فيه مشقة، ولكن الله يسلِّط رسله على من يشاء، وقد سلَّط رسوله على بني النضير ففتح بلادهم بغير قتال، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

٤ ما أنعم الله على رسوله من أموال أهل القرى من غير قتال فله، يجعله لمن يشاء، وللرسول مُلْكًا، ولذوي قرابته من بني هاشم وبني المطلب؛ تعويضًا لهم عما مُنِعوه من الصدقة، وللأيتام، وللفقراء، وللغريب الذي نفدت نفقته؛ لكي لا يقتصر تداول المال على الأغنياء دون الفقراء، وما أعطاكم الرسول من أموال الفتيه فخذوه - أيها المؤمنون - وما نهاكم

عنه فانتهاوا، واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، إن الله شديد العقاب فاحذروا عقابه. ٥ ويُصَرَّف جزء من هذا المال للفقراء المهاجرين في سبيل الله الذين أُجْبِرُوا على ترك أموالهم وأولادهم، يرجون أن يفضل الله عليهم بالرزق في الدنيا، وبالرضوان في الآخرة، وينصرون الله وينصرون رسوله بالجهاد في سبيل الله، أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الراسخون في الإيمان حقًا.

٦ ولما ذكر الله المهاجرين وأثنى عليهم، ذكر الأنصار وأثنى عليهم كذلك، فقال سبحانه: ٧ والأنصار الذين نزلوا المدينة من قبل المهاجرين، واختاروا الإيمان بالله وبرسوله، يحبون من هاجر إليهم من مكة، ولا يجدون في صدورهم غيظًا ولا حسدًا على المهاجرين في سبيل الله إذا ما أُعْطُوا شيئًا من الفتيه ولم يُعْطُوا هم، ويقدمون على أنفسهم المهاجرين في الحظوظ الدنيوية، ولو كانوا متصفين بالفقر والحاجة، ومن يقه الله جِرْص نفسه على المال فيبذله في سبيله فأولئك هم الفائزون بنيل ما يرجونه، والنجاة مما يرهبونه.

٨ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- فِعْلٌ مَا يُظَنُّ أَنَّهُ مَفْسَدَةٌ لِتَحْقِيقِ مَصْلَحَةٍ عَظِيمَةٍ لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.
- مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ مَرَاعَاةُ ذِي الْحَاجَةِ لِلْمَالِ، فَصَرَّفَ الْفَتَى لَهُمْ دُونَ الْأَغْنِيَاءِ الْمَكْتَفِينَ بِمَا عَنْدَهُمْ.
- الْإِثَارُ مُنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ مَنَاقِبِ الْإِسْلَامِ ظَهَرَتْ فِي الْأَنْصَارِ أَحْسَنَ ظَهْوَرِ.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
وَلَنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ
وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتُوا الْأَذْرَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ
أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْتَتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ
أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَفَأُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

﴿١٠﴾ والذين جاءوا من بعد هؤلاء واتبعوههم بإحسان إلى يوم القيامة يقولون: ربنا اغفر لنا وإخواننا في الدين الذين سبقونا بالإيمان بالله وبرسوله، ولا تجعل في قلوبنا غفينة وحقدًا لأحد من المؤمنين، ربنا إنك رؤوف بعبادك، رحيم بهم.

﴿١١﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى الذين أضمروا الكفر وأظهروا الإيمان، يقولون لإخوانهم في الكفر من اليهود أنبأ التوراة المحرفة: اثبتوا في دياركم فلن نخذلكم، ولن نسلمكم، فلئن أخرجكم المسلمون منها لنخرجن تضامنًا معكم، ولا نطيع أحدًا يريد أن يمنعا من الخروج معكم، وإن قاتلوكم لننعيننكم عليهم، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما ادعوه من الخروج مع اليهود إذا أخرجوا، والقتال معهم إذا قاتلوا.

﴿١٢﴾ لئن أخرج المسلمون اليهود لا يخرجون معهم، وإن قاتلوهم لا ينصروهم ولا يعينوهم، ولئن نصروهم وأعانوهم على المسلمين ليهربن فرارًا منهم ثم لا ينصر المنافقون بعد ذلك، بل يذلهم الله ويخزيهم.

﴿١٣﴾ لأنتم - أيها المؤمنون - أشد تخوفًا في قلوب المنافقين واليهود من الله، ذلك المذكور - من شدة خوفهم منكم، وضعف خوفهم من الله - بسبب أنهم قوم لا يفقهون ولا يفهمون؛ إذ لو كانوا يفقهون لعلموا أن الله أحق أن يخاف وأن يرهّب، فهو الذي سلطكم عليهم.

﴿١٤﴾ لا يقاتلكم - أيها المؤمنون - اليهود مجتمعين إلا في قري مُحَصَّنَةٍ بالأسوار، أو من وراء جدران، فهم لا يستطيعون مواجعتكم لجبنهم، بأسهم فيما بينهم قوي لما بينهم من العداوة، تظنّ أنهم على كلمة واحدة، وأن صفهم واحد، والواقع أن قلوبهم متفرقة مختلفة، ذلك الاختلاف والتعادي بسبب أنهم لا يعقلون؛ إذ لو كانوا يعقلون لعرفوا الحق واتبعوه، ولم يختلفوا فيه.

﴿١٥﴾ مثل هؤلاء اليهود في كفرهم وما حلّ بهم من عقاب. كمثل الذين من قبلهم من مشركي مكة في زمن قريب، ذافقوا سوء عاقبة كفرهم، فقتل من قُتل وأسير من أسير منهم يوم بدر، ولهم في الآخرة عذاب موعج.

﴿١٦﴾ مثّلهم في سماعهم من المنافقين كمثل الشيطان حين زَيّن للإنسان أن يكفر، فلما كفر بسبب تزيينه الكفر له قال: إني بريء منك لما كفرت، إني أخاف الله رب الخلائق.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• رابطة الإيمان لا تتأثر بتطاول الزمان وتغير المكان.

• صداقة المنافقين لليهود وغيرهم صداقة وهمية تتلاشى عند الشدائد.

• اليهود جبناء لا يواجهون في القتال، ولو قاتلوا فإنهم يتحصنون بِقُرَاهِمِ وأسلحتهم.

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ
مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ
هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ
الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٤٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا
الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصِّدِعًا مِّنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ وَذَلِكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤١﴾
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ
الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ هُوَ اللَّهُ
الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٤﴾

سورة المنتخب

٥٤٨

﴿٣٧﴾ فكان نهاية أمر الشيطان ومن أطاعه أنهما (أي: الشيطان انطباع، والإنسان المطيع) يوم القيامة في النار ماكثين فيها أبداً، وذلك الجزاء الذي ينتظرهما هو جزاء الظالمين لأنفسهم بتعدي حدود الله.

﴿٣٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، اتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، ولتأمل نفس ما قدمت من عمل صالح ليوم القيامة، واتقوا الله، إن الله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٣٩﴾ ولا تكونوا مثل الذين نسوا الله بترك امتثال أمره واجتناب نهيه، فأنساهم الله أنفسهم، فلم يعملوا بما ينجيها من غضب الله وعقابه، أولئك الذين نسوا الله - فلم يمثلوا أمره ولم يكفوا عن نهيه - هم الخارجون عن طاعة الله.

﴿٤٠﴾ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، بل هم مختلفون في جزائهم مثل اختلاف أعمالهم في الدنيا، أصحاب الجنة هم الفائزون بنيل ما يطلبونه، الناجون مما يرهبونه.

﴿٤١﴾ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت - أيها الرسول - ذلك الجبل مع صلابته متدلاً متشققاً من شدة خشية الله؛ لما في القرآن من المواعظ الزاجرة والوعيد الشديد، وهذه

الأمثال نضربها للناس لعلهم يعملون عقولهم فيتعظوا بما تشتمل عليه آياته من العظات والعبر.

﴿٤٢﴾ هو الله الذي لا معبود بحق غيره، عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه شيء من ذلك، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وسعت رحمته العالمين، الملك، المنزه والمقدس عن كل نقص، السالم من كل عيب، المصدق رسله بالآيات الباهرة، الرقيب على أعمال عباده، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الجبار الذي قهر بجهوته كل شيء، المتكبر، تنزه الله وتقدس عما يشرك معه المشركون من الأوثان وغيرها.

﴿٤٣﴾ هو الله الخالق الذي خلق كل شيء، الموجد للأشياء، المصور لمخلوقاته وفق ما يريد، له سبحانه الأسماء الحسنى المشتملة على صفاته العلا، ينزهه ما في السماوات وما في الأرض عن كل نقص، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه وقدره.

﴿٤٤﴾ من قوالها الآيات،

- من علامات توفيق الله للمؤمن أنه يحاسب نفسه في الدنيا قبل حسابها يوم القيامة.
- في تذكير العباد بشدة أثر القرآن على الجبل العظيم؛ تنبيه على أنهم أحق بهذا التأثير لما فيهم من الضعف.
- أشارت الأسماء (الخالق، البارئ، المصور) إلى مراحل تكوين المخلوق من التقدير له، ثم إيجاده، ثم جعل له صورة خاصة به، وبذكر أحدها مفرداً فإنه يدل على البقية.

• من مَقَاصِدِ الشُّوَرِ:

تخليص قلوب المؤمنين من الولاء لغير دين الله تعالى.

• التَّفْسِيرُ:

① يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تتخذوا أعدائي وأعداءكم أولياء توالونهم وتوادونهم، وقد كفروا بما جاءكم على يد رسولكم من الدين، يُخرجون الرسول من داره، ويخرجونكم أنتم كذلك من دياركم بمكة، لا يراعون فيكم قرابة ولا رحماً، لا لشيء إلا أنكم آمنتم بالله ربكم، لا تفعلوا ذلك إن كنتم خرجتم لأجل الجهاد في سبيلي، ومن أجل طلب مرضاتي، تُسرُّون إليهم بأخبار المسلمين مودة لهم، وأنا أعلم بما أخفيتم من ذلك وما أعلنتم، لا يخفى علي شيء من ذلك ولا من غيره، ومن يفعل تلك الموالاة والمودة للكفار فقد انحرف عن وسط الطريق، وضلَّ عن الحق، وجانب الصواب.

② إن يظفروا بكم يُظهروا ما يضمرونه في قلوبهم من العداوة، ويمدُّوا أيديهم إليكم بالإيذاء والضرب، ويطلقوا ألسنتهم بالسبِّ والسبِّ، وتمنوا لو تكفرون بالله وبرسوله لتكونوا مثلهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَحْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَقْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ① إِنْ يَشْقُوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوْءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ② لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ③ فَكَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَوْلَانُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرَانًا بِهِمْ وَيَدَّابِينَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ④ إِنْ أَقُولُ إِبْرَاهِيمَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاسْتَجَبْ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ⑤ رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَكُّنَا وَإِلَيْكَ أَبْتِغِي الْعَصِيْرُ ⑥ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑦

٥٤٩

① لن تنفعكم قرابتكم، ولا أولادكم إذا واليتكم الكفار من أجلهم، يوم القيامة يفرق الله بينكم، فيدخل أهل الجنة منكم الجنة، وأهل النار النار، فلا ينفع بعضكم بعضاً، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه سبحانه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

② لقد كان لكم - أيها المؤمنون - قدوة حسنة في إبراهيم عليه السلام والمؤمنين الذين كانوا معه، حين قالوا لقومهم الكفار: إنا بريئون منكم ومما تعبدون من دون الله من الأصنام، كفرنا بما أنتم عليه من الدين، وظهرت بيننا وبينكم العداوة والكرهية حتى تؤمنوا بالله وحده، ولا تشركوا به أحداً، فكان عليكم أن تبرؤوا من قومكم الكفار مثلهم، إلا قول إبراهيم عليه السلام لأبيه: لأطلبن المغفرة لك من الله، فلا تناسوا به فيه؛ لأن هذا كان قبل يأس إبراهيم من أبيه، فليس لمؤمن أن يطلب المغفرة لمشرك، ولست بدافع عنك من عذاب الله شيئاً، ربنا عليك اعتمادنا في أمورنا كلها، وإليك رجعتنا نائبين، وإليك المرجع يوم القيامة.

③ ربنا لا تُصَيِّرْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا بَأَن تَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَلَيْنَا يَقُولُوا: لو كانوا على حق لما سُلِّطْنَا عليهم، واغفر لنا ربنا ذنوبنا، إنك أنت العزيز الذي لا يُغْلَب، الحكيم في خلقك وشرعك وقدرك.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- تسريب أخبار أهل الإسلام إلى الكفار كبيرة من الكبائر.
- عداوة الكفار عداوة مُتَأَصِّلَةٌ لا تؤثر فيها موالاتهم.
- استغفار إبراهيم لأبيه لوعده له بذلك، فلما نهاه الله عن ذلك لموته على الكفر ترك الاستغفار له.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا
مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا
مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ
فَأَمَتَّ حُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمَ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهْنَّ حِلُّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُحِلُّونَ لِهِنَّ وَأَتَوْهُم
مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَكُونُوا إِذَا عَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ وَسَلُّوْا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنفَقُوا
ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَقْتُمْ فَتَأْوُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

٥٥٠

﴿٦﴾ هذه القدوة الحسنة إنما يتأسى بها من كان يرجو من الله الخير في الدنيا والآخرة، ومن يعرض عن هذه القدوة لحسنة فإن الله غني عن عباده، لا يحتاج إلى طاعتهم، وهو المحمود على كل حال.

﴿٧﴾ عسى الله أن يجعل بينكم - أيها المؤمنون - وبين الذين عاديتهم من الكفار محبة بحيث يهديهم الله للإسلام، فيكونون إخوة لكم في الدين، والله قدير يقدر أن يقلب قلوبهم إلى الإيمان، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٨﴾ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم بسبب إسلامكم، ولم يخرجوكم من دياركم أن تحسنوا إليهم، وتعذلوا بينهم بأن تعطوهم ما لهم من حق عليكم، مثل ما فعلت أسماء بنت أبي بكر الصديق بأمها الكافرة لما قدمت إليها بعد أن استأذنت النبي ﷺ في ذلك، فأمرها بأن تصلها، إن الله يحب العادلين الذين يعدلون في أنفسهم وأهلهم وما ولوا.

﴿٩﴾ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم بسبب إيمانكم، وأخرجوكم من دياركم، وأعانوا على إخراجكم؛ ينهاكم أن توالوهم، ومن يوالهم منكم فأولئك هم الظالمون لأنفسهم وأهلهم وما موارد الهلاك بسبب مخالفة أمر الله.

﴿١٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه، إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فاخبروهن في صدق إيمانهن، الله أعلم بإيمانهن، لا يخفى عليه شيء مما تنطوي عليه قلوبهن، فإن علمتموهن مؤمنات بعد الاختبار بما يظهر لكم من صدقهن فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار، لا يحل للمؤمنات أن يتزوجن بالكفار، ولا يحل للكفار أن يتزوجوا بالمؤمنات، وأعطوا أزواجهن ما بذلوا من مهرهن، ولا إثم عليكم - أيها المؤمنون - أن تتزوجوهن بعد انقضاء عدتهن إذا أعطيتموهن مهرهن، ومن كانت زوجته كافرة أو ارتدت عن الإسلام فلا يمسكها؛ لانقطاع نكاحهما بكفرها، واسألوا الكفار ما بذلتم من مهر زوجاتكم المُرْتَدَّات، وليسألوا هم ما بذلوا من مهر زوجاتهم اللاتي أسلمن، ذلكم المذكور - من رد المهور من جهتك ومن جهتهم - هو حكم الله، يحكم بينكم سبحانه بما يشاء، والله عليم بأحوال عباده، وأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء، حكيم فيما يشرعه لعباده.

﴿١١﴾ وإن فرض خروج بعض نسائك إلى الكفار مُرْتَدَّات وطلبت مهرهن من الكفار ولم يعطوها، فغتمتم من الكفار فأعطوا الأزواج الذين خرجت زوجاتهم مُرْتَدَّات مثل ما بذلوا من المهور، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون بامثال أوامره واجتنب نواهيه.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• في تصرف الله القلب من العداوة إلى المودة، ومن الكفر إلى الإيمان إشارة إلى أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه سبحانه، فليطلب العبد منه الثبات على الإيمان. • التفريق في الحكم بين الكفار المحاربين والمسلمين. • حرمة الزواج بالكافرة غير الكتابية ابتداءً ودواماً، وحرمة زواج المسلمة من كافر ابتداءً ودواماً.

﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِذَا جَاءَكَ النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ - مثل ما حدث في فتح مكة - على ألا يشركن بالله شيئاً، بل يعبدن وحده، ولا يسرقن، ولا يزنین، ولا يقتلن أولادهن جرياً وراء عادة أهل الجاهلية، ولا يُلجِجن بأزواجهن أولادهن من الزنى، ولا يعصينك في معروف فبایعهنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُوءُ الْكَفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ

لما سبق، فقال تعالى:

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَا يَبْقَوْنَ بِالْآخِرَةِ، بل هم ياتسون منها مثل يأسهم من رجوع موتاهم إليهم لكفرهم بالبعث.

سُورَةُ الصَّفِّ

— مَدِينَةُ —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: تحفيز المؤمنين لنصرة دين الله، والجهاد في سبيله.

• التَّقْيِيدُ: نَزَّ اللَّهُ ﷻ وَقَدَّسَهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَقَدْرِهِ وَشَرْعِهِ.

﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ، لَمْ تَقُولُوا: فَعَلْنَا شَيْئًا، وَلَمْ تَفْعَلُوهُ فِي الْوَاقِعِ؟! كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ: قَاتَلْتُ بِسَيْفِي وَضُرِبْتُ، وَهُوَ لَمْ يَقَاتِلْ بِسَيْفِهِ وَلَمْ يَضْرِبْ.

﴿١٥﴾ عَظُمَ ذَلِكَ الْمُبْغُوضُ عِنْدَ اللَّهِ وَهُوَ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَهُ، فَلَا يَلِيْقُ بِالْمُؤْمِنِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَادِقًا مَعَ اللَّهِ، يُصَدِّقُ عَمَلُهُ قَوْلَهُ.

﴿١٦﴾ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ صَفًّا بَعْضُهُمْ جَنْبَ بَعْضٍ كَأَنَّهُمْ بِنِيَانٍ مُتَلَاصِقٍ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.

ولما ذكر الله القتال وامتدح المؤمنين المُتَرَاصِّينَ فِي الْقِتَالِ فِي سَبِيلِهِ، ذَكَرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ مُوسَى وَعِيسَى مِنْ مَخَالَفَةِ رَسُولَيْهِمَا، تَحْذِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَخَالَفَةِ نَبِيِّهِمْ، فَقَالَ:

﴿١٧﴾ وَادْكُرْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - حِينَ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ، لَمْ تُوْذُونَنِي بِمَخَالَفَةِ أَمْرِي وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؟! فَلَمَّا مَالُوا وَانْحَرَفُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ أَمَالَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَاللَّهُ لَا يُوْفِقُ لِلْحَقِّ الْقَوْمَ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ.

• مِنْ قَوَائِدِ آيَاتِ:

- مشروعية مبايعة ولي الأمر على السمع والطاعة والتقوى.
- وجوب الصدق في الأفعال ومطابقتها للأقوال.
- بين الله للعبد طريق الخير والشر، فإذا اختار العبد الزيف والضلال ولم يتب فإن الله يعاقبه بزيادة زيغه وضلاله.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهْتَنٍ يَقْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُوءُ الْكَفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ

﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ

﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ

﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ لَمْ تُوْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

﴿٦﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال عيسى ابن مريم عليه السلام: يا بني إسرائيل، إني رسول الله بعثني إليكم مصدقاً لما نزل قبلي من التوراة، فليست بيذع من الرسل، ومبشراً برسول يجيء من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم عيسى بالحجج الدالة على صدقه قالوا: هذا سحر واضح، فلن نتبعه.

﴿٧﴾ ولا أحد أشدّ ظلماً ممن اختلق على الله الكذب حيث جعل له أنداداً يعبدونهم من دونه وهو يُدعى إلى الإسلام دين التوحيد الخالص لله، والله لا يوفق القوم الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي إلى ما فيه رشدهم وسدادهم.

﴿٨﴾ يريد هؤلاء المكذبون أن يطفئوا نور الله بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة ومن التشويه للحق، والله مكمل نوره على رغم أنوفهم بإظهار دينه في مشارق الأرض ومغاربها وإعلاء كلمته.

﴿٩﴾ الله هو الذي بعث رسوله محمداً عليه السلام بدين الإسلام، دين الهداية والإرشاد للخير، ودين العلم النافع والعمل الصالح؛ ليُغليبه على جميع الأديان على رغم أنوف المشركين الذين يكرهون أن يُمكن له في الأرض.

﴿١٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا

وَأَذَقَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلِّهِمْ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَى تَجَرُّوهُنَّ جُنُوحَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْعَذَابِ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِجَهْدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

٥٥٢

بما شرعه لهم، هل أرشدكم وأهديكم إلى تجارة رابحة، تنقذكم من عذاب موحج؟ ﴿١١﴾ هذه التجارة الرباحة هي أن تؤمنوا بالله وبرسوله، وتجاهدوا في سبيله سبحانه بإنفاق أموالكم وبذل أنفسكم ابتغاء مرضاته؛ ذلك العمل المذكور خير لكم إن كنتم تعلمون فسارعوا إليه.

﴿١٢﴾ وربح هذه التجارة هو أن يغفر الله لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ويدخلكم مساكن طيبة في جنات إقامة لا انتقال عنها، ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم الذي لا يذانيه أي فوز.

﴿١٣﴾ ومن ربح هذه التجارة خصلة أخرى تحبونها وهي عاجلة في الدنيا، أن ينصركم الله على عدوكم، وفتح قريب يفتح عليكم وهو فتح مكة وغيرها، وأخير - أيها الرسول - المؤمنين بما يشرهم من النصر في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة.

﴿١٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، كونوا أنصار الله بنصركم لدينه الذي جاء به رسولكم مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام: من أنصاري إلى الله؟ فأجابوه مبادرين: نحن أنصار الله، فأمن فريق من بني إسرائيل بعيسى عليه السلام، وكفر به فريق آخر، فأيدنا الذين آمنوا بعيسى على الذين كفروا به، فأصبحوا غالبين عليهم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- تبشير الرسالات السابقة بنبينا عليه السلام دلالة على صدق نبوته.
- التمكين للدين سنة إلهية.
- الإيمان والجهاد في سبيل الله من أسباب دخول الجنة.
- قد يعجل الله جزاء المؤمن في الدنيا، وقد يدخره له في الآخرة لكنه لا يُضيِّعه - سبحانه -.

سورة الجمعة

— مَدَنِيَّة —

● مِنْ مَّقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان منة الله على هذه الأمة في
تفضيلها وهدايتها بالرسول ﷺ بعد
ضلالها، والإلزام بطاعته، والتحذير
من مشابهة اليهود.

● التَّضْيِيرُ:

يُزَنُّهُ اللَّهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ مِنْ
صفات النقص وَيُقَدِّسُهُ، جميع ما في
السموات، وجميع ما في الأرض من
الخلائق، هو الملك المنفرد وحده
بالملك، الْمُتَمَنِّزُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، العزيز
الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه
وشرعه وقدره.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ فِي الْعَرَبِ الَّذِينَ لَا يَقْرَءُونَ وَلَا يَكْتُبُونَ رَسُولًا مِنْ جَنْسِهِمْ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهَا، وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمُهُمُ السُّنَّةَ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ إِرْسَالِهِ إِلَيْهِمْ فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ وَاضِحٍ، حَيْثُ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَيَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ، وَيَقْطَعُونَ الرَّحِمَ﴾.

وبعث هذا الرسول إلى قوم آخرين من العرب وغيرهم لم يأتوا بعد، وسيأتون، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه وقدره.

❦ ذلك المذكور - من بعث الرسول
إلى العرب وغيرهم - فضل الله يعطيه

من يشاء، والله ذو الإحسان العظيم، ومن إحسانه العظيم إرساله رسول هذه الأمة إلى الناس كافة.

ولما ذكر الله ما امتن به من بعثة الرسول، ومن إنزال القرآن، ذكر ما كان عليه بعض أتباع موسى عليه السلام من الإعراض عن العمل بما في التوراة؛ تحذيرًا لهذه الأمة من اتباعهم، فيقال:

﴿٥﴾ مثل اليهود الذين كُلفُوا القيام بما في التوراة فتركوا ما كُلفُوا به، كمثل الحمار يحمل الكنب الكبيرة، لا يدري ما حُمِلَ عليه: أهو كتبٌ أم غيرُها؟ قبح مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يوفق القوم الظالمين لإصابة الحق.

﴿٦﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الذين بقوا على اليهودية بعد تحريفها، إن زعمتم أنكم أولياء الله اختصاصكم بالولاية دون الناس فتمتوا الموت؛ ليعجل لكم ما اختصاصكم به - حسب زعمكم - من الكرامة إن كنتم صادقين في ادعواكم أنكم أولياء الله من دون الناس.

﴿٧﴾ ولا يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ أَبدًا، بل يَتَمَنَّوْنَ الْخُلُودَ فِي الدُّنْيَا بسبب ما عملوه من الكفر والمعاصي والظلم، وتحريف التوراة وتبديلها، والله عليم بالظالمين، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٨﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء اليهود: إن الموت الذي تهربون منه ملاقيكم لا محالة إن عاجلاً أو آجلاً، ثم ترجعون يوم القيامة إلى الله عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه شيء منهما، فيخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا، ويجازيكم عليه.

● من فوائد الآيات،

• عظم منة النبي ﷺ على البشرية عامة وعلى العرب خصوصًا، حيث كانوا في جاهلية وضياع. • الهداية فضل من الله وحده، تطلب منه وتستجلب بطاعته. • تكذيب دعوى اليهود أنهم أولياء الله؛ بتحديثهم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في دعواهم لأن الولي يشاق لحبيبه.

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، إِذَا نَادَى الْمُؤَذِّنُ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ صُعُودِ الْخُطْبِ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْعَوْا إِلَى الْمَسَاجِدِ لِحُضُورِ الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ، وَاتْرَكُوا الْبَيْعَ؛ ثَلَاثًا يَشْغَلُكُمْ عَنِ الطَّاعَةِ، ذَلِكَ الْمَأْمُورُ بِهِ مِنَ السَّعْيِ وَتَرْكِ الْبَيْعِ بَعْدَ الْإِذْنِ لَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ خَيْرٌ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَامْتَثِلُوا مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ.

﴿٢﴾ فَإِذَا أَنْهَيْتُمْ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ بَحْثًا عَنِ الْكَسْبِ الْحَلَالِ، وَعَنْ قِضَاءِ حَاجَاتِكُمْ، وَاطْلُبُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَنْ طَرِيقِ الْكَسْبِ الْحَلَالِ وَالرِّبْحِ الْحَلَالِ، وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَثْنَاءِ بَحْثِكُمْ عَنِ الرِّزْقِ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَلَا يُنْسِكُمْ بِحِثْمِكُمْ عَنِ الرِّزْقِ ذِكْرُ اللَّهِ؛ رَجَاءُ الْفَوْزِ بِمَا تَحِبُّونَهُ، وَالنَّجَاةُ مِمَّا تَرْهَبُونَهُ.

﴿٣﴾ وَإِذَا عَايَنَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا تَفَرَّقُوا خَارِجِينَ إِلَيْهَا، وَتَرَكُوا - أَيُّهَا الرُّسُلُ - قَائِمًا عَلَى الْمِنْبَرِ، قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ -: مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ خَيْرٌ مِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهْوِ الَّذِي خَرَجْتُمْ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

— مَدَنِيَّةٌ —

﴿١﴾ مِنْ مَقَاصِدِ الشُّوَرَةِ:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا تَعَجُّبَكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يُحَسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَؤُفَّكَوْا ﴿٤﴾

٥٥٤

كشف المنافقين وصفاتهم وبيان موقفهم من الإسلام وأهله، تحذيرًا منهم ومن التشبه بهم.

﴿١﴾ التفسير:

﴿١﴾ إذا حضر مجلسك - أيها الرسول - المنافقون الذين يُظهرون الإسلام، ويُضْمِرون الكفر، قالوا: نشهد أنك لرسول الله حقًا، والله يعلم أنك لرسوله حقًا، والله يشهد أن المنافقين لكاذبون فيما يدعون أنهم يشهدون من صميم قلوبهم أنك رسول.

﴿٢﴾ جعلوا أيمانهم التي يحلفونها على دعواهم الإيمان، سترًا ووقاية لهم من القتل والأسر، وصرفوا الناس عن الإيمان بما يثبته من التشكيك والإرجاف إنهم قبح ما كانوا يعملون من النفاق والأيمان الكاذبة.

﴿٣﴾ ذلك بسبب أنهم آمنوا نفاقًا، ولم يصل الإيمان إلى قلوبهم، ثم كفروا بالله سرًا، فحتم على قلوبهم بسبب كفرهم فلا يدخلها إيمان، فهم بسبب ذلك الختم لا يفقهون ما فيه صلاحهم ورشدهم.

﴿٤﴾ وإذا رأيته - أيها الناظر - تعجبك هيئاتهم وأشكالهم؛ لما هم فيه من النضارة والنعيم، وإن يتكلموا تسمع لكلامهم لما فيه من البلاغة، كأنهم في مجلسك - أيها الرسول - خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ، لا يفهمون شيئًا ولا يعونه، يظنون كل صوت يستهدفهم لما فيهم من الجبن، هم العدو حقًا، فاحذره - أيها الرسول - أن يقشوا لك سرًا أو يكيدوا لك مكيدة، لعنهم الله، كيف يَصْرَفُونَ عن الإيمان مع وضوح دلائله، وجلاء براهينه؟!

﴿٥﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• وجوب السعي إلى الجمعة بعد النداء وحرمة ما سواه من الدنيا إلا للضرورة. • تخصيص سورة للمنافقين فيه تنبيه على خطورتهم وخفاء أمرهم. • العبرة بصلاح الباطن لا بجمال الظاهر ولا حسن المنطق.

﴿٦﴾ وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى رسول الله معتذرين عما بدر منكم، يطلب لكم من الله المغفرة لذنوبكم، عطفوا رؤوسهم استهزاء وسخرية، ورأيهم يُغرضون عما أمروا به، وهم مستكبرون عن قبول الحق والإذعان له.

﴿٧﴾ يستوي طلبك - أيها الرسول - المغفرة لذنوبهم وعدم طلبك المغفرة لهم، لن يغفر الله لهم ذنوبهم، إن الله لا يوفق القوم الخارجين عن طاعته، المُصِرِّين على معصيته.

﴿٨﴾ هم الذين يقولون: لا تنفقوا أموالكم على من عند رسول الله من الفقراء والأعراب حول المدينة حتى يتفرقوا عنه، والله وحده خزائن السماوات، وخزائن الأرض، يرزقها من يشاء من عباده، ولكن المنافقين لا يعلمون أن خزائن الرزق بيده سبحانه.

﴿٩﴾ يقول رأسهم عبد الله بن أبي: لنن عدنا إلى المدينة ليُخرجَ الأعز - وهم أنا وقومي - منها الأذل؟ وهم محمد وأصحابه، والله وحده العزة ولرسوله وللمؤمنين، وليست لعبد الله بن أبي وأصحابه، ولكن المنافقين لا يعلمون أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ولما بين الله حرص المنافقين على البخل بالإنفاق للصد عن سبيل الله حذر المؤمنين من ذلك، وأمرهم بالإنفاق في سبيله، فقال:

﴿١٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن الصلاة أو غيرها من فرائض الإسلام، ومن شغلته أمواله وأولاده عما أوجه الله عليه من الصلاة وغيرها، فأولئك هم الخاسرون حقاً الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة.

﴿١١﴾ وأنفقوا مما رزقكم الله من الأموال من قبل أن يأتي أحدكم الموت، فيقول لربه: رب هلاً أخرتني إلى مدة سيرة، فأتصدق من مالي في سبيل الله، وأكن من عباد الله الصالحين الذين صلحت أعمالهم.

﴿١٢﴾ ولن يؤخر الله سبحانه نفساً إذا حضر أجلها وانقضى عمرها، والله خبير بما تعملون، لا يخفي عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿١٣﴾ من فَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الإعراض عن النصيح والتكبر من صفات المنافقين.

• من وسائل أعداء الدين الحصار الاقتصادي للمسلمين.

• خطر الأموال والأولاد إذا شغلت عن ذكر الله.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّارُءٌ وَسَهُمٌ
وَرَأَيْتَهُمْ يُصْذَوْنَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٦﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٧﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ
خِزَايْنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٨﴾ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ
مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُهْلِكُوا
أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ
مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١﴾ وَلَنْ
يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

سُورَةُ التَّجَارَةِ

مِائَتَا

مِائَتَا

سُورَةُ التَّغَابُنِ

— مَدَنِيَّة —

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ
مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى
اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌ حَمِيدٌ ۝ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى
وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝
فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
۝ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيَدْخُلْهُ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝

٥٥٦

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوفِ:
ذكر غيب الكافرين وخسارتهم يوم
القيامة، تحذيرًا من الكفر وأهله.

• التَّفْسِيرُ:
يُنَزَّهُ اللهُ وَيُقَدِّسُهُ عما لا يليق به
من صفات النقص، كل ما في
السموات وما في الأرض من
الخلائق، له وحده الملك، فلا مُلْكُ
غيره، وله الثناء الحسن، وهو على
كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

• (١) هو الذي خلقكم - أيها الناس -
فمنكم كافر به ومصيره النار، ومنكم
مؤمن به ومصيره الجنة، والله بما
تعملون بصير، لا يخفى عليه من
أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

• (٢) خلق السموات وخلق الأرض
بالحق، ولم يخلقهما عبثًا، وصوَّركم
- أيها الناس - فأحسن صوركم مئةً منه
وتفضلاً، ولو شاء لجعلها قبيحة،
وإليه وحده الرجوع يوم القيامة،
فيجازيكم على أعمالكم، إن خيرًا
فخير، وإن شرًا فشر.

• (٣) يعلم ما في السموات ويعلم ما
في الأرض، ويعلم ما تخفون من
الأعمال ويعلم ما تعلنونه، والله عليم
بما في الصدور من خير أو شر، لا
يخفى عليه من ذلك شيء.

• (٤) ألم يأتكم - أيها المشركون - خبر

الأمم المكذبة من قبلكم؛ مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، فذاقوا عقاب ما كانوا عليه من الكفر في الدنيا، ولهم في
الآخرة عذاب موجه؟! بلى، قد أتاكم ذلك، فاعتبروا بما آل إليه أمرهم؛ فتوبوا إلى الله قبل أن يحل بكم ما حل بهم.

• (٥) ذلك العذاب الذي أصابهم إنما أصابهم بسبب أنه كانت تأتيهم رسلهم من عند الله بالحجج الواضحة
والبراهين الجلية، فقالوا مستنكرين أن تكون الرسل من جنس البشر: أبشر يرشدونا إلى الحق؟! فكفروا وأعرضوا
عن الإيمان بهم، فلم يضروا الله شيئًا، واستغنى الله عن إيمانهم وطاعتهم؛ لأن طاعتهم لا تزيده شيئًا، والله غني
لا يفقر إلى عبادته، محمود في أقواله وأفعاله.

• (٦) زعم الذين كفروا بالله أن الله لن يبعثهم أحياء بعد موتهم، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنكرين للبعث: بلى
وربي لتُبْعَثُنَّ يوم القيامة، ثم لتُخْبَرُنَّ بما عملتم في الدنيا، وذلك البعث على الله سهل؛ فقد خلقكم أول مرة، فهو
قادر على بعثكم بعد موتكم أحياء للحساب والجزاء.

• (٧) فآمنوا - أيها الناس - بالله، وآمنوا برسوله، وآمنوا بالقرآن الذي أنزلناه على رسولنا، والله بما تعملون خبير،
لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

• (٨) واذكر - أيها الرسول - يوم يجمعكم الله ليوم القيامة ليجازيكم على أعمالكم، ذلك اليوم الذي يظهر فيه خسارة
الكفار ونقصهم، حيث يرث المؤمنون منازل أهل النار في الجنة، ويرث أهل النار منازل أهل الجنة في النار، ومن
يؤمن بالله ويعمل عملًا صالحًا يكفر الله عنه سيئاته، ويدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار
ماكثين فيها أبدًا، لا يخرجون منها، ولا ينقطع عنهم نعيمها، ذلك الذي نالوه هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • من قضاء الله انقسام الناس إلى أشقياء وسعداء. • من الوسائل المعينة على العمل الصالح
تذكر خسارة الناس يوم القيامة.

﴿١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَى رَسُولِنَا، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ مَا كُنْتُمْ فِيهَا أَبَدًا، وَقَبِيعُ الْمَصِيرِ مَصِيرُهُمْ.

﴿٢﴾ مَا أَصَابَتْ أَحَدًا مُصِيبَةٌ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ إِلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ يُوَفِّقِ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

﴿٣﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ، فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَمَّا جَاءَكُمْ بِهِ رَسُولُهُ فَإِنَّ ذَلِكَ الْإِعْرَاضَ عَلَيْكُمْ، وَلَيْسَ عَلَى رَسُولِنَا إِلَّا تَبْلِيغُ مَا أَمَرْنَاهُ بِتَبْلِيغِهِ، وَقَدْ بَلَّغْنَاكُمْ مَا أَمَرَ بِتَبْلِيغِهِ.

﴿٤﴾ اللَّهُ هُوَ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ، لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ غَيْرُهُ، وَعَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فَلْيَعْتَمِدِ الْمُؤْمِنُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، إِنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ؛ لَكُنْهُمْ يَشْغَلُونَكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَيَشْطُونَكُمْ، فَاحْذَرُوهُمْ أَنْ يُوْثِرُوا فِيكُمْ، وَإِنْ تَجَاوَزُوا عَنْ زَلَاتِهِمْ وَتَعَرَّضُوا عَنْهَا وَتَسْتَرَوْهَا عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيَرْحَمُكُمْ، وَالْجِزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

﴿٦﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ ابْتِلَاءٌ وَاجْتِبَارٌ لَكُمْ، فَقَدْ يَحْمِلُونَكُمْ عَلَى كَسْبِ الْحَرَامِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ اللَّهِ، وَاللَّهُ

عِنْدَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ لِمَنْ أَثَّرَ طَاعَتُهُ عَلَى طَاعَةِ الْأَوْلَادِ، وَعَلَى الانْشِغَالِ بِالْمَالِ، وَهَذَا الْجِزَاءُ الْعَظِيمُ هُوَ الْجَنَّةُ.

﴿٧﴾ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا؛ أَنْ تَبْذُلُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي سَبِيلِهِ، يُضَاعَفْ لَكُمْ الْأَجْرُ بِجَعْلِ الْحَسَنَةِ بَعَشَرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِثَّةٍ ضَعْفٌ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَتَجَاوَزَ لَكُمْ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، وَاللَّهُ شَكُورٌ يُعْطِي عَلَى الْعَمَلِ الْقَلِيلِ الْأَجْرَ الْكَثِيرَ، حَلِيمٌ لَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ.

﴿٨﴾ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَالِمٌ مَا غَابَ، وَعَالِمٌ مَا حَضَرَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- مهمة الرسل التبليغ عن الله، وأما الهداية فهي بيد الله.
- الإيمان بالقدر سبب للطمأنينة والهداية.
- التكليف في حدود المقدور للمكلف.
- مضاعفة الثواب للمنفق في سبيل الله.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
خَالِدِينَ فِيهَا وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ
لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ
نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧﴾ إِنْ تَقْرَضُوا
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿٨﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾

سُورَةُ النَّارِ

آيَاتُهَا ٢٩

بَيِّنَاتُهَا ١٢

سُورَةُ الطَّلَاقِ

— مَدَنِيَّةٌ —

• من مقاصد الشريعة: تعظيم أمر الطلاق وحدوده، وبيان عاقبة التقوى والتعدي على حدود الله.

• التفسير:

﴿١﴾ يا أيها النبي، إذا أردت أنت أو أراد أحد من أمتك طلاق زوجته فليطلقها لأول عدتها؛ بأن يكون الطلاق في طهر لم يجامعها فيه، واحفظوا العدة، لتتمكنوا من مراجعة زوجاتكم فيها إن أردتم مراجعتهم، واتقوا الله ربكم بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، لا تخرجوا مطلقاتكم من البيوت التي يسكن فيها، ولا يخرجن بأنفسهن، حتى تنقضي عدتهن؛ إلا أن يأتين بفاحشة ظاهرة مثل الزنى، وتلك الأحكام هي حدود الله التي حد لعباده، ومن يتجاوز حدود الله فقد ظلم نفسه حيث أوردنا موارد الهلاك بسبب عصيانه لربه، لا تعلم - أيها المطلق - لعل الله يحدث بعد ذلك الرغبة في قلب الزوج فراجع زوجته.

﴿٢﴾ فإذا قارب انقضاء عدتهن فراجعوهن عن رغبة وحسن معاشره، أو اتركوا مراجعتهم حتى تنقضي عدتهن، فيملكن أمر أنفسهن، مع إعطائهن ما لهن من حقوق، وإذا

أردتم مراجعتهم أو مفارقتهم فأشهدوا عدلين منكم حسماً للنزاع، واثبوا - أيها الشهود - بالشهادة مبتغين وجه الله؛ ذلك المذكور من الأحكام يُذكر به من كان يؤمن بالله، ويؤمن بيوم القيامة؛ لأنه هو الذي ينتفع بالتذكير والموعظة، ومن يتق الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، يجعل الله له مخرجاً من كل ما يقع فيه من الضيق والحر.

﴿٣﴾ ويرزقه من حيث لا يخطر له على بال، ولا يكون في حسابه، ومن يعتمد على الله في أموره فهو كافيه، إن الله منفذ أمره، لا يعجز عن شيء، ولا يفوته شيء، قد جعل الله لكل شيء قدراً ينتهي إليه، فللشدة قدر، وللرخاء قدر، فلا يدوم أحدهما على الإنسان.

﴿٤﴾ والمطلقات الثلاثي يسئن من أن يحضن لكبر سنهن، إن شككن في كيفية عدتهن فعدتهن ثلاثة أشهر، والثلاثي لم يبلغن سن الحيض لصغرهن فعدتهن ثلاثة أشهر كذلك، والحوامل من النساء نهاية عدتهن من طلاق أو وفاة: إذا وضعن حملهن، ومن يتق الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، يُيسر الله له أموره، ويسهل له كل عسير.

﴿٥﴾ ذلك المذكور من أحكام الطلاق والرجعة والعدة حكم الله إليكم - أيها المؤمنون - لتعملوا به، ومن يتق الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه يمح عنه سيئاته التي ارتكبها، ويعطيه أجراً عظيماً في الآخرة، وهو دخول الجنة، والحصول على النعيم الذي لا ينفد.

• من قوائد الآيات:

- خطاب النبي ﷺ خطاب لأمته ما لم تثبت له الخصوصية. • وجوب السكنى والنفقة للمطلقة الرجعية. • التذنب إلى الإشهاد حسماً لمادة الخلاف. • كثرة فوائد التقوى وعظمها.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا
 عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلَ فَاَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ
 أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَغَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتِمُّوا بَيْتَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ
 تَعَاَسَرْتَ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى ٦ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ
 قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا
 مَاءً آتَاهَا سَيِّجًا ٧ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ٧ وَكَاتِبٌ مِّن قُرْيَةٍ عَتَتْ
 عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ٨ فَاسْتَبْنَاهَا حَسْبًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا
 نُّكْرًا ٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبَةً أَمْرَهَا خُسْرًا ٩ أَعَدَّ اللَّهُ
 لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاَتَقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ
 اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ١٠ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّخُرْجِ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ
 بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُمْ رِزْقًا ١١ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
 وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ١٢

٥٥٩

ولما بيّن الله حكم الطلاق والرجعة
 بيّن حكم النفقة والسكنى، فقال:

٦) أسكنوهن - أيها الأزواج - من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيّقوا عليهن وإن كنّ أولئك حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فغاتوهن أجورهن وأتموا بيتكم بمعروف وإن تعاسرت فسترضع له أخرى ٦ لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدِرَ عليه رزقه فلينفق ممّا آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلّا ما أتاه سيجًا ٧ الله بعد عسر يسرًا ٧ وكاتب من قرية عتت عن أمر ربها ورسله ٨ فاستبناها حسبًا شديدًا وعذبناها عذابًا نكرًا ٨ فذاقت وبال أمرها وكان عقبه أمرها خسرًا ٩ أعد الله لهم عذابًا شديدًا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرًا ١٠ رسولًا يتلو عليكم آيات الله مبيناتٍ لخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحًا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا قد أحسن الله لهم رزقًا ١١ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا ١٢

٧) لينفق من كان له سعة في المال على مطلقة وعلى ولده من سعته، ومن ضيق عليه رزقه فلينفق ممّا أعطاه الله منه، لا يكلف الله نفسًا إلّا ما أعطاه، فلا يكلفها فوقه، ولا فوق ما تطيقه، سيجل الله بعد ضيق حاله وشدها سعة وغنى.

ولما ذكر الله جملة من الأوامر حذر من الإعراض عن تلك الأوامر، وبيّن أن عاقبة سيئة، فقال:

٨) وما أكثر القرى التي لمّا عصت أمر ربها سبحانه وأمر رسله ﷺ، حاسبناها حسابًا عسيرًا على أعمالها السيئة، وعذبناها عذابًا فظيماً في الدنيا والآخرة.

٩) فذاقت عقوبة أعمالها السيئة، وكان نهايتها خسارًا في الدنيا، وخسارًا في الآخرة.

١٠) هيّا الله لهم عذابًا قويًا، فاتقوا الله - يا أصحاب العقول الذين آمنوا بالله وآمنوا برسوله - بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، حتى لا يحل بكم ما حلّ بهم، قد أنزل الله إليكم ذكرًا يذكركم سوء عاقبة معصيته، وحسن مآل طاعته.

١١) هذا الذكر هو رسول منه يتلو عليكم آيات الله مبينات لا لبس فيها؛ رجاء أن يخرج الذين آمنوا بالله وصدقوا برسوله، وعملوا الأعمال الصالحات من ظلمات الضلال إلى نور الهداية، ومن يؤمن بالله، ويعمل عملاً صالحًا، يدخله الله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكين فيها أبدًا، قد أحسن الله له رزقًا حيث أدخله جنة لا ينقطع نعيمها.

١٢) الله هو الذي خلق سبع سموات، وخلق سبع أرضين مثل خلقه سبع سموات، يتنزل أمر الله الكوني والشرعي بينهن؛ رجاء أن تعلموا أن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، وأنه سبحانه أحاط بكل شيء علمًا، فلا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض.

١٣) من فوائد الآيات،

- عدم وجوب الإرضاع على الحامل إذا طلقت.
- التكليف لا يكون إلّا بالمستطاع.
- الإيمان بقدرة الله وإحاطة علمه بكل شيء سبب للرضا وسكينة القلب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ
عَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ مَنْ أُنْبَأُ هَذَا قَالَ النَّبِيُّ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ إِنْ
تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ
هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ
ظَهِيرٌ ۝ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ
مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَلْبَسْنَ عِيبَاتٍ سَأَلَ يَحْيَىٰ ثَبِتَتْ
وَأَبْكَارًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا
وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا الْيَوْمَ لَكُمْ تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝

٥٦٠

● من قفاصل الشورى:
تربية البيت النبوي؛ ليكون أسوة
للأسرة والمجتمع.

● التفسير:
١ يا أيها الرسول، لم تحرم ما
أباح الله لك؛ من الاستمتاع بجارياتك
مارية، تبتغي بذلك إرضاء زوجاتك
لما غرن منها، والله غفور لك، رحيم
بك؟!

٢ قد شرع الله لكم تحليل أيمانكم
بالكفارة إن وجدتم خيراً منها أو حنثتم
فيها، والله ناصركم، وهو العليم
بأحوالكم وما يصلح لكم، الحكيم في
شرعه وقدره.

٣ واذكر حين خصر النبي ﷺ حفصة
بخبر، وكان منه أنه لن يقرب زوجته
مارية، فلما أخبرت حفصة عائشة
بالخبر وأعلم الله نبيه عن إفشاء سره
عاتب حفصة فذكر لها بعضاً مما
ذكرت وسكت عن بعض، فسأته: من
أخبرك هذا؟ قال: أخبرني العليم بكل
شيء، الخبير بكل خفي.

٤ حق عليكما أن تتوبا؛ لأن
قلوبكما قد مالت إلى محبة ما كرهه
رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته
وتحريمها على نفسه، وإن تصرأ على
العود على تأليكما عليه، فإن الله هو

وليه وناصره، وكذا جبريل وخيار المؤمنين أولياؤه ونصراؤه. والملائكة بعد نصره الله له أعوان له ونصراء على من
يؤذيه.

٥ عسى ربه سبحانه إن طلقكن نبيه أن يبده أزواجا خيرا منكن، منقادات لأمره، مؤمنات به وبرسوله،
مطيعات لله، تائبات من ذنوبهن، عابدات لربهن، صائمات، ثيبات، وأبكاراً لم يدخل بهن غيره، لكنه لم
يطلقهن.

٦ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، اجعلوا لأنفسكم ولأهليكم وقاية من نار عظيمة توقد بالناس
وبالحجارة، على هذه النار ملائكة غلاظ على من يدخلها شذاد، لا يعصون أمر الله إذا أمرهم. ويفعلون ما
يأمرهم به دون تراخ ولا توان.

٧ ويقال للكافرين يوم القيامة: يا أيها الذين كفروا بالله، لا تعتذروا اليوم مما كنتم عليه من الكفر والمعاصي،
فلن نقبل أعذاركم، إنما تجزون في هذا اليوم ما كنتم تعملونه في الدنيا من الكفر بالله وتكذيب رسوله.

● من قوايد الآيات،

- مشروعية الكفارة عن اليمين.
- بيان منزلة النبي ﷺ عند ربه ودفاعه عنه.
- من كرم المصطفى ﷺ مع زوجاته فكان يعرض عن بعض الأخطاء إبقاء
للمودة.
- مسؤولية المؤمن عن نفسه وعن أهله.

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا
بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ
ذُنُوبِكُمْ توبة صادقة، عسى ربكم أن
يمحو عنكم سيئاتكم، ويدخلكم
جَنَّات تجري من تحت قصورها
الأنهار يوم القيامة، يوم لا
يُذِلُّ اللَّهُ النَّبِيَّ وَلَا يُذِلُّ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
بِإِدْخَالِهِمُ النَّارَ، نورهم يسعى بين
أيديهم وبأيمنهم على الصراط،
يقولون: يا ربنا أكمل لنا نورنا، حتى
ندخل الجنة، فلا نكون مثل المنافقين
الذين ينطفئ نورهم على الصراط،
واغفر لنا ذنوبنا، إنك على كل شيء
قدير، فلا تعجز عن إكمال نورنا
والتجاوز عن ذنوبنا.

﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ، جَاهِدِ الْكُفَّارَ
بِالسِّيفِ، وَالْمُنَافِقِينَ بِاللِّسَانِ وَإِقَامَةُ
الْحُدُودِ، وَاسْتَدِّ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَهَابُوا،
وَمَا وَاهِمُ الَّذِي يَأْوِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
هُوَ جَهَنَّمُ، وَسَاءَ الْمَصِيرُ مَصِيرَهُمُ
الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ.

﴿٣﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَبِرَسُولِهِ - أَنْ عَلاَقَتَهُمُ بِالْمُؤْمِنِينَ لَا تَنْفَعُ
بِحَالٍ - امْرَأَتِي نَبِيئِينَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ:
نُوحٌ وَلُوطٌ عليهما السلام، فَقَدْ كَانَتَا زَوْجَتَيْنِ
لِعَبْدَيْنِ صَالِحَيْنِ، فَخَانَتَا زَوْجِيهِمَا؛
بِمَا كَانَتَا عَلَيْهِ مِنَ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ،
وَمَنَاصَرَةِ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ قَوْمِهِمَا، فَلَمْ
يَنْفَعَهُمَا كَوْنُهُمَا زَوْجَتَيْنِ لِهَذَيْنِ الْعَبْدَيْنِ
الصَّالِحَيْنِ، وَقَبِلَ لَهُمَا: ادْخُلَا النَّارَ

من جملة الداخلين فيها من الكفار والفساق.

﴿٤﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ أَنْ صَلَّتْهُمُ الْكَافِرِينَ لَا تَضُرُّهُمْ، وَلَا تَوْثِّرُ فِيهِمْ مَا دَامُوا مُسْتَقِيمِينَ
عَلَى الْحَقِّ بِحَالٍ امْرَأَةٌ فَرَعُونَ حِينَ قَالَتْ: يَا رَبِّ، ابْنِ لِي بَيْتًا عِنْدَكَ فِي الْجَنَّةِ، وَسَلِّمْنِي مِنْ جَبْرُوتِ فَرَعُونَ
وَسُلْطَانِهِ، وَمِنْ أَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ، وَسَلِّمْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ بِمَتَابِعَتِهِمْ لَه فِي طَغْيَانِهِ وَظُلْمِهِ.
﴿٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، بِحَالِ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ الَّتِي حَفِظَتْ فَرْجَهَا مِنَ الزُّنَى، فَأَمَرَ اللَّهُ
جَبْرِيْلَ أَنْ يَنْفِخَ فِيهِ، فَحَمَلَتْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ بَعِيسَى بِنِ مَرْيَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ، وَصَدَّقَتْ بِشَرَائِعِ اللَّهِ، وَبَكَّتْهُ الْمُنَزَّلَةُ عَلَى
رَسُولِهِ، وَكَانَتْ مِنَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَالْكَفِّ عَنْ نَوَاهِيهِ.

﴿٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

- التوبة النصوح سبب لكل خير.
- في اقتران جهاد العلم والحقبة وجهاد السيف دلالة على أهميتهما وأنه لا غنى عن أحدهما.
- القرابة بسبب أو نسب لا تنفع صاحبها يوم القيامة إذا فرق بينهما الدين.
- العفاف والبعد عن الرِّبِّية من صفات المؤمنات الصالحات.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ
أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
أَتِّمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَرَيْشُ الْمَصِيرِ ﴿٦﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا
مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿٧﴾
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتِ فَرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ
وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ
عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَانَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا
وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝^١ الَّذِي خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝^٢
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ
تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝^٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝^٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
الْأُولَى بِمِصْبَاحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
السَّعِيرِ ۝^٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَبُثَّ الْمَصِيرُ ۝^٦
إِذَا الْقُلُوبُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝^٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ الْغَيْظِ كَمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝^٨
قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝^٩ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
السَّعِيرِ ۝^{١٠} فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝^{١١} إِنَّ
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝^{١٢}

٥٦٢

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
إظهار كمال ملك الله وقدرته؛ بعثًا
على خشيته، وتحذيرًا من عقابه.

• التفسير:

① تعظيم وكثر خير الله الذي بيده
وحده الملك، وهو على كل شيء
قدير، لا يعجزه شيء.

② الذي خلق الموت وخلق الحياة
ليختبركم - أيها الناس - أيكم أحسن
عملًا، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد،
الغفور لذنوب من تاب من عباده.

③ الذي خلق سبع سماوات، كل
سماة طبقة فوق ما قبلها دون تماس بين
سماة وسماة. لا تشاهد - أيها الرائي
- فيما خلق الله أي تفاوت أو عدم
تناسب. فارجع البصر هل ترى من
تَشَقُّقٍ أو تَصَدُّعٍ؟! لن ترى ذلك،
وإنما ترى خلقًا محكمًا متقنًا.

④ ثم ارجع البصر مرة بعد مرة يرجع
إليك بصرك ذليلًا دون أن يرى عيبًا أو
خللاً في خلق السماء، وهو كليل
مقطع عن النظر.

⑤ ولقد زينا أقرب سماة إلى
الأرض بنجوم مضيئة، وجعلنا تلك
النجوم شُهَبًا تُرْجَمُ بها الشياطين
التي تسترق السمع فتحرقهم، وهيأتنا
لهم في الآخرة النار المُسْتَعْرَةِ.

⑥ وللذين كفروا بربهم يوم القيامة عذاب النار المتقدة، وساء المرجع الذي يرجعون إليه.

⑦ إذا طرخوا في النار سمعوا صوتًا قبيحًا شديدًا، وهي تغلي مثل غليان المِرْجَلِ.

⑧ يكاد ينفصل بعضها عن بعض ويتميز؛ من شدة غضبها على من يدخل فيها، كلما رُميت فيها دفعة من
أصحابها الكفار سألتهم الملائكة الموكلون بها سؤال تفريع: ألم يأتكم في الدنيا رسول يخوفكم من عذاب الله؟!!

⑨ وقال الكفار: بلى، قد جاءنا رسول يخوفنا من عذاب الله فكذبناه، وقُلْنَا لَهُ: ما نَزَّلَ اللهُ مِنْ وَحْيٍ، لستم -
أيها الرسل - إلا في ضلال عظيم عن الحق.

⑩ وقال الكفار: لو كُنَّا نَسْمَعُ سَمَاعًا يُنْتَفَعُ بِهِ، أو نَعْقِلُ عقل من يميز الحق من الباطل، ما كنا في جملة
أصحاب النار، بل كُنَّا نؤمن بالرسول، ونصدق بما جاؤوا به، ونكون من أصحاب الجنة.

⑪ فأقرؤا على أنفسهم بالكفر والتكذيب فاستحقوا النار، فُعِدُّوا لِأَصْحَابِ النار.

ولما ذكر الله صفات أهل الكفر وجزاءهم، عَقَّبَهَا بِذِكْرِ صفات أهل الإيمان وجزائهم، فقال:

⑫ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ فِي خُلُوتِهِمْ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم، ولهم ثواب عظيم وهو الجنة.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• في معرفة الحكمة من خلق الموت والحياة وجوب المبادرة للعمل الصالح قبل الموت. • حَقَّقْ جَهَنَّمَ عَلَى
الكفار وغيظها غيرةً لله سبحانه. • سبق الجن الإنس في ارتياد الفضاء وكل من تعدى حده منهم، فإنه سيناله
الرصد بعقاب. • طاعة الله وخشيته في الخلوات من أسباب المغفرة ودخول الجنة.

﴿١٣﴾ وَأَخْفُوا - أيها الناس - كلامكم أو أعلنوه، فالله يعلمه، إنه سبحانه عليم بما في قلوب عباده، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿١٤﴾ أَلَا يَعْلَمُ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا السِّرَ وما هو أخفى من السِّرِّ؟! وهو اللطيف بعباده، الخبير بأمورهم، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿١٥﴾ هو الذي جعل لكم الأرض سهلة لينة للسكن عليها، فسيروا في جوانبها واطرافها، وكلوا من رزقه الذي أعد لكم فيها، وإليه وحده بعثكم للحساب والجزاء.

﴿١٦﴾ أأمنتم الله الذي في السماء أن يشق الأرض من تحتكم كما شقها من تحت قارون بعد أن كانت سهلة مدللة للسكن عليها، فإذا هي تضطرب بكم بعد استقرارها؟!.

﴿١٧﴾ أم أأمنتم الله الذي في السماء أن يبعث عليكم حجارة من السماء مثل ما بعثنا على قوم لوط؟! فستعلمون حين نغابون عقابي إنذارى لكم، لكتكم لن تنتفعوا به بعد معاناة العذاب.

﴿١٨﴾ ولقد كذبت الأمم التي سبقت هؤلاء المشركين، فنزل عليهم عذاب الله لما أصروا على كفرهم وتكذيبهم، فكيف كان إنكاري عليهم؟! لقد كان إنكارًا شديدًا.

﴿١٩﴾ أولم يشاهد هؤلاء المكذبون الطير فوقهم عند طيرانها تبسط

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَزُوقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ وَبَلَ لَجُوفٍ عَنُودٍ يُنُورُ ﴿٢١﴾ أَفَنْ يَمْشِيَ مُبْكًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِيَ سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾

أجنحتها في الهواء تارة، وتضمها إليها تارة أخرى، ولا يمسكهن أن يقعن على الأرض إلا الله، إنه بكل شيء بصير، لا يخفى عليه منه شيء.

﴿٢٦﴾ لا جند لكم - أيها الكفار - يمنعكم من عذاب الله إن أراد أن يعذبكم، ليس الكافرون إلا مخدوعين، خدعهم الشيطان فاغترؤا به.

﴿٢٧﴾ ولا أحد يرزقكم إن منع الله رزقه أن يصل إليكم، بل الحاصل أن الكفار تمادوا في العناد والاستكبار، والامتناع عن الحق.

﴿٢٨﴾ أفمن يمشي واقفاً على وجهه؛ مُكْبِّاً عليه - وهو المشرك - أهدى، أم المؤمن الذي يمشي مستقيماً على طريق مستقيم؟! ﴿٢٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: الله هو الذي خلقكم، وجعل لكم أسماعاً تسمعون بها، وأبصاراً تبصرون بها، وقلوباً تعقلون بها، قليلاً ما تشكرونه على نعمه التي أنعم بها عليكم.

﴿٣٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: الله هو الذي بثكم في الأرض ونشركم فيها، لا أصنامكم التي لا تخلق شيئاً، وإليه وحده يوم القيامة تُجمعون للحساب والجزاء، لا إلى أصنامكم، فخافوه وابدؤوه وحده.

﴿٣١﴾ ويقول المكذبون بالبعث استبعاداً للبعث: متى هذا الوعد الذي تعدنا - يا محمد - أنت وأصحابك إن كنتم صادقين في دعواكم أنه آتٍ؟!.

﴿٣٢﴾ قل - أيها الرسول -: إنما علم الساعة عند الله، لا يعلم متى تقع إلا هو، وإنما أنا منذر واضح في نذاتي لكم.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ.

• اطلاع الله على ما تخفيه صدور عباده. • الكفر والمعاصي من أسباب حصول عذاب الله في الدنيا والآخرة. • الكفر بالله ظلمة وحيرة، والإيمان به نور وهداية.

﴿٧﴾ فلما حل بهم الوعد وعانوا العذاب قريباً منهم وذلك يوم القيامة تغيرت وجوه الذين كفروا بالله فاسودّت، ويقال لهم: هذا الذي كنتم تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه.

﴿٨﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين مستنكراً عليهم: أخبروني إن توفاني الله، وتوفى من معي من المؤمنين، فمن ينجي الكافرين من عذاب مؤلم؟! لن ينجيهم منه أحد.

﴿٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هو الرحمن الذي يدعوكم إلى عبادته وحده، آمناً به، وعليه وحده اعتمادنا في أمورنا، فستعلمون - لا محالة - من هو في ضلال واضح ممن هو على صراط مستقيم.

﴿١٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أصبح ماؤكم الذي تشربون منه غائراً في الأرض لا تستطيعون الوصول إليه، من يأتيكم بماء كثير جارٍ؟! لا أحد غير الله.

سُورَةُ الْقَلَمِ

— مكية —

• من مقاصد السورة: إظهار علم النبي ﷺ وخلقه، تأييداً له بعد تطاول المشركين عليه.

• التفسير:

﴿١﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. أقسم الله بالقلم، وأقسم بما يكتبه الناس بأقلامهم. ﴿٢﴾ ما أنت - أيها الرسول - بما أنعم الله عليك به من النبوة مجتوباً، بل أنت بريء من الجنون الذي رماك به المشركون. ﴿٣﴾ إن لك لثواباً على ما تعانیه من حمل الرسالة إلى الناس غير مقطوع، ولا متة به لأحد عليك. ﴿٤﴾ وإنك لعلی الخلق العظيم الذي جاء به القرآن، فأنت متخلق بما فيه على أكمل وجه. ﴿٥﴾ فستبصر أنت، ويبصر هؤلاء المكذبون. ﴿٦﴾ عندما ينكشف الحق يتضح بأيكم الجنون؟! ﴿٧﴾ إن ربك - أيها الرسول - يعلم من انحرف عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين إليها، فيعلم أنهم من ضلوا عنها، وأنت من اهتديت إليها. ﴿٨﴾ فلا تطع - أيها الرسول - المكذبين بما جئت به.

﴿٩﴾ تمنوا لو لايتهم ولاطفتهم على حساب الدين، فيلينون لك ويلطفونك. ﴿١٠﴾ ولا تطع كل كثير الحلف بالباطل، حقيق. ﴿١١﴾ كثير الاعتياب للناس، كثير المشي بالنميمة بينهم؛ ليفرق بينهم. ﴿١٢﴾ كثير المنع للخير، معتد على الناس في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم. كثير الآثام والمعاصي. ﴿١٣﴾ غليظ جاف، ذعي في قومه لصيق. ﴿١٤﴾ لأجل أنه كان صاحب مال وأولاد تكبر عن الإيمان بالله ورسوله. ﴿١٥﴾ إذا قرأ عليه آياتنا قال: هذه ما يسطر من خرافات الأولين. ﴿١٦﴾ سنضع علامة على أنه تبيينه وتلازمه.

• من فوائد الآيات: • اتصاف الرسول ﷺ بأخلاق القرآن. • صفات الكفار صفات ذميمة يجب على المؤمن الابتعاد عنها، وعن طاعة أهلها. • من أكثر الحلف هان على الرحمن، ونزلت مرتبته عند الناس.

سُورَةُ الْقَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَبْصَارِكُمُ الْمَقْنُونِ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وُدُّوا وَلَوْلَدَهُمْ فَيَذْهَبُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مِثْيَيْنٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُلِّ بِعَدَدِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَنِينٍ ﴿١٤﴾ إِذَا تَنَادَى عَلَيْهِ إِيْتْنَا قَالَ أَصْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُومِ ﴿١٦﴾

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذَا أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَنْتُونَ ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۝ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيرِ ۝ فَنَادُوا مُصْبِحِينَ ۝ أَنِ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ۝ أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۝ وَغَدُوا عَلَيَّ حَرْدٍ قَدِيرٍ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَأَصَاوُونَ ۝ بَلْ لَّحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ۝ قَالُوا يَوَيْلًا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ عَسَىٰ رَبِّنَا أَن يَبْدِلَ لَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّا لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَآ تَخَيَّرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَالِيَةً بَلَاغُهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ إِن لَّكُمْ لَمَآ تَحْكُمُونَ ۝ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا شُرَكَاءَهُمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ۝ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝

٥٦٥

(٧) إِنَّا اخْتَبَرْنَا هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ بِالْقِحْطِ وَالْجُوعِ، كَمَا اخْتَبَرْنَا أَصْحَابَ الْحَدِيقَةِ حِينَ حَلَفُوا لَيَقْطَعْنَ ثَمَارَهَا وَقْتَ الصَّبَاحِ مَسَارِعِينَ حَتَّى لَا يَطْعَمَ مِنْهَا مَسْكِينٌ.

(٨) وَلَمْ يَسْتَنْتُوا فِي يَمِينِهِمْ بِقَوْلِهِمْ: (إِنْ شَاءَ اللَّهُ).

(٩) فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا نَارًا، فَأَكَلَتْهَا وَأَصْحَابُهَا نِيَامٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَ النَّارِ عَنْهَا.

(١٠) فَأَصْبَحَتْ سُودَاءَ كَاللَّيْلِ الْمَظْلَمِ.

(١١) فَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقْتَ الصَّبَاحِ.

(١٢) قَانِلِينَ: أَخْرَجُوا مُبْكَرِينَ عَلَى حَرْثِكُمْ قَبْلَ مَجِيئِ الْفُقَرَاءِ إِنْ كُنْتُمْ قَاطِعِينَ ثَمَارَهُ.

(١٣) فَسَارُوا إِلَى حَرْثِهِمْ، مُسْرِعِينَ يَحْدُثُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِصَوْتٍ مُنْقَضٍ.

(١٤) يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا يَدْخُلْنَ الْحَدِيقَةَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ مَسْكِينٌ.

(١٥) وَسَارُوا أَوَّلَ الصَّبَاحِ وَهُمْ عَلَى مَنَعِ ثَمَارِهِمْ عَازِمِينَ.

(١٦) فَلَمَّا شَاهَدُوهَا مُحَرَّقَةً قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَقَدْ ضَلَلْنَا طَرِيقَهَا.

(١٧) بَلْ نَحْنُ مَمْنُوعُونَ مِنْ جَنِيِّ ثَمَارَهَا بِمَا حَصَلَ مِنَّا مِنْ عِزْمٍ عَلَى مَنَعِ الْمَسَاكِينِ مِنْهَا.

(١٨) قَالَ أَفْضَلُهُمْ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ حِينَ عَزَمْتُمْ عَلَى مَا عَزَمْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَرَامِ

الْفُقَرَاءِ مِنْهَا: هَلَّا تَسْبَحُونَ اللَّهَ، وَتَتَوَبَّعُونَ إِلَيْهِ؟! (١٩) قَالُوا: سَبَّحْنَا رَبَّنَا، إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لَأَنْفُسَنَا حِينَ عَزَمْنَا عَلَى مَنَعِ الْفُقَرَاءِ مِنْ ثَمَارِ حَدِيقَتِنَا. (٢٠) فَأَقْبَلُوا يَتَرَاوِعُونَ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْعَتَبِ. (٢١) قَالُوا مِنَ النَّدَمِ: يَا خَسَارَنَا، إِنَّا كُنَّا مُتَجَاوِزِينَ الْحَدَّ بِمَنَعِنَا الْفُقَرَاءَ حَقَّهُمْ. (٢٢) عَسَىٰ رَبَّنَا أَنْ يَعْوِضَنَا خَيْرًا مِنَ الْحَدِيقَةِ، إِنَّا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ رَاغِبُونَ، نَرْجُو مِنْهُ الْعَفْوَ، وَنَطْلُبُ مِنْهُ الْخَيْرَ. (٢٣) مِثْلُ هَذَا الْعَذَابِ بِالْحَرَامِ مِنَ الرِّزْقِ نَعَذِّبُ مَنْ عَصَانَا، وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَعْظَمُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ شِدَّتَهُ وَدَوَامَهُ. (٢٤) إِنَّا لِلْمُتَّقِينَ اللَّهُ بِأَمْثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا، لَا يَنْقُطُ نَعِيمُهُمْ. (٢٥) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْكَافِرِ فِي الْجَزَاءِ كَمَا يَزْعُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ؟! (٢٦) مَا لَكُمْ - أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ - كَيْفَ تَحْكُمُونَ هَذَا الْحُكْمَ الْجَائِرَ الْأَعْوَجَ؟! (٢٧) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَقْرَأُونَ الْمَسَاوِةَ بَيْنَ الْمَطِيعِ وَالْعَاصِي؟! (٢٨) إِنْ لَكُمْ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ مَا تَخَيَّرْتُمْ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ.

(٢٩) أَمْ لَكُمْ عَلَيْنَا عَهْدٌ مُّؤَكَّدٌ بِالْإِيمَانِ مُقْتَضَاهَا أَنْ لَكُمْ مَا تَحْكُمُونَ بِهِ لَأَنْفُسِكُمْ؟!

(٣٠) سَلِّ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - الْقَانِلِينَ هَذَا الْقَوْلَ: أَيُّهُمْ كَفِيلٌ بِهِ؟!

(٣١) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَسَاوُونَهُمْ فِي الْجَزَاءِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ؟! فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ هَؤُلَاءِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِيمَا يَدْعُونَهُ مِنْ أَنَّهُمْ سَاوُوهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَزَاءِ.

(٣٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْدُو الْهَوْلُ وَيُكْشَفُ رَبَّنَا عَنْ سَاقِهِ، وَيُدْعَى النَّاسُ إِلَى السُّجُودِ فَيَسْجُدُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَبْقَى الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْجُدُوا.

(٣٣) مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • مَنَعُ حَقِّ الْفَقِيرِ سَبَبٌ فِي هَلَاكِ الْمَالِ. • تَعْجِيلُ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا مِنْ إِرَادَةِ الْخَيْرِ بِالْعَبْدِ لِيَتُوبَ وَيَرْجِعَ. • لَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ فِي الْجَزَاءِ، كَمَا لَا تَسْتَوِي صِفَاتُهُمَا.

﴿١٣﴾ ذليلة أبصارهم، تغشاهم ذلة وندامة، وقد كانوا في الدنيا يُطلب منهم أن يسجدوا لله وهم في معافاة مما هم فيه اليوم.

﴿١٤﴾ فاتركني - أيها الرسول - ومن يكذب بهذا القرآن المنزل عليك، سنسوقهم إلى العذاب درجة درجة من حيث لا يعلمون أن ذلك مكر بهم واستدراج لهم.

﴿١٥﴾ وأهلهم زمناً لتمادوا في إثمهم، إن كيدي بأهل الكفر والتكذيب قوي، فلا يفتونني، ولا يسلمون من عقابي.

﴿١٦﴾ هل تطلب منهم - أيها الرسول - ثواباً على ما تدعوهم إليه، فهم بسبب ذلك يتحملون أمراً عظيماً، فهذا سبب إعراضهم عنك؟! والواقع خلاف ذلك، فأنت لا تطلبهم أجراً، فما المانع لهم من اتباعك؟!

﴿١٧﴾ أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ما يحلو لهم من الحجج التي يحاجونك بها؟!

﴿١٨﴾ فاصبر - أيها الرسول - لما حكم به ربك من استدراجهم بالإمهال، ولا تكن مثل صاحب الحوت يونس عليه السلام في التضجر من قومه؛ إذ نادى ربه وهو مكروب في ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت.

﴿١٩﴾ لولا أن رحمة الله أدركته لينذه الحوت إلى أرض خلاء وهو ملوم.

﴿٢٠﴾ فاختره ربه، فجعله من عباده الصالحين.

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَامُونَ ﴿١٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿١٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿١٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَفَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٢١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

سورة القلم الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَشْجَارٌ نَحْلٌ خَاوِيَةٌ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

٥٦٦

﴿١﴾ وإن يكاد الذين كفروا بالله وكذبوا رسوله، ليصرعونك بأبصارهم من شدة إحداث النظر إليك، لما سمعوا هذا القرآن المنزل عليك، ويقولون - اتباعاً لأهوائهم، وإعراضاً عن الحق -: إن الرسول الذي جاء به لمجنون.

سورة القلم الحاقة

مكتبة

• من مقاصد السورة: حتمية وقوع القيامة تأكيداً لصدق القرآن، ووعداً للمؤمنين بالفرحة، ووعداً للمكذابين بالحسرة.

• التفسير:

﴿١﴾ يذكر الله ساعة البعث التي تحقق على الجميع. ﴿٢﴾ ثم يعظم أمرها بهذا السؤال. أي شيء هي الحاقة؟ ﴿٣﴾ وما أعلمك ما هذه الحاقة؟ ﴿٤﴾ كذبت ثمود قوم صالح، وعاد قوم هود، بالقيامة التي تفرع الناس من شدة أهوالها. ﴿٥﴾ فأما ثمود فقد أهلكهم الله بالصيحة التي بلغت الغاية في الشدة والهول. ﴿٦﴾ وأما عاد فقد أهلكهم الله بريح شديدة البرد قاسية بلغت الغاية في القسوة عليهم. ﴿٧﴾ أرسلها الله عليهم مدة سبع ليالٍ وثمانية أيام تنفيهم عن بكرة أبيهم، فترى القوم في ديارهم هلكت مصروعين في الأرض، كأنهم بعد إهلاكهم أصول نخل ساقطة على الأرض بالية. ﴿٨﴾ فهل ترى لهم نفساً باقية بعد ما أصابهم من العذاب؟!

• من أوائل الآيات: • الصبر خلق محمود لازم للدعاة وغيرهم. • التوبة تُجِبُّ ما قبلها وهي من أسباب اصطفاء الله للعبد ويجعله من عباده الصالحين. • تنوع ما يرسله الله على الكفار والعصاة من عذاب دلالة على كمال قدرته وكمال عدله.

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخَطِئَةِ ۝١ فَصَوَّرَ رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ۝٢ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلَتُ كُرِّيَ الْجَارِيَةَ
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَعِيَةٌ ۝٣ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ
نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝٤ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝٥
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝٦ وَلَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
۝٧ وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ
۝٨ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۝٩ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ
بِيمِينَةٍ ۝١٠ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَوْهَامِيَ الْأُكْحَامِ ۝١١ إِنْ يَظُنُّنَّ أَنَّيْ مُلْكِي حِسَابِيَةٍ
۝١٢ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝١٣ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٤ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝١٥
كُلُوا وَأَشْرَبُوا وَهْنِيئًا يَمِيزُ الْأَيَّامُ الْحَالِيَةَ ۝١٦ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ
كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ۝١٧ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُؤْتِ كِتَابِيَةَ ۝١٨ وَلَمْ أَدْرِمَا حِسَابِيَةَ
۝١٩ يَلَيْتَنِي كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۝٢٠ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ۝٢١ هَكَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ
۝٢٢ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٢٣ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٢٤ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٢٥ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝٢٦
وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ۝٢٧ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ۝٢٨

٥٦٧

١٩ وجاء فرعون ومن قبله من الأمم، والقرى التي عذبت بقلب عاليها سافلها، وهم قوم لوط، بالأفعال الخاطئة من الشرك والمعاصي.

٢٠ فعصى كل منهم رسوله الذي بعث إليهم وكذبه، فآخذهم الله أخذة زائدة على ما يتهم به هلاكهم.

٢١ إنا لما تجاوز الماء حده في الارتفاع حملنا من كنتم في أصلابهم في السفينة الجارية التي صنعها نوح ﷺ بأمرنا، فكان حملاً لكم.

٢٢ لنجعل السفينة وقصتها موعظة يستدل بها على إهلاك أهل الكفر، وإنحاء أهل الإيمان، وتحفظها أذن حافظة لما تسمع.

٢٣ فإذا نفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن نفخة واحدة وهي النفخة الثانية.

٢٤ وورفت الأرض والجبال، فدقنا دقة واحدة شديدة فرقت أجزاء الأرض وأجزاء جبالها.

٢٥ فيوم يحصل ذلك كله تقع القيامة. وتشفقت السماء يومئذ لنزول الملائكة منها، فهي في ذلك اليوم ضعيفة بعد أن كانت شديدة متماسكة.

٢٦ والملائكة على أطرافها وحافاتهما، ويحمل عرش ربك في ذلك اليوم العظيم ثمانية من الملائكة المقربين.

٢٧ في ذلك اليوم تُعرضون - أيها الناس - على الله، لا تخفى على الله

منكم خافية أي كانت، بل الله عليم بها مطلع عليها.

٢٨ فأما من أعطي كتاب أعماله يمينه فهو يقول من السرور والبهجة: خذوا اقرؤوا كتاب أعمالي.

٢٩ إني علمت في الدنيا وأيقنت أنني مبعوث، وملاقى جزائي.

٣٠ فهو في عيشة مرضية؛ لما يراه من النعيم الدائم.

٣١ في جنة رفيعة المكان والمكانة. ٣٢ ثمأرها قريبة ممن يتناولها.

٣٣ يقال تكريماً لهم: كلوا واشربوا أكلاً وشراباً لا أدى فيه بما قدمتم من الأعمال الصالحات في الأيام الماضية في الدنيا. ٣٤ وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله، فيقول من شدة الندم: يا ليتني لم أعط كتاب أعمالي لما فيه من الأعمال السيئة المستوجبة لعذابي. ٣٥ ويا ليتني لم أعرف أي شيء يكون حسابي. ٣٦ يا ليت الموتة التي متها كانت الموتة التي لا أبعث بعدها أبداً. ٣٧ لم يدفع عني مالي من عذاب الله شيئاً. ٣٨ غابت عني حاجتي وما كنت أعتد عليه من قوة وجاؤ. ٣٩ ويقال: خذوه - أيها الملائكة - واجمعوا يده إلى عنقه. ٤٠ ثم أدخلوه النار ليعاني حرها. ٤١ ثم أدخلوه في سلسلة طولها سبعون ذراعاً.

٤٢ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم.

٤٣ ولا يبحث غيره على إطعام المسكين.

٤٤ فليس له يوم القيامة قريب يدفع عنه العذاب.

٤٥ من فوائد الآيات: • المنة التي على الوالد منة على الولد تستوجب الشكر. • إطعام الفقير والحض عليه من أسباب الوقاية من عذاب النار. • شدة عذاب يوم القيامة تستوجب التوقي منه بالإيمان والعمل الصالح.

- ﴿٣٦﴾ وليس له طعام يطعمه إلا من
عصارة أبدان أهل النار .
﴿٣٧﴾ لا يأكل ذلك الطعام إلا أصحاب
الذنوب والمعاصي .
﴿٣٨﴾ أقسم الله بما تشاهدون .
﴿٣٩﴾ وأقسم بما لا تشاهدون .
﴿٤٠﴾ إن القرآن لكلام الله ، يتلوه على
الناس رسوله الكريم .
﴿٤١﴾ وليس بقول شاعر ؛ لأنه ليس على
نظم الشعر ، قليلاً ما يؤمنون .
﴿٤٢﴾ وليس بقول كاهن ، فكلام الكهان
أمر متغايير لهذا القرآن ، قليلاً ما
تذكرون .
﴿٤٣﴾ ولكنه منزل من رب الخلائق كلهم .
﴿٤٤﴾ ولو تقول علينا محمد بعض
الافاويل التي لم نقلها .
﴿٤٥﴾ لانتقمنا منه وأخذنا منه بالقوة منا
والقدرة .
﴿٤٦﴾ ثم لقطعنا منه العرق المتصل
بالقلب .
﴿٤٧﴾ فليس منكم من يمتنعنا منه ، فبعد
أن تقول علينا من أجلكم .
﴿٤٨﴾ وإن القرآن لموعظة للمتقين لرهبهم
بامثال أوامره واجتناب نواهيهِ .
﴿٤٩﴾ وإنا لنعلم أن من بينكم من يكذب
بهذا القرآن .
﴿٥٠﴾ وإن التكذيب بالقرآن لندامة
عظيمة يوم القيامة .
﴿٥١﴾ وإن القرآن لهو حق اليقين الذي
لا مزية ولا ريب أنه من عند الله .

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أَقْسَمُ
بِمَاتَّبِعُورٍ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تَبْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ
بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تَأْتُوا مَنُونٍ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾
تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾
لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ
مَنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا
لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾
وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سورة المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾
مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ
فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

٥٦٨

﴿٥٢﴾ فنزهه - أيها الرسول - ربك عما لا يليق به ، واذكر اسم ربك العظيم .

سورة المعارج

— مكة —

• من مقاصد الشورى :

تأكيد وقوع العذاب على الكافرين ، والنعيم للمصدقين بيوم الدين .

• التفسير :

- ﴿١﴾ دعا داع من المشركين على نفسه وقومه بعذاب إن كان هذا العذاب حاصلاً ، وهو سخرية منه ، وهو واقع يوم القيامة .
﴿٢﴾ للكافرين بالله ، ليس لهذا العذاب من يرده .
﴿٣﴾ من الله ذي العلو والدرجات والفواضل والنعم .
﴿٤﴾ تصعد إليه الملائكة وجبريل في تلك الدرجات ، في يوم القيامة ؛ وهو يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة .
﴿٥﴾ فاصبر - أيها الرسول - صبراً لا جزع فيه ولا شكوى . ﴿٦﴾ إنهم يرون هذا العذاب بعيداً مستحيل الوقوع .
﴿٧﴾ ونراه نحن قريباً واقعاً لا محالة . ﴿٨﴾ يوم تكون السماء مثل المذاب من النحاس والذهب وغيرهما .
﴿٩﴾ وتكون الجبال مثل الصوف في الخفة . ﴿١٠﴾ ولا يسأل قريب قريباً عن حاله ، لأن كل واحد مشغول بنفسه .

• من قواید الآيات ، • تنزيه القرآن عن الشعر والكهانة . • خطر التَّقَوُّل على الله والافتراء عليه سبحانه . • الصبر الجميل الذي يحتسب فيه الأجر من الله ولا يشكى لغيره .

﴿١١﴾ يشاهد كل إنسان قريبه لا يخفى عليه، ومع ذلك لا يسأل أحد أحدًا لهول الموقف، يودّ من استحق النار أن يقدم أولاده للعذاب بدلًا منه.

(۱۲) و یفتدی بزوجته و أخیه.

﴿١٣﴾ ويفتدي بعشيرته الأقربين منه ،
الذين يقفون معه في الشدائد .

﴿٤٤﴾ ويفتدي بمن في الأرض جميعاً
من الإنس والجن وغيرهما، ثم يسلمه
ذلك الافتداء، وينقذه من عذاب النار.

﴿١٥﴾ ليس الأمر كما تمنى هذا
المجرم، إنها نار الآخرة تلتهب
وتشتعل.

تفصل جلدة الرأس فصلاً شديداً
من شدة حرّها واشتعالها.

(٧) تنادي من أعرض عن الحق،
وأبعد عنه ولم يؤمن به ولم يعمل.

﴿٨﴾ وَجَمَعَ الْمَالَ، وَضَرَ بِالْإِنْفَاقِ مِنْهُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

١٩) إِنْ الْإِنْسَانَ خُلِقَ شَدِيدَ الْحَرَصِ .

❶ إذا أصابه ضرٌّ من مرض أو فقر
كان قليل الصبر .

﴿٢٦﴾ وَإِذَا أَصَابَهُ مَا يُسِرُّ بِهِ مِنْ
خَصَبٍ وَغْنَى كَانَ كَثِيرَ الْمَنْعِ لِبَذَلِهِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ.

﴿٣٣﴾ إلا المصلّين، فهم سالمون من تلك الصفات الذميمة.

﴿٢٣﴾ الذين هم على صلاتهم مواظبون،
لا ينشغلون عنها، ويؤدونها في وقتها
لمحدد لها.

يُبْصَرُ وَنَهَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَلَاتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّدُهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
ثُمَّ يُبْجِئُهُ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَى ﴿١٥﴾ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ
وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾ * إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصْلِينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ
عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِللسَّائِلِ
وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابِ
رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ
﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾
فَمَا لَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِيْلَكَ مَهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ
عَرِينَ ﴿٣٧﴾ أَتَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ
مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿٤٠﴾

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا. (٢٥) يَدْفَعُونَهُ لِلَّذِي يُسْأَلُهُمْ وَلِلَّذِي لَا يُسْأَلُهُمْ مِمَّنْ حَرَّمَ الرِّزْقَ لَأَيِّ سَبَبٍ كَانَ. (٢٦) وَالَّذِينَ يَصَّدَّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يُجَازِي اللَّهُ كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ. (٢٧) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ خَائِفُونَ، مَعَ مَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ. (٢٨) إِنْ عَذَابَ رَبِّهِمْ خَوْفٌ لَا يَأْمَنُهُ عَاقِلٌ. (٢٩) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ بَسْتَرَهَا وَإِعْبَادَهَا عَنِ الْفَوَاحِشِ. (٣٠) إِلَّا مِنْ زَوَاجَتِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَوا مِنْ الْإِمَاءِ، فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُلْغَمِينَ فِي التَّمَتُّعِ بِهِمْ بِالطَّوْعِ فَمَا دُونَهُ. (٣١) فَمَنْ طَلَبَ الْإِسْتِمَاعَ غَيْرَ مَا ذُكِرَ مِنَ الزَّوْجَاتِ وَالْإِمَاءِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَجَاوِزُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ. (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ لِمَا اسْتَمْتَعُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَسْرَارِ وَغَيْرِهَا، وَلَعُودِهِمْ الَّتِي عَاهَدُوا عَلَيْهَا النَّاسَ - حَافِظُونَ، لَا يَخُونُونَ أَمَانَتَهُمْ، وَلَا يَتَّقِضُونَ عَهْدَهُمْ. (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ قَائِمُونَ بِشَهَادَتِهِمْ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ، لَا تَوَثُّرُ فِرَاقَةٌ وَلَا عِدَاوَةٌ فِيهَا. (٣٤) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، بِأَدَائِهَا فِي وَقْتِهَا، وَبِطَهَارَةِ وَطْأَنِئِهَا، لَا يَشْغَلُهُمْ عَنْهَا شَاغِلٌ. (٣٥) أُولَئِكَ الْمَوْصُوفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ؛ بِمَا يَلْقَوْنَهُ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ، وَالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ. (٣٦) مَا الَّذِي جَزَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - حَوَالِكَ مُسْرِعِينَ إِلَى التَّكْذِيبِ بِكَ؟! (٣٧) مُحِيطُونَ بِكَ عَنْ يَمِينِكَ وَشِمَالِكَ جَمَاعَاتُ جَمَاعَاتٍ. (٣٨) أَبَاطِلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَهُ اللَّهُ جَنَّةَ النِّعَمِ، يَتَنَعَّمُ بِمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ، وَهُوَ بَاقٍ عَلَى كُفْرِهِ؟! (٣٩) لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَصَوَّرُوا، إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْرِفُونَهُ، فَقَدْ خَلَقْنَاهُمْ مِنْ مَاءٍ حَقِيرٍ، فَهُمْ ضَعْفَاءُ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَكَيْفَ يَتَكَبَّرُونَ؟! (٤٠) أَقْسَمُ اللَّهُ بِرَبِّ مَشَارِقِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، إِنَّا لَقَادِرُونَ.

● **مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ** • شدة عذاب النار حيث يود أهل النار أن ينجوا منها بكل وسيلة مما كانوا يعرفونه من وسائل الدنيا. • الصلاة من أعظم ما تكفر به السيئات في الدنيا، ويتوقى بها من نار الآخرة. • الخوف من عذاب الله دافع للعمل الصالح.

﴿١﴾ على تبديلهم بغيرهم ممن يطيع الله، ونهلكهم، لا نعجز عن ذلك، ولسنا بمغفلين متى أردنا إهلاكهم وتبديلهم بغيرهم.

﴿٢﴾ فاتركهم - أيها الرسول - يخوضوا فيما هم فيه من الباطل والضلال، ويلعبوا في حياتهم الدنيا إلى أن يلاقوا يوم القيامة الذي كانوا يوعدون به في القرآن.

﴿٣﴾ يوم يخرجون من القبور سراعاً كأنهم إلى علم يتسابقون.

﴿٤﴾ ذليلة أبصارهم، تغشاهم ذلة، ذلك هو اليوم الذي كانوا يوعدون به في الدنيا، وكانوا لا يبالون به.

سورة نوح

— مكتبة —

﴿١﴾ من مقاصد الشريعة: صبر الدعاة وجهادهم في الدعوة، من خلال قصة نوح، تشبيهاً للمؤمنين، وتهديداً للمكذبين.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ إنا بعثنا نوحاً إلى قومه يدعوهم ليخوف قومه من قبل أن يأتيهم عذاب موجه بسبب ما هم عليه من الشرك بالله.

﴿٢﴾ قال نوح لقومه: يا قوم، إني لكم مُنذِرٌ بئس الإنذار من عذاب ينتظركم إن لم تتوبوا إلى الله.

﴿٣﴾ ومقتضى إنذاري لكم أن أقول

لكم: اعبدا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به.

﴿٤﴾ إنكم إن فعلوا ذلك يغفر الله لكم من ذنوبكم ما لا يتعلق بحقوق العباد، ويُطْلَ أمد أمتكم في الحياة إلى وقت محدد في علم الله، تعمرون الأرض ما استقمتم على ذلك، إن الموت إذا جاء لا يؤخر، لو كنتم تعلمون لبادرتم إلى الإيمان بالله والتوبة مما أنتم عليه من الشرك والضلال.

﴿٥﴾ قال نوح: يا رب، إني دعوت قومي إلى عبادتك وتوحيديك، ليلاً ونهاراً باستمرار.

﴿٦﴾ فلم تزدهم دعوتي لهم إلا نفوراً وبغداً مما أدعوهم إليه.

﴿٧﴾ وإني كلما دعوتهم إلى ما فيه سبب غفران ذنوبهم؛ من عبادتك وحدك ومن طاعتك وطاعة رسولك - سئذا آذنتهم بأصابعهم؛ ليمنعوها من سماع دعوتي، وغطوا وجوههم بشياهم حتى لا يروني، واستمروا على ما هم عليه من الشرك، وتكبروا عن قبول ما أدعوهم إليه، والإذعان له.

﴿٨﴾ ثم إني - يا رب - دعوتهم علانية.

﴿٩﴾ ثم إني رفعت لهم صوتي بالدعوة، وأسرت إسراراً خفياً، ودعوتهم بصوت منخفض؛ منوِّعاً لهم أسلوب دعوتي.

﴿١٠﴾ فقلت لهم: يا قوم، اطلبوا المغفرة من ربكم بالتوبة إليه، إنه سبحانه كان غفاراً للذنوب من تاب إليه من عباده.

﴿١١﴾ من قوائد الآيات:

• خطر الغفلة عن الآخرة. • عبادة الله وتقواه سبب لغفران الذنوب. • الاستمرار في الدعوة وتنويع أساليبها حتى واجب على الدعاة.

سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٣﴾ يَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْدِعُهُمْ فِي عَادَتِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

٥٧٠

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝٣٣ وَنُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَنَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَنَجْعَلُ لَكُمْ فِيهَا أَنْهَارًا ۝٣٤ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝٣٥ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝٣٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّى خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝٣٧ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ۝٣٨ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝٣٩ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝٤٠ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝٤١ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٤٢ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ۝٤٣ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ۝٤٤ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٤٥ وَقَدْ أَضَلُّوا كَبِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝٤٦ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأَذِلُّوْنَا رَأَى فَاثْمَرًا يَجِدُوا آلَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ۝٤٧ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝٤٨ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوكَ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٤٩ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۝٥٠

٥٧١

١١) فإنكم إن فعلتم ذلك ينزل الله عليكم المطر متتابعاً كلما احتجتم إليه، فلا يصيبكم قحط.
١٢) ويعطيكم بكثرة أموالاً وأولاداً، ويجعل لكم بساتين تأكلون من ثمارها، ويجعل لكم أنهاراً تشربون منها وتسقون زروعكم ومواشيكم.
١٣) ما شأنكم - يا قوم - لا تخافون عظمة الله حيث تعصونه دون مبالاة؟!
١٤) وقد خلقكم طَوْرًا بعد طور من نُظْفَةٍ فَعَلْفَةٍ مُضْغَةً.
١٥) ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات، سماء فوق سماء؟!
١٦) وجعل القمر في السماء الدنيا منهن ضياء لأهل الأرض، وجعل الشمس مضئية.
١٧) والله خلقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم من تراب، ثم أنتم تتغذون بما تَنْبَتُ لكم.
١٨) ثم يعيدكم فيها بعد موتكم، ثم يخرجكم للبعث منها إخراجاً.
١٩) والله جعل لكم الأرض مبسطة مهية للسكنى.
٢٠) رجاء أن تسلكوا منها طرقاً واسعة سعياً للكسب الحلال.
٢١) قال نوح: يا رب، إن قومي عصوني فيما أمرتهم به من توحيدك وعبادتك وحده، واتباع السفلة منهم رؤساءهم الذين أنعمت عليهم بالمال والولد، فلم يزدكم ما أنعمت به عليهم إلا ضلالاً.

٢٢) ومكر الأكابر منهم مكرًا عظيمًا بتحريضهم سَفَلَتَهُمْ على نوح.

٢٣) وقالوا لاتباعهم: لا تتركوا عبادة آلِهَتِكُمْ؛ ولا تتركوا عبادة أصنامكم وَدًّا ولا سُوَاعًا ولا يَغُوثَ ولا يَعُوقَ ولا نَسْرًا.

٢٤) وقد أضلُّوا بأصنامهم هذه كثيراً من الناس، ولا تزد - يا رب - الظالمين لأنفسهم بالإصرار على الكفر والمعاصي إلا ضلالاً عن الحق.

٢٥) بسبب خطيئاتهم التي ارتكبوها أُعْرِقُوا بالطوفان في الدنيا، فأَذِلُّوْنَا النار بعد موتهم مباشرة، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ينقذونهم من الغرق والنار.

٢٦) وقال نوح لما أخبره الله أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن: يا رب، لا تترك على الأرض من الكافرين أحداً يدور أو يتحرك.

٢٧) إنك - ربنا - إن تركهم وتمهلهم يضلُّوا عبادك المؤمنين، ولا يلدوا إلا صاحب فجورٍ لا يطيعك، وشديد كفرٍ لا يشكر على نعمك.

٢٨) رب اغفر لي ذنوبي، واغفر لوالدي، واغفر لمن دخل بيتي مؤمناً، واغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولا تزد الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي إلا هلاكاً وخساراً.

٢٩) من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

- الاستغفار سبب لنزول المطر وكثرة الأموال والأولاد. • دور الأكابر في إضلال الأصاغر ظاهر مُشَاهَد.
- الذنوب سبب للهلاك في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرٍ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مِْلُتٍ حَرَسًا ۝ شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدُ لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمَعُ الْآنَ لَنَحْذَرَهُ لَّهِ شُهَابًا رَّصَدًا ۝ وَأَنَا لَا نَذَرِي أَشْرًا أُريدُ يَمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمَتَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قَدَدًا ۝ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَّعْجَزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجزَهُ وَهَرَبًا ۝ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝

٥٧٢

● مِن مَّقَاصِدِ السُّورَةِ: تصديق نزول القرآن وأنه من عند الله، من خلال إيمان الجن به، وإبطال مزاعم المشركين فيهم.

● التفسير:

١ قل - أيها الرسول - لأمتك: أوحى الله إليّ أنه استمع إلى قراءتي للقرآن جماعة من الجن بيطن نخلة، فلما رجعوا إلى قومهم قالوا لهم: إنا سمعنا كلامًا مقروءًا مُعْجِبًا في بيانه وفصاحته.

٢ هذا الكلام الذي سمعناه يدل على الصواب في الاعتقاد والقول والعمل، فآمنّا به، ولن نشرك بربنا الذي أنزله أحدًا.

٣ وآمنّا بأنه - تعالت عظمة ربنا وجلاله - ما اتخذ زوجة ولا ولدًا كما يقول المشركون.

٤ وأنه كان إبليس يقول على الله قولًا منحرفًا من نسبة الزوجة والولد إليه سبحانه.

٥ وأنا حَمِينُنا أن المشركين من الإنس والجن لا يقولون الكذب حين كانوا يزعمون أن له صاحبة وولدًا، فصَدَفْنَا قولهم تقليدًا لهم.

٦ وأنه كان في الجاهلية رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجنّ

عندما ينزلون بمكان مخوف، فيقول أحدهم: أعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه، فازداد رجال الإنس خوفًا ورجبًا من رجال الجنّ.

٧ وأن الإنس ظنوا كما ظننتم - أيها الجن - أن الله لن يبعث أحدًا بعد موته للحساب والجزاء.

٨ وأنا ظلمنا خبر السماء، فوجدنا السماء مِْلُتٍ حَرَسًا قويًا من الملائكة يحرسونها من استراق السمع الذي كنّا نقوم به، ومِْلُتٍ نَارًا مشتعلة يرمى بها كل من يقرب السماء.

٩ وأنا كنا في السابق نتخذ من السماء مواقع نستمع منها ما يتداوله الملائكة، فنخبر به الكهنة من أهل الأرض، وقد تغير الأمر، فمن يستمع منا الآن يجد نَارًا مشتعلة معدة له، فإذا اقترب أرسلت عليه فأحرقته.

١٠ وأنا لا نعلم ما سبب هذه الحراسة الشديدة؛ أأريد شرًّا بأهل الأرض، أم أن الله أراد بهم خيرًا، فقد انقطع عنا خبر السماء.

١١ وأنا - معشر الجنّ -: منّا المتقون الأبرار، ومنّا من هم كفار وفساق؛ كنّا أصنافًا مختلفة وأهواء متباينة.

١٢ وأنا أيقنّا أنا لن نفوت الله سبحانه إذا أراد بنا أمرًا، ولن نفوته هربًا لإحاطته بنا.

١٣ وأنا لما سمعنا القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم آمنا به، فمن يؤمن بربه فلا يخاف نقصًا لحسناته، ولا إثمًا يضاف إلى آثامه السابقة.

● مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● تأثير القرآن البالغ فيمن يستمع إليه بقلب سليم. ● الاستغاثة بالجن من الشرك بالله، ومعاقبة فاعله بضد مقصوده في الدنيا. ● بطلان الكهانة ببعثة النبي ﷺ. ● من أدب المؤمن ألا ينسب الشر إلى الله.

﴿١﴾ وَأَنَا مِنَ الْمَسْلُومِينَ الْمُنَادُونَ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، وَمِنَ الْجَائِرِينَ عَنْ طَرِيقِ الْقَصْدِ وَالِاسْتِقَامَةِ، فَمَنْ خَضَعَ لِلطَّاعَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ قَصَدُوا الْهَدَايَةَ وَالصَّوَابَ.

﴿٢﴾ وَأَمَّا الْجَائِرُونَ عَنْ طَرِيقِ الْقَصْدِ وَالِاسْتِقَامَةِ فَكَانُوا لِحَبْطِهِمْ حَطْبًا تَوَقَّدَ بِهِ مَعَ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ.

﴿٣﴾ وَكَمَا أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَوْ اسْتَقَامَ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْلَامِ، وَعَمِلُوا بِمَا فِيهِ، لَسَقَاهُمْ اللَّهُ مَاءً كَثِيرًا، وَأَمَدَّهُمْ بِنِعْمٍ مُتَوَعَّةٍ.

﴿٤﴾ لَنُخَبِّرَهُمْ فِيهِ أَشْكُرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ أَمْ يَكْفُرُونَهَا؟ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنِ الْقُرْآنِ، وَعَمَّا فِيهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ، يَدْخُلْهُ رَبُّهُ عَذَابًا شاقًّا لَا يَسْتَطِيعُ تَحَمُّلَهُ.

﴿٥﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لَهُ سُبْحَانَهُ لَا لغيرِهِ، فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا، فَتَكُونُوا مِثْلَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي كُتُبِهِمْ وَيُحِبُّهُمْ.

﴿٦﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ يَعْبُدُ رَبَّهُ بِحِطَّةٍ خُلَّةٍ، كَادَ الْجَنُّ يَكُونُونَ مُتَرَاجِمِينَ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الزَّحَامِ عِنْدَ سَمَاعِهِمْ قِرَاءَتَهُ لِلْقُرْآنِ.

﴿٧﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَحْدَهُ، وَلَا أَشْرِكُ بِهِ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ كَائِنًا مِنْ كَانَ.

﴿٨﴾ قُلْ لَهُمْ: إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ دَفْعَ ضَرِّ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَلَا أَمْلِكُ جَلْبَ نَفْعٍ مَنَعَكُمْ اللَّهُ إِيَّاهُ.

﴿٩﴾ قُلْ لَهُمْ: لَنْ يَنْجِيَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ إِلَّا بِعِصَّتِهِ، وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَجًا أَلْبَأْ إِلَى.

﴿١٠﴾ لَكِنَّ الَّذِي أَمْلَكُهُ أَنْ أُبَلِّغَكُمْ مَا أَمَرَنِي اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ إِلَيْكُمْ، وَرِسَالَتُهُ الَّتِي بَعَثَنِي بِهَا إِلَيْكُمْ، وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنْ مَصِيرُهُ دُخُولُ نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا، لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا.

﴿١١﴾ وَلَا يَزَالُ الْكَافِرُ عَلَى كُفْرِهِمْ حَتَّى إِذَا عَانُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كَانُوا يَوْعِدُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ، حِينَئِذٍ سَيَعْلَمُونَ مِنْ أَوْعَظِ نَاصِرًا، وَسَيَعْلَمُونَ مِنْ أَقْلِ أَعْوَانًا.

﴿١٢﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: لَا أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تَوَعِدُونَ مِنَ الْعَذَابِ، أَمْ أَنْ لَهْ أَجَلًا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

﴿١٣﴾ هُوَ سُبْحَانَهُ عَالِمُ الْغَيْبِ كُلِّهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ، فَلَا يُظْلَعُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، بَلْ يَبْقَى مُخْتَصًّا بِعِلْمِهِ.

﴿١٤﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَاهُ سُبْحَانَهُ مِنْ رُسُلٍ، فَإِنَّهُ يُظْلَعُهُ عَلَى مَا شَاءَ، وَيُرْسِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ الرُّسُلَ حَرَسًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَهُ حَتَّى لَا يُظْلَعَ غَيْرُ الرُّسُلِ عَلَى ذَلِكَ.

﴿١٥﴾ رَجَاءً أَنْ يَعْلَمَ الرُّسُلُ أَنَّ الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِهِ قَدْ بَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ الَّتِي أَمَرَهُمْ بِتَبْلِيغِهَا لِمَا أَحَاطَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَنَاءِ، وَأَحَاطَ اللَّهُ بِمَا لَدَى الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ عِلْمًا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ، وَأَحْصَى عِدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ شَيْءٌ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ
نَحَرُّوْا رَشَدًا ﴿١﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطْبًا ﴿٢﴾
وَالْوَأَسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَا تُقْبِلُ لَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿٣﴾ لِنَفْسِهِمْ
فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿٤﴾ وَأَنَّ
الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
بِهِ أَحَدًا ﴿٧﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٨﴾ قُلْ إِنِّي
لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٩﴾ إِلَّا بَلَاغًا
مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿١٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَآئِدُوعُدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقْلَبُ عَدَدًا ﴿١١﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تَوَعُدُونَ
أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿١٢﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ
أَحَدًا ﴿١٣﴾ إِلَّا مَنْ أَرَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿١٤﴾ لِّيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ
رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿١٥﴾

• هُوَ سُبْحَانَهُ عَالِمُ الْغَيْبِ كُلِّهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ، فَلَا يُظْلَعُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، بَلْ يَبْقَى مُخْتَصًّا بِعِلْمِهِ.

• رَجَاءً أَنْ يَعْلَمَ الرُّسُلُ أَنَّ الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِهِ قَدْ بَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ الَّتِي أَمَرَهُمْ بِتَبْلِيغِهَا لِمَا أَحَاطَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَنَاءِ، وَأَحَاطَ اللَّهُ بِمَا لَدَى الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ عِلْمًا، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ، وَأَحْصَى عِدَدَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ شَيْءٌ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• أَمِيَّةُ الْاسْتِقَامَةِ فِي تَحْصِيلِ الْمَقَاصِدِ الْحَسَنَةِ. • حُفِظَ الْوَحْيُ مِنْ عِبَثِ الشَّيَاطِينِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ١ فُرُالِيلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نَضَفَهُ ٣ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ٤
أَوْ زِدَ عَلَيْهِ ٥ وَرَقِلَ الْقُرْءَانُ تَزْيِيلًا ٦ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ٧ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ٨ إِنَّ لَكَ فِي
النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ٩ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ١٠
رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ١١ وَأَصْبِرْ
عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٢ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ١٣ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا ١٤
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٥ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا ١٦ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٧ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ
فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ١٨ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا
يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ١٩ السَّمَاءُ مِنْقَطِرٌ بِهِ ٢٠ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا
إِنْ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ٢١ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ٢٢

٥٧٤

● من قَصَّاصِ السُّورَةِ:
ذكر الزاد الروحي للدعاة في مواجهة
الشدائد ومصاعب الحياة، تشبثًا
للنبي ﷺ وتوعدًا للمكذبين به.
● التفسير:
١ يا أيها المثلَّف بشيابه (يعني:
النبي ﷺ).
٢ صل بالليل إلا قليلًا منه.
٣ صل نصفه إن شئت، أو صل أقل
من الصل قليلًا حتى تصل للثلاث.
٤ أو زد عليه حتى تبلغ الثلاثين،
وبين القرآن إذا قرأته وتمهل في
قراءته.
٥ إنا سنلقي عليك - أيها الرسول -
القرآن، وهو قول ثقيل؛ لما فيه من
الفرائض والحدود والأحكام والآداب
وغيرها.
٦ إن ساعات الليل هي أشد موافقة
للقلب مع القراءة وأصوب قولًا.
٧ إن لك في النهار تصرفًا في
أعمالك، فنشغل بها عن قراءة
القرآن، فصل بالليل.
٨ واذكر الله بأنواع الذكر، وانقطع
إليه سبحانه انقطاعًا بإخلاص العبادة له.
٩ رب المشرق ورب المغرب، لا
معبود بحق إلا هو، فاتخذهُ وكيلًا
تعتمد عليه في أمورك كلها.

١٠ واصبر على ما يقوله المكذبون من الاستهزاء والسب، واهجرهم هجرًا لا أذية فيه.
١١ ولا تهتم بشأن المكذبين أصحاب التمتع بملذات الدنيا، واتركني وإياهم، وانتظرهم قليلًا حتى يأتيهم أجلهم.
١٢ إن لدينا في الآخرة قيودًا ثقيلة، ونارًا مستعيرة.
١٣ وطعامًا تغص به الحلق لشدة مرارته، وعذابًا موحجًا؛ زيادة على ما سبق.
١٤ ذلك العذاب حاصل للمكذبين يوم تضطرب الأرض والجبال، وكانت الجبال رملاً سائلاً متناثرًا من شدة هوله.
١٥ إنا بعثنا إليكم رسولاً شاهداً على أعمالكم يوم القيامة مثلاً أرسلنا إلى فرعون رسولاً هو موسى عليه السلام.
١٦ فعصى فرعون الرسول المرسل إليه من ربه فعاقبناه عقاباً شديداً في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بعذاب النار، فلا تعصوا أنتم رسولكم فيصيبكم ما أصابه.
١٧ فكيف تمنعون أنفسكم وتقوها - إن كفرتم بالله - وكذبتم رسوله - يوماً شديداً طويلاً، يشيب رأس الأولاد الصغار من شدة هوله وطوله.
١٨ السماء متشقة من هوله، كان وعد الله مفعولاً لا محالة.
١٩ إن هذه الموعظة - المشتملة على بيان ما في يوم القيامة من هول وشدة - تذكرة، ينتفع بها المؤمنون، فمن شاء اتخذ طريق موصل إلى ربه اتخذه.

● من قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● أهمية قيام الليل وتلاوة القرآن وذكر الله والصبر للداعية إلى الله. ● فراغ القلب في الليل له أثر في الحفاظ والفهم. ● تحمل التكليف يقتضي تربية صارمة. ● الترف والتوسع في التمتع يصد عن سبيل الله.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَهُ
مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ
وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ
عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ تَبَتُّوا عَنِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ﴿١﴾ فَرَّانِدِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَالْجُرْفَ فَهَجِّرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نَقَرْ
فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾
ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ مَدُّودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ
شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ وَتَمَّهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ طَمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ
كَانَ لَا يَتَنَبَّأُ عِندَنَا ﴿١٦﴾ سَأَرْهُقُهُ وَصَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾

٥٧٥

﴿١﴾ إِنْ رَبِّكَ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - يَعْلَمُ أَنَّكَ
تَصَلِّي أَقْلَ مِنْ ثُلثِي اللَّيْلِ تَارَةً، وَتَقُومُ
نُصْفَهُ تَارَةً، وَثُلُثَهُ تَارَةً، وَتَقُومُ طَائِفَةً
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَكَ، وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ، وَيَحْصِي سَاعَاتِهِمَا، عِلْمَ
سَبْحَانِهِ أَنْكُمْ لَا تَقْدُرُونَ عَلَى إِحْصَاءِ
وَضَبِطِ سَاعَاتِهِ، فَيَشَقُّ عَلَيْكُمْ قِيَامُ
أَكْثَرِهِ تَحْرِيًّا لِلْمَطْلُوبِ، فَلِذَلِكَ تَابَ
عَلَيْكُمْ، فَصَلُّوا مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيَسَّرَ،
عِلْمَ اللَّهِ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ - أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ - مَرْضَى أَجْهَدُهُمُ الْمَرَضَ،
وَأَخْرُونَ يَسَافِرُونَ يَطْلُبُونَ رِزْقَ اللَّهِ،
وَأَخْرُونَ يَقَاتِلُونَ الْكُفَّارَ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاةِ اللَّهِ وَلِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ
الْعُلْيَا، فَهَؤُلَاءِ يَشَقُّ عَلَيْهِمْ قِيَامُ اللَّيْلِ،
فَصَلُّوا مَا تَيَسَّرَ لَكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، وَآتُوا
بِالصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ،
وَأَعْطُوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفَقُوا مِنْ
أَمْوَالِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا تَقَدَّمُوا
لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ أَيْ خَيْرٍ، تَجِدُوهُ هُوَ خَيْرًا
وَأَعْظَمَ ثَوَابًا، وَاطْلُبُوا الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ،
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ،
رَحِيمٌ بِهِمْ.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

— مَكِّيَّة —

- مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
- الْأَمْرُ بِالنُّهْضِ لِلدَّعْوَةِ، وَتَوَعُّدُ
الْمُكَذِّبِينَ بِهَا.
- التَّنْذِيرُ:
- ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الْمُتَغَشَّيْ بِثِيَابِهِ (وَهُوَ
النَّبِيُّ ﷺ).
- ﴿٢﴾ أَنْهَضْ وَخَوْفٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.
- ﴿٣﴾ وَعَظَّمْ رَبَّكَ.
- ﴿٤﴾ وَابْتَعدْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.
- ﴿٥﴾ وَاصْبِرْ لِلَّهِ عَلَى مَا تَلَاقِيهِ مِنَ الْأَذَى.
- ﴿٦﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الْقُرُونِ النَّفْخَةُ الثَّانِيَّةُ.
- ﴿٧﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ غَيْرُ سَهْلٍ.
- ﴿٨﴾ اتْرَكْنِي - أَيُّهَا الرُّسُولُ - وَمَنْ خَلَقْتَهُ وَحِيدًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ دُونَ مَا لَوْ وَلَدَ (وَهُوَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ).
- ﴿٩﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَتَنَبَّأُ عِندَنَا.
- ﴿١٠﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ بَنِينَ حَاضِرِينَ مَعَهُ وَيَشْهَدُونَ الْمَحَافِلَ مَعَهُ لَا يَفَارِقُونَهُ لِسَفَرٍ لَكثْرَةِ مَالِهِ.
- ﴿١١﴾ وَبَسَطْتُ لَهُ فِي الْعَيْشِ وَالرِّزْقِ وَالْوَلَدِ بَسْطًا.
- ﴿١٢﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ مَعَ كُفْرِهِ بِبِي أَنْ أَزِيدَهُ بَعْدَ مَا أَعْطَيْتُهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.
- ﴿١٣﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَصَوَّرُ، إِنَّهُ كَانَ مَعَانِدًا لِآيَاتِنَا الْمُنْزَلَةِ عَلَى رَسُولِنَا مُكَذِّبًا بِهَا.
- ﴿١٤﴾ سَأَكْلِفُهُ مَشَقَّةَ مِنَ الْعَذَابِ لَا يَسْتَطِيعُ تَحَمُّلَهَا.
- ﴿١٥﴾ إِنْ هَذَا الْكَافِرُ الَّذِي أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ بِتِلْكَ النِّعَمِ فَكَّرَ فِيمَا يَقُولُهُ فِي الْقُرْآنِ لِإِبْطَالِهِ، وَقَدَّرَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ.
- مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • الْمَشَقَّةُ تَجْلِبُ التَّيْسِيرَ. • وَجُوبُ الطَّهَارَةِ مِنَ الْخَبَثِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ. • الْإِنْعَامُ عَلَى الْفَاجِرِ
اسْتِدْرَاجٌ لَهُ وَلَيْسَ إِكْرَامًا.

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ ۚ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ ۚ ثُمَّ نَظَرَ ۚ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۚ
 ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۚ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَىٰ ۚ إِنْ هَذَا
 إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۚ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۚ
 لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۚ لَوَاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۚ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا
 أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۚ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ
 لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
 وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
 وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ خُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ
 لِّلْبَشَرِ ۚ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۚ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۚ وَالصُّبْحِ إِذَا أَفْسَرَ ۚ إِنَّهَا
 لِإِحْدَى الْكَبِيرِ ۚ نَذِيرٌ لِّلْبَشَرِ ۚ لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ
 ۚ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ۚ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۚ فِي جَنَّاتٍ
 يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۚ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالُوا لَمْ نَكُ
 مِنَ الْمُصَلِّينَ ۚ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمُسْكِينِ ۚ وَكُنَّا تَخَوِّضُ مَعَ
 الْحَافِظِينَ ۚ وَكُنَّا تُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ ۚ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ۚ

١٢١) فَلَمِنَ وَعُذِبَ كَيْفَ قَدَرٌ .
 ١٢٢) ثُمَّ لَمِنَ وَعُذِبَ كَيْفَ قَدَرٌ .
 ١٢٣) ثُمَّ أَعَادَ النَّظَرَ وَالتَّرَوَّى فِيمَا يَقُولُ .
 ١٢٤) ثُمَّ قَطَّبَ وَجْهَهُ وَكَلَّحَ حِينَ لَمْ يَجِدَ مَا يَطْعَنُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ .
 ١٢٥) ثُمَّ أَدْبَرَ عَنِ الْإِيمَانِ ، وَاسْتَكْبَرَ عَنِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ .
 ١٢٦) فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ كَلَامَ اللَّهِ ، بَلْ هُوَ سِحْرٌ يَرُويهِ عَنْ غَيْرِهِ .
 ١٢٧) لَيْسَ هَذَا كَلَامَ اللَّهِ ، بَلْ هُوَ كَلَامُ الْإِنْسِ .
 ١٢٨) سَادَخَلَ هَذَا الْكَافِرَ طَبَقَةً مِنْ طَبَقَاتِ النَّارِ ، وَهِيَ سَقَرٌ يَقَاسِي حَرَّهَا .
 ١٢٩) وَمَا أَعْلَمَكَ - يَا مُحَمَّد - مَا سَقَرٌ ؟! لَا تَبْقِي شَيْئًا مِنَ الْمُعَذِّبِ فِيهَا إِلَّا أَتَتْ عَلَيْهِ ، وَلَا تَتْرَكَهُ ، ثُمَّ يَعُودُ كَمَا كَانَ ، ثُمَّ تَأْتِي عَلَيْهِ ، وَهَكَذَا ذَوَالِيكَ . شَدِيدَةُ الْإِحْرَاقِ وَالتَّغْيِيرِ لِلْجُلُودِ . عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ مَلَكًا ، وَهُمْ حَرَزْنَاهَا . وَمَا جَعَلْنَا حَرَزَةَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ، فَلَا طَاقَةَ لِلْبَشَرِ بِهِمْ ، وَقَدْ كَذَبَ أَبُو جَهْلٍ حِينَ ادَّعَى أَنَّهُ وَقَوْمُهُ يَقْدِرُونَ عَلَى الْبَطْشِ بِهِمْ ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ ، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ هَذَا إِلَّا اخْتِبَارًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ ؛ لِيَقُولُوا مَا قَالُوا فَيُضَاعَفَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ ، وَلِيَتَيَقَّنَ الْيَهُودُ الَّذِينَ أُعْطُوا التَّوْرَةَ ، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ أُعْطُوا

الإنجيل حين نزل القرآن مصدقاً لما في كتابيهم ، وليزداد المؤمنون إيماناً عندما يوافقهم أهل الكتاب ، ولا يرتاب اليهود والنصارى والمؤمنون ، وليقول المترددون في الإيمان ، والكافرون : أي شيء أَرَادَ اللَّهُ بهذا العدد الغريب ؟! مثل إضلال مُنْكَرٍ هَذَا الْعَدَدِ وَهَدَايَةِ الْمُصَدِّقِ بِهِ ، يُضِلُّ اللَّهُ مَن شَاءَ أَن يَضِلَّهُ وَيَهْدِي مَن شَاءَ أَن يَهْدِيَهُ ، وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ مِنْ كَثَرَتِهَا إِلَّا هُوَ سَبْحَانَهُ ، فَلْيَعْلَمْ بِذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ الْقَاتِلُ : (أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر؟!) استخفافاً وتكديباً ، وَمَا النَّارُ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِلْبَشَرِ يَعْلَمُونَ بِهَا عَظَمَةَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ . لَيْسَ الْقَوْلُ كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُ يَكْفِي أَصْحَابَهُ حَرَزَةً جَهَنَّمَ حَتَّى يُجْهَضَهُمْ عَنْهَا ، أَقْسَمَ اللَّهُ بِالْقَمَرِ . وَأَقْسَمَ بِاللَّيْلِ حِينَ وَلَّى . ١٢٩) وَأَقْسَمَ بِالصُّبْحِ إِذَا أَضَاءَ . ١٣٠) إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ لَإِحْدَى الْبَلَايَا الْعَظِيمَةِ . ١٣١) تَرْهيباً وَتَخَوُّيْقاً لِلنَّاسِ . ١٣٢) لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَتَقَدَّمَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، أَوْ يَتَأَخَّرَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي . ١٣٣) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَأْخُودَةٌ ، فَإِذَا أُنْ تَرَبِّحَهَا أَعْمَالُهَا ، وَإِذَا أُنْ تَخْلُصُهَا وَتَنْقُذُهَا مِنَ الْهَلَاكِ . ١٣٤) إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْخَذُونَ بِذُنُوبِهِمْ ، بَلْ يَتَجَاوَزُ عَنْهَا لِمَا لَهُمْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ . ١٣٥) وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَّاتٍ يَسَّالُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . ١٣٦) عَنِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنَ الْمَعَاصِي . ١٣٧) يَقُولُونَ لَهُمْ : مَا أَدْخَلَكُمْ فِي جَهَنَّمَ ؟ ١٣٨) فَيَجِيبُهُمُ الْكَافِرُونَ قَائِلِينَ : لَمْ نَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ الْوَاجِبَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . ١٣٩) وَلَمْ نَكُنْ نَطْعُمُ الْفَقِيرَ مِمَّا أَعْطَانَا اللَّهُ . ١٤٠) وَكُنَّا مَعَ أَهْلِ الْبَاطِلِ نَدُورُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا دَارُوا ، وَنَتَحَدَّثُ مَعَ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْعُغْوَاةِ . ١٤١) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الْحِزَاءِ . ١٤٢) وَتَمَادَيْنَا فِي التَّكْذِيبِ بِهِ حَتَّى جَاءَنَا الْمَوْتُ ، فَحَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ التَّوْبَةِ .

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ : ● خطورة الكبر حيث صرف الوليد بن المغيرة عن الإيمان بعدما تبين له الحق . ● مسؤولية الإنسان عن أعماله في الدنيا والآخرة . ● عدم إطعام المحتاج سبب من أسباب دخول النار .

﴿٤٨﴾ فما تنفعهم يوم القيامة وساطة الشافعين من الملائكة والنبيين والصالحين؛ لأن من شرط قبول الشفاعة الرضا عن المشفوع.

﴿٤٩﴾ أي شيء جعل هؤلاء المشركين معرضين عن القرآن؟!

﴿٥٠﴾ كأنهم في إعراضهم ونفورهم منه خمر وخش شديدة النور.

﴿٥١﴾ نفرت من أسد خوفاً منه.

﴿٥٢﴾ بل يريد كل واحد من هؤلاء

المشركين أن يصبح عند رأسه كتاب

منشور يخبره أن محمداً رسول من الله،

وليس سبب ذلك قلة البراهين أو

ضعف الحجج، وإنما هو العناد

والاستكبار.

﴿٥٣﴾ ليس الأمر كذلك، بل السبب في

تماديهم في ضلالهم أنهم لا يؤمنون

بعذاب الآخرة، فبقوا على كفرهم.

﴿٥٤﴾ ألا إن هذا القرآن موعظة

وتذكير.

﴿٥٥﴾ فمن شاء أن يقرأ القرآن ويتعظ به

قرأه واتعظ به.

﴿٥٦﴾ وما يتعظون إلا أن يشاء الله أن

يتعظوا، هو سبحانه أهل لأن يتقَى

بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وأهل

لأن يغفر ذنوب عباده إذا تابوا إليه.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

مكية —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوعِ:

إظهار قدرة الله على جمع خلق الإنسان وبعثه.

• التَّضْيِيرُ:

﴿١﴾ أقسم الله بيوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين. ﴿٢﴾ وأقسم بالنفس الطيبة التي تلوم صاحبها على

التقصير في الأعمال الصالحة، وعلى فعل السيئات، أقسم بهذين الأمرين ليبعث الناس للحساب والجزاء. ﴿٣﴾

أَيُّظُنُّ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ لَلْبُعْثِ؟! ﴿٤﴾ بلى، نقدر مع جمعها على إعادة أطراف أصابعه خلقاً

سويّاً كما كانت. ﴿٥﴾ بل يريد الإنسان بإنكاره البعث أن يستمر على فجوره مستقبلاً دون رادع. ﴿٦﴾ يسأل على

وجه الاستبعاد عن يوم القيامة: متى يقع؟ ﴿٧﴾ فإذا تحير البصر واندھش حين يرى ما كان يكذب به. ﴿٨﴾

وذهب ضوء القمر. ﴿٩﴾ وجمع جرم الشمس والقمر. ﴿١٠﴾ يقول الإنسان الفاجر في ذلك اليوم: أين الفرار؟! ﴿١١﴾

لا فرار في ذلك اليوم، ولا ملجأ يلجأ إليه الفاجر، ولا مُعْتَصِمٌ يعتصم به. ﴿١٢﴾ إلى ربك - أيها الرسول - في

ذلك اليوم المرجع والمصير للحساب والجزاء. ﴿١٣﴾ يخبر الإنسان في ذلك اليوم بما قدم من أعماله، وبما أخر

منها. ﴿١٤﴾ بل الإنسان شاهد على نفسه حيث تشهد عليه جوارحه بما اكتسبه من إثم. ﴿١٥﴾ ولو جاء بأعذار يجادل

بها عن نفسه أنه ما عمل سوءاً لم تنفعه. ﴿١٦﴾ لا تحرك - أيها الرسول - لسانك بالقرآن مُتَعَجِّلاً أن ينفلت منك.

﴿١٧﴾ إن علينا أن نجعله لك في صدرك، وإثبات قراءته على لسانك. ﴿١٨﴾ فإذا أتم جبريل قراءته عليك فأنصت إلى

قراءته واستمع. ﴿١٩﴾ ثم إن علينا تفسيره لك.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ، • ميثقة العبد مُقَيِّدة بمشيئة الله. • حرص رسول الله ﷺ على حفظ ما يوحى إليه من القرآن،

وتكفل الله له بجمعه في صدره وحفظه كاملاً فلا ينسى منه شيئاً.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

أياتها

آياتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ

الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ عَلَى قَدَرَيْنِ عَلَى أَنْ سُوِيَ بَنَانُهُ ﴿٤﴾ بَلْ

يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَأَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ

الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ

يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْمَفْرَقَ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبِّئُ

الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾

وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تَحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا

جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٣﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٤﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٥﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا
فَاقِرَةٌ ﴿٦﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٧﴾ وَقِيلَ مِنْ رَاقٍ ﴿٨﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٩﴾
وَالْتَقَّتِ السَّمَاءُ بِالسَّاقِ ﴿١٠﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿١١﴾ فَلَا
صَدَقَ وَلَا وُصِّلَ ﴿١٢﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتَلَىٰ ﴿١٣﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَقِنُ ﴿١٤﴾
أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿١٦﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ
أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿١٧﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً فَخَلَقَ فَهَسَوًى ﴿١٩﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ
وَالْأُنثَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدَرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٢١﴾

تلك البنية
منه

سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَوِ يَكُنْ شَيْعًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا
هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا
وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٥٧٨

﴿١﴾ كَلَّا، ليس الأمر كما ادعيتُم من استحالة البعث، فانتُم تعلمون أن القادر على خلقكم ابتداء لا يعجز عن إحيايكم بعد موتكم، لكن سبب تكذيبكم بالبعث هو حيكُم للحياة الدنيا سريعة الانقضاء. ﴿٢﴾ وترككم للحياة الآخرة التي طريقها القيام بما أمركم الله به من الطاعات، وترك ما نهاكم عنه من المحرمات. ﴿٣﴾ وجوه أهل الإيمان والسعادة في ذلك اليوم بهيمة لها نور. ﴿٤﴾ ناظرة إلى ربها متمتعة بذلك. ﴿٥﴾ وجوه أهل الكفر والشقاء في ذلك اليوم عابسة. ﴿٦﴾ توفن أن ينزل بها عقاب عظيم، وعذاب اليم. ﴿٧﴾ ليس الأمر كما يتصور المشركون من أنهم إذا ماتوا لا يُعذبون، فإذا وصلت نفس أحدهم أعالي صدره. ﴿٨﴾ وقال بعض الناس لبعض: من يَرْقِي هذا لعله يُفْشِي؟! ﴿٩﴾ وأيقن من في التزع حينئذ أنه فراق الدنيا بالموت. ﴿١٠﴾ واجتمعت الشدائد عند نهاية الدنيا وبداية الآخرة. ﴿١١﴾ إذا حصل ذلك يُساق الميت إلى ربه. ﴿١٢﴾ فلا صدق الكافر بما جاء به رسوله، ولا صلى الله سبحانه. ﴿١٣﴾ ولكن كذب بما جاء به رسوله، وأعرض عنه. ﴿١٤﴾ ثم ذهب هذا الكافر إلى أهله يختال في مشيته من الكبر. ﴿١٥﴾ فتوعد الله الكافر بأن عذابه قد وليه وقرب منه. ﴿١٦﴾ ثم أعاد الجملة على سبيل التأكيد، فقال: ﴿١٧﴾ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ. ﴿١٨﴾ أبطن الإنسان أن الله تاركه مُهْمَلًا دون أن يكلفه بشر؟ ﴿١٩﴾ ثم كان بعد ذلك قطعة من دم جامد، ثم خلقه الله، وجعل خلقه سوياً. ﴿٢٠﴾ فجعل من جنسه النوعين: الذكر والأنثى؟! ﴿٢١﴾ أليس الذي خلق الإنسان من نطفة فَعَلَقَهُ بقادر على إحياء الموتى للحساب والجزاء من جديد؟! بلى، إنه لقادر.

سورة الإنسان

مكية

• مِن مَّقَاصِدِ الشُّرُوعِ:

تذكير الإنسان بأصله وحكمة خلقه ومصيره في الدارين، وإظهار نعيم الجنة، تهيئةً للمؤمنين ودعوة للكافرين.

• الْقَسَمُ:

﴿١﴾ قد مرَّ على الإنسان دهرٌ طويل كان فيه معدومًا لا ذكْرَ له. ﴿٢﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلِيطَةٍ بَيْنَ مَاءِ الرَّجُلِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ، نخبره بما نلزمه به من التكليف، فجعلناه سميعًا بصيرًا ليقوم بما كُلِّفناه به من الشرع. ﴿٣﴾ إِنَّا بَيَّنَّا لَهُ عَلَى السَّنَةِ رُسُلَنَا طَرِيقَ الْهُدَايَةِ، فاستبانت له بذلك طريق الضلال، فهو بعد ذلك إما أَنْ يَهْتَدِيَ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فيكون عبدًا مَوْمِنًا شَاكِرًا لِلَّهِ، وإما أَنْ يَضَلَّ عَنْهَا فيكون عبدًا كَافِرًا جَاحِدًا لِآيَاتِ اللَّهِ. ولما بَيَّنَّ اللَّهُ نَوْعِي الْمَهْتَدِي وَالضَّالِّ بَيَّنَّ جَزَاءَهُمَا فَقَالَ: ﴿٤﴾ إِنَّا أَعْدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ سَلَاسِلَ يُسْحَبُونَ بِهَا فِي النَّارِ، وَأَغْلَالًا يُغْلَوْنَ بِهَا فِيهَا، وَنَارًا مُسْتَعِيرَةً. ﴿٥﴾ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ يَشْرَبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كَأْسٍ خَمْرٍ مَمْلُوءَةٍ مَزْجُوجَةٍ بِالْكَافُورِ لَطِيبِ رَائِحَتِهِ.

• مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • خطر حب الدنيا والإعراض عن الآخرة. • ثبوت الاختيار للإنسان، وهذا من تكريم الله له. • النظر لوجه الله الكريم من أعظم النعيم.

(٦) هذا الشراب المُعَدُّ لأهل الطاعة هو من عين سهلة التناول غزيرة لا تَنْقُصُ، يَرَوَى بها عباد الله، يسيلونها ويجرونها أين شاؤوا.

(٧) وصفات العباد الذين يشربونها أنهم يوفون بما ألزموه به أنفسهم من الطاعات، ويخافون يومًا كان شره منتشرًا فاشيًا وهو يوم القيامة.

(٨) ويطعمون الطعام مع كونهم في حال يحبونه لحاجتهم إليه واشتياهم له، يطعمونه المحتاجين من الفقراء واليتامى والأسارى.

(٩) ويسرون في أنفسهم أنهم لا يطعمونهم إلا لوجه الله، فهم لا يريدون منهم ثوابًا، ولا ثناءً على إطعامهم إياهم.

(١٠) إنا نخاف من ربنا يومًا تكلخ فيه وجوه الأشقياء لشدة وفظاعته.

(١١) فوقاهم الله بفضل شر ذلك اليوم العظيم، وأعطاهم بهاءً ونورًا في وجوههم؛ إكرامًا لهم، وسرورًا في قلوبهم.

(١٢) وأثابهم الله - بسبب صبرهم على الطاعات، وصبرهم على أقدار الله، وصبرهم عن المعاصي - جنة يتمتعون فيها، وحريرًا يلبسونه.

(١٣) متكئون فيها على الأسرة المُرْتِنَة، لا يرون في هذه الجنة شمسًا يؤذيهم شعاعها، ولا بردًا شديدًا، بل هم في ظلٍّ دائم لا حرَّ معه ولا برد.

(١٤) قريبة منهم ظلالها، وسُخَّرَتْ ثمارها لمن يتناولها، فيتناولها ببسر وسهولة، بحيث ينالها المضطجع والقاعد والقائم.

(١٥) ويدور عليهم الخدم بآية الفضة، ويكؤوسها الصافي لونها عند إرادتهم الشراب.

(١٦) هي في صفاء لونها مثل الزجاج غير أنها من الفضة، وهي مقدرة وفق ما يريدون، لا تزيد عنه ولا تنقص.

(١٧) ويُسْقَى هؤلاء المُكْرَمُونَ كأسًا من خمر ممزوجة بالزنجبيل. (١٨) يشربون من عين في الجنة تسمى سَلْسِيلًا.

(١٩) ويدور عليهم في الجنة ولدان باقون على شبابهم، إذا رأيتهم ظننتهم لنضارة وجوههم وحسن ألوانهم وكثرتهم وتفرقهم لؤلؤًا منثورًا.

(٢٠) وإذا رأيت ما هنالك في الجنة رأيت نعيمًا لا يمكن وصفه، ورأيت ملكًا عظيمًا لا يُدانيه ملك.

(٢١) قد علت أبدانهم الثياب الخضراء الفاخرة وهي من الحرير الرقيق، وغلظت الديباج، وألبسوا فيها أسورة من فضة، وسقاهاهم الله شرابًا خاليًا من أي منغص.

(٢٢) ويقال لهم تكريمًا لهم: إن هذا النعيم الذي أعطيتموه كان ثوابًا لكم على أعمالكم الصالحة، وكان عملكم مقبولًا عند الله.

(٢٣) إنا نحن أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن مفرقًا، ولم نزله عليك جملة واحدة.

(٢٤) فاصبر لما يحكم به الله قدرًا أو شرعًا، ولا تطع أئمةً فيما يدعوه من الإثم، ولا كافرًا فيما يدعو إليه من الكفر.

(٢٥) واذكر ربك بصلاة الفجر أول النهار، و صلاة الظهر والعصر آخره.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ،

• الوفاء بالنذر وإطعام المحتاج، والإخلاص في العمل، والخوف من الله: أسباب للنجاة من النار، ولدخول الجنة. • إذا كان حال الغلمان الذين يخدمونهم في الجنة بهذا الجمال، فكيف بأهل الجنة أنفسهم؟!

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَامًا عَلَىٰ حَيْثُ مَسَّكِنَا وَيَسِيمَا وَأُسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَحَرِّهْمُ بِمَصَادِرِ الْجَنَّةِ وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَذَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَلْفُوفُهَا تَدْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَاقِيَةِ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ فَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ فَوَارِيرٌ مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٨﴾ وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ ولدَانٌ تَخْلُدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَخْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرْ أَصْرَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

﴿٣١﴾ وَاذْكُرْهُ بِصَلَاتِي اللَّيْلِ: صَلَاةِ الْمَغْرَبِ وَصَلَاةِ الْعِشَاءِ، وَتَهَجَّدَ بِهِ بَعْدَهَا.

﴿٣٢﴾ إِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَحْبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَحْرُصُونَ عَلَيْهَا، وَيَتْرَكُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ ثَقِيلٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْمَحَنِّ.

﴿٣٣﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَقَوَّيْنَا خَلْقَهُمْ بِتَقْوِيَةِ مَفَاصِلِهِمْ وَأَعْضَائِهِمْ وَغَيْرِهَا. وَإِذَا شِئْنَا إِهْلَاكَهُمْ وَإِبْدَالَهُمْ بِأَمْثَالِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ وَأَبْدَلْنَاهُمْ.

﴿٣٤﴾ إِنْ هَذِهِ السُّورَةُ مَوْعِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ طَرِيقَ تَوْصِلُهُ إِلَى رِضَا رَبِّهِ اتَّخَذَهَا.

﴿٣٥﴾ وَمَا تَشَاوُونَ اتَّخَذَ طَرِيقَ إِلَى رِضَا اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَالْأَمْرُ كُلُّهُ إِلَيْهِ، إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا بِمَا يَصْلَحُ لِعِبَادِهِ، وَبِمَا لَا يَصْلَحُ لَهُمْ، حَكِيمًا فِي خَلْقِهِ وَقَدَرِهِ وَشَرْعِهِ.

﴿٣٦﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي رَحْمَتِهِ، فَيُوفِّقُهُمْ لِلْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَعَدَّ لِلظَّالِمِينَ لَأَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي عَذَابًا مُوجِعًا فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ عَذَابُ النَّارِ.

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

— مَكِّيَّةٌ —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

إثبات القيامة من خلال محاجة المكذبين بالأدلة، وتتابعها بالوعيد والتهديد.

• التَّفْسِيرُ:

﴿١﴾ أَقْسَمَ اللَّهُ بِالرِّيَّاحِ الْمَتَابَعَةِ مِثْلَ عُرْفِ الْفَرَسِ. ﴿٢﴾ وَأَقْسَمَ بِالرِّيَّاحِ الشَّدِيدَةِ الْهَبُوبِ. ﴿٣﴾ وَأَقْسَمَ بِالرِّيَّاحِ الَّتِي تَنْزِلُ بِمَا يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. ﴿٤﴾ وَأَقْسَمَ بِالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْوَحْيِ. ﴿٥﴾ تَنْزِلُ بِالْوَحْيِ إِعْذَارًا مِنَ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، وَإِنْذَارًا لِلنَّاسِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

﴿٦﴾ إِنْ الَّذِي تَوَعَّدُونَ بِهِ مِنَ الْبِعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ لَوَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ.

﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ مُجِيَّةٌ نُورُهَا وَذَهَبَ ضَوْؤُهَا. ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ شَقَّتْ لِتَنْزِلَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهَا.

﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ أَقْلَعَتْ مِنْ مَكَانِهَا فَفُتَّتَتْ حَتَّى تَصِيرَ هِبَاءً.

﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ جُمِعَتْ لَوَقْتٍ مُحَدَّدٍ. ﴿١١﴾ يَوْمٌ عَظِيمٌ أُجِّلَتْ لِلشَّهَادَةِ عَلَى أُمَّهَاتِهَا.

﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُتَبَيَّنُ الْمَحْقُ مِنَ الْمَبْطُلِ، وَالسَّعِيدُ مِنَ الشَّقِيِّ.

﴿١٣﴾ وَمَا أَعْلَمُكُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - مَا يَوْمُ الْفَصْلِ؟!

﴿١٤﴾ هَلَاكٌ وَعَذَابٌ وَخُسْرَانٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

﴿١٥﴾ أَلَمْ نَهْلِكِ الْأُمَمَ السَّابِقَةَ لَمَّا كَفَرَتْ بِاللَّهِ وَكَذَّبَتْ رُسُلَهَا؟!

﴿١٦﴾ ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، فَتَهْلِكُهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَاهُمْ.

﴿١٧﴾ مِثْلَ الْإِهْلَاكِ لِتِلْكَ الْأُمَمِ نَهْلِكُ الْمُجْرِمِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿١٨﴾ هَلَاكٌ وَعَذَابٌ وَخُسْرَانٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِوَعِيدِ اللَّهِ بِالْعِقَابِ لِلْمُجْرِمِينَ.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • خَطَرُ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا وَنِسْيَانِ الْآخِرَةِ. • مَشِيئَةُ الْعَبْدِ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ. • إِهْلَاكُ الْأُمَمِ الْمَكْذِبَةِ سُنَّةٌ إِلَهِيَّةٌ.

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَأَلْصَقْنَ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرَتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَأَلْمَلِقَتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُدْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوْعَدُونَ لَوَقْعٍ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾
وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ ﴿١١﴾ لَا أَمْرَ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾
لِیَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَنْبَعُثُهُمُ الْآخَرِينَ ﴿١٧﴾
كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

﴿١﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ - أيها الناس - من ماءٍ حقير قليل وهو النطفة .

﴿٢﴾ فجعلنا ذلك الماء المهيين في مكانٍ مخروز وهو رحم المرأة .

﴿٣﴾ إلى مدة معلومة هي مدة الحمل .

﴿٤﴾ فقدرنا صفة المولود وقدره ولونه وغير ذلك ، فنعم القادرون لذلك كله نحن .

﴿٥﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بقدره الله .

﴿٦﴾ أَلَمْ نجعل الأرض تضم الناس جميعاً .

﴿٧﴾ تضم أحياءهم بالسكن عليها وعمارتها ، وأمواتهم بالدفن فيها .

﴿٨﴾ وجعلنا فيها جبالاً ثوابت ، تمنعها من الاضطراب ، عاليات ، وأسقيناكم - أيها الناس - ماءً عذباً ، فمن خلق ذلك ليس عاجزاً عن بعثكم .

﴿٩﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بنعم الله عليهم .

﴿١٠﴾ ويقال للمكذبين بما جاءت به رسلهم : سيروا - أيها المكذبون - إلى ما كنتم به تكذبون من العذاب .

﴿١١﴾ سيروا إلى ظل من دخان النار مفترق ثلاث فرق .

﴿١٢﴾ ليس فيه برد الظلال ، ولا يمنع لهيب النار وحرها أن ينفذ إليكم .

﴿١٣﴾ إن النار تقذف بشرارات ، كل شرارة مثل القصر في عظمتها .

﴿١٤﴾ كأن الشرارات التي تقذف بها في سوادها وضخامتها جمال سود .

﴿١٥﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بعذاب الله .

﴿١٦﴾ هذا يوم لا يتكلمون فيه بشيء .

﴿١٧﴾ ولا يؤذن لهم أن يعتذروا إلى ربهم من كفرهم وسبائهم ، فيعتذرون إليه .

﴿١٨﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بأخبار هذا اليوم .

﴿١٩﴾ هذا يوم الفصل بين الخلائق ، جمعناكم والأمم السابقة في صعيد واحد .

﴿٢٠﴾ فإن كانت لكم حيلة تحتالون بها للنجاة من عذاب الله فاحتالوا علي .

﴿٢١﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بيوم الفصل .

﴿٢٢﴾ إن المتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيه ، في ظلال أشجار الجنة الوارفة ، وعميون الماء العذبة الجارية .

﴿٢٣﴾ وفواكه مما يشتهون أكله . ﴿٢٤﴾ ويقال لهم : كلوا من الطيبات ، واشربوا شرباً هنيئاً لا منغص فيه ؛ بما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحات . ﴿٢٥﴾ إنا مثل هذا الجزاء الذي جزيناكم به نجزي المحسنين لأعمالهم .

﴿٢٦﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بما أعد الله للمتقين . ﴿٢٧﴾ ويقال للمكذبين : كلوا وتمتعوا بملذات الحياة وقتاً قليلاً في الدنيا ، إنكم بكفركم بالله وتكذيبكم رسله مجرمون .

﴿٢٨﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين بجزائهم يوم الدين . ﴿٢٩﴾ وإذا قيل لهؤلاء المكذبين : صلوا لله لا يصلون له . ﴿٣٠﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله . ﴿٣١﴾ فإذا لم يؤمنوا بهذا القرآن المنزل من ربهم فبأي حديث غيره يؤمنون ؟!

﴿٣٢﴾ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ • رعاية الله للإنسان في بطن أمه • اتساع الأرض لمن عليها من الأحياء ، ولمن فيها من الأموات • خطورة التكذيب بآيات الله والوعيد الشديد لمن فعل ذلك .

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿١﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢﴾ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٤﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاتَا ﴿٦﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٧﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَّ شِمَخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٨﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ ﴿٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿١١﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ ﴿١٣﴾ كَأَنَّهُ رَجُلٌ ضَعُفٌ ﴿١٤﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ ﴿١٥﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿١٦﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿١٧﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ ﴿١٨﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿١٩﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِدُونِ ﴿٢٠﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٢﴾ وَفَوَاكِهٍ مَمَّا يَشْتَهِوْنَ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٥﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ ﴿٢٦﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ فَجْرٌ مَوْءٍ ﴿٢٧﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا تَبْرَكُوا ﴿٢٩﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ ﴿٣٠﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ۚ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۖ
كَلَّا سَيَعْمُونَ ۚ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ ۚ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ۖ
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۚ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۚ
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۚ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۚ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۚ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنْ
أَلْمُعَصْرِ مَاءً ثَجَّاجًا ۚ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۚ وَجَعَلْنَا
الْأَفَّااقَ ۖ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ۚ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۚ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۚ وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۚ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۚ لِلطَّالِعِينَ
مَعَابًا ۚ لِلَّذِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۚ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۚ
إِلَّا أَحْمِيمًا وَغَسَّاقًا ۚ جَزَاءً وَفَاقًا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۚ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۚ فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۚ

• من مَقاصِدِ السُّورَةِ:
إثبات البعث والجزاء بالأدلة
والبراهين.

• التفسير:

① عن أي شيء يتساءل هؤلاء

المشركون بعدما بعث الله إليهم

رسوله ﷺ؟! ② يسأل بعضهم بعضاً

عن الخبر العظيم، وهو هذا القرآن

المنزل على رسولهم المتضمن لخبر

البعث. ③ هذا القرآن الذي اختلفوا

فيما يصفونه به؛ من كونه سحراً أو

شعراً أو كهانة أو أساطير الأولين.

④ ليس الأمر كما زعموا، سيعلم

هؤلاء المكذبون بالقرآن عاقبة تكذيبهم

السيئة. ⑤ ثم سياتكدهم ذلك.

⑥ ألم نُصَيِّرِ الأرض مُمَهَّدَةً لهم

صالحة لاستقرارهم عليها؟! ⑦

وجعلنا الجبال عليها بمنزلة أوتاد

تمنعها من الاضطراب. ⑧

وخلقناكم - أيها الناس - أصنافاً:

منكم الذكور والإناث. ⑨ وجعلنا

نومكم انقطاعاً عن النشاط لنستريحوا.

⑩ وجعلنا الليل ساتراً لكم بظلمته

مثل اللباس الذي تستترون به

عوراتكم. ⑪ وجعلنا النهار ميداناً

للكسب والبحث عن الرزق. ⑫

وبنينا فوقكم سبع سماوات متينة البناء

محكمة الصنع. ⑬ وصيّرنا الشمس مصباحاً شديد الانقاد والإنارة. ⑭

وأنزلنا من السحب التي حان لها أن

تمطر ماءً كثير الانصباب. ⑮ لنخرج به أصناف الحَبِّ، وأصناف النبات. ⑯ ونخرج به بساتين مُلْتَفَّة من كثرة

تداخل أغصان أشجارها. ولما ذكر الله هذه النعم الدالة على قدرته أتبعها بذكر البعث والقيامة؛ لأن القادر على

خلق هذه النعم قادر على بعث الموتى وحسابهم، فقال: ⑰ إن يوم الفصل بين الخلائق كان موعداً محددًا بوقتٍ

لا يتخلف. ⑱ يوم ينفخ الملك في القرن النفخة الثانية، فتأتون - أيها الناس - جماعات جماعات. ⑲ وفُتِحَتِ

السما فصار لها فروج مثل الأبواب المفتحة. ⑳ وجُعِلَتِ الجبال تسير حتى تتحول هباءً منثورًا، فتصير مثل

السراب. ㉑ إن جهنم كانت راصدة مُرْتَقِبَةً. ㉒ للظالمين مرجعاً يرجعون إليه. ㉓ ماكثين فيها أزمنة ودهورًا

لا نهاية لها. ㉔ لا يذوقون فيها هواءً باردًا يبرد حر السعير عنهم، ولا يذوقون فيها شرابًا يُلْتَذُّ به. ㉕ لا

يذوقون إلا ماءً شديد الحرارة، وما يسيل من صديد أهل النار. ㉖ جزاءً موافقاً لما كانوا عليه من الكفر

والضلال. ㉗ إنهم كانوا في الدنيا لا يخافون محاسبة الله إياهم في الآخرة؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، فلو كانوا

يخافون البعث لآمنوا بالله، وعملوا صالحًا.

㉘ وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا تكذيبًا.

㉙ وكل شيء من أعمالهم ضبطناه وعددناه، وهو مكتوب في صحائف أعمالهم.

㉚ فدوقوا - أيها الطغاة - هذا العذاب الدائم، فلن نزيدكم إلا عذاباً على عذابكم.

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • إحكام الله للمخلوق دلالة على قدرته على إعادته. • الطغيان سبب دخول النار. • مضاعفة

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ۖ جَزَاءً مِمَّنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ
حَسَابًا ۖ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خُطَابًا ۖ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ۖ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ
شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعًا بَابًا ۖ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ
الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا ۖ

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۖ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۖ وَالسَّابِقَاتِ سَبَاحًا ۖ
فَالسَّابِقَاتِ سَبَاقًا ۖ فَاَلْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۖ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ
تَتَّبِعُهَا الرَّاكِدَةُ ۖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۖ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۖ
يَقُولُونَ أَيْنَا الْمَرْدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ ۖ أَيْنَا ذَاكَ عَظَمَاتُ الْفِرَاقَةِ ۖ قَالُوا
بَلْ أَكْذَرُ خَاسِرَةٌ ۖ فَاَلْمَأْمَأُ حَزْزَةٌ وَجِدَةٌ ۖ فَادَاهُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۖ
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْأُولَىٰ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ

﴿٣١﴾ إن للمتقين ربهم بامتنثال أوامره واجتتاب نواهيه، مكان فوز يفوزون فيه بمطلوبهم وهو الجنة.

﴿٣٢﴾ بساتين وأعنانا.

﴿٣٣﴾ وناهيات مستويات السن.

﴿٣٤﴾ وكأس خمر ملائ.

﴿٣٥﴾ لا يسمعون في الجنة كلاما باطلا، ولا يسمعون كذبا، ولا يكذب بعضهم بعضا.

﴿٣٦﴾ كل ذلك مما منحهم الله منة وعطاء منه كافيا.

﴿٣٧﴾ رب السماوات والأرض ورب ما بينهما، رحمن الدنيا والآخرة، لا يملك جميع من في الأرض أو السماء أن يسألوه إلا إذا أذن لهم.

﴿٣٨﴾ يوم يقوم جبريل والملائكة مضططين، لا يتكلمون بشفاة لأحد إلا من أذن له الرحمن أن يشفع، وقال سداذا ككلمة التوحيد.

﴿٣٩﴾ ذلك الموصوف لكم هو اليوم الذي لا ريب أنه واقع، فمن شاء النجاة فيه من عذاب الله فليتخذ سبيلا إلى ذلك من الأعمال الصالحة التي ترضي ربه.

﴿٤٠﴾ إنا حذرناكم - أيها الناس - عذابا قريبا يحصل، يوم ينظر المرء ما قدم من عمله في الدنيا، ويقول الكافر متمنيا الخلاص من العذاب: يا ليتني صرت ترابا مثل الحيوانات عندما يقال لها يوم القيامة: كوني ترابا.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

— مكية —

• من مقاصد السورة:

قَرع القلوب المكذبة بالبعث والجزاء، من خلال عرض مشاهد الموت والبعث والحشر والقيامة.

• التفسير:

﴿١﴾ أقسم الله بالملائكة التي تجذب أرواح الكفار بشدة وعنف. ﴿٢﴾ وأقسم بالملائكة التي تستل أرواح المؤمنين بسهولة ويسر. ﴿٣﴾ وأقسم بالملائكة التي تسبح من السماء إلى الأرض بأمر الله. ﴿٤﴾ وأقسم بالملائكة التي تسبق بعضها في أداء أمر الله. ﴿٥﴾ وأقسم بالملائكة التي تنفذ ما أمرهم الله به من قضائه مثل الملائكة الموكلين بأعمال العباد؛ أقسم بذلك كله ليعتثنهم للحساب والجزاء. ﴿٦﴾ يوم تهتز الأرض عند النفخة الأولى. ﴿٧﴾ تتبع هذه النفخة نفخة ثانية. ﴿٨﴾ قلوب بعض الناس في ذلك اليوم خائفة. ﴿٩﴾ يظهر على أبصارها أثر الذلة. ﴿١٠﴾ وكانوا يقولون: هل نرجع إلى الحياة بعد أن متنا؟ ﴿١١﴾ إذا كنا عظاما بالية فارغة نرجع بعد ذلك؟ ﴿١٢﴾ قالوا: إذا رجعنا تكون تلك الرجعة خاسرة، مغبوئا صاحبها. ﴿١٣﴾ أمر البعث يسير، فإنما هي صيحة واحدة من الملك الموكل بالنفخ. ﴿١٤﴾ فإذا الجميع أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا أمواتا في بطنها. ﴿١٥﴾ هل جاءك - أيها الرسول - خبر موسى مع ربه ومع عدوه فرعون؟ ﴿١٦﴾ حين ناداه ربه سبحانه بوادي طوى المطهر.

• من قوايد الآيات: • التقوى سبب دخول الجنة. • تذكر أهوال القيامة دافع للعمل الصالح. • قبض روح الكافر بشدة وعنف، وقبض روح المؤمن برفق ولين.

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبُ ﴿٨﴾ وَاهْدِيكَ
إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَرْزُلْهُ آيَةً الْكُبْرَى ﴿١٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿١١﴾ ثُمَّ
أَدْرَأْسَعَى ﴿١٢﴾ فَخَسِرَ فَادَى ﴿١٣﴾ فَقَالَ أَنَارِكُمْ الْأَعْمَى ﴿١٤﴾ فَأَخَذَهُ
اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿١٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿١٦﴾
ءَأَن تَمَّ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿١٧﴾ رَفَعَ سَمَاهَا فَمَسَوْنَهَا ﴿١٨﴾
وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿١٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٢٠﴾
أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً هَاوً وَمَرْعَاهَا ﴿٢١﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿٢٢﴾ مَتَعَالَى كُمْ
وَلَا تُعْمِكُمْ ﴿٢٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ
مَا سَعَى ﴿٢٥﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿٢٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَى ﴿٢٧﴾ وَءَاثَرَ
الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَن خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٣٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣١﴾
يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ فِيمَا أَنتَ مِن
ذِكْرِهَا ﴿٣٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُتَمِّتْهَا ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَى ﴿٣٥﴾
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٣٦﴾

سورة التاروت

٥٨٤

﴿٣٠﴾ والأرض بعد أن خلق السماء بسطها، وأودع فيها منافعها.
﴿٣١﴾ أخرج منها ماءها عيوناً تجري، وأنبت فيها من النبات ما ترعاه الدواب.
﴿٣٢﴾ والجبال جعلها ثابتة على الأرض.
﴿٣٣﴾ كل ذلك منافع لكم - أيها الناس - ولأنعامكم، فالذي خلق هذا كله لا يعجز عن إعادة خلقهم من جديد.
﴿٣٤﴾ فإذا جاءت النفخة الثانية التي تغمر كل شيء بهولها، وقامت القيامة.
﴿٣٥﴾ يوم تجيء يتذكر الإنسان ما قدم من عمل، خيراً كان أو شراً.
﴿٣٦﴾ وحيء بجهنم وأظهرت عياناً لمن يبصرها. ﴿٣٧﴾ فأما من تجاوز الحد في الضلال.
﴿٣٨﴾ وفضل الحياة الدنيا الفانية على الحياة الأخرى الباقية. ﴿٣٩﴾ فإن النار هي مستقره الذي يأوي إليه.
﴿٤٠﴾ وأما من خاف قيامه بين يدي ربه، وكف نفسه عن اتباع ما تهواه مما حرمه الله، فإن الجنة هي مستقره الذي يأوي إليه.

﴿٤١﴾ يسألك - أيها الرسول - هؤلاء المكذبون بالبعث: متى تقع الساعة؟
﴿٤٢﴾ ليس لك علم بها حتى تذكرها لهم، وليس من شأنك ذلك، إنما شأنك الاستعداد لها.
﴿٤٣﴾ إلى ربك وحده منتهى علم الساعة.
﴿٤٤﴾ إنما أنت منذر من يخشى الساعة؛ لأنه الذي ينتفع بإنذارك.
﴿٤٥﴾ كأنهم يوم يرون الساعة مشاهدة، لم يلبثوا في حياتهم الدنيا إلا عشيّة يوم واحد أو بكرته.

﴿٤٦﴾ من قَوْلِهَا آيَاتٍ. • وجوب الرفق عند خطاب المدعو. • الخوف من الله وكف النفس عن الهوى من أسباب دخول الجنة. • علم الساعة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. • بيان الله لتفاصيل خلق السماء والأرض.

﴿٧﴾ قال له فيما قال: سر إلى فرعون،
إنه تجاوز الحد في الظلم والاستكبار.
﴿٨﴾ فقل له: هل لك - يا فرعون - أن
تظهر من الكفر والمعاصي؟
﴿٩﴾ وأرشدك إلى ربك الذي خلقك
ورعاك فتخشاه، فتعمل بما يرضيه،
وتتجنب ما يسخطه؟
﴿١٠﴾ فأظهر له موسى ﷺ العلامة
العظمى الدالة على أنه رسول من ربه،
وهي اليد والعصا.
﴿١١﴾ فما كان من فرعون إلا أنه كذب بهذه
العلامة، وعصى ما أمره به موسى ﷺ.
﴿١٢﴾ ثم أعرض عن الإيمان بما جاء به
موسى.
﴿١٣﴾ ورجع يجمع جنوده لمغالبة
موسى، فنادى قومه قائلاً:
﴿١٤﴾ أنا ربكم الأعلى، فلا طاعة لغيري
عليكم.
﴿١٥﴾ فأخذه الله فعاقبه في الدنيا بالغرق
في البحر، وعاقبه في الآخرة بإدخاله في
أشدّ العذاب.
﴿١٦﴾ إن فيما عاقبنا به فرعون في الدنيا
والآخرة لموعظة لمن يخشى الله؛ فهو
الذي ينتفع بالمواعظ.
﴿١٧﴾ إيجابكم على الله - أيها المكذبون
بالبعث - أصعب، أم إيجاد السماء التي
بناها؟
﴿١٨﴾ جعل سمّتها في جهة العلو رفيعاً،
فجعلها مستوية، لا فطور فيها ولا
شقوف ولا عيب.
﴿١٩﴾ وأظلم ليلها إذا غربت شمسها،
وأظهر نورها إذا أشرقت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوفِ:

حقيقة دعوة القرآن، وكرامة من ينتفع بها، وحقارة من يعرض عنها.

● التفسير:

① قطب رسول الله ﷺ وجهه وأعرض. ② لأجل محبي عبد الله بن أم مكتوم يسترشده، وكان أعمى، جاء والرسول ﷺ منشغل بأكابر المشركين أملاً في هدايتهم. ③ وما يُعلمك - أيها الرسول - لعل هذا الأعمى يتطهر من ذنوبه؟! ④ أو يتعظ بما يسمع منك من المواعظ، فينتفع بها. ⑤ أما من استغنى بنفسه بما لديه من المال عن الإيمان بما جئت به. ⑥ فانت تتعرض له، وتقبل إليه. ⑦ وأي شيء يلحقك إذا لم يتطهر من ذنوبه بالتوبة إلى الله. ⑧ وأما من جاءك يسعى بحثاً عن الخير. ⑨ وهو يخشى ربه. ⑩ فانت تتشغل عنه بغيره من أكابر المشركين. ⑪ ليس الأمر كذلك، إنما هي موعظة وتذكير لمن يقبل. ⑫ فمن شاء أن يذكر الله ذكره، واتعظ بما في هذا القرآن. ⑬ فهذا القرآن في صحف شريفة عند الملائكة. ⑭ مرفوعة في مكان عال، مطهرة لا يصيبها دُنس ولا رجس. ⑮ وهي بأيدي رسل من الملائكة.

عَبَسَ وَتَوَلَّى ① أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ②
أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ③
أَمَّا مَنْ اسْتَعْجَلَ ④ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ⑤
وَمَا عَلَيْكَ الْأَيزَى ⑥ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ⑦
وَهُوَ يَخْشَى ⑧ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ⑨
كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ⑩ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ⑪
فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ⑫ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ⑬
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ⑭ كَرَامٍ بَرَرَةٍ ⑮
قُلْ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرُهُ ⑯ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ⑰
مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ⑱ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ⑲
ثُمَّ أَمَاتَهُ ⑳ فَأَقْبَرَهُ ㉑ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ㉒
كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ㉓ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ㉔
أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ㉕ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ㉖
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ㉗ وَعَبَا وَفَضًّا ㉘ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ㉙
وَحَدَائِقَ غُلَبًا ㉚ وَفَلَاحًا ㉛ وَأَنَّا ㉜
مَتَعْنَا الْكَوْثَرَ لَآعْمَكُمُ ㉝ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ㉞
يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ㉟ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ㊱
وَصَلْبَتِهِ ㊲ وَنَبِيِّهِ ㊳ لِكُلِّ أَمْرٍ ㊴
مُنْهَرٍ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ㊵ وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ㊶
ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ㊷ وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ㊸

٥٨٥

① كرام عند ربهم، كثيري فعل الخير والطاعات. ② لعن الإنسان الكافر، ما أشد كفره بالله! ③ من أي شيء خلقه الله حتى يتكبر في الأرض ويكفر؟! ④ من ماء قليل خلقه، فقدر خلقه طوراً بعد طور. ⑤ ثم يسر له بعد هذه الأطوار الخروج من بطن أمه. ⑥ ثم بعد ما قدر له من عمر في الحياة أماته، وجعل له قبراً يبقى فيه إلى أن يبعث. ⑦ ثم إذا شاء بعثه للحساب والجزاء. ⑧ ليس الأمر كما يتوهم هذا الكافر أنه أدى ما عليه لربه من حق، فهو لم يؤد ما أوجب الله عليه من الفرائض. ⑨ فلينظر الإنسان الكافر بالله إلى طعامه الذي يأكله كيف حصل؟! ⑩ فاصله من المطر النازل من السماء بقوة وغزارة. ⑪ ثم فقتنا الأرض فانشقت عن النبات. ⑫ فأنبتنا فيها الحبوب من قمح وفرة وغيرهما. ⑬ وأنبتنا فيها عباً وقتاً رطباً؛ ليكون علفاً لدوابهم. ⑭ وأنبتنا فيها زيتوناً ونخلاً. ⑮ وأنبتنا فيها بساتين كثيرة الأشجار. ⑯ وأنبتنا فيها فاكهة، وأنبتنا فيها ما ترعاه بهائمكم. ⑰ لاتنفعكم، واتنفع بهائمكم. ⑱ فإذا جاءت الصيحة العظيمة التي تصخ الأذان وهي النفخة الثانية. ⑲ يوم يهرب المرء من أخيه. ⑳ ويفر من أمه وأبيه. ㉑ ويفر من زوجته وأولاده. ㉒ لكل واحد منهم ما يشغله عن الآخر من شدة الكرب في ذلك اليوم. ㉓ وجوه السعداء في ذلك اليوم مضبثة. ㉔ ضاحكة فرحة بما أعد الله لها من رحمته. ㉕ وجوه الأشقياء في ذلك اليوم عليها غبار.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● عتاب الله نبيه في شأن عبد الله بن أم مكتوم دل على أن القرآن من عند الله. ● الاهتمام بطالب العلم والمُستَرشد. ● شدة أهوال يوم القيامة حيث لا ينشغل المرء إلا بنفسه، حتى الأنبياء يقولون: نفسي نفسي.

﴿١٢﴾ تَعْمَسُهَا ظِلْمَةٌ. ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ
الموصوفون بتلك الحال هم الذين
جمعوا بين الكفر والفجور.

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿١﴾ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
تصوير القيامة بانفراط الكون بعد
إحكامه.

﴿٢﴾ التَّفْسِيرُ:
﴿١﴾ إِذَا الشَّمْسُ جُمِعَ جِزْمُهَا، وَذَهَبَ
ضَوْوُهَا.

﴿٢﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ تَسَاقَطَتْ وَتُجِي
ضَوْوُهَا.

﴿٣﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ حُرُكَتْ مِنْ مَكَانِهَا.
﴿٤﴾ وَإِذَا الشُّوْقُ الْحَوَامِلُ الَّتِي هِيَ
أَنْفُسُ أَمْوَالِهِمْ أَهْمِلَتْ بِتَرْكِ أَهْلِهَا.

﴿٥﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ جُمِعَتْ مَعَ الْبَشَرِ
فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ.

﴿٦﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ أُوقِدَتْ حَتَّى تَصِيرَ
نَارًا.

﴿٧﴾ وَإِذَا الْنَفُوسُ قُرِنَتْ بِمَنْ يَمَانِلُهَا،
فَقُرُنَ الْفَاجِرُ بِالْفَاجِرِ، وَالتَّقِيُّ بِالتَّقِيِّ.

﴿٨﴾ وَإِذَا الطُّفُلَةُ الْمَدْفُونَةُ وَهِيَ حَيَّةٌ
سَأَلَهَا اللَّهُ.

﴿٩﴾ بِأَيِّ جَرِيْمَةٍ تَقْتُلُكَ مِنْ قَتْلِكَ؟!

﴿١٠﴾ وَإِذَا صَحُفُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ تُنْشَرُ؛
لِيَقْرَأَ كُلُّ وَاحِدٍ صَحِيفَةَ أَعْمَالِهِ.

﴿١١﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ تُزْعَتُ كَمَا يُزْعَعُ
الْجُلْدُ مِنَ الشَّاةِ.

تَرَهَقَهَا قَتَرَةٌ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿١٣﴾

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ

سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ

﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا

الْمُوءُودَةُ سُيِّتَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ

﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ

أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مِمَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾

الْجَوَارِ الْكُنَاسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ

ثَمَّ آمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾

﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٥﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٦﴾

فَأَيُّنَ تَذَهَبُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ

يَسْتَقِيمَ ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾

﴿١٢﴾ وَإِذَا النَّارُ أُوقِدَتْ. ﴿١٣﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ قُرِبَتْ لِلْمُتَّقِينَ. ﴿١٤﴾ عِنْدَمَا يَحْصُلُ ذَلِكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدِمَتْ مِنَ
الْأَعْمَالِ لَذَلِكَ الْيَوْمِ. ﴿١٥﴾ أَقْسَمُ اللَّهُ بِالنَّجْمِ الْخَفِيَّةِ قَبْلَ بَزْوِغِهَا فِي اللَّيْلِ. ﴿١٦﴾ الْجَوَارِياتُ فِي أَفْلَاكِهَا الَّتِي تَغِيبُ
عِنْدَ بَزْوِغِ الصُّبْحِ مِثْلَ الظُّلُمِ تَدْخُلُ كَنَاسَهَا؛ أَيْ: بَيْتِهَا. ﴿١٧﴾ وَأَقْسَمُ بِأَوَّلِ اللَّيْلِ إِذَا أَقْبَلَ، وَبِآخِرِهِ إِذَا أَدْبَرَ. ﴿١٨﴾
وَأَقْسَمُ بِالصُّبْحِ إِذَا بَزَغَ نُورُهُ. ﴿١٩﴾ إِنَّ الْقُرْآنَ الْمُنَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لِكَلَامِ اللَّهِ بَلَّغَهُ مَلَكُ أَمِينٍ، وَهُوَ جِبْرِيلُ ﷺ،
اِئْتَمَنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ. ﴿٢٠﴾ صَاحِبُ قُوَّةٍ، ذِي مَنْزِلَةٍ عَظِيمَةٍ عِنْدَ رَبِّ الْعَرْشِ سُبْحَانَهُ.

﴿٢١﴾ يَطِيعُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، مُؤْتَمِنٌ عَلَى مَا يَبْلُغُهُ مِنَ الْوَحْيِ.
﴿٢٢﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَّا الْمَلَاذِمُ لَكُمْ الَّذِي تَعْرِفُونَ عَقْلَهُ وَأَمَانَتَهُ وَصَدَقَهُ بِمَجْنُونٍ كَمَا تَدْعُونَ بِهِتَانًا.

﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ رَأَى صَاحِبَكُمْ جِبْرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا بِأَفْقِ السَّمَاءِ الْوَاضِحِ.
﴿٢٤﴾ وَلَيْسَ صَاحِبُكُمْ بِبَخِيلٍ عَلَيْكُمْ يَخِيلُ أَنْ يَبْلُغَكُمْ مَا أَمُرُ بِتَبْلُغِهِ إِلَيْكُمْ، وَلَا يَأْخُذُ أَجْرًا كَمَا يَأْخُذُهُ الْكُهَنَةُ.

﴿٢٥﴾ وَلَيْسَ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ كَلَامِ شَيْطَانٍ مَطْرُودٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.
﴿٢٦﴾ فَأَيُّ طَرِيقٍ تَسْلُكُونَهَا لِإِنْكَارِ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَجِ؟!

﴿٢٧﴾ لَيْسَ الْقُرْآنُ إِلَّا تَذَكِيرٌ وَمَوْعِظَةٌ لِلْجَنِّ وَالْإِنْسِ.
﴿٢٨﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ. ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاوُونَ اسْتِقَامَةً وَلَا غَيْرَهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ، رَبُّ

الْخَلَائِقِ كُلِّهَا.

﴿٣٠﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • خَشَرَ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ يَمِائِلُهُ فِي الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ. • إِذَا كَانَتِ الْمَوْءُودَةُ تُسَالُ فَمَا بَالُكَ بِالْوَأْدِ؟
وهذا دليل على عظم الموقف. • مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَفْتَ ۝ الْكَرِيمَ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۝ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كَرَامًا ۝ كَتِبِينَ ۝ يَكْتُبُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۝ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝

من مقاصد السورة: تصوير القيامة بتبعثر المخلوقات المنتظمة وتغير حالها ومساها.

التفسير: ١) إذا السماء انفطرت: إذا السماء تشققت لنزول الملائكة منها. ٢) وإذا الكواكب تنساقطت: وإذا الكواكب تنساقطت متناثرة. ٣) وإذا البحار فتح: بعضها على بعض فاختلطت. ٤) وإذا القبور قلبت: ترابها لبعث من فيها من الأموات. ٥) عند ذلك تعلم كل نفس ما قدمت من عمل، وما أخرت منه فلم تعمله. ٦) يا أيها الإنسان الكافر بربك، ما الذي جعلك تخالف أمر ربك حين أمهلك ولم يعاجلك بالعقوبة تكرماً منه؟ ٧) الذي أوجدك بعد أن كنت عدماً، وجعلك سوي الأعضاء معتدلاً. ٨) في أي صورة شاء أن يخلقك خلقتك، وقد أنعم عليك إذ لم يخلقك في صورة حمار ولا قرد ولا كلب ولا غيرها. ٩) ليس الأمر كما تصورتكم - أيها المغترون - بل أنتم تكذبون بيوم الجزاء فلا تعملون له. ١٠) وإن عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم. ١١) كراماً عند الله، كاتبين يكتبون أعمالكم. ١٢) يعلمون ما تفعلون من فعل فيكتبونه. ١٣) إن كثير من فعل الخير والطاعة لفي نعيم دائم يوم القيامة. ١٤) وإن أصحاب الفجور لفي نار تستمر عليهم. ١٥) يدخلونها يوم الجزاء يعانون حرها. ١٦) وليسوا عنها بغائبين أبداً، بل هم خالدون فيها. ١٧) وما أعلمك - أيها الرسول - ما يوم الدين؟ ثم ما أعلمك ما يوم الدين؟ ١٨) يوم لا يستطيع أحد أن ينفع أحداً، والأمر كله في ذلك اليوم لله وحده، يتصرف بما يشاء، لا لأحد غيره.

من مقاصد السورة:

تركز على بيان حال الناس في الموازين والمنازل الأخروية، تهديداً للمطففين والمكذبين، وتأييماً للمؤمنين المستضعفين.

التفسير:

١) هلاك وخسار للمطففين. ٢) وهم الذين إذا أكلوا من غيرهم يستوفون حقهم كاملاً دون نقص. ٣) وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصون الكيل والميزان؛ وكان ذلك حال أهل المدينة عند هجرة النبي ﷺ إليهم. ٤) ألا يتيقن هؤلاء الذين يفعلون هذا المنكر أنهم مبعوثون إلى الله؟ ٥) من قوائد الآيات: التحذير من الغرور المانع من اتباع الحق. • الجشع من الأخلاق الذميمة في التجار ولا يسلم منه إلا من يخاف الله. • تذكر هول القيامة من أعظم الروادع عن المعصية.

⑤ للحساب والجزاء في يوم عظيم
لما فيه من المحن والأهوال. ⑥ يوم
يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ
الْخَلَائِقِ كُلِّهَا؛ للحساب.

⑦ ليس الأمر كما تصوّرتم من أنه لا
بَعَثَ بعد الموت، إن كتاب أهل
الفجور من الكفار والمنافقين لفي
خسار في الأرض السفلى.

⑧ وما أعلمك - أيها الرسول - ما
سَجِّين؟!

⑨ إن كتابهم مكتوب لا يزول، ولا
يُزَادُ فيه ولا يُنْقَصُ.

⑩ هلاك وخسار في ذلك اليوم
للمكذّبين.

⑪ الذين يكذبون بيوم الجزاء الذي
يجازي فيه الله عباده على أعمالهم في
الدنيا.

⑫ وما يكذب بذلك اليوم إلا كل
متجاوز لحُدود الله، كثير الأثام.

⑬ إذا تُقْرَأُ عليه آياتنا المنزلة على
رَسُولِنَا قال: هي أقاصيص الأمم
الأولى، وليست من عند الله.

⑭ ليس الأمر كما تصور هؤلاء
المكذّبون، بل غلب على عقولهم
وغطاها ما كانوا يكسبون من
المعاصي، فلم يصبوا الحق بقلوبهم.

⑮ حقاً إنهم عن رؤية ربهم يوم
القيامة لممنوعون.

⑯ ثم إنهم لداخلو النار، يعانون
حرّها.

يَوْمَ عَظِيمٍ ⑤ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ⑥ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفُجَارِ لَفِي سَجِّينٍ ⑦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ ⑧ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ⑨
وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑩ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الْيَوْمِ ⑪ وَمَا يُكَذِّبُ
بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ⑫ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ⑬
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ⑭ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ
يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ⑮ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ⑯ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ⑰ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ⑱
وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ⑲ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ⑳ شَهِدَهُ الْمُقَرَّبُونَ ㉑
إِنَّ الْأَنْبَارَ لَفِي نَعِيمٍ ㉒ عَلَى الْأَرَارِكِ يُنْظَرُونَ ㉓ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ㉔ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ㉕ خِمْمَةٌ
مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَاتٍ فَيَسُ الْمُتَنَفِّسُونَ ㉖ وَمِنْ أَجْزَلِهِمْ
تَسْنِيمٌ ㉗ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ㉘ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا
مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ㉙ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ㉚
وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ㉛ وَإِذَا ذَرَأُوهُمْ قَالُوا
إِنْ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ㉜ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ㉝

⑶ ثم يقال لهم يوم القيامة تقرّباً لهم: هذا العذاب الذي لقيتموه هو ما كنتم تكذبون به في الدنيا عندما
يخبركم به رسولكم. ⑷ ليس الأمر كما تصوّرتم من أنه لا حساب ولا جزاء، إن كتاب أصحاب الطاعة لفي
عليين. ⑸ وما أعلمك - أيها الرسول - ما عِلِّيُّون؟! ⑹ إن كتابهم مكتوب لا يزول، ولا يُزَادُ فيه ولا يُنْقَصُ.
⑺ يحضر هذا الكتاب مقربو كل سماء من الملائكة. ⑻ إن الكثيرين من الطاعات لفي نعيم دائم يوم القيامة.
⑼ على الأسرة المزيّنة ينظرون إلى ربهم، وإلى كل ما يبهج نفوسهم ويسرهم. ⑽ إذا رأيتم رأيتم في وجوههم
أثر التمتع حسناً وبهاء. ⑾ يسقيهم خدامهم من خمر مخنوم على إناثها. ⑿ نفوح راتحة المسك منه إلى نهايته،
وفي هذا الجزاء الكريم يجب أن يتسابق المتسابقون، بالعمل بما يرضي الله، وترك ما يسخطه.

⑿ يُخْلَطُ هذا الشراب المخنوم من عين تَسْنِيمٍ.
⓫ وهي عين في أعلى الجنة يشرب منها المقربون صافية خالصة، ويشرب سائر المؤمنين منها، مخلوطة بغيرها.
⓬ إن الذين أجروا بما كانوا عليه من الكفر كانوا من الذين آمنوا يضحكون استهزاء بهم.
⓭ وإذا مرّوا بالمؤمنين غمز بعضهم لبعض سخريّة وتندّراً.
⓮ وإذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا فرحين بما هم عليه من الكفر والاستهزاء بالمؤمنين.
⓯ وإذا شاهدوا المسلمين قالوا: إن هؤلاء لضالون عن طريق الحق، حيث تركوا دين آبائهم.
⓰ وما وكلهم الله على حفظ أعمالهم حتى يقولوا قولهم هذا.

• من قَوَائِدِ آيَاتِهِ. • خطر الذنوب على القلوب. • حرمان الكفار من رؤية ربهم يوم القيامة. • السخريّة من أهل
الدين صفة من صفات الكفار.

(٢٢) فيوم القيامة الذين آمنوا بالله يضحكون من الكفار كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا .
(٢٣) على الأسرة المذبذبة ينظرون إلى ما أعد الله لهم من النعيم الدائم .
(٢٤) لقد جُوزي الكفار على أعمالهم التي عملوها في الدنيا بالعذاب المُنهي .

سورة الانشقاق

— مكية —

• من مَقاصِدِ السُّورَةِ:

تصوير القيامة باستسلام الكون وخضوعه لربه في أمره، إلزامًا بالاستسلام، واستنكارًا للوجود .

• التفسير:

(١) إذا السماء انشقت . واستمعت لربها منقادًا، وحق لها ذلك . (٢) وإذا الأرض مدت . وإذا الأرض مدتها الله كما يمد الأديم . (٣) وألق ما فيها من الكنوز والأموات، وتخلت عنهم . (٤) واستمعت لربها منقادًا، وحق لها ذلك . (٥) يا أيها الإنسان، إنك عامل إما خيرًا وإما شرًا، فملاقيه يوم القيامة؛ ليجازيك الله عليه . ولما ذكر عمل الإنسان مجملًا فضل حال العاملين يوم القيامة، فقال: (٦) فأما من أعطى صحيفة أعماله بيده اليمنى . فسوف يحاسبه الله حسابًا سهلاً يعرض عليه عمله دون مؤاخذه به . (٧) ويرجع إلى أهله مسرورًا . (٨) وأما من أعطى كتابه بشماله من وراء ظهره . (٩) فينادي بالهلاك على نفسه . (١٠) ويدخل نار جهنم يقاسي حرها . (١١) إنه كان في الدنيا في أهله فريحًا بما هو عليه من الكفر والمعاصي . (١٢) إنه ظن أنه لن يرجع إلى الحياة بعد موته . (١٣) بلى، ليرجعته الله إلى الحياة كما خلقه أول مرة، إن ربه كان بحاله بصيرًا لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازه على عمله .

(١٤) أقسم الله بالخمرة التي تكون في الأفق بعد غروب الشمس .

(١٥) وأقسم بالليل وما جُمع فيه .

(١٦) والقمر إذا اجتمع وتم وصار بدرًا .

(١٧) لتركب - أيها الناس - حالًا بعد حال من نطفة فعلقة مُمضغة، فحياة فموت فبعث .

(١٨) فما لهؤلاء الكفار لا يؤمنون بالله، واليوم الآخر؟!

(١٩) وإذا قُري عليهم القرآن لا يسجدون لربهم؟!

(٢٠) بل الذين كفروا يكذبون بما جاءهم به رسولهم .

(٢١) والله أعلم بما تحويه صدورهم، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء .

(٢٢) فأخبرهم - أيها الرسول - بما ينتظرهم من عذاب موع .

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • خضوع السماء والأرض لربهما . • كل إنسان ساجد إما لخير وإما لشر . • علامة السعادة يوم القيامة أخذ الكتاب باليمين، وعلامة الشقاء أخذه بالشمال .

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٢٢﴾ عَلَى
الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ ثَوْبَ الْكُهُنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

سورة الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقْلُبْهُ
إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُو أَبْوْرًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ
بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَالْأَيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبَنَ ظَنَاقًا ﴿١٩﴾ وَطَبَقَ ﴿٢٠﴾ فَمَالَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢٢﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُكْذِبُونَ ﴿٢٣﴾
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٤﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٥٥﴾

سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمَا يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْخَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَآئِدٍ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

٥٩٠

﴿٥٥﴾ إلا الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، لهم ثواب غير مقطوع؛ وهو الجنة.

سورة البروج

— مكية —

• مِنْ قَفَاصِدِ الشُّوَرَةِ:

إظهار قوة الله وإحاطته الشاملة وتوعده للمتريبين بالمؤمنين، بالعذاب الشديد.

• التفسير:

١) أقسم الله بالسماء المشتعلة على منازل الشمس والقمر وغيرهما.
٢) وأقسم بيوم القيامة الذي وعد أن يجمع فيه الخلائق. ٣) وأقسم بكل شاهد كالنبي يشهد على أمته وكل مشهود كالامة تشهد على نبيها.
٤) لعن الذين شقوا في الأرض شقاً عظيماً. ٥) وأوقدوا فيه النار، وألقوا المؤمنين فيه أحياء. ٦) إذ هم قعود على ذلك الشق المملوء ناراً. ٧) وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من التعذيب والتنكيل شهود؛ لحضورهم ذلك.
٨) وما عاب هؤلاء الكفار على المؤمنين شيئاً إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في كل شيء. ٩) الذي له وحده ملك السموات وملك الأرض، وهو مطلع على كل شيء، لا يخفى عليه شيء من أمر عباده. ١٠) إن الذين عذبوا

المؤمنين والمؤمنات بالنار ليصرفوهم عن الإيمان بالله وحده، ثم لم يتوبوا إلى الله من ذنوبهم، فلهم يوم القيامة عذاب جهنم، ولهم عذاب النار التي تحرقهم؛ جزاء على ما فعلوه بالمؤمنين من الإحراق بالنار. ١١) إن الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ذلك الجزاء الذي أعد لهم هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز. ١٢) إن أخذ ربك - أيها الرسول - للظالم - وإن أمهله حيناً - لقوي. ١٣) إنه هو بديئ الخلق والعذاب، ويعيدهما. ١٤) وهو الغفور لذنوب من تاب من عباده، وإنه يحب أوليائه من المتقين. ١٥) صاحب العرش الكريم.

١٦) فقال لما يريد من الغفر عن ذنوب من شاء، ومعاقبة من شاء، لا مكره له سبحانه.

١٧) هل جاءك - أيها الرسول - خبر الجنود الذين تجندوا لمحاربة الحق، والصد عنه؟! ١٨) فرعون، وثمود أصحاب صالح عليه السلام.

١٩) ليس المانع من إيمان هؤلاء أنهم لم تأتهم أخبار الأمم المكذبة وما حصل من إهلاكهم، بل هم يكذبون بما جاءهم به رسولهم اتباعاً لأهوائهم.

٢٠) والله محيط بأعمالهم محصيا، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.

٢١) وليس القرآن شعراً ولا سجعاً كما يقول المكذبون، بل هو قرآن كريم.

٢٢) في لوح محفوظ من التبديل والتحريف، والنقص والزيادة.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • يكون ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه. • إيثار سلامة الإيمان على سلامة الأبدان من علامات النجاة يوم القيامة. • التوبة بشروطها تهدم ما قبلها.

سُورَةُ الطَّارِقِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

إظهار رقابة الله النافذة وقدرته البالغة.

• التفسير:

① أقسم الله بالسماء، وأقسم بالنجم الذي يَطْرُقُ ليلاً. ② وما أعلمك - أيها الرسول - شأن هذا النجم العظيم! ③ هو النجم يقبب السماء بضياءه المتوهج. ④ ما من نفس إلا وكل الله بها ملكاً يحفظ عليها أعمالها للحساب يوم القيامة. ⑤ فليتأمل الإنسان مم خلقه الله؛ لتتضح له قدرة الله وعجز الإنسان. ⑥ خلقه الله من ماء ذي اندفاق يُصَبُّ في الرحم. ⑦ يخرج هذا الماء من بين العمود العظيمي الفقري للرجل، وعظام الصدر. ⑧ إنه سبحانه - إذ خلقه من ذلك الماء المهيمن - قادر على بعثه بعد موته حياً للحساب والجزاء. ⑨ يوم تُخْتَبَرُ السرائر، فيُكْشَفُ عما كانت تضمه القلوب من النيات والعقائد وغيرها، فيتميز الصالح منها والفساد. ⑩ فما للإنسان في ذلك اليوم من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا معين يعينه. ⑪ أقسم الله بالسماء ذات المطر؛ لأنه ينزل من جهتها مرة بعد مرة. ⑫ وأقسم بالأرض التي تشقق عما فيها من النبات والثمر والشجر. ⑬ إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ

سُورَةُ الطَّارِقِ

أَيُّهَا

نُفُوسًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ② النَّجْمُ الثَّاقِبُ ③ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ④ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ⑤ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ⑥ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ⑦ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ⑧ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ⑨ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ⑩ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ⑪ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ⑫ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ ⑬ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ⑭ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ⑮ وَأَكِيدُ كَيْدًا ⑯ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمُ لَهُمْ رُؤُودًا ⑰

سُورَةُ الْأَعْلَى

أَيُّهَا

نُفُوسًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ⑥ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ⑦ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ⑧ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ⑨ سِيدُّكُمْ مِنْ يَخْشَى ⑩

لقول بفصل بين الحق والباطل، والصدق والكذب. ⑪ وليس باللعب والباطل، بل هو الجد والحق. ⑫ إن المكذبين بما جاءهم رسولهم يكيدون كيداً كثيراً ليردوا دعوته، ويبتلوها. ⑬ وأكد أنا كيداً لإظهار الدين ودحض الباطل. ⑭ فأهل - أيها الرسول - هؤلاء الكافرين، أهلهم قليلاً، ولا تستعجل عذابهم وإهلاكهم.

سُورَةُ الْأَعْلَى

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ: تذكير النفوس ببيئة الله الأعلى، وتعليقها بالحياة الأخرى، وتخليصها من التعلقات الدنياه.

• التفسير: ① نَرَهُ رَبِّكَ الذي علا على خلقه ناطقاً باسمه عند ذكرك إياه وتعظيمك له. ② الذي خلق الإنسان سوياً، وعدل قامته. ③ والذي قَدَّرَ الخلاق أجناسها وأنواعها وصفاتها، وهدى كل مخلوق إلى ما يناسبه وبيئاته. ④ والذي أخرج من الأرض ما ترعاه دوابكم. ⑤ فصيره هشيماً يابساً مائلاً للسواد بعد أن كان أخضر غضاً. ⑥ سنفترئك - أيها الرسول - القرآن، ونجمه في صدرك ولن تنساه، فلا تسابق جبريل في القراءة كما كنت تفعل حرصاً على ألا تنساه. ⑦ إلا ما شاء الله أن تنساه منه لحكمة، إنه سبحانه يعلم ما يُخْلَن وما يُخْفَى، لا يُخْفَى عليه شيء من ذلك. ⑧ ونهون عليك العمل بما يرضي الله من الأعمال التي تدخل الجنة. ⑨ فقط الناس بما نوحى إليك من القرآن، وذكرهم ما دامت الذكرى مسموعة. ⑩ سيعظم بمواعظك من يخاف الله؛ لأنه الذي ينتفع بالموعظة.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • تحفظ الملائكة الإنسان وأعماله خيرها وشرها ليحاسب عليها. • ضعف كيد الكفار إذا قوبل بكيد الله سبحانه. • خشية الله تبعث على الاتعاظ.

وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ ١ ۝ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ ٢ ۝ عَامِلَةٌ تَأْسِبُ ۝ ٣ ۝ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۝ ٤ ۝ تُشْقَى مِنْ عَيْنٍ أَيْنِيَّةٍ ۝ ٥ ۝ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيرٍ ۝ ٦ ۝ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝ ٧ ۝ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝ ٨ ۝ لَسَعِيَهَا رَاضِيَةٌ ۝ ٩ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ ١٠ ۝ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۝ ١١ ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ ١٢ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝ ١٣ ۝ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝ ١٤ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ ١٥ ۝ وَزَوَاجٍ مُتَبَوِّثَةٌ ۝ ١٦ ۝ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ ١٧ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ ١٨ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ ١٩ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ ٢٠ ۝ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝ ٢١ ۝ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۝ ٢٢ ۝

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّوَرَةِ:

تذكير النفوس بمشاهد القدرة الإلهية في العذاب والنعيم، ودلائل ذلك في الآيات الحاضرة، لتمتلي النفوس رغبة ورهبة.

• التفسير:

١) هل أتاك - أيها الرسول - حديث

القيامة التي تغشى الناس بأهوالها؟ ٢) فالناس في يوم القيامة إما أشقياء وإما سعداء، فوجوه الأشقياء ذليلة خاضعة. ٣) متعبة مجهددة بالسلاسل التي تُسحب بها، والأغلال التي تُغل بها. ٤) تدخل تلك الوجوه نارًا حارة تقاسي حرها. ٥) تُشقى من عين شديدة حرارة الماء. ٦) ليس لهم طعام يتغذون به إلا من أخبث الطعام وأنته من نبات يسمى الشبرق إذا يس صار مسمومًا. ٧) لا يُسمن أكله، ولا يسد جوعته. ٨) وجوه السعداء في ذلك اليوم ذات نعمة وبهجة وسرور؛ لما لا قوه من النعيم. ٩) لعملها الصالح الذي عملته في الدنيا راضية، فقد وجدت ثواب عملها مدخرًا لها مضاعفًا. ١٠) في جنة مرتفعة المكان والمكانة. ١١) لا تسمع في الجنة كلمة باطل ولغو، فضلًا عن سماع كلمة محرمة. ١٢) في هذه الجنة عيون جارية بفجرونها، ويصرفونها كيف شاؤوا. ١٣) فيها أسرة عالية. ١٤) وأكواب مطروحة مهيأة للشرب. ١٥) وفيها وسائل مرقوص بعضها إلى بعض. ١٦) وفيها بسط مسبوطة هنا وهناك. ولما ذكر الله تفاوت أحوال الأشقياء والسعداء في الآخرة، وجّه أنظار الكفار إلى ما يدلهم على قدرة الخالق وحسن خلقه ليستدلوا بذلك على الإيمان؛ ليدخلوا الجنة فيكونوا من السعداء، فقال: ١٧) أفلا ينظرون نظر تأمل إلى الإبل كيف خلقها الله، وسخرها لبني آدم؟ ١٨) وينظرون إلى السماء كيف رفعها حتى صارت فوقهم سقًا محفوظًا، لا يسقط عليهم؟ ١٩) وينظرون إلى الجبال كيف نصبها وثبت بها الأرض أن تضطرب بالناس؟ ٢٠) وينظرون إلى الأرض كيف بسطها، وجعلها مهيأة لاستقرار الناس عليها؟ ولما وجههم إلى النظر إلى ما يدل على قدرته تعالى وجّه رسوله، فقال: ٢١) فقط - أيها الرسول - هؤلاء، وخوفهم من عذاب الله، إنما أنت مذكر، لا يطلب منك إلا تذكيرهم، وأما توفيقهم للإيمان فهو بيد الله وحده. ٢٢) لست عليهم مسلطًا حتى تكرهم على الإيمان.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • أهمية تطهير النفس من الخبائث الظاهرة والباطنة. • الاستدلال بالمخلوقات على وجود الخالق وعظمته. • مهمة الداعية الدعوة، لا حمل الناس على الهداية؛ لأن الهداية بيد الله.

الْأَمِنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۖ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۚ
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۖ

سورة الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُ ۝
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝
إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ۝ وَشُعُودَ الَّذِينَ
جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَعَوْا فِي
الْعَالَمِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرَمُونَ
الْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ۝ وَكَلَّا كَلَّا
الْثَرَاتِ أَكَلًا لَّمَّا ۝ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝ كَلَّا إِذَا
دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝

٥٩٣

١٢) لكن من تولى منهم عن الإيمان، وكفر بالله وبرسوله. ١٣) فيعذبه الله يوم القيامة العذاب الأعظم بأن يدخله جهنم خالدًا فيها. ١٤) إن إلينا وحدنا رجوعهم بعد موتهم. ١٥) ثم إن علينا وحدنا حسابهم على أعمالهم، وليس لك ولا لأحد غيرك ذلك.

سورة الفجر

— مكة —

• من مقاصد السورة:

عرض مشاهد العظمة والقدرة الإلهية في الكون وأحوال الإنسان، وبيان عاقبة المغترين.

• التفسير:

١) أقسم الله سبحانه بالفجر. ٢) وأقسم بالليالي العشر الأولى من ذي الحجة. ٣) وأقسم بالزوج والفرد من الأشياء. ٤) وأقسم بالليل إذا جاء، واستمر وأدبر وجواب هذه الأقسام: لتجأزن على أعمالكم. ٥) هل في ذلك المذكور قسم يقنع ذا عقل؟! ٦) ألم تر - أيها الرسول - كيف فعل ربك بعاد قوم هود لما كذبوا رسوله؟! ٧) قبيلة عاد المنسوبة إلى جدّها إرم ذات الطول. ٨) التي لم يخلق الله مثلها في البلاد. ٩) أولم تر كيف فعل ربك بشمود قوم صالح، الذين شقوا صخور الجبال، وجعلوا منها بيوتًا بالحجر. ١٠) أولم تر كيف

فعل ربك بفرعون الذي كانت له أوتاد يعذب بها الناس؟ ١١) كل هؤلاء تجاوزوا الحد في الجبروت والظلم، كل تجاوزوه في بلده. ١٢) فأكثرُوا فيها الفساد بما نشره من الكفر والمعاصي. ١٣) فأذاقهم الله عذابه الشديد، واستأصلهم من الأرض. ١٤) إن ربك - أيها الرسول - ليرصد أعمال الناس ويراقبها؛ ليجازي من أحسن بالجنة، ومن أساء بالنار. ولما كانت الأمم التي أهلكها الله منعماً عليها بالقوة والمنعة، بين أن الإنعام بذلك ليس دليلاً على رضا الله عنهم، فقال: ١٥) فاما الإنسان فمن طبعه أنه إذا اختبره ربه وأكرمه، وأنعم عليه بالمال والأولاد والجاه، ظن أن ذلك لكرامة له عند الله، فيقول: ربي أكرمني لاستحقاقي لإكرامه.

١٦) وأما إذا اختبره وضيق عليه رزقه، فإنه يظن أن ذلك لهوانه على ربه فيقول: ربي أهانني. ١٧) كلا، ليس الأمر كما تصور هذا الإنسان من أن النعم دليل على رضا الله عن عبده، وأن النقم دليل على هوان العبد عند ربه، بل الواقع أنكم لا تكرمون اليتيم مما أعطاكم الله من الرزق.

١٨) ولا يحث بعضكم بعضاً على إطعام الفقير الذي لا يجد ما يقتات به.

١٩) وتأكلون حقوق الضعفاء من النساء واليتامى أكلاً شديداً دون مراعاة حله.

٢٠) وتحبون المال حباً كثيراً، فتدخلون بإنفاقه في سبيل الله حرصاً عليه.

٢١) لا ينبغي أن يكون هذا عملكم، واذكروا إذا حركت الأرض تحريكاً شديداً وولدت.

٢٢) وجاء ربك - أيها الرسول - للفصل بين عباده، وجاءت الملائكة مصطفين صفوفًا.

• من فوائد الآيات: • فضل عشر ذي الحجة على أيام السنة. • ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل. • المؤمن إذا ابتلي صبر وإن أعطي شكر.

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى
لَهُ الذِّكْرَى ۚ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۖ فَيَوْمَئِذٍ
لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ۖ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ ۖ يَأْتِيهَا
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ۖ
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَادْخُلِي جَنَّاتِي ۖ

سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۚ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۚ وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ ۚ
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۚ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ
أَحَدٌ ۚ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا ۚ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۚ
أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۚ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ وَهَدَيْنَاهُ
النَّجْدَيْنِ ۚ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۚ
فَكُرْبَةٌ ۚ أَوْ اطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۚ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۚ
أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۚ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۚ

٥٩٤

﴿٣٢﴾ وجيء في ذلك اليوم بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، في ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما فرط في جنب الله، وأنى له أن ينفعه التذكر في ذلك اليوم؛ لأنه يوم جزاء لا يوم عمل؟! ﴿٣٣﴾ يقول من شدة الندم: يا ليتني قدمت الأعمال الصالحة لحياتي الآخروية التي هي الحياة الحقيقية. ﴿٣٤﴾ في ذلك اليوم لا يُعَذِّبُ أَحَدٌ مَثَل عَذَابِ اللَّهِ؛ لأن عَذَابَ اللَّهِ أشد وأبقى. ﴿٣٥﴾ ولا يُوثِقُ فِي السَّلَاسِلِ أَحَدٌ مَثَل وَثَاقِهِ لِلْكَافِرِينَ فِيهَا. ولما ذكر الله جزاء الكفار ذكر جزاء المؤمنين فقال: ﴿٣٦﴾ وأما نفس المؤمن فيقال لها عند الموت ويوم القيامة: يا ابنتها النفس المطمئنة إلى الإيمان والعمل الصالح. ﴿٣٧﴾ ارجعي إلى ربك راضية عنه بما تنالين من الثواب الجزيل، مرضية عنده سبحانه بما كان لك من عمل صالح. ﴿٣٨﴾ فادخلي في جملة عبادي الصالحين. ﴿٣٩﴾ وادخلي معهم جنتي التي أعدتها لهم.

سُورَةُ الْبَلَدِ

— مكية —

● مِن مَّقَاصِدِ الشُّرُوحِ:
ذكر حال الإنسان؛ بين كَبَدِ الكفر

والعذاب وبين الصعود لسلم الرحمة والإيمان في الدارين.

● التفسير:

﴿١﴾ أقسم الله بالبلد الحرام الذي هو مكة المكرمة. ﴿٢﴾ وأنت - أيها الرسول - حلال لك ما تصنع فيها؛ من قتل مَنْ يستحق القتل، وأسر من يستحق الأسر. ﴿٣﴾ وأقسم الله بوالد البشر، وأقسم بما تناسل منه من الولد. ﴿٤﴾ لقد خلقنا الإنسان في تعب ومشقة؛ لما يعانيه من الشدائد في الدنيا. ﴿٥﴾ أَيْظُنُّ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ إِذَا اقْتَرَفَ الْمَعَاصِيَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَلَا يَنْتَقِمُ مِنْهُ، وَلَوْ كَانَ رَبُّهُ الَّذِي خَلَقَهُ؟! ﴿٦﴾ يقول: أنفقت مَالًا كَثِيرًا مُتَرَاكِمًا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ. ﴿٧﴾ أَيْظُنُّ هَذَا الْمُتَبَاهِي بِمَا يَنْفَعُهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرَاهُ؟! وَأَنَّهُ لَا يَحَاسِبُهُ فِي مَالِهِ؛ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟! ﴿٨﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ يَبْصُرُ بِهِمَا؟! ﴿٩﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ يَتَحَدَّثُ بِهِمَا؟! ﴿١٠﴾ وَعَرَفَنَاهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ، وَطَرِيقَ الْبَاطِلِ؟! ﴿١١﴾ وهو مطالب بأن يتجاوز العقبة التي تفصله عن الجنة فيقطعها ويتجاوزها. ﴿١٢﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما العقبة التي عليه أن يقطعها ليدخل الجنة؟! ﴿١٣﴾ هي إصتاق رغبة ذكراً كانت أو أنثى. ﴿١٤﴾ أو أن يطعم في يوم مجاعة يندر فيه وجود الطعام. ﴿١٥﴾ طفلاً فقد أباه، له به قرابة. ﴿١٦﴾ أو فقيراً ليس له شيء يملكه. ﴿١٧﴾ ثم كان من الذين آمنوا بالله، وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء، وأوصى بعضهم بعضاً بالرحمة بعباد الله. ﴿١٨﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم أصحاب اليمين.

● مِن قَوَائِدِ الْآيَاتِ: ● عتق الرقاب، وإطعام المحتاجين في وقت الشدة، والإيمان بالله، والتواصي بالصبر والرحمة: من أسباب دخول الجنة. ● من دلائل النبوة إخباره أن مكة ستكون حلالاً له ساعة من نهار. ● لما ضيق الله طرق الرق وسع طرق العتق، فجعل الاعتاق من القربات والكفارات.

والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب الشمال. (١٠)
عليهم نار مغلقة يوم القيامة يعذبون فيها.

سُورَةُ الْبُحْرِ

— مكية —

١٠ من مَقَاصِدِ الشُّرُفِ: تركيز على إظهار آيات الله وآلائه في الآفاق والأنفس وأحوالها، تزكية للنفوس، وزجرًا عن العصيان.

١١ التَّقْيِيرُ: أقسم الله بالشمس، وأقسم بوقت ارتفاعها بعد طلوعها من مشرقها. (١)
٢ وأقسم بالقمر إذا تبع أثرها بعد غروبها.

٣ وأقسم بالنهار إذا كشف ما على وجه الأرض بضوئه.

٤ وأقسم بالليل إذا يغشى وجه الأرض، فيصير مظلمًا. (٥) وأقسم

بالسماء، وأقسم بيناتها المتقن. (٦) وأقسم بالأرض، وأقسم ببسطها؛

ليسكن الناس عليها. (٧) وأقسم بكل نفس، وأقسم بخلق الله لها سوية. (٨)

فأفهمها من غير تعليم ما هو سرّ لتجنّبه، وما هو خير لتأنيه. (٩) قد فاز

بمطلوبه من طهر نفسه بتحليلتها بالفضائل، وتخليتها عن الرذائل. (١٠)

وقد خسر من دسّ نفسه مخفيًا إياها في المعاصي والآثام. ولما ذكر الله خسران

من دسّ نفسه وأخفاها بالمعاصي ذكر ثمود مثالًا على ذلك فقال: (١١)

حين قام أشقاها بعد انتداب قومه له. (١٢) فقال لهم رسول الله

صالح عليه السلام: اتركوا ناقة الله، وشربها في يومها، فلا تعرضوا لها بسوء. (١٣) فكذبوا رسولهم في شأن الناقة، فقتلها

أشقاها مع رضاهم بما فعل، فكانوا شركاء في الإثم، فأطبق الله عليهم عذابه، فأهلكهم بالصيحة بسبب ذنوبهم،

وسواهم في العقوبة التي أهلكهم بها. (١٤) فعل الله بهم من العذاب ما أهلكهم غير خائف سبحانه من تبعاته.

١٥ من مَقَاصِدِ الشُّرُفِ: بيان الاختلاف بين الآيات والأنفس وأعمالها، إظهارًا للتفاضل بين المؤمنين والكافرين.

١٦ التَّقْيِيرُ: أقسم الله بالليل إذا يغطي ما بين السماء والأرض بظلمته. (١) وأقسم بالنهار إذا تكشف وظهر.

٢ وأقسم بخلقه النوعين: الذكر والأنثى. (٣) إن عملكم - أيها الناس - لمختلف، فمنه الحسنات التي هي سبب دخول الجنة، والسيئات التي هي سبب دخول النار. (٤) فأما من أعطى ما يلزمه بذله؛ من زكاة ونفقة وكفارة،

واتقى ما نهى الله عنه. (٥) وصدق بما وعده الله به من الخلف. (٦) فسئّل عليه العمل الصالح، والإنفاق في سبيل الله. (٧) وأما من بخل بماله فلم يبذله فيما يجب عليه بذله فيه، واستغنى بماله عن الله فلم يسأل الله من فضله شيئًا. (٨) وكذب بما وعده الله من الخلف ومن الثواب على إنفاق ماله في سبيل الله.

٩ من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: أهمية تركية النفس وتطهيرها. • المتعاونون على المعصية شركاء في الإثم. • الذنوب سبب للعقوبات الدنيوية. • كل ميسر لما خلق له فمنهم مطيع ومنهم عاصي.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٠) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوصَدَةٌ (١١)

سُورَةُ الشَّقَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا (٢) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا (٣)

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءَ وَمَا بَدَنَهَا (٥) وَالْأَرْضَ

وَمَا طَحَّهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا

وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ

رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ

عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣)

إِنْ سَعَيْكُمْ لَسِئْلَى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)

فَسُيِّرْهُ لِمَسَرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)

فَسُيِّرْهُ لِمَسَرَى (١٠) فَاتَّبَعَتْ أَفْئِدَتُهُ لِسِرَى (١١) فَمَا لَمْ يُعْطَ وَلَمْ يُنْزَلْ (١٢)

فَسُيِّرْهُ لِمَسَرَى (١٣) فَاتَّبَعَتْ أَفْئِدَتُهُ لِسِرَى (١٤) فَمَا لَمْ يُعْطَ وَلَمْ يُنْزَلْ (١٥)

فَسُيِّرْهُ لِمَسَرَى (١٦) فَاتَّبَعَتْ أَفْئِدَتُهُ لِسِرَى (١٧) فَمَا لَمْ يُعْطَ وَلَمْ يُنْزَلْ (١٨)

فَسُيِّرْهُ لِمَسَرَى (١٩) فَاتَّبَعَتْ أَفْئِدَتُهُ لِسِرَى (٢٠) فَمَا لَمْ يُعْطَ وَلَمْ يُنْزَلْ (٢١)

فَسُيِّرْهُ لِمَسَرَى (٢٢) فَاتَّبَعَتْ أَفْئِدَتُهُ لِسِرَى (٢٣) فَمَا لَمْ يُعْطَ وَلَمْ يُنْزَلْ (٢٤)

فَسُيِّرْهُ لِمَسَرَى (٢٥) فَاتَّبَعَتْ أَفْئِدَتُهُ لِسِرَى (٢٦) فَمَا لَمْ يُعْطَ وَلَمْ يُنْزَلْ (٢٧)

فَسُيِّرْهُ لِمَسَرَى (٢٨) فَاتَّبَعَتْ أَفْئِدَتُهُ لِسِرَى (٢٩) فَمَا لَمْ يُعْطَ وَلَمْ يُنْزَلْ (٣٠)

فَسُيِّرْهُ لِمَسَرَى (٣١) فَاتَّبَعَتْ أَفْئِدَتُهُ لِسِرَى (٣٢) فَمَا لَمْ يُعْطَ وَلَمْ يُنْزَلْ (٣٣)

فَسُيِّرْهُ لِمَسَرَى (٣٤) فَاتَّبَعَتْ أَفْئِدَتُهُ لِسِرَى (٣٥) فَمَا لَمْ يُعْطَ وَلَمْ يُنْزَلْ (٣٦)

فَسُيِّرْهُ لِمَسَرَى (٣٧) فَاتَّبَعَتْ أَفْئِدَتُهُ لِسِرَى (٣٨) فَمَا لَمْ يُعْطَ وَلَمْ يُنْزَلْ (٣٩)

فَسُبِّسِرُهُ لِلْعُسْرَى ۝ وَمَا يَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۝ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَى ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ۝ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝
لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا
الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ
يُجْزَى ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۝

سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَى ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝
وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝

﴿١﴾ فَسُبِّسِرُهُ عَلَيْهِ عَمَلُ الشَّرِّ، وَنُحْسِرُ
عَلَيْهِ فَعَلَ الْخَيْرِ. ﴿٢﴾ وَمَا يَغْنَى عَنْهُ
مَالُهُ الَّذِي يَخْلُ بِهَ شَيْئًا إِذَا هَلَكَ،
وَدَخَلَ النَّارَ. ﴿٣﴾ إِنْ عَلَيْنَا أَنْ نَبْنِي
طَرِيقَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ. ﴿٤﴾ وَإِنْ لَنَا
لِلْحَيَاةِ الْآخِرَةِ وَلَنَا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،
نَتَصَرَّفُ فِيهِمَا بِمَا نَشَاءُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ
لِأَحَدٍ غَيْرِنَا. ﴿٥﴾ فَحَذَرْتُكُمْ - أَيُّهَا
النَّاسُ - مِنْ نَارٍ تَتَوَقَّدُ إِنْ أَنْتُمْ
عَصَيْتُمْ اللَّهَ. ﴿٦﴾ لَا يِقَاسِي حَرَّ هَذِهِ
النَّارِ إِلَّا الْأَشْقَى وَهُوَ الْكَافِرُ. ﴿٧﴾
الَّذِي كَذَبَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ،
وَأَعْرَضَ عَنْ امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ. ﴿٨﴾
وَسَيُبَاعَدُ عَنْهَا أَتَقَى النَّاسَ أَبُو
بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ﴿٩﴾ الَّذِي يَنْفَقُ مَالَهُ فِي
وَجْهِ الْبِرِّ لِيُطَهِّرَ مِنَ الذُّنُوبِ. ﴿١٠﴾
وَلَا يَبْذُلُ مَا يَبْذُلُ مِنْ مَالِهِ لِيُكَافِيَ نِعْمَةً
أَنْعَمَ بِهَا أَحَدٌ عَلَيْهِ. ﴿١١﴾ لَا يَرِيدُ بِمَا
يَبْذُلُهُ مِنْ مَالِهِ إِلَّا وَجْهَ رَبِّهِ الْعَالِيِّ عَلَى
خَلْقِهِ. ﴿١٢﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى بِمَا
يُعْطِيهِ اللَّهُ مِنَ الْجَزَاءِ الْكَرِيمِ.

سُورَةُ الضُّحَى

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

ذكر رعاية الله لنبِيِّهِ ﷺ والامتنان عليه
بنعمة الوحي ودوامها له، تأنيسًا له،
وتذكيرًا للمؤمنين بالشكر.

• التَّفْسِيرُ:

﴿١﴾ أقسم الله بأول النهار.

﴿٢﴾ وأقسم بالليل إذا أظلم وسكن الناس فيه عن الحركة. ﴿٣﴾ ما تركك - أيها الرسول - ربك، وما أبغضك؛ كما
يقول المشركون لما قُتِرَ الوحي. ﴿٤﴾ وللدار الآخرة خير لك من الدنيا؛ لما فيها من النعيم الدائم الذي لا ينقطع.
﴿٥﴾ ولسوف يعطيك من الثواب العجيب لك ولأمتك حتى ترضى بما أعطاك وأعطى أمتك. ﴿٦﴾ لقد وجدك صغيرًا
قد مات عنك أبوك، فجعل لك مأوى، حيث عطف عليك جدُّك عبد المطلب، ثم عمَّك أبو طالب. ﴿٧﴾ ووجدك
لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك من ذلك ما لم تكن تعلم. ﴿٨﴾ ووجدك فقيرًا فأغناك. ﴿٩﴾ فلا تُسَيِّئْ
معاملة من فقد أباه في الصغر، ولا تذله. ﴿١٠﴾ ولا تزجر السائل المحتاج. ﴿١١﴾ واشكر نعم الله عليك وتحدث بها.

سُورَةُ الشَّرْحِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

ذكر إتمام منة الله على نبيه ﷺ بزوال الغم والحرَج والعسر عنه، وما يوجب ذلك.

• التَّفْسِيرُ:

﴿١﴾ لقد شرح الله لك صدرك فجَبَّ إليك تلقَى الوحي. ﴿٢﴾ وحططنا عنك الإثم.

• مِنْ قَوَائِدِ آيَاتِهِ: • منزلة النبي ﷺ عند ربه لا تدانيها منزلة. • شكر النعم حقَّ الله على عبده. • وجوب الرحمة
بالمستضعفين واللين لهم.

الَّذِي أَنْفَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۚ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝
إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۚ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالَدِينِ ۖ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ۝

سُورَةُ الْعَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَئٍ ۝ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْثَىٰ
ۖ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا
إِذَا صَلَّىٰ ۖ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۖ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۖ

الذي أتبعك حتى كاد أن يكسر ظهرك. ① وأعلمنا لك ذكرك، فقد أصبحت تُذكر في الأذان والإقامة وفي غيرهما. ② فإن مع الشدة والضيق سهولة واتساعاً. ③ إن مع الشدة والضيق سهولة واتساعاً، إذا علمت ذلك فلا يهولنك أذى قومك، ولا يصدنك عن الدعوة إلى الله. ④ فإذا فرغت من أعمالك، وانتهيت منها فاجتهد في عبادة ربك. ⑤ واجعل رغبتك وقصدك إلى الله وحده.

سُورَةُ التِّينِ

— مكية —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوعِ: ذكر قيمة الإنسان وشرفه بدينه، وسفوله وهوانه بتخليه عنه؛ لذا أقسم بآماكن نزول الوحي.

• التفسير:

① أقسم الله بالتين ومكان نباته، وبالزيتون ومكان نباته في أرض فلسطين التي بعث فيها عيسى عليه السلام. ② وأقسم بسجبل سيناء الذي ناجى عنده نبيه موسى عليه السلام. ③ وأقسم بمكة البلد الحرام الذي يأمن من دخل فيه الذي بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم. ④ لقد أوجدنا الإنسان في أعدل خلق وأفضل صورة. ⑤ ثم أرجعناه إلى الهرم والخرف في الدنيا فلا ينتفع بجسده كما لا ينتفع به إذا أفسد فطرته وصار إلى النار. ⑥ إلا الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات فإنهم وإن هرموا فلهم ثواب دائم غير مقطوع، وهو الجنة؛ لأنهم زكوا فطهرهم.

دائم غير مقطوع، وهو الجنة؛ لأنهم زكوا فطهرهم. ⑦ فأى شيء يحملك - أيها الإنسان - على التكذيب بيوم الجزاء بعدما عاينت من علامات قدرته الكثيرة؟! ⑧ أليس الله - يجعل يوم القيامة يوماً للجزاء - بأحكم الحاكمين وأعدلهم؟! أيعقل أن يترك الله عباده سدى دون أن يحكم بينهم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته؟! ⑨

سُورَةُ الْعَلَقِ

— مكية —

• مِنْ مَقَاصِدِ الشُّرُوعِ:

بيان كمال الإنسان بالعلم والوحي الباعث على تعلق العبد بربه وخضوعه له، ونقصه بمخالفة ذلك.

• التفسير:

① اقرأ - أيها الرسول - ما يوحيه الله إليك؛ مفتتحاً باسم ربك الذي خلق جميع الخلائق. ② خلق الإنسان من قطعة دم متجمدة بعد أن كانت نطفة. ③ اقرأ - أيها الرسول - ما يوحيه الله إليك، وربك الأكرم الذي لا يداني كرمه كريم، فهو كثير الجود والإحسان. ④ الذي علّم الخط والكتابة بالقلم. ⑤ علم الإنسان ما لم يكن يعلمه. ⑥ حقاً إن الإنسان الفاجر مثل أبي جهل ليتجاوز الحد في تعدي حدود الله. ⑦ لأجل أن رآه استغنى بما لديه من الجاه والمال. ⑧ إن إلى ربك - أيها الإنسان - الرجوع يوم القيامة فيجازي كلًا بما يستحقه. ⑨ أرايت أعجب من أمر أبي جهل الذي ينهى عبداً محمداً صلى الله عليه وسلم إذا صلى عند الكعبة. ⑩ أرايت إن كان هذا المنهي على هدى وبصيرة من ربه؟! ⑪ أو كان يأمر الناس بتقوى الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، أيتهى من كان هذا شأنه؟! ⑫

• من قَوَائِدِ الْآيَاتِ: • رضا الله هو المقصد الأسمى. • أهمية القراءة والكتابة في الإسلام. • خطر الغنى إذا جرّ إلى الكبر والبُعد عن الحق. • النهي عن المعروف صفة من صفات الكفر. • الذنوب أنقضت ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فما بالك بباقي الخلق؟! •

﴿١﴾ إن الذين كفروا - من اليهود والنصارى ومن المشركين - يدخلون يوم القيامة في جهنم ماكثين فيها أبداً، أولئك هم شر الخليفة؛ لكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله.

﴿٢﴾ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات أولئك هم خير الخليفة.

﴿٣﴾ ثوابهم عند ربهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، ماكثين فيها أبداً، رضي الله عنهم لما آمنوا به وأطاعوه، ورضوا عنه لما نالهم من رحمته، هذه الرحمة ينالها من خاف ربه، فامتثل أمره، واجتنب نهيه.

سورة الزلزلة

— مَدَنِيَّة —

﴿١﴾ من مَقَاصِدِ الشُّوَرَةِ:

قرع القلوب الغافلة لليقين بالحساب والإحصاء الدقيق.

﴿٢﴾ التَّفْسِيرُ:

﴿١﴾ إذا حُرِّكَتِ الأرض التحريك الشديد الذي يحدث لها يوم القيامة.

﴿٢﴾ وأخرجت الأرض ما في بطنها من الموتى وغيرهم.

﴿٣﴾ وقال الإنسان متحيراً: ما شأن الأرض تتحرك وتضطرب؟!

﴿٤﴾ في ذلك اليوم العظيم تخبر الأرض بما عمل عليها من خير وشر.

﴿٥﴾ لأن الله أعلمها وأمرها بذلك. ﴿٦﴾ في ذلك اليوم العظيم الذي تنزل فيه الأرض يخرج الناس من موقف الحساب فَرَقًا ليشاهدوا أعمالهم التي عملوها في الدنيا. ﴿٧﴾ فمن يعمل وزن نملة صغيرة من أعمال الخير والبر

يره أمامه. ﴿٨﴾ ومن يعمل وزنها من أعمال الشر يره كذلك.

سورة العاديات

— مَكِّيَّة —

﴿١﴾ من مَقَاصِدِ الشُّوَرَةِ:

بيان صفات الإنسان في اهتماماته الدنيوية، تذكيراً له بمآله، وبعثاً له على تصحيح مساره.

﴿٢﴾ التَّفْسِيرُ:

﴿١﴾ أقسم الله بالخيال التي تجري حتى يُسْمَعَنَّ لَهَا صوتٌ من شدة الجري.

﴿٢﴾ وأقسم بالخيال التي تَوَقَّدُ بحوافرها النار إذا لامست بها الصخور لشدّة وقعها عليها.

﴿٣﴾ وأقسم بالخيال التي تُغَيِّرُ على الأعداء وقت الصباح.

﴿٤﴾ فحركن بحريهنّ غباراً. ﴿٥﴾ فتوسطن بفوارسهنّ جمعاً من الأعداء.

﴿٦﴾ مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• خشية الله سبب في رضاه عن عبده. • شهادة الأرض على أعمال بني آدم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٢﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٣﴾

سورة الزلزلة

آياتها ٨

مَدَنِيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

سورة العاديات

آياتها ١١

مَكِّيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾

٥٩٩

﴿١﴾ لأن الله أعلمها وأمرها بذلك. ﴿٢﴾ في ذلك اليوم العظيم الذي تنزل فيه الأرض يخرج الناس من موقف الحساب فَرَقًا ليشاهدوا أعمالهم التي عملوها في الدنيا. ﴿٣﴾ فمن يعمل وزن نملة صغيرة من أعمال الخير والبر يره أمامه. ﴿٤﴾ ومن يعمل وزنها من أعمال الشر يره كذلك.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ١ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ٢ وَإِنَّهُ لِحَبِ
الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ٣ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ٤
وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ٥ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَ ذَٰلِكَ خَبِيرٌ ٦

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ
يَكُونُ النَّاسُ كَافِرَاشٍ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي
عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩
وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١

سُورَةُ الْكَافِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَكُ الْكَافِرِينَ ١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ٣ ثُمَّ
كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ ٤ كَلَّا تَوْفَعَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرُونَ الْجِجَمَ ٦
ثُمَّ لَتَرُونَ أَهْلَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَ ذَٰلِكَ عَنِ النَّعِيمِ ٨

٦٠٠

١٦ إن الإنسان لَمَنُوعٌ لِلْخَيْرِ الَّذِي
يريده منه ربه. ٧ وإنه على منعه
للخير لشاهد، لا يستطيع إنكار ذلك
لوضوحه. ٨ وإنه لفرط حبه للمال
يبخل به. ٩ أفلا يعلم هذا الإنسان
المغتتر بالحياة الدنيا إذا بعث الله ما في
القبور من الأموات وأخرجهم من
الأرض للحساب والجزاء أن الأمر
لم يكن كما كان يتوهم؟! ١٠ وأبرز
وبين ما في القلوب من النيات
والاعتقادات وغيرها. ١١ إن ربهم
بهم في ذلك اليوم لخبير، لا يخفى
عليه من أمر عباده شيء، وسيجازيهم
على ذلك.

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

— مكية —

● من مقاصد السُّورَةِ:
قرع القلوب لاستحضار هول القيامة.

● التفسير:

١ الساعة التي تقرع قلوب الناس
لعظم هولها. ٢ ما هذه الساعة التي
تقرع قلوب الناس لعظم هولها؟! ٣
وما أعلمك - أيها الرسول - ما هذه
الساعة التي تقرع قلوب الناس لعظم
هولها؟! إنها يوم القيامة. ٤ يوم
تقرع قلوب الناس يكونون كالفرش
المنتشر المتناثر هنا وهناك. ٥
وتكون الجبال مثل الصوف المنذوف
في خفة سيرها وحركتها. ٦ فأما من

رجحت أعماله الصالحة على أعماله السيئة. ٧ فهو في عيشة مرضية ينالها في الجنة. ٨ وأما من رجحت
أعماله السيئة على أعماله الصالحة. ٩ فمسكنه ومستقره يوم القيامة هو جهنم. ١٠ وما أعلمك - أيها الرسول -
ما هي؟! ١١ هي نار شديدة الحرارة.

سُورَةُ الْكَافِرِ

— مكية —

● من مقاصد السُّورَةِ:

تذكير المشغلين بالدنيا بالموت والحساب.

● التفسير:

١ شغلکم - أيها الناس - التفاخر بالأموال والأولاد عن طاعة الله. ٢ حتى مَثَّم ودخلتم قبورکم. ٣ ما كان
لكم أن يشغلکم التفاخر بها عن طاعة الله، سوف تعلمون عاقبة ذلك الانشغال. ٤ ثم سوف تعلمون عاقبته.
٥ حقاً لو أنکم تعلمون يقيناً أنکم مبعوثون إلى الله، وأنه سيجازيکم على أعمالکم؛ لما انشغلتم بالتفاخر
بالأموال والأولاد. ٦ والله لتشهدن النار يوم القيامة. ٧ ثم لتشهدنها مشاهدة يقين لا شك فيه. ٨ ثم
لسألكم الله في ذلك اليوم عما أنعم به علیکم من الصحة والغنى وغيرهما.

● من فوائد الآيات: ● خطر التفاخر والتباهي بالأموال والأولاد. ● القبر مكان زيارة سرعان ما ينتقل منه الناس إلى الدار
الآخرة. ● يوم القيامة يُسأل الناس عن النعم الذي أنعم به الله عليهم في الدنيا. ● الإنسان مجبول على حب المال.

سورة العصر

— مكية —

• من مقاصد السورة:

بيان حقيقة الربح والخسارة في الحياة، والتنبيه على أهمية الوقت الذي يعيشه الإنسان.

• التفسير:

① أقسم سبحانه بوقت العصر.

② إن الإنسان لفي نقصان وهلاك.

③ إلا الذين آمنوا بالله وبرسله، وعملوا الأعمال الصالحات، وأوصى بعضهم بعضًا بالحق، وبالصبر على الحق؛ فالمتصفون بهذه الصفات ناجون في حياتهم الدنيا والآخرة.

سورة الفيل

— مكية —

• من مقاصد السورة:

وعيد المتعاليين الساخرين بالدين وأهله.

• التفسير:

① وبال وشدة عذاب لكثير الاغتيال للناس، والطعن فيهم.

② الذي همه جمع المال وإحصاؤه، لا هم له غير ذلك.

③ يظن أن ماله الذي جمعه سينجيهِ من الموت، فيبقى خالدًا في الحياة الدنيا.

سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ③

سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٌ ① الَّتِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدَ لَهُ ② يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③ كَلَّا لَيُنْبَذَتِ فِي الْحُطَمَةِ ④ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ⑥ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَقْفَدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ⑧ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ⑨

سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَصَفٍ مَّاكُولٍ ⑤

٦٠١

① ليس الأمر كما تصوّر هذا الجاهل، ليطرحن في نار جهنم التي تدق وتكسر كل ما طرح فيها لشدة بأسها. ② وما أعلمك - أيها الرسول - ما هذه النار التي تحطم كل ما طرح فيها؟! ③ إنها نار الله المستعرة. ④ التي تنفذ من أجسام الناس إلى قلوبهم. ⑤ إنها على المعذنين فيها مغلقة. ⑥ بمعد ممتدة طويلة حتى لا يخرجوا منها.

سورة الفيل

— مكية —

• من مقاصد السورة:

إظهار قدرة الله على حماية بيته الحرام، تذكيرًا وامتنانًا.

• التفسير:

① ألم تعلم - أيها الرسول - كيف فعل ربك بأبرهة وأصحابه أصحاب الفيل حين أرادوا هدم الكعبة؟! ② لقد جعل الله تدبيرهم السيئ لهدمها في ضياع، فما نالوا ما تمنّوه من صرف الناس عن الكعبة، وما نالوا منها شيئًا. ③ ونعت عليهم طيرًا أنتهم جماعات جماعات. ④ ترميهم بحجارة من طين متحجّر. ⑤ فجعلهم الله كورق زرع أكلته الدواب وداسته.

• من قوائد الآيات: • خسران من لم يتصفوا بالإيمان وعمل الصالحات، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. • تحريم الهمز واللّغز في الناس. • دفاع الله عن بيته الحرام، وهذا من الأمن الذي قضاه الله له.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

— مَكِّيَّة —

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
الامتنان على قريش وما يلزمهم تجاه ذلك.

● التفسير:

① لأجل عادة قريش وإفهم.
② رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام آمنين.

③ فليعبدوا الله رب هذا البيت الحرام وحده، الذي يشر لهم هذه الرحلة، ولا يشركوا به أحداً.

④ الذي أطعمهم من جوع، وأمنهم من خوف؛ بما وضع في قلوب العرب من تعظيم الحرم، وتعظيم سكانه.

سُورَةُ الْمَاعُونِ

— مَكِّيَّة —

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
بيان أخلاق المكذبين بالدين والآخرة، تحذيراً للمؤمنين، وتشجيعاً على الكافرين.

● التفسير:

① هل عرفت الذي يكذب بالجزاء يوم القيامة؟!

② فهو ذلك الذي يدفع اليتيم بغلظة عن حاجته.

③ ولا يحث نفسه، ولا يحث غيره على إطعام الفقير.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلِفُ قُرَيْشٍ ① إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ
فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ② الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ③

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ① فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ
الْيَتِيمَ ② وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ③ فَوَيْلٌ
لِّلْمَصْلِينِ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑤ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑥

سُورَةُ الْكَوثرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ②
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③

٦٠٢

سُورَةُ الْكَوثرِ

— مَكِّيَّة —

● مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:
منة الله على النبي ﷺ وقطع سبيل المبغضين له.

● التفسير:

① إنا أنيناك - أيها الرسول - الخير الكثير، ومنه نهر الكوثر في الجنة.

② فأذ شكر الله على هذه النعمة، أن تصلي له وحده وتذبح؛ خلافاً لما يفعله المشركون من التقرب لأوثانهم بالذبح.

③ إن مُبْغِضِكَ هو المنقطع عن كل خير المُنْشِي الذي إن ذُكِرَ ذُكِرَ بسوء.

● مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

● أهمية الأمن في الإسلام. ● الرياء أحد أمراض القلوب، وهو يبطل العمل. ● مقابلة النعم بالشكر يزيد بها. ● كرامة النبي ﷺ على ربه وحفظه له وتشريفه له في الدنيا والآخرة.

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

تقرير توحيد العبادة والبراءة من الشرك، والتمايز التام بين الإسلام والشرك.

• التَّفْسِيرُ:

١ قل - أيها الرسول -: يا أيها الكافرون بالله.

٢ لا أعبد في الحال ولا في المستقبل ما تعبدون من الأصنام.

٣ ولا أنتم عابدون ما أعبد أنا؛ وهو الله وحده.

٤ ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام.

٥ ولا أنتم عابدون ما أعبد أنا، وهو الله وحده.

٦ لكم دينكم الذي ابتدئتموه لأنفسكم، ولي ديني الذي أنزله الله علي.

سُورَةُ النَّصْرِ

— مَدَنِيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

بيان عاقبة الإسلام بالنصر والفتح، وما يُشرع عند حصول ذلك، كما تشير لقرب أجل النبي ﷺ.

• التَّفْسِيرُ:

١ إذا جاء نصر الله ولدينك - أيها الرسول - وإعزازه له، وحدث فتح مكة.

٢ ورأيت الناس يدخلون في الإسلام وفدًا بعد وفد.

٣ فاعلم أن ذلك علامة على قرب انتهاء المهمة التي بُعثت بها، فسبح بحمد ربك؛ شكرًا له على نعمة النصر والفتح، واطلب منه المغفرة، إنه كان توابًا يقبل توبة عباده، ويغفر لهم.

سُورَةُ الْمَسَدِ

— مَكِّيَّة —

• مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ:

عدم منفعة النسب والجاه مع الكفر بالله.

• التَّفْسِيرُ:

١ خسرت يدا عم النبي ﷺ أبي لهب بن عبد المطلب بخسران عمله؛ إذ كان يؤدي النبي ﷺ، وخاب سعيه.

٢ أي شيء أغنى عنه ماله وولده؟ لم يدفعه عنه عذابًا، ولم يجلبها له رحمة.

٣ سيدخل يوم القيامة نارًا ذات لهب، يقاسي حرها.

٤ وستدخلها زوجته أم جميل التي كانت تؤدي النبي ﷺ بإلقاء الشوك في طريقه.

٥ في عقبها جبل مُحَكَّمُ الْقَتْلِ تساق به إلى النار.

• مِنْ قَوَائِدِ الْآيَاتِ:

• المفاصلة مع الكفار. • مقابلة النعم بالشكر. • سورة المسد من دلائل النبوة؛ لأنها حكمت على أبي لهب بالموت كافرًا ومات بعد عشر سنين على ذلك. • صِحَّةُ أنكحة الكفار.

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

آيَاتُهَا ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢
وَلَا أَنشُرْ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ٤
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦

سُورَةُ النَّصْرِ

آيَاتُهَا ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ٣

سُورَةُ الْمَسَدِ

آيَاتُهَا ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ٢
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٤
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٥

سُورَةُ الْاِخْلَافِ

— مَكِّيَّة —

● من مقاصد السورة:
إثبات تفرد الله بالكمال والألوهية
وتنزهه عن النقص.

● التفسير:

① قل - أيها الرسول -: هو الله
المفرد بالألوهية، لا إله غيره.

② هو السيد الذي انتهى إليه السُّؤدد
في صفات الكمال والجمال، الذي
تصمد إليه الخلائق.

③ الذي لم يلد أحدًا، ولم يلد
أحد، فلا ولد له - سبحانه - ولا
والد.

④ ولم يكن له مماثل في خلقه.

سُورَةُ الْفَاتِحِ

— مَكِّيَّة —

● من مقاصد السورة:
التحصن والاعتصام بالله من الشرور
الظاهرة.

● التفسير:

① قل - أيها الرسول -: أعتصم برب
الصبح، وأستجير به.

② من شر ما يؤذي من المخلوقات.

③ وأعتصم بالله من الشرور التي

تظهر في الليل من دواب ولصوص.

④ وأعتصم به من شر السواحر
اللائي يَنْقُصُن في العُقَد.

سُورَةُ الْاِخْلَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

سُورَةُ الْفَاتِحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ
غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ
النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَفِيِّ ④ الَّذِي
يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤
مِنَ الْبَيْتَةِ وَالنَّاسِ ⑥

٦٠٤

⑤ وأعتصم به من شر حاسد إذا عمل بما يدفعه إليه الحسد.

سُورَةُ النَّاسِ

— مَكِّيَّة —

● من مقاصد السورة:
الاعتصام والتحصن بالله من شر الشيطان ووسوسته، ومن الشرور الخفية.

● التفسير:

① قل - أيها الرسول -: أعتصم برب الناس، وأستجير به.

② ملك الناس، يتصرف فيهم بما يشاء، لا ملك لهم غيره.

③ معبودهم بحق، لا معبود لهم بحق غيره.

④ من شر الشيطان الذي يلقي وسوسته إلى الإنسان إذا غفل عن ذكر الله، ويتأخر عنه إذا ذكره.

⑤ يلقي بوسوسته إلى قلوب الناس.

⑥ وهو يكون من الإنس كما يكون من الجن.

● من فوائد الآيات:

● إثبات صفات الكمال لله، ونفي صفات النقص عنه. ● ثبوت السحر، ووسيلة العلاج منه.

● علاج الوسوسة يكون بذكر الله والتعوذ من الشيطان.

لُصْطِلَاخَاتُ الضَّبْطِ

وَضَعُ دَائِرَةً خَالِيَةَ الْوَسْطِ هَكَذَا «٥» فَوْقَ أَحَدِ أَحْرَفِ الْعِلَّةِ الثَّلَاثَةِ الزَّيْدَةِ رَسْمًا يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ ذَلِكَ الْحَرْفِ ، فَلَا يُنْطَقُ بِهِ فِي الْوَصْلِ وَلَا فِي الْوَقْفِ نَحْوُ: (ءَامِنُوا) (يَتْلُوا صُحُفًا) (لَا أَذْبَحْنَهُ) (أُولَئِكَ) (مِنْ نَبَائِي الْمُرْسَلِينَ) (بَنَيْنَهَا بِأَيْدٍ) .

وَوَضَعَ دَائِرَةً قَائِمَةً مُسْتَطِيلَةً خَالِيَةَ الْوَسْطِ هَكَذَا «٥» فَوْقَ أَلِفٍ بَعْدَهَا مَتَحَرِّكٌ يَدُلُّ عَلَى زِيَادَتِهَا وَصَلًا لَا وَقْفًا نَحْوُ: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ) (لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي) (وَأَهْمِلَتِ الْأَلْفُ الَّتِي بَعْدَهَا سَاكِنٌ نَحْوُ: (أَنَا النَّذِيرُ) مِنْ وَضْعِ الْعَلَامَةِ السَّابِقَةِ فَوْقَهَا ، وَإِنْ كَانَ حُكْمُهَا مِثْلَ الَّتِي بَعْدَهَا مَتَحَرِّكٌ فِي أَنَّهَا سَقَطُ وَصَلًا ، وَتَثَبَّتْ وَقْفًا لِعَدَمِ تَوَهُّمِ ثُبُوتِهَا وَصَلًا .

وَوَضَعَ رَأْسَ خَاءٍ صَغِيرَةً بَدُونِ نُقْطَةٍ هَكَذَا «٥» فَوْقَ أَيِّ حَرْفٍ يَدُلُّ عَلَى سُكُونِ ذَلِكَ الْحَرْفِ وَعَلَى أَنَّهُ مُظْهَرٌ بِحَيْثُ يَقْرَعُهُ اللِّسَانُ نَحْوُ: (مِنْ خَيْرٍ) (أَوْعَظْتَ) (فَدَسَمَعَ) (نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ) (وَإِذْ صَرَفْنَا) .

وَتَعَرِيَةُ الْحَرْفِ مِنْ عِلَامَةِ السُّكُونِ مَعَ تَشْدِيدِ الْحَرْفِ التَّالِي تَدُلُّ عَلَى إِدْغَامِ الْأَوَّلِ فِي الثَّانِي إِدْغَامًا كَامِلًا بِحَيْثُ يَذْهَبُ مَعَهُ ذَاتُ الْمُدْغِمِ وَصِفَتُهُ ، فَالتَّشْدِيدُ يَدُلُّ عَلَى الْإِدْغَامِ ، وَالتَّعَرِيَةُ تَدُلُّ عَلَى كَمَالِهِ ، نَحْوُ: (مِنْ لَيْسَةٍ) ،

(مِنْ رَبِّكَ) (مِنْ نُورٍ) (مِنْ مَاءٍ) (أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) (عَصَوْا وَكَانُوا)
(وَقَالَتْ طَائِفَةٌ) (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) (وَكَذَاقُولُهُ تَعَالَى) (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ).

وَتَعْرِيبُهُ مَعَ عَدَمِ تَشْدِيدِ التَّالِي يَدُلُّ عَلَى إِدْغَامِ الْأَوَّلِ فِي الثَّانِي إِدْغَامًا نَاقِصًا
بِحَيْثُ يَذْهَبُ مَعَهُ ذَاتُ الْمُدْغِمِ مَعَ بَقَاءِ صِفَتِهِ نَحْوُ: (مَنْ يَقُولُ) (مِنْ وَالٍ)،
(فَرَطْتُمْ) (بَسَطْتَ) (أَحَطْتُ)، أَوْ يَدُلُّ عَلَى إِخْفَاءِ الْأَوَّلِ عِنْدَ الثَّانِي،
فَلَا هُوَ مُظْهَرٌ حَتَّى يَقْرَعَ اللِّسَانُ، وَلَا هُوَ مُدْغِمٌ حَتَّى يَقْلَبَ مِنْ جِنْسِ تَالِيهِ
سِوَاهُ أَكَانَ هَذَا الْإِخْفَاءُ حَقِيقِيًّا نَحْوُ: (مِنْ تَحِيهَا) أَمْ شَفَوِيًّا نَحْوُ: (جَاءَهُمْ
بِالْحَقِّ) عَلَى مَا جَرَى عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْأَدَاءِ مِنْ إِخْفَاءِ الْمِيمِ عِنْدَ الْبَاءِ.

وَتَرْكِيبُ الْحَرَكَتَيْنِ «حَرَكَةُ الْحَرْفِ وَالْحَرَكَةُ الدَّالَّةُ عَلَى التَّنْوِينِ» سِوَاهُ أَكَانَتَا
ضَمَّتَيْنِ، أَمْ فَتَحَتَيْنِ، أَمْ كَسْرَتَيْنِ هَكَذَا (٥ =) يَدُلُّ عَلَى إِظْهَارِ التَّنْوِينِ نَحْوُ:
(حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) (حَلِيمًا غَفُورًا) (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ).

وَتَتَابُعُهُمَا هَكَذَا: (٦ =) مَعَ تَشْدِيدِ التَّالِي يَدُلُّ عَلَى الْإِدْغَامِ الْكَامِلِ نَحْوُ:
(لَرَّؤُوفٌ رَحِيمٌ) (مُبْصِرَةٌ لِّتَبَتَّغُوا) (يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ).

وَتَتَابُعُهُمَا مَعَ عَدَمِ تَشْدِيدِ التَّالِي يَدُلُّ عَلَى الْإِدْغَامِ النَّاقِصِ نَحْوُ:
(رَحِيمٌ وَدُودٌ) (وَأَنْهَرَا وَسُبُلَا) (فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ) أَوْ عَلَى الْإِخْفَاءِ نَحْوُ:
(شِهَابٌ ثَاقِبٌ) (سِرَاعًا ذَلِكَ) (عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

فَتَرْكِيبُ الْحَرَكَتَيْنِ بِمَنْزِلَةِ وَضْعِ الشُّكُونِ عَلَى الْحَرْفِ، وَتَتَابُعُهُمَا بِمَنْزِلَةِ تَعْرِيبِهِ عَنْهُ

وَوَضَعَ مِيمٌ صَغِيرَةً هَكَذَا: « م » بَدَلَ الْحَرَكَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمُنُونِ ، أَوْفَوْقَ
التُّونِ السَّائِكَةِ بَدَلَ الشُّكُونِ ، مَعَ عَدَمِ تَشْدِيدِ الْبَاءِ الثَّالِيَةِ يَدُلُّ عَلَى قَلْبِ
التَّنْوِينِ أَوِ التُّونِ السَّائِكَةِ مِيمًا نَحْوُ: (عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (جَزَاءُ بِمَا
كَانُوا) (كِرَامٌ بَرَرَةٌ) (أَنْبِئْهُمْ) (وَمِنْ بَعْدُ) .

وَالْحُرُوفُ الصَّغِيرَةُ تُدَلُّ عَلَى أَعْيَانِ الْحُرُوفِ الْمَتْرُوكَةِ فِي خَطِّ الْمَصَاحِفِ
الْعُثْمَانِيَّةِ مَعَ وَجُوبِ النُّطْقِ بِهَا نَحْوُ: (ذَلِكَ الْكِتَابُ) (دَاوُدَ) ،
(يَلُودُنَ أَلْسِنَتَهُمْ) (يُحْيِي وَيُمِيتُ) (إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا)
(إِنَّ وَلِيَیَ اللَّهِ) (إِيَّاهُمْ) (وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) .

وَكَانَ عُلَمَاءُ الضَّبْطِ يُدَحِّقُونَ هَذِهِ الْأَحْرَفَ حَمَاءَ بِقَدَرِ حُرُوفِ الْكِتَابَةِ
الْأَصْلِيَّةِ وَلَكِنْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ فِي الْمَطَابِعِ أَوَّلَ ظُهُورِهَا ، فَكَفَى بِتَصْغِيرِهَا
لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الْحَرْفِ الْمُدْحَقِ وَالْحَرْفِ الْأَصْلِيِّ .

وَالْآنَ الْحَاقُ هَذِهِ الْأَحْرَفَ بِالْحُمْرَةِ مُتَيَسِّرٌ وَلَوْضُيْطَتِ الْمَصَاحِفِ
بِالْحُمْرَةِ وَالصُّفْرَةِ وَالْخَضْرَةِ وَفَقِ التَّفْصِيلِ الْمَعْرُوفِ فِي عِلْمِ الضَّبْطِ لَكَانَ
لِذَلِكَ سَلَفٌ صَحِيحٌ مَقْبُولٌ ، فَيَبْقَى الضَّبْطُ بِاللَّوْنِ الْأَسْوَدِ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ اعْتَادُوا عَلَيْهِ .
وَإِذَا كَانَ الْحَرْفُ الْمَتْرُوكُ لَهُ بَدَلٌ فِي الْكِتَابَةِ الْأَصْلِيَّةِ عُوِّلَ فِي النُّطْقِ عَلَى الْحَرْفِ الْمُدْحَقِ
لَا عَلَى الْبَدَلِ نَحْوُ: (الصَّلَاةُ) (كِمَشْكُورَ) (الرِّبَا) (وَإِذَا سَأَسْتَقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ) .
وَوَضَعَ السِّينَ فَوْقَ الصَّادِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ) (فِي الْخَلْقِ

بَصْطَةً) يَدُلُّ عَلَى قِرَاءَتِهَا بِالسَّيْنِ لَا بِالصَّادِ لِحَفْصٍ مِنْ طَرِيقِ الشَّاطِطِيَّةِ .
فَإِنْ وُضِعَتِ السَّيْنُ تَحْتَ الصَّادِ دَلَّ عَلَى أَنَّ النُّطْقَ بِالصَّادِ أَشْهَرُ ، وَذَلِكَ
فِي كَلِمَةِ (الْمُصَيِّطُونَ) . أَمَّا كَلِمَةُ (بِمُصَيِّطٍ) بِسُورَةِ الْغَاشِيَةِ
فَبِالصَّادِ فَقَطْ لِحَفْصٍ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ الشَّاطِطِيَّةِ .

وَوَضِعُ هَذِهِ الْعَلَامَةُ « هـ » فَوْقَ الْحَرْفِ يَدُلُّ عَلَى لُزُومِ مَدِّهِ مَدًّا زَائِدًا
عَلَى الْمَدِّ الطَّبِيعِيِّ الْأَصْلِيِّ نَحْوُ : (الَمْ) (الطَّامَّةُ) (قُرُوءِ) (سَيَّءٌ بِهِمْ)
(شَفَعْتُوا) (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا)
(بِمَا أَنْزَلَ) عَلَى تَفْصِيلٍ يُعْلَمُ مِنْ فَنِّ التَّجْوِيدِ .

وَلَا تُسْتَعْمَلُ هَذِهِ الْعَلَامَةُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَلِفٍ مُحذُوفَةٍ بَعْدَ أَلِفٍ مَكْتُوبَةٍ مِثْلَ :
(آمَنُوا) كَمَا وَضَعَ غَلَطًا فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ ، بَلْ تُكْتُبُ (ءَامَنُوا)
بِهَمْزَةٍ وَأَلِفٍ بَعْدَهَا .

وَوَضِعُ نُقْطَةً كَبِيرَةً مَطْمُوسَةً الْوَسْطِ هَكَذَا « • » تَحْتَ الْحَرْفِ بَدَلًا مِنَ
الْفَتْحَةِ يَدُلُّ عَلَى الْإِمَالَةِ وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ بِالْإِمَالَةِ الْكُبْرَى وَذَلِكَ فِي كَلِمَةِ
(مَجْرِبُهَا) بِسُورَةِ هُودٍ .

وَوَضِعُ النُّقْطَةَ الْمَذْكُورَةَ فَوْقَ آخِرِ الْمِيمِ قُبَيْلَ النُّونِ الْمَشَدَّدَةِ مِنْ
قَوْلِهِ تَعَالَى (مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا) يَدُلُّ عَلَى الْإِسْمَامِ ، وَهُوَ ضَمُّ الشَّفَتَيْنِ كَمَنْ يُرِيدُ
النُّطْقَ بِالضَّمَّةِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْحَرَكَةَ الْمَحذُوفَةَ ضَمَّةٌ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ
لِذَلِكَ أَثَرٌ فِي النُّطْقِ .

فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مُكُونَةٌ مِنْ فِعْلٍ مُضَارِعٍ مَرْفُوعٍ آخِرُهُ تُونٌ مَضْمُومَةٌ ، لِأَنَّ (لَا) نَافِيَةٌ . وَمِنْ مَفْعُولٍ بِهِ أَوَّلُهُ تُونٌ فَأَصْلُهَا (تَأْمُنُنَا) بِنُونَيْنِ ، وَقَدْ أَجْمَعَ كِتَابُ الْمَصَاحِفِ عَلَى رَسْمِهَا بِنُونٍ وَاحِدَةٍ ، وَفِيهَا لِلْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ مَا عَدَا أَبَا جَعْفَرٍ وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا : الإِشْمَامُ - وَقَدْ تَقَدَّمَ - وَالِإِشْمَامُ هُنَا مُقَارَنٌ لِسُكُونِ الْحَرْفِ الْمُدْغَمِ .

وَتَانِيَهُمَا : الإِخْفَاءُ ، وَالْمَرَادُ بِهِ النُّطْقُ بِثُلْثِي الْحَرَكَةِ الْمَضْمُومَةِ ، وَعَلَى هَذَا يَذْهَبُ مِنَ التُّونِ الْأَوَّلِيِّ عِنْدَ النُّطْقِ بِهَا ثُلُثُ حَرَكَتِهَا ، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالتَّلَقِّي ، وَالِإِخْفَاءُ مُقَدَّمٌ فِي الْأَدَاءِ .

وَقَدْ ضَبِطَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ ضَبْطًا صَالِحًا لِكُلِّ مِنَ الْوَجْهَيْنِ السَّابِقَيْنِ . وَوَضَعَ النُّقْطَةُ السَّالِفَةَ الذِّكْرُ بِدُونِ الْحَرَكَةِ مَكَانَ الْهَمْزَةِ يَدُلُّ عَلَى تَسْهِيلِ الْهَمْزَةِ بَيْنَ بَيْنٍ ، وَهُوَ هُنَا النُّطْقُ بِالْهَمْزَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَلِفِ . وَذَلِكَ فِي كَلِمَةٍ (ءَأَعَجِمِي) بِسُورَةِ فَصَّلَتْ .

وَوَضَعَ رَأْسَ صَادٍ صَغِيرَةٍ هَكَذَا « ص » فَوْقَ أَلِفِ الْوَصْلِ (وَتُسَمَّى أَيْضًا هَمْزَةُ الْوَصْلِ) يَدُلُّ عَلَى سُقُوطِهَا وَصَلًا .

وَالدَّائِرَةُ الْمُحَلَّلَةُ الَّتِي فِي جَوْفِهَا رَقْمٌ تَدُلُّ بِهَيْئَتِهَا عَلَى انْتِهَاءِ الْآيَةِ ، وَبِرَفْعِهَا عَلَى عَدَدِ تِلْكَ الْآيَةِ فِي السُّورَةِ نَحْوُ : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ

وَأُخْرَ ٢) إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ٣) وَلَا يَجُوزُ وَضْعُهَا قَبْلَ الْآيَةِ الْبَتَّةِ .
فَلِذَلِكَ لَا تُوْجَدُ فِي أَوَائِلِ السُّورِ وَتُوْجَدُ فِي أَوَاخِرِهَا .

وَتَدُلُّ هَذِهِ الْعَلَامَةُ « ❦ » عَلَى بَدَايَةِ الْأَجْزَاءِ وَالْأَحْزَابِ وَأَنْصَافِهَا وَأَرْبَاعِهَا .
وَوَضَعَ خَطٌّ أَفْقِيٌّ فَوْقَ كَلِمَةٍ يَدُلُّ عَلَى مُوجِبِ السَّجْدَةِ .

وَوَضَعَ هَذِهِ الْعَلَامَةَ « ﷻ » بَعْدَ كَلِمَةٍ يَدُلُّ عَلَى مَوْضِعِ السَّجْدَةِ نَحْوُ :
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
❦ ﷻ ❦ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ❦ ﷻ ❦

وَوَضَعَ حَرْفَ السِّينِ فَوْقَ الْحَرْفِ الْآخِرِ فِي بَعْضِ الْكَلِمَاتِ يَدُلُّ عَلَى السَّكْتِ
فِي حَالٍ وَصَلِهِ بِمَا بَعْدَهُ سَكْتَةً يَسِيرَةً مِنْ غَيْرِ تَنْقِيسٍ .

وَوَرَدَ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ السَّكْتُ بِإِخْلَافٍ مِنْ طَرِيقِ الشَّاطِئِيَّةِ عَلَى
أَلِفٍ (عَوَجًا) بِسُورَةِ الْكَهْفِ . وَأَلِفٍ (مَرْقَدِنًا) بِسُورَةِ يَسَ . وَنُونٍ
(مَنْ رَاقٍ) بِسُورَةِ الْقِيَامَةِ . وَلَامٍ (بَلَّ رَانَ) بِسُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ .

وَيَجُوزُ لَهُ فِي هَاءٍ (مَالِيَّةٌ) بِسُورَةِ الْحَاقَّةِ وَجَهَانٍ :

أَحَدُهُمَا : إِظْهَارُهَا مَعَ السَّكْتِ ، وَثَانِيَهُمَا : إِدْغَامُهَا فِي الْهَاءِ الَّتِي بَعْدَهَا فِي
لَفْظٍ (هَلَاكَ) إِدْغَامًا كَامِلًا ، وَذَلِكَ بِتَجْرِيدِ الْهَاءِ الْأُولَى مِنَ السُّكُونِ مَعَ
وَضَعِ عِلَامَةِ التَّشْدِيدِ عَلَى الْهَاءِ الثَّانِيَةِ .

وَقَدْ ضُبِطَ هَذَا الْمَوْضِعُ عَلَى وَجْهِ الْإِظْهَارِ مَعَ السَّكْتِ ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ

أَكْثَرُ أَهْلِ الْأَدَاءِ ، وَذَلِكَ بِوَضْعِ عَلَامَةِ الشُّكُونِ عَلَى الْهَاءِ الْأُولَى مَعَ تَجَرِيدِ الْهَاءِ الثَّانِيَةِ مِنْ عَلَامَةِ التَّشْدِيدِ ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِظْهَارِ .

وَوَضْعُ حَرْفِ السَّيْنِ عَلَى هَاءٍ (مَالِيَّةٍ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى السَّكْتِ عَلَيْهَا سَكَنَةً يَسِيرَةً بَدُونِ تَنْفُسٍ لِأَنَّ الْإِظْهَارَ لَا يَتَحَقَّقُ وَصَلًا إِلَّا بِالسَّكْتِ .

وَالْحَاقُّ وَأَوْصَغِيرَةٌ بَعْدَ هَاءٍ ضَمِيرِ الْمَفْرَدِ الْغَائِبِ إِذَا كَانَتْ مَضْمُومَةً يَدُلُّ عَلَى صَلَهِ هَذِهِ الْهَاءِ بِوَاوٍ لَفْظِيَّةٍ فِي حَالِ الْوَصْلِ ، وَالْحَاقُّ يَاءٍ صَغِيرَةٌ مَرْدُودَةٌ إِلَى خَلْفٍ بَعْدَ هَاءِ الضَّمِيرِ الْمَذْكُورِ إِذَا كَانَتْ مَكْسُورَةً يَدُلُّ عَلَى صَلَتِهَا بِيَاءٍ لَفْظِيَّةٍ فِي حَالِ الْوَصْلِ أَيْضًا .

وَتَكُونُ هَذِهِ الصِّلَةُ بِنَوْعِيهَا مِنْ قَبْلِ الْمَدِّ الطَّبِيعِيِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَعْدَهَا هَمْزٌ فَتُمَدُّ بِمِقْدَارِ حَرْكَيْنِ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنَّ رَبَّهُ وَكَانَ بِهِ بَصِيرًا) .

وَتَكُونُ مِنْ قَبْلِ الْمَدِّ الْمُنْفَصِلِ إِذَا كَانَ بَعْدَهَا هَمْزٌ ، فَتُوضَعُ عَلَيْهَا عَلَامَةُ الْمَدِّ وَتُمَدُّ بِمِقْدَارِ أَرْبَعِ حَرَكَاتٍ أَوْ خَمْسٍ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ) وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا : (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) .

وَالْقَاعِدَةُ : أَنَّ حَفْصًا عَنْ عَاصِمٍ يَصِلُ كُلَّ هَاءٍ ضَمِيرِ الْمَفْرَدِ الْغَائِبِ بِوَاوٍ لَفْظِيَّةٍ إِذَا كَانَتْ مَضْمُومَةً ، وَيَاءٍ لَفْظِيَّةٍ إِذَا كَانَتْ مَكْسُورَةً بِشَرْطِ أَنْ يَتَحَرَّكَ مَا قَبْلَ هَذِهِ الْهَاءِ وَمَا بَعْدَهَا ، وَتِلْكَ الصِّلَةُ بِنَوْعِيهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي حَالِ الْوَصْلِ . وَقَدْ اسْتُثْنِيَ لِحَفْصٍ مِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ مَا يَأْتِي :

- (١) - الهاءُ مِنْ لَفْظٍ (يَرْضَهُ) فِي سُورَةِ الزُّمَرِ فَإِنَّ حَفْصًا ضَمَّهَا بِدُونِ صِلَةٍ .
 - (٢) - الهاءُ مِنْ لَفْظٍ (أَرْجِهْ) فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَالشُّعْرَاءِ فَإِنَّهُ سَكَّنَهَا .
 - (٣) - الهاءُ مِنْ لَفْظٍ (فَالِقَهُ) فِي سُورَةِ النَّملِ ، فَإِنَّهُ سَكَّنَهَا أَيْضًا .
- وَإِذَا سَكَنَ مَا قَبْلَ هَاءِ الضَّمِيرِ الْمَذْكُورَةِ ، وَتَحَرَّكَ مَا بَعْدَهَا فَإِنَّهُ لَا يَصِلُهَا إِلَّا فِي لَفْظٍ (فِيهِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا) فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ .
- أَمَّا إِذَا سَكَنَ مَا بَعْدَ هَذِهِ الْهَاءِ سَوَاءً أَكَانَ مَا قَبْلَهَا مُتَحَرِّكًا أَمْ سَاكِنًا فَإِنَّ الْهَاءَ لَا تَوْصِلُ مُطْلَقًا ، لِتَلَا يَجْتَمِعُ سَاكِنَانِ . نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى :
- (لَهُ الْمُلْكُ) (وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ) (فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ) (إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) .

تَنْبِيْهَاتٌ :

- (١) - إِذَا دَخَلَتْ هَمْزَةُ الاسْتِفْهَامِ عَلَى هَمْزَةِ الْوَصْلِ الدَّاخِلَةِ عَلَى لَامِ التَّعْرِيفِ جَازَ لِحَفْصٍ فِي هَمْزَةِ الْوَصْلِ وَجْهَانِ :
 - أَحَدُهُمَا : إِبْدَالُهَا أَلِفًا مَعَ الْمَدِّ الْمَشْبَعِ «أَيُّ بِمَقْدَارِ سِتِّ حَرَكَاتٍ» .
 - وَتَانِيَهُمَا : تَسْهِيلُهَا بَيْنَ بَيْنٍ «أَيُّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَلِفِ» مَعَ الْقَصْرِ وَالْمَرَادُ بِهِ عَدَمُ الْمَدِّ أَصْلًا .
- وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ مُقَدَّمٌ فِي الْأَدَاءِ وَجَرَى عَلَيْهِ الضَّبْطُ .
- وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ فِي ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

- (١) - (ءَ الذَّكْرَيْنِ) فِي مَوْضِعَيْهِ بِسُورَةِ الْأَنْعَامِ .
- (٢) - (ءَ الْكُنَ) فِي مَوْضِعَيْهِ بِسُورَةِ يُوسُفَ .
- (٣) - (ءَ اللَّهِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (قُلْ ءَ اللَّهِ أَذِنَ لَكُمْ) بِسُورَةِ يُوسُفَ .
- وَفِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا : (ءَ اللَّهِ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) بِسُورَةِ النَّملِ .
- كَمَا يَجُوزُ الْإِبْدَالُ وَالتَّسْهِيلُ لِبَقِيَّةِ الْقُرْآنِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ ، وَاخْتَصَّ أَبُو عَمْرٍو وَأَبُو جَعْفَرٍ بِهِذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ) بِسُورَةِ يُوسُفَ .
- عَلَى تَفْصِيلٍ فِي كُتُبِ الْقِرَاءَاتِ .
- (ب) - فِي سُورَةِ الرُّومِ وَرَدَتْ كَلِمَةُ (ضَعْفٍ) مَجْرُورَةً فِي مَوْضِعَيْنِ وَمَنْصُوبَةً فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ .
- وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) .
- وَيَجُوزُ لِحَفْصٍ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ وَجْهَانِ :
- أَحَدُهُمَا : فَتَحُ الضَّادِ . وَثَانِيهِمَا : ضَمُّهَا
- وَالْوَجْهَانِ مَقْرُوءٌ بِهِمَا ، وَالْفَتْحُ مُقَدَّمٌ فِي الْأَدَاءِ .
- (ج) - فِي كَلِمَةِ (ءَاتَيْنِ) فِي سُورَةِ النَّملِ وَجْهَانِ وَقَفًّا :
- أَحَدُهُمَا : إِثْبَاتُ الْيَاءِ سَاكِنَةً . وَثَانِيهِمَا : حَذْفُهَا مَعَ الْوَقْفِ عَلَى النُّونِ سَاكِنَةً
- أَمَّا فِي حَالِ الْوَصْلِ فَتَثْبُتُ الْيَاءُ مَفْتُوحَةً .

(د) - وَفِي كَلِمَةٍ (سَلْسِلًا) فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ وَجْهَانِ وَقَفًا :
أَحَدُهُمَا : إِبْثَاتُ الْأَلِفِ الْأَخِيرَةِ . وَثَانِيَهُمَا : حَذْفُهَا مَعَ الْوَقْفِ عَلَى اللَّامِ سَاكِئَةً .
أَمَّا فِي حَالِ الْوَصْلِ فَتُحْذَفُ الْأَلِفُ .

وَهَذِهِ الْأَوْجُهَةُ الَّتِي تَقَدَّمَتْ لِحَفْصِ ذِكْرِهَا الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ فِي نَظْمِهِ
الْمُسَمَّى : « حِرْزُ الْأَمَانِي وَوَجْهَةُ التَّهَانِي » الشَّاطِبِيَّةُ .
هَذَا ، وَالْمَوَاضِعُ الَّتِي تَخْتَلِفُ فِيهَا الطَّرُقُ ضَبِطَتْ لِحَفْصِ بِمَا يُوَافِقُ طَرِيقَ الشَّاطِبِيَّةِ .

عَلَامَاتُ الْوَقْفِ

أ علامَةُ الْوَقْفِ اللَّازِمِ نَحْوُ : (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ
وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ) .

ب علامَةُ الْوَقْفِ الْجَائِزِ جَوَازًا مُسْتَوِي الطَّرَفَيْنِ . نَحْوُ :
(تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ أَمْتُوا بِرَبِّهِمْ) .

ج علامَةُ الْوَقْفِ الْجَائِزِ مَعَ كَوْنِ الْوَصْلِ أَوَّلَى . نَحْوُ :
(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ
بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

د علامَةُ الْوَقْفِ الْجَائِزِ مَعَ كَوْنِ الْوَقْفِ أَوَّلَى . نَحْوُ :
(قُلْ رَبِّ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ) .

ه علامَةُ تَعَاثُرِ الْوَقْفِ بِحَيْثُ إِذَا وَقِفَ عَلَى أَحَدِ الْمَوْضِعَيْنِ لَا يَبْصَحُ
الْوَقْفُ عَلَى الْآخَرِ . نَحْوُ :

(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) .

فَهْرَسْتُ بِأَسْمَاءِ السُّورِ وَبَيَانَ الْمَكَائِي وَالْمَدَنِي مِنْهَا

السُّورَة	رَقْمُهَا	الصَّفْحَة	البَيَان	السُّورَة	رَقْمُهَا	الصَّفْحَة	البَيَان
الفَاتِحَة	١	١	مَكِّيَة	العنكبوت	٢٩	٣٩٦	مَكِّيَة
البَقَرَة	٢	٢	مَدَنِيَة	الرُّوم	٣٠	٤٠٤	مَكِّيَة
آل عِمْرَان	٣	٥٠	مَدَنِيَة	لُقْمَان	٣١	٤١١	مَكِّيَة
النِّسَاء	٤	٧٧	مَدَنِيَة	السَّجْدَة	٣٢	٤١٥	مَكِّيَة
المَائِدَة	٥	١٠٦	مَدَنِيَة	الأَحْزَاب	٣٣	٤١٨	مَدَنِيَة
الْأَنْعَام	٦	١٢٨	مَكِّيَة	سَبَأ	٣٤	٤٢٨	مَكِّيَة
الْأَعْرَاف	٧	١٥١	مَكِّيَة	فَاطِر	٣٥	٤٣٤	مَكِّيَة
الْأَنْفَال	٨	١٧٧	مَدَنِيَة	يَس	٣٦	٤٤٠	مَكِّيَة
التَّوْبَة	٩	١٨٧	مَدَنِيَة	الصَّافَات	٣٧	٤٤٦	مَكِّيَة
يُونُس	١٠	٢٠٨	مَكِّيَة	ص	٣٨	٤٥٣	مَكِّيَة
هُود	١١	٢٢١	مَكِّيَة	الرُّمُر	٣٩	٤٥٨	مَكِّيَة
يُوسُف	١٢	٢٣٥	مَكِّيَة	عَافِر	٤٠	٤٦٧	مَكِّيَة
الرَّعْد	١٣	٢٤٩	مَدَنِيَة	فُصِّلَتْ	٤١	٤٧٧	مَكِّيَة
إِبْرَاهِيم	١٤	٢٥٥	مَكِّيَة	الشُّورَى	٤٢	٤٨٣	مَكِّيَة
الحَاجَر	١٥	٢٦٢	مَكِّيَة	الرُّخْزِف	٤٣	٤٨٩	مَكِّيَة
النَّحْل	١٦	٢٦٧	مَكِّيَة	الدَّخَان	٤٤	٤٩٦	مَكِّيَة
الْإِسْرَاء	١٧	٢٨٢	مَكِّيَة	الحَاجِيَة	٤٥	٤٩٩	مَكِّيَة
الكَهْف	١٨	٢٩٣	مَكِّيَة	الْأَحْقَاف	٤٦	٥٠٢	مَكِّيَة
مَرْيَم	١٩	٣٠٥	مَكِّيَة	مُحَمَّد	٤٧	٥٠٧	مَدَنِيَة
طه	٢٠	٣١٢	مَكِّيَة	الْفَتْح	٤٨	٥١١	مَدَنِيَة
الْأَنْبِيَاء	٢١	٣٢٢	مَكِّيَة	الحُجُرَات	٤٩	٥١٥	مَدَنِيَة
الحَجَّ	٢٢	٣٣٢	مَدَنِيَة	ق	٥٠	٥١٨	مَكِّيَة
المُؤْمِنُون	٢٣	٣٤٢	مَكِّيَة	الذَّارِيَات	٥١	٥٢٠	مَكِّيَة
التَّوْر	٢٤	٣٥٠	مَدَنِيَة	الطُّور	٥٢	٥٢٣	مَكِّيَة
الْفُرْقَان	٢٥	٣٥٩	مَكِّيَة	النَّجْم	٥٣	٥٢٦	مَكِّيَة
الشَّعْرَاء	٢٦	٣٦٧	مَكِّيَة	القَمَر	٥٤	٥٢٨	مَكِّيَة
النَّحْل	٢٧	٣٧٧	مَكِّيَة	الرَّحْمَن	٥٥	٥٣١	مَدَنِيَة
القَصَص	٢٨	٣٨٥	مَكِّيَة	الْوَاقِعَة	٥٦	٥٣٤	مَكِّيَة

السُّورَةُ	رَقْمُهَا	الصَّفْحَةُ	البَيَان	السُّورَةُ	رَقْمُهَا	الصَّفْحَةُ	البَيَان
الحديد	٥٧	٥٣٧	مَدَنِيَّة	الطارق	٨٦	٥٩١	مَكِّيَّة
المجادلة	٥٨	٥٤٢	مَدَنِيَّة	الأعلى	٨٧	٥٩١	مَكِّيَّة
الحشر	٥٩	٥٤٥	مَدَنِيَّة	الغاشية	٨٨	٥٩٢	مَكِّيَّة
الممتحنة	٦٠	٥٤٩	مَدَنِيَّة	الفجر	٨٩	٥٩٣	مَكِّيَّة
الصف	٦١	٥٥١	مَدَنِيَّة	البلد	٩٠	٥٩٤	مَكِّيَّة
الجمعة	٦٢	٥٥٣	مَدَنِيَّة	الشمس	٩١	٥٩٥	مَكِّيَّة
المنافقون	٦٣	٥٥٤	مَدَنِيَّة	الليل	٩٢	٥٩٥	مَكِّيَّة
التغابن	٦٤	٥٥٦	مَدَنِيَّة	الضحى	٩٣	٥٩٦	مَكِّيَّة
الطلاق	٦٥	٥٥٨	مَدَنِيَّة	الشرح	٩٤	٥٩٦	مَكِّيَّة
التحرير	٦٦	٥٦٠	مَدَنِيَّة	التين	٩٥	٥٩٧	مَكِّيَّة
الملك	٦٧	٥٦٢	مَكِّيَّة	العلق	٩٦	٥٩٧	مَكِّيَّة
القلم	٦٨	٥٦٤	مَكِّيَّة	القدر	٩٧	٥٩٨	مَكِّيَّة
الحاقة	٦٩	٥٦٦	مَكِّيَّة	البينة	٩٨	٥٩٨	مَدَنِيَّة
المعارج	٧٠	٥٦٨	مَكِّيَّة	الزلزلة	٩٩	٥٩٩	مَدَنِيَّة
نوح	٧١	٥٧٠	مَكِّيَّة	العاديات	١٠٠	٥٩٩	مَكِّيَّة
الجن	٧٢	٥٧٢	مَكِّيَّة	القارعة	١٠١	٦٠٠	مَكِّيَّة
الزمل	٧٣	٥٧٤	مَكِّيَّة	التكاثر	١٠٢	٦٠٠	مَكِّيَّة
المدثر	٧٤	٥٧٥	مَكِّيَّة	العصر	١٠٣	٦٠١	مَكِّيَّة
القيامة	٧٥	٥٧٧	مَكِّيَّة	الهجرة	١٠٤	٦٠١	مَكِّيَّة
الإنسان	٧٦	٥٧٨	مَكِّيَّة	الفيل	١٠٥	٦٠١	مَكِّيَّة
المرسلات	٧٧	٥٨٠	مَكِّيَّة	قريش	١٠٦	٦٠٢	مَكِّيَّة
النبل	٧٨	٥٨٢	مَكِّيَّة	الماعون	١٠٧	٦٠٢	مَكِّيَّة
التازعات	٧٩	٥٨٣	مَكِّيَّة	الكوثر	١٠٨	٦٠٢	مَكِّيَّة
عبس	٨٠	٥٨٥	مَكِّيَّة	الكافرون	١٠٩	٦٠٣	مَكِّيَّة
التكوير	٨١	٥٨٦	مَكِّيَّة	النصر	١١٠	٦٠٣	مَدَنِيَّة
الانفطار	٨٢	٥٨٧	مَكِّيَّة	المسد	١١١	٦٠٣	مَكِّيَّة
المطففين	٨٣	٥٨٧	مَكِّيَّة	الإخلاص	١١٢	٦٠٤	مَكِّيَّة
الانشقاق	٨٤	٥٨٩	مَكِّيَّة	الفلق	١١٣	٦٠٤	مَكِّيَّة
البروج	٨٥	٥٩٠	مَكِّيَّة	الناس	١١٤	٦٠٤	مَكِّيَّة

مَرْكَزُ نَفْسِيرٍ لِلدِّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

مركز بحوث ودراسات متخصصٌ في الدراسات القرآنية وتطويرها، في المجالات العلمية والتعليمية والتقنية والإعلامية، من خلال مشروعات متميزة، من الدراسات والبحوث، والبرامج الإعلامية، والدورات التدريبية، والمؤتمرات واللقاءات، والتطبيقات الإلكترونية، بعمل مؤسسي يتحرى الإتقان والجودة، ويمد جسور التعاون والشراكة مع مؤسسات المجتمع كافة، ومع جميع العاملين في خدمة القرآن الكريم وعلومه في العالم أفراداً ومؤسسات. وينتسب للمركز - عملاً مباشراً وتعاوناً - مئات الباحثين حول العالم.

● الرؤية :

الريادة في تطوير الدراسات القرآنية.

● الأهداف :

- ١- الارتقاء بمستوى الدراسات القرآنية، وإثراؤها ببحوث علمية جادة.
- ٢- تشجيع البحث العلمي في الدراسات القرآنية، وتعزيز دراسات استشراف مستقبلها وتشجيعها.
- ٣- تطوير البيئة التعليمية في مجال الدراسات القرآنية وصناعة المفسرين، وفق منهجية أصيلة بأساليب حديثة.
- ٤- تقريب علوم القرآن للمستفيدين بوسائل مختلفة، وتقديم الاستشارات العلمية في مجال القرآن وعلومه.
- ٥- تطوير بيئة تقنية داعمة لقطاع الدراسات القرآنية، وابتكار منتجات تقنية احترافية، وتوظيفها في مجال القرآن وعلومه.
- ٦- توظيف وسائل الإعلام التقليدي والجديد، وتعزيز الشراكات والعلاقات في خدمة القرآن الكريم وعلومه.

● عنوان المركز :

■ المملكة العربية السعودية، الرياض، حي الياسمين - طريق أنس بن مالك.

■ ص.ب: ٢٤٢١٩٩ - الرمز البريدي: ١١٢٢٢

■ البوابة الإلكترونية: www.tafsir.net

للتواصل مع مشروع «المختصر في تفسير القرآن الكريم»

almokhtasar@tafsir.net

00966536365555

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com